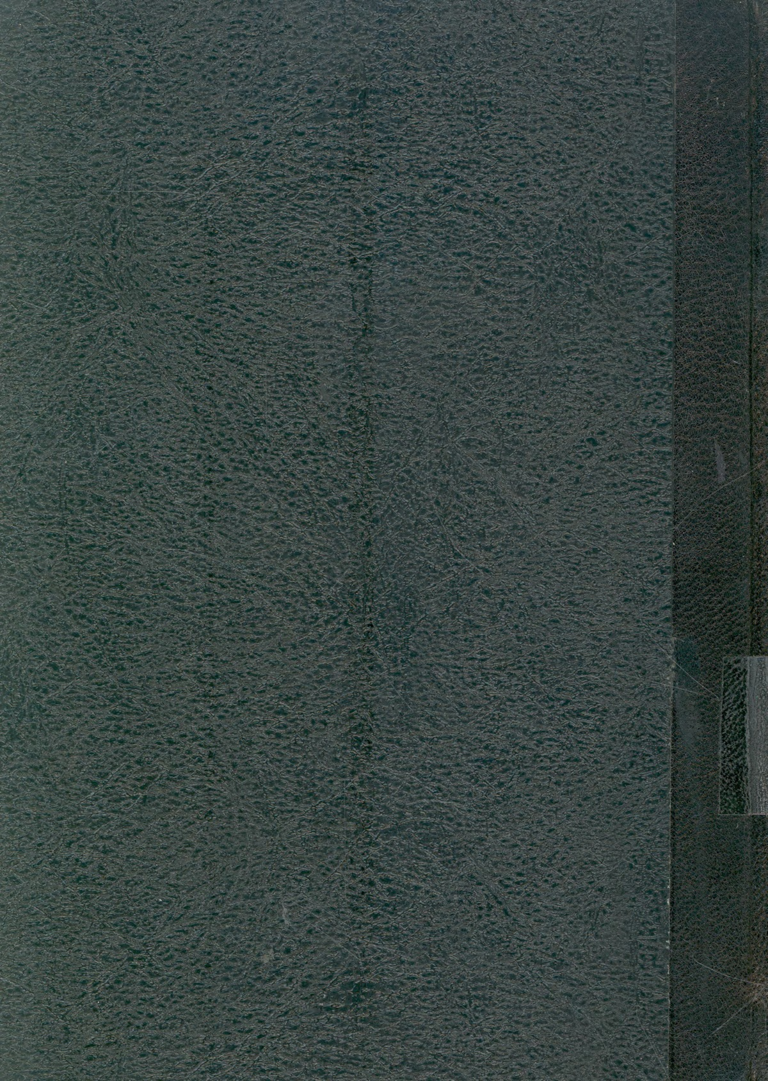


المقتطف

الجزء الاوَّل من المجلد السادس والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٠ رمضان سنة ١٣١٨

شكل الميكروب وحجمهُ

لقد شاع اسم الميكروب وألفتهُ الاسماع حتى دخل اشعار الخاصة واناشيد العامة وصرَّفهُ الكتَّاب فقالوا ميكروبات وميكروبي . وينقصهم اشتقاق فعل منهُ فيقولون مَكرَبَ الجسم اي ادخل فيهِ الميكروب وتمكرب الجسمُ اي دخلهُ الميكروب او صار ذا ميكروبات . لكنَّ كثيرين يطلقونهُ على غير ما وُضع لهُ وعلى غير ما يمكن ان يدخل فيهِ حتى على الحشرات التي ترى بالعين المجرَّدة بل على ما كبر من خشاش الارض ولذلك رأينا ان ننشر صور انواع الميكروبات ونشفعها بوصف وجيز قريب المأخذ يسهل تناولهُ على جمهور القرَّاء فنقول

الميكروب اسم يطلق على انواع مختلفة من الاجسام الحية الصغيرة التي كلٌّ واحد منها خلية واحدة فهو من هذا القبيل ابسط انواع الحيوان والنبات . ويطلق عليها ايضاً اسم البكتيريوم والجمع بكتيريا ولكننا اخترنا اسم الميكروب على اسم البكتيريوم لان وزن الميكروب شبيه بالاوزان العربية ويسهل تصريفهُ مثلها فلا يثقل على اللفظ والسمع

والميكروب حيٌّ كما تقدَّم فيغتذي مثل كل الاجسام الحية وغذاؤهُ من المواد الآلية حية كانت او غير حية . ويراد بالمواد الآلية الحيوان والنبات وما يتولد منهما . وقد يغتذي ايضاً من المواد غير الآلية اي من الجماد كالهواء والتراب . وهو من اصغر الاجسام الحية لا يُرَى الاَّ بالميكرسكوب فلا يقاس طولهُ وعرضهُ بالعقدة والسنتيمتر والمليمتر بل بالميكرون وهو جزء من الف جزء من المليمتر والمليمتر جزء من الف جزء من المتر . ولذلك لا يرى جيداً الاَّ بميكرسكوب قوي . وهو وان كان صغيراً الى هذا الحد يفعل افعالاً كبيرة جدًّا لا يكفي لها قولهم " مستعظمُ النار من مستصغرِ الشرر " لانهُ اصغر من الشرر بما لا يقدَّر وافعالهُ

اعظم من افعال النار كثيرًا فهو علة الاختمار والانحلال والفساد وهو سبب اكثر الامراض والاوباء . وبهِ تجود التربة وتختمر الخمر ويصلح الجبن وتطيب الطعوم ولهُ افعال اخرى كثيرة بين نافع وضار

وصغر الميكروبات الى هذا الحد لا يمنع امتياز بعضها عن بعض شكلاً وحجمًا كما يظهر من الصورة المقابلة لصدر هذه المقالة. واشكالها الاصلية اربعة وهي الشكل الكروي والبيضوي والعصوي واللولبي. لكن انواعها تختلف اكثر مما تختلف اشكالها اي يكون لميكروبين شكل واحد ويكونان مختلفين نوعًا فيعلم الفرق بينهما من اوصاف اخرى تميز كلاًّ منهما عن الآخر مثل شكل نموهِ وفعلهِ بالحيوانات . وزد على ذلك ان النوع الواحد من الميكروبات يختلف شكلهُ وحجمهُ في بعض الاحوال

ويطلق على الميكروبات الكروية والبيضوية اسم كوكس ومعناهُ باليونانية توت او كبش وهي تبقى كروية الى ان يحين وقت انقسامها فستطيل وتصير بيضوية ثم تنقسم. وقد ينتظم بعضها مع بعض في شكل مسابح متعرّجة فتسمى الستربتوكوكس من ستربتوس اي متعرّج . او تجتمع معًا في شكل عناقيد فتسمى ستفيلوكوكس من ستفيلي عنقود . وقطر الكوكس يختلف من ثلث ميكرون الى ثلاثة ميكرونات والميكرون جزء من عشرة آلاف جزءٍ من السنتيمتر كما تقدم. فاذا صُفّ الف ميكروب من الكوكس الصغير احدها لصق الآخر بلغ طول صفها ثلث سنتيمتر لا غير

ويطلق على الميكروبات العصوية اسم باشلس اي عصا لانها كالعصي شكلاً ويختلف طولها من نصف ميكرون الى ثلاثة ميكرونات ونصف وعرضها لا يبلغ الميكرون

والميكروبات اللولبية الشكل اما لوالب واما اقواس مزدوجة كالمدة او كحرف S الافرنجي او اقواس بسيطة ومن ذلك ميكروب الكوليرا وهو صغير قطرهُ اربعة اعشار الميكرون

وقد رسمنا في الشكل المتقدم سبعة انواع من الميكروبات كما ترى تحت ميكرسكوب يكبر قطرها الفًا ومئة ضعف

الاول من جهة اليسار فيهِ الميكروب الكروي المنتظم كالعقد ومنهُ ميكروب الحمرة . وقد ثبت بالامتحان ان هذا الميكروب يحدث الحمرة في الناس الذين يطعَّمون بهِ . وربما استغرب القارئ قولنا ان فعل هذا الميكروب ثبت بالامتحان لانهُ لا ينتظر ان يُسلِّم احد نفسهُ ليمتحن فيهِ مرض خبيث مثل الحمرة ولكن يقال في الطب احيانًا كثيرة ما يقال في الصناعة وهو لا "يفلُّ الحديد الاَّ الحديد" او ما قالهُ المتنبي وهو "فربما صحَّت الاجسام بالعلل" فان من الاورام الخبيثة ما لا يشفى الاَّ اذا طُعِّم بميكروب الحمرة فيستحيل الى حمرة تسير سيرها الى ان

تشفي كأن ميكروب الحمرة يتغلَّب على الجراثيم او الميكروبات التي تسبِّب المرض الخبيث وتميتهُ فيكون الجسم قد استشفى من داءٍ بداءٍ لكن الثاني ليس اقتل من الاول ولا هو قاتل مثلهُ. وبمثل ذلك ثبت ان هذا الميكروب هو المسبب للحمرة .

والثاني (وهو الاعلى من جهة اليمين) فيهِ الميكروبات العنقودية الشكل لاجتماعها كالعناقيد وهي المكونة للصديد الاصفر. وآحادها متماثلة حجماً لا كالمكروبات التي في الشكل الاول فان المفصولة منها عن العقد اكبر حجماً من المنظومة فيهِ

والثالث ميكروب الطاعون وشكلهُ يغني عن وصفهِ وهو عصي قصيرة يكاد طولها يساوي عرضها الاَّ ان بعضها مزدوج فيظهر طويلاً . ونحو الاسفل ميكروب يزيد طولهُ على طول ستة من التي حولهُ . واذا كان المستنبت مائعاً صار شكل ميكروب الطاعون مثل شكل ميكروب الحمرة اي انتظم بعضهُ مع بعض كالعقد. اكتشف هذا الميكروب الدكتور كتاساتو الياباني الذي اكتشف ميكروب التتانوس كما سيجيء. وقد وصفنا طباعهُ في الصفحة ٧٢ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

والرابع وهو الى اليمين قبالة الثالث ميكروب ذات الرئة الذي اكتشفهُ فردلندر سنة ١٨٨٢. وهو من الكوكس كما يظهر من شكلهِ لكنهُ كثير الاختلاف بعضهُ كبير وبعضهُ صغير بعضهُ مفرد وبعضهُ مزدوج وقد تستطيل آحادهُ قليلاً فتصير مثل ميكروب الطاعون

والخامس في اسفل الشكل من جهة اليسار ميكروب الكوليرا الذي اكتشفهُ الدكتور كوخ ووصفناهُ مراراً كثيرة قبلُ وهو كالاقواس الصغيرة وقد يتصل اثنان منهُ في جهتين مختلفتين فيكون من ذلك شكل كالمدة التي توضع فوق الالف. وحجمهُ متغير بعضهُ اكبر من بعض كما ترى ولعلَّ الكبير ميكروبان متصلان حتى يكون لهما انحناءٌ واحد

والسادس في الشكل المقابل لميكروب الكوليرا من جهة اليسار ميكروب التتانوس وهو عصي طويلة واذا تكونت البزور فيها اتسع احد رأسيها فصارت كضربة الطبل . ويعزى فضل اكتشافهِ الى العالم كتاساتو الياباني تلميذ الدكتور كوخ فان الدكتورين كارل وراتون اثبتا سنة ١٨٨٤ ان مرض التتانوس ينتقل بالعدوى من المصاب الى السليم لانهما طعَّما الارانب بصديد مستخرج من جسم انسان مات بالتتانوس فاصيبت بهِ. ثم اكتشف الدكتور نيقولاير ان في طبقة الارض العليا نوعاً من الميكروب اذا طُعّمت بهِ الفيران والارانب وخنازير الهند اصابها التتانوس وماتت بهِ. ولكن لم يستطع احد ان يفصل هذا الميكروب من غيرهِ من الميكروبات المخالطة لهُ حتى قام كتاساتو واكتشف طريقة لفصلهِ فانهُ اخذ قليلاً من صديد التتانوس ورباهُ

في الاجار اجار (وهو نوع من الهلام يستخرج من بعض الاعشاب البحرية ويطبخ كالجلاتين) وحفظهُ على الدرجة ٣٨ من الحرارة فلم تمضِ عليهِ اربع وعشرون ساعة حتى نمت الميكروبات فيهِ وكثرت ونظر اليها بالميكروسكوب فوجدها كثيرة الانواع وبينها ميكروب التتانوس الذي رآهُ نيقولاير وهو من الميكروبات التي لا تنمو في الهواء ولذلك عسر فصلهُ عن غيرهِ قبلاً . ثم وضع الاناء الذي فيهِ هذه الميكروبات في ماء حرارتهُ ٨٠ درجة بميزان سنتغراد وابقاهُ فيهِ ثلاثة ارباع الساعة فمات كل ما فيهِ من الميكروبات الاَّ بزور ميكروب التتانوس فطعم الفيران بها فاصيبت بالتتانوس وماتت بهِ. والظاهر انهُ اهتدي الى هذه الطريقة من رؤْيتهِ اكياس البزور متولدة في طرف هذه الميكروبات دون سواها فقال في نفسهِ ان الحرارة تميتها وتميت كل ما سواها ايضاً ولكنها لا تميت البزور فكان كما قال

وبزور ميكروب التتانوس كثيرة الانتشار في الاراضي الزراعية ومزارب المواشي وهي تجف وتطير في الهواء حتى اذا دخلت بدن الانسان من جرح امانتهُ اشنع ميتة. ذكر الدكتور فرنكلند ان ولداً جرح اصبعهُ بسكين من سكاكين المطبخ فاسرع ابوهُ الى نسيج العنكبوت ووضعهُ على الجرح ليقطع الدم بهِ كما يفعل الناس عادة فأُصيب الولد بالتتانوس وثبت بالامتحان ان بزور التتانوس كانت في نسيج العنكبوت لانهُ طعمت بهِ الارانب فاصيبت بالتتانوس

والسابع والثامن ميكروب الحمى التيفويدية ففي الشكل الثامن ترى الميكروب وحدهُ وهو عصي دقيقة بعضها مفرد وبعضها مزدوج او منظوم في خط طويل . وفي الشكل الثامن تراهُ مكبراً وقد احاطت بهِ خيوط دقيقة متعرجة كجذور النبات وهي لهُ كالقوائم للحيوان يحركها فينتقل بها من مكان الى آخر ولا تظهر دائماً لان جسم الميكروب يصبغ بالانيلين كما يصبغ الصوف بهِ فيظهر حالاً واما هذه الخيوط فلا يثبت فيها صبغ الانيلين ما لم تؤَسس لهُ كما تؤَسس المنسوجات القطنية وقت صبغها فاذا أُسست وصبغت بانت تحت الميكرسكوب ايضاً

هذا شيء يسير جداً مما يعرف عن هذه الميكروبات وخلاصتهُ ان الميكروب جسم حي صغير جداً لا يرى بالعين ولا يرى الاَّ بميكرسكوب قوي الفعل يكبر قطرهُ من الف ضعف الى الفي ضعف. ويقال ان الميكرسكوب الذي يكبر القطر الفاً وسبع مئة ضعف اصلح من غيرهِ لرؤْية الميكروبات والبحث عن شكلها وخواصها

ويضاف الى ذلك ان ابناء المشرق الاقصى جاروا ابناء المغرب في هذه المباحث العلمية الدقيقة فان واحداً منهم وهو الدكتور كتاساتو الياباني اكتشف اثنين من هذه الميكروبات السبعة واكتشف طريقة علمية لفصل الميكروبات بعضها عن بعض كما رأيت

آداب المباحثة

المباحثة امرٌ خطيرٌ لا يخفى على ذي مسكةٍ مكانهُ من كشف الحقائق لكن والهفَ العلم عليهِ قد تشوَّه جمالهُ وتنكرت حقيقتهُ حتى كاد لا يعرف . وخالطهُ من حب الانتصار للرأي شوائب . ونزل بهِ من الاهواء مصائب بحيث أضحى وقوعهُ كشفًا لعوار الأدباء . وعيوب العلماء . ونشرهُ في المجلات والجرائد فضيحةً دائمةً . وهتيكةً على الدهر باقيةً . فدفعني الحرص على ماوراءهُ من اظهار الحقائق وتحقيق المسائل ان اكتب هذه المقالة عساها ان تكون الدواء الشافي للمباحثة من التعنُّت والتهكم والاستهزاء والتعيير والواقي كرامتها من المقاذعة والبذاءة والممحضها للكشف عن الحق المستتر تحت حجاب الخفاء . ولقد قسمتُ الكلام فيها الى قسمين وخاتمةٍ القسم الاول في حقيقة المباحثة وفوائدها والقسم الثاني فيما طرأ عليها من العلل والشوائب والخاتمة في ان تقدُّم هذا العصر المشارف الغاية كان حريًّا ان يمتاز بتخلص المباحثة من تلك العاهات المشار اليها

﴿ في حقيقة المباحثة وفوائدها ﴾ المباحثة اصلها من البحث في التراب لطلب شيءٍ تحتهُ فاستعيرت للمخاطبة في مسئلة ما قصد الوصول الى حقيقتها فيعدُّ ما عليها من الابهام كالتراب المغشي لما يطلب تحتهُ . ولها شرائط عدَّة منها ان يكون المباحثان من اهل العلم فيما تقع عليهِ المباحثة فان كانت المسئلة فقهيَّة او رياضية او لغوية وجب ان يكونا فقيهين او رياضيين او لغويين او طبيبين والاَّ فان كانا ممن يجهلهُ او كان احدهما جاهلهُ فينبغي ترك المباحثة على الافتراض الاول فمن لا يدري ما العوم لا يقتحم اليمّ . ويجب انقياد الجاهل للعالم على الافتراض الثاني كما ينقاد الضرير للبصير والاَّ طال الكلام على غير طائلٍ

ومنها اتجاه النية الى اظهار الحق ليس غير حتى يتلقاهُ وقد حصحص ببرهان قرنهِ كما يتلقى الحبيب الغائب و يعترف لمظهرهِ بالفضل و ينادي بلسان حالهِ على رؤوس الاشهاد ان قبول الحجة القاطعة من اكبر الادلة على الرسوخ في العلم ومن أقطع الحجج لاجلال قدرهِ ورعاية كرامتهِ وان المكابرة اقوى شاهد على قلة البضاعة واصدق دليل على جهل المكابر

ومنها اتباع القياس المنطقي من اجل انهُ اقرب طريق الى معرفة الصواب من الخطاء وتبيُّن الحق من الباطل فهو يخلّص البحث من كل ماليس لهُ دخلٌ في موضوعهِ . واما اذا عُدِل عنهُ فيدخل في المباحثة ما لا يمسُّ المقصود مما هو خارجٌ عن قوامها ولبابها فيحول بين الفهم والاطلاع عليهِ حائل من لواحق ومضافات يضطر المطالع ان ينشد المقصود بينها كما ينشد ضالتهُ

واما فوائد المباحثة فكنوزٌ لا تفك ارصادها الاَّ على ضيائها ومعاقل حصينةٌ لا تفتح ولا ترام الاَّ بقيادتها. ولا جرم ان المباحثة اذا توفرت شرائطها من عقد النية على كشف البراقع عن وجوه الحقائق ومراعاة الطريقة المنطقية وتحرّ المباحثين فيما يباحثان فيهِ جاءت بعد الظلام الساتر بالصبح الكاشف . ولا تسل عما وراء ذلك الكشف من العوائد فان كانت المباحثة في مسئلةٍ شرعيةٍ او نظامية سلم ذو الحق من خسران حقهِ وان كانت في المسائل الطبية وتشخيص الادواء صينت الحياة من آفات الغلط القتَّالة وان كانت في المعاملات التجارية والاختلافات الحسابية حُفظت الثروة من الابتلاع ·

﴿ فيما طرأ على المباحثة من العلل والشوائب ﴾ الغرض من المباحثة انما هو الوصول الى الحقّ ولقد كانت ولم تزل بين عارفي الحقّ ومكرّميهِ مرعية الآداب محترمة الجناب دالَّةً بخلوصها من لهيب ما يتأجَّج في الصدور من الحسد وما يتلبَّد في القلوب من الحقد على بسطة العلم وسلامة الطباع فيمن يوفُّونها حقَّها وكان تسليم احد المباحثين للآخر يكسوهُ جلالةَ قدرٍ في عين المصيب بل كان العالم اذا رأى الحقّ في جانب مباحثهِ تلقَّاهُ بالتسليم وعدّ اللياذ بالمغالطة حطةً في قدرهِ وغضًّا من شأنهِ وقبول الحجة دليلاً على علمهِ . واما المصيب فما كان يحسب وقد اصاب في ذلك البحث انهُ اوسع من المخطئ علمًا ولا أرسخ منهُ في ذلك العلم قدمًا بل كان يثبت عندهُ من سرعة اذعان المخطيء للبرهان وانقيادهِ للدليل ان خطأَهُ انما هو من آثار ما يأخذ الذهن من الكلال والسهو والنسيان و يستدلّ من ذلك على أنَّ لمخطئٍ علمًا رحبًا وخلقًا مهذَّبًا . وحسبك دليلاً على ان هذه صفة المباحثة بين اكابر العلماء ما يروى عن السعد والسيّد لما ضمّهما مجلس حافل وجرت بينهما مباحثة علميَّة وكان السعد يوم ذاك شيخًا طائر الصيت عالي الكعب في العلم جليل القدر في النفوس وكان السيد يومئذٍ شابًّا لم يظفر عند الناس بما نالهُ السعد من جلالة القدر ومع هذا فقد تلقَّى السعد كلامهُ بحضرة عددٍ من اعيان الناس بالتسليم فقيل لهُ لِمَ سلّمتَ ألم يكن في علمك ما يدفع حجتهُ . قال بلي وفي علمي ما يبلغ بي أن اظهرهُ للناس مخطئًا . ولكن لو فعلتُ ما اعتقدني السيد عالمًا . ووالله لئن يعتقدني الناس مصيبًا لا يكافئ ان يعتقدني السيد جاهلاً . فعظم السعد في عين السيد واعتقدهُ ذا فضل كبير فكان ذلك على حدّ ما جاء في مجلة المقتطف البهية في بابَ المناظرة ونصُّ ما هنالك " انما الغرض من المناظرة التوصُّل الى الحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف بأغلاطهِ اعظم "

ومن المباحثات المراعى فيها آداب البحث ما جرى من الحجاج الطويل بين اصحاب

الطائيّين حبيب والبحتري فهو مُخلص لابانة الحق لا حظّ فيهِ للوقيعة والمهاترة ولا موضع للتهكم والاستهزاء ومن لم يكن قد قرأ كتاب الموازنة فهذه فِقَرٌ منهُ جديرة بأن تتخذ قاعدةً في باب المباحثة الأدبية

قال صاحب ابي تمام كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحتريّ أشعر من ابي تمام وعن أبي تمام أخذ وعلى حَذْوهِ احتذى ومن معانيهِ استقى وباراهُ حتى قيل الطائيُّ الاكبر والطائيُّ الاصغر . واعترف البحتري ان جيد ابي تمام خير من جيدهِ على كثرة جيد ابي تمام . فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحتري أولى من ان يكون البحتري اشعر منهُ

قال صاحب البحتري اما الصحبة فما صحبهُ ولا تلمذ لهُ ولا روى ذلك احدٌ عنهُ ولا نقلهُ ولا رأى قطّ انهُ محتاج اليهِ . ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد دخل اليهِ البحتري بقصيدتهِ التي اوّلها " أأفاق صبٌّ من هوًى فأُفيقا " وابو تمام حاضر فلما أنشدها علق ابو تمام ابياتاً كثيرةً منها فلما فرغ من الانشاد أقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال ايها الأمير ما ظننت ان احداً يقدم على ان يسرق شعري و ينشده بحضرتي حتى اليوم. ثمَّ اندفع ينشد ما حفظهُ حتي أتى على كثيرٍ من قصيدة البحتري. ورأى ابو تمام الانكار في وجهِ ابي سعيد محمد بن يوسف فحينئذٍ قال لهُ ابو تمام ايها الامير والله ما الشعر الاّ لهُ وانهُ احسن فيهِ الاحسان كلهُ واقبل يقرّظهُ و يصف معانيهُ ويذكر محاسنهُ ثمَّ جعل يفخر باليمن وانهم ينبوع الشعر ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف لهُ الجائزة . فهذا الخبر يبطل ما ادَّعيتم الى ان قال قال صاحب ابي تمام "فابو تمام انفرد بمذهب اخترعهُ وصار فيهِ اولاً واماماً متبوعاً وشهر بهِ حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابي تمام وسلك الناس نهجهُ واقتفوا أثرهُ . وهذه فضيلة عري عن مثلها البحتري"

قال صاحب البحتري ليس الامر لاختراعهِ لهذا المذهب على ما وصفتهُ ولا هو بأوّل فيهِ ولا سابقٍ اليهِ بل سلك في ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوهُ وافرط وأسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المألوف. وعلى ان مسلماً ايضاً غير مبتدع لهذا المذهب ولا هو اوّل فيهِ ولكنهُ رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطباق والتجنيس منشورةً متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعرهِ منها. الى ان يقول فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع ابي تمام لهذا المذهب وسبقهِ اليهِ . وصار استكثارهُ منهُ وافراطهُ فيهِ من اعظم ذنوبهِ واكبر عيوبهِ. وحصل للبحتري انهُ ما فارق عمود الشعر وطريقتهُ المعهودة مع ما نجدهُ كثيراً في شعرهِ من الاستعارة والتجنيس والمطابقة وانفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعاني.

وحيث وقع الاجماع على استحسان شعرهِ واستجادتهِ وروى شعرهُ واستحسنهُ سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فمن نفق على الناس جميعاً أولى بالفضيلة واحقّ بالتقدمة

قال صاحب ابي تمام انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمهُ لدقة معانيهِ وقصور فهمهِ عنهُ. وفهمهُ العلماء والنقَّاد في علم الشعر. واذا عرفت هذه الطبقة فضيلتهُ لم يضرهُ طعن مَن طعن بعدها عليهِ

قال صاحب البحتري ان ابن الاعرابيّ واحمد بن يحيى الشيباني وقبلهما دعبل بن الخزاعي قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم في ابي تمام وازدراءهم بشعرهِ وطعن دعبل عليهِ وقولهم ان ثلث شعرهِ محال وثلثهُ مسروق وثلثهُ صالح

قال صاحب ابي تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعرهِ عليهِ لان دعبلاً كان يشنأ أبا تمام ويحسدهُ وذلك مشهور معلوم منهُ فلا يقبل قول شاعرٍ في شاعرٍ. واما ابن الاعرابي فقد كان شديد التعصب عليهِ لغرابة مذهبهِ ولأنهُ كان يرد عليهِ من معانيهِ ما لا يفهمهُ ولا يعلمهُ فكان اذا سئل عن شيءٍ منها يأنف ان يقول لا أدري فيعدل الى الطعن عليهِ والدليل على ذلك انهُ أُنشد يوماً ابياتاً من شعرهِ وهو لا يعلم قائلها فاستحسنها وامر بكتبها فلما عرف انهُ قائلها قال خرقوهُ

واما المباحثة المزيَّنة من الأدب بما هو أبهج من الديباج الخسرواني المجللة من التهذيب بالواجب لمقام العلم والمقتضى لمرتبة الفضل فمباحثة الهاشمي والكندي فكلاهما جاء بحججهِ بأجمل صورة وأحمد طريقة قاصداً الخير والسعادة لمباحثهِ. وقد تماديا في الكلام حتى لم يدَّخر احدٌ منهما شيئاً من الادلة على صحة ما هو عليهِ. ومن تعهد المباحثات الدينية رأى هذه المباحثة اعلى قدراً واجمل وقعاً ولا بدع فقد وقعت بين صفيَّين كلٌّ منهما يودّ لصفيهِ ما يودّ لنفسهِ وكلاهما على يقين من صحة دينهِ

واما معظم ما وقع في ايامنا من المباحثات العلمية والمناظرات الادبية والمجادلات المختلفة المواضيع فقد كتبت بعبارةٍ تمثل ما في الصدور من الشنآن وتصوّر ما تحت الاضالع من العدوان وتدلُّ على ما عند اصحابها من الظماء القامح الى التحقير والاستهانة والتشنيع مما هو غريب عن اخلاق المحققين بالعلم الراغبين في الانتهاء الى الحقّ

هذا واعلم ان المهاترة وما يتبعها من شوائب المباحثة لا يرتفع ما دام كلٌّ من المباحثين يخشى ان يسقط من العيون اذا اعترف بالصواب لمباحثهِ ولا تزول المشاغبة والمغالطة والتورُّك على الاستهزاء ما قام في اذهانها ان من تلزمهُ الحجة في مسئلة ما مقصر منحطّ الشان ضعيف العلم في سائر المسائل. بل لا تنفصل المناظرات على ما يساوق جلالة العلم ويوافق فخامة العدل ما آثر كلٌّ من المناظرين الانتصار للرأي على الانتصار للحق

وفي هذا الزمان من طلاَّب الاشتهار بالمماحكة والتعنت والمكابرة والمواربة والمراوغة عددٌ ربما يتحككون باهل الفضل تحكك العقرب بالافعى وجلهم ممن غلبتهُ شهوة التفوُّق او ران على قلبهِ الميل الى الانتظام في عداد العلماء ولم تتهيأ لهُ الاسباب لادراك هذه الامنية فيحسب ان في مثل هذه الترَّهات تبريداً لحرارة شهوتهِ ويفوتهُ ان ذلك كشفٌ لعوارهِ واظهارٌ لقصورهِ عن قضاء اوطارهِ. لكن ما في اليد حيلة ما دامت الشهوة تعمي البصيرة. ولعلَّ في المطالعين من يستغرب خلوَّ المناظرة عن فوارس الكلام وهي حربٌ اسنتها الاقلام وتحت اضالع المتحاربين من لظى العداوة للآخر ما لو تمثل للعيان لأذاب الحجر ورمد الشجر. ويعجب ممن يحاول اخفاء حرقة الانغلاب ويتوخَّى من المناظر الاعتراف لمناظرهِ بالاصابة وقد أتى بالحجة الكاشفة للحق المتعالية عن ان تصاب بنبال الردّ ويقول هل من جريح لا يتألم او طعين لا يضجّ من ألم الطعن. فلمَ تسعى في طلب الممتنع وتجدّ وراء المتعذّر وانت تشعر من نفسك ان كلمة (أخطأتَ) هوان وكلمة (أصبتَ) شرفٌ وشتّان ما بين شعورك بالأولى وشعورك بالثانية. قلت من نوى في المناظرة الوقوف على الصواب وعلا كعبهُ في معرفة العلم المتناظر فيهِ لا تسقط عندهُ كرامة المخطىء لغلطةٍ او غلطات ولا يسمح لقلمهِ ان يتنكب طريق البحث وتأبى عليهِ كرامة العلم ان يغض من مباحثهِ بل يرعى مقامهُ ويحافظ على كرامتهِ ويلتزم معهُ الأدب. ولا يغيب عن علمهِ انهُ قد يخطىء في مسائل أخر ولا يتنبه لخطائهِ ما لم ينبههُ عالمٌ من مثل هذا الخطإ. ولكن هيهات ان تتوفر هذه الشرائط في المناظر وهو غاضُّ الطرف عن عيوب نفسهِ منصرف النظر عمَّا فطرت عليهِ البشرية من السهو والنسيان وكلال البصيرة وغير ملتفتٍ الى ما يتولد عن المهاترة والمقاذعة ولا تنتقى مباحثتهُ من جملٍ ألدغ من الافاعي وعبارات أجرح من الخناجر وكم أتأن من الظربان ما لم يربَّ على احترام العلم ومعرفة قدرهِ ويؤخذ بالتهذيب وتدمث اخلاقهُ بحسن التربية

﴿ الخاتمة ﴾ قد علمت من كل ما مرَّ فوائد المباحثة وشرائطها وما طرأ عليها من العلل وعرفت العلاج النافع فلم يبقَ سوى تعاطيهِ فباكر تجرُّع كأسهِ ولاسيما وقد أوشكت ان تغرب شمس القرن التاسع عشر الذي علا على امتيازهِ بآثار النجاح في العلوم والفنون والصنائع تعدَّد فيهِ من شوَّهوا آداب البحث بالشتم والتعيير وتهجين النسب الى غير ذلك ممَّا يدلُّ على سفالة قائلهِ ولؤم طينتهِ وقلة راس مالهِ من العلم. ومما يحثك على النظر في هذه المقالة ان شمس القرن العشرين كادت ان تشرق على الكون فأجدر بنا ان نتلقاهُ لا كمن يعدُّون السنن الأدبية اساطير موضوعة او الفاظاً مصنوعة وأحرِ بنا ان لا ندع جيد القرن الجديد عاطلاً من حلاها [illegible] المباحثات ولا مرتب [illegible]

سعيد الشرتوني

حركات النجوم الثوابت

انظر الى قبَّة السماء في ليلة غاب قمرها وصفا اديمها فترى النجوم تتألَّق بعضها ثابت النور وبعضها متوقد مترجرج وكلها يسير نحو الغرب سيرًا وئيدًا حتى تغيب فيهِ ويصعد غيرها من الشرق . واذا نظرتَ اليها في الليلة الثانية والثالثة رأيتَ ما رأيتَ في الليلة الاولى تقريبًا . وهبْ انك راقبتها الساعة العاشرة ليلاً مدة شهر كامل فلا تراها في آخرهِ كما رأيتها في اولهِ نسبةً الى الافق الشرقي او الى الافق الغربي بل تراها في آخر الشهر قد تقدَّمت الى الغرب فظهرت حينئذٍ كما كانت تظهر عند نصف الليل في اول الشهر . هذا من حيث مجموعها لكن نسبة بعضها الى بعض لا تتغير ما خلا الكواكب الثابتة النور فان نسبتها الى غيرها تتغير من ليلة الى اخرى وهذه هي السيارات . والذي يُرى منها بالعين خمسة زُحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد . وكل النجوم التي ترى بالعين غير هذه الخمسة لا يظهر لك فرق في مواقعها ونسبة بعضها الى بعض فسميت بالنجوم الثوابت

ولو بُعث البتّاني بطليموس العرب الذي نشأ منذ الف سنة او بُعث بطليموس اليونان نفسهُ الذي نشأ منذ ألفي سنة او لو بعث منجمو مصر وبابل الذين نشأوا منذ ستة آلاف سنة ورصدوا هذه النجوم الثوابت لوجدوها في المواقع التي فارقوها فيها ولم يروا فرقًا ظاهرًا الاَّ في موقع السماك الرامح لا لان النجوم كلها باقية على الوضع الذي كانت فيهِ لما كانوا في قيد الحياة بل لان ابعادها شاسعة جدًّا فلا ترى العين ما حدث في اوضاعها من الفروق . لكن ما لا تراهُ العين مجرَّدة تراهُ مستعينة بالتلسكوب . وقد استعان علماء الفلك بهِ في هذا العصر على رصد النجوم الثوابت وقياس حركاتها فقاسوا حتى الآن حركات ثلاثة آلاف نجم منها . وهي مختلفة كثيرًا في سرعة حركتها بعضها سريع كالسماك الرامح فهو يسير مئتي ميل الى ثلثمئة ميل في الثانية من الزمان وبعضها بطيءٌ لا يسير الاَّ ميلاً او اقل في الثانية . هذا اذا قيست السرعة بالاميال واما اذا قيست بالاقواس على السماء اي بالابعاد التي تُرى على وجه السماء فحركة النجم البعيد تظهر قليلة جدًّا ولو كان سريعًا لبعدهِ الشاسع ولذلك فالنجوم التي تظهر كبيرة تظهر حركتها سريعة لانها اقرب من غيرها . واسرع النجوم الثوابت التي قيست سرعتها حتى الآن نجم صغير من القدر الثامن قيست سرعتهُ منذ ثلاث سنوات فوجد انهُ لو دار حول الشمس بالسرعة التي يسير بها الآن ما اتمَّ دورتهُ حولها في اقل من مئة وخمسين الف سنة

فاذا كانت النجوم الثوابت تتحرَّك فلا يبعد انها تدور مثل السيارات في افلاكها ولكننا لو

رصدنا السيارات دقائق قليلة في اوقات متفرقة ما وجدنا انها تدور حول الشمس لقصر المدة التي رصدناها فيها وكذا المدَّة التي رُصدت فيها هذه النجوم لا تكفي لمعرفة مداراتها لان هذه المدة قصيرة جدًّا اذا قوبلت مع اتساع افلاكها وبعد المركز الذي تدور حولهُ اذ قد لا تتمُّ دورتها في اقل من الف سنة او مليون سنة او اكثر

وقد ذهب كثيرون من مشاهير علماء الفلك الى ان النجوم الثوابت يدور بعضها حول بعض في انظمة كما تدور الاقمار حول السيارات وكل نظام منها يدور حول مركز آخر كما تدور السيارات حول الشمس . وظن الفلكي مدلر انهُ وجد المركز الذي تدور حولهُ النجوم المشرقة وهو نير الثريا اي النجم الاكبر منها . وتحقيق ذلك من المستبعدات كما لا يخفى ولكن في حركات الثوابت ما يدلُّ على ان جماعات منها سائرة في جهة واحدة كانَّ لها مركزًا واحدًا تدور حولهُ. من ذلك نجوم الثريَّا فان الابعاد التي بينها لم تتغير من حين ما رصدت اول مرة وهذا يصدق على الستة الكبيرة منها التي ترى بالعين وعلى كثير من النجوم الصغيرة التي ترى فيها بالتلسكوب ولكنهُ لا يصدق على غيرها مما يرى داخل الثريا وهو ليس منها

ويظهر ذلك ايضًا في بنات نعش الكبرى وهي خمسة نجوم في كوكبة الدب الاكبر فانها كلها تسير في جهة واحدة سيرًا واحدًا وتقطع ثماني ثوانٍ من الصعود المستقيم كل مئة سنة. والنجوم الصغيرة التي بينها لا تشاركها في هذا السير . وكذلك ثلاثة من النجوم في ذات الكرسي تسير في جهة واحدة . وكل النجوم التي رُصدت في برج الثور بين الدبران والثريا يظهر انها تسير في جهة واحدة

ثم اذا رصدنا نجمًا ورأيناهُ متحركًا بالنسبة الينا حقَّ لنا ان نستنتج انهُ متحرك ونحن ثابتون او انهُ ثابت ونحن متحركون او ان كلينا متحرك وحركتهُ الظاهرة مجموع حركتهِ وحركتنا اذا كانت الحركتان في جهتين مختلفتين او الفرق بينهما اذا كانتا في جهة واحدة. والمعتبر في حركتنا وثبوتنا هو الشمس التي ندور حولها لا الارض التي نسكن فيها لان الارض باقية في فلكها حول الشمس فكأَنَّنا رصدنا النجم من الشمس لا من الارض

ولما رأَى الفلكيون ان هذه النجوم متحركة في جهة واحدة حسبوا اولاً انها كلها ثابتة وان المتحرك هو الشمس. وهذه هي النتيجة التي وصل اليها هرشل ابو علم الفلك الحديث. ثم ان علماء الفلك الذين جاؤُوا بعدهُ بحثوا عن النقطة التي تحسب مركزًا مشتركًا لهذه النجوم وعدوها ثابتة وحسبوا حركة الشمس بالنسبة اليها وعينوا محلها اولاً في كوكبة الجاثي في النسق الشامي. ولما ... شفوا نجوما اخرى متحركة اضطروا ان يغيروا هذا المركز فعدوهُ على درجتين من النسر

الواقع حيث الصعود المستقيم ٢٨٠ درجة والميل ٣٨ درجة شمالاً وحسبوا الشمس متحركة معها حول هذا المركز . ثم حسبوا سرعة حركة الشمس حولهُ فوجدوها عشرة اميال في الثانية من الزمان بانين حسابهم على ما عُرِف من اختلاف ثلاثين نجماً من النجوم الستين التي قيس اختلافها حتى الآن

نزع سم المسكرات

اشرنا في الجزء الماضي ان ما اثبتهُ السر لودر برنتن والدكتور تنكلف من ان في المسكرات سمًّا ناقعاً يمكن ان يُنزع منها فتبقى مسكرةً ولكنها لا تبقى سامةً اي تعبث بالعقل مدةً من الزمن ولكنها لا تعبث بالصحة . ولما كان بحثهما الذي اوصلهما الى هذه النتيجة حقيقاً بالمطالعة من حيث كونهُ علميًّا فضلاً عمَّا فيهِ من الفائدة العملية رأينا ان نلخص المقالة التي كتباها في هذا الموضوع قالا :

ان ما يبدو من الناس حينما يسكرون بالمسكرات العادية مختلفٌ جدًّا لاختلاف اسبابهِ . وهذه الاسباب تقسم الى نوعين الواحد متعلق بالناس الذين يسكرون والثاني بالمسكرات التي شربوها . وقد قصرنا بحثنا على النوع الثاني اي على اختلاف فعل المسكرات الناتج عن اختلاف في تركيبها

ولا يشعر المرء باختلاف في نوع المسكر الاَّ حينما يشرع في السكر وحينما يصحو منهُ واما في الفترة التي بين هذين الحدين اي حينما يكون سكران فلا يكترث لنوع المسكر

والمادة المسكرة في كل الاشربة الروحية العادية واحدة في نوعها ولو اختلفت كثيرًا في كميتها فاذا اختلف فعلها بالشاربين فيكون هذا الاختلاف في الكمية لا في الكيفية ولكن في المسكرات مواد اخرى غير المادَّة المسكرة ومن اخصها مادَّة تسمَّى الفرفرال (وهي تستخلص من قشر الحبوب التي تستخرج المسكرات منها وسميت كذلك من الفرفر باللاتية وهو النخالة لانها تستخرج منها بفعل الحرارة اذا وُجدت الحوامض) . والمسكرات التي امتحنَّاها هي الوسكي والبراندي والجن والروم ومسكرات اخرى كثيرة مما يستخرج في المستعمرات البريطانية . وكثيرًا من المسكرات الاسبانية والبرتغالية والصينية واليابانية الرخيصة الثمن . فوجدنا الفرفرال فيها كلها على درجات مختلفة من الكثرة والقلَّة . والغالب ان يكون مقدارهُ ثلاثة دراهم في كل مئة الف درهم ويمتحن وجودهُ هكذا : توضع ملعقة صغيرة من الوسكي مثلاً في انبوب من انابيب

الامتحان ويضاف اليها ملعقة من الماء ونقط قليلة من محلول كربونات الصوديوم ثم نقط قليلة من محلول خلاَّت الانيلين ويهزُّ الانبوب ويترك حتى يستقرَّ ما فيهِ فيتولد فيهِ لون وردي قرنفلي اذا كان فيهِ شيءٌ من الفرفرال وتكون شدَّة لونهِ مناسبة لكثرة الفرفرال

وقد بحثنا عن فعل الفرفرال الفسيولوجي بالناس والعجماوات فامتحنَّا فعلهُ بالقطط والكلاب والارانب وبرجلين تبرَّعا لهذا الامتحان فوجدنا انهُ اذا كان مقدارهُ من عشر غرام الى خمسة في المئة من الغرام وحقنَّا بهِ الحيوان تحت جلدهِ انشلَّت عضلاتهُ الخاضعة للارادة ثم اصابتهُ تشنجات قد يكون سببها تضيُّق المسالك الهوائية . ويسرع تنفسهُ ويزول انتظامهُ . وهذه الاعراض سريعة الحدوث فاذا حُقن الحيوان بهذه المادة اصابهُ الشلل حالاً وازرقَّ لسانهُ وشفتاهُ وصار تنفُّسهُ متقطعًا وقد يسرع او يبطيء ثم يعتريهِ التشنُّج وقد يستفرغ . ثم تأخذ هذه الاعراض تزول ويكون في اول الامر مذهولاً ثم يرجع الى حالهِ الطبيعية وقد تتوالى الاعراض كلها في نحو ثلث ساعة الى نصف ساعة ولا يزول الشعور . وحينما تشل العضلات تبقى تتحرك اذا اتصل بها مجرًى كهربائي شديد . واذا كانت الجرعة اصغر من ذلك سبَّبت اضطرابًا وارتجافًا ولا سيما في العضلات الوجهية واذا كانت اكبر من نصف غرام مات الحيوان اختناقًا من انشلال عضلات التنفُّس ويحدث مثل ذلك لو شرب هذه المادَّة مع اللبن او الماء . واذا كانت المعدة فارغةً ولم تكن المادة ممزوجة باللبن ففعلها اشد . وتناول رجلان عشرَيْ غرام من الفرفرال كلٌّ منهما عشر غرام بعد الطعام بساعتين فلم يمضِ عليهما نصف ساعة حتى شعرا بالم عصبي في النقرة امتدَّ الى الجزء المؤخري ونبضان في اوعية الرأس واصابهما صداع دام في احدهما النهار كلهُ وظهر الفرفرال في بولها كما ظهر في بول الحيوانات التي عولجت بهِ

ثم امتحنَّا فعل المسكرات الخالية من الفرفرال ومن بقية الالدهيدات فوجدنا ان الحيوان الذي يسكر بمسكر خالٍ من الفرفرال يصحو حالاً بعد زوال فعل السكر ولا يعرض لهُ الاَّ قليل من الاعراض الثانوية واما الذي يسكر بمسكر فيهِ فرفرال فيمشي من مكان الى آخر مضطربًا عند انتقالهِ من فعل السكر الى الصحو التام . ويبقى مضطربًا بعد زوال السكر فيرفض ما يقدَّم لهُ من الطعام ويظهر الشراسة والشكاسة ولا يظهر منهُ شيءٌ من ذلك اذا كان المسكر خاليًا من الفرفرال بل يعود حالاً الى سابق حالهِ التي كان فيها قبلما سكر ويأكل ما يُقدم لهُ من الطعام

ويستنتج من ذلك ان ما يعتري الناس من الخبال والاضطراب بعد الصحو من فعل المسكرات سببهُ الاكبر الفرفرال الموجود فيها فاذا ازيل منها بقي فعلها المسكر ولكن زالت الاعراض التي تتبعهُ . انتهى

هذا من حيث الحقيقة العلمية وكيفية الوصول اليها . ولو لم يكن في الامر غير ذلك لما اجهدنا نفسنا في تلخيص مقالة كلها كلمات ومصطلحات علمية ولكن فيهِ شيئين آخرين حريين بالنظر الاول ان الفرفرال المشار اليهِ وكل المواد المماثلة لهُ تكون كثيرة في الاشربة الجديدة وقليلة في الاشربة العتيقة او البالغة وهذا ينطبق على ما يُعلم من ان المسطار اي الخمر الحديثة تصرع شاربها كما جاء في كتب اللغة العربية منقولاً عن اختبار الناس في العصور الغابرة . والثاني ان هذه المواد تتكوَّن من فعل الحوامض بالسلولوس وهذا السلولوس كثير في الحبوب وقليل في العنب فالاشربة التي تُصنع من الحبوب او من السبيرتو الافرنجي المستخرج من الحبوب ينتظر ان تكون هذه المواد اكثر فيها منها في الاشربة المستخرجة من العنب . وهذه الحقيقة حرية بالاعتبار من باب تجاري لدى صانعي الاشربة اللبنانية فانهم اذا اثبتوا بالامتحان الكيماوي ان اشربتهم خالية من الفرفرال او هو اقل فيها منهُ في غيرها من الاشربة كان ذلك مروّجاً لتجارتهم كما هو مقلل لضرر الذين يشربون

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

الباب الثاني عشر في تزيين المباني وتأثيثها وتحتهُ عشرة فصول مختلفة الاول في تزيين المباني بالخشب والحجر والخزف والمرمر والحديد والرصاص والنحاس. والثاني في تزيينها بالزجاج الملوَّن . والثالث في تبطين جدرانها بالورق المنقوش . والرابع في تزيينها بالصور والنقوش بالفسيفساء ونحوها. والخامس والسادس في البسط والستائر والكراسي والمقاعد والموائد والخزائن وما جرى هذا المجرى . والسابع في الخزف على انواعهِ والثامن في الزجاج على انواعهِ والتاسع في طرق التدفئة والتهوية وآلاتهما . والعاشر في طرق الانارة وآلاتها ما عدا الكهربائية

وهذه الاشياء معروضة في مباني الانفاليد ولفرنسا النصيب الاكبر منها كما لها النصيب الاكبر من المعرض كلهِ وقد ابدعت في هذا الباب كما ابدعت في غيرهِ لان الزخرفة والزينة مما امتاز بهِ الفرنسويون عن غيرهم وملأَت بمعروضاتها ومعروضات الباب الخامس عشر الآتي ذكرهُ النصف الايسر من المباني التي شيدت في ساحة الانفاليد لهذا الغرض وجانباً من النصف الايمن ولم تعرض آلات التدفئة والتهوية هنا بل في بناء خاص على ضفة السين كما سيجيء

مَن عانى حرفة التدريس في المدارس العالية ورأى ابناء الاغنياء يجلسون مع ابناء

الفقراء على مقعد واحد ويدرسون في كتاب واحد وقد يمتاز ابن الفقير على ابن الغني باعتدال القامة وجمال الطلعة وصحة الجسم وتوقُّد الذهن وسرعة الخاطر ثم دخل بيتي ابويهما ورأى كوخ الفقير بيتًا صغيرًا حقيرًا من الطوب او الحجر الساذج ليس فيهِ من الاثاث غير حصير وفراش ودثار وقليل من مواعين الاكل والشرب . ثم رأى قصر الغني بغرفهِ ومقاصيرهِ من الحجر النحيت والرخام والمرمر فيهِ التماثيل الناطقة والصور الفاخرة والاثاث والرياش من الحرير والديباج والبسط والستائر والكراسي والموائد وآنية الطعام والشراب من الفضة والذهب والصيني والبلور وخزائن الثياب واسفاط الحُلَى وقف مدهوشًا من مقدرة المال على التفريق بين الناس في هذه الاعراض الثانية وعجزهِ عن التفريق بينهم في مقوّمات الانسان في الجسم والعقل والاعتدال والذكاء

وقد طالما وقفنا هذا الموقف من حين ادركنا سن التمييز بين الناس وكنا نزيد دهشةً اذا دخلنا قصور الملوك وبعض الاغنياء في هذا القطر والديار الاوربية ورأينا ما فيها من دلائل الترف والاسراف ولكننا لم نقف على طرفي النقيض كما وقفنا في معرض باريس لما دخلنا هذا القسم بعد ان مررنا على اكواخ اهالي مدغسكر وخصاص اهالي افريقية . ولو زار الارض احد سكان المريخ او الزهرة ورأى اكواخ اهالي مد غسكر او السنيغال وهي لا تكاد تفرق عن المظال التي يبنيها نوع من قرود افريقية او العشاش التي تبنيها الطيور ورأى ما فيها من الامتعة القليلة الساذجة ثم دخل المباني التي عرضت فيها فصول هذا الباب وقلتَ لهُ ان المكتفين بتلك الامتعة والذين لا تكفيهم هذه اخوان من نوع واحد ولا يمتاز احدهم عن الآخر بشيءٍ من مقومات النوع لظنَّك تهزأ بهِ وتثبت لهُ المحال

ولقد جلت في مباني الانفاليد مرارًا وكنتُ انتقل من القسم الفرنسوي الى اقسام سائر الدول العارضات هناك فتمضي الساعة بعد الساعة وانا اقلب طرفي في بدائع الصناعة ومغالاة الصنّاع في اتقان مصنوعاتهم ومباراتهم بعضهم بعضًا في هذا السبيل حتى كأنهم خيل رهان . وارى ان هذه المناظرة لا تقتصر على الصناع انفسهم الذين قد يغرمون بصناعاتهم حتى لا يدَّخروا وسعًا ولا تعبًا في سبيل اتقانها بل يتناول اصحاب المعامل الذين غرضهم الاكبر توفير المكاسب لانهُ يظهر مما عرضوهُ انهم هم ايضًا مغرمون باتقان الصناعة ولهم في ابلاغها اسمى الدرجات ولعٌ يكاد يخرجهم عن حد الاقتصاد التجاري . كنت افعل ذلك ثم اقول في نفسي ان كل ما هو معروض هنا نمت اصولهُ في بلادنا الزجاج والخزف المدهون والمنقوش والفسيفساء والبسط والستائر والكراسي والموائد والموشّى والمطرَّز والمطعَّم والمرصَّع ولم يزل لبعض امم المشرق

السبق في كثير من ذلك حتى ان الاوربيين انفسهم يدخلون قصور ملوك المشرق فيعترفون ان ليس في بلادهم مثلها فخامة ونقشاً وزخرفة فعلى مَ قصَّر الشرقيون في ميدان المناظرة وعلى مَ لا تفيض مصنوعاتهم على الدنيا كما فاضت مصنوعات الاوربيين ثم اعود الى الفارق الكبير بيننا وبينهم وهو ان ولاة امورهم اعوان لهم وولاة امورنا عوائق لنا

وترى بين هذه المعروضات ما هو ثمين جدًّا لما يقتضي عمله من الوقت والمشقة وبعضها صار ارخص من سقط المتاع . سمنا صحفة فيها صورة جميلة فقيل لنا انها تساوي الفي فرنك لانها مصنوعة بقلم مصور ماهر وسمنا كأساً عليها صورة اخرى فقيل لنا انها تساوي مئة وخمسين جنيهاً لانها وحيدة . وهذه الكاس وتلك الصحفة ليستا من اثمن ما صنعهُ الصناع بل ان من المصنوعات الخزفية ما تساوي القطعة منهُ آلافاً من الجنيهات لندرتها او لانَّ صانعها مات فيراد الاحتفاظ بها اثرًا لها وانموذجًا يحتذيهِ الصناع . وبسط غوبلين التي تصنع الآن وليس لها قيمة تاريخية بل قيمتها في ما يقتضيهِ عملها من الوقت والمشقة يساوي المتر المربع منها اربعين جنيهاً او اكثر . لان الخيوط التي تصنع منها ملونة باكثر من الف واربع مئة لون مختلف وعلى الصانع ان يمرّن عينيهِ على الفرق بينها ولا يتم لهُ تمرين عينيهِ ويديهِ على تمييز الالوان واختيارها في اقل من خمس عشرة سنة . وهو مهما كان بارعاً لا يصنع في السنة اكثر من ثمانية امتار مربعة تباع بثلاثمئة وخمسين جنيهاً . لكن المصنوعات الرخيصة الثمن كثيرة جدًّا وكلها مما اخترعت لهُ آلات تصنع الكثير منهُ بسرعة فلا يضطرُّ مهرة الصناع الاَّ الى عناء قليل في تهذيبهِ

هذا ولنعد الى التفصيل بعد هذا الاجمال فنقول ان فرنسا قد ابدعت في ما عرضتهُ في القسم الاول من رسوم المباني واشكال السقوف والابواب والشبابيك ومنقوشات الرخام والجص ورب الورق والتماثيل الكثيرة الداخلة في هذا الباب وابواب الحديد والنحاس والمناور والتصوير على الحجر والخشب والمعدن وعمل الصور من قطع الفسيفساء والمينا وبناء القبب والاقبية وادخال الاجر المدهون في ذلك بعد نقشهِ بالوان جميلة يتألف منها صور شتَّى بين ازهار واطيار وحيوانات وما اشبه مما يطول شرحهُ

وقس على ذلك الزجاج الملوَّن الذي يوضع في الكوى فتكون منهُ صور باهية الالوان متناسبة الاجزاء كانها صوّرت بقلم امهر المصورين وما هي الاَّ قطع مفصولة مختلفة الالوان ضُمَّ بعضها الى بعض فصارت منها تلك الصور. ومن ابدع ما شاهدناهُ من هذا القبيل رسوم تمثل الاربعة الانهار التي كانت في الفردوس على ما في سفر التكوين رسمها المسيو لامير لتوضع في كنيسة اليونان بباريس ترى فيها الغزلان والظباء والايائل والاراوي واردة الماء وهو يتدفق امامها

وللاوربيين ولع شديد بوضع الزجاج الملوّن في كوى كنائسهم بادية فيهِ صور القديسين والملائكة بالوان زاهية جدًّا من الاحمر الياقوتي الى الازرق اللازوردي والاصفر الزعفراني وما بينها من الالوان الممتزجة. واصنّاعهم مهارة فائقة في ذلك لا نظن ان احدًا من صنّاع المشرق يباريهم فيها الآن او حاول السير في هذا المضمار في العصور الغابرة . وقد رأينا بين آثار العرب كثيرًا من الزجاج الملوّن والمعرّق ولكننا لم نرَ زجاجًا مصنوعًا من قطع مختلفة الالوان تتألف منها صور محكمة

ومما هو شائع عند الاوربيين ولم نرَ لهُ اثرًا في بلدان المشرق قبلما اخذناهُ عنهم تبطين جدران البيوت بالورق المنقوش . وقد اتقنوا صناعة هذا الورق وعرض منهُ الفرنسويون والانكليز وغيرهم اشكالاً بديعة جدًّا تراها فتحسبها نقوشًا بالزيت على الجدران او انسجة من الحرير والكتان ،موشاة معرّقة مطرزة كابدع ما صنعهُ النسّاجون كأن المراد بها ان لا يدري رائيها انها ورق . ولا ندري ما نوع الادهان التي طبعوها بها ولكن يغلب على الظن ان البعض منها سام فيهِ الزرنيخ ينتشر منهُ في هواء الغرف ويضرّ بساكنيها ولو قليلاً لكن لها كلها فائدة لا تنكر في تربية الذوق على محبة الجمال والارتياح اليهِ فان اكواخ الفقراء تماثل بها قصور الملوك من حيث زخرفة الجدران وتزويقها بالصور الجميلة فينشأ اولادهم على حب الجمال والنفور من كل ما هو قبيح سمج ولا تنكر فائدة ذلك في تربية الامم وارتقائها

ومن هذا القبيل تزيين البيوت بالصور والنقوش والفسيفساء وقد كان ذلك كلهُ شائعًا عند المصريين والاشوريين لكن يظهر من آثارهم انهم كانوا يقتصرون على تزيين هياكل الآلهة وقصور الملوك ومدافن الاموات واما بيوت جمهور الناس فكانت اكواخًا عاطلة من كل زينة . وتقدّم عليهم اليونان والرومان كما يظهر من البيوت التي كُشفت في خرائب بمباي وهركولانيوم فان التجار والعلماء ورجال السياسة كانوا يزينون بيوتهم باجمل النقوش والزخارف كما يزينون هياكلهم. ونما هذا الخلق في الاوربيين الذين جاءوا على اثرهم ولو كانوا من برابرة الشمال . والظاهر ان الميل الى التمثيل والتزويق قديم فيهم من حين كانوا همجًا يعيشون بالصيد والقنص كما يظهر من رسمهم صور الحيوانات التي كانوا يصيدونها على عظامها فلما تمدّنت اخلاقهم وتهذّبت عقولهم فاقوا امم الارض في هذا المضمار

اما البسط والستائر والكراسي والخزائن وما جرى هذا المجرى فحدّث عنها ولا حرج. وقد نصب النسّاجون انوالهم في المعرض ينسجون بها البسط العجمية ومطارف الخز والديباج والقطيفة والاستبرق . وفرشت غرف كثيرة فرشًا فاخرًا لا تملُّ العين من النظر اليهِ . وتفنن الصناع

في الخشب والمعدن فمثلوا الغيد الحسان والضواري والكواسر وسائر ضروب الحيوان والازهار والاثمار والادواح والرياحين والحوادث التاريخية والاقاصيص الوهمية حتى لم اتمالك عند رؤيتها من انشاد ابيات من رائية ابن حمديس الصقلي التي وصف بها دار المنصور بن اعلى حيث قال

وضراغم سكنت عرين رئاسة ... تركت خرير الماء فيهِ زئيرا
فكأنما غشَّى النضار جسومها ... واذاب في افواهها البلّورا
اسدٌ كانَّ سكونها متحرّكٌ ... في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكَّرت فتكاتها فكأنما ... اقعت على ادبارها لتثورا
وبديعة الثمرات تعبرُ نحوها ... عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبيَّة نزعت الى ... سحر يؤثّر في النهى تأثيرا
قد صوبحت اغصانها فكانها ... قبضت بهنَّ من الفضاء طيورا
من كل واقعة ترى منقارها ... ماء كسلسال اللجين نميرا
وتريك في الصهريج موقع قطرها ... فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ومصفَّح الابواب تبرًا نظَّروا ... بالنقش فوق شكوله تنظيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفهِ ... ابصرتَ روضًا في السماء نضيرا
وضعت بهِ صنَّاعها اقلامها ... فارتكَ كلَّ طريدة تصويرا

من امثال العامَّة في القطر السوري الدالَّة على احقارهم صناعة الفخار وازدرائهم اصحابها قولهم "مثل الفواخرة لا دنيا ولا آخرة" لكن هذه الصناعة من اقدم الصنائع التي اتقنها الناس وقد بقي اهالي المشرق الاقصى مستأثرين باتقانها قرونًا كثيرة وبذل اهالي اوربا النفس والنفيس في اخذها عنهم او تقليدهم بها كما يُعلَم من سيرة بالسي وبتغر ووجود الخزافين الثلاثة العظام الذين ورد تاريخهم في كتاب سر النجاح . وقد ارتقت على يد خلفائهم وبلغت في هذا العصر مبلغًا لم يحلم بهِ اهل العصور الغابرة كما يعلم كل من رأى انواع الخزف الفرنسوي والانكليزي والالماني والايطالي المعروضة في هذا المعرض ورأى المزاهر والكؤوس والصحاف التي صنعت في معمل سڤر بفرنسا وما عليها من الصور والنقوش

ومن غريب امر الصنَّاع انهم يعدلون عن الطريق المطروق من وقت الى آخر لكي يزيدوا رغبة الناس في شيءٍ جديد يستنبطونهُ لهم ولو عثروا عليهِ اتفاقًا او كان من الخطإِ في صناعتهم لكي لا تسأم النفوس من الاستمرار على شيءٍ واحد. ومما عثروا عليهِ حديثًا وكانوا يعدونهُ خطأً فرأوا فيهِ سبيلاً جديدًا للنجاح تبلور الدهان ببلورات مشعَّة كالنجوم . والظاهر ان خزَّافي

الدنمارك هم اول من رأى الاحتفاظ بالآنية الخزفية التي يتبلور دهانها حاسبين ان الناس سئموا ما دهانهُ منتظم . فكان كما ظنوا. وللحال تذكر غيرهم من الخزافين ان تبلور الدهان كان يعرض لهم احيانًا فيكسرون الآنية التي عرض لها حاسبين انهُ خطأٌ وقع فيها فصاروا ينتبهون الى هذا الخطإ ويحاولون تكريرهُ بالصناعة. وراجت مصنوعاتهم التي من هذا القبيل وتفننوا فيها على اساليب شتى ومزجوا البلورات بالنقط البرّاقة التي تكون في بعض انواع الخزف المدهون فكان من مزيجها اشكال جميلة ترى الخزف يتألق بها كأنهُ مرصَّع بما لا يحصى من الحجارة الكريمة

ومن هذا القبيل تقليد الزجاج القديم الذي يحل النور فتنعكس عنهُ كالوان عنق الحمام او عرق اللؤلؤ فقد اكتشف سرَّ هذه الصناعة رجل في انكلترا وآخر في فرنسا وآخر في ايطاليا ثم اقتدى بهم غيرهم وكثرت مصنوعاتهم ولمعانها معدنيٌّ لكن منظرها غير جميل وقلَّدوا الزجاج القديم الذي في قبور الفينيقيين وقد اذابت صقالهُ الاملاح التي في التراب فصار يحل النور كابدع ما يكون قلَّدوهُ حتى يعسر الفرق بين القديم والمصنوع على مثالهِ

وكما تفننوا في الخزف المدهون والصيني على انواعهِ تفننوا في الاجر المدهون والملون ورسموا بهِ صورًا جميلة كالفسيفساء جارين مجرى الفرس وعرب اسبانيا في صناعة القيشاني . ولليابان جانب كبير من معروضات هذا الباب كما لها في سائر الابواب

اما الزجاج فاغرب ما عُرِض منهُ الالواح الكبيرة التي يزيد طول اللوح منها على ثمانية امتار وعرضهُ على اربعة امتار والقطع المكعبة التي تستعمل للبناء والرصف بدل الحجارة والبلاط. وقد اقيم بناء كبير بجانب برج ايفل من الزجاج لا غير . اما اشكال الاقداح والمزاهر والمصابيح والاباريق والوانها ونقوشها فمما يفوق الوصف ولو لم يظهر ان فيها اختراعًا جديدًا . وقد دخلت معمل سبك الزجاج ورأيت الصناع يصهرونهُ وينفخونهُ ويشكلونهُ ويلوّنونهُ ويخرطونهُ وينقشونهُ ويكتبون عليهِ اسماء المشترين وهو في يدهم ألين من الخزف في يد الفخاري . صناعة قديمة اكتشفها ابناء المشرق منذ الوف من الاعوام واتقنوها حتى صاروا يصنعون عيونًا لا تفرق بينها وبين العيون الطبيعية ثم انحطت في يد ابنائهم حتى لم يبقَ منها الا عمل الاساور والدمالج فشاد ابناء المغرب معالمها وصنعوا من الزجاج خيوطًا تُنسَج وحجارة تُبنَى ونحتوا منهُ آلات يرون بها اصغر احياء الارض وابعد كواكب السماء

وفي هذا القسم فصل التدفئة والتهوية وآلاتهُ وادواتهُ معروضة وحدها في بناء كبير على ضفة السين الجنوبية وهو اشبه بمخزن تجاري منهُ بمعرض صناعي وقد تبارت المعامل الصناعية في [illegible] عرض كثيرًا منها [illegible] الناظرين بجمال مصنوعاتها حتى بيع منها ما

يحتاجون اليهِ لان وسائل التدفئة والتهوية من اهم ما يطلبهُ الناس في البلدان الباردة . وتبتدىء المعروضات بما يستعمل لتدفئة البيوت بالبخار او بالماء السخن او بهما معاً ثم بوسائل التهوية الطبيعية والصناعية . لان تدفئة البيوت بالنار المكشوفة فيها تعرّضها لفساد الهواء فاذا كانت المواقد متصلة بانبوب كبير ممتد من فوق النار الى اعلى سطح البيت سار الهواء البارد من الغرفة ومرَّ فوق النار وصعد في هذا الانبوب فيصلح الموقد لتدفئة الغرفة وتجديد هوائها في وقت واحد . ولم يقف الاوربيون والاميركيون عند هذا الحد بل دفأوا بيوتهم بالهواء السخن او الماء السخن او البخار السخن يجرونها في انابيب تمر حول الجدران حتى يقال ان بيوت بطرسبرج في اقصى الشمال ادفأ في الشتاء من بيوت القاهرة

واذا قلنا مواقد النار وانابيب البخار فاول ما يخطر على البال ادوات من الحديد او الخزف سوداء قبيحة المنظر لكن الصنّاع لا يتركون شيئاً قبيحاً وقد تفننوا في زخرفة كل وسائل التدفئة حتى صارت من ادوات الزينة في البيوت بل من اجمل ادوات الزينة فيها . واظهروا مهارتهم في ذلك بما عرضوهُ في هذا الباب من مواقد الحديد والنحاس والنكل والمرمر والحجر والخزف وما فيها من النقش البديع

وادخلوا مع وسائل التدفئة وسائل الطبخ من المواقد والافران على انواعها ولاسيما ما استُنبط منها حديثاً مما ينضج فيهِ الطعام ويجود طعمهُ ويسهل هضمهُ ولا يتلف شيء منهُ . ومن رأى فقراء الفلاحين يضعون قدرهم على الاثافي او عرب البادية يشوون الجزور حنيذاً وقد مرَّت على هؤلاء واولئك أُلوف من الاعوام وهم على منهاج واحد من غير تغيير وعلم ان اهالي اوربا كانوا مثلهم او اخط منهم منذ اقل من الف عام ثم ارتقوا هذا الارتقاء العظيم لم يسعهُ الاَّ ان يقف مدهوشاً ويسأل عن الاسباب التي رقّتهم واوقفتنا او اخّرتنا

ومن اول اسباب الارتقاء والنجاح في الاعمال استنباط وسائل القياس فترى الاوربيين والاميركيين يفعلون كل شيء على قدرٍ وقياس فيقيسون الحرارة والرطوبة والضغط والقوة ويتحكمون في كل شيء . وترى هذه المقاييس كثيرة بين هذه المعروضات كمقاييس الحرارة والرطوبة وضغط الهواء وضغط البخار واساليب التحكم فيها حتى لا تغلب عليهم قوة من قوى الطبيعة بل تخضع كلها لامرهم وتجري على حسب مشيئتهم وهذا من اسرار نجاحهم في كل اعمالهم

واذا كان التفنُّن في آنية الزجاج والخزف والمعدن قديماً فالتفنن في طرق الانارة حديث جداً وقد بقي الناس الوفاً من الاعوام يستصبحون بزيت الزيتون وشمع النحل وقصروا هممهم وتفننهم على مادة المصابيح وشكلها فصنعوها من الخزف والزجاج والنحاس والفضة والذهب وتصرَّفوا

في اشكالها من الصدَفة البسيطة الى التماثيل البديعة التي سبكها امهر صنّاعهم . لكن طرق الانارة بقيت على حالها الى ان اتفق لبعضهم ان وضع انبوباً من الزجاج فوق مصباح مشتعل فرأى نوره يزيد اشراقاً فانتبه اخوه الى ذلك وكان يبحث عن طريقة لاصلاح المصابيح ومن ثم صارت توضع المداخن فوق المصابيح لكي يزيد الهواء المار على لهب المصباح ويتم احتراق الزيت فيسطع نوره. ثم وُجد الغاز وزيت البترول وصُنعت المصابيح الكهربائية وفتائل اور التي تحمو الى درجة البياض وتنير بنور ساطع يزري بالنور الكهربائي . وآخر الكل استنبطت مصابيح السبيرتو والاسيتلين وارسل البترول الى المصابيح بانابيب دقيقة . وتاريخ اكثر هذه المصابيح معروف عند قراء المقتطف والكهول منهم يذكرون الايام التي كانوا يستصبحون فيها بمصابيح زيت الزيتون. فكل هذا الارتقاء العظيم في اساليب الاستصباح حدث منذ اربعين عاماً الى الآن واكثره حدث في الخمسة عشر عاماً الاخيرة . وهذه الاساليب معروضة كلها في هذا الباب ما عدا اساليب الانارة بالكهربائية فانها معروضة في باب سابق كما تقدم وهي الوحيدة في خضوعها التام لارادة الانسان على ما لها من الحول والطول ولذلك انير المعرض كله بها واستخدمت لاظهار بهجته وزينته

الباب الثالث عشر في الغزل والنسج والثياب وفصوله احد عشر فصلاً معروضة في شان دو مارس الاول في الغزل وفتل الحبال والثاني في النسج والثالث في قصر المنسوجات وصبغها وطبعها وتهذيبها . والرابع في التفصيل والخياطة . والخامس في خيوط القطن ومنسوجاته بنوع خاص . والسادس في خيوط الكتان والقنّب والرامي والصبر ومنسوجاتها والحبال التي تصنع منها . والسابع في خيوط الصوف ومنسوجاته . والثامن في الحرير ومنسوجاته . والتاسع في الخرج والتطريز والزركشة . والعاشر في خياطة الثياب للرجال والنساء والاولاد . والحادي عشر في ما يدخل مع الثياب كالجوارب والاحرمة والبرانيط والمشدّات والمظلاَّت وما اشبه

ولا يخفى ان الغزل والنسج وخياطة الثياب وتوشيتها وتطريزها من اقدم الصنائع التي عمل بها الانسان وقد اتقنها القدماء من عهد المصريين والاشوريين والفينيقيين والعبرانيين ولا تزال منسوجاتهم في المتحف المصري ومتاحف اوربا شاهدة لهم بانهم بلغوا في هذه الصنائع شأواً لم تفقهم فيه اوربا الاَّ منذ مئة عام . لكن اهالي المشرق وقفوا عند الحد الذي بلغهُ اسلافهم او تأخروا عنهُ واهالي اوربا ساروا في مئة عام اكثر مما سارت امم المشرق في الف عام ساروا سيراً يدهش كل من ينظر اليهِ اذا ادرك ما يرى بعينيهِ وعلم تاريخ كل آلة من الآلات التي استنبطوها

وما عانى مستنبطها من المشقّة في استنباطها او قرأ على الاول الملخَّص المذكور في سر النجاح عنها

وفصول هذا الباب زينة المعرض وواسطة عقدهِ واليها تسير اقدام النساء بنوع خاص حتى لقد يتعذَّر على المرء المرور حيث عُرِضت الثياب والازياء. وقد شاهدت هذه المعروضات بعد ما رأَيت قصور الدول ومعرض مدينة باريس وقصر الازياء وفيها كلها ما يعجز القلم عن وصفهِ من الحلل الفاخرة ولم اكن احسب ان قد ترك الاول للآخر شيئاً فلما رأَيتُ ما هو معروض هنا قلتُ في نفسي حقّاً ان الدافع الاول للبس الثياب هو الزينة والامتياز لا الدفء ولا التستّر كما اوضحتُ ذلك قبلاً في مقالة موضوعها من الحلى الى الحلل. فان هذه الثياب التي نراها هذه الموشَّيات والمطرزات هذه الانسجة التي نقف على اذيالها لصفاقتها او تطير في الهواء لخفتها هذه المخيطات التي يبدو منها جمال الصدر والخصر والعنق والمنكبين وكلٌّ منها يمتاز عن الآخر ولو عدَّت بالمئات والالوف لا يمكن ان يكون الغرض منها ستر عرْي او دفع برْد . وقد زادها الصنَّاع جمالاً بما صنعوهُ لها من تماثيل الشمع الاسيلة الخدود النجلاء العيون وما على رؤُوسها من غدائر الشعر المعقوص على اساليب شتى حتى كأَن الجمال كلهُ جُمِع في تلك الخزائن

ولم يقتصر العارضون على عرض حلل النساء بل عرضوا ايضاً ثياب الاولاد والرجال والحلل الملكية والعسكرية على اختلاف انواعها واشكالها. وهذه ايضاً لا تخلو من الزينة والزخرفة ولاسيما حلل الملوك والاساقفة والقوّاد والقسوس لاغراض لا تخفى على البصير وهي تفوق في زخرفتها كل ما تلبسهُ اشد الغواني ترفاً

ويغلب على ظني ان كل مَن زار المعرض من سكان القطر المصري امعن نظرهُ في آلات الغزل والنسج التي فيهِ كما امعنتُ نظري فيها ولا سيما لان جانباً كبيراً من قطنها وصوفها وحريرها وكتانها ترد اليها من القطر المصري والقطر الشامي فيودُّ ابناء هذين القطرين ان يعلموا ماذا يُفعل بقطنهم وصوفهم وحريرهم وكتانهم حتى صارت منسوجات اوربا ارخص من منسوجاتنا على غلاء الاجور فيها ورخصها في بلادنا. ولما رأَى مديرو معامل الغزل والنسج انني ارغب في الوقوف على دقائق صناعتهم لم يدَّخروا وسعاً في اطلاعي على كل شيء فاروني كيف ينظَّف القطن وينْدف لا بالقوس والوتر بل باساطين ذات اسنان كريش القنفذ تنسل خيوطهُ نسلاً ثم يجمع النسل عنها فتائل اثخن من الابهام وتمدُّ هذه الفتائل وتفتل فتصير خيوطاً دقيقة ثم تلف على الوشائع وتثنى وتثلَّث . وآلات الغزل مختلفة الانواع والاشكال وكل آلة تعمل اعمالها بما لا مزيد عليهِ من الدقة حتى لو كان لها عقول ثاقب ما احكمت اعمالها اكثر مما تحكمها الآن بل هي في حالتها الحاضرة اقدر على الدقة والاحكام من كل صانع ماهر لان الصانع

يضجر ويملّ وينسى ويخطئ واما هي فلا يعتورها شيءٌ من ذلك

وآلات النسج لا تقصر في دقتها واحكامها عن آلات الغزل ولا سيما اذا نُسج بها نسيج معرَّق او معلم او مخمل او مخرَّم

والذي يرى خيطًا ابيض بسيطًا ملفوفًا على بكرة او منديلاً ملوَّنًا بنسجهِ او بصبغهِ لا يخطر لهُ ان ذاك الخيط وهذا المنديل مرَّا على اكثر من ثلاثين آلة مختلفة قبلما خرجا من ايدي الصناع ودخلا في ايدي التجّار . وهذه آلات معروضة كلها في هذا المعرض فقد رأيت بين معروضات اخوان بلات وشركائهم نحو اربعين آلة مختلفة بعضها لحلج القطن وبعضها لتفتيحهِ وتنظيفهِ وبعضها لندفهِ وبعضها لغزلهِ وبعضها لفتلهِ وبعضها لنسجهِ وربما عدتُ الى وصفها في باب الصناعة في فرصة أُخرى . وعلمتُ من مدير هذا المعمل ان نقل هذه الآلات من البلاد الانكليزية الى البلاد الروسية ووضعها في اماكنها اقتضى لهُ من النفقة قدر ثمنها فاذا ابتعنا آلات معمل للغزل والنسج بعشرين الف جنيه اقتضى ان ننفق عليها عشرين الفًا اخرى حتى تنقل الى بلادنا وتركب في اماكنها وتدار فيها قبلما تعمل عملاً منهُ ربح وذلك لغلاء اجرة الصناع الذين يؤتى بهم لتركيبها وادارتها . وذاكرتهُ مليًّا في ربح معامل الغزل والنسج فاراني مقاييس وجداول يعلم منها مقدار ما يغزل وينسج بالآلات اذا عرف ثمنها . وبعد حساب طويل أكد لي ان الربح في القطر المصري لا يقل عن عشرة في المئة ولو اضيف الى رأس المال نصفهُ اسهماً للمؤسسين لكن هذا الربح لا يتحقق في السنة الاولى التي يدار فيها المعمل بل في السنة الثانية وما بعدها

ومما يستوقف النظر بنوع خاص انوال النسج المعرَّق والملوَّن والمزركش فانها تنسج الوانًا كثيرة من وشائع مختلفة . وفي النول سواعد ترمي الوشيعة المطلوبة من نفسها تختارها من بين وشائع عديدة لانها تكون في كوًى بعضها فوق بعض متصلة بآلة ترفعها وتخفضها حتى تكون الوشيعة المطلوبة منها امام فتحة السدى فتضربها ذراع مرنة قائمة وراءها ضربات متوالية حسب المطلوب وترتفع الكوى حينئذٍ او تنخفض حتى يكون امام فتحة السدى الوشيعة الاخرى التي يأتي لونها بعد لون الاولى وهلم جرًّا . وخيوط السدى ترتفع وتنخفض وتجتمع وتفترق تبعًا لقطع من الورق المقوّى فيها خروب حسب النقش المراد توشية النسيج بهِ وهذه القطع تضغط على ابر كاسنان المشط فتنضغط تحت ما لا خرق فيهِ وتبقى على حالها تحت الخرق وتتصل حركاتها بخيوط السدى فترفعها او تخفضها حسب المراد

واغرب من هذا الاسلوب اسلوب الذراع وهو ذراع طويلة لها اصبع يدلُّ بها على رسم

مرسوم امام الحائك فليس عليهِ الاَّ ان يمسك هذه الذراع بيدهِ ويدل باصبعها على نقط مختلفة في الرسم فتتقدم او تتأخر او تعلو او تسفل حسب موقع تلك النقط في الرسم ويتحرك طرفها الآخر وهو متصل بالسدى فيحركها وينسج منها شكلاً مثل الشكل الذي امامهُ. وترى الحاكة رجالاً ونساء دائبين على اعمالهم ينسجون المقاطع الكبيرة او المناديل الصغيرة يرسمون فيها صور المعرض او صور الملوك والملكات او صور القديسين والقديسات امام عين الرائي .

وهانذا اكتب هذه السطور وعيني تقع في فترات الكتابة على مناديل من الحرير الملون نُسجت امامي في نول فرنسوي وعليها صورة قصر الكهربائية من قصور شان ده مارس وصورة قيصر الروس نقولا الثاني ورئيس الجمهورية الفرنسوية المسيو لوبه وعلَم الروس وعليهِ النسر الروسي وعلَم الفرنسويين وعليهِ الحرفان R.F. واشعة النور الكهربائي متألقة فوق القصر كأنها الشمس في بهائها ومياه الشلالات والفساقي متصببة امامهُ يحيط بها اكاليل من الغار والسنديان وقد كتب فوقها بحروف سوداء وبيضاء المجد للقرن العشرين وتحتها تذكار المعرض قصر الكهربائية. وارض المنديل من الاحمر او الاخضر او البرتقالي او الرمادي والنقش عليهِ من لونهِ ومن الابيض والاسود

ومما يستوقف النظر ايضاً انوال نسج التول المخرَّم المعرَّق الذي تصنع منهُ الستائر الكبيرة. يقف الرائي امامها ساعة بعد ساعة يرقب حركاتها وسكناتها فيراها تحيك وتحبك وتفك وتعقد وتنسج الاوراق والازهار والخطوط والعروق والدوائر والمقنطرات والحائك لا يمدُّ اليها يداً الاَّ اذا انقطع منها خيط فيوصلهُ . ومن رأى فتاةً من بنات هذا العصر تقيم ساعة بعد اخرى على حبك زهرة واحدة من زهر التتن او الدانتلا ثم رأى مئات من مثل هذه الازهار تحبك في دقيقة من الزمان ارتفعت في عينيهِ مقدرة العقل الذي صنع آلة امهر من يد الانسان . لكن المصنوعات اليدية لم تفقد شيئاً من رونقها ولا خسرت من قيمتها ولا يزال الاوربيون يغالون بها كما كانوا يغالون في العصور الغابرة وقد عرض امراؤهم واغنياؤهم قطعاً كثيرة منها مما حبكتهُ ايدي النساء ويباع المتر منهُ بما يزيد على وزنهِ ذهباً

ومنهُ انوال نسج الجوارب والكفوف والقمصان وما اشبه مما يُحبك حبكاً . وهذه ايضاً قد قامت مقام الحبك بالصنَّارات . ويشاهد منها في المعرض ما يحبك القميص من لونين او ثلاثة او اكثر ويصنع الجورب في بضع دقائق

ومعلوم ان القصد من عرض هذه الآلات ترغيب الطلاب في ابتياعها من معاملها وقد بيع كثير منها مراراً ومن ذلك آلة سويسرية للغزل تدور بسرعة البرق حتى يظن الناظر اليها

ان مغازلها ثابتة لسرعة حركتها وقد اشترتها حكومة الروس لمدارسها الصناعية

ولما شبعت من الوقوف امام الآلات الفرنسوية والانكليزية والالمانية لان النفس تشبع من الفوائد كما تشبع المعدة من الطعام قيل لي انك لم ترَ معروضات اليابان في هذا الباب كما رأيتها في غيرهِ من الابواب فهرولت اليها وانا احسب انني لا ارى فيها غير ما اعتدنا رؤيتهُ في هذه العاصمة من منسوجات اليابانيين وموشياتهم فلما وقع نظري عليها واجلت طرفي فيها أكبرتُ امر هذه الامَّة التي جارت الاوربيين في كل شيء فترى بين معروضاتها البرانيط من كل الاشكال والانواع والانجاف المطرزة وعليها صور الاطيار والازهار بالوانها الطبيعية تحسبها بارزة منها كأنها موضوعة امامها وضعًا لا منسوجة فيها نسجًا وصورًا كثيرة في رباط من الحرير تعلق في البيوت بدل صور الزيت. في واحدة منها صورة امرأة مكسال والسبحة في يدها وفي اخرى صور بط واوزّ والريش منهُ لامع كأنهُ خرج من الماء وانعكس عنهُ نور الشمس . وفي اخرى صورة ديك ودجاجة رفقاء وفراخها معها . وفي اخرى صورة شجرة مزهرة والطيور تحتها . وفي اخرى صورة صخر في البحر وقف عليهِ نسر كأنهُ ملك على عرشهِ . وفي اخرى صور كلاب صيد جارية تكاد تسبق اظلالها. ولا تسل عما هناك من المراوح والقمصان والمظلات والقش المضفور وما اشبه مما يدخل في هذا الباب

وهناك ايضًا كثير من منسوجات الحرير والمخمل المعرَّقة والموشاة على ضروب شتى وهي تشهد لراسميها بالمهارة في فن الرسم واختيار الالوان كما تشهد لصناعي انوالها ببلوغ الحد في التفنن والاتقان . وسواء كانت هذه الانوال يابانية او اوربية وسواء كان الرسَّامون والحاكة من الوطنيين او من الاجانب فصناعة النسج المتقن دخلت ربوع يابان ورسخت قدمها فيها وصار اليابانيون يبارون الفرنسويين والانكليز والالمانيين في اتقان منسوجاتهم ولا عجب اذا رأيناهم يبارونهم في كثرتها ورخصها واذا اقتدى بهم جيرانهم الصينيون والكوريون والهنود ونبقى نحن العثمانيين في ساقة كل اهالي المشرق بعد ان كان اجدادنا في طليعة امم الارض

الباب الرابع عشر في الصناعات الكيماوية وفيهِ خمسة فصول الاول في الكيمياء الصناعية والصيدلية والثاني في الوراقة والثالث في الدباغة والرابع في استخراج الطيوب والخامس في التبغ والثقاب (عيدان الفصفور)

وهذا الباب مناسب للباب السابق ومعروض الى جانبهِ ولا تضرُّ رائحة التبغ فيهِ لان رائحة الطيوب تغلب عليها على حد ما قيل احد الضدين

واذا ادنيتَ منها بَصَلاً غلب المسك على ريح البصَلْ

ولا تُذكَر كلمة الكيمياء في كتبنا القديمة الاَّ مقرونة ببحث طلاَّبها عن الاكسير لعمل الذهب من النحاس . وقد اهمل المتأخرون هذا البحث ولو لم يثبتوا استحالتهُ ولكنهم استخرجوا الذهب بواسطة الكيمياء لا من النحاس بل من كل شيءٍ وجعلوها اساساً لكل العلوم الزراعية والصناعية والصحيَّة . واذا جرَّدتَ علوم هذا العصر من الكيمياء وممَّا استفادتهُ من الكيمياء لم يبقَ منها الاَّ ارقام الحسَّاب وخطوط المهندسين وآراء الفلاسفة . ومعلوم ان بعض الصنائع مبني على الكيمياء بنوع خاص كالاقراباذين والصياغة والدباغة والوراقة وعمل الطيوب والثقاب . وقد اجاد الفرنسويون في ما عرضوهُ منها ولا سيما من الطيوب ولا غرابة في ذلك لان لافوازيه ابا الكيمياء الحديثة منهم . وجاراهم الانكليز وفاقهم الالمان وقد شاهدت بين معروضات الانكليز ما لا يحصى من انواع الطيوب والصابون المطيَّب الشفاف وغير الشفاف ولا سيما صابون بيرس وطيوب اتكنسن والاصباغ وانواع الفرنيش والعقاقير الطبيَّة . وهناك مكعَّب كبير من كلوروهيدرات المورفين وآخر من كبريتات المورفين يسكران كل زوار المعرض لو شربوها وقصعة كبيرة من الزجاج مملوءة ببلورات الكوداين متبلورة فيها واخرى مملوءة ببلورات المورفين واربعة تماثيل من الشمع الابيض النقي تمثّل تمثال الحرية المنصوب في اميركا وكثير من الشمع الملوَّن وكل المواد الطبيَّة والكيماوية

وشاهدت بين معروضات الالمانيين ما لا يحصي من العقاقير الطبيَّة والمواد الصناعية وآلات الكيماوية واصباغ الانيلين وادهان الزيت وغرفة كبيرة خاصَّة بالطيوب والصابون المطيَّب . ومن الغريب ان روسيا بارت المانيا وانكلترا في هذا الباب فعرضت انواع الشمع والطيوب والصابون المطيَّب والجلود الروسية المدبوغة الطيبة الرائحة وآلات لف السكاير وقطَع اللازورد الكبيرة وادوات الكيمياء والمواد الكيماوية . واعمدة المكان الذي عرضت فيهِ من الصابون تراها فتظنها رخاماً صقيلاً

وعرض الفرنسويون آلة كبيرة للوراقة تصنع الرب من الخشب والقش وتقصرهُ وتجريهِ على احرمة اللبد وتجففهُ وتصقلهُ فيخرج ورقاً ابيض ناصعاً في لفَّات كالبراميل الكبيرة في اللفة منها ما طولهُ ٣٦٠٠ متر . وعرضت المانيا آلة كبيرة مثل الآلة الفرنسوية . ولا غرابة في كبر آلات الورق وكثرة ما تصنعهُ لكثرة الجرائد الاوربية والاميركية ووفرة قرَّائها فانهُ قد يطبَع من الجريدة الواحدة مليون نسخة كل يوم فيطبع منها في السنة نحو ثلاثة آلاف مليون كيلو من الورق على الاقل . وقد اهتمَّ بعض فضلاء سورية بانشاء معمل للوراقة في ضواحي بيروت

لكنهم لم يستطيعوا ان يناظروا المعامل الاوربية فاضطروا ان يوقفوهُ بعد ان انفقوا عليهِ النفقات الطائلة . ولا امل بنجاح معامل الورق عندنا الاَّ اذا زاد عدد القراء اضعافًا فكثر انتشار الجرائد العربية حتى صار الورق الذي يستعمل فيها سنويًّا يقتضي انشاء معملين او ثلاثة كلٌّ منها يصنع مليون كيلو في اليوم . وقد لا نقوى على مناظرة الاوربيين على كل حال لان الجانب الاكبر من الورق الرخيص خشب والخشب يؤتى بهِ من اوربا واميركا فجلبهُ ورقًا ارخص من جلبهِ خشبًا . وكذلك القوَّة المطلوبة لادارة آلات المعمل تستمدُّ من الفحم الحجري وهو وارد من اوربا ايضًا فتضاف اجرة شحنهِ الى ثمن الورق فيغلو بهِ

ويقال في انواع الورق واشكالها والوانها ما يقال في سائر المعروضات من الكثرة والتنويع فان من الورق ما هو صفيق كالرق ومنها ما هو شفَّاف كالزجاج ومنها ما هو ابيض كالثلج ومنها ما هو ملوَّن بكل لون معروف ومنها الصقيل والخشن والمنقوش وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ ويتعذَّر وصفهُ

اما قناني الطيوب وحناجرها والازهار التي تستخرج الطيوب منها والخزائن التي عرضت فيها والرفوف التي وضعت عليها فقد قُصد بها كلها ان تسرَّ حاسَّة البصر باشكالها والوانها كما تسرُّ الطيوب حاسَّة الشم بطيب رائحتها

والتبغ معروض في كل مكان تقريبًا في قصور الدول والانفاليد وشان دو مارس كأَنهُ اروج تجارة في الدنيا . وتفنن العارضون في عرض اوراقهِ مبسوطة وملفوفة وعرض سكائرهِ وآلات لفها والورق الذي يلف بهِ والاحجار (الغلايين) التي يحرق فيها. ولا ندري متى يعدل الناس عن عادة نفعها قليل وضررها كثير و يزرعون الارض التي يزرعونها تبغًا طعامًا تغتذي بهِ الابدان وينفقون الاموال التي ينفقونها عليهِ في عمل مفيد لنوع الانسان

وقد اضحكني اهتمام الفرنسويين بعمل الثقاب (عيدان الكبريت او الفصفور) ودفعهم الجوائز لمن يستنبط نوعا منهُ خاليًا من الفصفور السام والثقاب عندهم أَغلى مما هو عندنا اضعاف الاضعاف كأَن حكومتهم لم تجد غير هذا السبيل لجمع المال على اسلوب يشعر بثقلهِ الفقير كما يشعر بهِ الغني او اكثر لان زوجة العامل الفقير تضطر ان تستعمل من عيدان الثقاب اكثر مما يُستعمل في بيت جارها التاجر الغني لكن اهتمام الفرنسويين وغيرهم من الامم الاوربية باتقان هذه الصناعة قد رخَّص مصنوعاتها في بلادنا الى حد لم نعهد لهُ مثيلاً . وقد شاهدت معامل الثقاب في رحلتي الاولى الى اوربا ووصفتها فيها بما يغني عن اعادة الوصف

القرن التاسع عشر

ينتظر القراءُ الكرام ان نودّع القرن التاسع عشر واصفين تقدُّم العلوم والفنون فيهِ وقد فعلنا ذلك منذ سنتين ولخصنا عن كتاب الاستاذ الفرد ولس العالم الطبيعي الشهير وصف المكتشفات الصناعية التي اكتشفت في القرن التاسع عشر والقضايا العلمية التي أُثبتت فيهِ وما يقابل ذلك من مكتشفات القرون السالفة. وها نحن معيدون بعض ذلك وملحقون بهِ ما يحتملهُ المقام من الشرح والتفصيل

ان مكتشفات هذا القرن التي تطبَّق بها العلم على العمل وصار لها الشأن الاكبر في اعمال الناس وافكارهم كثيرة وقد ذكر منها الاستاذ ولس ثلاثة عشر وهي

(١) السكك الحديدية التي غيَّرت اساليب السفر ونقل البضائع برًّا . ولم يكن منها شيءٌ في بداءة هذا القرن فانها ابتدأت في بلاد الانكليز سنة ١٨٢٥ وفي اميركا سنة ١٨٣٠ وبلغ طول خطوطها في منتصف القرن نحو ٢٤ الف ميل وهو الان نحو اربع مئة وسبعين الف ميل . وكان السفر برًّا كثير المشاق والمخاطر فوق ما فيهِ من البطءِ واضاعة الوقت عبثًا فصارت المركبات التي يسار بها في اكثر البلدان كالقصور الفاخرة في اثاثها ورياشها وبلغت سرعتها خمسين ميلاً او اكثر في الساعة الواحدة. وخُتم القرن والكهربائية تحاول ان تقوم مقام البخار في السكك الحديدية وقد قامت مقامهُ في المدن حيث لا تزيد المسافة على بضعة اميال. والبخار والكهربائية والهواء المنضغط تحاول كلها ان تقوم مقام الخيل في مركبات الركوب وعربات الجنود والمدافع فيحرَّر الفرس من جر الاثقال

(٢) السفن البخارية التي فعلت مثل ذلك بالسفر ونقل البضائع بحرًا فقد كان محمول السفن الشراعية في بداءة هذا القرن نحو اربعة ملايين طن ولم يكن فيهِ سفينة بخارية . واول سفينة بخارية اجتازت الاوقيانوس الاتلنيتكي بين اوربا واميركا سنة ١٨١٩ . ولما انتصف القرن كان محمول السفن الشراعية قد صار احد عشر مليونًا اربع مئة الف طن ومحمول السفن البخارية خمسة ملايين طن والآن نقص محمول السفن الشراعية قليلاً فصار احد عشر مليون طن فقط واما محمول السفن البخارية فصار اكثر من ٥٢ مليون طن . ولا تسل عما في السفن البخارية الكبيرة من وسائل الراحة والرفاهة

(٣) التلغراف الكهربائي وهو ايضًا من بنات القرن التاسع عشر لم يكن منهُ شيءٌ في بداءتهِ وبلغ طول خطوطهِ في منتصف القرن ٥٠٠٠ ميل برًّا و٢٥ ميلاً بحرًا ويبلغ طولها

الآن نحو مليون ميل برًّا ومئة وسبعين الف ميل بحرًا . وهو يزيد سرعة واتقانًا عامًا بعد عام

(٤) التلفون الكهربائي الذي نتخاطب بهِ الآن فيسمع احدنا كلام الآخر على مئات من الاميال وقد استُنبط واتسع نطاقهُ في عهد المقتطف كما يعلم قرَّاؤُهُ

(٥) عيدان الكبريت التي غيَّرت اسلوب اضرام النار وهي اختراع كبير النفع لاشتراك البشر كلهم في فوائدها

(٦) الغاز الذي تضاء بهِ البيوت والشوارع وفتائل اور التي استنبطت حديثًا لجعل نوره ابيض ساطعًا كالنور الكهربائي

(٧) النور الكهربائي الذي يفوق كل اساليب الانارة بهاء. وقد صُنعت مصابيحهُ الحديثة في عهد المقتطف كما لا يخفى

(٨) الفوتوغرافيا ونسبتها الى الاشكال الطبيعية نسبة الكتابة الى الافكار. وقد زادت انتشارًا باكتشاف الجلاتين الحسَّاس حتى صارت من وسائل التسلية لكل طبقات الناس رجالاً ونساء فضلاً عن استعمالها في العلوم الفلكية والطبيعية

(٩) الفونوغراف الذي يحفظ الاصوات ويعيدها كما تحفظ الفوتوغرافيا الصور وتظهرها

(١٠) اشعَّة رنتجن التي تخترق الاجسام الظليلة وصار لها شأن كبير في علم الطب والجراحة

(١١) الحل الطيفي الذي عُرفت بهِ مواد الاجرام السموية ولهُ شأن كبير في الحل الكيماوي

(١٢) استعمال المخدرات التي تخدر الجسم حتى تعمل فيهِ العمليات الجراحية من غير الم

(١٣) استعمال مضادَّات الفساد في العمليات الجراحية فيبرأ الجرح من غير ان يتعرَّض الجسم للخطر وقد صارت بها العمليات الجراحية الكبرى اقل خطرًا من الجراح البسيطة

قال الاستاذ ولس واذا بحثنا عن مكتشفات القرن الثامن عشر التي تقابل بهذه المكتشفات لم نجد سوى اصلاح الآلة البخارية لكن فائدتها كانت محصورة في رفع الماء من المناجم . ولم يكتشف في القرن السابع عشر من المكتشفات الكبيرة غير التلسكوب ولا كشف شيء منها في القرن السادس عشر . اما القرن الخامس عشر فكشفت فيهِ الطباعة . وكشف حك الملاحة في القرن الرابع عشر او الثالث عشر فسهَّل اكتشاف اميركا . واذا عدنا الى العصور الخالية وجدنا فيها اكتشاف الارقام العددية وقبلهُ اكتشاف الكتابة بالحروف الهجائية وهذان الاكتشافات اي الارقام العددية والحروف الهجائية هما آلتا المعارف والمكتشفات

والخلاصة ان القرون الغابرة كلها من الثامن عشر فما قبلُ فيها خمسة مكتشفات كبيرة من المكتشفات المفيدة وهي التلسكوب والطباعة وحك الملاحة والارقام العددية والحروف

الهجائية واذا اضفنا اليها الآلة البخارية والثرمومتر والبارومتر صارت مكتشفات القرون الغابرة ثمانية امام ثلاثة عشر من مكتشافات القرن التاسع عشر

اما المكتشفات العلمية النظرية التي اتسعت بها معارفنا وزاد ادراكنا للكون وظواهره فكثيرة وقد ذكر الاستاذ ولس اثني عشر اكتشاف منها وهي

(١) قياس الحرارة بما يعادلها من القوة . وقد ادَّى هذا الاكتشاف الى اكتشاف ناموس حفظ القوى الذي هو حياة العلوم الطبيعية ويحق لهُ ان يُعَد من اعظم مكتشفات القرن التاسع عشر . وقد اشار اليهِ اولاً فردرك مور سنة ١٨٣٧ واثبتهُ مير الالماني وجول الانكليزي سنة ١٨٤٢ ولم نطل الكلام فيهِ في صفحات المقتطف لانهُ من المباحث العلمية التي يعسر ادراكها على جمهور القراء

(٢) تعليل خواص الغازات بحركة دقائقها وهذا ايضاً من المباحث العويصة وقد اتضح بهِ ان الدقائق الجوهرية التي تتألف منها الاجسام صغيرة جداً حتى ان اصغر الاحياء التي يمكن ان ترى باقوى انواع الميكرسكوب يحوي مليونين منها او مليوناً على الاقل وهي في حالة الحركة الدائمة فاذا كان الجسم جامداً وزادت حركة دقائقهِ فقد يصير سائلاً ثم اذا زادت حركتها اكثر من ذلك زادت البعد بينها فصار غازاً منتشراً

(٣) قياس سرعة النور واثبات دوران الارض بالامتحان

(٤) اكتشاف فعل الغبار او الهباء وكون بعضهِ جراثيم حية يتولد منها الاختمار والعفونات وقد كان لذلك فائدة كبيرة في صناعة الخمور وعلم الطب والجراحة

(٥) تعليل المواد بانها مركبة من عناصر بسيطة على نسب محدودة وقد ادَّى ذلك الى عمل كثير من المواد الآلية كالكحول والايثر وسكَّر العنب والحوامض الآلية والزيوت النباتية والطيوب على انواعها فان هذه المواد تصنع الآن في المعامل الكيماوية كما يصنع الصابون من الزيت والقلي

(٦) اكتشاف حقيقة النيازك وذوات الاذناب والانتقال من ذلك الى تعليل تكوُّن الاجرام السموية من الحجارة النيزكية. وليس لهذا الاكتشاف من فائدة عملية حتى الآن ولكن فائدتهُ المعنوية لاتنكر في دفع الاوهام والوقوف موقف مَن يدرك حقيقة مايراهُ من اجرام السماء

(٧) تعليل الدور الجليدي ومعرفة مدتهِ وافعالهِ في الارض وفائدة ذلك علمية ايضاً تدفع بها الاوهام وتكشف الغوامض فيرى المرء في البلدان الباردة آثار الحيوانات التي تعيش في البلدان الحارة ولا يستغرب وجودها فيها لانهُ يعلم ان تلك البلدان كانت حارَّة في عصر

من العصور الغابرة . ويرى آثار جبال الجليد في بلدان لا تصل اليها الآن فلا يستغرب هذا ايضاً لانهُ يعلم ان تلك البلدان كانت باردة جدًّا في دور آخر

(٨) الادلة على قدم الانسان . وبها علم انهُ وجد على وجه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين فسهل تعليل ما كان يُرَى من الفروق بين طوائفهِ من ايام المصريين القدماء وتعليل وجود آثارهِ مع آثار الحيوانات البائدة التي عاصرتهُ وعاصرها قبل الدور الجليدي الاخير

(٩) مذهب النشوء واقامة الادلة عليهِ وتعليل كل تقدُّم وارتقاء آليًّا كان او غير آلي بالمبادىء التي أُثبت بها نشوء الحيوان والنبات

(١٠) الرأي الحاوي وتعليل مرور الجنين على الاطوار التي مرَّ عليها اسلافهُ وتطبيق ذلك على علم الطب وعلم الاجنة

(١١) اكتشاف سبب الامراض الخميرية والامراض المعدية بنوع عام . وفوائد هذا الاكتشاف اكثر من ان تحصى واعظم من ان توصف وهو اساس كل تقدُّم حديث في علم الطب والجراحة وحفظ الصحة

(١٢) اكتشاف كريات الدم البيضاء ووظائفها وفهم ما تفعلهُ في مقاومة الجراثيم المرضية

ونضيف الى ذلك حقيقة علمية اخرى لا يوافق عليها الاستاذ ولس وهي اكتشاف المصل الشافي من بعض الامراض . ويقابل ذلك في القرن الثامن عشر وضع علم الكيمياء الحديث ووضع علم الكهربائية واكتشاف تطعيم الجدري . وفي القرن السابع عشر اثبات ناموس الجاذبية واكتشاف قواعد كبلر في علم الفلك واكتشاف قواعد السرد وعلم التفاضل واثبات هارفي لدورة الدم ومعرفة رومر لسرعة النور . واذا التفتنا الى ما وراء ذلك لم نجد في القرون السالفة ما يقابل هذه المكتشفات العلمية الاَّ تأليف اقليدس لكتاب الهندسة من اوضاع الذين تقدَّموهُ من اليونان والمصريين واستعمال الارقام العددية والحروف الهجائية . هذا ولم يقطع الاستاذ ولس بان ما ذكرهُ من مكتشفات القرن التاسع عشر هو كل ما اكتشف فيهِ او كل ما يمكن عدهُ بين المكتشفات الكبيرة قال " ومعلوم ان تحديد المكتشفات والمخترعات التي لها الشان الاعظم في العمران ليس امرًا مقررًا فيمكن ان يزاد على ما ذكرتهُ امور اخرى يعد لها غيري شأنًا عظيمًا لا اعدُّهُ انا لها او ينقص منهُ بحذف ما حسبت لهُ شأنًا كبيرًا وغيري لا يعدهُ كذلك " . هذا ومن رأينا انهُ ذكر امورًا لا تستحق الذكر مع المكتشفات الكبيرة التي ذكرها واهمل امورًا اخرى احق منها بالذكر . ويمكن ان يُقابَل بين مكتشفات القرن التاسع عشر ومكتشفات كل القرون التي قبلهُ كما ترى في الجدول التالي

مكتشفات القرن التاسع عشر	مكتشفات كل القرون قبله
(١) السكك الحديدية	(١) تطعيم الجدري
(٢) السفن البخارية	(٢) حك الملاحة
(٣) التلغراف الكهربائي والاثيري	(٣) الآلة البخارية
(٤) التلفون	(٤) التلسكوب
(٥) الآلات المختلفة التي تدور بالبخار	(٥) الميكروسكوب
(٦) عيدان الفصفور	(٦) الترمومتر والبارومتر
(٧) الطرق الحديثة لتنقية الحديد وعمل الفولاذ	(٧) الطباعة
(٨) الاستصباح بالغاز والبترول	(٨) الارقام العددية
(٩) الاستصباح بالكهربائية والاسيتيلين	(٩) الكتابة بالحروف الهجائية
(١٠) الفوتوغرافيا	(١٠) مبادئ الكيمياء الحديثة
(١١) نقل القوة بالكهربائية	(١١) علم الكهربائية
(١٢) الترام الكهربائي	(١٢) ناموس الجاذبية
(١٣) اشعة رنتجن	(١٣) علم التفاضل
(١٤) الحل الطيفي	(١٤) دورة الدم
(١٥) المخدرات	(١٥) علم اللوغرتمات
(١٦) مضادات الفساد في الجراحة	(١٦) علم الهندسة والمثلثات
(١٧) استخلاص الاصول الدوائية	
(١٨) حركة دقائق الاجسام	
(١٩) فعل الهباء	
(٢٠) نسب المركبات الكيماوية	
(٢١) قدم الانسان	
(٢٢) النشوء	
(٢٣) الراي الخلوي	
(٢٤) ميكروبات الامراض	
(٢٥) المصل في علاج الامراض	
(٢٦) حفظ القوة	

وقد اطلق على القرن التاسع عشر اسم عصر البخار لكثرة ما صُنِع فيهِ من الآلات البخارية وما استفاده الناس منها. ولا يبعد ان يطلق على القرن العشرين اسم عصر الكهربائية حينما يتمكن عقل الانسان من اخضاع كل القوى الطبيعية والقبض عليها بزمام الكهربائية وارسالها من جهة الى اخرى بالاسلاك المعدنية او بالارض نفسها من غير موصل آخر . وقد شرعنا في ذلك من الآن ورأينا في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر المركبات الكبيرة تساق بالكهربائية والمعامل الوسيعة تدار بها . وبها يُقصَر الورق وتتلاف الاقذار وتطبع الكتب وهي اطوع للانسان من كل القوى الطبيعية وانفع منها كلها واقدر منها على ملاشاة عوائق الزمان والمكان . وقد سهل تحويل كل القوى الطبيعية اليها وتحويلها الى غيرها من القوى وارسالها بسرعة البرق . واذا شاع استعمالها لتوليد الحرارة كما تستعمل لتوليد النور وصار الطعام يطبخ بها كما تنار بها المنازل صارت البيوت جنَّات في نظافتها ونقاوة هوائها . واذا عرفنا ميكروبات كل الامراض وطرق الوقاية منها قلَّ فتكها كثيرًا فزاد نمو نوع الانسان وسهل عليهِ تعمير البلاد التي تمنعهُ امراضها من استيطانها الآن

وقد اخذ نوع الانسان في هذا النمو والانتشار منذ اوائل هذا القرن فكان عدد سكان الارض كلها في اولهِ ٦٤٠ مليونًا فصار الآن اكثر من الف وخمس مئة مليون اي مضى عليهم الوف كثيرة من السنين لم يبلغوا فيها سوى ستمئة مليون ثم زادوا في قرن واحد الف مليون . وهذه الزيادة ليست من كثرة المواليد بل من قلة الوفيات بمقاومة الامراض والاوبئة والمجاعات ونشر راية السلام في اكثر المعمور

وقد اتسع نطاق التجارة بازدياد عدد السكان وتسهيل سبل المواصلات فكانت قيمة متاجر الدنيا في اول هذا القرن نحو ٣٠٠ مليون جنيه في السنة وهي الآن نحو خمسة آلاف مليون جنيه اي زادت ستة عشر ضعفًا . وكان مقدار الفحم الذي استخرج من الارض في السنة الاولى من القرن نحو ١١ مليون طن فبلغ في العام الاخير منهُ سبع مئة مليون طن اي زاد نحو سبعين ضعفًا . وكان المستخرج من الحديد في العام الاول منهُ نحو ٤٦٠ الف طن فبلغ في العام الاخير منهُ نحو اربعين مليون طن . وكانت قيمة الذهب المستخرج سنويًّا في اول القرن نحو مليونين ونصف من الجنيهات فصارت في آخره اكثر من ستين مليونًا . وكانت مساحة الارض الزراعية نحو ٣٦٠ مليون فدان فبلغت الآن نحو تسع مئة مليون فدان . وكانت غلة القطن في السنة خمسة ملايين قنطار فبلغت الآن نحو ستين مليون قنطار

ويبقى هذا الفصل ناقصًا اذا لم نشر الى ما حدث فيهِ من التقدُّم العظيم في آلات الحرب

ووسائل الهجوم والدفاع . ولو خُتم القرن التاسع عشر بمؤتمر السلام ولم يختم بالحرب الافريقية والثورة الصينية لقلنا ان اخلاق الناس وآدابهم بلغت من التهذيب والتدميث الحد الذي يتمنّاه محبو الخير العام لكنها لم تبلغ هذا الحد ولا يظهر انهُ تبلغهُ قريباً غير انها سائرة اليهِ رغماً عما يظهر منها آونة بعد اخرى من العود الى الهمجية والبربرية والاعتداء والاغتصاب. ودليلنا على ذلك قلّة قتلى الحروب الحديثة وحسن معاملة الاسرى وشدَّة الاهتمام بالجرحى والابتعاد عن التدمير والتخريب كلما امكنت الفرص. فان حرب الترنسفال هذه التي مرَّ عليها الآن سنة وبضعة اشهر ورحاها دائرة لم يقتل فيها قدر ما كان يقتل في معركة واحدة من المعارك القديمة

هذا وقد نشرنا فصلاً للاستاذ بخنر الالماني في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف قال في خاتمتهِ "ان ابناء القرن المقبل سيعلون علوًّا كبيرًا على ابناء هذا القرن بما يتصل اليهِ العقل البشري والقوَّة البشرية . ومن المحتمل اننا بالنسبة اليهم كما كان ابناء القرن الثامن عشر بالنسبة الينا من حيث ضعف المدارك او عدم بلوغها . وقد يصدق الذين يقولون اننا مع ما بلغناهُ من الارتقاء لا نزال في البداية بعيدين عن الغاية التي يسعى اليها نوع الانسان . ولقد احسن السر اسحق نيوتن حيث شبَّه الناس باطفال على شاطيء يلتقطون من هنا حصاة غريبةً ومن هناك صدفةً ملونة وبحر الحقائق مبسوط امامهم لم تخضهُ اقدامهم . وكل ما يقال عن المستقبل افتراض او احتمال لاننا لا نعلم موضعنا في سلسلة النشوء اي هل نحن في اولها او في وسطها او في آخرها . ذلك محجوب عنا بستار المستقبل فنتركهُ ونلتفت الى امر آخر وهو ان التقدُّم الذي تقدمهُ الانسان في المعرفة والقوة في القرن التاسع عشر لم يعمَّ المطالب الادبية والعقلية والاجتماعية والسياسية فمن المرجح ان تقدُّم القرن العشرين يكون في هذه المطالب اي في التوفيق بين الوجود والعقل لنزع الخلاف ونشر الوئام"

وغنيٌّ عن البيان ان كل ما تقدم من المكتشفات والمخترعات التي وجدت في القرن التاسع عشر قام بهِ الاوربيون والاميركيون لا غير فليس لنا نحن الشرقيين من ذلك كلهِ الاَّ جزءٌ صغير جدًّا في علم الميكروبات اكتشفهُ الاستاذ كتاساتو الياباني. هذا اذا عددنا اليابانيين من الشرقيين ونظن انهم صاروا يأنفون من هذه النسبة الآن . اما ابناء مصر والشام والعراق وكل الممالك العثمانية وكل البلدان الافريقية وفارس والهند والصين وافغانستان وبلوخستان وتركستان فليس لهم ذرَّة تذكر في تقدُّم القرن التاسع عشر. غير ان هذه البلدان اشتركت في فوائد هذا القرن على درجات مختلفة وهو ما سنوضحهُ في الجزء التالي

القمر والتلسكوب الاكبر



وصفنا هذا التلسكوب منذ سنة في الجزء الاول من المجلد الرابع والعشرين الصادر في غرة يناير الماضي نقلاً عن اشهر الجرائد العلمية الاوربية والاميركية ثم رأيناهُ في الصيف الماضي فاذا الوصف منطبق عليهِ تمام الانطباق. وشاهدنا صورة فوتوغرافية كبيرة للقمر صنعت بهِ نجاءَت على حسب المنتظر. وقد رأينا الآن فصلاً في هذا الموضوع في مجلة الستراند الانكليزية للمسيو دلنكل Deloncle الذي لهُ اليد الطولى في عملهِ بل هو مبتدع الرأي بانشائهِ فرأينا ان نعربهُ عنهُ لما فيهِ من الفائدة قال:

اني من الذين يثقون الثقة التامَّة بفائدة المعارض العمومية لترقية نوع الانسان وإحكام ربط الوئام بين افرادهِ وعندي ان البرنس البرت (زوج ملكة الانكليز) وهو اول من بذل الجهد لجمع الناس من كل الامم في هيد بارك (في المعرض الانكليزي الاول) منذ خمسين سنة يستحق ان يُعَدَّ مع اعظم المخترعين والمتفضلين على نوع الانسان. ولذلك فاني لما وقفتُ في مجلس النواب في شهر يوليو سنة ١٨٩٢ وطلبتُ ان نحيي قدوم القرن العشرين بمعرض عام في مدينة باريس فعلتُ ذلك مطاوعةً لاعتقادي الراسخ في نفسي. إلاَّ ان طلبي قوبل بالمقاومة في مجلس النواب وفي البلاد كلها لاسباب مختلفة ولكن الذين قاوموهُ اولاً عادوا فرضوا عنهُ. وكان

الجميع يخافون من ان باريس لا تستطيع ان تنشئ معرضاً يفوق المعرض الذي انشأتهُ سنة ١٨٨٩ لما نالهُ ذلك المعرض من النجاح التام . واعترف الآن علانيةً انني كنت اخاف خوفهم احياناً غير ان خوفي هذا لم يكن من قبيل اتقان المعرض في بنائهِ وتنميقهِ لاني اقول ولا اخشى لومة لائم ان فرنسا تستطيع دائماً ان تفعل ما يروق امم العالم قاطبةً . لكنني قلت في نفسي انهُ لا يكفي ان يكون هذا المعرض بالغاً حد الاتقان من حيث بناؤهُ وتنميقهُ بل يجب ايضاً ان يكون لهُ شأن يذكر في تاريخ الانسان بتقريبهِ ثمار العلم من افهام العامَّة العلم الذي سيقلب هيئة العالم بعد عهد قريب . وخطرت لي خواطر كثيرة من هذا القبيل كنتُ اضرب عنها صفحاً الواحد بعد الآخر لانها ليست مما يمكن اخراجهُ من القوة الى الفعل . ثم زرت مرصد باريس ذات يوم فصممت نيتي على ما يجب عملهُ . فان المسيو لوفي Lœwy مشتغل منذ زمن في هذا المرصد الشهير بعمل اطلس متقن لوجه القمر من صور فوتوغرافية مأخوذة بواسطة النظارة الاستوائية التي فيهِ كما يعلم ذلك الذين يهتمون بهذه المسائل . ولما كان لي مشاركة في علم الفلك وكنت اطالع كتبهُ احيانا على سبيل التسلية كان عمل المسيو لوفي مما يسرُّني بنوع خاص فقلت لهُ لو كان التلسكوب مضاعف ما هو لكانت النتيجة اتم

فقال لا شبهة في ذلك

فقلت ولو كان التلسكوب ثلاثة اضعاف ما هو الان او اربعة اضعاف لكانت النتيجة اتم كثيراً

فقال نعم ولكن هذا التلسكوب لا يُصنع الاَّ بعد سنين كثيرة

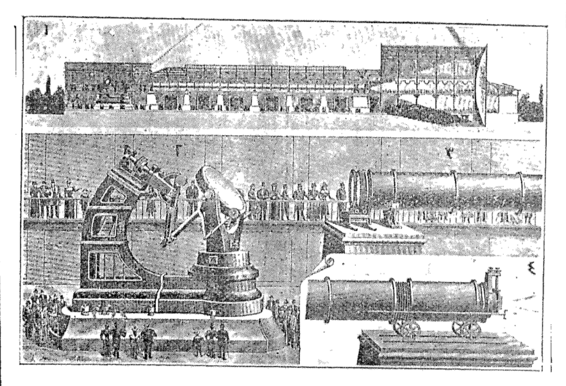
وحينئذٍ صممتُ نيتي على عمل التلسكوب الذي نحن بصددهِ وقلت في نفسي وانا خارج من المرصد لماذا لا اصنع تلسكوباً للعرض يكون اكبر من كل تلسكوب صُنع حتى الآن . تلسكوباً يقرّب اجرام السماء . واي آلة تتسع بها دائرة الادراك اكثر مما تتسع بهذه الآلة

وقبلما وصلتُ الى بيتي كنت قد عزمت على انهُ ان كان الجد والاجتهاد يفعلان شيئاً فهذا الحلم يصير حقيقةً . وللحال رسمت لنفسي الخطة التي يجب ان اسير عليها فوجدت الجمهور راضياً عن هذا المشروع وانتشر بينهم القول ان القمر يصير على متر منّا ! La Lune a un mètre كما ينتشر نور البرق في السماء

إلاَّ ان العلماء لم يرحّبوا بمشروعي كما رحَّب بهِ العامَّة بل قالوا انهُ من الاحلام التي لا يمكن اخراجها من القوة الى الفعل . فازدريت باعتراضاتهم في اول الامر لانني كنت محمولاً على اجنحة الخيال ولكن لما همد ثائر نفسي وجدت ان كثيراً من تلك الاعتراضات في محلهِ . وكل

باب قرعتهُ سمعت منهُ واحداً يقول " يستحيل عمل البلورات التي تطلبها " " يستحيل صقل هذه البلورات اذا كان عملها ممكناً " " يستحيل نصب هذا التلسكوب . ويستحيل ان يرى بهِ شيءٌ اذا امكن نصبهُ " . هذا ما سمعتهُ في باريس ودبلن ونيويورك

اما نحن البرتنيون فاهل عناد اذا قام في نفوسنا اننا في جادَّة الصواب فلا احد يستطيع صرفنا عنها. والموانع تقوي عزمنا على التغلب عليها بتفضيل الموت على الرجوع عمَّا نعتقدهُ صواباً او عمَّا نعدهُ فرضاً واجباً. فما كانت هذه المستحيلات المشار اليها الاَّ لتزيد همتي وتقوي عزيمتي فاثبت فسادها واحداً بعد الآخر



التلسكوب الاكبر (١) التلسكوب وهو موضوع وضعاً افقياً على عضائد متينة في البناء الخاص بهِ في شان ده مارس (٢) السيدروستات وفيهِ المرآة التي تنعكس عنها صورة الجرم السموي الى بلورة التلسكوب (٣) طرف التلسكوب الذي امام مرآة السيدروستات وفيهِ بلورتان مختلفتان يمكن ان توضع الواحدة منهما او الاخرى (٤) الطرف الآخر من التلسكوب الذي فيهِ البلورة العينية وتخرج منها اشعة النور وترسم للجرم السموي صورة مكبرة على ستار كبير موضوع امامها كما ترى في بيت القسم الاعلى من الصورة

وصُنعت البلورات بالحجم الذي طلبتهُ لكنها لم تصقل باليد كما تصقل البلورات دائماً بل بآلة اخترعت لها خاصة. واني مع ما اشتهر بهِ قومي من العناد لم استطع ان اصرَّ على ما يخالفهُ العقل فرأيت ان الذين قالوا باستحالة نصب تلسكوب طولهُ مئتا قدم كما ينصب التلسكوب عادة

مصيبون في قولهم ولذلك حُلَّ هذا المشكل باستخدام السيدروستات الذي اخترعهُ فوكول العالم الطبيعي الشهير وهو مرآة تدار في كل جهة فتنعكس عنها صور الاجرام السموية ولذلك فالذي يُرَى بالتلسكوب هو صور الاجرام لا الاجرام نفسها فيبقى التلسكوب مستقرًّا في مكانهِ وتدار المرآة وحدها

وقد يتعذَّر على المرء ان يتصوَّر مقدار المصاعب الادبية التي لقيتها اما بالمقاومة الفعليَّة او بالاغضاء والاهمال فضلاً عمَّا كان يتولاَّني من القنوط حينما اجد امامي اعتراضاً قويًّا ولا ارى عندي شيئًا انقضهُ بهِ غير اعتقادي الراسخ باني سافوز بالنجاح

واخيرًا تمَّ التلسكوب ووُضع في مكانهِ ولم يبقَ الاَّ ان نجربهُ ونرى فعلهُ. ومن يلوموناعلى ما كنَّا نشعر بهِ من السرور حينئذٍ انا والذين اخذوا بيدي من اول الامر وثبتوا معي الى النهاية كلَّما ابتدع احدٌ شيئًا خالف بهِ المألوف سمع من كثيرين الانباء بفشلهِ وكنتُ اعلم ان نجاحي لا يسرُّ كثيرين كما يسرني . ولم اجهل ان هذا التلسكوب سيوضع حيث لا يصلح وضعهُ فان قربهُ من النهر والغبار الكثير المتصاعد من اقدام مئات الالوف من الناس. وا تجاف الارض من حركة الآلات الكثيرة. وتغير حرارة الهواء وسطعان المصابيح الكهربائية العديدة — كل واحد من هذه الاشياء ونحوها مما لم اذكرهُ لكي لا يملَّ القارئ كافٍ ليجعل ايَّ فلكي كان ييأس من النجاح ولو كان في مرصد مبنيٍّ في اصلح البقاع. لاسيما وانهُ تمضي اشهر وسنين على النظارات الجديدة قبلما تحكَّم التحكيم الواجب في الاماكن التي هواؤُها نقي قليل الحركة . لكن ثقتي لم تفارقني وقد اعدنا حساباتنا مرارًا كثيرة فلم نجد فيها شيئًا مما يخشاهُ الذين كانوا ينتقدون عليَّ

ولما أُعدَّ كل شيءٍ ازيح الجزءِ المتحرك من السقف وانكشفت مرآة السيدروستات امام وجه السماء وكنت واقفًا في الغرفة المظلمة على الجانب الآخر حيث الزجاجة العينيَّة من التلسكوب على مئتي قدم من المرآة انا وثلاثة من اصدقائي وامام التلفون رجل ينتظر اوامري حتى يرسلها بهِ الى الرجل الموكَّل بالاخال التي تدير السيدروستات ومرآتهُ

وكان القمر قد طلع وظهر ببهائهِ في المرآة فقلت للرجل الذي امام التلفون ان يكلّم الرجل الآخر ليدير المرآة الى اليسار ثم الى اليمين وللحال ارتسمت صورة القمر على لوح كبير من الزجاج الخشن حتى ملأَتهُ فوقفنا في قلب باريس نرى صورة سلطان الليل ونحن نظارنا في جبالهِ واوديتهِ وقفارهِ وخرجت ظافرًا

وفي الرابع عشر من اغسطس صوَّر المسيو له مورڤان الفلكي المشهور مساعد المسيو لوڤي مدير

مرصد باريس صوراً فوتوغرافية للقمر بهذا التلسكوب طول الصورة منها قدمان وعرضها قدمان فكلٌّ منها تزيد ضعفين على اكبر صورة صُوّرت للقمر قبل الآن (والصورة المرسومة في صدر هذه المقالة منقولة عن واحدة منها)

ويظهر لي من هذه الصور ما يثبت الرأي الشائع وهو ان القمر جرم من المواد البركانية لا هواء لهُ ولا حياة فيهِ وذلك دليل آخر على ان ناموس النمو والانحلال عامٌ ومثال لما ستصير اليهِ ارضنا بعد ان تمرَّ عليها ملايين اخرى من السنين

والمستقبل وحدهُ يكشف لنا ما سيكشف بهذا التلسكوب ولكن لا شبهة عندي في انهُ سيزيد ما نعرفهُ من امر العوالم المحيطة بنا . وقد سررت لاني ادنيت الى افهام العامة قطوف هذا العلم الجليل الذي هو اقدم العلوم واوسعها نطاقاً . انتهى

من الهند الى المريخ

ألف المسيو فلورنوى استاذ علم النفس في مدرسة جنيفا الجامعة كتاباً سمّاهُ "من الهند الى المريخ" ذكر فيهِ اموراً من اغرب الافعال الدماغية المنعكسة اي التي تحدث وليس لارادة الانسان تسلّط عليها . وموضوع الكتاب هذه الافعال كما تظهر في امرأة من اهالي جنيفا بسويسرا عمرها نحو ثلاثين سنة عصبية المزاج شديدة الشعور تكثر التفكُّر والتخيُّل وبها ميل شديد الى الذهول والهذيان والتيه في عالم الوهم والخيال

ولبعض الاوربيين اعتقاد بمناجاة الارواح فيجتمعون لهذه الغاية ويزعمون انهم يستحضرونها فتحضر وتكلمهم بقرع الابواب والموائد ونحوها. فجعلت هذه المرأة تجتمع معهم لهذه الغاية وواظبت على ذلك فقوي فيها الميل الى الذهول وصارت تغيب عن نفسها احياناً وتتكلَّم وهي غائبة كأنها شخص آخر غير شخصها . قال الاستاذ فلورنوى في كتابهِ انها تصير في احدى هذه النوَب ماري انطونت ملكة فرنسا فتتغيَّر هيئتها وتصير تشير وتتكلم كأنها تلك الملكة نفسها ويحضر عليها وهي في هذه الحالة كاجليوسترو عشيق ماري انطونت فيكلمها ويخبرها باخبار عالم الغيب ويجعلها تكتب وتصوّر ما يأمرها بهِ . اي انها تتصوَّر وجود هذا الرجل امامها وتتكلَّم وتفعل كأنها تسمع كلامهُ وتطيع اوامرهُ ثم اذا استيقظت وعادت الى حالتها العادية لم تتذكر شيئاً مما جرى لها ولا مما قالتهُ وفعلتهُ

قال "وفي نوبة اخرى من النوب التي تعتريها او الادوار التي تمرُّ عليها تتكلم كأنها انتقلت

الى المريخ فتصير تصف ما تراهُ فيهِ من المناظر وتتكلم بلغة اهلهِ وتكتب ما تزعم انهُ خطهم
وفي نوبة ثالثة تصير احدى اميرات الهند اللواتي عشنَ في غرة القرن الخامس عشر واسمها سمنديني فتخبر عن حالها وعن الذين حولها من اهالي الهند وتقول ان اسم زوجها سقروكا وانهُ ملك على قنارة وهو الذي بنى قلعة تشاندره غويري سنة ١٤٠١ للميلاد. وتصف حالة الهند في ذلك العصر. وتتكلم حينئذٍ لغةً تشبه السنسكريت لغة الهنود القديمة وتكتب خطًّا يشبه خطها مع انها لا تعرف في يقظتها غير الفرنسوية. ومن الغريب ان الوصف الذي تصف الهند بهِ حقيقي ينطبق على حالها في ذلك العصر والاسماء التي تذكرها ليست وهمية بل حقيقية واردة في تاريخ قديم ألفهُ المسيو ده مارله سنة ١٨٢٨ وهي لم ترَ هذا الكتاب قط لانهُ نادر جدًّا غالي الثمن وليس في جنيفا كلها نسخة منهُ" . انتهى

وهذه المرأة فقيرة الحال تخدم في مخزن النهار كلهُ لتكتسب ما يقوم بمعيشتها ولما انتشر كتاب الاستاذ فلورنوى ذاع بهِ اسمها فقصدها كثيرون من البلدان الاوربية والاميركية للوقوف على حقيقة امرها فلم تقابل الاَّ قليلين منهم لان غيبوبتها ومرورها على الادوار المتقدم ذكرها يتعبانها كثيرًا فتفيق من الغيبوبة منهوكة القوى غير قادرة على عمل من الاعمال. ولما رأى هؤُلاء ما هي فيهِ من فقر الحال عرضوا عليها الاموال فلم تقبل شيئًا منها

واتفق ان سيدة شريفة من معارفي كانت في جنيفا لما كنت فيها في الصيف الماضي فاهتمَّت بامرها ولما رأَت ما هي فيهِ من الضيق واضطرارها الى الاشتغال النهار كلهُ لتحصيل معيشتها اقنعتها بالانقطاع عن هذا العمل وقطعت لها مالاً يكفي لمعيشتها و بواسطتها تعرَّفت بها وكان ذلك في اليوم الاخير من قيامي في جنيفا فسأَلتها عما اذا كانت تشعر في يقظتها بشيءٍ مما تشعر بهِ او تفعلهُ وهي في غيبوبتها فقالت كلاَّ وانما يقصُّون عليَّ حينما استيقظ ما قلتهُ ومافعلتهُ وانا في حالة الغيبة فيأْخذني العجب واكاد لا اصدقهم لولا اقتناعي بانهم قوم صادقون لا غرض لهم من الكذب عليَّ . فقلت لها وهل تشعرين بشيءٍ غير عادي عند استيقاظك فقالت نعم اشعر بضعف شديد جسمًا وعقلاً فانطرح على فراشي لا استطيع الحراك. فقلت لها ماذا كنت تفعلين حتى تصيبكِ هذه النوَب. فقالت ان الاستاذ فلورنوى كان ينومني اولاً بالاستهواء اما الآن فانام او اغيب عن صوابي كلما جلستُ مع بعض الناس في مكان مظلم وصمتنا مدة عن الكلام وابطلنا الحركة. فقلت لها هل هذه النوَب آخذة في الشدة او هي آخذة في الضعف فقالت انها تقوى عليَّ اذا غبت مرة كل يومين او ثلاثة واما اذا انقطعتَ عن الغيبوبة مدة ضعف فعلها. فقلت لها وهل تعتقدين بصحة شيءٍ مما يبدو منكِ اي هل تظهر فيكِ تارة

نفس ماري انطونت وتارة نفس اميرة من اميرات الهند . فصمتت برهة ثم قالت وهي شاخصة الى الفضاء " لا ادري ولا اريد ان ادري فان هذه الحالة تتعبني جداً واريد التخلص منها كاها"

وهي طويلة القامة مملوءة الجسم سمراء اللون سوداء الشعر عيناها كبيرتان شاخصتان في أكثر الاحيان كأنها تفكر في امور عويصة قليلة الكلام قليلة الاشارات تلبس لبساً ساذجاً جداً

اما الاستاذ فلورنوى فشاهدتهُ في باريس في مؤتمر العلوم النفسية وهو حذور جداً في كلامهِ يذكر ما رآهُ من هذه المرأة ويقف عندهُ اي انهُ لا يدَّعي تعليلهُ بتقمص الارواح ولا بحلولها ولا بغير ذلك نجيب صروف

الجغرافية عند المغاربة

بعد ان قدمت الكلام على الجغرافية عند اهل المشرق رأيت من اللازم ان المَّ بالجغرافية عند اهل المغرب وبحسن خدمتهم لها وسعيهم في ارتقائها وانا موقن بان هذا الموضوع مفروغ عنهُ ولكن ذكر من خدم العلم امر يحتم على الذمم قضاؤُهُ ولا بأس بتكرار الحسنات ما دام المكرَّر احلى

قال الجغرافي كورتامير الشهير . الظاهر ان علم الجغرافية نشأ في مصر فقد روي ان (سزوستريس) كان لهُ فهرس رسمت فيهِ الطرق والاراضي والبحار لتتخذ بمثابة دليل لعامة السياح والجيوش . ومنذ اعصر متطاولة صُنع تقويم املاك القطر المصري الذي هو عبارة عن وصف مدقق للاراضي المسجلة على مدارج وطوامير

ولقد رسم العبرانيون وهم تلامذة المصريين في العلوم مصوَّر بلاد كنعان لما انتهوا الى هذه الارض الموعودة. ولا شك ان الفينيقيين والقرطاجنيين وهم شعوب بحارة كانوا ذوي معرفة بعلم الجغرافية . وبلغت سياحة حانون القرطاجني الساحلية حوالي جزء من قارة افريقية مبلغاً عظيماً من الاشتهار بين الرحلات . ولعلَّ الفينيقيين الذين بعث بهم نيخاو ملك مصر هم اول من طاف حول افريقية في القرن التاسع قبل المسيح. وكان اليونان في الاعصر الخرافية يهتمون بالجغرافية للسياحات التي شرع بها ابطالهم لاغتنام جزة الكبش والغالب ان هذا الحملة سارت الى البحر الاسود . وفي سنة ٦٣٩ ق . م حملت الرياح الشرقية كولوس بالرغم عنهُ وقذفت بهِ من جزيرة ساموس الى تارتس عند مصب نهر كاد الكيفير اعظم انهار اسبانيا وهو اول داخل من هذه الامة الى ما وراء الجبلين اللذين في فم جبل طارق ذاك المضيق الذي سبق الفينيقيون والقرطاجنيون فاجتازوهُ من عهد عهيد

وصنع هيكاته تلميذ فيثاغورس جغرافية للمشرق وكذلك ادخل انا كسيماندر تلميذ تالس الى وطنهِ استعمال المصورات الجغرافية وهكذا عمل سيلاكس نحو سنة ٥٠٠ ق . م جغرافية البحر الهندي . وكان لارسطوطاليس الذي الف نبذة على العالم رأيٌ سديد في شكل الارض ووصف اقسام الكرة المعروفة لعهدهِ . وكان المهندسون يرافقون الاسكندر المقدونيّ في غزواتهِ وكلما توغل هذا الفاتح العظيم في قارّة آسيا يرسمون مصوّر الاماكن النازل بها فقد وصف نيارك رئيس اسطولهِ شواطئ بلاد فارس وطرفاً من ديار الهند ونظم ديسيارك احد صغار الجغرافيين اليونانيين شعراً في وصف بلاد اليونان في القرن الرابع قبل المسيح

وساح بيتياس المرسيليّ اذ ذاك سياحات كبرى في اطراف الشمال الغربي من اوربا وفي عُرض البحر المتوسط والبحر الاسود . وشرع اودوكس بترقية الجغرافية الفلكية في القرن الرابع. وفي القرن الثالث رسم ايراتوستين جدولاً تامًّا اتى فيهِ على ما عرف من الجغرافية لعهدهِ . ووضع هيبارخس في القرن التالي قواعد جغرافية واضحة الاسلوب . وزار اودوكس السيزيكي اصقاع الهند والشواطئ الشرقية من بلاد الحبشة وجميع البحر المتوسط وميناء قادش ويخمنون انهُ طاف حول قارة افريقية . وبوسائط متقنة عرف بوزيدونيوس حجم الارض

وكان المؤرخون اليونانيون امثال هيرودتس في القرن الخامس ق . م وتوسيديدس وزنوفون في القرن الرابع وبوليبس في القرن الثاني علماء في الجغرافية . ومزج الشاعران اليونانيان هوميروس وازيودس اوصافاً جغرافية في تصوراتهما الشعرية ملئت سداداً وحكمة. وانهُ لتصح تسمية العصر اللاتيني بآخر جزء من تاريخ الاعمال الجغرافية عند القدماء لان الرومانيين كانوا في هذا العصر باسطي ايديهم على كل ما عُرف من البسيطة تقريباً

وترى كذلك لذاك العهد بلينوس الذي صنع اعظم جريدة جغرافية قديمة وان عشر عشرات تكاد تكون شائنة . وكتب سترابون وبطليموس جغرافية باللغة اليونانية وهما من اعظم المدققين واصحاب البصائر بين قدماء الجغرافيين . واشتهر بومبونيوس ملا بطلاوة اوصافهِ . ووصف بوزانياس بلاد اليونان وصفاً طوبوغرافيًّا مهمًّا . والف مارين من مدينة صور مصنفاً جغرافيًّا تامًّا انتابتهُ ايدي الضياع . وانشأ اغريبا وصفاً لمملكة الرومان الواسعة وصنع مصوّراً مشهوراً . ووضع امين مارسلين في القرن الرابع مبادئ واضحة على مركز الشعوب الجرمانية والسارماسية الاولى يعزي اليهم تأسيس جماع الممالك الاوربية الحديثة . ويمثل دليل انطونين المنسوب للامبراطور المعروف بهذا الاسم صورة ثمينة لمساوف الاماكن في كل اراضي المملكة . ومن اكبر المصوّرات واعجب فهارس الادلة التي لم يعرف تاريخها معرفة حقيقية ذاك المصوّر

المعروف باسم بوتينجر احد علماء الالمان وهو الذي عثر عليهِ نحو عام ١٥٠٠ واطلق عليهِ اسم الجدول التيودوسي لما ان تاريخهُ يُرَدُّ الى الامبراطور تيودوسيوس

وفي القرن الرابع خلَّف احد مسيحيي مدينة بوردو دليلاً مشتهرًا من هذه المدينة الى البيت المقدس . وقد عثر عام ١٨٥٢ على ثلاث اوانٍ من الفضة حُفر عليها دليل من قادش الى رومة في اواخر المملكة الرومانية وذلك في حمامات فيكارللو على مقربة من مدينة رومة . وابقى اتيوس في القرن الخامس معلومات جغرافية مهمة . وكذلك قُل عن موسى دو خورن فقد فصل غربي آسيا تفصيلاً جغرافيًا غاية في الابداع

وفي القرن السادس الف اتين دو بيزانس معجمًا جغرافيًا . ووصف كوسماس جانبًا من الهند وصفًا مدققًا غير انهُ وضع لشكل الارض طريقة من اغرب الطرق . ولاحظ بروكوب عدة ملاحظات على الشعوب المجاورة للبحر الاسود والقوقاز

وبُعَيد ذلك غادر فن الجغرافية ربوع الامم المسيحية واقسم ان لا يمارس زمنًا طويلاً الاّ عند العرب فقد ساعد الخليفة هرون الرشيد والخليفة المأمون على ترقية هذا الفن . فنشر ابن حوقل في القرن العاشر مصنفًا جغرافيًا كبيرًا والمقدسيّ او ابن البنا هو من جلة علماء الجغرافية في هذا القرن ايضًا لكن الادريسيّ الملقب بجغرافيّ نوبية ذهب بفضل الشهرة واستأثر بها دونهُ. ثم انهُ توطن صقلية في القرن الثاني عشر فصنع للملك روجر الثاني وصفًا للعالم اشتهر شهرة الشمس والقمر ووصف البسيطة في كرتهِ الارضية المسطحة كأنها محاطة من شرقها الى غربها ببحر الظلمات الذي سماهُ بحر القطران وسمى البحر الابيض المتوسط بحر الشام وارض الشام وهذا الجزء من الارض شغل تقريبًا وسط مصوَّرهِ وشمل ايضًا غربيّ آسيا

ورسم على التخوم الشمالية في هذا الجزء من العالم مملكة يأجوج ومأجوج وجبل كوكوجا او القوقاز او جبال اورال وفي الشرق التبت والصين وفي الجنوب الهند واليمن وعمان من بلاد العرب وذهب الى ان البحر الاخضر هو الخليج الفارسيّ ودعا البحر الاحمر ببحر القلزم وبحر الخزر ببحر الكرج ولم يذكر من قارة اوربا الاّ روسيا وجرمانيا والاندلس وايطاليا ومقدونيا ومدَّ قارة افريقية الى الجنوب الشرقي ووصلها ببلاد واق الواق ومدغسكر ورسم في شمالها مصر وتونس وفي داخليتهما جبال القمر تنفجر منها ينابيع نيل مصر وفي الغرب نيل الزنوج (النيجر) الذي يصب في البحر الغربي

اما ابو الفدا صاحب حماة في سورية وابن بطوطة العالم الرحالة في آسيا وافريقية فهما ايضًا من مشاهير ارباب الجغرافية جاءا بعد الادريسيّ

ومع هذا فقد عاد فن الجغرافية فنشأ في اوربا فاكتشف النروجيون في القرن التاسع ايزلاندة نحو الشمال واكتشف الايزلانديون غريلاندة وحوالي القرن العاشر كشفت فينلاندة وفي القرن نفسهِ وصف قسطنطين بورفيروجينت امبراطور الشرق الشعوب والممالك المتاخمة لمملكتهِ وصفاً مشبعاً . وفي القرن الثالث عشر زار بنيامين الطليطلي آسيا . ورحل كل من بلان دوكاربين وروبريكس واسلين الى بلاد التتار واسفارهم غريبة في بابها. وكان من اعظم روّاد هذا القرن ماركو بولو البندقيّ فانهُ اول من طاف الصين وقال بوجود اليابان . وفي عام ١٣٠٢ اتقن جيوجا دامالفي صورة الابرة المغنطيسية المعروفة لذلك العهد القليلة الاستعمال اتقاناً فاق بهِ من تقدمهُ ونشر استعمال هذه الآلة الثمينة التي ساعدت كثيراً على نجاح فن الجغرافية

وساح ماندافيل الانكليزي سياحات مفيدة في الشرق دامت منذ عام ١٣٢٢ الى ١٣٥٦ . وساح بالدانسان الالماني سياحة شهيرة في الارض المقدسة عام ١٣٣٤ . وتتبع في هذا القرن شيلدبرجر من مدينة مونيخ خطوات تيمورلنك في غزواتهِ . وبلغ بودوين بوكولسي حتى مدينة بكين وزار اودريك دوبورتنو الايطاليّ بلاد الهند والصين . واحرز البنادقة والكتلانيون والجنويون اعظم ذكر في الاعمال الجغرافية في القران الرابع عشر والخامس عشر . ووضع الكتلانيون مصوّرات لسير الملاحين في البحر واشهر المصورات التي صنعها الكتلانيون هي التي صورت نحو سنة ١٣٧٥ وهي محفوظة في خزانة كتب الامة بباريس . وبلغ الجنويون جزائر كناريا عام ١٣٤١ . وساح الاخوان زيني في جزائر فارير وغرينلاندة وغيرها من الاقطار القاصية في الشمال. ويظهر ان الكتلانيين قطعوا رأس بوجادور سنة ١٣٤٦ وان الديبواپين وصلوا الى غينة منذ عام ١٣٦٤

ويؤخذ من الكتب الخطية التي عثر عليها اليوم في مدينة جين الايطالية ان ملاحين جنويين انتهى بها امد السفر الى السينيغال منذ القرن الثالث عشر . وفي القرن الخامس عشر بدأت الابحاث المعجبة من اكتشافات البرتغاليين وفتوحاتهم فوصلوا الى جزائر ماديرا عام ١٤١٩ والى الآسور عام ١٤٣٢ واجتازوا رأس بوجادور عام ١٤٣٣ وقد كان يعتبر لذلك العهد اقصى حدود الدنيا على الجملة. ورأوا الرأس الاخضر عام ١٤٤٤ ووفدوا على جزائر كناريا عام ١٤٤٦ غير ان رجلاً افرنسياً اسمهُ بيتانكور كان قد افتتحها من قبل عام ١٤٠٢ باسم ملك كاستيل . ولا تنسَ في هذا القرن ايضاً رحلات كيلبر دولانوى وبريدانباش الى الاراضي المقدسة ورحلات كلافيجو المنفذ من قبل البلاط الاسباني الى بلاط سمرقند

واليك إجمالاً لما كانت عليهِ المعارف الجغرافية في النصف الاول من القرن الخامس عشر اعني في غاية القرون المتوسطة فقد كانت قارّة اوربا معروفة كلها تقريباً ما خلا الشمال الشرقي حيثما كانت الظلمة رانعة قبابها بعدُ على الصقع الواقع شرقيّ البحر الابيض وشماليّ قبائل الكابتشاك

وكان يعرف عن قارّة آسيا التي كادت تكون مملكة المغول مستغرقة اياها برمتها كثيرٌ من المعلومات التقريبية خصوصاً ما يتعلق بالغرب والجنوب والشرق الى حدود الصين. والناس وقتئذٍ موقنون بوجود اليابان لكن لم تكن قدم احد لتطأها. وقصارى القول لم تكن تعرف آسيا الشمالية اعني سيبيريا الحالية لذلك كان يطلق عليها اسم بلاد الظلمات

ولم يعرف في افريقية ما يقر عليهِ الخاطر لا من جنوب خط الاستواء ولا من غرب دائرة نصف النهار في جزائر كناريا

اما قارّة اميركا فقد كانت ايزلاندة وغرينلاندة وفينلاندة مستعمرةً بجماعة من السكندناويين ولكن دون ان يعلم انهم احتلوا جزءًا من الدنيا الجديدة الواسعة التي كشفها كولمبس فيما بعد. ولسوء البخت انفصلت مستعمرات غرينلاندة وفينلاندة المهمة عن ام المستعمرات وانتهت الحال بان تنوسي امرها بتة في اوربا حتى كأنها اكتشفت اكتشافًا جديدًا في القرون التالية

ومن اشهر الآثار التي اعانت المعارف الجغرافية في ثلاث فرص شهيرة في ذلك القرن مصورُ نصف الكرة لصاحبهِ فرامورو في اواسط القرن وكرة مارتين بهيم عام ١٤٩٢ قبيل ان يكتشف كولمبس قارة اميركا ومصور نصف الكرة لصانعهِ جوان دولا كوزا ملاح كولمبس وهو الذي فرغ من رسمهِ عام ١٥٠٠.

وافتتح النصف الاخير من القرن الخامس عشر الاجيال الحديثة باكتشاف جنوبي افريقية واميركا واكتشاف البرتغاليين لجزائر الرأس الاخضر عام ١٤٥٠ و ١٤٥٦ وفي عام ١٤٦٢ انتهوا الى شاطيء غينة الاعلى وفي عام ١٤٨٤ الى مصب نهر الزايير. وسنة ١٤٨٦ وصل احد سياحهم بارتلي دياز الى رأس الزوابع المشتهر فيما بعد باسم رأس الرجاء الصالح. واجتاز المدعو فاسكو دوغاما هذا الرأس عام ١٤٩٦ كيما يجد طريقًا الى الهند من المضيق الجنوبيّ في افريقية ويكشف لاوربا جميع الشاطيء الجنوبي الشرقي من هذه الجزر من اطراف المعمور

وسنة ١٤٩٢ اكتشف خريستوف كولمبس الجنوي على مراكب اسبانية طرفًا من جزائر الارخبيل فدعيت باسم لوكاي وكوبا وهايتي وقد أُلقي في قلب هذا الرجل العظيم ان الارض مدورة الشكل واقتنع بانهُ كلما تقدم الى الغرب يصل الى آسيا الشرقية وكان يذهب الى ان قارّة آسيا ممتدة الى الشرق اكثر مما هي عليهِ حقيقة وان بلاد اليابان ابعد عن آسيا مما هي عليهِ

يعني انهُ لما وصل الى الجزائر الاميركية تراءى لهُ انهُ صار الى اراضٍ مستقلة عن الهند الاسيوية فمن ثم اطلق عليها هذا الاسم الاخير الذي انقلب حالاً الى الهند الغربية . اما اسم ارخبيل او انتيل فقد جاءها مما كانوا يذهبون اليهِ من انهُ يوجد في هذه الجزائر ارض يابسة من انتيليا وبعضهم يعين مركزها غربي آسور وهو رأي مبهم للغاية انتشر في القرون المتوسطة .

واختلف كولمبس الى اميركا ثلاث مرات وفي الثانية التي جرت سنة ١٤٩٣ رأى اغلب جزيرات الارخبيل واكتشف في الثالثة عام ١٤٩٨ برَّ اميركا الجنوبية فسار على شاطئها الشمالي منذ مصب نهر الاورينوك الى كاركاس ودعاها مملكة الارض الثابتة وفي سياحتهِ الرابعة عام ١٥٠٢ احكم معرفة الشاطئ الشمالي من اميركا الجنوبية حتى خليج دارين

اما يوحنا كابوت وابنهُ سباستين اللذان كانا متعلقين بخدمة انكلترا فقد وصلا اول الناس الى البر الجديد عام ١٤٩٤ وعرجا على ايكوسا الحديثة ولابرادور والارض الجديدة . ويزعمون ان امريك او البيريك اولمبيريك فسبوس الفلورنسي قد افضى الى الشاطئ الشرقي من اميركا عام ١٤٩٧ ورحل عدة رحلات عام ١٤٩٩ وتوابعها ففاز بالمجد وحاز الفخار بان لُقِّب العالم الجديد باسمهُ . وقد قام طابع الماني واسمهُ فالتزمولر عام ١٥٠٧ بان نشر قصة سياحات امريك فسبوس المشار اليهِ وكذلك قطع فنسان بينزون خط الاستواء من ناحية اميركا وبحرها الاتلانتيكي عام ١٤٩٩

وازمع كابرال الشخوص الى رأس الرجاء الصالح فقذفت بهِ الرياح والتيارات الى الشاطئ الشرقي من اميركا وانتهت بهِ عام ١٥٠٠ الى البرازيل وهكذا كانت اميركا تكتشف عرضاً بلا تعمُّل ايَّان لم يكتشفها كولمبس

وكان القرن السادس عشر عصراً كبرت فيهِ دائرة الجغرافية كبراً مفرطاً ففي عام ١٥٠١ وصل كورتيرال الى لابرادور وفي عام ١٥٠٣ ظهر ان بوليه دوكونفيل بلغ في طوافهِ جنوبي البحر الاتلانتيكي الى المنطقة الجنوبية وفي خلال تلك المدة جاز سوليس الى ريود ولابلاتا . وفي سنة ١٥١٢ اكتشف يونس دوليون مملكة فلوريدا . وفي سنة ١٥١٣ عرف نيونز دوبالبوا بوجود برزخ باناما وشهد اول الشاهدين الاوقيانوس الكبير الذي دعاه باسم بحر الجنوب . وتوفق كورتز الى اخضاع بلاد المكسيك عام ١٥١٩ . واكتشف بيزارن عام ١٥١٦ الى ١٥٢٤ مقاطعة بيرو وتوفر على افتتاحها وتسخيرها وكان احد رفاقهِ في تلك الرحلة اورللانا اول من نزل الى نهر الامازون. وفي عام ١٥٢٠ قام ماجلان واكتشف المضيق الذي سماهُ باسمهِ بين ارض النار والطرف الجنوبي من اميركا ودخل في المحيط الكبير ودعاهُ بالاوقيانوس

الباسيفيكي اي الهادىء لكنهُ قضى نحبهُ في جزائر فيلبين عام ١٥٢١ . ورجعت عام ١٥٢٢ الى اسبانيا السفينة التي تولى قيادتها فيما بعد كانوا الذي اجتاز رأس الرجاء الصالح وعلى هذا قامت الاولى بطواف العالم بحرًا وقد قص بيكافيتا الذي كان مرافقًا للحملة قصتها بايضاح جلي

وفي عام ١٥٣٤ توغل يعقوب كارتيه الفرنساوي في كندا بطريق نهر سنت لورانس واستولى عليها باسم فرنسيس الاول . واستقرى فيرازانور البحريّ الفلورنسي الذي كان في خدمة هذا الملك الشواطىء الاميركية ورأس الارض الجديدة. وفي هذه الغضون من القرن السادس عشر شرع تريستان داكونها وفرنسيس ولوران دالميدا والبوكرك في مواصلة الحملات البرتغالية حوالي افريقية الجنوبية والهند مواصلة آلت الى احسن النتائج. ووصل بدرو داندرادا وفرناندوبريز الى الصين عن طريق البحر . وقام ايضًا اناسٌ من البرتغاليين وزاروا جزائر الملوك وغينة الجديدة ولعلهم انتهوا الى استراليا ووصلوا عام ١٥٤٣ الى اليابان

وبعد قليل من الزمن انخرط الانكليز في سلك الاكتشافات واخذوا يستوفون حظهم منها فان ولوبي عام ١٥٥٣ وبرو عام ١٥٥٦ طافا البحر المتجمد الشمالي في اوربا وما كان اقصى غايتهما من وراء هذا الطواف الا التنقيب عن منفذ يؤدي الى الشمال الشرقي من العالم الجديد. وتوغل فروبشر منذ عام ١٥٦٧ الى ١٥٧٨ ودافيس عام ١٥٨٥ في الاطراف الشمالية من البحر الاتلانتيكي . وارتاد دارك في الشمال الشرقي من اميركا الشواطىء الغربية من هذه القارّة وذلك منذ عام ١٥٧٧ الى ١٥٨٠ وساح مرة ثانية في العالم ومشى على اثره كافانديش. وفي عام ١٥٨٤ اسس ربلي مستعمرة فيرجيني. وقام قبيل ذلك احد رجال الفرنسيس المدعو ريبول واسس مستعمرات الكارولين

وحاز الهولانديون ايضًا نصيبهم من الدخول في غمار تلك الحركة التي قامت على ساقها لاكتشاف الكرة في اواخر القرن السادس عشر فزار بارنتس ودوفير البحر المتجمد الشمالي وشاهدا جزائر اسبتزبرج وجزيرتي زامبل الجديدة . وقام نورت عام ١٥٩٨ وتوابعها بسياحة حول الارض متبعًا في ذلك الخطة التي جرى عليها ماجلاّن

وفي نحو القرن السادس عشر طاف الاسبانيان ماندانا وكيروس البحر المحيط الباسيفيكي وسنة ١٥٨٠ اكتشف القوزاقيّ ايرماك قطعة سبيريا وافتتحها باسم الدولة الروسية

وفي القرن السابع عشر فاز الهولانديون خاصة بعدة اكتشافات جميلة وانشاء المستعمرات الشاسعة وافضى بهم المسير سنة ١٦٠٦ وتوابعها الى هولاندة الجديدة . وسنة ١٦١٠ وجد يوحنا ماين في البحر المتجمد الشمالي الجزيرة المعروفة باسمهِ . وسنة ١٦٢٦ اكتشف كل من

شوتن ولومير رأس هورن واجتازا المحيط الكبير. وسنة ١٦٤٢ جاب هابيل تاسمان جزءا عظيماً من شواطىء هولاندة الجديدة ورأى ارض ديامان او تاسماني وزيلاندة الجديدة

واكتشف الانكليزيان هدسن وبفن عام ١٦١٠ وتوابعها البحار التي في شمالي اميركا المدعوة باسميهما وساح وطنيهما دمبير ثلاث سياحات حول العالم. وفي خلال هذا القرن زار بلاد فارس والهند وبلاد الاتراك في آسيا كل من تفنوت وشاردين وتافرنيه وتورنفور من امة الفرنسيس وزار بايكوف الروسي مدينة بكين عام ١٦٥٤. وذهب كامبفر الى اليابان عام ١٦٨٣

وفي القرن الثامن عشر زادت الحملات حول الارض زيادة خاصة فكانت رحلة روجوين عام ١٧٠١ وانسون عام ١٧٤٠ وبيرون سنة ١٧٦٥ ووليس وكارتريت سنة ١٧٦٦ وبوجنفيل سنة ١٧٦٨ وكوك من سنة ١٧٦٨ الى ١٧٧٩. واهم الرحلات كلها رحلة فورنو عام ١٧٧٣ وبيروز وانتركستو من سنة ١٧٨٥ الى ١٧٩١ وفانكوفر سنة ١٧٩٠ ومارشان سنة ١٧٩١ وباس وفلندرس طافا تاسمانيا سنة ١٧٩٨. واكتشف بيرنغ سنة ١٧٢٨ المضيق الذي عرف باسمهِ. وطاف كرجولان سنة ١٧٧١ البحار الجنوبية فوجد الارض التي لقبت باسمهِ

ويمكنك ان تعد في مصاف السياحات في داخلية الارض رحلة الاب كوبيل وغيره من المرسلين الفرنساوية الى مملكة الصين اوائل القرن وسياحة لاكوندامين وبوركير الى اميركا الجنوبية سنة ١٧٣٦ وسياحة ادانسون الى السينيغال ورحلات لجانتيل الى الهند ونيبوهر الى بلاد العرب و بالاس الى سبيريا وتونبرغ الى اليابان وفولني ولوشفاليه الى غربي آسيا ونوردن الى مصر وبروس الى الحبشة ومنبع النيل الازرق. وكذلك رحلات دوكين وماركتي الى الصين وبرون ومنكوپارك وهورنمان الى داخلية افريقية. وكان للحملة الفرنسوية الى مصر عام ١٧٩٨ اوفر نصيب من الاشتهار وسياحة ماكنزي في شمالي اميركا والسياحة التي شرع بها همبولت عام ١٧٩٩ الى اميركا. انتهى

هذا ما ترجمته عن مقال العالم الافرنسي وهنا جاء علي فصل ضافٍ عدَّد فيهِ الرحلات البريَّة والبحريَّة والاكتشافات الداخليَّة والخارجيَّة التي توفق اليها رجال الفرنجة في القرن التاسع عشر بحيث لم تبقَ فيهِ مدينة ولا كورة ولا قرية بل ولا جبل او مضيق او واد او نهر الاَّ وعرفت بما تهيأ من اجلها في البلاد المتمدنة من الجرائد والنوادي والمؤتمرات والاعتمادات التي تتكبدها حكومات الغرب تنشيطاً لمن يقرون البلاد ويبحثون في احوال العباد وخدمة للانسانية والمدنية. فسبحان من رغَّب اهل الغرب في كل مفيد ورغَّب اهل الشرق عن كل طريف وتليد

محمد كرد علي

الحيوان المزهر والنبات المفترس

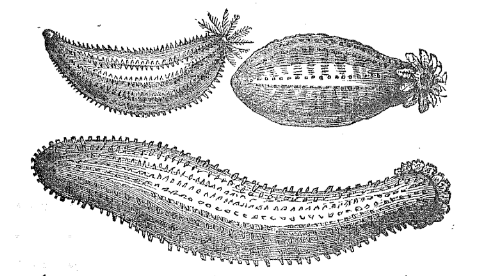
الافتراس للحيوان فهو الذي يسعى في طلب رزقهِ ولا يكتفي بما تنبت الارض من نباتها وتنضج من ثمارها بل يعتدي كبيرهُ على صغيرهِ وقويُّهُ على ضعيفهِ وقد يعتدي الصغير على الكبير والضعيف على القوي فيفترس احدهُ الآخر افتراساً. ولا تعرف انواعهُ شفقة ولا حناناً فترى الهرَّ يأكل اجراءهُ وصغار العناكب تأكل امّاتها والهوام تلصق بابدان الدواب وتمتصُّ دمها وكلٌّ يسعى في شأنهِ . واما النبات فتنشب جذورهُ في الارض ويستقرُّ فيها ويكتفي بما تمتصهُ جذورهُ من عناصرها وبما تتناولهُ اوراقهُ من الهواء الذي حولهُ وهو لا يعيش عيشة الزاهد المكتفي بالقليل بل يعتدي على ما حولهُ من النبات ويناظرهُ في التهام الغذاء لكنهُ يفعل ذلك مستقرًّا في مكانهِ غير ساعٍ في طلب رزقهِ

وكان المظنون ان بين الحيوان والنبات حدًّا فاصلاً من هذا القبيل لا يتعدّاهُ الحيوان فيستقر ويغتذي من الجماد ولا يتعدّاهُ النبات فيسعى ويفترس الحيوان. لكن ظهر لدى امعان النظر ان الاحياء الارضية سلسلة متصلة الحلق وقد نقض البحث والاستقراء الحدود القديمة وكشفا عن نباتات خالية من الجذور او من الاوراق او من الجذور والاوراق معًا تلصق بغيرها من النبات وتغتذي بهِ ونباتات اخرى تسعى سعي الحيوان وتنتقل من مكان الى آخر بل تفترس الحيوان افتراساً وعن حيوانات تلصق في مكانها كالنبات وتغتذي مثلهُ مما يصل اليها لا مما تسعى لهُ . ومن هذه الحيوانات ما يتفرَّع مثل النبات ويزهر مثلهُ من ذلك الحيوانات المعروفة بشقائق البحر وهي تزري بشقائق النعمان لوناً وبهاء مقامها في البحر تلصق بالصخور قرب الشاطىء في الاماكن القليلة التعرض للامواج. جسمها انبوب جلدي القوام قاعدتهُ واسعة لتتمكن بالصخر الذي تلصق بهِ ورأسها متفرّش كزهر الاقحوان او الشقيق او نحوها من الازهار المنبسطة وفمها في وسط هذا الرأس وهي مختلفة الالوان بعضها برتقالي ورأسهُ قرنفلي وبعضها اصفر مموش وشعر رأسهِ ابيض وبعضها مرقط او مخطط بالاحمر والابيض وشعر رأسهِ اصفر او احمر وبعضها يحيط بساقهِ حلقات بنية وبيضاء على التعاقب وشعر رأسهِ اخضر . وبعضها ساقهُ خضراء وشعر رأسهِ ابيض وبعضها رأسهُ كزهر الاقحوان تماماً اوراقهُ بيضاء وقلبهُ اصفر الى غير من الاشكال والالوان التي يعدُّ منها ولا يعدّد . وها نحن نكتب هذه السطور وامامنا صوّر ٢٣ نوعاً مختلفاً منها

والشعر المشار اليهِ ليس شعرًا بل نتوات دقيقة بارزة من رأس الحيوان بعضها قصير لا

يبلغ طولهُ نصف قطر الرأس وبعضها يتدلَّى حول جسم الحيوان كغدائر الغيد الحسان. وكلهُ اذرع يستعين بها على امساك طعامهِ وافتراسهِ فاذا مرَّ بهِ حيوان قبض عليهِ باذرعهِ قبضةً لا مناص لهُ منها ونفث في جسمهِ سمًّا يخدرهُ ويمنعهُ من الحركة ودفعهُ الى جوفهِ وحينئذٍ تنقبض اذرعهُ فوق رأسهِ ويصير كالكرة ويبقى كذلك الى ان يهضم طعامهُ ثم يبسط اذرعهُ وينتظر فريسةً أُخرى فيفعل بها ما فعل بالاولى

ومن قبيل ذلك الحيوان المعروف بخيار البحر وهو يسعى قليلاً لكنَّ سعيهُ بطيء جدًّا ولهُ حول فيهِ زوائد كاوراق الزهر كما ترى في هذا الشكل . ومن غريب امرهِ انهُ مضياف يفتح دارهُ لغيرهِ من الحيوان فان في جسمهِ تجويفًا كبيرًا مملوءًا ماء تدخلهُ سمكة صغيرة وتقيم فيهِ وتخرج منهُ تسعى في طلب رزقها ثم تعود اليهِ كأَنهُ خباء لها او وطن اصلي



ومن قبيلهِ ايضًا حيوانات المرجان على انواعها واشكالها فان مشابهتها للنبات تامَّة حتى بقي المرجان زمانًا طويلاً معدودًا بين انواع النبات وهي حيث تكثر في البحر تحسبها خميلة مدبَّجة بالازهار المختلفة الالوان والاشكال

ومنهُ زنابق البحر وهي حيوانات من نوع السمك النجمي تعيش في اعماق البحر حيث لا ترى عين انسان بهاء الوانها وبديع اشكالها تقوم على ساق طويلة ويتفرَّع من رأسها فروع كزهر الزنبق والسوسن وقد بقيت منها بقايا كثيرة من العصور الغابرة تحجرت بما رسب في ابدانها من المواد الترابية والعوام يرونها ويحسبونها ازهارًا تحجَّرت من عهد الطوفان

هذا ما يقال من حيث الحيوانات المزهرة اما النباتات المفترسة فلا تقلُّ عنها غرابةً . واي شيء اغرب من ان ينصب النباتُ شباكهُ للحيوان فيصيدهُ ويفترسهُ. ومعلوم ان النبات كثيرًا

ما يغتذي من فضلات الحيوان فاذا دفنت حيواناً بجانب شجرة او في ارض مزروعة بقولاً زاد نمو الشجرة والبقول باغتذائها من جسم ذلك الحيوان اي ان جسمهُ ينحل ويمتزج بالتراب ويغذي جذور النبات لكنَّ من النبات ما لا يكتفي بذلك بل يصيد الحيوان الحي صيداً ويقتلهُ قتلاً ويمتص دمهُ كما يفعل الحيوان المفترس

من ذلك النبات المعروف بندى الشمس لان على ورقهِ نقطاً صغيرة من سائل لزج شفاف كأنها نقط الندى . تراها الحشرات فتقع عليها مغراةً الى ذلك اما بما ينعكس عنها من نور الشمس واما برائحتها فلا تكاد تصل اليها حتى تأخذ الورقة تنضمُّ على نفسها وتجتمع نقط السائل في جوفها وتغرق الحشرات فيهِ وتموت وتُهضَم كما يهضم الطعام في معدة الانسان

ومنهُ النبات الذي سماهُ لينيوس النباتي الشهير "اعجوبة الطبيعة" في كل ورقة من اوراقهِ مصراعان ينطبق احدهما على الآخر وعلى وجه كل مصراع منهما غدد كثيرة يفرز منها سائل قرمزي اللون والياف منتظمة في شكل مثلث فاذا لمستها حشرة ما انطبق المصراعان عليها كما ينطبق لوحا الكتاب وللحال تأخذ الغدد تفرز سائلاً حامضاً فيهِ مادة هاضمة كالببسين الذي في المعدة ويستمرُّ ذلك الى ان تهضم كل ما يمكنها هضمهُ من الحشرة ثم ينفتح مصراعا الورقة ويطرحان ما بقي فيها من القشور والفضول . واذا وضعتَ عليها حصاة او قطعة من الزجاج انخدعت بها اولاً وحسبتها حشرة وقعت عليها فتنطبق ولكنها تكتشف خطأها حالاً وتنفتح وتطرح الحصاة او الزجاج وتكون حينئذٍ على تمام الاستعداد للانطباق على ما يقع فيها من الحشرات واما اذا انطبقت على حشرة فلا تنفتح حتى تهضمها واذا انفتحت حينئذٍ لا تعود تنطبق سريعاً لانها تكون قد شبعت من الغذاء شأن الحيوان الذي يشبع وتقز نفسهُ من الطعام . وقد اطعم بعضهم اوراق هذا النبات طعاماً كثيراً رغماً عنها فماتت من سوء الهضم كما يموت النبات اذا سمدت ارضهُ سماداً كثيراً

وفي بلاد البرتغال نبات مشهور بقتلهِ للذباب حتى ان الفلاحين يعلقون اغصانهُ في بيوتهم لكي يمسك الذبان ويميتها

وقد كتب الشهير داروين كتاباً موضوعهُ النباتات التي تفترس الحشرات وصفها فيهِ وصفاً مسهباً مبنيًا على التجارب الكثيرة ومن ثمَّ كثر انتباه الناس الى هذه النباتات ورأوا ان مزايا الحيوان يشاركهُ فيها النبات كما ان مزايا النبات يشاركهُ فيها الحيوان . وفي طبائع الحيوان والنبات من الغرائب ما تضيق عن استيعابهِ المجلدات الكبيرة

ضرر المطابع

لا وردَ بلا شوك ولا نفع الاَّ ومعهُ شيءٌ من الضرر . ومن شأن المضار انها تزيد وتنمو مع المنافع كما ينبع الشوك والقراص في الارض المحروثة المعدَّة للزرع. يعلم ذلك اهل الزراعة فيقربون النبات الذي يزرعونهُ بعضهُ من بعض حتى لا يبقى مجال للاعشاب الضارَّة واذا نمت رغماً عنهم واظبوا على استئصالها لئلاَّ تقوى وتخنق زرعهم . وعلى الذين يهتمون بمصالح العباد وتوفير المنافع لهم ودفع المضار عنهم ان يفعلوا مثل ذلك بما ينمو بين الناس من الشرور والمضار حيث يُنتَظر نمو الخيرات والمنافع . ويصدق هذا بنوع خاص على المطابع ونشر الكتب فان الناس يؤلّفون من الكتب النافع والضار والمصلح والمفسد والسمين والغث فلما كان نشر الكتب موقوفاً على اقلام الكتَّاب كان انتشار المنافع قليلاً وكذلك انتشار المضار . اما وقد كثرت المطابع وسهل طبع الكتب ونشرها فصار انتشار الكتب الضارَّة ميسوراً لاسيما وان جمهور العامة اميل الى السخافة والاوهام منهم الى العلم والحقائق

يغنينا عن الاسهاب في هذا الموضوع ما اظهرهُ احد الادباء بالاحصاء من انهُ لا يطبع كتاب علمي مفيد في هذا القطر حتى يطبع فيهِ عشرون رواية واكثرها مما لا فائدة من مطالعتهِ وبعضها يفسد الاذواق والاخلاق . وهذا الداء منتشر في البلدان الاوربية اكثر مما هو منتشر عندنا لكنَّ الاوربيين لم يغفلوا عنهُ بل احتاطوا لهُ وتراهم يعالجونهُ على اساليب شتى فعندهم الانتقاد الممحص في الجرائد والمجلاَّت وعندهم الجمعيات العلمية والادبية حيث تذاع العلوم والآداب ولا يخلو بلد من بلدانهم من مدارس تتهذَّب فيها العقول ومكاتب تتوسع فيها المعارف. وعندهم ما لا يحصى من الصحف العلمية والادبية ينشئها كبار العلماء الذين لا يذكرون الاَّ الحقائق وهي رخيصة الثمن لكثرة ما يطبع وينشر منها فيسهل على كل احد الاشتراك فيها . هذه المزايا كلها تقاوم انتشار المضار والاضاليل او تمحو اثرها من النفوس

ولو كانت شكوانا من الروايات السمجة وكتب المجون لا غير لهان الامر لان هذه الكتب تُعرَف من عنوانها فلا يطالعها من يضنُّ بوقتهِ او يكرهُ ان يرى الفاحشة بعينيهِ. لكننا نشكو ايضاً مما تخفى مضارهُ على العامة وقد تخفى على بعض الخاصة . نشكو من الكتب التي تُنشر لابسة حلة العلم وتظهر عليها ديباجة التحقيق وفيها من السخائف والخرافات ما يزيد ظلمة العقول ظلمة ويرسخ الاوهام في النفوس

وقد كنَّا نرى هذه السخائف في الكتب العربية القديمة التي طُبعت قبل انتشار المعارف

الحديثة فنود ان يعاد طبعها وتضاف اليها حواش يُذكَر فيها صريحًا ان هذا كان اعتقاد القدماء اما الآن فانتقض وثبت ما هو كذا وكذا كما فعل اليسوعيون ببعض الكتب التي طبعوها .
اما الكتب القديمة التي لم تطبع قبلاً وطبعت الآن اول مرة فلا عذر لطابعيها اذا لم يعقّبوا عليها بما يصلح خطأها ويقوّم اودها ولاسيما اذا كان ما فيها من الخطإ واردًا مورد الحقائق العلمية . مثال ذلك ان الامام القزويني ذكر في جملة ما ذكره في كتابهِ عجائب المخلوقات ان الجراد " اذا رعت ايام الربيع طلبت ارضًا طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت باذنابها حفرًا وباضت فيها كل واحدة مئة بيضة الاَّ بيضة وطارت وآفتها الطيور والبرد ثم اذا اتت ايام الربيع واعتدل الزمان يفقص ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجهِ الارض الخ "

ومفاد ذلك ان الجرادة تبيض ٩٩ بيضةً في الربيع في الارض الطيبة التربة الرخوة وتبقى حية ويبقى بيضها في الارض الى الربيع التالي فيفقص . وينتظر من علماء العرب ان يكونوا على معرفة تامة بطبائع الجراد لكثرتهِ في بلادهم . وقد رأينا الجراد مرارًا في بلاد الشام فوجدناه يبيض في الارض الرخوة التربة والصلبة التربة وكثيرًا ما يفضل الثانية على الاولى فيبيض على الطرق المطروقة في الاراضي الزراعية ويموت بعد وضع بيضهِ في الارض ويفقس بيضهُ وتظهر صغاره بعد ايام قليلة من اسبوعين الى ثلاثة . والظاهر ان الامام الدميري اراد ان يصلح ما قالهُ القزويني فبالغ واخطأ قال "واذا اراد الجراد ان يبيض التمس لبيضهِ المواضع الصلدة والصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبهِ فتنفرج لهُ فيلقي بيضهُ في ذلك الصدع" ثم ملأ ثلاث صفحات كبيرة بما لا فائدة علمية منهُ لكنهُ ألبسهُ حللاً دينية حتى يضطر القارىء ان ينظر اليهِ بالتوقير ولو كان عقلهُ لا يسلم بكثير منهُ

وقد يُلتمَس عذر للقزويني والدميري وامثالهما بان ذلك كان مبلغ ما وصل اليهِ علمهم وللذين طبعوا كتبهم منذ بضعة عشر عامًا حين لم يكن من يبحث او من يمحص . ولكن اي عذر يلتمس لمن ينشر اليوم كتابًا لاخوان الصفا يقال فيهِ ما نصهُ " ان الجراد اذ سمنت ايام الرعي في الربيع طلبت ارضًا طيبة التربة رخوة الحفر ونزلت هناك وحفرت بارجلها ومخالبها وادخلت اذنابها في تلك الحفرة وطرحت فيها بيضا ودفنتها ثم طارت وعاشت اياما ثم اذا جاء وقت موتها اكلتها الطيور وماتت ما بقيت وهلكت من حرٍّ او بردٍ او ريح او مطر وفنيت ثم اذا دار الحول وجاءت ايام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نشأ من تلك البيضة المدفونة في الارض مثل الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلأ الخ . فنعتًا

مؤلفو هذا الكتاب ما ذكرهُ القزويني لكي يزيدوهُ خطأً وخطلاً

وذكر القزويني دودة القز فاصاب في وصفها قال هي " دويبة اذا شبعت من الرعي طلبت مواضعها من الاشجار والشوك ومدَّت من لعابها خيوطاً دقاقاً ونسجت على نفسها كنًّا مثل الكيس ليكون حرزًا لها من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم اما كيفية اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهي انهم اول الربيع يأخذون البزر ويشدونهُ في خرقة وتجعل تحت ثدي المرأة لتصل اليهِ حرارة البدن الى اسبوع ثم ينشر على شيءٍ من ورق التوت المقصوص بالمقراض فتتحرك الدودة وتأكل من ذلك الورق " الى ان قال " واذا فرغت الدودة من عمل الفليجة عُرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من الفليجة الابريسم ويترك بعض الفليجة ليثقبها الدود ويخرج ويبيض وبيضها يحفظ للسنة الآتية "

اما اخوان الصفاء فقالوا في كتابهم " ان دود القز تكون على رؤوس الاشجار في الجبال خاصةً شجر الغضا والتوت فانها اذا شبعت من الرعي ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها في رؤوس الاشجار شبه العش والكن ثم تنام فيها اياماً معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضاً في داخل الكن الذي نسجت على نفسها ثم ثقبتها وخرجت منها وسدَّت تلك الثقب وخرجت لها اجنحة وطارت فتأكلها الطيور او تموت من الحر والبرد او المطر ويبقى ذلك البيض في تلك الحرزات محروزًا ايام الصيف والخريف والشتاء من الحر والرياح والامطار الى ان يحول الحول وتجيء ايام الربيع ويحضن ذلك البيض في الحرزات ويخرج من تلك الثقب مثل الديدان الصغار وتدب على ورق الاشجار ". ومفاد ذلك ان دود الحرير يبيض في فلائجه ويسدها بعد خروجهِ منها وهذا مخالف لما ذكرهُ القزويني ومخالف للواقع لان الفراش يخرج من الفليجة ويبيض على خريطة يحفظ البزر فيها الى الربيع التالي

وقس على ذلك قولهم عن لسان زعيم النحل ان الذباب والبق والبراغيث والديدان وما شاكلها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد. وقولهم ان الزنابير تموت ثم تعيش ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى ويخالف الحقائق المقرَّرة في علم الحيوان

ولم نخص هذا الكتاب بالذكر لان فيهِ من الغلط ما ليس في غيرهِ بل لانهُ اتفق اننا نظرنا فيهِ قبل كتابة هذه السطور. وقلما يقع نظرنا على كتاب قديم من الكتب التي تطبع حديثاً الاَّ ونرى فيهِ شيئاً كثيرًا مما يخالف الحقائق المقررة تاريخيَّة كانت او علميَّة او ادبيَّة حتى لقد نصوّب ما قالهُ المغفور لهُ السيد جمال الدين الافغاني وقد قيل لهُ ان استنباط طريقة جديدة لرسم الحروف العربية يفقدنا كل الكتب العربية القديمة فقال " اذًا لا نفقد شيئاً "

والغالب ان يتقّي المؤلفون سهام الانتقاد والتخطئة باسوار من الآيات الكتابية والعقائد الدينية حتى يعسر على من يريد احقاق الحق الدنو منهم فيقولون مثلاً " ان الذباب يتولّد من الطين بقدرة الله تعالى وهو على كل شيءٍ قدير " و" ان الزنابير تموت وتبقى جثثها كل ايام الشتاء يابسة لعلمها يقيناً بالمعاد وان الله منشئها ومعيدها في العام القابل كما انشأها اول مرة فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيها روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت ". فاذا خالفتهم بقولك ان الذباب لا يتولد من الطين بل من بيض باضهُ ذباب آخر قبلهُ وان الزنابير لا تموت ثم تعيش بل تشتو اي تنام نوماً ثم تستفيق سهل عليهم ان يرشقوك بالالحاد. و بمثل ذلك يفسد العلم او تضعف العقائد الدينية

ويا حبذا لو اهتمّ ناشرو الكتب القديمة بتعليق الحواشي عليها اذا كان لا بدَّ من نشرها او حبذا لو بذلوا همتهم في تنشيط المترجمين والمؤلفين على نشر كتب جديدة مما ينطبق على المعارف العلمية الحديثة لان الاعتماد على القديم لا يفيدنا اكثر مما افاد اسلافنا بل قد لا يفيدنا كما افادهم اذ نحن نناظر الآن اقواماً لم يكونوا يناظرونهم فاذا لم نحاضر مثل هؤلاء الاقوام ولم نسعَ سعيهم قصرنا عنهم كثيراً و كرّت القرون ونحن في ساقة الامم

صيد الاسد

اقبل الاوربيون على افريقية بخيلهم ورجلهم يقصدون تدويخها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فلم يلقوا مقاومةً من الانسان قدر ما لقوا من الحيوان وافتكهُ بهم تلك الميكروبات الصغيرة التي تفني ابدانهم ولا تبقي على كبير ولا على صغير لكنَّ فتكها خفي لا يتحدَّث بهِ الناس كما يتحدثون بفتك الضواري ولا ترهبهُ النفوس كما ترهب فتك الاسود

كتب بعضهم الى جريدة العالم الانكليزية يصف هجوم الاسد على ثلاثة من الاوربيين في طريق اوغندا في السادس من شهر يونيو الماضي قال كان المستر ريال معاون البوليس سائراً في مركبتهِ على طريق اوغندا وكانت المركبة متصلة بقطر سكة الحديد التي هناك فالتقى برجل اسمهُ هبنر وآخر اسمهُ بارنتي حتى اذا وصل القطر الى محطة كيما على ٢٥٥ ميلاً من اول الخط رأى اسداً كبيراً وشبلين قرب المحطة وكان من مهرة الصيادين ففصل مركبتهُ عن القطر ودعا الرجلين اليها ليبيتوا فيها و يقوموا في الصباح الى صيد الاسد ثم يصلوها بقطر آخر يمرُّ من هناك بعد الظهر فاجاباهُ الى ما طلب ففصل المركبة عن القطر ودفعها الى تحويلة بجانب

المحطة واقام الثلاثة فيها وتعشوا وسهروا. وطلب من هبنر ان ينام في فراشهِ فابى وقال انهُ يفضل ان ينام في عرزال معلَّق بسقف المركبة . وطلب من بارنتي ان ينام في فراشهِ فابى وفضَّل ان ينام في ارض المركبة

ولما كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً اقتسموا حراسة المركبة فنام هبنر في العرزال وبارنتي على الارض وبقي المعاون جالساً للحراسة ففتح باب المركبة واقام فيها ولم يكن الاَّ ساعات قليلة حتى استيقظ هبنر على صوت المعاون فالتفت من العرزال واذا اسد ضخم الجثة قابض على صدرهِ وقد مزقهُ تمزيقاً وقدماهُ على جسم بارنتي . قال هبنر "فدهشت من هذا المنظر المرعب ولم ادرِ ماذا افعل ثم تبينت المعاون فوجدتهُ قد اسلم الروح لان الاسد مزَّق صدرهُ وقلبهُ واما بارنتي فلم يبدِ حراكاً وكان جسم الاسد قد ملأَ المركبة كلها فنزلت من العرزال على ظهرهِ وكان جانب من المركبة مفصولاً وحدهُ يقيم فيهِ الخادم ويهيئ الطعام ففتحت بابهُ وكان الخادم قد اقفلهُ ودخلتهُ واقفلناهُ ثانية وخرج الاسد من الباب الذي دخل منهُ وهو حامل رمَّة المعاون بفيهِ وعدا بهِ ثم ناديت بارنتي فوجدتهُ حيًّا يرزق "

واعلن مهندس السكة انهُ يعطي مئة جنيه لم يقتل هذا الاسد ومضت الايام ولم يتمكن احد من قتلهِ . اما الاسد فغاية ما فعلهُ انهُ اخذ بثأْر اخوتهِ التي يسفك الاوربيون دمها سنة بعد سنة حتى كادوا يقرضون الاسد من بلاد الاسود

وكتب السر ادمند لشمير منذ ثلاثة اشهر يقول انهُ مضى الى بلاد الصمال في غرة يناير الماضي هو وزوجتهُ وخادم انكليزي فوصل الى بربرا في ١٨ منهُ واخذ منها قافلة فيها عشرون رجلاً واربعة وعشرون جملاً وضرب في البلاد الى ان بلغ جليلو التي يزعم البعض انها موضع جنَّة عدن لكثرة ما فيها من الاشجار والغزلان وبقر الوحش . ثم سار من هناك الى ان بلغ هراف فسمع ان فيها اسداً ضارياً واتاهُ رجل اخبرهُ ان الاسد افترس خروفاً من القرية التالية فقام حالاً وسار في اثرهِ الى ان عثر عليهِ واذا هو من الاسود الكبيرة اسود اللبد ضخم الجثة ومعهُ اسد آخر. قال فلما وقع نظري عليها نهضا ووثبا فتخطَّيا الانجم التي تحيط بعريسهما ووصل واحد منهما غابة ملتفة الشجر فنزلت عن جوادي واقتفيت اثرهُ ومعي بندقية وخادم يحمل بندقية اخرى ولم ارَ الاسد حتى صرت على خمسة عشر متراً منهُ فاطلقت عليهِ الرصاص فالقيتهُ على الارض يتخبط بدمائهِ وهو الاسد الذي كان الناس يشكون منهُ ويقولون انهُ أُضري باكل لحم الانسان وقستهُ فوجدت طولهُ ثماني اقدام وخمس عقد . ثم عدنا الى ديس واصطدنا هناك اسداً آخر وكثيراً من الفرا وبقر الوحش والضباع المخططة والمرقطة . ولم يكن هذا الاسد

وحدهُ بل كان معهُ لبوتهُ وكانت زوجتي راكبة على جمل فتركتها في مسيل نهر حاسباً انها فيهِ بمأمن من الاسدين ثم اقتحمتُ الغاب الذي كان فيهِ الاسد واللبوة الى ان دنوت منهُ واطلقت عليهِ الرصاص فاصبتهُ بين كتفيهِ لكن الرصاص لم يقتلهُ فنفر من وجهي وخرج من الغاب ودخل مسيل النهر حيث كانت زوجتي وبقية الرجال واقعى كانهُ يتأهب للوثوب عليهم وهو يجلد حنبيهِ بذنبهِ ويزأر زئيرًا مزعجًا فاستعدَّ الرجال لاطلاق الرصاص عليهِ اذا وثب عليهم لكنهُ لم يفعل ذلك بل فضَّل العودة الى غابهِ ولم يدرِ انني كنت لهُ بالمرصاد فلم يكد يدخل الغاب حتى اطلقت عليهِ رصاصة اصابت رأسهُ فوقع قتيلاً على خمسة امتار مني . وهو من اكبر الاسود واضخمها عضلاً طولهُ ثماني اقدام ونصف قدم . اما اللبوة ففرَّت من وجهنا ولسان حالها يقول

قتلُ الذي اتخــذ الجراءة خلَّةً وعظ الذي اتخذ الفرارَ خليلاَ

واكتفينا بهذين الاسدين وعدنا ادراجنا الى الساحل فاصابتني الحمى الملارية ولم تفارقني حتى بلغت نصف الطريق الى بلاد الهند

وتاريخ الاستعمار في افريقية واحد في كل الازمان يأتيها الاوربيون فلا يقف امامهم انسانها ولا حيوانها حتى الاسود الضارية تهرب من وجههم او تتجرَّع غصص المنون برصاص بنادقهم واما ميكروبات الامراض فلا تخشى صولتهم ولا ترهب بطشهم بل تفاجئهم في السر والعلن وتردّد على مسامعهم قول من قال ان البعوضة تدمي مقلة الاسد . فان بقيت على فتكها بهم فلا خوف من انهم يطردون من البلاد سكانها و يستوطنونها بدلاً منهم كما فعل اخوانهم في اميركا. ولكن اذا استنبطوا الاساليب الصحية والطبية لدفع عوادي الادواء ووقاية الابدان من الميكروبات ولاسيما ميكروب الحمى الملارية لم يصدَّهم شيءٌ عن السكن فيها واستيطان فيافيها واحياء مواتها واستثمار خيراتها. واذا صحَّ ما تناقلتهُ الالسن ونحن نكتب هذه السطور وهو ان انكلترا عازمة على المقايضة مع المانيا فتعطيها قبرص وتأخذ منها املاكها في شرقي افريقية صار للانكليز اغنى بقاع افريقية واكثرها سكانًا من "القاب الى القاهرة" كما يقولون اي من رأس الرجاء الصالح في اقصى الجنوب الى بلاد مصر في اقصى الشمال . وهم مهتمون الآن بمد سكة الحديد فيها ووصل اسلاك التلغراف ولا يستحيل شيءٌ على اولي العزائم

ونحن ابناء هذا القطر نستطيع الاستيطان في كل بقعة من افريقية فعلى مَ لا نناظرهم في استعمارها ونأخذ اخذهم في استدرار الخير منها

السحر الحلال

(١) اختفاء المشعوذ وظهوره

شاع في هذه الاثناء اسلوب من الشعوذة غريب جدًّا شرحتهُ جريدة السينتفك اميركان في آخر عدد وصل الينا منها قالت ان اثنين من مهرة المشعوذين ادهشا اهالي اوربا واميركا في هذه الاثناء باختفاء احدهما امام عيون الناظرين . وهما لا يستعملان الاَّ مائدة بسيطة من الموائد التي تكون عادة في المطابخ فيضعانها امام الناظرين ويبسطان غطاءً عليها يجلل جوانبها ثم يختصمان على من منهما يطبخ الطعام واخيرًا يهرب احدهما من وجه رفيقهِ ويثب على المائدة ويجلس عليها فيتبعهُ رفيقهُ مسرعًا ويختطف سلاًّ كبيرًا بيدهِ ويغطيهِ بهِ ويجعل يعزّم فوق السل نحو دقيقة من الزمان ثم يرفعهُ عن المائدة فلا يجد تحتهُ شيئًا اي ان رفيقهُ يختفي من تحت السل والناظرون يرون ذلك ولا يدرون سببهُ وخفاف العقول منهم يظنون انهُ اختفى بقوة التعزيم

ثم يعيد المشعوذ السل الى مكانهِ فوق المائدة ويعزّم عليهِ ويرفعهُ عنها ثانية فيظهر رفيقهُ جالسًا عليها كما كان اولاً كأنهُ تجلى من عالم الخفاء الى عالم الظهور

ولايضاح ذلك نقول ان في اللوح الظاهر في سطح المائدة بابًا لهُ مفاصل مرنة وتحتهُ لوح آخر مثلهُ قائم على اربع زنبلكات موضوعة في اربع حفر في قوائم المائدة الاربع. والغطاءُ الذي يوضع على المائدة جانب منهُ مشقوق يزم بخيط فينفتح ثم يشد الخيط من جهة أُخرى فينطبق. فاذا وضع السل على المشعوذ شد بخيط الغطاء ورفع الباب الذي في سطح المائدة ونزل منهُ الى اللوح الذي تحتهُ فينخفض هذا اللوح بثقلهِ فينام بين لوحين اللوح الذي في سطح المائدة واللوح الذي تحتهُ ويشد بالخيط فيعود الغطاء الى حالهِ ولا يظهر شيءٌ منهُ ولا من اللوح الذي تحتهُ لان الغطاء يجلل المائدة وينزل حولها نحو نصف متر من كل جهة فاذا رُفع السل لم يظهر تحتهُ شيءٌ . ثم يُعاد السل الى فوق المائدة فيفتح المشعوذ الباب الذي فوقهُ ويصعد منهُ ويجلس تحت السل

اخراج الفراخ من البيض

من اعمال المشعوذين الشائعة وضعهم ست بيضات في برنيطة وتحويلها الى ستة فراخ يخرجونها منها الواحد بعد الآخر. وذلك ان يستعير المشعوذ برنيطة كبيرة من احد الحضور ويضع

فيها بيضة حقيقية امام الحضور ثم يخرجها براحة يدهِ خفية و يضعها فيها ثانية امامهم ثم يخرجها خفية و يضعها ظاهرًا وهلمَّ جرًّا الى ان يظهر للحضور انهُ وضع في البرنيطة ست بيضات وهو لم يضع الاَّ بيضة واحدة . وحينئذٍ يطلب من خادمهِ ان يأتيهُ بشمعة موقدة لكي يسخن البيض عليها فيأتي الخادم ومعهُ شمعة على طبق كبير فيدور اليهِ ويجعل ينتهرهُ لانهُ لا يرفع الشمعة كما يجب او لا يخفضها كما يجب ويكون مع الخادم كيس اسود معلق بظهرهِ فيهِ ستة فراخ فيأخذهُ منهُ خفية و يضعهُ في البرنيطة ثم يلتفت الى الحضور و يضع يدهُ في البرنيطة و يخرج منها فرخًا بعد آخر الى ان يخرج الفراخ الستة و يدخل فيها خفية طاقة ازهار صناعية وهي اوراق متصلة باسلاك مرنة تنفتح وتصير مثل طاقة الازهار وحينما يخرجها يخرج معها الكيس الذي كانت فيهِ الفراخ واضعًا اياهُ تحتها

تكثير الدخان

يأخذ المشعوذ كاسين عاديتين من الزجاج و يمسكها بيدهِ امام الحضور ثم يضع احداهما على مائدة و يضع منديلاً على الكاس الأُخرى و يقلبها فوق الكاس الاولى حتى يقع فم الواحدة على فم الاخرى و يغطي المنديل الاثنتين ثم يطلب من احد الحضور ان يشعل سيجارة و ينفخ قليلاً من الدخان على المنديل وينزع المنديل بعد ذلك عن الكاسين و يرفع احداهما عن الاخرى فاذا هما مملوءتان دخانًا و ينتشر الدخان منهما وحولهما كالضباب الابيض الكثيف والمشعوذ ينفخهُ وهو يزيد انتشارًا

وكيفية ذلك ان المشعوذ يكون قد صبَّ في الكاس السفلى نقطًا قليلة من سائل النشادر (الامونيا) وفي الكاس العليا نقطًا قليلة من روح الملح (الحامض الهيدروكلوريك) فحالما يقلب الكاس الثانية فوق الاولى تحت المنديل يمتزج غاز النشادر بروح الملح ويتكون من ذلك دخان ابيض كثيف

اخفاء المناديل

يكثر المشعوذون من اخفاء المناديل ولهم في اخفائها اساليب شتَّى اشهرها ان يربط المشعوذ خيطًا مرنًا من الصمغ الهندي والحرير بالرباط الذي يرفع بهِ بنطلونهُ عند كتفهِ ويكون في طرف هذا الخيط شيء كالفنجان من الورق المقوَّى او المعدن فاذا اراد اخفاء منديل لفهُ بيدهِ وتظاهر بوضعهِ تحت صحفة او في كاس اوفي فرد او نحو ذلك لكنهُ يضعهُ في هذا الفنجان ويتركهُ فيدخل كمهُ من نفسهِ الى اعلاهُ . وقد لا يكون الفنجان متصلاً بخيط مرن بل بقليل من الشمع فيلصقهُ المشعوذ بقفا الكرسي او برجل المائدة حتى لا يُرَى اما المنديل الذي يأخذهُ

من احد الحضور او يريد اظهارهُ فيما بعد فيعطيهِ لخادمهِ لكي يظهرهُ لهم بعد ما يدَّعي انهُ اختفى

قنينة الخمور

كثيراً ما يضع المشعوذ احد عشر قدحاً على طبق و يصبُّ فيها سائلاً واحداً من قنينة واحدة يصبُّهُ في القدح الاول فيظهر كالخمر البورت وفي الثاني فيظهر صافياً كالماء وفي الثالث فيظهر كخمر الشري وفي الرابع فيظهر صافياً كالماء وفي الخامس فيظهر كخمر الكلارت وفي السادس فيظهر كالماء وفي السابع فيظهر ابيض كاللبن وفي الثامن فيظهر كالماء وفي التاسع فيزبد كالشمبانيا وفي العاشر كالماء وفي الحادي عشر فيظهر اسود كالحبر . وطريقتهُ في ذلك ان يأتي بزجاجة صغيرة فيها ٦ دراهم من صبغة بركلوريد الحديد ودرهمان من الحامض الهيدروكلوريد . وزجاجة ثانية فيها مذوب سلفوسيانيد الامونيوم المشبَع . وزجاجة ثالثة فيها مذوب قوي من بركلوريد الحديد . وزجاجة رابعة فيها من مذوب خفيف من سلفوسيانيد الامونيوم . وزجاجة خامسة فيها مذوب ثقيل من خلاَّت الرصاص . وزجاجة سادسة فيها مذوب سلفيد الامونيوم او الحامض البروغاليك . وعلبة فيها مسحوق كربونات البوتاس .

و يضع ملعقتين صغيرتين من السائل الاول في زجاجة سوداء من الزجاجات الذي توضع فيها الخمر عادةً ثم يصب في القدح الاول نقطة او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الثانية ويترك القدح الثاني فارغاً ويصب في القدح الثالث نقطةً او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الثالثة . ويترك القدح الرابع فارغاً ويصب في الخامس نقطة او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الرابعة ويترك القدح السادس فارغاً ويصب في السابع نقطةً او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الخامسة ويترك القدح الثامن فارغاً ويضع في التاسع بضع قمحات من المسحوق الذي في العلبة ويترك القدح العاشر فارغاً ويصب في الحادي عشر قليلاً من السائل الذي في الزجاجة السادسة . ولا يظهر في هذه الاقداح شيءٌ بل تظهر فارغةً اما الماء فيصبهُ في الزجاجة الكبيرة التي وضع فيها ملعقتين مماً في الزجاجة الاولى ثم يصب منهُ في هذه الاقداح على التوالي كما تقدَّم فالفارغ منها يظهر كانهُ ملئ ماء قراحاً والذي فيهِ مادَّة كيماوية يتلون الماء الذي يصبُّ فيهِ حسب تلك المادَّة كما تقدَّم . لكن هذه السوائل سامَّة لا يجوز للمشعوذ ان يسقي احداً منها غير اننا رأينا مشعوذاً يصب خموراً حقيقيَّة من قنينة واحدة في اقداح كثيرة وقد شرب منها احد الحضور امامنا وقال ان الذي شربهُ منها خمر حقيقية . وسنشرح كيفية ذلك في الجزء التالي

تاريخ العام الماضي

اليوم يناير

٠١ ثبتت رؤية الهلال شرعًا وابتدأ رمضان في ٢ يناير . وحدثت زلزلة في تفليس قتل بها نحو ٨٠٠ نفس

٠٢ ورد على نظارة الاشغال ان ماء النيل انخفض انخفاضًا عظيمًا في السودان كلهِ وفي بحيرة فكتوريا نينزا ايضًا

٠٧ حدثت زلزلة عنيفة في بلاد القوقاس خرَّبت عشر قرى وتركت أُلوفًا من السكان بلامأوى

٠٨ احتفل القطر المصري بعيد جلوس الجناب الخديوي واشترك كثيرون باقامة زينة حافلة في حديقة الازبكية

٠٩ وصل اول قطار الى الخرطوم

١٠ وصل اللورد روبرتس واللورد كتشنر الى مدينة الكاب . وتوفي الدكتور مرتنو الفيلسوف اللاهوتي الانكليزي وعمرهُ ٩٤ سنة

١٩ قُبض على عثمان دقنه قرب طوكر وارسل الى العاصمة فوصلها في ٢٧ يناير مساء

٢٠ توفي جون رسكن الكاتب الشهير وعمرهُ ٨٠ سنة . واتفقت الدول على اطالة مدة المحاكم المختلطة ٥ سنوات

٢٢ انتخب السيد فوتيوس مطران الناصرة بطريركًا اسكندريًا للروم الارثوذكس . وتوفي دوق تك والاستاذ هيوز الكهربائي وعمرهُ ٦٩ سنة

٢٥ سمّى امبراطور الصين ابن البرنس توان وليّ عهد لهُ

٢٦ عزلت امبراطورة الصين لنج لو قائد الجنود الصينية لانهُ غير راضٍ عن الحالة الحاضرة في بلاد الصين

٢٧ ارتدَّت الجنود الانكليزية الى جنوب نهر التجلا

٣٠ صدر الامر العالي باطالة مدة المحاكم المختلطة خمس سنوات ابتداء من اول فبراير

فبراير

٠٧ ظهر شيء من الاضطراب بين الجنود في السودان فمضى سعادة السردار اليها وورد تلغراف منهُ ان الاضطراب زال تمامًا

٠٩ احتفل بفتح المعرض الزراعي الجديد في الجزيرة بالعاصمة افتتحهُ الجناب الخديوي ثم مضى الى الاسكندرية ليسير منها على ساحل البحر غرباً

١٠ وصل اللورد روبرتس الى معسكر نهر مدر

١١ غرقت ثلاثة قوارب قرب دمياط وغرق تسعة من بحارتها

١٣ صدرت الارادة السلطانية لسفير روسيا بانشاء سكة حديد من القارص الى ارض روم

١٤ وصل الجنرال فرنش الى كمبرلي

١٦ استولت جنود الجنرال كلي كني على ٧٨ مركبة من مركبات الجنرال كرونجي مملوءة مهمات

١٩ ظهر من حساب الحكومة عن السنة الماضية ان دخلها بلغ ٤٨٧ ٤١٥ ١١ جنيهاً ونفقاتها بلغت ٠٣٢ ٠١٣ ١١ جنيهاً وتشمل النفقات الاموال المقتصدة من تحويل الدين ومما يضاف الى المال الاحتياطي ومجموعها ١٤١ ٠٢٤ ١ جنيهاً

٢٢ قررت الحكومة منع ري الشراقي المعدة لزرع الذرة لقلة الماء في النيل

٢٣ اعترض السفراء في الاستانة على منع الاجانب من اخذ الامتيازات بمناجم السلطنة وتوفي الاستاذ بيازي سميث الفلكي وعمره ٨٠ سنة

٢٧ سلَّم الجنرال كرونجي للورد روبرتس في بارد برج بعد قتال طويل وأُخذ منهُ اربعة آلاف اسير وستة مدافع صغيرة

٢٨ وضعت نظارة الاشغال نظاماً صارماً لري القطن بالمناوبة لقلة مياه النيل. ودخلت جنود اللورد دندولند مدينة لادي سميث

مارس

٠١ رفع الحصار عن مدينة لادي سميث

٠٢ وصل الجنرال كرونجي الى مدينة الراس اسيراً

٠٦ حدثت الساعة الثامنة والدقيقة السادسة زلزلة خفيفة في القطر المصري دامت عشر ثوانٍ عقبتها ثلاث هزات اخف منها

٠٨ عاد الجناب الخديوي من سياحتهِ فوصل الى المنتزه مساء هذا اليوم . احترق التياترو الفرنسوي بباريس

١٠ امر الباب العالي بزيادة رسوم الجمارك من ٨ الى ١١ في المئة ابتداء من ١٤ مارس فاعترض سفراء الدول على ذلك

١٢ شبت النار في مخازن السجون بالاسكندرية فاحرقتها

١٣ صدر الامر العالي بمنع ارواء الشراقي لقلة مياه النيل . غرق قارب صيد في الاسكندرية فيهِ عشرة انفس مات منهم سبعة . سلمت بلومفنتين قصبة ولاية اورنج للورد روبرتس فدخلها ونصب الراية الانكليزية على دار الرئيس ستين

١٦ احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية بليلتها السنوية في حديقة الازبكية

١٩ احتفل بتشييع المحمل من ميدان القلعة بحضور الجناب الخديوي

٢١ احتفل الايرانيون بعيد النيروز

٢٢ زار الجناب الخديوي مخازن المهمات الحربية في القلعة وزار ميدان الجزيرة حيث شاهد تلامذة المدارس الاميرية يلعبون الالعاب الرياضية

٢٣ توفي ذو الفقار باشا واحمد نشأت باشا . وردت الاخبار بابتداء ارتفاع النيل في فشودا فانهُ ارتفع منذ ٨ الشهر ٤٥ سنتمترًا والمظنون ان ذلك من فتح سدود النيل

٢٦ اجلت نظارة الاشغال الابتداء بالمناوبات لان المياه لا تزال مرتفعة في القناطر الخيرية

٢٧ توفي الجنرال جوبير قائد جيوش البوير العام

٣١ فتح الجناب الخديوي معرض الازهار والاثمار . بلغ عدد الحجاج الذين سافروا من السويس الى الاقطار الحجازية من اكتوبر الى ٣١ مارس ١٥١ ٩٢٧ حاجًا منهم ٧٠٢٦ مصريًا

ابريل

٠١ توفي الاستاذ سنت جورج ميفارت وعمرهُ ٧٢ سنة

٠٢ صادق جلالة السلطان على تعيين السيد فوتيوس بطريركًا للكرسي الاسكندري للروم الارثوذكس

٠٣ احاط البوير بستمئة من الجنود الانكليزية في ردرسبرج واسروهم

٠٤ توفي عثمان باشا الغازي بطل بلافنا

٠٥ احاطت الجنود الانكليزية بالجنرال فلبوى قرب بشون واسرتهُ واسرت نحو ٥٠ من البوير معهُ

٠٧ وصل العاصمة ونجت باشا سردار الجيش المصري عائدًا من السودان

٠٨ اطلق فتى عمرهُ ١٥ سنة الرصاص على ولي عهد انكلترا في بركسل عاصمة البلجيك

٠٩ وردت الاخبار عن حدوث ثورة في بلاد كوماسي بسبب التفتيش عن كرسي ملكها وهو من الذهب

١٠ جرى الاحتفال بعيد الاضحى

١٤ فتح رئيس الجمهورية الفرنسوية معرض باريس العام . وصل الجنرال كرنجي وزوجتهُ الى منفاهُ في جزيرة القديسة هيلانة

١٧ حدثت اربع اصابات مشتبه بها في ينبع وقرّر اعتبار الحج مطعوناً هذا العام

٢١ صدر امر عالٍ باعفاء الارض التي تغرس اشجاراً من الضرائب مدة عشر سنوات. انفجر مرجل سفينة طربيد صغيرة في مرفإ بيروت فقتل بها جمهور من ركابها . توفي الاستاذ ملن ادوار العالم الطبيعي الفرنسوي وعمرهُ ٦٤ سنة

٢٤ توفي دوق ارجيل العالم السياسي وعمرهُ ٧٦٠ سنة . فاض دجلة فيضاناً عظيماً فخرب كثيراً من المنازل

٢٥ فتح مؤتمر مقاومة السل في مدينة نابلي وحضرهُ الف من الاطباء المندوبين

٢٨ احتفل بوضع الحجر الاول من بناء متحف الآثار العربية والمكتبة الخديوية . رفع ولي عهد انكلترا الستار عن تمثال هكسلي. سقط كبري خشب في معرض باريس فقتل عشرة وجرح ١٥

٣٠ احتفل ببداءة السنة ١٣١٨ الهجرية . ابتدأت زيادة النيل في البحر الازرق فزاد ٤٠ سنتمتراً في سنار . حدثت وفاتان بالطاعون في بورت سعيد وقد ابتدأت الاصابات فيها في ٢٨ الشهر

مايو

١ . سافر الجناب الخديوي الى الاسكندرية للاقامة فصل الصيف . فتح رئيس الجمهورية الفرنسوية قصري الفنون في معرض باريس

٣ . عبر الجنرال هنتر نهر الفال بلا معارضة ثم عبرهُ الجنرال بارتون في ٥ الشهر

٦ . وجدت امرأة ميتة بالطاعون في الاسكندرية

٩ . توفي السيد احمد بن موسى وزير مراكش

١١ حدث اضطراب في مدريد و برشلونة واشبيلية باسبانيا

١٣ انتشرت الكوليرا بين المصابين بالمجاعة في بلاد الهند

١٥ دخل الجنرال هنتر بلاد الترنسفال من الغرب

١٧ اشتد الهياج على الاجانب في بلاد الصين . انقذ الكولونل ماهون مدينة مفكن ودخلت فرسان الجنرال هملتون لندلي واسرت مشاة هتون القومندان بوثا

٢٢ ارسلت حكومة الصين جنودها لاخماد ثورة البُكسَر

٢٧ اعلن اللورد روبرتس قائد الجنود الانكليزية العام في جنوبي افريقية ان ولاية اورنج الحرّة ضمّت الى الاملاك الانكليزية

٢٨ كسفت الشمس وظهر كسوفها تامًّا في اميركا والجنوب الغربي من اوربا والشمال الشرقي من افريقية

٢٩ بلغت مساحة كل الشراقي في الوجه القبلي ٩٠٠ ٢٦٤ فدان . اشتدّ الخوف في بكين وأُرسل الحراس اليها من البوارج الاجنبية

٣٠ خرج الرئيس كروجر من بريتوريا . كانت ظفرات الانكليز متوالية في هذا الشهر

يونيو

١٠ سلمت بريتوريا ودخلها لورد روبرتس

٠٢ سافر الجناب الخديوي من الاسكندرية قاصدًا اوربا لقضاء الصيف فيها وزيارة جلالة ملكة الانكليز وصدر الامر العالي بتعيين عطوفتلو مصطفى باشا فهمي قائمقام خديوي

٠٤ احرق البوكسر محطة من محطات سكة الحديد التي بين بكين وتينتسين

٠٧ وصل الجناب الخديوي الى تريسته . زار ملك اسوج ونروج معرض باريس

٠٩ اعترض ديوان الخارجية في الصين على وجود كثير من الجنود الاجنبية في بكين

١١ استعفى واحد من ديوان خارجية الصين وعين فيهِ اربعة من المنشو

١٣ اجّل الباب العالي انفاذ لائحة الجمارك الجديدة شهرًا

١٤ اقرّ مجلس النواب في فرنسا على انفاق ٦١ مليون فرنك لتحصين المستعمرات . كاد البوير يأسرون اللورد كتشنر

١٦ فتح امبراطور المانيا الترعة الواصلة بين البحر الشمالي وبحر بلطيك . وفتح ملك ايطاليا مجلس النواب الايطالي

١٧ اطلقت حصون تاكو النار على بوارج الدول المتحدة فجاوبتها البوارج ونسفت حصنين منها بعد سبع ساعات واستولت على الحصنين الباقيين هجومًا

١٨ اشيع ان سفير المانيا قتل في بكين . استعفت وزارة ايطاليا . سارت الجنود الانكليزية من هونغ كونغ الى الصين

١٩ ارسلت روسيا واليابان وفرنسا والولايات المتحدة النجدات الى الصين

٢١ وصل الجناب الخديوي الى بلاد الانكليز مصابًا بالتهاب الحلق العفن من الميكروب المعروف بالستربتوكوكس . توفي الكونت مورافيف وزير روسيا

٢٢ اطلق الصينيون مدافعهم على مدينة تينتسين

٢٤ أُلفت وزارة جديدة في ايطاليا وفي البرتغال وعيّدت مدينة مينس عيد خمس مئة سنة من ولادة غتنبرج مخترع الطباعة

٢٥ شُفي الجناب الخديوي ودخل في دور النقه

٢٦ احتفل باستقبال المحمل في ميدان القلعة بحضور عطوفتلو مصطفى باشا فهمي القائمقام الخديوي . فاض نهر الاتبرة فيضانهُ التام . عجز الاميرال سيمور عن الوصول الى بكين فعاد الى تينتسين وأُرسلت الجنود من كلكتا الى الصين

٢٧ وصل الجناب الخديوي الى مدينة لندن فقوبل باحتفال عظيم . اقرَّت الحكومة المصرية على لائحة للجنسية المصرية. وردت اخبار من سفير انكلترا في بكين مؤرخة في ١٩ يونيو ان الحكومة الصينية طلبت من السفراء ان يخرجوا من بكين في ٢٤ يونيو

٢٨ تناول الجناب الخديوي العشاء عند جلالة الملكة في قصر وندزور

٣٠ ابحر عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار من الاسكندرية قاصدًا اوربا لقضاء اجازتهِ فيها . شبت نار هائلة في حوض سفن شركة لويد الالمانية بنيويورك فمات بها نحو اربع مئة نفس وتلف ما يساوي مليوني جنيه . كانت الحرب سجالاً في الترنسفال في هذا الشهر

يوليو

٢ احتفل مجلس بلدية لندن باستقبال الجناب الخديوي في الجلدهول احتفالاً باهرًا

٣ رفع الستار في باريس عن تمثال لوشنطون محرر اميركا اهدتهُ نساء اميركا الى فرنسا

٤ عاد الجناب الخديوي من لندن ووصل سويسرا في اليوم التالي. اقرَّ الاميرال الانكليزي والاميرال الروسي على انهُ لا يمكن انقاذ الاجانب الذين في بكين ما لم ترسل الدول مددًا كبيرًا

رُفع الستار عن تمثال لفايت في حديقة اللوفر وهو مهدًى الى فرنسا من تلامذة المدارس في اميركا

٥ حكم المحلفون في بروكسل ان الفتى الذي أَطلق الرصاص على ولي عهد انكلترا غير مطالَب لانهُ لم يبلغ سن الرشد

٧ رفع الستار عن تمثال لغلادستون في اثينا وكان الملك ووزراؤهُ حضورًا

٨ احتفل بالليلة الكبرى من ليالي المولد النبوي بالعباسية . وصل الى سفير الصين في وشنطون رسالة مفادها ان السفراء في بكين كانوا سالمين حتى ٣ يوليو

١٠ ورد من الصين ان الامبراطورة قبضت على ازمة الاحكام من ٣٠ يونيو وجعلت ينغ لو وزيرًا لها وامرت بحماية الاجانب

واقرَّ مجلس النواب ومجلس الشيوخ في فرنسا على انفاق ١٤ مليونًا ونصف مليون فرنك للحملة الصينية

١٢ أمضى امر خديوي باصدار اسهم جديدة من الدين الممتاز بقيمة مليون وسبع مئة الف جنيه لتمديد سكك الحديد وزيادة ادواتها .
١٣ ابحر اللورد كرومر من الاسكندرية قاصدًا انكلترا لقضاء فسحة الصيف
١٤ استولت الجنود المتحدة على مدينة تينتسين بعد معركة شديدة وكان عددها ثمانية آلاف وبلغ عدد القتلى والجرحى ٨٨٨
١٥ انقذت حامية كوماسي
١٧ مضى الوزير لي‌هنغ شنغ من كنتون الى هنغ كونغ واتاهُ امرٌ بتعيينهِ واليًا على ولاية شي‌لي
١٩ جرى الاستعراض البحري الفرنسوي في شربورغ
٢٠ بعثت امبراطور الصين تلغرافًا الى رئيس الجمهورية الفرنسوية يطلب وساطة فرنسا والولايات المتحدة الاميركية
٢٢ اخلت الجنود الصينية تينتسين وما جاورها
٢٩ قتل ملك ايطاليا في مينزا
٢٩ سلم الجنرال برنسلو وخمسة آلاف من البوير في ناوو بورت
٣١ توفي برنس سكس كوبرج غوثا دوق ادنبرج وعمرهُ ٥٦ سنة

اغسطس

٠٢ هجم رجل على مركبة شاه ايران في معرض باريس وحاول اطلاق الرصاص عليهِ . جرى الترام الكهربائي بين العاصمة والاهرام
٠٤ وقع القتال بين الروسيين والصينيين في منشوريا فاستولى الروس على مدينة ايجن . وبين الصينيين والجنود المتحدة في باي تانغ فخسرت الجنود المتحدة ١٢٠٠ بين قتيل وجريح
٠٥ اقترن ملك السرب بمدام دراغا ماشن في بلغراد . اعتصب ٤٥٠٠ من سائقي المركبات في باريس . ثار خصوم اليهود عليهم في اودسا . وصل الاميرال سيمور الى شنغاي وابتدأ الزحف على بكين
٠٦ امضى وزير البحرية العثمانية اتفاقًا مع محل كروب الالماني لتسليح ثماني مدرعات وقاربين من متلفات التربيد . هجم ١٢ الفًا من الجنود المتحدة على الصينيين المتحصنين في هسي كو على ميلين من تينتسين فارتدَّ الصينيون شمالاً
٠٧ وصلت رسائل بالارقام الى الحكومة الانكليزية والاميركية من سفيريهما في بكين تاريخها ٣ اغسطس . استولت الجنود اليابانية على باي تانغ

٨ . عين الكونت لمسدرف وزيرًا للخارجية في روسيا والكونت ولدرسي الالماني قائدًا عامًّا للجنود المتحدة في الصين

٩ . احتفل بجنازة ملك ايطاليا في رومية

١٠ اكتشفت مكيدة في بريتوريا لاختطاف اللورد روبرتس

١٢ اقسم الملك فكتور عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا انهُ يكون امينًا للدستور الايطالي والامة الايطالية

١٣ غرق متلف التربيد فرامه الفرنسوي وغرق فيهِ ٤٢ من الضباط والبحارة

١٤ اعتصب خمسة آلاف من الشيالين في مرسيليا فتوقف سفر السفن منها

١٥ وفى النيل واحتفل بجبر الخليج . دخلت الجنود المتحدة مدينة بكين وانقذت السفارات والاجانب وكان الامبراطور والامبراطورة قد غادراها تحميهما الجنود الصينية

٢٠ فتح مؤتمر المشتغلين بالعلوم النفسية في باريس برئاسة الاستاذ ريبو . طلبت الصين ان المستر كونجر اوغيرهُ من الاميركيين يُعيَّن لتذاكرهُ في امر الصلح

٢٤ حُكم بالقتل على الملازم كوردوى الذي حاول اختطاف لورد روبرتس فقتل رميًا بالرصاص

٢٦ اسر الجنرال بروس هملتون الجنرال اوليفه وابناءهُ الثلاثة

٢٩ حكم على برشي قاتل ملك ايطاليا بالاشغال الشاقَّة مدى العمر

٣٠ وصل الجناب الخديوي الى الاسكندرية عائدًا من اوربا

٣١ احتفل بالعيد الفضي لجلالة السلطان اي بالعيد الخامس والعشرين لجلوسهِ . توفي السرجون لوز وعمرهُ ٨٦ سنة

سبتمبر

٠١ اعلن اللورد روبرتس ضم الترنسفال الى الاملاك البريطانية . واعلنت روسيا انها امرت جنودها وسفيرها بالخروج من بكين والرجوع الى تينتسين

٠٣ بلغ النيل اعظم ارتفاعهِ في الروضة هذا العام وذلك ٢٠ ذراعًا و١٤ قيراطًا

٠٤ عين لي هنغ تشنغ وينغ لي والبرنس تشنغ للمذاكرة في امر الصلح

٠٥ صدرت الارادة السنية باحالة فيضي باشا على المعاش وتعيين عبد الحليم عاصم باشا مديرًا للاوقاف بدلاً منهُ

٠٦ عاد دوق ابروزي من رحلتهِ القطبية

٠٩ ثارت زوبعة شديدة على شواطئ تكساس ولويزيانا باميركا قتل بها نحو اربعة آلاف نفس

١٠ هاج بركان يزوف هياجًا شديدًا . نهبت الجنود المتحدة مدينة بكين

١١ وصل الرئيس كروجر الى لورنزو مركيز . احتفلت الامّة القبطية بعيد النيروز وهو ابتداء السنة ١٦١٧ للشهداء

١٣ نزل الرئيس كروجر ضيفًا على حاكم املاك البرتغال في شرقي افريقية . اتصل التلغراف من الخرطوم الى الابيض مسافة ٢٨٠ ميلاً ووصلت اول رسالة برقية من الابيض الى القاهرة

١٤ قام لي هنغ تشنغ من شنغاي قاصدًا بكين. واخذ الروس فلجردا على سكة الحديد في منشوريا

١٧ حرق الالمانيون مدينة ليانغ . وصل لي هنغ تشنغ الى تينتسين

١٨ اعلنت الحكومة الانكليزية ان مستعمرات استراليا وتسمانيا تتحد من اول يناير سنة ١٩٠١ ويطلق عليها اسم كُمُن ولث استراليا (جمهورية استراليا) . وصل الكونت ولدرسي الى هنغ كنغ

١٩ بلغ عدد المعدنين المتصبين في اميركا ١٢٦ الفًا . عرضت حكومة هولندا سفينة حربية على كروجر لتنقلهُ الى هولندا . غرقت الباخرة الشرقية من بواخر الشركة الخديوية قرب جزيرة اندروس وهي سائرة من الاسكندرية الى الاستانة وغرق فيها كثيرون

٢٢ أولمت وليمة عظيمة في باريس حضرها ٢٢ الفًا من حكام المدن بدعوة من رئيس الجمهورية

٢٣ سلم ثلاثة آلاف من البوير لحكومة البرتغال بعد ان اتلفوا مدافعهم

٢٤ قام لي هنغ تشنغ من تينتسين الى بكين تخفره الجنود الروسية واليابانية

٢٥ احتفل بعيد مولد الجناب الخديوي . صدر الامر بانتخاب مجلس جديد للنواب في بلاد الانكليز

٢٧ وصل البطريرك فوتيوس بطريرك الروم الارثوذكس الجديد الى الاسكندرية

٢٩ عين اللورد ربرتس قائدًا عامًّا للجنود الانكليزية بدلاً من اللورد ولسلي . خرج سفير روسيا من بكين ومعهُ الجنود الروسية وعادوا الى تينتسين

٣٠ اجتمع مؤتمر السلام في باريس

اكتوبر

٠١ وصل الشاه الى الاستانة. وصل دولتلو مختار باشا الغازي الى الاسكندرية عائدًا من اوربا

٠٢ شفي آخر مصاب بالطاعون في الاسكندرية ولم تحدث اصابات بعدهُ

٠٣ عاد اللورد كرومر من اوربا

١٠ ضمّت جزائر كوك الى زيلندا الجديدة بطلب رؤسائها . احتفل الايرانيون بعيد مولد جلالة الشاه

١٢ انتقل البلاط الصيني الامبراطوري الى سي نان فو. رد الروسيون قصر الصيف الى الصينيين. وصل لي هنغ تشنغ الى بكين وزار سفراء الدول فيها

١٤ بعث امبراطور الصين كتاباً الى رئيس الولايات المتحدة يشكره فيهِ على ما اظهره من الوداد للصين. وصل عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار الى الاسكندرية عائداً من اوربا

١٥ اجتمع وكلاء الدول في بكين واقروا على المطالب التي يطلبونها من الصين

١٦ اعلنت ملكة هولندا خطبتها لدوق مكلنبرج شورن . تمّت الانتخابات في بلاد الانكليز لمجلس النواب ففاز المحافظون

١٧ استعفى البرنس هوهنلوهي من وزارة الامبراطورية الالمانية وعين الكونت بولو وزيراً لالمانيا في اليوم التالي

١٩ قام الرئيس كروجر من لورنزو مركيز قاصداً اوربا على البارجة جلدرلند الهولندية . احتلَّ الف من الجنود الفرنسوية ته شو شمالي النهر الاصفر

٢٠ الف المركيز ايتو وزارة يابانية جديدة . سافر الجنرال بلر من دربان قاصداً انكلترا

٢١ استعفت الوزارة الاسبانية فأُلفت وزارة جديدة في اليوم التالي

٢٢ احتدم القتال بين البوير والجنرال فرنش ولورد مثوين

٢٣ احتلت الجنود المتحدة باوتنغ فو من غير مقاومة

٢٧ هزم الجنرال نكس ده ويت واخذ مدفعين من مدافعهِ

٢٨ توفي الاستاذ مكس ملر وعمره ٧٧ سنة

٢٩ شبت النار في نيويورك فقتل بها ٣٨ وجرح مئة . توفي البرنس كرستيان فكتور في برنتوريا وعمره ٣٣ سنة

٣٠ حدثت زلزلة في فرقاس قتل بها ٢٥ نفساً وجرح كثيرون . اطلق كثيرون من اسرى السودان فعادوا من رشيد الى اوطانهم

نوفمبر

١ عاد الجناب الخديوي من الاسكندرية الى العاصمة . تألفت الوزارة الانكليزية من المحافظين واقرّت الملكة على تعيين المستر رتشي وزيراً للداخلية واللورد لنسدون للخارجية والمستر

بردرك للحربية واللورد سلبرن للبحرية وبقي بقية الوزراء في مناصبهم . احتلّت الجنود المتحدة مدافن الملوك في بلاد الصين

٠٢ ثار الكارلوسيون في اسبانيا

٠٣ احتفل بفتح معرض الاقحوان في الجزيرة

٠٤ رفع الرئيس لوبه الستار عن تمثال الرئيس كارنو في ليون

٠٥ واقع الكولونل له كالس البوير ودام القتال خمس ساعات فاخذ منهم ثمانية مدافع ومئة اسير لكنهُ قُتل في المعركة

٠٦ أُعيد انتخاب مكنلي رئيساً للولايات المتحدة الاميركية

٠٨ اصيب فتى بالطاعون في الاسكندرية

٠٩ ورد من اخبار نجد ان ابن الرشيد اطاع الدولة العلية على ان تمدّهُ بالقوة العسكرية . اصيب ربان باخرة انكليزية بالطاعون في الاسكندرية . خرجت الجنود الروسية من تينتسين وسلمت سكة الحديد من تينتسين الى شنغ كاي كوان للكونت ولدرسي وعزمت الولايات المتحدة على ان تقتدي بروسيا فتخرج جنودها من الصين

١٠ حكم على سلسون الذي حاول قتل الشاه بالسجن مدى الحياة

١١ كتب السفراء مطالبهم لشروط الصلح مع الصين

١٢ أُصيب قيصر الروس بالحمى التيفويدية . أُقفل معرض باريس وكانت علامة اقفالهِ اطلاق ثلاثة مدافع ليلاً

١٤ وصل الرئيس كروجر الى السويس ولم يقابل احداً من مكاتبي الجرائد

١٥ حدثت حادثة سكة حديد بفرنسا قرب بايون قتل بها ١٧ وجرح ٢٠

١٦ رمت امرأة فأساً على امبراطور المانيا في برسلو

١٧ حدث قطع في جسر سكة الحديد المصرية بين الدبة وفاو طغت بسببهِ المياه وقدّرت الخسارة بنحو اربعين الف جنيه عدا تعطيل القطارات عن السير

١٨ وصل كتاب الى الحكومة الالمانية من امبراطور الصين يتوسل اليها بهِ لتساعدهُ

٢٠ ظهر الجراد في جهات طوكر وبقي في مزارعها يومين فاكل الذرة من ارض مساحتها نحو اربعة آلاف فدان

٢١ حدثت زوبعة في مدينة كولمبيا بولاية تنسي باميركا قتل بها ١٥ نفساً

٢٢ وصل الرئيس كروجر الى مرسيليا

٢٣ سلمت حامية دوتس درب الانكليزية للبوير فاسروا ٤٠٠ واخذوا مدفعين

٢٤ وصل كروجر الى باريس فقوبل بالترحاب وزار المسيو لوبه فردّ له الزيارة

٢٦ ثار اهالي الصمال في شرقي افريقية

٢٧ تمّ الاتفاق التجاري بين تركيا والبلغار. اولم مجلس بلدية باريس وليمة فاخرة لكروجر. كشفت مكيدة كيدت على اللورد ربرتس في يوهنسبرج

٢٩ جعلت الحكومة المصرية اجرة المحلات المتبادلة داخل القطر مليمًا واحدًا الى حد ما زنتهُ ٢٠٠ جرام وجعلت مدة الخدمة العسكرية ١٠ سنوات فقط خمس سنوات منها في الجيش العامل و٥ في البوليس والرديف. ووهبت مستشفى الكلب ٢٥٠ جنيهًا كل سنة وصادق مجلس النظار على انشاء صندوق عمومي للتوفير في البوسطة المصرية وعلى انشاء مجالس بلدية في اصوان والجيزة وجرجا ومنوف وعلى انشاء سد دمياط ومحلة الامير

٣٠ خرج كروجر من باريس. شفي القيصر ودخل دور النقه

دسمبر

٠١ منحت حكومة نكارغوى الولايات المتحدة امتيازًا بفتح ترعة بين المحيطين

٠٢ اعتذر امبراطور المانيا عن مقابلة كروجر وكذلك امبراطور النمسا وملك ايطاليا

٠٤ قدرت نفقات ترعة نكارغوى بمئتي مليون ريال. وصل كروجر الى عاصمة هولندا

٠٧ وقع خلاف بين هولندا والبرتغال فترك سفير هولندا منصبهُ في لسبون وسفير البرتغال منصبهُ في الهاي. اطلق البوير الاسرى الذين اسروهم في دوتس درب ما عدا الضباط منهم

٠٨ وصل اللورد روبرتس الى مدينة الراس عائدًا الى انكلترا ليستلم منصب القائد العام للجنود الانكليزية. وتقرر ان يقيم السر الفرد ملنر في بريتوريا وتجعل عاصمة المستعمرات الجديدة. قابل كروجر ملكة هولندا

٠٩ زار الاسطول الانكليزي مدينة لسبون وادب ملك البرتغال مأدبة لجنوده واكّد تحالف انكلترا والبرتغال. واكّدت ذلك ايضًا ملكة الانكليز في البارلمنت

١٠ احتفل بافتتاح عنابر بولاق بحضور الجناب الخديوي. قدّر ديوان الزراعة باميركا موسمها عشرة ملايين ومئة الف بالة وزمام الارض المزروعة قطنًا ٢٥ مليون فدان

١١ قرّرت الحكومة المصرية بناء مكان جديد لمدرسة الحقوق ولمدرسة الزراعة ومد اسلاك التلفون بين العاصمة والاسكندرية في انابيب من الحديد وبناء قناطر على النيل قرب زفتي ونحو ذلك من الاعمال العمومية وقدّرت نفقاتها كلها مليونًا و ٩٦ الف جنيه واجتمع

اعضاء صندوق الدين ووافقوا على اعطائها اكثر هذا المال من المال الاحتياطي العمومي. اخبرت هولندا المسيو كروجر انها لا تستطيع ان تساعد جمهوريتي البوير الاّ اذا ابتدأت الدول العظمى في ذلك. سار اول قطر بين بكين وتينتسين بعد ابتداء الفتنة

١٢ هجم دلاري وباريز بالفين وخمس مئة من البوير على الجنرال كليمنتس فاضطرّ الى التقهقر وقتل خمس ضباط من الانكليز

١٤ مضى اللورد كرومر الى السودان لتفقد احوالهِ وذهب معهُ المستشار المالي

١٥ احتفلت الجمعية الجغرافية المصرية بيوبيل ٢٥ سنة مرّت عليها منذ افتتاحها فناب عطوفتلو مصطفى باشا فهمي عن الجناب الخديوي في حضور احتفالها . دخل البوير مستعمرة الراس

١٦ غرقت بارجة المانية متخذة مدرسة بحرية على سواحل اسبانيا وغرق فيها ٣٨ نفساً

١٨ ضبطت الحكومة الفرنسوية في مرسيليا اربعين صندوقاً مملوءَة غنائم غنمها الجنرال فري من الصين وستردها كلها الى الصين . ارسل امبراطور المانيا اكليلاً دقيق الصنعة ليوضع على ضريح السلطان صلاح الدين في دمشق

١٩ هزم الجنرال فرنش ٢٥٠٠ من البوير فقتل منهم ٥٠ وتقهقر الباقون وخسر الانكليز ١٤ جريحًا . صدر الامر العالي بربط الميزانية المصرية لسنة ١٩٠١ وهي عشرة ملايين وسبع مئة الف جنيه للايرادات وعشرة ملايين وستماية وستة وثلاثون الف جنيه للمصروفات

٢١ اعلنت الاحكام العرفية في مقاطعات كثيرة من مستعمرة الراس خوف الثورة . احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية احتفالها السنوي في حديقة الازبكية . ثبتت رؤية هلال رمضان في المساء

٢٢ ابتدأ شهر رمضان وجرت التشريفات في المساء

٢٤ صادق مجلس الشيوخ بفرنسا على العفو العام عن كل ما يتعلّق بمسألة دريفوس . خطب اللورد كرومر في الخرطوم على مشايخ السودان

٢٦ احتفل بعيد الميلاد عند الطوائف المسيحية الغربية . واستعرض اللورد كرومر الجنود المصرية التي في السودان

٢٦ سلم السفراء الرقيم الاجماعي الى البرنس تشنغ ليقدمهُ الى امبراطور الصين . توفي غلام محمد خان عم امير الافغان في دمشق الشام وعمرهُ تسعون سنة

٢٧ توفي اللورد ارمسترنغ المهندس المشهور مخترع المدفع المعروف باسمهِ



التعليم الزراعي في فرنسا

القسم العالي

النصف الاول من السنة

(١) الحيوانات — يعلَّم التلامذة كيفية الفرق بين الحيوانات بارشادهم الى الفروق بين الحيوانات الاهلية وترسَّخ في عقولهم قواعد التدابير الصحية اللازمة للاعتناء بالمواشي ويُدَرَّسون وظائف اعضاء الجسد الرئيسية كالقلب والرئتين والمعدة والكبد ويُرَون هذه الاعضاء في الحيوانات الميتة

(٢) الانسان — يعلَّم التلامذة قواعد حفظ الصحة ووجوب الجري عليها ولاسيما ما يتعلَّق منها بالهضم والدورة الدموية والتنفُّس وعلاقة المشاعر بالاعصاب

(٣) مبادئ الطبيعة — يثبت لهم بالتجارب البسيطة مبادئ الحرارة والنور والكهربائية والجاذبية ويعوَّدون على قراءة الترمومتر والبارومتر واستعمال الخرائط المتيورولوجية

(٤) مبادئ الكيمياء — يعلَّمون مبادئ الكيمياء بالتجارب وتختار التجارب المتعلقة بعلم الزراعة خاصَّة فيعلمون مثلاً كيفية استخراج البوتاسا من رماد الخشب وكيفية استحضار الفصفات الذي يقبل الذوبان من العظام المكلَّسة . واكتشاف الامونيا في المواد التي تحتوي شيئًا منها

(٥) الجمادات — تدرس الاتربة والصخور بالتجارب الكيماوية وبالمشي في البلاد ومشاهدة ما فيها وشرح خواص اتربتها وصخورها

(٦) زراعة الغلال والبساتين — تجعل الدروس منطبقة على زراعة البلاد وعلى الدروس الاخرى الطبيعية والكيماوية وعلى الاماكن التي يمشي فيها التلامذة

النصف الثاني من السنة

(١) التجارب الزراعية — وهي تشمل التجارب التي تتضح بها كيفية تحلل الهواء للتراب ولزوم النيتروجين والحامض الفصفوريك والبوتاسا والجير لنمو المزروعات وفائدة السماد الآلي للارض ميكانيكيًّا لتحليل التربة فوق فائدته كغذاء للنبات . والسماد اللازم لكل تربة على حدتها لانهُ يقدم لها ما تحتاج اليهِ لنمو النبات فيها. واذا زاد عن المطلوب فلا فائدة من الزيادة

ويمكن اجراء اكثر هذه التجارب بزرع النباتات في آنية صغيرة امام التلامذة في اتربة مختلفة وتسميدها بانواع مختلفة من السماد . ويحسن ايضاً ان تجرى هذه التجارب في بستان قريب من المدرسة

(٢) ارض الامتحان — يجب ان يهتم الاستاذ هنا باظهار فائدة المعارف الزراعية في زيادة الغلّة اي ان يقابل بين قطع مختلفة من الارض بعضها يزرع حسب الطرق العادية وبعضها يزرع حسب الطرق العلمية حتى يظهر اخيرًا الفرق بين غلّة هذه وغلّة تلك . ويعيّن لكل نوع من المزروعات ثلاث قطع قطعة تزرع ولا تسمّد وقطعة تزرع وتسمد بزبل المواشي كما تسمد الارض عادة في البلاد التي المدرسة فيها وقطعة تزرع وتسمد بالزبل وبالسماد الكيماوي الذي تقتضيهِ طبيعة الارض وطبيعة ما يزرع فيها من الزرع حسبما قرَّرهُ استاذ الزراعة بالامتحان الكيماوي

ولا بدَّ من ان يشترك التلامذة في اعداد الارض وخدمتها وان يعملوا بايديهم و يشتغلوا بعقولهم

(٣) مماشي التلامذة — لا بدَّ للتلامذة من ان يخرجوا للنزهة مشاةً كل يوم فيقضون ساعةً او اكثر في المشي بين الحقول والمزارع . وقد سمينا الاماكن التي يمشون فيها مماشي وهي لازمة لهم من باب صحي ومن باب علمي و يغتنم الاساتذة الفرصة حينئذٍ ويخبرونهم عن انواع التربة التي يشاهدونها في مشيهم واساليب الزراعة والحشرات التي يرونها وآلات الزراعة وكل ما تقع عينهم عليهِ مما يدخل في علم الزراعة وعملها . ويوجه نظرهم بنوع خاص الى الامور التالية وهي

الحرث — شكل المحاريث كيفية قلبها للتربة مزايا بعضها على بعض مقدار غورها في الارض فائدة ذلك في قلب التربة وتجفيفها. زمن الحرث المرّات التي تحرث بها الارض

التقصيب — كيفية ذلك واختلافهُ باختلاف الاراضي وفائدتهُ في نزع الحشائش

وضع السباخ — . انواع السباخ وكيفية وضعها في الارض قبل الحرث وبعدهُ وقبل الزرع وبعدهُ

الزرع — الشروط اللازمة لنمو البزر . الزرع العميق وغير العميق . اختلاف الفصول وتأثيرها في الزرع . مقدار التقاوي

القضب والتطعيم — وهذا خاص بالجنائن اي باشجار الفاكهة كالليمون والكمثرى والكرم وما اشبه

اعمال الزراعة الخفيفة — كنزع الاعشاب والعزق ونزع الجذور العليا

الحصاد — اوقاتهُ وطرقهُ والآلات المستعملة فيهِ فان هذه كلها يجب ان يريها الاستاذ لتلامذتهِ وهي تستعمل في اماكنها و يشرح لهم تركيبها وعملها

وعلى الاستاذ ان يعلم ما هو عازم ان يريهُ لتلامذتهِ قبل الوصول اليهِ فيعد عقولهم لهُ بشرحهِ في المدرسة ويعيد شرحهُ لهم بعد رؤيتهِ ويجعلهُ موضوعاً للدرس لان قرن العلم بالمشاهدة يرسّخ قواعد العلم في النفس ويسهّل فهمها

هذه خلاصة ما نشرتهُ وزارة الزراعة في فرنسا واوجبت العمل بهِ في المدارس الابتدائية في كل البلاد الفرنسوية. وحبذا لو اقتدت بها الحكومة المصرية فوسعت نطاق المدرسة الزراعية ورغبت تلامذتها في تولي نظارة المدارس الابتدائية وادخال العلوم الزراعية الابتدائية فيها وقرن العلم فيها بالعمل على حسب النحو الذي شرحناهُ . واذا عقدت الحكومة نيتها على ادخال مبادئ العلوم الزراعية الى مدارسها لم يتعذَّر عليها ذلك بل وجدت السبُل الموصلة اليهِ

المحراث المصري

صارت مجلة الشركة الزراعية في يد المستر فودن مخزن فوائد لا يستغنى عنها . وقد رأينا في الجزء الاخير الذي صدر منها مقالات كثيرة عميمة الفائدة شرح في المقالة الاولى منها فائدة المحراث . ومما قالهُ في هذا الصدد انهُ يُقصَد بالمحراث قلب الارض لا مجرَّد اثارة ترابها اما المحراث المصري فلا يقلب الارض قلباً بل يثير ترابها اي يحركهُ في مكانهِ ولذلك فالفوائد التي تنتج من الحرث الجيد مثل تهوية الارض وتغيير موادها من حالة لا تقبل الذوبان فيها الى حالة تقبل الذوبان فيها لا تنتج كلها من الحرث بالمحراث المصري. والحرث الجيد بمثابة السماد للارض حتى ان من يحرث ارضهُ جيداً يستغلُّ منها ولو كانت غير جيدة اكثر مما يستغلهُ صاحب الارض الجيدة من ارضهِ اذا لم يحرثها جيداً

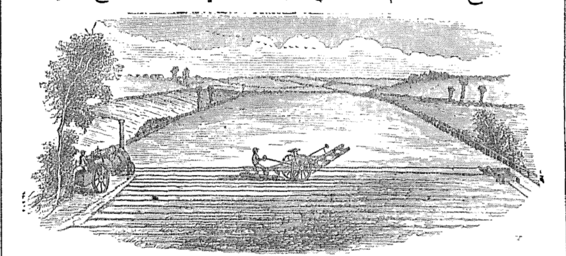
ثم ان زراعة البرسيم تفيد الارض لان البرسيم يستمدُّ بعض غذائهِ من الهواء ويتركهُ في الارض اذا حرثت والبرسيم فيها فاذا كان المحراث يقلبها قلباً غطى ترابها البرسيم فانحلَّ فيها وصار سماداً لها واما اذا كان المحراث لا يقلبها قلباً لم يتغطَّ كل البرسيم فيها فلا تستفيد منهُ كل الفائدة التي تستفيدها اذا قُلب ترابها على البرسيم وطمرهُ ولذلك فالمحراث الاوربي اصلح كثيراً من المحراث الوطني من هذا القبيل

ولكن يعترض على المحراث الاوربي اعتراضات كثيرة اولها غلاء ثمنهِ فان ثمن المحراث الوطني من خمسين غرشاً الى ستين واما المحراث الاوربي فثمنهُ اربعة جنيهات على الاقل وقد يكون ثمنهُ ثمانية جنيهات . وهو كثير التراكيب سريع الخلل واذا اختلَّ تركيبهُ عسر اصلاحهُ في هذه البلاد . وكذلك جرُّهُ في الارض صعب جداً في الحرث الاول بعد ضم الزرع لانها

تكون صلبة يعسر شقها واما اذا حُرثت بالمحراث الوطني اولاً فيسهل حرثها ثانية وقلبها بالمحراث الاوربي . وكذلك يُفضَّل المحراث الوطني على المحراث الاوربي اذا كان الماء قليلاً وأُريد حفظهُ في الارض ولاسيما في الحياض التي تروى مرة في السنة كما في الوجه القبلي لانهُ يشق الارض شقًّا ولا يقلبها قلبًا كالمحراث الاوربي فلا يتبخر الماء منها فتجف

المحراث البخاري

ثم التفت المستر فودن الى المحراث البخاري وقال ان اراضي القطر المصري اصلح لهُ من اراضي البلدان الاوربية لان الارض منبسطة في القطر المصري و يسهل حرث الخطوط الطويلة فيها . ثم فصَّل انواع المحاريث البخارية فقال انها ثلاثة اشهرها ذو الآلتين لان فيهِ آلتين بخاريتين توضع الواحدة امام الاخرى على طرفي الارض التي يراد حرثها وتوضع المحاريث بينهما



فتجرها الآلة الواحدة اليها بسلاسل متصلة بها ومتى وصلت اليها انقلبت محاريثها الى الجهة الاخرى فجرَّتها الآلة الثانية اليها وتتقدَّم الآلتان رويدًا رويدًا على جانبي الارض حتى يتم حرثها. وآلتا هذا المحراث تستعملان لاغراض اخرى بعد ما يتم حرث الارض فتستعملان للدراسة او للري

ويتلوهُ المحراث الذي لهُ آلة واحدة يقابلها مركبة ثقيلة كالمرساة فالآلة تجر المحاريث ذهابًا وايابًا وهي متصلة بالمرساة بسلسلة طويلة . وقد رأينا ان نضع هنا صورة هذا المحراث لان النظر اليها يغني عن الاسهاب في وصفهِ . اما المحراث الثالث فمرساتهُ تتحرَّك من نفسها بآلة فيها وقد أُهمل استعمالهُ الآن لكثرة نفقاتهِ . ومن رأي المستر فودن ان المحراث ذا الآلتين أفضل من غيرهِ ولاسيما اذا كانت آلتاهُ مصنوعتين ليوقد فيهما حطب القطن كما يوقد الفحم .

واذا اشترك فلاّحان في محراث وابتاع كلٌّ منهما آلة بخارية استطاع كلٌّ منهما ان يستعمل آلتهُ للري او للضم عند الفراغ من الحرث . ويمكن الحرث بهذا المحراث بحث يكون العمق ٢٠ سنتمترًا فقط او بحيث يبلغ العمق ٧٠ سنتمترًا حسب الطلب ويكون في المحراث سلاح (سكة) واحد او سلاحان او اربعة الى سبعة . وفي المحراث المرسوم ههنا اربعة اسلحة من كل جهة

والغالب ان المحراث البخاري يحرث من ثمانية افدنة الى ١٢ فدانًا في اليوم ولا ينتظر ان يحرث مقدار ذلك في القطر المصري .وتوضع فيهِ سكك غير المحاريث للعزق وفتح الخنادق او الملأّلات فيشق بهِ خندق طولهُ الف وسبع مئة متر في الساعة وعمقهُ ستون او سبعون سنتمترًا وسعتهُ ٩٠ سنتمترًا

ضربة الليمون

ذكرنا منذ بضع سنوات ان الاميركيين اخذوا يعالجون ضربة الليمون القشرية بغاز الحامض الهيدروسيانيك وذلك بوضع خيمة كبيرة فوق شجرة الليمون واطلاق غاز الحامض الهيدروسيانيك تحتها حتى ينتشر بين اغصان الشجرة واوراقها ويميت ما عليها من الحشرات . وقد كتب الينا بعض الفضلاء من طرابلس الشام انهم جرَّبوا ذلك حسب ارشاد المقتطف فلم يفِ بالغرض وطلبوا منا ان نبحث عن سبب فشلهم فرأينا في مجلة الجمعية الزراعية الآن ان اطلاق غاز الحامض الهيدروسيانيك يجب ان يكون ليلاً لا نهارًا " لان نور الشمس يحل هذا الغاز فيتكوَّن منهُ غازات اخرى تضرُّ ورق الليمون ولا تضرُّ كثيرًا بالحشرات" ويستطيع اربعة رجال ان يستعملوا ست خيام الواحدة بعد الاخرى فمتى انتهوا من نصب الخيمة السادسة واطلاق الغاز فيها يكون الغاز قد فعل فعلهُ في الخيمة الاولى فيرفعونها ويضعونها على شجرة اخرى ويطلقون الغاز فيها ثم يعودون الى الخيمة الثانية فالثالثة وهلمَّ جرًّا. ويتيسر لهم بذلك ان يبخروا ٢٤٠ شجرة في ليلة واحدة واذا كانت الاشجار صغيرة والرجال متدربين على العمل والخيام اربعين خيمة سهل عليهم تبخير اربع مئة شجرة في ليلة واحدة ولا تزيد نفقة تبخير الشجرة على نصف فرنك اما الشجرة الكبيرة فتبلغ نفقات تبخيرها اربعة فرنكات واذا زاد ارتفاعها على عشرة امتار تعذَّر تبخيرها مطلقًا لصعوبة نصب الخيمة فوقها

اما المواد الاصلح لاستحضار غاز الحامض الهيدروسيانيك فهي اوقية من سيانيد البوتاسيوم النقي واوقية سائلة او اكثر قليلاً من الحامض الكبريتيك وثلاث اواقي سائلة من الماء وهذه

الكيات يتولد منها غاز كافٍ لما مساحتهُ ١٥٠ قدماً مكعبة من الشجر اي لشجرة قطر اغصانها متران وعلوها متران. وهي توضع في اناء على الارض داخل الخيمة يوضع فيهِ الماء اولاً ثم الحامض الكبريتيك واخيرًا السيانيد ثم تقفل الخيمة وتترك كذلك ثلاثين دقيقة او اربعين. وهذا الغاز يقتل الحشرات ولا يضرُّ الاثمار



باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن برآء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

"علموا البنات الطبخ والنفخ"

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

حضرتُ الاحتفال بمنح الشهادات لتلميذات مدرسة البنات الاميركية في العاصمة وسمعت الخطب الانيقة التي تليت فيهِ. وقد دلت تلك الخطب على ان بناتنا جارينَ ابناءنا في اختيار المواضيع وشرحها بعبارة معربة فصيحة. وسواءٌ كنَّ المنشئات لتلك الخطب من غير ان يساعدهنَّ احد او ساعدهنَّ اهلهنَّ ومعلماتهنَّ فالنتيجة حسنة جدًّا تدلُّ على ان التعليم قد اثمر فيهنَّ

وقد سمعتُ من بين تلك الخطب خطبةً لم استغربها كثيرًا لانني اعتدت سماع مثلها من الخطب والاحاديث ومفادها ان تعليم البنات لا يفي بحاجة البلاد ما لم تتعلم البنت الطبخ والنفخ او كما قال احد الحضور الذي وقف خطيباً عند ختام الحفلة "الطبخ والعجن". وانا وغيري من السيدات اللواتي كنَّ حاضرات هناك نعترض على هذا القول اشد الاعتراض ولا نريد ان نرسل بناتنا الى المدارس ليتعلمنَ فيها الطبخ والعجن الاَّ اذا كانت المدرسة لتعليم الخادمات واردنا ان نعلم بناتنا ليكنَّ خادمات في بيوت غيرهنَّ

ولا انكر ان الطبخ والعجن لازمان لكل بيت من البيوت ولا تعيش عائلة ما لم يوجد من

يهيئ لها الطعام من خبز وطبخ. ولا انكر ايضاً ان اكثر العيال مضطرة ان تعدَّ طعامها بنفسها وان اعداد الطعام يكون من عمل المرأة في الغالب لا من عمل الرجل . ولكن هذه العيال التي تلتزم نساؤها ان تعدَّ طعامها بيدها لا تقدر في الغالب ان تبعث بناتها الى المدارس العالية. اما العائلة التي تقدر ان تنفق على بناتها في المدارس العالية فلا تضطر المرأة التي فيها ان تعجن وتطبخ طعامها بيدها بل تستطيع ان تشتري خبزاً مخبوزاً وان تستخدم طباخاً يطبخ لها وان عجنت وطبخت بيدها فلزيادة الحرص

واني استميح حضرة الخطيب والخطيبة بذكر الامثلة الآتية لزيادة الايضاح فاقول .

ان الزراعة من اول المعايش والزمها ولا تستطيع امة من الامم ان تعيش ما لم تزرع الارض وتستغلها . والزراعة لازمة لزوم العجن والطبخ ولكن يستطيع عدد كبير من اعضاء كل امة ان يعيشوا وينجحوا من غير ان يتعلموا الفلاحة والزراعة ومن غير ان يعملوا بهما كأن يتعلموا الطب مثلاً فيكونوا اطباء او يتعلموا الحقوق فيكونوا قضاة او محامين او يتعلموا الادارة فيكونوا حكاماً ومديرين او يتعلموا الفنون العسكرية فيكونوا جنوداً وضباطاً او يتعاطوا التجارة على انواعها من بيع وشراء . ومع لزوم الزراعة الامة لزوماً لا انفكاك عنهُ نجد ان عدداً كبيراً من رجالها لا يتعلمون الزراعة ولا يعملون بها ومع ذلك تعيش تلك الامة وترتقي . نعم انهُ في غابر الازمان قبلما جرى الناس على ناموس تقسيم الاعمال كان كل احد يزرع ارضهُ بيدهِ ويستغلها ولا يعيش ما لم يزرع ويستغل طعامهُ بيدهِ اما بعد ان تقسَّمت الاعمال صار البعض يزرعون الارض لهم ولغيرهم ولم تعد الزراعة حرفة عامَّة لجميع الناس

ومن هذا القبيل نسج المنسوجات فان الناس في الزمان القديم كانوا يجزُّون صوف غنمهم ويغزلونهُ وينسجونهُ ويخيطونهُ ويلبسونهُ . واللباس لازم لزوم الاكل والشرب فهل نجبر كل رجل ان يغزل قطنهُ او صوفهُ بيدهِ ويحيكهُ كما كان يفعل الناس في قديم الزمان او نكتفي بحصر صناعة الغزل والنسج ببعض الناس واناطة اعمال أُخرى بالبعض الآخر على موجب ناموس تقسيم الاعمال

ولا شبهة في ان الطبخ والعجن لا يزالان شائعين اكثر من شيوع الغزل والنسج اي ان كل الناس تقريباً يصنعون خبزهم ويطبخون طبخهم في بيوتهم ولكن اذا استطاعت امرأة ان تعمل عملاً آخر غير الطبخ والعجن اربح لها منهما واريح لها منهما فيكون من الحماقة والسخافة ان تترك هذا العمل وتهتم بالمطبخ . فان المرأة التي تستطيع ان تكون معلمة وتربح في شهرها ستة جنيهات وتستطيع ان تستخدم خادمة تطبخ لها طعامها وتدير لها بيتها بجنيه او جنيهين في

الشهر يكون من الحماقة والجهل ان تترك التعليم وتطبخ طعامها بيدها . وشأنها في ذلك شأن محرر الجريدة الذي يربح من تحريرها خمسين جنيهاً في الشهر ثم هو يترك التحرير ويزرع فدانين من الارض يستغلُّ منهما ما يحتاج اليهِ من القمح والذرة والقطن ويحلج قطنهُ و يغزلهُ و ينسجهُ و يخيط منهُ ثيابهُ

ولا بدَّ لكل امة من اناس يحرثون ويزرعون واناس يغزلون و ينسجون واناس يبنون ويفرشون واناس يطبخون و ينفخون واناس يعجنون ويخبزون . والامم المتبربرة التي لا تزال على الهمجية يعمل كل واحد منها هذه الاعمال كلها . وعلى حسب ارتقاء الامة تتوزع الاعمال بين اعضائها فيسهل عملها و يزيد اتقانها بتوزيعها . والذي يطلب من الوزير والمدير والتاجر والقاضي والمحامي والطبيب ان يعملوا كل الاعمال اللازمة للمعيشة انما يقصد الرجوع بنوع الانسان الى حالة الهمجية والبربرية وكذا من يطلب من امرأة الوزير والمدير والتاجر والقاضي والمحامي والطبيب ان تترك المطالب التي تستطيع ان تعمل بها حسب مقامها ومقام زوجها وتعمل ما تعملهُ امرأة الفلاح من طبخ ونفخ وحلب وصر انما يخالف ناموس الارتقاء وتقسيم الاعمال . وكما تحتاج الامَّة الى طبَّاخات ونفَّاخات تحتاج الى مربيات ومعلمات ومؤلفات ومدبرات ونساءٍ يعرفنَ كيف يستقبلن الضيوف ويحدثنَ الزوار وينفثنَ في الحياة بهجةً وسروراً . والمرأة المتعلمة المتهذبة التي تستطيع ان تستخدم الخدم في بيتها لا تتعذَّر عليها ادارتهم ومراقبتهم كما ان الملاَّك الماهر يستطيع ان يدير زراعتهُ ولو لم يمسك المحراث بيدهِ . اما النساء اللواتي لا يستطعن ان يستخدمن الطبَّاخ والطبَّاخة بل يلتزمنَ ان يطبخن طعامهنَّ بايديهنَّ لفقرهنَّ فقليلات منهنَّ يستطعنَ ان يتعلمن في المدارس العالية . وسواء تعلمنَ فيها او لم يتعلمن فالطبخ والنفخ يتعلمنهُ من امهاتهنَّ في بيوتهنَّ ولا داعي لان يضاع وقت المدرسة الثمين في تعليم الطبخ والنفخ وما اشبه . واذا بحثنا عمَّا تمسُّ اليهِ الحاجة في القطر المصري وجدنا انهُ نشر التعليم العمومي في البلاد كلها لانهُ مفتاح التهذيب والارتقاء والنساء محتاجات اليهِ احتياج الرجال . ولا ينتشر التعليم و يعمُّ النساء والرجال ما لم تُستخدَم المعلمات للتعليم في المدارس الابتدائية كما فعل اهالي اوربا واميركا . فالحاجة ماسَّة الآن الى معلمات لا الى طبَّاخات ونفَّاخات

مصر احدى قارئات المقتطف

احتجاب المشتري

كانت ليلة التاسع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي صافيةً في هذه البلاد فاشرق قمرها و بسط نورهُ على المروج الخضراء التي كستها الطبيعة ابهى الحلل

في تلك الليلة كنت ترى الناس زرافات ووحدانًا في الحدائق العمومية والشوارع الكبيرة على غير عادتهم وكلهم عيون تنظر الى السماء بعجب ودهشة وتراقب الفلك كأنها شعرت بلذة لم تشعر بها الحواس من قبلُ . وكلٌّ منهم يقول للآخر سنرى منظرًا غريبًا لا نراهُ مرةً اخرى في حياتنا كوكبًا يدنو من القمر كأنهُ يريد الامتزاج بهِ منظرًا نراهُ نحن فنستغربهُ ونسرُّ بهِ ويراهُ الفلكي فيرقبهُ بنظارتهِ ويستفيد منهُ في حل مسائل كثيرة في علم الفلك

وقد كان احتجاب المشتري ظاهرًا في كل جهات نيوسوث ويلس وابتدأ الساعة ٧ والدقيقة ٣٧ والثانية ١٢ . وبعد ٣٥ ثانية اختفى المشتري تمامًا لانهُ صار وراء القمر . وانتهت مدة الاحتجاب الساعة ٨ والدقيقة ٤٣ والثانية ٣٧ . وكنا نرى المشتري صغيرًا جدًّا بالنسبة الى القمر والحقيقة انهُ اكبر منهُ كثيرًا

والنجمُ تستصغر الابصار رؤيتهُ والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

بل ليس الذنب للنجم ولا للطرف ولكن للبعد الشاسع فان حجم الاجرام يصغر ببعدها عنا . والثوابت التي يرى كلٌّ منها صغيرًا كنقطة في لوح السماء يفوق جرم كلٍّ منها جرم الارض وجرم الشمس

سدني باستراليا وديع ابو رزق

تحريف الاسماء المعرَّبة

حضرات الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

خصَّ كاتب بسدني ناطقي الضاد بتحريف وتغيير ونسخ اسماء اعلام العجم وأيَّدَ ذلك بمثل القائد Gordon وغيرهِ الذي لم يستعض فيهِ سوى حرف G بحرف الغين الحلقيتين وكذلك Gatacre بالجيم . وكأني بهِ يتجاهل ما يحرفهُ العجم انفسهم في الاسماء العربية من التحريف الخبيث الذي يكاد يذهب بالمقصود منها واليك بعضها مُسلم Moslem (مُظْلَمْ) . والقاهرة Cairo (كايرو) . والدولة الاموية Ommyads (أُميادز) . والدولة العباسية Abbasides (أَبَّاسيدِز) . وعكاء Acre (إِكَرْ) . ونهر وادي الكبير Guadalquivir (جادلكفير) . والحمراء Alhambra (أَلهمبرا) . وطائفة المرابطين بشمالي افريقية Almoravides (المرافيدز) وغيرها ممَّا لا يدخل تحت حصر . ولم يكُ هذا التحريف داعيًا الى سلقهم وتصويب سهام الملام اليهم فان النقل والترجمة لا يخلوان من التصرف في الاسماء الاعجمية مهما بالغ الناقل والراوي والمعرب في الدقة

امبابه سمعان عوض



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) كيف تكوَّن الانسان

سان باول بالبرازيل. الخواجه اندراوس الشختايري . يزعم الماديون ان الانسان تكوَّن من عناصر طبيعية فوُجد اولاً كتلة لحم متحركة ولكن هل للماديين كلام عن اصل تلك الكتلة وهل كانت ذكرًا او انثى او كانت ذكرًا وانثى معًا وكيف ظهر النوعان من عناصر واحدة واذا لم تكن الاَّ من نوع واحد فكيف تولَّد النوع الآخر

ج ان الماديين لايقولون هذا القول ولا ما يشابهُ كأَنهُ مذهب خاص بهم يخالفهم فيهِ غيرهم . والحقيقة التي لاريب فيها ان كل انسان يكون جنينًا في بطن امهِ قبلما يولد والجنين يكون نطفةً صغيرةً جدًّا لاترى بالعين لصغرها فالجنين يولد في الشهر التاسع من الحمل. وقبل الحمل بيوم او يومين اي قبلما يولد بتسعة اشهر يكون نطفة صغيرة اصغر من اصغر نقطة في هذه الصفحة وهذه النطفة لا تكون ذكرًا ولا انثى ولا يكون لها يدان ولا رجلان بل تكون جسماً دقيق الذنب كالدبوس يدخل البيضة وهي صغيرة ايضاً اصغر من اصغر نقطة في هذه الصفحة لاترى بالعين لصغرها فتأْخذ تنمو وتكبر ثم يتولد لها رأس ويدان ورجلان. ولا تظهر الاعضاء الفارقة بين الذكر والانثى الاَّ في اواخر المدة التي يتكون فيها الجنين. وتكون هذه الاعضاء واحدة في الجنين في اول الامر ثم تتنوع حتى يمتاز الذكر عن الانثى . وهذه الامور كلها تحدث في شهور قليلة وقد شوهد الجنين في كل ادوار تكونهِ فعلمت منهُ الامور التي تقدَّم ذكرها . فليس الامر رأيًا نظريًا بل هو حقيقة حسية مشاهدة . ويقول العلماء ان ما يتم من التغيرات في هذه النطفة حتى تصير انسانًا في اقل من تسعة اشهر هو مثال ما حدث في نوع الحيوان منذ بداءة وجودهِ الى ان صار انسانًا وان القوة التي تصيِّر النطفة انسانًا في تسعة اشهر هي نفس القوة التي جعلت الحي الاول يرتقي في النمو حتى صار منهُ نوع الانسان. هذا مايقولهُ الماديون وكل علماء الطبيعة

(٢) الدين والتقدم

السويس . مينا افندي راغب . هل للاديان علاقة بتقدُّم المالك او تأَخرها

ج نعم وعلاقتها كبيرة ولاسيما اذا كان لها سلطة قوية على الشعب . ولا يُعقل ان يكون لامرٍ من الامور سلطة عظيمة على كل فرد من افراد شعب الاَّ ويكون له علاقة كبيرة بما يأُول الى تقدُّم ذلك الشعب او الى تأَخرهِ

(٣) تقدم مصر

ومنهُ . اذا استمرَّت مصر سائرة على انموذج الترقي البطيء المشاهد الآن ففي كم عام تبلغ مراتب المالك الاوربية الكبرى من حيث العلوم والمعارف والصنائع والغنى

ج كلما فكَّرنا في هذا الامر اتضح لنا ان بلوغ مراتب اوربا بعيد جدًّا ان لم يكن ضربًا من المحال فانتشار التعليم مثلاً لا يتمُّ ما لم نستعن بالنساء لتعليم الصغار في المدارس الابتدائية . وعوائد القطر المصري تكاد تمنع البنات والنساء من التعليم لو تعلمنَ . واذا بقينا جارين على هذا الانموذج البطيء فالبنات اللواتي يتعلمنَ الآن لا يكفين لما يزيد في عدد السكان عامًا بعد عام لان هذه الزيادة تبلغ نحو ثلاثة في المئة سنويًّا فاذا حسبنا عدد الصغار الذين في سنّ التعلم الابتدائي مليونًا ونصف مليون فالزيادة السنوية في عددهم ٤٥ الفًا يقتضون الف معلمة على الاقل كل سنة . وقد نفلح في ادخال بعض الصنائع التي يسهل العمل بها في هذا القطر ونبلغ بها مراتب الاوربيين ولو لم ينتشر التعليم في بلادنا كما هو منتشر في بلادهم ولكن بلوغ مبلغهم من الغنى ضرب المحال لان متوسط دخل الشخص الواحد من الانكليز نحو ثلاثين جنيهًا في السنة ونحن لا دخل لنا الاَّ من اطياننا وهذا الدخل يقدَّر الآن باربعين مليونًا من الجنيهات وعدد السكان عشرة ملايين فيكون متوسط دخل كل نفس اربعة جنيهات في السنة وقد يتضاعف دخل الاطيان بعد سنوات قليلة باتساع مساحتها واتقان زراعتها ولكن عدد السكان يزيد ايضًا فيتضاعف في اقل من ثلاثين سنة . فلا بدَّ من ان تمضي سنون كثيرة قبلما يزيد متوسط الدخل على ثمانية جنيهات في السنة . الاَّ ان الاوربيين لا يقفون عند الحد الذي نراهم فيهِ الآن منتظرين وصولنا اليهم بل اذا تقدَّمنا خطوة تقدموا خطوتين وقد يناظروننا في مواطننا ويأكلون خيراتنا امام عيوننا فلذلك كلهِ لا ندري كيف نبلغ مراتبهم

(٤) كارليل

ومنهُ . ما شهرة كارْليل . وما رأيكم في كتابهِ المسمى بالابطال وعبادة الابطال وهل ترجم هذا الكتاب الى العربية

ج كارلَيْل كاتب من اشهر كتَّاب الانكليز لهُ نفَس في الانشاء خاص بهِ يحبهُ

البعض و يُعجب بهِ ويكرههُ البعض الآخر ويشمئزُّ منهُ حتى انهُ لما الَّف كتابهُ المسمى فلسفة اللباس وعرضهُ لنقد الناقدين هزأ بهِ كثيرون وقال بعضهم ان الذي يقرأهُ عكساً من آخر كلمة منهُ الى اول كلمة يفهم منهُ كما يفهم من يقرأهُ طرداً من اولهِ الى آخرهِ . ولم نقرأ كتاب الابطال الذي ذكرتموهُ ولكننا قرأنا غيرهُ من كتبهِ فرأينا عبارتهُ معقدة احياناً كثيرة يمازجها الخيال حتى تصير اقرب الى الشعر منها الى النثر ووصفهُ بالغ حدَّ الاعجاز حتى كأَنهُ يصور ما يصفهُ تصويراً لكن مقامهُ عند قومهِ لا يتوقَّف على انشائهِ بل على براعتهِ في انتقاد العادات والاخلاق انتقاداً مزج فيهِ البلاغة بالهزء والتهكُّم حتى يقال انهُ لم يفقهُ احد في ذلك . ولم يترجَم كتابهُ الى العربية في ما نعلم

---

(٥) تاريخ العام الماضي

ام درمان . جبرا افندي حنا . نرجو ان تدرجوا لنا في مقتطف يناير مقالةً تحتوي على تاريخ العالم في هذه السنة ويا حبذا لو كنتم في نهاية كل سنة تلخصون تاريخها لكي تزينوا العربية بقلائد تاريخ مضبوط مختصر

ج قد اجبنا طلبكم في هذا الجزء وكان ذلك الباعث الاكبر لتأخيرهِ الى الآن لان جمع هذه الحوادث التاريخية اقتضى وقتاً اطول مما كنا نظن وسنزيد ذلك اتقاناً واسهاباً في السنوات التالية ان شاء الله .

---

(٦) الدور الجليدي

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . قلتم انهُ يحتمل او يرجَّح ان الاقطار الاوربية تبرد كثيراً لاسباب فلكية فلا يعود الانسان قادراً على السكن فيها فتخرب مدنها وتعفى آثار معالمها . فهل يمكن تحديد الاجل الذي يتم فيهِ ذلك

ج كلاَّ لان الزمن الذي حدث فيهِ الدور الجليدي الاخير تختلف في قدميتهِ فان كان قد حدث منذ نحو مئتي الف سنة حينما كان مركز فلك الارض على اعظم بعدهِ عن الشمس فيكون عودهُ بعد نحو اربعين الف سنة لان مركز فلك الارض يبعد ويقرب من مركز الشمس ويتم دورتهُ في نحو ٢٤٠٠٠٠ سنة وان كان قد حدث منذ نحو عشرة آلاف الى خمسة عشر الف سنة فقط كما يقول الجيولوجيون الاميركيون فيحتمل انهُ يحدث ثانية بعد نحو عشرة آلاف سنة اخرى لان حدوثهُ يتكرر مرتين او ثلاثاً قبلما يدور الدور وربما عدنا الى هذا الموضوع فبسطناهُ في فرصة أُخرى

(٧) مكس ملر والهنود

ومنهُ . قلتم ان مكس ملر اللغوي بذل جهدهُ مدة خمسين عاماً ليقنع الانكليز ان

الهنود ابناء اعمامهم لكن هذا لم يغير رأي الانكليز في الهنود ولا افاد الهنود مثقال ذرَّة . فهل من صلة تجمع بين الفريقين حتى كان ذلك العلاَّمة باذلاً جهده في اقناع الاولين بان الآخرين من ابناء اعمامهم واي فائدة من الفوائد يقصدها مكس ملر ولم ينل الهنود منها مثقال ذرة

ج ان لغة الهنود القديمة المعروفة بالسنسكريت مشابهة للغة اليونانية واللاتينية وما تفرَّع منها فاستنتج مكس ملر من ذلك ان اهالي اوروبا واهالي الهند من شعب واحد سماهُ الاصل الآري وان وطن هذا الشعب كان في الجبال التي في قلب اسيا فهاجر بعضهُ غربًا الى ان وصل اوربا ونزل البعض الآخر جنوبًا وانتشر في بلاد الهند . وكان غرض مكس ملر ان يجعل الانكليز ينظرون الى الهنود كاخوان لهم و يعاملونهم معاملة الاخوان فلم ينجح ولو نجح لامتزج الانكليز بالهنود امتزاج ابناء الشعب الواحد وعاد ذلك بنفع كبير على الهنود كما لا يخفى

(٨) اماكن المعادن

ومنهُ . كيف يمكن الاستدلال على الارض التي يظن ان فيها منجماً لمعدن من المعادن وهل يعوَّل في ذلك على الموضوعات القديمة او توجد استدلالات حديثة يمكن اعتبارها من الممهدات لمعرفة الارض التي فيها معدن

ج ان اردتم بالموضوعات القديمة الخرائط والتواريخ ونحوها فدلالتها كبيرة الفائدة كما ترون في الخريطة المصرية القديمة التي جاءت منطبقة على ما كشف من مناجم الذهب في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر المصري . وفي علم المعادن وعلم الجيولوجيا دلائل كثيرة على وجود المناجم ولكن اكثر المناجم الشهيرة وجد بالاتفاق كما وجدت مناجم كاليفورنيا واستراليا وكاندايك

(٩) غذاء الاشجار

اسيوط . عزيز افندي ابرهيم . ان كانت الاشجار تستنشق الحامض الكربونيك وهو مضر بالنوع الانساني وتمتص غذاءها من الارض الممتزجة بالسماد القذر فكيف تثمر اثمارًا صالحة لاكل الانسان وتغذيتهِ

ج ان كلمة سم مركبة من حرفين السين والميم وكلمة دسم مركبة من هذين الحرفين وحرف الدال والسم مميت والدسم نافع ووجود حرفي السين والميم في كلمة دسم لا يجعل الدسم سامًّا وعلى مثل هذا النحو يقال في المركبات الكيماوية فانها مركبة كلها من العناصر البسيطة كما ان كلمات اللغة مركبة من الحروف الهجائية وتختلف خواصها باختلاف تراكيبها فالنشا مثلاً مركب من الكربون والاكسجين والهيدروجين . والسكَّر مركب من هذه العناصر ايضًا ولكن على نسبة اخرى فان النشا مركَّب

من ستة جواهر من الكربون وعشرة من الهيدروجين وخمسة من الاكسجين ويتّحد به جوهر من الماء فيصير تركيبهُ من ستة جواهر من الكربون و١٢ جوهرًا من الهيدروجين وستة من الاكسجين فيصير سكرًا لان السكر مركّب من ستة جواهر من الكربون و١٢ جوهرًا من الهيدروجين وستة جواهر من الاكسجين. ولا صعوبة في ادراك ذلك. بل من المركبات ما جواهر الواحد منها تماثل جواهر الآخر نوعًا وعددًا ومع ذلك تختلف خواص الواحد عن خواص الآخر اما لاختلاف في وضع جواهرها بعضها مع بعض كما في كلمة حرب وبحر اللتين فيهما احرف واحدة ولكن يختلف معناهما لاختلاف وضع حروفهما او لسبب آخر لا نعلمهُ

ومتى امتصّت الاشجار غذاءها من الهواء والارض لا تبقى المركبات الكيماوية على حالها بل تحلها الى عناصرها الاصلية وتركب منها مركبات جديدة صالحة لبنائها فتأخذ الكربون من الحامض الكربونيك وتضيفهُ الى مادتها الخشبية وتأخذ عناصر اخرى من التراب والسماد وتركب ما فيها من الزيت والدهن والصمغ والحامض والسكر ونحو ذلك مما يكون في الاشجار واثمارها واوراقها

(١٠) الحصان البخاري

ومنهُ . ان قوة الماكينات البخارية تحسب بعدد رؤُوس الخيل فيقال مثلاً ان هذه الماكنة قوة اربعة رؤُوس خيل او خمسة الخ . فاذا اراد الانسان ان يشتري ماكنة بقوة ١٢ حصانًا وذهب الى احد البيوت التي تبيع الماكنات واعطوهُ ماكنة بقوة ١٠ احصنة وقالوا لهُ انها بقوة ١٢ حصانًا فهل من طريقة عملية لاكتشاف ذلك وما هي

ج ان المعامل والبيوت التجارية المشهورة لا تغش احدًا والحكومة تمتحن الآلات البخارية عند التصريح باستعمالها . ومع ذلك فالطريقة النظرية لمعرفة قوة الآلة هي هذه

اول من قاس قوة الآلة البخارية بالاحصنة هو جمس وط وقد وجد ان الحصان يرفع ١٥٠ رطلاً (ليبرة) ويسير بها مسافة ميلين ونصف ميل في الساعة وذلك بمثابة رفع ٣٣٠٠٠ رطل قدمًا واحدة في الدقيقة من الزمان لان في الميلين والنصف ١٣٢٠٠ قدمًا فاذا ضُربت في ١٥٠ بلغت ٢٠١٠٠٠٠ فكأَنَّ الحصان يرفع في الساعة ٢٠١٠٠٠٠ رطل مسافة قدم واحدة واذا قسم هذا العدد على ٦٠ عرف ما يرفعهُ في الدقيقة وهو نحو ٣٣٠٠٠ رطل فجعل قوة الحصان ٣٣٠٠٠ رطل تُرفع قدمًا واحدة في الدقيقة . والآلة البخارية ترفع اسطوانتها (البستون) بقوة يستدل عليها من آلة صغيرة فيها تسمى الدليل (الانديكاتور) فيرى مقدار الضغط على هذا الدليل ويضرب في مساحة قاعة الاسطوانة ويضرب الحاصل في مقدار الاقدام التي تحركها البستون في الدقيقة

من الزمان ويقسم الحاصل على ٣٣٠٠٠ فالخارج هو عدد الاحصنة

(١١) الشهية في الشتاء

ومنهُ . لماذا تكون شهية الانسان للطعام اكثر في الشتاء منها في الصيف

ج ان هذا القول شائع وهو صحيح في الغالب وسببهُ احتياج الجسم في الشتاء الى حرق مقدار كبير من الغذاء لتدفئتهِ

---

(١٢) الجرائد الزراعية الطبية

حماه . محمد افندي علي كاتب ادارة الديون العمومية . ما هي احسن جريدة زراعية باللغة العربية وما هي احسن جريدة طبية بها

ج مجلَّة الجمعية الزراعية الخديوية التي تطبع في مصر في مطبعة المقتطف ومجلة الطبيب التي تطبع في بيروت

(١٣) كتب طبية وطبيعية

ومنهُ . نرجو ان ترشدونا الى باثولوجية عربية حديثة مطولة مثل باثولوجية المرحوم الدكتور فان ديك والى كتاب حديث في فن الزراعة وكتاب آخر في الفلسفة الطبيعية وكتاب في علم المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والجماد وكتاب في علم الكيمياء العضوية وغير العضوية عدا كتاب الن جكسن وكتاب المعلم اسعد شدودي وكتاب الدكتور فان ديك

ج نرى ان كتاب الباثولوجية الذي الفهُ الدكتور ابرهيم باشا حسن حديثًا من احسن الكتب في بابهِ ولم نرَ حتى الآن كتابًا حديثًا يعول عليهِ في علم الزراعة . ولا كتابًا في الفلسفة الطبيعية خيرًا من الكتابين الذين ذكرتموهما . ولما كان الدكتور لويس الاميركي في بيروت طبع جزءًا من الكيمياء غير الآلية اسمهُ الكواشف الجلية في الحقائق الكيمية ولكنهُ وصل فيهِ الى عناصر الرتبة الثالثة فقط . وكتابا الدكتور بوست في النبات والحيوان من احسن الكتب العربية في هذين العلمين ولم نرَ كتابًا عربيًا مطبوعًا في علم الجماد يصح الاعتماد عليهِ . ولو بقيت المدرسة الكلية الاميركية تعلّم باللغة العربية لرأيتم الآن كثيرًا من الكتب في هذه المواضيع وامثالها ولكن تركها التعليم بالعربية واقتداء المدارس المصرية بها اضعفا همة المؤلفين . ولولا بعض المجلات العلمية لخسرنا القليل الذي كسبناها في السنوات الماضية. ولا تقوم للغة قائمة من غير دولة تحتفظ بها وتعزّز شأنها

---

(١٤) الجاذبية واختلاف الوزن

بيروت المدرسة الكلية . زاكي افندي زخورا . هل يختلف وزن الجسم عند احد القطبين عن وزنهِ عند خط الاستواء واذا اختلف فالجسم الذي ثقلهُ عشر اقات عند

احد القطبين كم يكون وزنهُ عند خط الاستواء

ج نعم يختلف ونسبة ثقل الجسم عند احد القطبين الى ثقلهِ عند خط الاستواء كنسبة مربع نصف القطر الاستوائي الى مربع نصف القطر القطبي اي ان الثقل يختلف كمربع البعد عن مركز الارض بالقلب وعليهِ تكون النسبة هكذا ١٠ : ج :: ٤٠٠٠^٢ : ٣٩٧٢ ½^٢ او كنسبة ١٩٥ : ١٩٤ اي يكون وزنهُ ٩ اقات ونحو ٣٧٩ درهماً

---

(١٥) الحروف الصينية

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم . كم عدد الحروف الصينية وكيف يرسمونها وينطقون بها وكيف يركبونها لتكون منها الكلمات

ج الكتابة الصينية لا تؤلف من حروف كالعربية والانكليزية والفرنسوية بل من علامات تدلُّ على الكلمات او على المعاني وهي نحو ٤٣٠٠٠ علامة ولكن بعضها مركب من بعض مثال ذلك ان العلامة التي تدلُّ على الصبي مركبة من علامتين الواحدة تدل على الحقل والثانية على القوَّة . واسم الصبي نان واسم الحقل تين واسم القوة لي فمزجوا العلامة التي تلفظ وحدها تين بالعلامة التي تلفظ وحدها لي ولفظوا العلامتين معًا نان كأنهم وصفوا الصبي بانهُ قوة جديدة للعمل في الحقل ولكنهم لم يلفظوا هذا الوصف .

وقد حلَّل الدكتور تشالمرس اكثر الكلمات الصينية الى نحو ١٠٩٨ علامة ويمكن تحليل كل الكلمات الصينية الثلاثة والاربعين الفًا الى نحو ٤٢٦ مقطعًا . وترون رسم الكلمات الصينية على كل الادوات والامتعة الصينية واليابانية . والنطق باللغة الصينية سهل على الذين يتعلمونها عن صغر حتى يقال ان اولاد المرسلين الذين يولدون في بلاد الصين ويعاشرون اهلها يتقنون النطق باللغة الصينية والتكلم بها قبلما يتقنون النطق بلغة والديهم

(١٦) اتقاء البرد الشديد

ومنهُ . كيف يتقي الانسان شدَّة البرد حين ذهابهِ الي القطب الشمالي وماذا يلبس على بدنهِ وقدميهِ

ج يتقي البرد بالملابس الصوفية والفراء ولا سيما جلود الذئاب فتبقى حرارة البدن فيهِ لانها تسخن الهواء الذي بين صوف الفراء . والهواء غير موصل للحرارة فلا يبدّدها مالم تحرّكهُ الرياح والرياح قليلة هناك على ما يظهر وتلفُّ القدمان بالصوف والفراء وكذلك الرأس واليدان . واذا ملأتم زجاجة بماء سخن ولففتموها بكثير من الصوف تبقى حرارة الماء فيهِ زمانًا طويلاً ولو تعرَّض للبرد الشديد وهو ملفوف بالصوف واذا كانت الحرارة تتجدَّد فيهِ كما تتجدَّد في جسم الانسان بقيت على درجة واحدة لأنَّ ما يزول منها بالايصال والاشعاع يتجدَّد غيرهُ بدلاً منهُ



سكان المريخ

انشأنا مقالة مسهبة منذ خمس عشرة سنة موضوعها سكان الكواكب نشرت في الجزء الاول والثاني من المجلد العاشر الصادر سنة ١٨٨٥ ذكرنا فيها ظنون العلماء وما يعدونهُ محتملاً وما يعدونهُ غير محتمل من حيث وجود السكان في كواكب السماء. وقد قلنا فيها عن المريخ انهُ "ابعد من ارضنا عن الشمس وقد انفصل عنها قبل ارضنا وسنتهُ نحو سنتين من سنينا وفصولهُ كفصولنا من حيث اختلاف الحرّ والبرد ولكنها مضاعفة في الطول ويومهُ يزيد نصف ساعة عن يومنا وبعدهُ عنا نحو ٤٦ مليون ميل وجرمهُ وحجمهُ اصغر من جرم الارض وحجمها فقطرهُ نحو ٥ آلاف ميل فقط وقطرها نحو ثمانية وثقلها النوعي اقل من ٤ وثقلها النوعي نحو ٦/٥ . ومقتضى الرأي ان يكون سابقاً الارض في طورهِ لانهُ اقدم منها سناً واصغر حجماً فاطوارهُ ابتدأت قبل اطوارها وهي اقصر منها مدة. والمشاهدة لا تنفي ذلك ولا تؤيدهُ. فالناظر اليهِ بالمنظار يرى سطحهُ مختلف الالوان كأنَّ فيهِ برًّا وبحرًا ويرى حول قطبيهِ نقطتين بيضاوين تتسعان شتاءً وتضيقان صيفاً كأنهما ثلوج متراكمة كالثلوج المتراكمة حول قطبي الارض. وقد ثبت ان فيهِ هواءً فلا ينازع بعد هذا بان الأبخرة تتصاعد في هوائهِ وتنزل مطرًا وثلجًا حسبما يتفق. فهذه المشاهدات تدلُّ على ان المريخ يشبه ارضنا. الاَّ ان لطافة هوائهِ وقلة حرارتهِ الذاتية وقلة مائهِ عليهِ بالنسبة الى ماء الارض عليها ونحو هذه من الاسباب تقتضي ان تكون حرارتهُ قد قلَّت كثيرًا وان البرد عليهِ اشدّ مما هو على ارضنا. ولذلك فان كان لم يجتز طورهُ الثاني حتى الآن فقد صار قريباً من اجتيازهِ والدخول في طورهِ الثالث. والخلاصة ان المريخ قد صار قريباً من الشيخوخة والهرم فان كانت مخلوقاتهُ الحيَّة لم تبدعن وجههِ بعد فقد صار زمان انقراضها قريباً"

وقد كثر اهتمام العلماء بالمريخ لمَّا رأوا على وجههِ اقنية مفردة ومزدوجة واختلفوا في تعليلها ولم يهتدوا حتى الآن الى وجهها وقد اوضحنا ذلك في اوقاتهِ

وحدث في الثامن من شهر دسمبر الماضي انهُ ورد تلغراف الى الاستاذ بكرنج من المستر دغلاس من مرصد لول باريزونا يقول فيهِ انهُ " رأى نتوًّا على الحد الشمالي من المريخ في بحر ايكار يوم بقي ظاهرًا سبعين دقيقة "

هذا هو الاساس الذي بنيت عليه كل

هذه العالي والقصور في الجرائد اليومية والشبيهة بها من حيث مخاطبة سكان المريخ بالاشارات . اما العالم نقولا تسلا الذي اهتمَّ بهذا الخبر اكثر من غيرهِ فيظهر لنا من مقالة مسهبة نشرها حديثًا في جريدة السنتشري الاميركية انهُ قويَ عليهِ سلطان الخيال وابعد عن مسالك العلماء المدققين. ووجود السكان في المريخ ليس ضربًا من المحال ولكن القول بانهم هم الذين احدثوا هذا النتوَّ العظيم اشارةً لنا فرض بعيد جدًّا لامسوّغ لهُ

الميكروب المنير

يذكر الذين زاروا معرض باريس ودخلوا قصر البصريات ان فيهِ قناني تحوي سائلاً ينير في الظلام كالفسفور بما فيهِ من الميكروبات المنيرة . وقد كتب المسيو رفائيل ديبوى في مجلة الطبيعة يقول " انهُ انيرت غرفة كبيرة بهذا الميكروب كما تنار بالقمر وهو بدر " . فان كان هذا مبلغ ما تصل اليهِ الانارة بالميكروب المنير فلا امل انها تقوم مقام الانارة بالغاز والكهربائية والاسيتيلين وما اشبه

التلغراف الاثيري لوقاية السفن

احدث اكتشاف في التلغراف الاثيري آلة توضع على الرؤوس والصخور التي يخشى من اصطدام السفن بها وقت النوء والضباب . فاذا ثار النوء وغطّى الضباب وجه البحر حتى لم تعد السفن ترى طريقها حرّكت هذه الآلة حركات تعبّر عن اسم المكان الذي هي فيهِ وتكرّر ذلك فاذا مرّت السفن بقربهِ وكان فيها آلة من آلات مركوني تأثرت من ذلك وعلم من في السفينة انهم بقرب صخر يخشى من اصطدامها بهِ فابعدوا عنهُ

التلغراف الاثيري المتعدد

استنبط الاستاذ سلابي الالماني استنباط آلة للتلغراف الاثيري يسهل مخاطبة اماكن عديدة بها في وقت واحد وامتحنها امام امبراطور المانيا في ٢٢ دسمبر الماضي فوفت بالغرض

لورد ارمسترنغ

توفي لورد ارمسترنغ في السابع والعشرين من دسمبر الماضي وهو في الحادية والتسعين من عمرهِ وكان من كبار المهندسين ومشاهير العلماء عدا شهرتهِ الفائقة في عمل المدافع . ولد سنة ١٨١٠ ودرس علم الحقوق واحترف المحاماة لكنهُ كان شديد الرغبة في العلوم الطبيعية والميكانيكية فترك المحاماة لاجلها واستنبط الآلة التي تتولد منها الكهربائية بالبخار الخارج منها فانتُخب عضوًا في الجمعية الملكية من اجل ذلك وكان عمرهُ ٣٦ سنة . ولم يترك هذا الموضوع في شيخوختهِ فنشر فيهِ كتابًا سنة ١٨٩٧ ابان فيهِ انهُ اذا جرى المجرى الكهربائي السلبي في جهةٍ جرى حولهُ مجرًى ايجابي في الجهة المقابلة

ولهُ الفضل في اختراع الروافع المائية وهو اول من صنع المدافع ذات الثقب اللولبي فصنع منها للحكومة الانكليزية ٣٥٠٠ مدفع بين سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٦٣ . ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٨٦٣ واشار في خطبة الرئاسة الى قرب نفاد الفحم الحجري من الجزائر البريطانية فالفت الحكومة لجنة تبحث عن ذلك . وكان كريمًا وهب الجمعيات العلمية ونحوها هبات طائلة وجازتهُ حكومة بلادهِ بلقب سر اولاً ثم بلقب لورد

نيازك نوفمبر

شوهدت نيازك نوفمبر في استراليا في العاشر من نوفمبر ولم تدم الاَّ نصف دقيقة عدَّ بعضهم فيها نحو مئتي نيزك

جيل جديد من الاقزام

بعث السر هري جنستون الى الجمعية الجغرافية الملكية بتفصيل رحلتهِ الى اوغندا وقال فيها انهُ لقي في بلاد الكنغو كثيرين من الاقزام فوجد انهم من نوعين الواحد اسود الجلد شعرهُ اسود ثخين جعد والثاني احمر الجلد او اصفرهُ شعر رأسهِ ضارب الى الحمرة وشعر بدنهِ ضارب الى الشقرة . وصغارهُ ابدانهم شعراء وليس لهُ لغة خاصَّة بهِ بل يتكلم لغة الزنوج الطوال القامة الذين يقطن على مقربة منهم . ومما يمتاز بهِ كبر الانف وشدَّة فطسهِ ويكاد انفهُ يكون من غير مارن وشفتهُ العليا طويلة جدًّا وسحنتهُ مثل سحنة القرود من وجوه كثيرة ولكنهُ على جانب كبير من الذكاء والانس وحب اللهو والطرب

فرس جديد

قال السر هري جنستون في رحلتهِ المشار اليها آنفًا انهُ وجد في حراج الكنغو نوعًا جديدًا من الفرس او الفرا لم يصفهُ احد من قبلُ

جبال الثلج الافريقية

ووصل الى جبال عالية جدًّا صعَّد فيها الى علو ١٤٨٠٠ قدم ثم عجز عن التصعيد فوق ذلك لان جوانب الجبل كانت صخورًا شاهقة كالمعاقل ووجد الثلج عليها وحدُّهُ الاسفل على علو ١٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويبقى الثلج دائمًا على مدار السنة عند ما علوهُ ١٣٥٠٠ قدم فما فوق

هبة علمية

طلبت لادي ووروك ان يتكرَّم احد المحسنين بخمسين الف جنيه لانشاء مدرسة تتعلم فيها النساء علم الزراعة في البلاد الانكليز فلبى احد الفضلاء طلبها حالاً ودفع اليها خمسين الف جنيه

مكتشفات القرن العشرين

سأَل بعضهم جمهورًا من نخبة علماء الانكليز عمَّا يحسبهُ كلٌّ منهم اعظم اكتشاف يكتشف في القرن العشرين فقال السر نورمن

لُكيّر الفلكي محرر جريدة نالنشر " الانباء من كلف الشمس بما يحدث من المجاعات في بلاد الهند والقيظ في استراليا

وقال السر وليم بريس الكهربائي " آلة للطيران مبنية على مبدإٍ جديد لانعرفهُ الآن "

وقال السر جون ولف بري مهندس جسر البرج بلندن " خزن ماء المطر على جبل بن نفس او غيره من الجبال حتى تكون منهُ قوة مائية يستغنى بها عن الفحم الحجري . ومماش دوَّارة في الشوارع المزدحمة وسرب تحت البحر بين انكلترا وارلندا "

وقال السر وليم كروكس الطبيعي الشهير ، " انتشار التلفون بين البيوت وشيوع الفونوغراف وركوب الهواء "

وقال المستر سوان الكهربائي " استخراج الكهربائية بواسطة كيماوية لتقل نفقتها ويزيد استعمالها "

وقال المسيو برتلو الكيماوي " استحضار الغذاء بوسائط كيماوية والاستغناء عن المطبخ والمطعم "

وقال السر هنري رسكو الكيماوي كما قال المسيو برتلو وزاد عليهِ استخدام الشلالات الكبيرة

وقال المستر توماس برينت رئيس مدرسة الجرَّاحين " شفاء السرطان والسل بدرس طبائع الميكروبات . واتقاء الملاريا . والاكثار من استعمال اشعة رنتجن والتنويم في العلاج "

حاجة القرن العشرين

سألت مجلة اخرى جمهورًا من مشاهير الكتاب والفلاسفة عن امسّ ما يحتاج اليهِ القرن العشرون فقال دين فرار اللاهوتي الشهير " ان يزيد الاجتهاد والايثار والاقتناع بان العدل اساس الملك والاستقامة ترقي الشعوب "

وقال برنارد محرر جريدة بنتش الهزلية الانتقادية " المال "

وقال مكس اوربل " ان تستقيم الجرائد وتترفَّع عن الدنايا "

وقال القس رولند " انكار الذات في سبيل المطالب العليا "

وقال القانون دانيال " زيادة الاخلاص في عقد الزيجة والقيام على العائلة "

وقال القس هوس " ان يزيد المبتكرون ويقل المقلدون ويزيد التفكُّر ويقلّ التكلُّم وتزيد الحقيقة ويقل الخيال "

وقال المستر ماسنهام " ان يتعلَّم المرءُ الصدقَ والحكومةُ العدلَ والكنيسةُ الدينَ "

وقال كير هاردي " الرجال "

وسألت جريدة الهرلد المسيحي جماعة من مشاهير الرجال والنساء مسائل مختلفة عمَّا يتعلَّق بالقرن العشرين وما يمكن ان يتمَّ فيهِ فاجاب كلٌّ منهم حسبما تراءى لهُ . سُئل كرنجي الغني الشهير ماهو اهم فرض على

الناس في القرن العشرين واذا بُعثت سنة ٢٠٠٠ للمسيح فما التغيير الذي تودُّ ان تراهُ في احوال الانسان فقال في الجواب عن السؤَال الاول ان يترك الناس اقبح وصمة وُصِموا بها وهي قتل بعضهم بعضاً باسم الحرب وقال في الجواب عن السؤَال الثاني ان الخدمة العسكرية التي يحسبها الناس الآن اشرف الخدم وامجدها اود ان تحسب حينئذٍ من اقبح الاعمال واحطها

وسئل وليم بريان المرشَّح لرئاسة الجمهورية الاميركية عن افضل اصلاح ينتظرهُ في القرن العشرين فقال ان يرسخ في عقول جميع الناس انهم اخوة بعضهم لبعض فيحبُّ المرءُ قريبهُ كما يحب نفسهُ ويعني بقريبهِ كل احد من نوع الانسان فيزول الظلم والاعتداء

الاغنياء والمدارس

ذكرت جريدة نانشر اسماء بعض المدارس الاميركية الجامعة واسماء الاغنياء الذين جادوا لها بالمال ومقدار ما وهبها كلٌّ منهم وهم

رُكفلر	١٩٠٢٨٤٨ جنيهاً
ستفن جرارد	١٤٥٨٣٣٣ "
تشارلس برات	٠٧٥٠٠٠٠ جنيه
جونس هبكنس	٠٦٢٥٠٠٠ "
دركسل	٠٦٢٥٠٠٠ ,
لاليند ستنفرد	٠٥٢٠٨٣٣ جنيهاً
عزرا كورنل	٠٣١٢٥٠٠ جنيه
فَندربلت	٠٢٢٩١٦٦ جنيهاً
شيت لو	٠٢٠٨٣٣٣ "

اما المدارس الموهوبة فتسمَّى باسماء الواهبين الأَّ المدرسة التي وهبها ركفلر فاسمها مدرسة شيكاغو الجامعة والمدرسة التي وهبها شيت لو فاسمها مدرسة كولمبيا الجامعة

اصطناع المطر

كتب الاستاذ كلفلند اب مقالة فنَّد بها مزاعم الذين يقولون ان اطلاق المدافع ونحوها يعقد البخار في الجو ويُوقع المطر وارتاب في صحة كل ما ذُكِر من ان المطر وقع احياناً عقب المعارك الكبيرة التي كثر فيها اطلاق المدافع . فكتب بعضهم على اثر ذلك يقول ان اعتقاد الناس بوقوع المطر بعد المعارك الكبيرة قديم جدًّا كان شائعاً قبل استنباط البارود وقد اشار اليهِ فلوطرخس المؤَرخ في ترجمة كايُس ماريوس حيث قال " انهُ يقع مطر غير عاديّ بعد المعارك الكبيرة سواء كان ذلك ناتجاً عن ان الهاً من الالهة يقصد ان يطهر الارض بماء من العلاء او عن ان الدماء والجثث المنتنة تخرج ابخرةً ثقيلة رطبة تكثّف الهواء وهو سريع التأَثر لاقل سبب " فالاعتقاد بوقوع المطر بعد المعارك قديم وتفسيرهُ باطلاق المدافع حديث واساس هذا مثل اساس ذلك الوهم لاغير

السم في البيرا

لما شاع في البلاد الانكليزية ان البيرا قد لا تخلو من الزرنيخ السام عينت الحكومة الانكليزية لجنة من اشهر علمائها للبحث في ذلك ومن اعضاء هذه اللجنة اللورد كلفن والسر وليم تشرش رئيس مدرسة الاطباء الملكية والاستاذ ثورب . وقد كلفت هذه اللجنة البحث عن الذين مرضوا وماتوا ونسب مرضهم وموتهم الى السم بالزرنيخ وعما اذا كان سمهم ناتجاً عن شربهم البيرا او عن شربهم اشربة اخرى او عن اكلهم طعاماً فيهِ زرنيخ وكيف يمنع وصول الزرنيخ الى البيرا

تنشيط المخترعين

من الاساليب التي يستعملها الانكليز لتنشيط المخترعين ان حكومتهم تعطي الجمعية الملكية مالاً تساعد بهِ المخترعين اذا وجدت انهم جارون في عمل يرجى منهُ نفع . وتختلف هذه المساعدة من عشرة جنيهات في السنة الى خمس مئة جنيه . وينتظر ان توزع في شهر يناير الحاضر اربعة آلاف جنيه لهذه الغاية

سيدة التجارة

بلغت قيمة الوارد الى البلاد الانكليزية في العام الماضي ٥٢٣٦٣٣٤٨٦ جنيهاً وقيمة الصادر منها ٢٩١٤٥١٣٠٦ جنيهات وبلغ دخل الحكومة الانكليزية من الرسوم التي تأخذها على التبغ والخمر والشاي وما اشبه ٢٤٨٩٦٩٢٤ جنيهاً ولو اخذت ٨ في المئة على كلّ ما يرد اليها لبلغ دخلها من جماركها اربعين مليوناً اخرى من الجنيهات

عجوزان في ثلاثة قرون

من الامور المقرَّرة ان النساء يعمرن اكثر من الرجال وقد ذكرت اثنتان منهنَّ ولدتا في القرن الثامن عشر وعاشتا القرن التاسع عشر كلهُ وبقيتا الى القرن العشرين الاولى اسمها بتسي مور ولدت في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٠٠ ولم تزل في صحتها تصعد الدرج وتنزل عليهِ من غير عكاز . والثانية اكبر منها سنًّا واسمها انا سمث ولدت في شهر يونيو سنة ١٧٩٢ ومضى الاسبوع الاول من القرن العشرين وكانت لم تزل في قيد الحياة

اثمن الكتب الحديثة

عزم هربرت بنكرفت احد ناشري الكتب في مدينة شيكاغو باميركا ان يطبع كتاباً فيهِ الف صفحة ولا يطبع منهُ الا اربع مئة نسخة ولكنهُ قطع ثمن النسخة الواحدة منهُ خمس مئة جنيه ولا يبعد ان يبيعهُ بهذا الثمن لاغنياء الارض لانهُ وصف احوال الاغنياء وفائدة الغني وما فعلهُ المالُ في الدنيا

تأَخُّر صدور المقتطف

اضطررنا ان نؤخر اصدار هذا الجزء الى آخر الشهر وسنبذل الجهد لنصدر الاجزاء التالية في اوقاتها

فهرس الجزء الاوَّل من المجلد السادس والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ — الموافق ١١ شوال سنة ١٣١٨

وفاة الملكة فكتوريا

لم تشهد الكرة الارضية حزنًا عمَّ قاراتها وجزائرها كما شهدت في اواخر الشهر الماضي لما نفذ القضاء الذي قضى بهِ الله على كل حي في الملكة فكتوريا بعد ان حكمت اربع مئة مليون من الناس اكثر من ستين عامًا فارتقوا في عهدها ارتقاء لا مثيل لهُ في تاريخ الانسان

ولدت هذه الملكة العظيمة في الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٩ ورقيت الى سدة الملك في العشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٧ فتوفيت في الثانية والثمانين من عمرها والرابعة والستين من ملكها . عمر طويل قضتهُ في ما ارضى الخالق واسعد المخلوق. وانحرفت صحتها في السنة الماضية فاصابها شيء من الدسبيسيا والارق وكانت تنقد قوَّة النطق احيانًا وهي دلائل الاشتغال الكثير بمهام الملك والحزن الشديد على ما فُجعت بهِ من الترمُّل والثكل وما خُتم بهِ ملكها من هذه الحرب الترنسفالية المشومة وهي الملكة التي تشتري السلام بكل مرتخص وغالٍ

وزادت اعراض الضعف عليها في السادس عشر من يناير الماضي لكن ارادتها كانت تقوى عليها فتتجلَّد وتحادث عوَّادها . ثم اشتدَّت الاعراض في التاسع عشر من الشهر الى ان توفيت الى رحمة ربها بلا الم ولا وجع بعد ظهر الثاني والعشرين بست ساعات ونصف ساعة. وللحال طيَّر البرق نعيها الى ممالكها الوسيعة في كل اقطار المسكونة والى سائر الممالك وكان الناس كلهم قد علموا انها مريضة وان نهايتها صارت قريبةً لكبر سنها وحالة ضعفها لكن ذلك لم يخفف ما اعتراهم من الحزن والوجوم لهول المصاب . وما حلَّ بالممالك الانكليزية حلَّ بغيرها من ممالك الارض فابطلت محافل الفرح ورُفعت شارات الحداد في كل الاقطار ووردت رسائل

التعزية على خليفتها الملك ادورد السابع وعلى حكومتهِ من كل الملوك واصحاب المقامات العالية في كل ممالك الارض . واسرع الملوك والعظماء لتشييع جنازتها والاحتفال بدفنها وفي جملتهم امبراطور المانيا وملك بلجكا وملك البرتغال وملك اليونان والغراندوق ميخائيل الروسي شقيق القيصر وولي عهد اسوج وولي عهد ايطاليا والبرنس محمد علي شقيق الجناب الخديوي وغيرهم من نواب الممالك وعظماء الامم

وابَّنتها الصحف الانكليزية وغير الانكليزية على اختلاف لغاتها ونزعاتها وافاضت في ذكر مناقبها ووصف مزايا ملكها وصدرت كلها موشحة بالسواد حتى الصحف والمجلاَّت العلمية والادبية وهي انما فعلت ما يجب عليها نحو ملكة ارتقى العلم في عصرها ارتقاء لا مثيل لهُ في كل العصور السالفة وتعزَّز شان الآداب والفضائل لانها وجدت فيها اعظم نصير لها

وقد كتبنا تاريخ حياتها منذ ثلاث سنوات وانشأنا فصلاً مسهباً وصفنا فيهِ ارتقاء بلادها في عهدها ورأينا الآن ان نعيد بعضهُ هنا لاقتضاء الموضوع ذلك وهو

"ارتقاء بلاد كبيرة كالبلاد الانكليزية عمل عظيم جدًّا يستدعي إعمال الوف من العقول الكبيرة والآراء السديدة مدة سنين كثيرة لكن هذه الآراء وتلك العقول قد تعجز عن ترقية البلاد اذا كان ملكها ظالمًا غشومًا او خاملاً لا يسعى في مصلحة بلادهِ ولا يهتم باصلاح شأنها. فالملك الحكيم الذي يشارك رجالهُ في سياسة بلادهِ ويختار الاكفاء منهم لتولي خططها ويقودهم بحكمتهِ في مسالك الامن الشأن الاعظم في إنجاح البلاد وتعزيز اركانها

وغنيٌّ عن البيان ان للملكة فكتوريا اليد الطولى في ما بلغتهُ البلاد الانكليزية من الارتقاء في عهدها لانها اتصفت بكل صفات الملك الحكيم العادل المشارك لرجالهِ في كل ما يعود على بلادهِ بالخير والفلاح وارتقاء بلادها لا يتضح مقدارهُ الاَّ بالمقابلة بين حاضرها وماضيها وهذه المقابلة لا توفى حقها في اقل من مجلد كبير لكن الارتقاء عظيم وشامل لكل الاعمال والمعاملات مادية كانت او ادبية حتى تكفي الاشارة اليهِ بالايجاز اذا تعذَّر الاسهاب فنقول

جلست الملكة فكتوريا على سرير الملك والحواجز كبيرة والاسوار منيعة بين السوقة والاعيان هؤُلاء يتربعون في المناصب العالية ويتمتعون باطايب الحياة واولئك يُقصَون عنها ويمنعون من الدنو منها . نعم كانت قوانين البلاد تقضي بالمساواة وعدم المحاباة لكن كان فيها عوامل اخرى تخص النعم والمنافع بقوم دون غيرهم فكانت خدمة الحكومة مباحة للجميع ولكن لم يكن يعيَّن فيها ولا ينتفع منها الاَّ اناس مخصوصون لقيود وروابط كثيرة يقضي بها ذوو المآرب مآربهم. وكذلك قل عن حق الانتخاب والدخول في مجلس النواب وفي المدارس العالية. فقام

انصار الحق في عهد الملكة فكتوريا وقطعوا تلك القيود و يسَّروا على الوضيع مجاراة الرفيع ولا يزال هذا دأبهم

وسعى العلماء والاطباء في اكتشاف اسباب الامراض والوقاية منها وساعدتهم المجالس البلدية على اتخاذ التدابير الصحية فقلَّ معدَّل الوفيات وخفَّت وطأة الاوبئة فزاد عدد السكان زيادة عظيمة حتى ملأُوا الجزائر الانكليزية وهاجر اكثر من تسعة ملايين منهم لتعمير مستعمراتها الوسيعة والانضمام الى اخوانهم في الولايات المتحدة الاميركية . وحيثما ذهبوا اخذوا معهم لغتهم وعلومهم ومبادئ الحرية والانصاف التي نشأُوا عليها وهذا سرُّ نجاحهم في مستعمراتهم فانهم لا يكتفون برفع رايتهم على البلدان التي يفتحونها بل يرتحلون اليها و يسكنون فيها و يشاركون اهلها في تعميرها

وقد زادت مستعمراتهم في هذه الاثناء زيادة لا مثيل لها في تاريخ الممالك فزادت مساحتها في بلاد الهند ٢٧٥ الف ميل مربع اي اكثر من مساحة بلاد النمسا . وفي سائر اسيا ٨٠ الف ميل مربع اي قدر مساحة بريطانيا نفسها . وفي جنوبي افريقية ٢٠٠ الف ميل مربع وفي شرقيها مليون ميل مربع . وكانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها حينما جلست الملكة على سرير الملك ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع فبلغت الآن ١١٢٥٠٠٠٠ اي زادت ٢٩٢١٠٠٠ ميل مربع في ستين سنة وكان عدد سكانها ١٦٨ مليونًا فبلغ الآن ٤٠٠ مليون وكان عدد الانكليز في جزائرهم ٢٥٧٥٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم نحو ١٥٠٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن في جزائرهم ٣٩٥٠٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم ١٠٥٠٠٠٠٠ اي زاد عددهم من ٢٧ مليونًا الى خمسين مليونًا عدا الذين هاجروا منهم الى الولايات المتحدة الاميركية . وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنة نحو ٧٥ مليون جنيه ٥٠ منها من بريطانيا و ٢٥ من الهند وهو الآن ١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا و ٦٣ مليون جنيه من الهند و ٣٠ مليون جنيه من استراليا و ٨ ملايين جنيه من كندا و ٧ ملايين جنيه من بلاد الراس و ٧ ملايين من سائر المستعمرات الانكليزية وجملة ذلك ٢٢٥ مليون جنيه

واتسع نطاق التعليم والتهذيب في الممالك الانكليزية بنوع عام وفي البلاد الانكليزية الاصلية بنوع خاص فبلغ عدد تلامذتها اليوم ستة ملايين ونصف مليون وكانوا قبلاً ٢٥٠ الفًا فقط وبلغت الاموال التي تنفقها الحكومة على التعليم عشرة ملايين جنيه وكانت لا تزيد على مليون جنيه

وزادت ثروة الامَّة الانكليزية في بلادها من الفي مليون جنيه الى عشرة آلاف مليون

وزادت اسباب الرفاهة والنعيم على اكثر من هذه النسبة وزاد المال الذي يقتصده فقراء الامَّة في بنوك الاقتصاد من ١/٢ ١٨ مليون جنيه الى ١٥٠ مليونًا

وكثر عدد المحسنين فبنوا ملاجئ للارامل والايتام والمنقطعين وبيوتًا صحية للفقراء على اختلاف طبقاتهم. ومن هؤلاء المحسنين بيبدي الغني الاميركي الذي وهب فقراء لندن خمس مئة الف جنيه . ولما كانت الملكة شاعرة بكل ما يجري في مملكتها كما يجب ان يكون الرأس في الجسم الحي عرفت قدر هذه الهبة وكتبت اليهِ تقول

بلغ الملكة ان المستر بيبدي عزم على العودة الى اميركا وهي لا تريد ان يترك بلادها من غير ان تثبت لهُ شدَّة اعتبارها لعمل الشريف والهبة الفائقة هبات الملوك التي اراد بها تخفيف المصايب عن الفقراء من رعاياها المقيمين في مدينة لندن . وفي اعتقاد الملكة ان هذا العمل الشريف لا مثيل لهُ بين اعمال الناس وافضل جزاء لهُ ما يشعر بهِ عاملهُ من السرور حينما يعلم مقدار النفع العظيم الذي نفع بهِ اولئك المساكين . ولم تكن الملكة لترضى باظهار شكرها من غير ان تعطي المستر بيبدي علامة من علامات دولتها تدلُّ على اعترافها بفضلهِ العظيم وكانت تسرُّ لو منحتهُ رتبةً عاليةً او نشانًا ساميًا ولكن بلغها انهُ ممنوع من قبول ذلك بقوانين بلادهِ فلم يبقَ لها والحالة هذه سوى ان تقدم لهُ هذه السطور المعربة عما تشعر بهِ من الشكر وتطلب منهُ ان يقبل منها صورة من صورها تصوَّر لهُ خاصَّة ومتى تمَّ تصويرها ترسل اليهِ الى اميركا او تعطى لهُ حينما يعود الى هذه البلاد اذ بلغها ما سرَّها وهو انهُ عازم على العودة الى هذه البلاد المديونة لهُ دينًا عظيمًا

وصُنعت الصورة حسب اشارة الملكة وهي اول مرة صنعت فيها صورتها لتهدى الى غير الملوك والصورة من الميناء على لوح من الذهب يحيط بها اطار كبير من الذهب الابريز وعليهِ التاج الملكي والملكة فيها لابسة الحلة الملكية التي فتحت بها البارلمنت وهي الحلة الملكية الوحيدة التي لبستها بعد ترمُّلها

ومنذ ثلاث سنوات احتفل اهل مدينة بيبدي باميركا بعيد مئة سنة من يوم ميلادهِ فبعثت اليهم رسالة برقية تقول فيها "ان تذكار جورج بيبدي لم يزل يتجدَّد في قلبي وقلب شعبي بالشكر الجزيل لما لهُ من المبرات المقرونة بالكرم والفضل". فملكة مثل هذه تنهض همم المحسنين وتحيي آثارهم توجدهم من العدم وتجعل المال في ايدي الاغنياء آلة للبر والاحسان بدلاً من ان يكون آلة للشر والفساد

وابلغ من تقدُّم بلادها العقلي والمادي تقدُّمها الادبي والاجتماعي فاخصُّ ما يمتاز بهِ حكمها تعميم الحرية والمساواة حتى يشترك في خيرات ممالكها كل احد من رعاياها كبيرًا كان او صغيرًا غنيًا

او فقيرًا . وكل بلاد ارتفع فيها العلم البريطاني صارت مقصدًا للناس على اختلاف اجناسهم يقصدونها للارتزاق والاتجار فتساوي بينهم كانهم من رعاياها . وقد منحت كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وبلاد الراس حكومة نيابية تكاد تكون مستقلة في كل شيءٍ بل صار النساء ينتخبن ايضًا للنيابة في بعضها ولا يبعد ان تشمل الحكومة النيابية اقسام بلاد الهند فتصير السلطنة الانكليزية كلها مجموع ولايات مستقلة تربطها رابطة الحرية الشخصية والمصلحة العمومية"

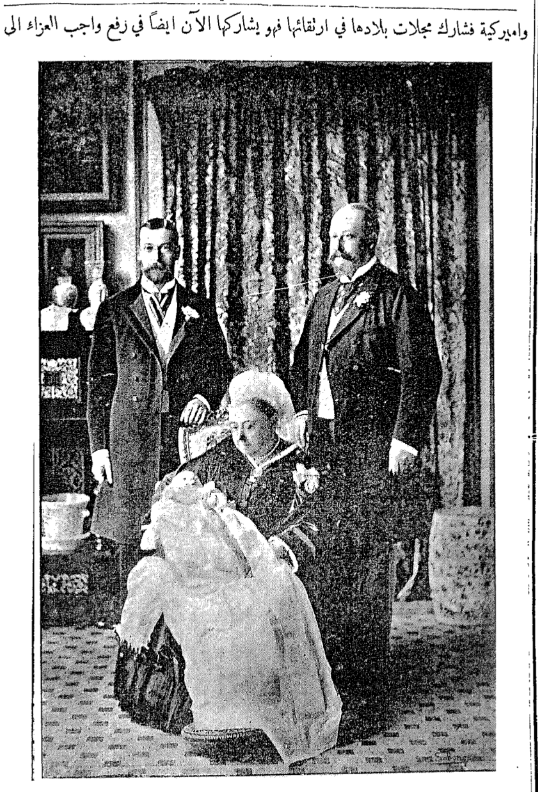
هذا ما كتبناهُ منذ ثلاث سنوات ولو كتبناهُ الآن ما حذفنا حرفًا واحدًا منهُ بل زدناهُ تأكيدًا وتثبيتًا فان عدد السكان زاد في هذه السنوات على نسبة ما زاد في السنين الماضية فبلغ في الجزائر البريطانية اكثر من اربعين مليونًا ونصف مليون وبلغ دخل الحكومة مئة وعشرين مليونًا من الجنيهات من بريطانيا واكثر من ٦٧ مليونًا من الهند وعشرة ملايين ونصف مليون من كندا وثمانية ملايين ونصف مليون من بلاد الراس. وضُمَّت بلاد الترنسفال وبلاد اورنج الحرَّة الى الاملاك الانكليزية ولو بثمن غالٍ جدًّا من الدماء والاموال. وانضمت اقسام استراليا بعضها الى بعض فصارت جمهورية كبيرة مرتبطة بالبلاد الاصلية. واثبتت المستعمرات الانكليزية كلها انها مرتبطة بعضها ببعض وبالبلاد الاصلية باشتراكها كلها في الحرب الترنسفالية

وقد استاء كثيرون من هذه الحرب وودوا لو لم تكن وشمت اعداء انكلترا بما كانت تلاقاهُ من الفشل احيانًا ولكنهم لم ينكروا ما ابدتهُ من الهمة والاقدام والمقدرة التي تفوق كل ما جاء في تاريخ الاوائل والاواخر بتجييشها نحو ثلثمئة الف نفس وارسالهم الى ابعد مكان في قارَّة افريقية مع كل ما يلزم لهم من الزاد والميرة . ولم تكتفِ بالحاجيات بل ارسلت اليهم الكماليات ايضًا وبعض الاطايب التي لا يتمتع بها الناس الاَّ في بيوتهم ولم تستخدم لذلك سفينة اجنبية. ثم لما قضى الله بوفاة الملكة بادرت امم الارض كلها الى مجاملة الامة الانكليزية كما بادرت يوم الاحتفال بعيد الماس حينما بلغ حكم ملكتها ستين عامًا وقبلما نشبت نيران هذه الحرب. وما ذلك الاَّ لان مقام الملكة ومقام مملكتها عزيزان في النفوس. والجرائد الفرنسوية التي كانت تغتاب الانكليز كلما حانت لها فرصة لم يسعها الاَّ الاعجاب بقدرتهم يوم استعرضوا اساطيلهم البحرية وقت الاحتفال بيوبيل الملكة والافاضة في وصف مناقبها لما توفاها الله الى رحمتهِ

وعاشت الملكة حتى رأَت اولاد احفادها واتضح لها ان الملك يبقى في اعقابها سنين كثيرة وقد وصلت الينا صورتها مع ولي عهدها وولي عهدهِ وابن ولي ولي العهد كما ترى في الصفحة التالية

هذا وقد كان من حظ المقتطف ان نشأ في عصر هذه الملكة فاستقى من بحار العلماء الذين نشأوا في عصرها وفي بلادها واقتطف من ثمار المعارف اليانعة في الصحف العلمية الانكليزية

واميركية فشارك مجلات بلادها في ارتقائها فهو يشاركها الآن ايضاً في رفع واجب العزاء الى



شعبها و يسطّر تعداد الفخر فضائلها وفواضلها لتبقى قدوةً للملوك والبنات والزوجات والامهات ما كرّت الايام والاعوام

الملك ادورد السابع



لما استأثرت رحمة الله بالملكة فكتوريا آل تاج الملك حسب الشرائع الانكليزية الى ابنها ولي عهدها البرت ادورد برنس اوف ويلس فاختار ان يسمى ادورد السابع تاركاً اسم البرت الذي كان اسم ابيهِ لكي يبقى مفرداً في تاريخ البلاد الانكليزية كما تفرَّد ذلك الامير بفضائلهِ وسمو مداركهِ

والملك ادورد السابع كهل في الستين من عمرهِ فانهُ ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وهو ثاني اولاد الملكة فكتوريا واكبر ابنائها . درس اولاً على اربعة من كبار الاساتذة ثم درس مدة في مدرسة ادنبرج ومدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج ومنحهُ كلٌّ من مدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج لقب دكتور في الشرائع المدنية ودرس علم القوانين واجيز لهُ فيهِ وهو مشير

(مرشال) في الجيش الانكليزي وفي الجيش الالماني ورئيس اكبر للماسونية . زار سورية ومصر سنة ١٨٦٢ ومعهُ العلاَّمة اللاهوتي الشهير الدين ستانلي واقترن بالبرنسس الكسندرا بنت كرستيان التاسع ملك الدنمارك في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٦٣ ورزق منها ابنين البرنس البرت فكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٨٩٢ والبرنس جورج دوق يورك ولد سنة ١٨٦٥ وهو وليُّ العهد الآن وثلاث بنات لويزا زوجة دوق فيف ومود زوجة البرنس كارل الدنماركي وفكتوريا

وأُصيب بالحمَّى التيفويدية سنة ١٨٧١ فاهتمَّت الامة الانكليزية كلها بمرضهِ كأنَّ في كل بيت منها مريضاً . ثم لما شفي اجتمع الناس في الكنائس الوفاً مؤلفة ليشكروا الله على شفائهِ

وقلما أُنشئ مقام خيري او عمومي في البلاد الانكليزية منذ عشرين او ثلاثين سنة الى الآن الا واشترك الملك ادورد او الملكة زوجتهُ في وضع حجر زاويتهِ . وكثيراً ما كان يشترك في اظهار فضل الفضلاء وتعظيم مقام العلماء ولهُ في تلك المواقف خطب حسان تدلُّ على انهُ يقدر العلماء قدرهم . وآخر خطبة قرأناها لهُ من هذا القبيل الخطبة التي تلاها لما رُفع الستار عن تمثال هكسلي وقد نشرنا ترجمتها في الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين وهي

" ايها السادة والسيدات . اني احسب فخراً عظيماً لي ان انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضواً منهم . ولم انسَ اني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطباً في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . وفضولٌ مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اصادق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين "

هذا كلام الملك الذي رقي الى سدَّة الملك في بداءة هذا العام وغرة هذا القرن وقد اعرب فيهِ باجلى بيان عن ان مقام العلم رفيع في عينيهِ كما اعرب في خطبة اخرى فاه بها لما اريد انشاء تذكار للسر جون لوز عن فائدة العلم للبلاد حيث قال " انهُ يجب على البلاد الانكليزية ان تعترف علناً بالفوائد الجلَّى التي استفادها علم الزراعة من هذا الرجل الفاضل لما لها من النفع العام للبلاد كلها " فلا عجب اذا استعزَّ العلم في عهدهِ كما استعزَّ في عهد امهِ

تاريخ آل معن

مرَّ بي حينٌ من الدهر وانا ارى نتفًا مبعثرة من تاريخ آل معن يكاد لا يتألف منها في الذهن صورة ما كانوا عليهِ من الامارة والعزة اللهمَّ الاَّ ما قرأت عنهم في اخبار الاعيان في جبل لبنان فجمعتُ ما اتصلت اليهِ يدي من التواريخ واسفت لقصوري عن الوصول الى ما تكنّ الخزائن في بلادنا من نفائس المؤلفات ·

فآل معن ينتسبون الى بني ربيعة الفرس بن نذار ومما قيل فيهم ان جدهم ايوب من سلالة الايوبيين ملوك بغداد وثغورها وانهُ كان فارسًا مغوارًا يشدّ ازرهُ باجد عشر ابنًا من الشجعان فعظم شأنهُ حتى حسدهُ قومهُ فتألبوا عليهِ واخرجوهُ من بينهم فرحل بعيالهِ وما يملكون ونزلوا ضفاف الفرات واتَّسموا هنالك بالايوبيين نسبة لابيهم الباسل وكرَّ عليهم الزمن لايزيدهم الاَّ نموًا وكثرة حتى ضاقت عليهم منازلهم فرحلوا الى الديار الحلبية وفيهم اميرهم ربيعة واقاموا ثمة حتى مات فخلفهُ على الزعامة ابنهُ الامير معن الذي صاهر الملك النعمان

وكان قبيلهُ قد صار الى المنعة والعزة وسوريا يومئذٍ غشيتها جموع الافرنج المعروفين بالصليبيين فدان لحكمهم بعض ارجائها وناهضهم الكثير من امراء البلاد واعيانها يغيرون على ما بايديهم من الاقطار فتارة يظفرون واونة يرجعون خائبين

وفي خلال هذا كان اهل حلب قد قتلوا لؤلوءا الخادم اتابك[1] ابناء الملك رضوان ووقع على اثر ذلك كثير من الخلل في البلد فاستقدموا نجم الدين ايلغازي من امراء التركمان ليملكوهُ عليهم فيذود عنهم ويحميهم من غارات الافرنج الذين كانوا قد استفحلوا في انطاكية وجوارها فجاءهم واقام يسدّد امورهم واذا بظهير الدين ابي منصور طغتكين[2] اتابك صاحب دمشق قد جاءهُ زائرًا مستنفرًا لقتال الفرنجة فتواعدا على النجدة وجاءتهما الاخبار بان الاعداءا متحفزون لدمشق وحوران وانهم شرعوا يعيثون فسادًا في البلاد فاتفق الاميران

(١) اتابك كلمة مركبة من اتا بمعنى اب و بك من القاب التعظيم المعروفة وكان لقب اتابك يمنح لمن يسلمهُ السلطان تربية اولادهِ ويدبر البلد الذي يمنحهُ ابن السلطان عادة ثم اصبح هذا اللقب بكرور الايام حلية لاعاظم الموظفين ومنهم امير الجيوش (ابن خلكان)

(٢) كان طغتكين اتابك تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق فلما توفي تتش سنة ٤٩٧ هجرية قام بالملك بعدهُ طغتكين المذكور لانهُ كان قد تزوج بامهِ في حياتهِ وحياة ابيهِ وظلَّ طغتكين مالكًا في دمشق الى ان توفي سنة ٥٢٢ هجرية فبقي الملك في عقبهِ حتى سنة ٥٤٩ هجرية حين ملكها نور الدين صاحب حلب

طغتكين وايلغازي على ان يعود طغتكين الى دمشق ويقيم فيها مثاغراً للعدو وان يذهب ايلغازي الى ماردين فيجيء منها بالمال والرجال

فان كان بنو ربيعة يومئذٍ نازلين على الفرات فقد اجابوا داعية ايلغازي وحملوا معهُ في جملة العشرين الفاً الذين زحف بهم لمنازلة انطاكية فباغتوا رجالها وغلبوهم وقتلوا منهم روجر الوصيّ على الامارة ولكنهم قبل ان سرَّهم الظفر احاط بهم جيش العدو تحت قيادة ملكهم بودوين الثاني ففتك بهم ذريعاً واضطرهم الى الفرار. وان صحت رواية الكولونل تشرشل في تاريخ جبل لبنان(جزء ١ صفحة ٢٢٢ و٢٣٦) فان بني ربيعة و بني تنوخ كانوا في جملة القبائل العربية التي نزلت جبل العلا عند معرة النعمان وان التنوخيين انفصلوا عنهم في القرن التاسع وقصدوا لبنان واقاموا ثمة فافلحوا اما بنو ربيعة فظلوا في المعرة حتى جاء الصليبيون وامتلكوا انطاكية ورسخت قدمهم فجاء ايلغازي بجموع الترك وانضموا لبني ربيعة فحاربوا الافرنج في الجبل الاسود حتى رأوا ان لا قِبَل لهم بهم فالتجأوا الى المعرة ثم سلموها وارتحلوا عنها واميرها يومئذٍ الامير معن فاضطر ان يخرج من جوار الافرنج فاتى البقاع ومنهُ قصد دمشق فاجتمع بصاحبها واستشارهُ فاشار عليهِ بالنزول في لبنان فوق بيروت وصيداء فارتضى الامير معن لما في ذلك من الخير لهُ ونزل في بعقلين وجوارها

وقد شهد طغتكين ورجالهُ حرب انطاكية ونتيجتها فلما عاد الى بلادهِ وقد وقر في نفسهِ مرابطة الثغور صيانة لهُ من غارات الافرنج الذين لم يفتروا عن شن الغارات على صيداء وصور والشقيف وما بينها حتى امتلكوا بعض المعاقل واوشكوا يفوزون بالبلدين صيداء وصور غير مرةٍ لو لم يؤَدِّ اهلوها المال فداء

ولكن الفداء لا يغني عن القوة فتيلاً فان بعثة نروجية نزلت يافا سنة ١١١٠ وزحفت منها لافتتاح صيداء تحت امرة بودوين فملكتها فتم للافرنج بذلك رسوخ القدم في الثغور والتفرغ للاغارة على ما وراءها

يومئذٍ استغاث طغتكين بصاحبهِ ايلغازي ليتعاونا على خضد شوكة الفائزين فلما انكسرا عند انطاكية رأى ان يتحصن بالرجال الاشداء فاوعز الى بني ربيعة او الى فئة منهم ان يرحلوا الى تخوم بلادهِ فلباهُ القوم فاتخذ لهم قطر الشوف مقاماً يستشرفون منهُ على البحر و يكونون عوناً على الاعداء

ومما آثر ابن الاثير في الكامل ان في سنة ٥١٣ هـ سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الافرنج نحو مئتي فارس من طبرية وكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فاخذهم وغنم

منهم كثيرًا وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروهُ انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فارصد جوسلين للحوق بهم مئة وخمسين فارسًا وسار بخمسين في طريق اخرى ولكنهُ ضلَّ الطريق ولحق فرسانهُ بالقوم فوقع القتال واظهر الامير الشجاعة الباهرة والتدبير الحسن فقُتل من الافرنج سبعون وأُسر اثنا عشر زعيمًا .

وقد ذكر ابو الفداء هذه الرواية وقال ان اسم الامير مرّ بن ربيعة

على ان ليس في هذه الرواية تصريح ببني معن ولكنَّ من امعن النظر يرى ان كلا القومين من بني ربيعة وان الحادثة واقعة سنة ٥١٣ هـ التي تعادل سنة ١١١٩ او سنة ١١٢٠ مسيحية وهي السنة التي ورد ان آل معن كانوا نازلين فيها في البقاع فليس بعيدًا ان تكون الرواية عنهم والله اعلم

ولقد اصاب طغتكين في مشاغرة الفرنجة من صوب الشوف لحصانة الموقع ووقوعهِ في سبيل القوم وقيام المرابطين فيهِ على اجهاد قوى العدو وايقافهِ منهم موقف الخائف الحذر فهم يقدرون على الاغارة على ما امتلك الفرنج من بلاد صيدا وصور وما اليهما ولا يستطيع اولئك اقتحام بلادهم لصعوبة مسالكها ووعورة جبالها .

وكان قطر الشوف حتى يومئذٍ قفرًا يبابًا فلو لم يسرع طغتكين الى انزال الايوبيين فيهِ لامتلكهُ الافرنج واصبح بين ايديهم عصمًا ومعقلاً ايًّا الّا ان سداد رأي الامير صانهُ منهم وانزل الايوبيين فيهِ منزلاً رحبًا فارتاحت اليهِ خواطرهم وسكنوا اليهِ بديلاً من المضارب والخيام لانهم كانوا حتى يومئذٍ من الرحَّل الذين يضربون في البراري والقفار ليصيبوا منتجعًا ومرعًى خصيبًا فلما وضعوا عصا الترحال ادرَّ الامير طغتكين عليهم المال تطييبًا لخواطرهم ورأوا من اهل الجوار انسًا وترحابًا فطابت نفوسهم سيما وان الامير بحتر التنوخي صاحب بلاد الغرب بعث يتودَّد اليهم و يعاقدهم الولاء ليشد بهم ازرهُ في مقاتلة الفرنجة على ما يملكون وحبب اليهم ابتناء البيوت فارتضى الامير معن بذلك فارسل الامير بحتر اليهِ البنائين والعملة فبنوا كثيرًا من الدور فتمصّرت بلاد الشوف منذ حينئذٍ وتوارد اليها الجالية من الاقطار التي غلب الافرنج عليها فعُمرت بهم وازدهرت . ولا نعلم كيف ظلوا حتى يومئذٍ على بداوتهم مع انهُ ورد انهم قضوا في المعرة وجوارها السنين الطوال. وقيل ان الامير معنًا قصد انسباءهُ آل تنوخ في عبيه فاشاروا عليهِ بسكنى الشوف . ذكر ذلك صديقي العالم المحقق الامير شكيب ارسلان في دائرة المعارف وزاد عليهِ ان اسم الشوف مشتق من شُف اي انظر اذ قالها التنوخي لصاحبهِ المعني حين اطلاًّ على بلاد الشوف

ومرَّت السنون ومقام المعنيين في الشوف عزيز لبسالتهم واعتصامهم فيهِ واباءة نفوس قومهم عن الخضوع لغير زعمائهم ولانهم كانوا قد مالأُوا آل شهاب حين جاءُوا سنة ١١٦١ من حوران فغلبوا الفرنج على حاصبيا وملكوها فنشأت منذ يومئذٍ صداقة محكمة العرى بين الاسرتين ادَّت بعد حين الى المصاهرة فالاتحاد والمشاركة في القتال ضد الصليبيين

وليس في تاريخ هذه الاونة شيءٌ من الانباء عن شؤُون المعنيين الداخلية ولكن المستفاد من مؤَدَّى روايات بضعةٍ من كبار مؤَرخي الفرنجة(1) الباحثين في احوال الدروز ان القوم كانوا في باديء امرهم اتخاذًا يخضعون لمشائخهم والكل يدينون للامير ويقولون بقولهِ وهو ينظر في شؤُونهم بالنصفة والعدل حتى اذا قضت الاحوال لاستنفارهم الى القتال لبوا نداءهُ. ومما ذُكر عنهم استقلالهم في جبالهم بحيث لم يخضعوا للسلطة الاجنبية عنهم الاَّ ظاهرًا لتبقى السيادة فيهم محصورة في امرائهم وهذا سر بقائهم على عزتهم مدى عصورهم الاولى في سوريا والاَّ بعثتهم وهم فئة قليلة عوامل الدسائس ولعبت بهم السياسة ادوارًا لحطت بهم من عصمتهم. ألا ترى انهم ظلوا على عزتهم بين كانت البلدان الكثيرة السكان كدمشق وحلب وغيرهما لا تقوى على حفظ كيانها بل تتوالى عليها تقلبات السياسة واطوار الدول

فحب الاستقلال ومخالفة مذهب السنة لمذهبهم الدرزي الذي دانوا بهِ بعد نزولهم في الشوف شدَّ اواخي الاخاء فيما بين افرادهم فصاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضهُ بعضًا ومن تمام حظهم لقوا من مجاوريهم النصارى مثل ما كان في نفوسهم الابيَّة من المباديء فاتحدوا وناوأُوا من خالفهم طويلاً

وكأَن سياسة امرائهم ظلَّت مدى زمانهم متجهةً صوب حفظ استقلالهم ورسوخ قدمهم في العزة والمنعة على انهم يحفظون الولاء لاصحابهم وينجدون المستغيث بهم ولا يحجمون عن الثأر ممن يسيءُ اليهم الاَّ ان استقلالهم الداخلي لم يخرجهم عن الاذعان لمقاصد ملوك الجوار في اعدائهم فمن ذلك انهُ لما قدمت سنة ٥٩٣ ه (سنة ١١٩٧) تجريدة صليبية تحت امرة الاسقف كونراد وكان على سلطنة دمشق الملك العادل بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين المشهور تحفَّز هذا الملك الباسل لملاقاة الغزاة واستغاث بابن اخيهِ الملك العزيز صاحب مصر وبغيرهِ من ملوك الجوار وزحف على يافا فخرج الافرنج من عكاء للذود عنها ولكنهم قبل ان بلغوها علموا ان الملك العادل فتحها بالسيف فاتجهوا صوب بيروت ليأخذوها وفيما هم سائرون

(1) Volney, Etat politique de la Syrie, chap. III § III et § IV.
New American Cyclopaedia (New York, 1863) Vol. VI, page 632.

لقيهم في الطريق امراء معن وتنوخ وحاربوهم وذلك لان الملك العادل كان قد اوعز اليهم ان يمسكوا الطريق على الغزاة وان يعزلوا قلاع بيروت لانها لا تقوى على الممانعة فخالفهُ الامير جمال الدين التنوخي وابقى القلعة مسلحة وزاد في حاميتها ووقف مع المعنيين في سبيل الافرنج وحاربوهم ولكنهم لم يقووا على غلبهم لكثرة جموعهم فزحف الصليبيون بعد ظفرهم على بيروت واخذوها من غير ممانعةٍ. هذي زبدة ما رواه الكولونل تشرشل في تاريخ جبل لبنان ولا نعرف المورد الذي استقى منهُ وانما علمنا من ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٩٣ هـ ان الملك العادل بعث سرية من عسكرهِ لتخريب بيروت ففعلوا ولكن منعهم اميرها من ذلك وتكفّل بحفظ القلعة فعاد عكسر المسلمين ولقوا الافرنج عند صيداء وجرت بينهم مناوشة حتى فصلهم الليل. ولم يذكر ابن الاثير شيئًا عن المعنيين وكذلك لم يذكرهم صاحب كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين. وقد غلط تشرشل بك في ايراد اسم الامير المتولي على بيروت اذ سماه جمال الدين مع ان اسمهُ عز الدين سامة او اسامة كما ذكره ابن الاثير وصاحب الروضتين وصالح بن يحيى في تاريخ بيروت وكما دلّ عليهِ بيتان من الشعر قيلا فيهِ لتسليمهِ بيروت من غير قتال. وكأن تشرشل لم يكن يحفل بضبط الاسماء كثيرًا اذ غلط ايضًا في اسم الملك الذي حمل بني معن على سكنى الشوف فقال هو نور الدين مع انهُ طغتكين

وفي سنة ٦٣٨ هـ خاف الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن اخيهِ الملك الصالح ايوب فسلم الافرنج صفد والشقيف ليكونوا معهُ ويعضدوه على ما قال ابو الفداء وحالف صاحب حمص وصاحبة حلب على مناوأة الصالح ايوب وصاحب الكرك وعاد فسلّم للافرنج القدس وعسقلان وطبرية استجلابًا لرضائهم واستدعي الخوارزمية لنجدتهِ اما الصالح ايوب فخاف المغبة وكتب على ما في اخبار الاعيان الى محمد نجم الدين التنوخي يستحثهُ على البقاء على الطاعة وان يتقدم برجالهِ لاستقبالهِ. قال تشرشل بك ان الامير نجم الدين لم يكن ليقوى على الاجهار بنواياه لقرب اسماعيل منهُ وكثرة انصارهِ ولذلك انضم الى جيشهِ ومعهُ بنو معن والتقى الجمعان عند عسقلان فلوى التنوخيون والمعنيون اعنة خيولهم وانحازوا الى الصالح ايوب فوقعت الكسرة على الصالح اسمعيل وحلفائهِ ثم التقوا ثانية عند غزة سنة ٦٤٢ فانكسر الصالح اسمعيل وفي السنة الثانية اخذ المعنيون صيداء من الافرنج على ما قال تشرشل وظلّت في ايديهم او تحت ولايتهم حتى تشكلت ولايةً في اخريات ايامهم

ولقد حفظ التاريخ لآل معن وقائع جمة تدل على ما ذكرنا من خلالهم وانهم كانوا يوالون الشهابيين في السراء والضراء فمن ذلك ما رواه صاحب اخبار الاعيان ان في سنة ١٢٨٧

لما تملك المغول وادي التيم بالسيف وهرب منهُ الامراء الشهابيون التقاهم الامير بشير علي الى نهر الصفا ومعهُ الميرة واقام عندهم يومين الاَّ ان في هذه الرواية مظنة سهوٍ لان التتر المغول اقتحموا بر الشام تحت امرة ملكهم هولاكو في اواخر سنة ٦٥٧ هجرية على ما رواهُ ابو الفدا في تاريخهِ وهو ثقةٌ لا ينازع في الاخبار عن عصرهِ ومصرهِ فتمت لهولاكو الغلبة على الشام في مدى تسعة شهور من سنة ٦٥٨ ثم انكسروا في رمضان من تلك السنة وفي محرم سنة ٦٥٩ وضعفت شوكتهم في البلاد حتى اضطروا الى مبارحتها ولكنهم عاودوها في السنة التالية وبلغوا حمصاً وهنالك كسرتهم جيوش الملك المنصور قلاوون وردتهم على اعقابهم فلبثوا الى سنة ٦٩٩ قاعدين عن الغارة حتى شنوها في تلك السنة فلقيهم المسلمون عند حمص وواقعوهم فانكسر المسلمون واستولى المغول على دمشق والقدس حتى غزة ولكنهم لم يلبثوا طويلاً بل نكصوا راجعين

فاذا اعتبرنا تاريخ غشيانهم وادي التيم على رواية اخبار الاعيان يكون ذلك سنة ٦٨٦ هـ لانها تعادل سنة ١٢٨٧ التي ذكرت هنالك وفي تلك السنة لم يكن للمغول حرب في بر الشام لما مرَّ بنا من ارتدادهم من سنة ٦٨٠ الى سنة ٦٩٩ ولا نحسب الحادثة واقعةً في الغارة الثانية سنة ٦٩٩ لان العلاَّمة البطرك الدويهي يذكر في حوادث سنة ٦٨٣ وفاة الامير قرقماز الشهابي ويقول ان في عهدهِ كان دخول المغول الى وادي التيم ووقوع هذه الحرب

ولا خفاء ان المغول عاثوا في بلاد التيم فساداً واسرفوا في القتل والنهب والحريق حتى اضطر كثيرون من التيامنة ان يهجروا بلادهم الى بلاد الشوف فازدادت بهم عمارةً ونجاحاً

ومما روى الكولونل تشرشل في تاريخ لبنان (جزء ١ صفحة ٢٨٤ و٢٨٥) ان الملك الاشرف لما قضى لبانتهُ من طرد الافرنج عن سوريا اهتمَّ بكبت الدروز لمخالفتهم السنة فاوعز الى نائبهِ في دمشق اقوش الافرم ان يأمرهم ببناء المساجد في جبالهم فابوا ذلك فزحف عليهم باربعين الفاً ولقوهُ بعشرة آلاف تحت امرة احد عشر اميراً من تنوخ ومعن فالتقعوا عند عين صوفر ولكنهم انهزموا الى انطلياس بجوار بيروت واختبأوا في مغارةٍ لم تسترهم عن بحث الظافرين فسألوهم التسليم ولمَّا ابوهُ سدوا عليهم باب المغارة حتى ماتوا فانكسرت بذلك شوكة الدروز .

قلتُ لقد اخطأ المؤرخ في اسم الملك لان الملك الاشرف هو صلاح الدين خليل بن قلاوون وانما توفق لقطع دابر الافرنج من سوريا سنة ٦٩٠ هـ وقتل سنة ٦٩٣ فتولى السلطنة اخوهُ الملك الناصر وعزل عنها سنة ٦٨٦ ثم عاد اليها سنة ٦٩٨ وحينئذٍ ولّي جمال الدين اقوش الافرم نيابة الشام وفي سنة ٧٠٥ سار هذا النائب على ما قال ابو الفداء بعسكر دمشق الى جبال الظنيين وكانوا عصاةً مارقين من الدين الخ فكبتهم قال والبلاد جبال شاهقة بين

طرابلس ودمشق. وذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ان اقوش الافرم اغار بخمسين الفاعلى كسروان فلا ندري من اي المصادر اخذ تشرشل سيما وان مؤرخي التنوخيين والمعنيين لم يذكروا في تلك الاونة مقتل الامراء

وكرّت الايام والقوم على حالهم المألوف الآن التاريخ الذي اتصل الينا لم يحوِ من اخبارهم شيئًا يُذكر وكأني بهم ظلوا على ما عُهد فيهم من التدرب على الضرب والطعن وممارسة القتال بحماية زمانهم والاَّ فلو مرَّت بهم السنون وهم ساكنون الى الحراثة دائبون على السلام لانتفت من بينهم الاميال الحربية وخلدوا الى الراحة والحال انهم ظهروا في اوائل القرن الخامس عشر بما عهد فيهم من القوة ورباطة الجأش اعتبر ذلك بما رُوي من ان في سنة ١٤١٣ المعادلة لسنة ٨١٦ هـ جاءت سفن الافرنج واحسبها من الجنويين او البنادقة الذين كان لهم القدح المعلّى في البحر بتلك الاونة واقتربوا من الدامور فوق صيداء وخرج منها رجال اشداء شرعوا يعيثون في البلاد قتلاً واسرًا فعارضهم بعض امراء الجوار الذين كانوا يتولون الدرك او يقصدون الذود عن انفسهم فلم يقووا عليهم فنهض الملك المؤيد المحمودي الخاصكي من دمشق لقتالهم فالتقاه الى البقاع الامير سيف الدين ارسلان واضافهُ في الشويفات ثلاثة ايام ولما انقضت سار فانضم اليهِ الامير قاسم الشهابي اما الامير احمد بن عثمان المعني فانهُ التقاهُ في اطراف بلادهِ وحمل اليهِ الزاد والذخيرة وصحبهُ في زحفهِ فابلى جميعهم في الفرنج بلاءً حسنًا حتى ردوهم على الاعقاب

ومما يذكر ان صاحب اخبار الاعيان لم يذكر لهذه الحادثة زمنًا وناهيك بهِ انهُ ذكر اسم الملك" داود الجركسي " فراجعنا كل ما لدينا من التواريخ ولم نجد بين ملوك الدولة الجركسية من يسمى داود ولكننا رأينا ان الخليفة المعتضد بالله كان يسمى داود وانما لم يكن جركسيا ولم يكن هو الزاحف على الدامور واغرب من هذا ان الخواجا يوسف كتفاكو الذي كتب تاريخ معن في الجورنال ازياتيك Journal Asiatique. Mars, Avril 1864 تبع صاحب اخبار الاعيان حتى في هذا الخطاء فاورد اسم الملك داود من غير تثبت

وليس في ما مرَّ بنا من اخبار المعنيين ونهوضهم للترحاب بالملك المؤيد والسير في جيشهِ او غير ذلك ما يخالف مبدأهم في الاستقلال والمحافظة عليهِ لان النجدة من خلالهم وانهم ليؤدون الطاعة ما لم تؤذن بمساس شيء من حقوق استقلالهم فانهم كانوا حراصًا عليهِ حتى انهُ ليظن (1) انهم كانوا يعاملون دول المماليك المصرية بظاهر الطاعة والمياسرة ولكنهم لا

(1) The New American Cyclo. (New York, 1868) Vol. VI page 633.

يقعدون عن حربها اذا مسّت الحاجة وليس هذا بعيداً لان من كان في مثل موضعهم لا يعتمد الأ على قواه ويذود عن حوضهِ بملء قدرتهِ تارةً بالقوة وطوراً بالخدعة والاستكانة ولقد روى المؤرخون ما يستفاد منهُ وقوع النفرة فالحرب بين نائب السلطنة الجركسية في الشام والمعنيين قال العلامة الدويهي ان في سنة ١٥٠٥ (٩١١ هجرية) جهز نائب الشام العساكر مع جوان بك الافرنجي الدوادار الى البقاع فقتل الدوادار وقتل معهُ ثلثمائة نفر ثم جمع النائب العساكر وقصد التوجه بنفسهِ الى البقاع فمات قبل خروجهِ من دمشق ودخل على نيابة دمشق سيباي الاشرفي و بعد قليل قبض على الامير فخر الدين عثمان بن معن من اعمال صيداء اه

فالمستفاد من هذه الرواية وقوع الشحناء بين النيابة والامير وانها ادت الى الحرب فالانكسار في البقاع كما نقل الاستاذ الشرتوني عن الغرر الحسان الاَّ انهُ لم يذكر سبب العداء ولا كيف قبض على الامير فخر الدين وغاية ما قيل ان النائب سيباي اعتقلهُ مدة ثم اطلقهُ واعادهُ الى بلادهِ مكرماً

وكأن اعتقال الامير قد حاك في نفسهِ فابقى في صدرهِ الرغبة في الثأر من القوم الذين اهانوهُ حتى اذا وقعت الوحشة بين ساكن الجنان السلطان سليم الفاتح وبين الملك الاشرف قانصوه صاحب مصر والشام كتب نائب السلطنة في الشام الى امراء البلاد وفي جملتهم الامير فخر الدين عثمان يستفزهم الى القتال وكانت النيابة لم تزل لسيباي الاشرفي وقيل انها صارت يومئذٍ لجان برد الغزالي ولكن الارجح ان الغزالي كان يومئذٍ اميراً للجيش فجمع الامير رجالهُ وانضم الى جيش الغزالي وفيهِ خير بك نائب السلطنة في حلب وامير جيوشها ونواب دمشق وطرابلس وصفد وغيرهم و بينهم السلطان الغوري بنفسهِ وحاشيتهِ وكان الغزالي يتودد لامراء لبنان وقد اتفق مع خير بك على الانحياز الى الجيوش العثمانية فخابر السلطان سليماً واتعدوا على انهما اذا صدقا وفاز بالفتح يولي احدهما مصراً والآخر الشام ثم مال الغزاليّ الى الامراء وخابرهم فوافقهُ على ذلك الامير فخر الدين المعنيّ والامير منصور الشهابي والامير جمال الدين الارسلاني والامير عساف التركماني حتى اذا تصافّ الجيشان في مرج دابق عند حلب سنة ١٥١٦ (١) شعر الغوريّ بخيانة رجالهِ فامر الغزالي وخير بك ان يتقدما الى القتال ليعجل

(١) وليس سنة ١٥١٥ كما ذكر العلامة الدويهي وصاحب اخبار الاعيان ومن تابعهما والدليل على ان الموقعة كانت سنة ١٥١٦ ما ورد في La Turque, par Jouanin et Van Gaver, chap. XI, page 113.
وكذلك في Creasy; Hist. of the Ott. Turks, chap. XIII page 113.
وما ذكر في الجزء العاشر من دائرة المعارف وتاريخ مصر المالكي (خط) وتحفة الناظر بن الشرقاوي وتاريخ الاسحاقي والجزء الاول من تاريخ جودت باشا وغيرها

خلفهما وكان موقف خير بك في الميمنة والغزالي في الميسرة فلما اشتبك القتال فرَّ القائدان بمن معهما الى السلطان سليم وظلَّ الغوري وحده' فأُسقط في يدهِ ورأى ان نواب دمشق وطرابلس وصفد قد قُتلوا وان العسكر ولَّى منهزماً فأُغمي عليهِ وهو شيخ يناهز الثمانين وسقط عن الجواد ومات (في ٢٤ آب سنة ١٥١٦ الموافق ٢٥ رجب ٩٢٢) فاستولى السلطان على حلب وحماه وحمص والشام وما بينها ولحق بالمماليك الى غزة ومصر وحارب طومان باي الذي اختاروه' سلطاناً فغلبه' واستولى على مصر واقام فيها اياماً حتى رتب شؤُونها وعاد الى سوريا سنة ١٥١٧ فرتبها واناله' المؤرخون لقب "فاتح ممالك العرب" وهي اذا حسبت بحساب الجمل بلغت ٩٢٣ ووفى بوعدهِ اذ ولَّى خير بك على الديار المصرية والغزالي على بر الشام . ولما عاد من مصر الى الشام كتب الى امراء لبنان فحضر اليهِ الامير قرقماز المعني والاميران جمال الدين الارسلاني وعساف التركماني

فاما قرقماز فقد أثر العلاَّمة الدويهي انهُ ابن يونس وليس في ما لدينا من التواريخ ذكرٌ لولايتهِ او لشأنهِ الاَّ انَّا نظنهُ من المقربين لدى نسيبهِ الامير فخر الدين الاول الذي تولَّى الامارة عقيب عمهِ الامير يوسف سنة ١٤٧١ ولذلك بعث بهِ لدى السلطان الاَّ ان للامير فخر الدين ابناً اسمهُ قرقماز فمن الاولى ان يكون هو الذي انفذه' ابوه' امتثالاً لامر السلطان . يؤيد هذا ما رُوي من ان المولى ولاَّه' الشوف كما ولَّى الامير جمال الدين على الغرب والامير عسَّافاً على كسروان لاسيما وانَّا على ثقةٍ من ان الولاية لم تخرج من بيت فخر الدين لانهُ كان قد نال الحظوة لدى السلطان سليم حتى انهُ لما مثل بين يديهِ في جملة الامراء الذين انحازوا الى عسكرهِ قبَّل الارض بين يدي السلطان ودعا له' قائلاً . اللهمَّ ادم من اخترتهُ لملكك وجعلتهُ خليفة عهدك وسلطتهُ على عبادك وارضك وقلدتهُ سنتك وفرضك ناصر الشريعة النيرة الغراء وقائد الامة الطاهرة الظاهرة سيدنا وولي نعمتنا امير المؤمنين الامام العادل والزكي الفاضل الذي بيدهِ ازمة الامر بادنشاه' ادام الله بقاه وفي العز الدائم ابقاه وخلَّد في الدنيا نعماه ورفع الى القيامة طالع سعدهِ وبلغهُ مأموله' وقصده' اللهمَّ امين . فلما انتهى الامير فخر الدين من ذلك الدعاء قرَّبهُ السلطان اليهِ واحبهُ وقال مثل هذا حقيق بان يُدعى سلطان البر وكان كل من تولَّى الاحكام في ذلك العصر يسمى سلطاناً اه [1]

---

(١) هذا ما نقله الاستاذ الشرتوني عن الغرر الحسان ويغلب على الظن ان ذلك كان قبيل الزحف على مصر اي عقيب الانتصار على الغوري غيران تشرشل يقول في تاريخ لبنان (جزء ٣ صحيفة ٣٢٧) ان فخر الدين لما مثل في حضرة السلطان سليم في دمشق بعد رجوعهِ من مصر نال الحظوة لديه فخلع عليهِ وجعلهُ سنجقاً على لبنان

ولا ندري لما لم يُذكر الامير منصور الشهابي صاحب وادي التيم في جملة الامراء الذين مثلوا بين يدي السلطان سليم ونالوا الولاية من نعمهِ مع انهُ كان في جملة المنحازين الى جيشهِ فكأن المؤرخ لم يفصح باسمهِ بل عناهُ في جملة عظماء البلاد الذين عبَّر عن مثولهم لدى المولى بكملة وغيرهم . اما امراء آل تنوخ فانهم لم ينالوا الحظوة لانهم كانوا من المتحيزين للملوك الجراكسة وقد كانت لهم في دولتهم العزة والمكانة فلما ادال الله منهم بالسلطنة العثمانية سقط التنوخيون من سدرة عزهم وبسطتهم وارتفع الى العلياء امراء آل معن. ولعلَّ هذا كان مغزى قول صاحب اخبار الاعيان ان بالامير فخر الدين بن عثمان غابت شمس الامارة التنوخية واشرقت شمس الامارة المعنية والاَّ فلا معنى لهذه العبارة لان فخر الدين هذا لم يكن اشهر بني معن كما قال لان اشهرهم هو فخر الدين الثاني الذي سنذكرهُ ولم يكن بفخر الدين الاول انقراض التنوخيين بل تقلَّص شيء من نفوذهم لانهم عادوا فاحرزوا رضا رجال الدولة العلية حتى اننا قرأنا في اخبار الاعيان ان السلطان سليماً امر للامير شرف الدين يحيي التنوخي بالعلامة على مناشيرهِ حين جاءهُ الى دمشق ولم تغرب شمس امارتهم الا سنة ١٦٣٣ والله اعلم

وكأن الفاتح العظيم السلطان سليماً لم يرضَ بتغيير الاحوال الداخلية في مصر وسوريا تغييراً كلياً بل اكتفى بسحق قوة المماليك الجراكسة وبعد ان رتَّب مصراً على ما حسبهُ ادنى الى طاعتهِ واتى سوريا اقرَّ فيها بعض الامراء على اقطاعاتهم كما مرَّ ونظَّم سائر بلدانها تنظيماً اختلف فيهِ المؤرخون فقد قال فولناي ان السلطان سليماً قسم سوريا الى خمس ولايات جعل على كلٍ منها عاملاً بلقب باشا وقال ان هذه الولايات هي حلب ودمشق وطرابلس وصيدا وفلسطين وان ولاية صيداء هي التي دعيت بعد ذلك ولاية عكاء. وقال جول داڤيد في تاريخ سوريا ان السلطان قسمها الى اربع ولايات وانها حلب وطرابلس وعكاء ودمشق ولم يذكر فلسطين والحال ان كلتا الروايتين مغلوط فيها فان من انعم النظر في تاريخ البلاد السورية قبل الفتح العثماني وبعدهُ يرى ان في زمن المماليك كانت نوابهم في كل بلدٍ من القطر السوري الاَّ ان اهمهم نائبا دمشق وحلب فلما وقع الفتح ولَّى السلطان سليم على حلب قره جه باشا وعلى حماه قاسم باشا وعلى حمص احتمان اوغلو وعلى دمشق جان برد الغزالي وعلى طرابلس ابن ادريس البدليسي وعلى بيروت وصيداء ونواحيها محمد بك قورقاز اوغلو. الاَّ ان هذا لم يدم طويلاً بل رأينا بعد الفتح انتظام الولايات لحلب والشام وغزة واما طرابلس فانتظمت ولايةً سنة ١٥٧٩

من ياقا الى طرابلس فكانت هذه النعمة مصدراً لعزة المعنيين ورسوخ قدمهم في امارة لبنان وباعتلائهم تقلص ظلّ الامارة التنوخية

حين ارادت الدولة ان تكبت الامراء آل عساف التركمان فجعلت ايالة طرابلس من وادي قنديل وراء اللاذقية الى المعاملتين عند جونية واما صيداء فقد لبثت تابعةً ولاية الشام حتى اواسط القرن السابع عشر حين ارادت الدولة ان تجعل الوزير قريبًا من الدروز ليراقب حركاتهم وحسبنا دليلاً ما سنذكرهُ من احالة سنجقية صيداء لآل معن او غير واحدٍ من احزابهم

واما الضرائب فقد جعلها السلطان قسمين المال الاميري والخراج والاول على الاملاك والثاني على النصارى ولكن هذا الترتيب لم يشمل كل سوريًّا بل بقيت اقطاعات الامراء كأنها معفاة من المال ومن الطاعة للوزراء يُستدل على هذا ليس فقط بنص بعض مؤرخي الفرنجة بل بما نُقل من ان السلطان سليمًا ولّى كسروان للامير عساف التركماني وفرض عليهِ مالاً ولم يُذكر ما ضرب على غيرهِ من الامراء الذين اجتمعوا لدى المولى واقرَّهم على اقطاعاتهم ولا غرابة في استلام كسروان لانها ظلَّت ملحقةً بايالة دمشق حتى ضُمت الى طرابلس

وفي خلال ذلك نبذ الامير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيداء والبقاعين طاعة السلطان فزحف عليهِ جان برد الغزالي والي دمشق فالتقاهُ الامير جمال الدين الارسلاني وسار معهُ لفتح صيداء فلما اخذاها فرَّ ابن الحنش منها وعاد الظافران بها فدخلا الشوف لان الامراء آل معن اظهروا الميل لابن الحنش. ولسنا على بينةٍ من سبب هذا الانحراف عن جادة الولاء ولعلهُ كان لما وقر في نفوس المعنيين وغيرهم من امراء لبنان من الرغبة في الاستقلال عن كل سلطةٍ ولذلك قعدوا عن نجدة عسكر السلطان او انهم تظاهروا بما آخذهم فيهِ حتى استحقوا التأديب فجاءتهم عساكر الدولة وقبضت من المعنيين على الامراء زين الدين وقرقماز وعلَم الدين سليمان وعلى الامير شرف الدين يحيي التنوخي[٢] وكأن الامير فخر الدين توارى عن العيان فلم يقبض الغزالي عليهِ بل اكتفى بعزلهِ من الولاية وتفويضها للامير جمال الدين ارسلان جزاء اخلاصهِ وطاعتهِ فكان ذلك منشأ العداء بين الاميرين فخر الدين المعني وجمال الدين الارسلاني وسببًا لخروج فخر الدين بآلهِ من الحزب اليمني وصيرورتهم قيسيين

ولما قبض الغزاليّ على الامراء اخذهم معهُ الى صيداء ثم ارسلهم منها بحرًا الى صور ومنها بعثهم الى قلعة صفد فقلعة دمشق وكان السلطان سليم لم يزل في دمشق فجاءهُ اليها الامير فخر الدين ببرر نفسهُ وبنيهِ من وصمة العقوق فارتضى السلطان بذلك واقرَّهُ على ولايتهِ ولكنهُ

(٢) يذكر اخبار الاعيان هؤلاء الامراء زين الدين وقرقماز وعلم الدين سليمان من بني معن وذلك في اكثر من موضع واحد ولكننا نرتاب في صحة نسبهم ونظن زين الدين وعلم الدين سليمان من التنوخيين بدليل ما ورد عن وفاة زين الدين سنة ١٥١٩ وعن نسب علم الدين سليمان والله اعلم

لم يطلق سراح المعتقلين بل حملهم معهُ الى حلب واودعهم قلعتها حتى جاءهُ الخبر بقتل ابن الحنش فاطلقهم

وكل هذا يدل على ان السلطان لم يكن راغباً يومئذٍ في مغاضبة القوم لئلاَّ يشغبوا عليهِ وهو على وشك الرحلة عن بلادهم ولم يكن عهدهُ بالفتوح قديماً ولا تمكنت منهم ربط الطاعة والولاء والاَّ لما اكتفى من فخر الدين بالكلام المزوَّق ولا ارتضى بتسريح المعتقلين الذين ساء فيهم ظنهُ

لكن هذا الحلم زاد القوم يقيناً في منفعتهم واعقبهُ تشاغل السلطان عن سوريَّا جملةً حتى وافتهُ المنية وتبوأ الاريكة ابنهُ السلطان سليمان فلم يحسب لمثل هذه الشراذم حساباً بل حدثتهُ نفسهُ الابية بغزواتٍ اهمَّ خطراً واعظم أثراً فتمادى المعنيون في منعتهم حتى صاروا لا يعبأون بولاة الدولة الذين يجاورونهم وكانت بلادهم في غضون ذلك الامد تزداد عمارةً بمن يلجأُ اليها من اهل الجوار

وليس خفيًّا ان الذين كانوا يتجردون للقتال عند الحاجة لا يقاسون بامثالهم من اهل الحضارة في هذا العصر بل انهُ كان في عرفهم تجرُّد الرجال القادرين جميعهم الى الحرب واذا اعتبرنا شؤُون تلك الايام وان كل رجلٍ يتدجج بالسلاح دائماً حتى اذا ذهب للحراثة والاعمال اليومية تبين لنا كثرة رجال الحرب الذين يجتمعون تحت راية المعنيين عند مسيس الحاجة

ولا خفاء ان من عوائد تلك الايام ان يكون للولاة والحكام ملء السلطة والحرية في اعمالهم بحيث كانوا يعملون غير معارضين فتراهم سواء كانوا من عمال الدولة المقيدين باوامرها او من الذين يحكمون بسلطتهم المخصوصة ولا قيد لهم الاَّ ظاهر الطاعة كلهم جُمَع يحاربون و يسالمون لاغراضٍ ذاتية لا ترجع الى مصلحة الدولة الحاكمة فيهم بل تتجه حروبهم الى بعضهم و يتحزب الواحد منهم ضد الآخر لغير داعيةٍ الاَّ استنجاد احد الفريقين بهِ. وعلى هذا كان المعنيون يُستصرَخون مراراً فيجردون عسكرهم ويقاتلون من استنفروا لقتالهِ ألاَ تراهم كيف انجدوا آل سيف يومَ وقع الخلاف بينهم وبين محمد آغا شعيب حاكم طرابلس سنة ١٥٢٨. واما تحفزهم لمناوأة الدولة سيجابة زمانها فظاهر من تكرار نهضتهم عليها فقد ورد في تاريخ الدولة العلية العثمانية لجوانين ان الدروز انجدوا جان برد الغزالي لما شق عصا الطاعة عقيب وفاة السلطان سليم الفاتح فكأَن خلفهُ السلطان سليمان اكتفى بما نال من الظفر بالعاصي وركود الزعازع بعد اهتياجها ولم يحفل بالذين انجدوهُ

وستأتي تتمة الكلام على الامراء آل معن في الجزء التالي

جرجي يني

حياة هكسلي واشغاله

من خطبة للورد افبري (السر جون لبوك) تلاها في مجمع علم الانسان (الانثربولوجيا) ببلاد الانكليز

لقد سررت بالدعوة من مجلس ادارتكم لتقديم الخطبة الاولى من الخطب التي تتلى تذكاراً لهكسلي لما في نفسي من الحب له والاعجاب به وللصداقة التي طال عهدها بيننا وليس ذلك فقط بل لانني شاركته في انشاء هذا المجمع فقد كان رئيساً لجمعية علم الاخلاق فلما امتزجت مع جمعية علم الانسان وصارا مجمعاً واحداً رأينا كلنا انهُ يجب ان يكون هكسلي اول رئيس له . ولم اقبل ان اكون انا الرئيس الاول الاَّ بعد ما رأينا اصراره على الرفض . وتأسيس هذا المجمع هو شيء من اشياء كثيرة شاركته فيها فانني وان كنت دونهُ علماً ومعرفة انتصرت مثله لدارون من حين نشر كتابهُ " اصل الانواع " وبذلت جهدي في الدفاع عن الحقائق العلمية ومقاومة الاضاليل وتلقّي الشتائم التي كانت تنهال عليهِ . ووقفت انا والسر جوزف هوكر الى جانبهِ في مناظرة اكسفرد الشهيرة سنة ١٨٦٠ وفي تلك السنة اشتركنا في تحرير مجلة التاريخ الطبيعي

واشتركت معهُ ايضاً في جمعية أُخرى صغيرة اسمها " اكس كلب " وكان من اعضائها جورج بسك سكرتير جمعية لينيوس الطبيعية وادورد فرنكلند رئيس الجمعية الكيماوية وهرست رئيس مدرسة علم الملاحة والسر جوزف هوكر وهربرت سبنسر ووليم سبوتسود رئيس الجمعية الملكية والاستاذ تندل . أُنشئت هذه الجمعية سنة ١٨٤٤ ومضى نحو ثماني عشرة سنة قبلما مات احد منا ولكن لم يبقَ منا الآن في قيد الحياة الاَّ انا وهوكر وسبنسر . وكنا نتعشى سوية مرةً كل شهر ما عدا اشهر الصيف الثلاثة ولم نكن نقرأُ مقالات ولا نعمل اعمالاً رسمية وانما كان غرضنا جمع بعض الاصدقاء الذين تربطهم رابطة الصداقة و يشتغلون في مواضيع واحدة . ولم تحلّ هذه الجمعية ولكننا اجتمعنا آخر مرة سنة ١٨٩٣ ثم لم نجتمع بعد ذلك . وسنة ١٨٦٩ انشأْنا جمعية ما وراء الطبيعيات وسيأْتي الكلام عليها . ومن سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ كنت معهُ في اللجنة التي عينها دوق دفنشير للبحث في التعليم العلمي فاجتمعنا مراراً كثيرة واقررنا على امور شتّى عُمل بها بالتدريج

وقضيت معهُ اوقات انس كثيرة في سويسرا و برتني واماكن أُخرى واخيراً كنت جالساً معهُ في المجمع البريطاني بأُكسفرد لما خطب اللورد سلسبري خطبة الرئاسة وكان قد فُرض عليهِ ان يقوم بعد الخطبة و يشكر اللورد سلسبري فاصغيت اليها وانا لا ادري ما يقول حينما

يقوم اشكرهِ . فالتفتَ اليَّ حينئذٍ واسرَّ في اذني قائلاً كم كنتُ اودُّ ان تُطرَح هذه الخطبة للبحث والمناظرة

وقد عزم من حداثة سنهِ على ان يبذل وسعهُ في كل عمل نافع وكان وسعهُ كبيرًا فاكثرَ من المطالعة وطالع كل كتاب وصلت اليهِ يدهُ من التوراة الى مقالات هملتن في الفلسفة. وكثيرًا ما كان يقضي وقت اللعب في المطالعة . وكان ميلهُ مصروفًا في اول الامر الى علم الهندسة العملية واراد ان يصير مهندسًا ثم مال الى علم الفسيولوجيا لان فيها هندسة الاجسام الحية وقال في هذا الصدد "ان الجانب الوحيد من شغلي الذي كان يلذُّ لي الاشتغال بهِ الفسيولوجيا التي هي هندسة الجسم الحي . ومع ان العلم الطبيعي كان شغلي الخاص لكنني لم اكن مولعًا بهِ فانني لم اجمع شيئًا من المجاميع الطبيعية وكان البحث عن الانواع عبئًا ثقيلاً عليَّ. وانما كنت اهتمُّ بالبحث عن بناء الاجسام وهندستها ووحدة نظامها مهما اختلفت انواعها"

وعُيّن سنة ١٨٤٦ للبحث الطبيعي في السفينة المسماة رتلسناك التي أُرسلت الى بحار المشرق للبحث فيها فوفى بما يُطلَب منهُ واوفى حتى يُستَغرَب مقدار ما اشتغلهُ في تلك الاحوال الحرجة كما قال السر ميخائيل فوستر في تأبينهِ فانهُ " اشتغل في وسط العوائق الكثيرة في مكان ضيق لا نور فيهِ طالبًا ان يكتشف اسرار الابنية الحيَّة الدقيقة بميكرسكوب ينود بنودان السفينة في حجرة حرجة لا يسمع فيها الا ضوضاء البحَّارة حيث لا كتب الا ما ندر ولا صديق يستشيرهُ في ما يراهُ من الغرائب الجديدة ومع ذلك جمع في تلك السنوات الاربع مقدارًا كبيرًا جدًّا من الحقائق العلميَّة الدقيقة واكثرها جديد ورسم كل ما رآهُ رسماً دقيقًا "

والحقيقة التي لا ريب فيها ان هكسلي كان من كبار الهمم الذين يفلحون في كل عمل اخذوا فيهِ . فكان من ارباب الاقلام ولو انقطع للانشاء لكان لهُ المقام الاعلى في ديوان الادب . ولم يكن في التصوير دون ما هو في الانشاء وكل الذين سمعوا خطبهُ يذكرون كيف كان يرسم بقلم الطباشير على اللوح الاسود رسومًا تظهر كالحقيقة تمامًا وقلمهُ اطوع من بنانهِ . وكان مغرمًا بالرسم حتى اذا كنَّا جالسين في لجنة لا ينفكُّ عن رسم الرسوم الهزلية على ما امامهُ من الورق مع انهُ كان يصغي اصغاءً تامًّا الى كل ما يقال. ولا شبهة في انهُ كان من ابلغ الخطباء. والخطابة موهبة عظيمة ونفعها للاساتذة كبير من غير ريب ولو قيّض لهُ ان ينتظم في سلك رجال السياسة لكان لهُ المقام الاسمى بينهم . وعندي انهُ لو انتُخب لمجلس النوَّاب لكان من قيامهِ فيهِ نفع للبلاد لا يُقدَّر فانهُ لم يكن في مجلس النوَّاب احد امهر منهُ في فن المناظرة . وخطبهُ مثل كتبهِ في الفصاحة وحسن البيان وتزيد عليها في ان السامع يضطر ان ينظر الى

الخطيب ويمعن نظره فيهِ فيرى مهابةً وبساطةً وشخصاً تتعشَّقهُ القلوب كما تتعشق معانيهُ العقول. وخطبهُ التي كان يتلوها في ليالي الجُمَع في دار العلم الملكية كانت تضاهي خطب تندل في بلاغتها وإعجاب الناس بها وتقاطرهم لسماعها. ولم يكن كذلك في اول امره بل كان فيهِ كل عيب من عيوب الخطباء على ما قال. ولما خطب خطبتهُ الاولى في دار العلم الملكية اتاهُ كتاب ينصحهُ فيهِ كاتبهُ ان لا يجرّب الخطابة مرةً أُخرى لانهُ لا يصلح لها. وخطب مرةً في علاقة الحيوان بالنبات فودَّ كثيرون ان لا يُدعى للخطابة مرةً اخرى. وقد اخبرني بعد ذلك انهُ كان يقوم للخطابة فيضطرب في اول الامر ويحصر عن الكلام مراراً ولكنهُ لا يلبث ان ينطلق عقال لسانهِ فيجري كالسيل المنهمر

ولا شبهة في ان السامعين لا يصغون الاصغاء التام الاَّ الى ما يعنى الخطيب بالقائهِ عليهم. وقد كان هكسلي يبذل جهدهُ في جعل خطبهِ مفيدة ملذّة لسامعيهِ سواء كانوا من الخاصَّة في دار العلم الملكية او من العامة في مجامع العمال. وكان المظنون ان العلم شيء رفيع لا يفهمهُ جمهور الناس فقام وابان ان العلم امر جوهري وثمارهُ دانية القطوف يفكه النفس اكثر مما تفكهها القصص والروايات ومن لا يقتفِ خطوات العلم في مكتشفاتهِ الجديدة يحرم نفسهُ اكبر لذة من ملاذ الحياة واعظم هبة من المواهب التي منحنا اياها الله لان هذه المكتشفات غريبة مدهشة تسرُّ النفس وتفكهها وتطلعها على ما في الكون الذي حولنا من الجمال الرائع والاتقان المدهش والذي نحن فيهِ كلا شيء بالنسبة اليهِ ولو عددنا لانفسنا المقام الاول فيهِ

ولكل شيء وقت ولا يستطيع الانسان ان يوفي العلم حقهُ ما لم يرح نفسهُ من العناء ويجلي صدأ التعب بشيء من الهزل والمزح وقد كان هكسلي كثير الهزل فكه الحديث ينطلق لسانهُ بالمزح حين لا يُنتظَر منهُ ذلك. خطب احدهم مرة في طبائع الرتيلاء وذكر انها تهجم على زوجها بعد اقترانهِ بها وتمتص دمهُ فلا يمنعها حبُّها لهُ عن فتكها بهِ فلما قام هكسلي لشكرهِ على خطبتهِ قال ان هذه الحفلة اغرب حفلات الزواج التي شهدها في حياتهِ

وعهدت اليهِ مناصب كثيرة فكان كاتباً للجمعية الملكية ثم رئيساً لها ورئيساً للجمعية الجيولوجية والجمعية الاثنولوجية واستاذاً لتشريح المقابلة من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٠ واميناً للمتحف البريطاني ومديراً لمدرسة العلم الملكية ورئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني ومفتشاً لمصايد الاسماك وعضواً في مجلس ادارة مدرسة لندن الجامعة وعضواً في عشر لجان ملكية وكان يخطب في دار العلم الملكية عدا الخطب التي تقتضيها وظيفتهُ. وسنة ١٨٩٢ جُعل عضواً في المجلس الخاص (مجلس الملكة) اعترافاً بخدمهِ الكثيرة لبلادهِ

(ثم افاض اللورد افبري في وصف اشغال هكسلي العلمية وذكر من المصطلحات والتدقيقات ما يتعذَّر فهمهُ على جمهور قرائنا وقال ان مقالاتهِ التي تليت في الجمعية الملكية تزيد على المئة وفي كلٍّ منها حقائق جديدة واستدلالات بديعة . ويتعذَّر علينا ان نترجم كل ما قالهُ في هذا الموضوع لاحتوائهِ على كثير من المصطلحات العلمية التي لم تترجم الى العربية حتى الآن وليس هذا محل ترجمتها وشرحها ولذلك نقتصر على بعض الاقوال التي نظنها اقرب تناولاً من غيرها قال)

لما وضع دارون كتابهُ في اصل الانواع لم يصرّح بان آراءهُ تشمل الانسان ولو استنتج كلٌّ من اطلع عليها انها تشملهُ . لكن المجاهرة بذلك كانت تقتضي علماً واسعاً وجرأة شديدة وقد قال وركو (العالم الالماني الشهير) "ان الانسان والحيوانات الدنيا واحدة في المادة والبناء وان المشابهة الاساسية بين الانسان والحيوان معترف بها الآن عموماً" . وعندي ان هذا القول ان صدق على المانيا لا يصدق على بلادنا لان كثيرين من رجالنا ونسائنا لا يصدقون رأي دارون ولا يفهمونهُ. وهم يحسبون انهُ قال ان الانسان متسلسل من القرود المعروفة وهذا غير صحيح لان الانسان لم يتولد من الغورلاَّ ولا من الارانغ اوتانغ ولكن الانسان والغورلاَّ والارانغ اوتانغ وغيرها من القرود الشبيهة بالانسان متولدة كلها من اصل بعيد جدًّا . وقد قال هكسلي في هذا الصدد "يمكننا ان نحكم ان هيكل الانسان الذي كان موجوداً في عصر البليوسين (من العصور الجيولوجية) لا يفرق عن هيكل الانسان في هذا العصر اكثر مما يفرق الفرس الذي وُجد في عصر البليوسين عن الفرس الذي في هذا العصر وحينئذٍ فانسان عصر البليوسين من جنس الانسان ولو عددتموهُ نوعاً قائماً برأسهِ. ولا استغرب ان نجد هيكل هذا الانسان في عصر البليوسين ونراهُ صغير الدماغ طويل اليدين متحرك ابهام الرجل"

وقد اكثر هكسلي من المقابلة بين الانسان وبين الشمبانزي والغورلاَّ حاسباً انهما اقرب انواع القرود اليهِ وهذا هو الواقع الآن . ولكن الجبون (نوع من القرد) الذي يختلف الآن عن الانسان كثيراً في حجمهِ واستعدادهِ للاعتراش كان من اقرب القرود الى الانسان على ما يظهر من العظام التي اكتشفها المسيو دبوى في جاوى فان نصف الثقات عدها عظام انسان والنصف الآخر عدها عظام جبون كبير . فاذا بحثنا عن اصل الانسان رأينا ان الجبون كان اقرب اليهِ من الغورلاَّ والشمبانزي . وقد قال هكسلي ايضاً ان الفرق بين انواع القرود في بناء اجسامها كبير جدًّا مثل الفرق بينها وبين الانسان او اكبر منهُ

وقال في مكان آخر ان احترامنا للانسان لا يقلُّ اذا عرفنا انهُ حيوان في الجسم مثل

سائر الحيوانات لانهُ هو وحده قد وُهب قوة النطق وبها جمع اختبار افراده منذ القرون الغابرة مما لم يستطعهُ غيرهُ من انواع الحيوان فوقف الآن فوقها كلها كأنهُ على ذروة جبل شامخ يعلو عنها علوًّا كبيرًا ويتجلى بما ينعكس عنهُ من النور المستمد من مصدر الحق الازلي"

وسنة ١٨٧٠ انتخب عضوًا في مجلس ادارة المدارس الابتدائية بمدينة لندن فبقي فيهِ سنتين فقط لان صحتهُ لم تسمح باكثر من ذلك لكنهُ خدم مدينة لندن والبلاد كلها في هاتين السنتين خدمة لا تقدَّر وقد اشار ان يكون التعليم شاملاً الامور التالية

اولاً الرياضة البدنية والتمرين

ثانيًا الاعمال البيتية على انواعها ولاسيما للبنات

ثالثًا آداب السلوك

رابعًا التعليم العقلي ويراد بهِ القراءة والكتابة والحساب ومبادئ العلوم الطبيعية والموسيقى والرسم

وكان من رأيهِ انهُ يجب على كل ولد ان لا يخرج من المدرسة الا وقد صار له المام بمبادئ العلوم الطبيعية بنوع عام

اما من حيث التعليم العالي فكان من رأيهِ ان لا بدَّ من تعليم العلوم الطبيعية واللغات الحديثة وان لا تترك اللغات القديمة . وقد استشرتهُ منذ سنوات كما استشرت غيرهُ عما يرتئيهِ من حيث تقسيم ساعات الدرس في الاسبوع فارتأى ان تخصص عشر ساعات في الاسبوع للغات القديمة وآدابها وعشر ساعات للغات الحديثة وآدابها و ٨ ساعات للعلوم الحسابية و ٨ ساعات للعلوم الطبيعية وساعتان للجغرافيا وساعتان للعلوم الدينية

اما انا فارى ان الوقت الذي خُصص لتعليم اللغات القديمة يضيع سدًى فان اللحم جيد طيب الطعم ولكن اذا أُطعم الانسان لحمًا صبحًا وظهرًا ومساء يومًا بعد يوم كره رائحة اللحم وطعمهُ. وكذلك الاكثار من درس اللغة اللاتينية يؤول الى السآمة والضجر.

وكثيرًا ما حثَّ على تعليم العلوم الطبيعية من الصغر وقال " ان الانسان المتعلم هو الذي تدرَّب من حداثة سنهِ حتى يصير جسمهُ آلة خاضعة لارادتهِ يفعل ما تشاء عن طيب نفس كأنهُ آلة ميكانيكية في دقة عملهِ وذهنهُ مثل آلة منطقية يشتغل اشغالهُ العقلية بالتأني والتبصر فيكون مثل آلة بخارية تصلح لكل عمل تنسج ادوق الخيوط وتطرق اكبر المراسي وعقلهُ مفعم بمعرفة حقائق الطبيعة ونواميس افعالها وقلبهُ مملوء بالحياة والنشاط واهواؤُهُ خاضعة لارادتهِ وكلهُ عبدٌ لضمير صالح مستقيم يحبُّ كل ما هو جميل في الطبيعة والصناعة ويكره كل قبيح دنيء ويكرم غيرهُ كما يكرم نفسهُ"

وقال أن لا بدَّ من ان يكون التعليم عمومياً فيشمل العامَّة كما يشمل الخاصَّة لان العامة رجال ونساء مثل الخاصة وقواهم وقابلياتهم غير محدودة والشعب يهلك لقلة المعرفة

وقد تشكى مرة من ان خدمة الدين يهاجمونهُ دائماً ويعقبون على كل كلمة يقولها ويتركون صديقهُ تندل يقول ما يشاء . لكن الامر لم يكن كذلك دائماً فقد مضيت مع تندل سنة ١٨٧٤ الى نابلي لنرى ثوران بركان يزوف وكان احد جوانبهِ كثير التحدُّر الى الهوة التي في قلبهِ فصعدتُ الى ذلك الجانب وخاطرتُ بنفسي حتى ارى الهوة ثم عدنا من هناك . وخطب تندل خطبتهُ المشهورة في مجمع ترقية العلوم البريطاني في بلفست فكان لها دويٌّ في كل المسكونة وقرأها كثيرون وانتقدها كثيرون . وذكرت احدى الجرائد تندل وهكسلي فمدحت هكسلي وذمَّت تندل وقالت في الختام "وافضل مثال لجهل الاستاذ تندل وتهوُّرهِ وحكمة الاستاذ هكسلي وتأنيهِ انهُ في الربيع الماضي بينما حمل الغرور والجهل تندل على اقتحام فوهة بركان يزوف كان هكسلي جالساً في مجلس ادارة المدارس بمدينة لندن"

ومما يحسن سوقهُ هنا ان تندل عاد من النزهة في نابلي بالصحة والنشاط . واما هكسلي فاعتلت صحتهُ من قيامهِ في مجلس المدارس

وقد استغرب الناس من هكسلي وهو في مجلس ادارة المدارس اقرارهُ على تدريس التوراة وقد اقرَّ على ذلك كل اعضاء المجلس ما عدا ستة ثلاثة منهم من الكاثوليك وهؤلاء لم يقترعوا مع الذين طلبوا تعليم التوراة ولا مع الذين رفضوهُ . لكن هكسلي كان يكرم التوراة ويقول انها الكتاب الوحيد الذي يرى فيهِ المرء نفع الصلاح وضرر الطلاح بامثلة كثيرة ترسخ في النفوس

وقد قال في هذا الصدد "اني لا أعرف غير التوراة مقياساً عملياً لحفظ الشعور الديني الذي هو الاساس الجوهري لسلوك الانسان في هذا العصر عصر الارتباك والاضطراب في الآراء والافكار فانك اذا حذفت منها ما لا نحب ان يطلع صغارنا عليهِ تبقى مفعمة بكل ما يهذب الاخلاق ويرقي الآداب . وزد على ذلك انها قد امتزجت في الثلاثة القرون الاخيرة باشرف ما في تاريخنا وافضلهِ . ولغتها ابلغ ما عندنا والمطَّلع عليها وان كان دارياً لم يغادر بيتهُ قط يعلم منها عن وجود بلدان اخرى واقوام آخرين وتاريخ قديم لنوع الانسان يمتدُّ الى اقدم ما يمتدُّ اليهِ تاريخ امم العالم . واي كتاب غير التوراة يرى قارئهُ ان كل امرئ ذُكر في ذلك التاريخ الواسع هو مثلهُ يملأُ حيزًا صغيراً جداً بين الازل والابد ويُذكر بالمدح او بالذم وينال الثواب او العقاب حسبما فعل خيراً كان او شرًّا"

(ستأتي البقية)

الحكومة والذباب

رأى احد مستخدمي الحكومة المصرية بالامس ان يبدل رقماً برقم آخر في دفتر بيده فرَّق الحساب بسببهِ نحو مئة غرش لم تخسرها الحكومة ولا كسبها هو ولا خسرها احد ولا كسبها احد لانهُ فعل ذلك بعد نقل الحساب الى الدفاتر التي يحاسب عليها فقامت عليهِ قيامة الحكومة من بوليسها ونيابتها وقضاتها وحكموا بادانتهِ ولا يبعد ان يحكموا عليهِ بالشنق او بما يقاربهُ . ونحن ورجال البوليس ورجال النيابة ورجال القضاء والمديرون والمفتشون والمستشارون والنظّار نرى القتلة كل يوم يقتلون غيرهم بعد ان يذيقوهم العذاب الواناً ولا مَن يعترض ولا مَن يطالب

وقد عنونا هذه المقالة عنواناً غريباً لا نظن ان احداً يفهم المراد منهُ غير الاطباء ولكن غموض معناهُ على رجال الحكومة كلهم لا يعفيهم من تبعة القتل التي نشير اليها وكيف يعفيهم وهم يهتمون بمن يحرّف حرفاً او يغير رقماً جهلاً منهُ او لغير قصد سيءٍ ويتركون زيداً ينصب شراك الردى لمئة نفس حتى يمرض كثيرون منهم ويموتوا بعد ان يتقلبوا على فراش الضنى اياماً واشهراً .

اما المعنى الذي نشير اليهِ فهو هذا : ثبت منذ مدة ان الحمى التيفويدية التي يموت بها الوف كل سنة من سكان هذا القطر وتدخل بيوت الامراء كما تدخل اكواخ الصعاليك حاصلة من جراثيم صغيرة تكون في براز المصابين بها فاذا أُلقي برازهم في الطرق والشوارع ووقع عليها الذباب كما يقع عليها عادة علقت هذه الجراثيم بارجلهِ ثم انهُ يقع على الطعام او يقع فيهِ فتصل الجراثيم الى الطعام ويتعرّض الذين يأكلونهُ لهذه الحمى الخبيثة ويصاب بعضهم بها حتماً فيمرضون ويموت بعضهم ان لم يموتوا كلهم

واي رجل من رجال البوليس او رجال الصحة او رجال النيابة او رجال القضاء اورجال الادارة يرى الناس يرمون المبرزات ويحسب ذلك ذنباً عليهم يحاكمون عليهِ واي رجل من رجال الادارة يعلم علم اليقين ان جارهُ نصب الحبائل لاغتيال ابنهِ او اخيهِ ولا يردعهُ عن ذلك ولا يقيم عليهِ النكير . ولكن كل مَن يلقي الاقذار في الشوارع وكل من يلقيها في اي مكان كان من غير ان يصبّ فوقها مادّة سامّة تميت ما فيها من الجراثيم هو بمثابة رجل ينصب الشباك ليصيد الناس ويميتهم بعد ان يعذبهم عذاباً اليماً ورجال الصحة والادارة ينظرون اليهِ ويغضّون الطرف

والخوف من الذباب قديم فقد جاء في الحديث " اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوهُ (اي فاغسلوهُ) فان في احد جناحيهِ داء". ولكن اثبات ذلك علمياً بالمشاهدة والامتحان حديث. وقد بحث الدكتور هورد الاميركي بحثاً مدققاً في هذا الموضوع وقال في مقالة نشرها في اول

هذا العام في مجلة العلم العام الاميركية انهُ لمَّا نشبت الحرب الاخيرة بين اسبانيا واميركا سنة ١٨٩٨ تفشَّت الحمَّى التيفوئدية بين الجنود الاميركية في اماكن كثيرة فقال كثيرون من اطباء الجيش ان سبب تفشيها الذباب لان المراحيض تكون قرب المطابخ والمطاعم في كثير من المعسكرات فتنقل الذبان جراثيم الحمى من المراحيض الى الطعام. وكتب حينئذٍ الدكتور ڤيدر مقالةً مسهبة في السجل الطبي موضوعها "الذباب لنشر الامراض بين الجنود" اقام فيها الادلة الكثيرة على ان الذباب ينقل جراثيم هذه الحمى وهو سبب انتشارها . وكان كثيرون من الاطباء قد ذهبوا الى مثل ذلك منذ سنة ١٨٨٨ ولكن لم يعمل بقولهم فمرض خمس الجنود الاميركية بالتيفويد ومات كثيرون منهم بها حتى قدَّروا ان اربعة اخماس الوفيات كلها كانت بهذه الحمى

والذباب انواع مختلفة كما لا يخفى ولكن الذباب الذي يرى في البيوت عادةً اكثرها انتشارًا ولا يخلو منهُ بيت ولاسيما المطابخ وبيوت الطعام واكثرهُ يتولَّد من زبل الخيل لا لانهُ ينشأُ منهُ كما قال الدميري وغيرهُ من علماء الحيوان بل لان الذبابة تبيض في الزبل ثم يتولد الذباب من بيضها . وقد جمع الدكتور هورد ٢٣٠٨٧ ذبابةً من البيوت والمطابخ واستقصى نوع كل ذبابة منها فوجد الذباب العادي منها ٢٢٨٠٨ اي نحو ٩٩ في المئة وهو يبيض ويتولَّد في زبل الخيل عادةً لكنهُ يبيض ويتولَّد ايضًا في مبرزات الناس كما ثبت لهُ بالامتحان والمشاهدة . ويحوم على المبرزات اذا كانت مطروحة قرب المنازل وفي الشوارع القذرة وقد يبيض ويتولَّد فيها ايضًا وهذا شأن نوع آخر من الذباب يسمى ذباب الفاكهة وهو كثير الوقوع على المبرزات ولكنهُ غير كثير كالذباب العادي

ثم ان جراثيم الحمى التيفويدية توجد في مبرزات من يصاب بها قبلما يثبت انهُ مصاب بها وتوجد في مبرزاتهِ بعد ما يشفى من الحمى بايام فتكون مقرًّا للعدوى قبل ظهور الحمى بايام ومدة ظهورها وبعد شفائها بايام حتى اذا طُرحت هذه المبرزات بقرب المنازل اجتمع الذباب عليها وحمل جراثيم العدوى منها على ارجلهِ واجنحتهِ ونقلها الى الطعام الذي يجتمع عليهِ او يقع فيهِ

وقد رأينا في الصيف الماضي ان الذبان قليلة جدًّا في مدينة باريس على ما كان فيها من الازدحام الفائق الحد وكثيرة جدًّا في جبال سويسرا على بعد المنازل وتفرُّق الناس فيها ولا يعلَّل ذلك الاَّ بأن الاشياء التي تتولد الذبان فيها لم تكن موجودة في باريس لشدَّة الاعتناء بالنظافة ولأن المراحيض كلها مقفلة لا سبيل للذبان اليها واما في جبال سويسرا فالمراحيض مكشوفة وكذلك مزارب الخيل والبقر والزبل اكوام فيها وامامها فيجد الذباب مكانًا صالحًا

لتولده وتكاثره فيتكاثر وينمو ولا سيما في ايام الحر . والظاهر ان حرارة الزبل تقيه برد الشتاء فيبقى من سنة الى أُخرى

ونحن في هذه العاصمة وفي كل مدن القطر المصري وقراه نشكو مرَّ الشكوى من كثرة الذباب صيفاً وشتاءً ولو اقتصر ضرره على ما نشعر بهِ من القلق والضجر من كثرة وقوعهِ على البدن والطعام وادوات القراءة والكتابة لهان امره ولقلنا انهُ من جملة المتاعب التي لا تخلو بلاد منها. ولكن ضرره لا يقف عند هذا الحد بل ان الجانب الاكبر من الرمد والعمى ناتج عنهُ والجانب الاكبر من الامراض المعدية تنتقل عدواهُ بهِ

وقد اتضح مما تقدم انهُ اذا لم يوجد في بلد زبل ومبرزات مكشوفة حيث يبيض الذباب ويولد استئصلت شأفتهُ من ذلك البلد ولو كان من اشد البلدان حرارة واكثرها ازدحاماً وان كان استئصالهُ ممكناً في مدينة كبيرة مثل باريس في اشد الشهور حرارة واكثر الاوقات ازدحاماً فعلى مَ لا يكون ممكناً في كل مدينة

ونعود الى رجال الحكومة الذين يحاسبون كل احد على كل هفوة وتراهم قائمين بالمرصاد لكل من يغير رقماً ويحرّف حرفاً ونقول لهم ان كانت القضايا المتقدمة حقائق راهنة ان كان الذباب ينشر عدوى الرمد والتيفويد والدفتيريا والكوليرا والسل واكثر الامراض المعدية وان كان يولد في زبل الخيل ومبرزات الناس وان كان تنظيف المدن من هذه الاقذار ممكناً وهو مما يستطاع حتى في اكبر المدن واكثرها ازدحاماً فعلى مَ لا تبذلون الهمة في تنظيف هذه العاصمة وغيرها من مدن القطر وعلى مَ لا تسنُّون قانوناً يعدُّ من يلقي الاقذار في الشوارع مجرماً يستحق المحاكمة كمن يتربص لقتل غيره . والى متى يحسب رجال الادارة انهم يستطيعون ان يديروا شؤُون العباد وهم لا يعلمون العلوم الطبيعية ولا يجرون على حسب ما تأمر بهِ

ثم ان مطالبة رجال الحكومة بتنظيف البلاد لا تعفي الرعية من معرفة هذه الحقائق والعمل بها . ولا ينتظر من رجال الحكومة ان يعملوا ما يطالَب بهِ كل انسان في بيتهِ ودارهِ ولا هم قادرون ان ينظفوا بلداً لا يساعدهم اهلهُ على تنظيفهِ فيجب ان ترسخ الحقائق المتقدمة في اذهان الرعية قبل رسوخها في اذهان رجال الحكومة . وسقياً لبلاد يعلم رعاتها ورعيتها كل المكتشفات العلمية وكل النتائج التي وصل اليها العلم الطبيعي ويعملون بها. "والامة التي تُعلم بنيها التعليم الاكثر تصير العظمى بين الامم ان لم يكن اليوم فغداً " كما قال الفيلسوف جول سيمون . ولا تفلح امة ما لم يكن وزراؤُها علماء كما قال الفيلسوف ارسطوطاليس

السير تحت الماء

جاءنا احد الادباء بالامس مرتابًا في صحة ما نشرناهُ في الجزء السادس من المجلد الماضي عن السفينة ارغونوت التي تغوص بركابها في البحر وتسير بهم فيهِ . وهو يحسب انهُ يستحيل ان تُفتح كوَّة في اسفل السفينة ولا يدخل الماء منها مع ان ما يظنهُ مستحيلاً هو من المبادىء الاولى في علم الطبيعيات لان جسمين لا يشغلان حيزًا واحدًا في وقت واحد وما دام الهواء في الغرفة التي في جوف السفينة وكوَّتها من الاسفل فالماء الخارجي يمنع الهواء من الخروج منها وهذا الهواء نفسهُ يمنع الماء من الدخول اليها

واتفق اننا ذاكرنا في هذا الموضوع ونحن نقرأُ المقالات الضافية عن اهتمام الاوربيين بهذه السفن وحسبانها ان الدولة التي لا تبني كثيرًا منها لوقاية بوارجها وسواحلها لا تستطيع ان تبقى دولة بحرية . ولم نرَ عملاً علَّق عليهِ الكتَّاب شأنًا اكبر مما علقوهُ على استنباط السفن التي تجري تحت الماء ولذلك رأينا ان نشبع الكلام عليها هنا معتمدين على ما كتبهُ الاستاذ برادلي الاميركي وغيرهُ من كبار الكتَّاب فنقول

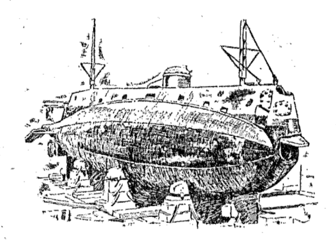
نقل الاستاذ برادلي عن الكومندور كبل الذي كان يدير سفن التربيد الاميركية في الحرب بين اسبانيا واميركا " انهُ ان كان لسفن التربيد التي تجري على سطح البحر شأن في الحروب البحرية وكان الغرض الاول منها ان تبيّت البوارج التي تقصد حصر المرافىء فلسفن التربيد التي تجري تحت الماء شأن اهم من هذا القبيل لانها هي وحدها تستطيع ان تهاجم بوارج العدو نهارًا . وهي وحدها تقدر ان تدنو من بوارج العدو في نور النهار غير راهبة مدافعها ومتلفات التربيد التي حولها فتضطرها ان تولي فارَّة او ترتضي الهلاك . ولا شيء يمنع انشاء هذه السفن وسيرها تحت الماء كما ثبت بالامتحان من السفينة التي نراها الآن في هذا المرفإ (السفينة المسماة هولند باسم صانعها كما سيجيء) لانهُ قد ثبت بالامتحان انهُ يسهل غوصها في الماء وسيرها فيهِ ويمكن ابقاؤُها على اي عمق أُريد تحت وجه الماء حتى على قدم واحدة واظهار القسم الاعلى منها بضع ثوانٍ فقط فوق الماء ثم الغوص والذهاب في الماء كلَّ مذهب "

وقال الاميرال جوَت في مجلس الشيوخ الاميركي " انهُ ان كان معي اسطول وكنت حاصرًا بهِ مرفأً من مرافىء العدو وعلمت ان عندهُ ستًّا من هذه السفن مثل الهولند اضطررت ان اترك حصر المرفإ واهرب باسطولي في عرض البحر مخافة ان يتلف كلهُ "

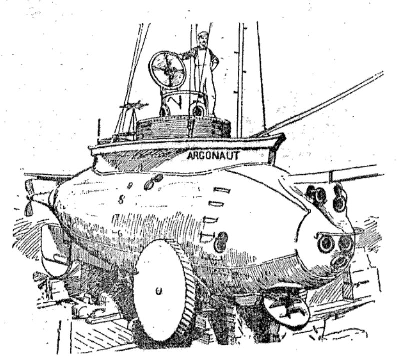
وكتب الضابط نبلاك الذي كان يدير احدى سفن التربيد في الحرب الاخيرة ان السفن

التي تسير تحت الماء جعلت حصر المرافئ ضربًا من المحال على المدى الذي تصل اليهِ تلك السفن

وقال الاميرال دوي في مجلس النواب الاميركي في ٢٣ ابريل الماضي " اني شهدت السفينة هولند بالامس وقلت حينئذٍ في نفسي ولا ازال اقول الآن انهُ لو كان عند الاسبانيين



ش ١ الهولند في البر

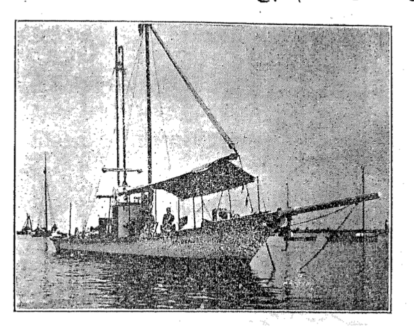


ش ٢ الارغونوت في البر

سفينتان مثلها في منلا لما استطعت ان استولي عليها بالاسطول الذي كان معي "

وكتب الاميرال هتشبرن في شهر يونيو الماضي " ان السفن التي تجري تحت الماء اوقى لشواطئ بلادنا من كل واسطة اخرى ممكنة "

والغوص تحت الماء قديم جدًّا وكان الغوَّاصون ينزلون الى قاع البحر في ناقوس الغواصين من ايام ارسطوطاليس ولكن الناقوس والتنين وكل آلات الغوص لا يقدر احد ان يقيم فيها اكثر من دقيقتين ما لم يُرسَل الهواء النقي اليهِ ويخرَج الهواء الفاسد وهي لا تصلح للسير تحت الماء من جهة الى أُخرى ولذلك حاول كثيرون منذ ثلاثمئة سنة الى الآن بناء سفن صغيرة يحفظون فيها الهواء ويسيرون بها تحت الماء وتبارى في هذا المضمار اناس من اهالي انكلترا وفرنسا وهولندا واسبانيا واسوج ونروج وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة . وكان الاهتمام الاكبر لفرنسا والاقل لانكلترا والنجاح لاميركا.



ش ٣ سفينة الارغونوت فوق الماء

ففي سنة ١٦٢٤ بنى رجل هولندي اسمهُ فان دربل قاربًا سار فيهِ قليلاً تحت الماء في نهر التمس بمدينة لندن لكنهُ عُدَّ ساحرًا مستخدمًا للشيطان فاجتنبهُ الناس ومات ولم يطلع احدًا على سرّهِ لانهُ كان يدَّعي انهُ اكتشف سائلاً يطهر الهواء الفاسد ويجعلهُ صالحًا للتنفس . فان كان صادقًا في دعواهُ فمن المحتمل انهُ اكتشف سائلاً يمتص الحامض الكربونيك من الهواء فيزيل منهُ ما يمنع تنفسهُ ولو استُنشِق مرارًا

وفي اواخر القرن الثامن عشر صنع مهندس اسمهُ داي قاربًا يسير تحت الماء وسار بهِ في مرفإ بليموث ببلاد الانكليز اول مرةٍ ثم غاص ثانية فقضي عليهِ . وصنع رجل اميركي قاربًا يسير تحت الماء في بداءة حرب الحرية وحاول الدنو بهِ من بارجة انكليزية فيها ٦٤ مدفعًا

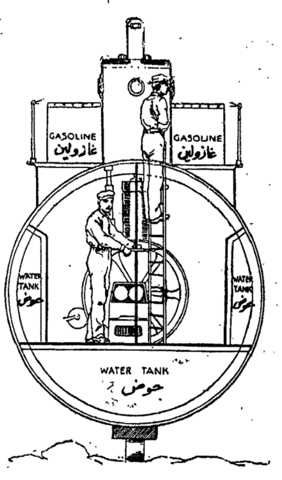
ليمكن بها تربيداً ثم يطلقهُ فلم يفلح مع انهُ جرَّب ذلك ثلاث مرات واخيراً اكتشفت البارجة قاربهُ واطلقت عليهِ مدفعاً فاغرقتهُ. وسنة ١٨٠٠ صنع فلتن ابو السفن البخارية قارباً يسير تحت الماء صنعهُ لنبوليون الاول ونسف بهِ سفينة قديمة في مرفإ برست لكن نبوليون لم يعتنِ بامرهِ فلم ينتج منهُ شيء

ولما نشبت الحرب الاهلية الاميركية سنة ١٨٩٤ صنع اهالي الولايات الجنوبية قارباً صغيراً يسير تحت الماء نسفوا بهِ بارجة اهالي الولايات الشمالية المسماة هوزاتونيك ومحمولها ١٢٦٤ طنًّا فاغرقوها . قال احد ضباطها انهُ شاهد شيئًا صغيراً يتحرك على وجه الماء فاخبر رفاقهُ بذلك وكانوا عالمين ان اهالي الجنوب صنعوا قوارب تسير تحت الماء لنسف سفنهم فاوجسوا خيفة وقطعوا مرساة البارجة وحاولوا الهرب بها في عرض البحر ولكن القارب وصل اليها حالاً ووضع تربيداً تحتها واطلقهُ فزلزلت الارض زلزالها وارتفعت البارجة في الجو ثم غاصت في قلب البحر وكان البحارة قد صعدوا كلهم على ظهرها وتعلقوا بحبالها فلم يغرقوا فيها وكان على مقربة منها بارجة أُخرى فبعثت بالقوارب اليهم وانقذتهم . اما القارب الذي اغرق البارجة فوُجد داخلاً في ثغرة كبيرة في جنبها وهي الثغرة التي احدثها فيها التربيد كانَّ ماء البحر ادخلهُ معهُ في الثغرة لما هجم ليملأَ الفراغ وكان فيهِ تسعة من البحارة فهلكوا كلهم . وقد جُرّب هذا القارب قبلاً فغرق ومات كل بحارتهِ الاَّ رئيسهم ثم نشل من العمق وعاد الرئيس اليهِ مع بحّارة آخرين فقلب بهم ثانية ولم ينجُ منهم الاَّ اربعة . فقام واحد منهم واتى ببحارة آخرين فغرق بهم ثالثة ولم ينجُ منهم احد . ثم نشل من الماء وركبهُ الذين اغرقوا بهِ البارجة وهم عالمون انهم ساعون الى حتفهم بظلفهم ولكن اقتحام الخاطر في سبيل الغرض السياسي سجية عند الاوربيين والاميركيين تباع بها النفوس بيع السماح

وتوالت المخترعات والمكتشفات وصُنعت قوارب كثيرة تسير تحت الماء الى ان استتبَّ النجاح اخيراً للمستر هولند الذي صنع السفينة المسماة باسمهِ وقد اشترتها منهُ الحكومة الاميركية واوصت على ست سفن اخرى من نوعها . وصنع المستر لاك السفينة المسماة بالارغونوت التي وصفناها في الجزء السادس الماضي وقد رسمنا في صفحة سابقة صورة الهولند كما هي قبل انزالها في الماء . وهي تغوص في الماء حتى لا يبقى ظاهراً منها الاَّ انبوب صغير وفيها آلة بخارية يحرق بها الغازولين فتدفعها الى حيث يشاء الذين فيها وسيتضح ذلك من وصف الارغونوت

وسفينة الارغونوت شكلها مثل شكل الهولند تقريباً كما ترى في الشكل الثاني لكن جسمها الاسفل مخروطي الشكل كمخروطين متصلين من قاعدتيهما واما الهولند فشكلها هرمي. وللارغونوت

ثلاث عجلات تسير عليها وهي في قاع البحر واما الهولند فلا عجل لها . واذا وُضعت الارغونوت في الماء بانت كسفينة عادية كما ترى في الشكل الثالث ثم اذا اريد ان تغوص في الماء صُبَّ الماء في حياض حول جوفها كما في الشكل الرابع وهو مقطوع الارغونوت العرضي اي لو قطعت سفينة الارغونوت من اعلاها الى اسفلها قطعاً عرضيًّا لظهر في اعلاها الانبوب الذي ينزل منهُ الناس الى جوفها وترى فيهِ رجلاً نازلاً على سلم وحول اعلاهُ الحوض الذي يوضع فيهِ

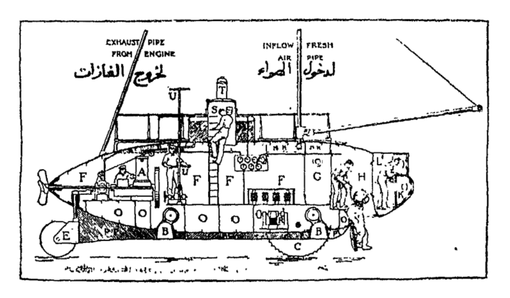


ش ٤ مقطوع الارغونوت العرضي

الغازولين للايقاد في آلتها البخارية وحول جوفها الحياض التي يصب فيها الماء بمضخة فتثقل السفينة وتغوص في الماء بمن فيها او ينزع منها الماء بالمضخة فتخف وترتفع من الماء . وبزيادة الماء وقلتهِ في هذه الحياض تهبط السفينة وتعلو الى الحد المطلوب

وترى في الشكل الخامس مقطوع الارغونوت الطولي اي اذا قطعت قطعاً طوليًّا من مقدَّمها الى موْخرها فترى فيها انبوباً لدخول الهواء وانبوباً آخر لخروج الغازات وتحتهُ عند الحرف A الآلة البخارية التي تدور فتسير بها السفينة وترى عند الحرف H الغرفة التي فتح بابها الاسفل

ونزل منها الغوّاص في البحر وعند الحرف L غرفة اخرى فيها رجل ينظر الى البحر من كوّة زجاجية . وقد كبرت صور الرجال لكي يظهروا ظهورًا واضحًا وهم اصغر بالنسبة الى السفينة مما رسموا هنا . وجوف الهولند مثل جوف الارغونوت تقريبًا اي انهُ مشمول بحياض الماء ولكنَّ ركابهُ لا ينزلون منهُ الى البحر ولهُ دفة يديرها رجل خبير فيتحكم بوضع السفينة تحت وجه الماء. وطول الهولند ٥٤ قدمًا وقوة آلتها البخارية ٤٥ حصانًا وتستطيع ان تسير بها مئة ميل على سطح البحر بما فيها من الغازولين وفيها آلات تذخر فيها القوة الكهربائية فتسير بها ثلاثين ميلاً تحت وجه الماء . وفيها ثلاث تربيدات وانبوب لقذف المواد الجهنمية فاذا اريد ان تهاجم بارجة من بوارج العدو وُجهت نحوها وغاصت في الماء وكلما سارت ميلاً رفع اعلى برجها الى



ش ٥ مقطوع الارغونوت الطولي

وجه الماء لتحكيمها في جهة البارجة لئلاَّ تكون قد حادت عنها لان الذين في الماء لا يرون شيئًا بعيدًا عنهم ثم تغوّص في الماء وتسير حتى اذا صارت على مقربة من البارجة نهضت من الماء واطلقت عليها تربيدًا من تربيداتها ثم غاصت في الماء وعادت من حيث اتت . وحينما يظهر رأس برجها فوق الماء لا يكون ظهورهُ الاَّ لحظة فلا يتهيأ للبارجة ان تحكّم عليها مدافعها لو رأتها . ومهما كان درع البارجة ثخينًا لا يقيها تربيد الهولند . واذا عمّت دولة من الدول البحرية ان عند خصيمتها قوارب مثل الهولند تغتال بوارجها على غرّة حتى ان البارجة التي تبلغ نفقات بنائها وتجهيزها مليونًا من الجنيهات وفيها نحو الف من البحارة والجنود يطلق عليها تربيد واحد فيغرقها بمن فيها في لحظة من الزمان والقارب الواحد يستطيع ان يغرق ثلاث بوارج كبيرة في اقل من ساعة — اذا عمّت تلك الدولة ذلك استحال ان تخاطر ببوارجها وتهاجم الدولة

التي عندها قوارب تسير تحت الماء وان خاطرت يبقى الخوف مستولياً على بحا تها فلا يستطيعون ان يعملوا عملاً بحريًا

التربية والحجاب

من كتاب «المرأة الجديدة» لقاسم بك امين القاضي بمحكمة الاستئناف المصرية

لو لم يكن في الحجاب عيب الا انهُ منافٍ للحرية الانسانية وانهُ صار بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فجعلها في حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجينة مع ان القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبرهُ للرجل — لو لم يكن في الحجاب الا هذا العيب لكفى وحدهُ في مقتهِ وفي ان ينفر منهُ كل طبع غُرز فيهِ الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انهُ يحول بين المرأة واستكمال تربيتها

اذا تقرَّر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن أن يستغنى عنها فما هي التربية التي تناسبها ؟ هل يناسبها تربية كتربية الرجل او تخص بتربية اخرى ؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب او لا بدَّ فيها من ابطالهِ ؟ وهل يعمل فيها على قواعد تؤْخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجَع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة ؟

هذه المسائل تدخل في باب التربية والحجاب وقد دار البحث والجدال فيها في العام الماضي بين كثير من الكتاب والآن نريد ان نبدي رأْينا فيها على غاية من الوضوح

ففي المسأَلة الاولى — لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلأَن المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب ان تتعود على الرياضة كما تفعل النساء الغربيات اللواتي يشاركنَ اقاربهنَّ الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتاد ذلك من اول نشأَتها وتستمرّ عليهِ من غير انقطاع والاَّ ضعفت صحتها وصارت عرضة للامراض . ذلك لان النواميس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبهُ الجسم وما يفقدهُ بحيث لو اختلَّ هذا التوازن فسدت الصحة واختلَّ نظامها . والامراض التي تصيب الانسان بسبب اهمالهِ استعمال قواهُ الجسمية ليست باقل عدداً ولا باخف ضرراً من الامراض التي تصيب من ينفق قوتهُ ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها . ثم ان ما تقاسيهِ المرأة من الآلام

والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء الاَّ قويات المزاج صحيحات الاجسام كنساء القرى المتعودات على العمل البدني المتمتعات بالهواء النقي. أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لهنَّ على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهنَّ يعشنَ عليلات بعد الولادة الاولى وكثيرًا ما يهلكنَ فيها فقد بلغ عدد من يموت منهنَّ في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

وكما تلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصًا على صحة اولادها ووقايتهم من العلل. لان ما يعرض على مزاج الام وما يكون فيهِ من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادبية فلأَن الطبيعة قد اختارت المرأَة وندبتها الى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الاخلاق وائتمنتها عليها. فهي التي تضع النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال الاخلاق وتنشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقًا للامة بعد ان كانت اخلاقًا للعائلة كما كانت اخلاقًا للعائلة بعد ان كانت اخلاقًا للأُم. هذا يدلنا على ان المرأَة الصالحة هي انفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأَة الفاسدة هي اضرّ عليهِ من الرجل الفاسد. ولعل هذا هو السبب في ما وقر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنست بها المرأَة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلي من شأن المرأة ما لا تعليهِ من شأن الرجل

بقي علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية. هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والغاية التي ترمي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقتهِ امكنهُ ان يوجه اعمالهُ الى ما يعود عليهِ بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيدًا

ولا تحصل المرأَة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضًا لتعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكائنات واحوال الانسان كما انها تحتاج لتعلم مبادىء قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأَة الى البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد. حتى اذا انتهت مدة تعليمها في المدارس استمرَّ شوقها الى الحق فتتحرك دائمًا اليهِ وتعتبر بهِ وأضف على ذلك انهُ ينبغي على البنت ان تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت

ولا بدَّ هنا من استلفات النظر الى وجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها الى الفنون الجميلة . واني على يقين من ان اغلب القراء لا يستحسنون ان تتعلم البنات الموسيقى والرسم لان منهم من يرى ان لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ومنهم من يعدها من الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار . وقد ترتب على هذا الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا الى حدٍ يأسف عليهِ كل من عرف ما لها من الفائدة في ترقية احوال الامم

هذه هي التربية التي نود ان تكون للبنات وقد بينَّاها اجمالاً لان المقام لا يسمح ببيانها تفصيلاً . هذه هي التربية الكاملة التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة فتعدها لأن تكون انساناً يكسب عيشهُ بنفسهِ وزوجة قادرة على ان تحصل لعائلتها اسباب الراحة والهناء وامًّا صالحة لتربية اولادها

متى انتهت تربية البنت باتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكاتها العقلية تكون قد بلغت الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها فما الذي ينبغي ان تكون عليهِ بعد ذلك ؟ وكيف تعيش ؟ أتحجَّب في بيتها وتُمنع عن مخالطة الرجال أم تطلق لها الحرية في ذلك ؟ هذا هو موضوع البحث في المسألة الثانية والثالثة وسنتكلم عليهما معاً لما بينهما من الارتباط

رأى المنتقدون على تحرير المرأة اننا تطرفنا في مسألة الحجاب واننا اشرنا برفعهِ تقليداً للعادات الغربية وزعموا ان الحجاب لا يوجب انحطاط المرأة ولا يترتب عليهِ ضرر لها ولذلك ذهبوا الى وجوب استبقائهِ والمحافظة عليهِ وقالوا ان الذي حطَّ بالمرأة عن منزلتها انما هو عدم التربية فلو تربَّت تربية حسنة لامكنها وهي في الحجاب ان تقوم بواجباتها احسن قيام

على اننا بعد ان دققنا النظر في جميع ما قيل او كُتب في هذا الشأن لا نزال على رأينا ولم يزدنا تكرار البحث فيهِ الاَّ وثوقاً بصحة ما ذهبنا اليهِ

ولا نرى سبباً للخلاف بيننا وبين مناظرينا الاَّ الاختلاف في فهم معنى التربية فهم يرون ان التربية هي التعلُّم وذلك يتم على رأيهم بمكث الصغير في المدرسة سنين محدودة تكون نهاية عملهِ فيها الحصول على الشهادة الدراسية وانهُ متى نال هذه الورقة السميكة التي سماها بعض ظرفاء الفرنساويين (جلد حمار) عُدَّ بالغاً في العلم والادب حد النهاية . ونحن على خلاف ما رأوا نعتقد ان التربية لا تقوم بالمكث في المدرسة والحصول على الشهادة وانما كل ما يستفيدهُ الصبي من ذلك في ايام التحصيل الأُولى هو الاستعداد لتكميل عقلهِ وخلقهِ

ذلك لان الصبي في السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرهِ لا يعرف من العلم الاَّ نظريات عامة ومسائل كلية يحفظها في جمل مختصرة . ومهما كانت هذه القضايا علمية او

ادبية فلا قيمة لها الاَّ بظهورها في العمل وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التي تحدد دائرة تطبيقها والحد الذي يفصلها عن غيرها وتبين الاحوال التي تدخل فيها او تخرج عنها وجهات نفعها وضرها . وهذه التطبيقات هي الواسطة الوحيدة في فهم القواعد على حقيقتها فاذا انعدمت لا تكون هذه القواعد الاَّ الفاظاً وخيالات

وكذلك الحال في الآداب والاخلاق . اذ لا شيء على الانسان اسهل من ان يعلم مقدار الفائدة في ضبط شهواتهِ وقهرهِ نفسهُ ولكن لا شيء اصعب في العمل من ان يأتي ذلك بالفعل . لان قهر الانسان لهواه وجعلهُ تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة . ولا توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينهُ وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنهِ بالقواعد الادبية وانما تتولد بالتعرض لملاقاة الحوادث والتعوُّد على مغالبتها والتغلب عليها

فمزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هي منابع للعلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ اعلى الدرجات وامامها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط الى اسفل الدركات

والحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس لأن المرأة التي تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم الاَّ من نوافذ الجدران او من بين استار العربة ولا تمشي الاَّ وهي كما قال الامير علي القاضي "ملتفة بكفن" لا يمكن ان تكون انساناً حياً شاعراً خبيراً باحوال الناس قادراً على ان يعيش بينهم

ولا يكفي لاخراج المرأة المصرية من هذه الحياة الصناعية التي يشكو الكل منها ان تمكث بضع سنين في المدرسة ثم تنتقل منها الى بيت تحتجب فيهِ بقية عمرها بل يلزم ان تستمر في الاعتناء بجسمها وعقلها بعد المدرسة . يلزم ان نضع يدنا في يدها ونسير معها في الارض ونريها عجائب الكون ولطائف الصناعة ودقائق الفنون وآثار الزمن الغابر واختراعات الزمن الحاضر . يلزم ان تقاسمنا افكارنا وآمالنا وافراحنا وآلامنا وتحضر مجالسنا فتستفيد مما يعرض فيها من الاخلاق والافكار والمباحث وتفيدنا بحملنا على رعاية الحشمة والتأدب في القول

يقول معترض : "انا نراك تريد ان تحسن حال المرأة المصرية بحملها على تقليد المرأة الغربية فهلاَّ أعرت تمدننا القديم الذي كان من اصولهِ احتجاب النساء نظرةً وهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى اصولهِ لفتة علمية ترى انهُ هو المجد الصحيح الذي يجب ان نشد لهُ رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يوماً ما انهُ هو نفس الكمال الذي ينشدهُ الانسان ويلتمسهُ الوجدان"

هذا الاعتراض ربما يلذ للقارىء سماعهُ لطلاوة لفظهِ وربما ينجذب اليهِ لانهُ يحرك الميل الغريزي الموجود في كل انسان الى التعلق بآثار الآباء والاجداد . ولكن الاجدر بنا ان لا نجعل للفظ تأثيرًا فينا الى حد يذهلنا عن الحق. وعلينا ان نأخذ اهبتنا لمقاومة سلطة العادات الموروثة إذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا . والتعلق بالتقاليد الراسخة لا يحتاج الى التحريض والترغيب لانهُ حالة لازمة للنفس آخذة بزمامها فهي مستغرقة فيها من ذاتها وانما الذي يحتاج للتشويق والتشجيع هو التخلص من ماضٍ ضارّ واعتناق مستقبل نافع

اذا امكننا ان نأخذ تلك الاهبة كان من اهمّ ما يجب علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليهِ ولكن لا لننسج منهُ صورة ونحتذي مثال ما كان فيهِ سواء بسواء بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناء ننتفع بهِ اليوم وفي ما يستقبل من الزمان

ظهر الدين الاسلامي في جزيرة العرب بين قومٍ كانوا يعيشون في حال البداوة اي في ادنى الحالات الاجتماعية فاوجد بينهم رابطة ملية واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعًا نسخ ما كان عندهم من العادات المتبعة في معاملاتهم من قديم الزمان . ولما امرهم بالجهاد اخذوا يحاربون الامم الاخرى واستولوا عليها ولم يكن ذلك بامتيازهم على من جاورهم من الامم في العلوم والصنائع ولكن كان بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطري للقتال فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عند هؤلاء الامم كثيرًا من العلوم والصنائع والفنون فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى لسانهم وسمحوا لاولئك المغلوبين ان يأتوا في ترقيتها بما شاؤُا . وظهرت عند ذلك نهضة علمية كما هو الشان في الامم عقب كل انقلاب يجري لغاية صالحة استمرّت مدة اربعة قرون تقريبًا

على هذين الاساسين شيدت المدنية الاسلامية . الاساس الديني الذي كوّن من القبائل العربية امة واحدة خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد . والاساس العلمي الذي ارتقت بهِ عقول الامة الاسلامية وآدابها الى الحد الذي كان في استطاعتها ان تصل اليهِ في ذلك العهد

ولكن لما كان العلم في تلك الاوقات في اول نشأتهِ وكانت اصولهُ ضروبًا من الظنون لا يؤيد اكثرها بشيء من التجارب كانت قوة العلم ضعيفة بجانب قوة الدين فتغلب الفقهاء على رجال العلم ووضعوهم تحت مراقبتهم وزجُّوا بانفسهم في المسائل العلمية وانتقدوها . وحيث انهم لم يأتوا اليها من بابها ولم يجهدوا انفسهم في فهمها اخذوا يؤَولون الكتاب والاحاديث بتأويلات استنبطوا منها ادلة على فساد المذاهب العلمية وحملوا الناس على ان يسيئوا الظن بها وما زالوا

يطعنون على رجال العلم ويرمونهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروه وانتهى بهم الحال الى الاعتقاد بان العلوم جميعها باطلة الاّ العلوم الدينية . بل غالوا في دينهم وشطوا في رأيهم حتى قالوا في العلوم الدينية نفسها انها لا بد ان تقف عند حد لا يجوز لاحد ان يتجاوزهُ . فقرروا ان ما وضعهُ بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفهُ وكأنهم رأوا من قواعد الدين ان تُسدَّ ابواب فضل الله على اهلهِ اجمعين

هذا النزاع الذي قام بين اهل الدين واهل العلم ولا اقول بين الدين والعلم لم يكن خاصاً بالامم الاسلامية بل وقع كذلك عند الامم الاوربية . ولكن لما كانت هذه الامم قد ورثت علوم اليونان والرومان والعرب وكان وصول تلك العلوم اليها قرب تمام تكوينها لم تحتج اوربا الى زمن طويل في اكتشاف الاصول الحقيقية لتلك العلوم . وقد نالت منها في مائتي سنة ما لم ينلهُ غيرها في آلاف من السنين . وتوالت الاكتشافات العلمية يجر بعضها بعضاً ويرشد بعضها الى بعض . فمنها اكتشاف قوانين سير الكون وتحليل الضوء وسرعة سيرهِ وكيفية تكوُّن الاصوات وسرعتها وشكل اهتزازاتها . وعلمت ماهية الحرارة وكيفية تكوُّن الكرة الارضية وحقيقة شكلها وتكون طبقات الارض وتقادم الاعصار عليها وعلى سكانها وضروب التغييرات التي طرأت عليها والادوار التي تقلبت فيها من وقت ان كانت كتلة نارية الى ان ظهر فيها النوع الانساني بعد جميع الانواع الاخرى . ثم عرفت قوانين الحياة ووظائف الدورة الدموية والتنفس والهضم وخصائص قوى الادراك وكيف تتكوّن خلايا الجسم وكيف تعيش وكيف تفنى . وصحت وكملت اصول الكيمياء والطبيعة

بكشف هذه الحقائق شيد العلم بناءً متيناً لا يمكن لعاقل ان يفكر في ان يهدمهُ . ولهذا تغلب رجال العلم على رجال الدين في اوربا بعد النزاع والجهاد وانتهى الحال بان صار للعلم سلطة يعترف لهُ بها الناس كافة

فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيناهُ فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان "نموذج الكمال البشري" يهمنا ان لا نبخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شأنهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيّل انهم وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية

نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تألم القراء من سماعها . لذلك نرى من الواجب علينا ان نقول انهُ يجب على كل مسلم ان يدرس التمدن الاسلامي ويقف على ظواهرهِ وخفاياهُ لانهُ يحتوي على كثير من اصول حالتنا الحاضرة ويجب عليهِ ان يعجب بهِ لانهُ عمل

انتفعت بهِ الانسانية وكملت بهِ ما كان ناقصاً منها في بعض ادوارها ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لا يمكن ان يدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية. اما من جهة العلوم فالامر ظاهر لما سبق بيانهُ . واما من جهة النظامات السياسية فلأننا مهما دققنا البحث في التاريخ لا نجد عند اهل تلك العصور ما يستحق ان يسمى نظاماً فان شكل حكومتهم كان عبارة عن خليفة او سلطان غير مقيد يحكم بواسطة موظفين غير مقيدين فكان الحاكم وعمالهُ يجرون في ادارتهم على حسب ارادتهم فان كانوا صالحين رجعوا الى اصول العدالة بقدر الامكان وان كانوا غير ذلك خرجوا عن حدود العدالة وعاملوا الناس بالعسف ولم يكن في النظام ما يردهم الى اصول الشريعة

ربما يقال ان هذا الخليفة كان يولَّى بعد ان يبايعهُ افراد الامة وان هذا يدل على ان سلطة الخليفة مستمدة من الشعب الذي هو صاحب الامر . ونحن لا ننكر هذا ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الأَ بعض دقائق هي سلطة لفظية . اما في الحقيقة فالخليفة هو وحدهُ صاحب الامر فهو الذي يعلن الحرب و يعقد الصلح ويقرّر الضرائب و يضع الاحكام ويدير مصالح الامة مستبدًّا برأيهِ ولا يرى من الواجب عليهِ ان يشرك احداً في امرهِ

ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ الامة اليونانية ولم يتوصلوا الى ما وصلت اليهِ الامة الرومانية من جهة وضع النظامات اللازمة لحفظ مصالح الامة وحريتها فقد كان لتلك الامم جمعيات نيابية ومجالس سياسية تشترك بها مع الحاكم في ادارة شؤُونها

واغرب من هذا ان امراءَ المسلمين وفقهاءَهم لم يفكروا في وضع قانون يبين الاعمال التي وجدوا انها تستحق العقاب و يحدد العقوبات عليها بل تركوا حق التعذير الى الحاكم يتصرَّف فيهِ كيف يشاءُ . مع ان بيان الجرائم وعقابها هو من اوليات اصول العدالة

ولست محتاجاً ان اقول انهم ما كانوا يعرفون شيئاً من العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان هذه العلوم حديثة العهد . واذا اراد مكابر ان يتحقق من ذلك فما عليهِ الأَ ان يتصفح مقدمة ابن خلدون وهو الكتاب الفرد الذي وُضع في الاصول الاجتماعية عند المسلمين يرى ان الاصول التي اعتمد عليها لا يخلو معظمها من الخطإِ ويندهش على الخصوص عند ما يرى ان هذا الكتاب الذي وُضع للبحث في المسائل الاجتماعية لم تذكر فيهِ كلمة واحدة في العائلة التي هي اساس كل هيئة اجتماعية

فاذا كانت حالتهم السياسية كما ترى فما الذي يطلب منا ان نستعيرهُ منها ؟

كذلك اذا نظرنا الى حالتهم العائلية نجد انها مجردة عن كل نظام حيث كان الرجل

يكتفي في عقد زواجه بان يكون امام شاهدين و يطلق زوجتهُ بلا سبب او باوهى الاسباب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود الكتاب . كل ذلك كان واستمرّ الى الآن على ما هو مشهور ولم يفكر احد من الحكام او الفقهاء في وضع نظام يمنع ضرر انحلال روابط العائلة . واقلّ ما كان يلزمهم لرفع ذلك الخلل ان يقرّروا مثلاً ان ايقاع الطلاق وعقود الزواج والرجعة لا بد ان تكون امام مامور شرعي حتى لا تبقى هذه الشؤون موضعاً للريب ومحلاً للشبهة ومثاراً للنزاع والشقاق

اين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الاوربيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الاهلية . بل اين هي من القوانين اليونانية والرومانية التي لم تغفل في جميع ادوارها عن اهمية العائلة وشأنها في الهيئة الاجتماعية ؟ فاي شيء من هذا يمكن ان يكون صالحاً لتحسين حالنا اليوم ؟

بقي علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي من جهة الآداب . يعتقد اهل عصرنا ان المسلمين السابقين كانوا حائزين لجميع انواع " الكمالات الاخلاقية الصحيحة " وهو اعتقاد غير صحيح او على الاقل مبالغ فيهِ . اما من جهة اصول الأدب فالمعلوم ان المسلمين لم يأتوا العالم باصول جديدة . فقد سبق المسلمين امم كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوي . واما من جهة عمل المسلمين على مقتضى تلك الاصول الادبية فالتاريخ يشهد ان كل عصر لا يخلو من الطيب والرديء والحسن والقبيح وقد وصلت الينا اخبار العرب مدونة في الكتب التاريخية والادبية فكشفت لنا الغطاء عن اخلاقهم ومعاملاتهم واطلعنا على شعرهم وامثالهم واغانيهم فما وجدنا زمناً من الازمان خالياً من الآداب الفاسدة والاخلاق الرذيلة والطبائع الدنيئة . رأينا الدولة العربية من بعد وفاة النبي صلى الله عليهِ وسلم الى آخر ايامها ممزقة بالمنازعات الداخلية الناشئة عن التباغض والحقد وحب الذات حتى في الاوقات التي كانت فيها الدولة مشتغلة باهم الحروب مع الامم الاخرى . رأينا احد اولاد علي رضي الله عنهُ تزوج باكثر من مائة امرأة حتى التجأ والدهُ ان ينصح الناس بان لا يزوجوهُ بناتهم . رأينا من الرجال من كان يعترض النساء في الطريق ويختلس النظر اليهنّ من خروق الحائط . رأينا من امرائهم واعاظمهم من كان يشرب الخمر حتى لا يعي ما يقول في مجالس تحضرها الجواري وتطرب الحاضرين بنغمات الموسيقى. رأينا من شعرائهم من يستجدي العطايا و يمد يدهُ ملتمساً رزقهُ من فضلات الامراء والاغنياء ومنهم من يمدح نفسهُ و يثني عليها ويذهب في ذلك الى حدٍ ليس

بعده الاَّ الجنون او يتغزل في ولد او يهجو خصمهُ بعبارات الفحش والفاظ الوقاحة التي يستحى من تصورها فضلاً عن التفوه بها . رأينا من مؤرخيهم من يزوّر في التاريخ ومن فقهائهم من يخترع الاحاديث و يضعها لغايته الذاتية

فاي زمن من الازمان السابقة كان منزهاً عن العيوب حتى يصح ان يقال انهُ "نموذج الكمال البشري" الكمال البشري يجب ان لا نبحث عنهُ في الماضي بل ان اراد الله ان يمن بهِ على عبادهِ فلا يكون الاَّ في مستقبل بعيد جداً

متى تقرَّر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتَّاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المرأة من اصولها او لم يكن . وسواءٌ صح ان النساء في ازمان خلافة بغداد او الاندلس كنَّ يحضرنَ مجالس الرجال او لم يصح فقد صح ان الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا

ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأَت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطإِها في كثير من الامور الاخرى

وغني عن البيان اننا عند كلامنا على المدنية الاسلامية لم نقصد الحكم عليها من جهة الدين بل من جهة العلوم والفنون والصنائع والآداب والعادات التي يكوّن مجموعها الحالة الاجتماعية التي اختصت بها. ذلك لان عامل الدين لم يكن وحدهُ المؤثر في وجود تلك الحالة الاجتماعية فهو على ما بهِ من قوة السلطان على الاخلاق لم ينتج الاَّ اثرًا مناسبًا لدرجة عقول وآداب الامم التي سبقت

والذي اراهُ ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعاً لمحاربتها لانهُ ميل يجرنا الى التدني والتقهقر . ولا يوجد سبب في بقاء هذا الميل في نفوسنا الاَّ شعورنا باننا ضعاف عاجزين عن انشاء حال خاصة بنا تليق بزماننا و يمكن ان تستقيم بها مصالحنا . فهو صورة من صور الاتكال على الغير كأن كلاً منا يناجي نفسهُ قائلاً لها : اتركي الفكر والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تأتي بابدع مما كان

هذا هو الداءُ الذي يلزم ان نبادر الى علاجهِ . وليس لهُ من دواء الاَّ اننا نربي اولادنا على ان يتعرفوا شؤُون المدنية الغربية ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها واذا اتى هذا الحين ونرجو ان لا يكون بعيدًا انجلت الحقيقة امام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا انهُ من المستحيل ان يتم اصلاح ما في احوالنا اذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة وان احوال الانسان مهما اختلفت وسواءٌ كانت مادية او ادبية خاضعة لسلطة العلم . انتهى

شهادة من الهند

كان لما نشرناهُ من اقوال علماء الهند وقع عظيم عند قرَّاء المقتطف ولاسيما مقالة امير علي القاضي. ولا يزال الكتَّاب والخطباء يستشهدون بها لما حوت من الحقائق التي تجب اذاعتها في القطرين الشامي والمصري لشدَّة الحاجة اليها.

وقد اطلعنا الآن على مقالة كتبها امير مستقلٌّ من امراء الهند نُشرت في مجلة القرن التاسع عشر وفيها من الحقائق ما لا بدَّ من اذاعتهِ في كل الاقطار الشرقية لكي يرى ملوكنا وامراؤنا وعلماؤنا وادباؤنا ما يرتئيهِ ويقولهُ الملوك الذين انار العلم بصائرهم وعرفوا كيف تساس الرعية سياسة توردها موارد السعادة.

والكاتب هو المهرجا غايكوار امير بارودا احدى امارات الهند المستقلَّة وقد كتب بالانكليزية لانهُ عالم بها متقن لها. وسنقتطف من مقالتهِ ما تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ ويضطرنا الاختصار ان نتكلم عنهُ بضمير الغائب الاَّ حيث نترجم كلامهُ حرفيًّا

قال ان انحراف صحتهِ اضطرهُ ان يكثر السفر فقد رحل الى اوربا خمس مرات حتى الآن اقام فيها ثلاث سنوات ولكن اكثر اقامتهِ في قصرهِ الجديد في بارودا وقد انفق عليهِ مئتي الف جنيه . واقليم بارودا حارٌّ جدًّا لا يحتملهُ الذين يشتغلون اشغالاً عقلية شاقة فيضطر ان يخرج منها كل سنة ولو بضعة اشهر الى مكان معتدل الهواء . والناس في بلاد الهند يقصدون الاماكن الجبلية في فصل الصيف ولم يكونوا يفعلون ذلك قبل خمس عشرة سنة اما الآن فاكثروا من الاصطياف حتى يتعذَّر وجود البيوت الكافية للمصطافين . وليس في مملكة بارودا جبال فيضطر ان يمضي الى جبال حملايا او نلجرس مسافة ستة ايام

وهو يستيقظ الساعة السابعة صباحًا ويقوم بفروضهِ الدينية عن يد البراهمة ويأكل قليلاً من الخبز واللبن ويخرج للنزهة راكبًا على جواد او في مركبتهِ ويعود . فيطالع بعض كتب الفلسفة والتاريخ ولاسيما تاريخ اليونان والرومان ويفضل المؤَرخ جبون على غيرهِ ومن الكتب التي يحب المطالعة فيها كتب تكفيل ومل وفوست وسبنسر ولهُ غرام بشكسبير وبنثام في القوانين وماين في الشرائع القديمة . ويُستدل من هذه الكتب وهؤُلاء المؤَلفين على انهُ مغرم بمطالعة اشهر الكتب الانكليزية في الفلسفة والسياسة والتاريخ. ويتغدَّى الساعة الحادية عشرة مع اولادهِ ومن يكون عندهُ من بطانتهِ وبعض الالوان اوربي وبعضها هندي ولا تقدَّم الخمر على مائدتهِ ولا شراب آخر مسكر ولا شيءٌ مما طبخ بلحم البقر لأن شريعة البراهمة تحرّم ذلك .

ثم ينظر في اشغال مملكتهِ . وتقدَّم الاوراق اليهِ قبل النظر فيها بيومين او ثلاثة فيطلّع عليها ويأمر بما يشاء كتابةً ويمضي اسمهُ بيدهِ غير معتمد على الخاتم . وذكر مثالاً لذلك قال : " ان الاحكام بالقتل يحكم بها قضاة المديريات وترفع الى المحكمة العليا فان ايدتها رفع الوزير اوراقها اليَّ وكتب فيها رأيهُ ورأي وكيلهِ وهو من القضاة فاذا بقيتُ في ريب استشرت قضاةً آخرين لا اقلّ من ثلاثة فيطالعون اوراق الدعوى كلها ويكتبون رأيهم في مذكرة يرفعونها اليَّ "

ويبقى مشتغلاً بمهام المملكة الى الساعة الرابعة او الخامسة فيمضي حينئذٍ الى حيث زوجتهُ وتلقَّب بالمهراني والدار التي هي فيها قسم من القصر خاص بها فيقيم هناك ساعة من الزمان ثم يخرج للنزهة راكباً في مركبة يحيط بها خمسة وعشرون من الرمّاحة حتى اذا خرج من باب المدينة ابقى منهم خمسة فقط معهُ . واذا قدَّم اليهِ احد عريضة وهو خارج الى النزهة اخذها منهُ وامرهُ ان يحضر اليهِ في يوم مخصوص لينظر في ظلامتهِ . وهو يجري في ادارة الاحكام على النسق الانكليزي . وكلما ذكر زوجتهُ في هذه المقالة لقَّبها بذات السمو او سمو المهراني

وكثيراً ما يجول في بلادهِ متخفياً ويقابل رؤساء العشائر والقرى ويذاكرهم لكي يقف على امورهم بنفسهِ . اما عن تعلمهِ الانكليزية وتعليم اولادهِ فقال ما ترجمتهُ

" لقد اقام اللورد نورثبروك المستر اليوت معلماً لي وعمري ثلاث عشرة سنة . ويسرني انني لم أُفصَل عن عائلتي ولا فُصِل بيني وبين شعبي . وانني انظر الآن الى الطريقة التي رُبيتُ بها فارى انهُ كان يمكن ان تغيَّر قليلاً فتكون انفع لي وكان يمكن ان تطال مدة تعلمي . ولقد احسن معلميَّ واوصيائي بتركي هندياً ولكن الزمان قد تغير فصار عليَّ ان اربي اولادي على اسلوب آخر ولذلك ارسلتهم الى افضل المدارس الانكليزية في اتُن وباليول ليتربوا احسن تربية انكليزية . وافضلُ دين يدينون بهِ محبة وطنهم فاذا دانوا بهِ كانوا من خيرة رجال الهند . وقد يهملون حينئذٍ بعض العشائر الدينية الوطنية ولكنهم لا يهملون الواجب عليهم لبلادهم وشعبهم

ولقد كان لارتحالي الى اوربا فوائد جمة فزال من ذهن قومي ما كانوا يوجسون منهُ وهو ان الانكليز يبقونني اسيراً عندهم . وزادت رغبة شعبي في ارسال اولادهم الى اوربا للتعلم فيها . وترى هذه الرغبة في كل طبقاتهم حتى ادناها . والخدم الذين جاؤوا معي الى اوربا اول مرة يستاءون الآن اذا لم آت بهم . وهناك اناس يقتصدون في نفقاتهم اليومية ولو كان دخلهم لا يزيد على جنيه في الشهر لكي تتيسَّر لهم الرحلة الى اوربا . وقد اخذ كبار المزارعين يبعثون بابنائهم الى اوربا ليتعلموا فيها . وجعل الناس كلهم يفهمون فائدة السفر وانهُ خير واسطة لكسب المعارف كما قال كتّاب الهنود القدماء . وعندي ان كل اتصال بالاوربيين

مفيد لتقدُّم الهند وكل ما يمنع هذا الاتصال يؤخر نجاح البلاد . وقد حلَّ بالهند ضرر كبير في غابر الازمان من انفصالها عن سائر الممالك فجهل الهنود ما بلغهُ غيرهم من الارتقاء في مراقي العمران . ولو استطعتُ لجعلت حكومة بلاد الهند كلها تبعث كل سنة خمس مئة تلميذ الى اوربا ليدرسوا فيها العلوم والفنون والصنائع وكنت اختار هؤلاء التلامذة من نابغي الشبان ومن غيرهم لكي ينتشر العلم بين كل الطبقات والمذاهب . وعندي انهُ يحسن بامراء الهند ان يجالسوا الاوربيين في ولائمهم ولكن لا بدَّ من ان يؤخذ ذلك بالحذر اولاً لئلاَّ يثور التعصب الديني عليهم . فمنذ عشر سنوات لم يكن يسهل عليَّ ان افعل ما افعلهُ الآن من غير ان اعرّض نفسي للانتقاد الشديد . اي ان الملوك انفسهم لا يسلمون عندنا من الانتقاد اذا خالفوا عادات قومهم ولكن الملك الذي يعرف كيف يقود شعبهُ لا يتعذَّر عليهِ ان يجعلهم يرضون عنهُ ويجارونهُ »

ثم انتقد افعال الوزراء الانكليز انتقاداً لطيفاً محكماً لا نظن الاَّ انهُ يأتيهِ بفائدة كبيرة فان في بلادهِ وزيراً مقيماً من الانكليز فاذا غاب عنها سلَّم مقاليد الاحكام لوزيرهِ الوطني ولهذا الوزير المقيم فيحسن هذا الوزير التصرف او يسيئهُ حسب طبعهِ ويتعرَّض غالباً لامور لا يعنيهِ التعرُّض لها فيزيد الارتباك وتضعف سلطة المهرجا

وكانت زوجتهُ معهُ في سياحتهِ الاخيرة وزيارتهِ لمعرض باريس والظاهر انها جاءت اوربا لكي تُعمَل لها عملية جراحية لم تجد طبيبة في بلاد الهند تعملها لها ولا ارادت ان يعملها طبيب ؛ وقد كتب عنها ما ترجمتهُ

« تتمتع سموُّها هنا (اي في بلاد الانكليز) بحرية لا تتمتع بها في بارودا (اسم مملكتهِ) فانها تعيش هنا مثل غيرها من النساء الغنيات الشريفات اما في بلادنا فتحتجب حسب العادات التي اقتبسناها من المسلمين . فتقوم هناك باكرًا وتقرأ الجرائد الانكليزية والهندية الى وقت الغداء وتتغدَّى مع اولادها ثم تمشي ساعةً او ساعتين في حديقة القصر حيث لا يراها احد من الرجال . ومن رأي سموها ان عادة الحجاب رديئة ولكنها تقول انهُ لا يستطيع احد ان يرفع الحجاب من بلاد الهند في الوقت الحاضر . وكثيرات من النساء يرغبنَ مثل سموها في رفع الحجاب ولكن الفريق الاكبر من الرجال غير المتعلمين لا يرون ذلك ولا يرغبون فيهِ ولا في تعليم النساء . اما نحن فمقتنعان بفائدة التعليم للنساء ولذلك عزمنا ان نعلم ابنتنا الوحيدة كما نعلم ابناءنا لان الامرأة المتعلمة اقدر من غير المتعلمة على إسعاد اهل بيتها وتثقيف عقولهم . ولسموها اهتمام شديد بتعليم النساء وهي لا تحسب انهُ يمكن ان يكون لمرأة في بلاد

الهند كل الحرية التي لها في اوربا ولا تظن ذلك صالحاً لها لان مقياس الحشمة رفيع جدًّا في البلاد الشرقية حتى لو لم يوجد الحجاب لبقي شيء من الانفصال بين الرجال والنساء . ومع ذلك فالحجاب عندنا خاص بالطبقات العليا اما نساء الفقراء فلا يتحجبنَ

وقد رأيت في اوربا اموراً كثيرة يحسن بي اقتباسها في بلادي كالتعليم الاجباري والاستقلال الاداري في الولايات وهذا استحسنهُ جدًّا وهو مثل النظام القديم الذي كان متبعاً في بلاد الهند حين كان اساس الادارة ان يدير اهل كل بلد شؤُونهم بانفسهم . ولا اوفي الحكومة الانكليزية حقها مهما مدحتها لانها اعطت الاستقلال الاداري لاستراليا وهذا امر كنا نترقبهُ في بلاد الهند كما يترقبهُ غيرنا في سائر السلطنة الانكليزية

ولقد ادهشني ما رأيتهُ في اوربا من اهتمام افراد الناس من غير الحكام بمصالح البلاد ومساعدة الفقراء ولكن يتعذر عليَّ ان اقابل بينهم و بين اهل الهند لان ليس عندنا جمهور كبير من الاغنياء المتعلمين المتهذبين من اهل الفراغ والجدة . وعندي ان ما يمتاز بهِ الانكليز من كرم الاخلاق والعزم والحزم هو نتيجة لازمة عن سمو تهذيبهم ونظام حكومتهم التي تقوي فيهم روح الاستقلال . ولا اقول ان هذا معدوم من بلاد الهند ولكنني اقول انهُ يتعذر ظهورهُ ونموهُ في الاحوال الحاضرة

ومن شاء ان يعيش عزيزاً كريماً في بلاد الهند يترتب عليهِ ان لا يحاول الترفُّع على غيرهِ لان من يفُق غيرهُ عقلاً وذكاء يكرههُ الناس و يظنون بهِ الظنون . ولا يمهر الناس في السياسة والقيادة ما لم يروا امامهم ميداناً واسعاً لاستعمال مهارتهم . و يتعذَّر على اكثر الناس عندنا ان يميزوا بين الصواب والخطاء لطول ما حلَّ بهم من الجهل والفقر والاستعباد وليس عندنا احد يستطيع الانتقاد بالعلم والسداد مع ان هذا الانتقاد لازم لكل ارتقاء وطني. واود ان اكثر المدارس التجارية والصناعية في بلادي وسائر المدارس العليا التي يتهذب فيها شبان البلاد"

وقد جرى سموهُ احياناً مجرى البساطة التامَّة في ما رواهُ عن نفسهِ واعمالهِ حتى لقد يود القارئ لو كُتبت بعض الامور بقلم غيرهِ عنهُ كقولهِ اني تصدقتُ بكذا وكذا وتصدَّقت زوجتي بكذا . ولكننا اذا اطَّرحنا المألوف من الحشمة الكاذبة لا نجد فرقاً بين من يتكلم عن نفسهِ اذا صدق ومن يلقّن غيرهُ الكلام عنهُ بل الاول اقرب الى الصواب من الثاني لانهُ يخشى المبالغة واما الثاني فتضطرهُ المجاملة الى اطراء من يذكر حسناتهِ والمبالغة فيها ولا سيما اذا كان ملكاً . ونتدفَّق البلاغة من قلمهِ تدفُّقاً في اماكن كثيرة وهو يكتب بلغة غير لغتهِ الاصلية مما يدلُّ على وافر علمهِ وواسع فضلهِ . وسقياً لبلاد ملوكها علماء

رواية امينة

تمهيد

لمؤلفي الروايات اسلوبان مشهوران الاول الاعتماد على ذكر الغرائب التي يتوهم العامَّة وقوعها ولو ثبت عند الخاصة انها ضرب من المحال كما في قصص الجان والغيلان والطلاسم والرقى ومن هذا القبيل قصة الف ليلة وليلة وكثير من الروايات الاوربية القديمة وهي تفكه القارئ غالبًا ولكنها لا تفيده الاَّ بما يتخللها من تحسين الفضيلة والحث عليها وتقبيح الرذيلة والنهي عنها . وقد شاع هذا الاسلوب في السنين الغابرة ثم رغب الناس عنهُ اخيرًا لانهم صاروا من طلاَّب الحقائق ولم تعُد تلذُّ لهم الاوهام التي يتسلى بها الصغار

والثاني ذكر الحوادث التي حدثت او يكون حدوثها ممكنًا وهو على ضربين ضرب يتوخَّى فيهِ كاتبهُ ذكر الحوادث الماضية والثاني ذكر الحوادث الحاضرة . اما الاول فيضطر صاحبهُ ان يحرّف التاريخ ويحوّرهُ لكي يطابق غرضهُ ويوافق الاسلوب الذي اختارهُ لروايتهِ فلا ترسخ في الذهن قضية تاريخية مما ذكرهُ الاَّ وهي محرَّفة او مشوبة بامور كثيرة لا صحة لها فتصير الذاكرة تخلط بين الحقيقة والوهم وبين المنقول والموضوع . وقد شاع هذا الاسلوب كثيرًا منذ اوائل القرن الماضي ولكن عدل عنهُ اكثر الكتَّاب حديثًا لانهم وجدوا ضررهُ في تشويش الحوادث التاريخية اكثر من نفعهِ في ذكرها . والضرب الثاني وهو ذكر الحوادث الحاضرة كما هي استدراجًا الى ذكر العادات والاخلاق واستحسان الحسن منها واستهجان القبيح حديث اشتهر بهِ كثيرون من نوابغ الكتاب مثل تولستوي بالروسية وكبلنغ بالانكليزية وزولا بالفرنسوية

وبينما نحن نفكر في وضع رواية من هذا النوع الاخير اشار علينا من اشارتهُ حكم ان نترجم رواية اميرة شرقية وضعتها باللغة الانكليزية وشرحت فيها احوال اهالي الاستانة في هذا العصر وقد اشرنا الى هذه الرواية حين صدورها وطالبَنا كثيرون بنقلها الى العربية فرأينا ان نلبي الطلب الآن غير مقيدين بما كتبتهُ المؤلفة بل متصرفين فيهِ حسب مقتضى الحال

الفصل الاول

لا ازال اتذكَّر اول يوم بلغت فيهِ الاستانة ونزلتُ الى البر وسمعتُ اصوات الناس وطقطقة المركبات وصفير السفن البخارية ونداء السقائين فاني لم اكن معتادةً سماع شيء من ذلك في القرية التي ربيت بها في بر الاناطول وخُيل لي ان القيامة قامت على ما كان يقصهُ علينا معلم

المدرسة . وكان البرد شديدًا لاننا كنا في بداءة فصل الشتاء ووقع المطر فبلل ثيابي وخرق الى عظمي فدنوت من محمود وسألتهُ قائلة الى اين نحن ذاهبون فقال الى بيت جدتك . ولما رأى انهُ يتعذَّر عليَّ المشي حملني على ظهرهِ وسار بي نحو ايا صوفيا

وذهلت عن نفسي بما رأيت من المناظر التي لم تقع عليها عيني من قبلُ فمن دكاكين مملوءة ثمارًا وفاكهة ومن مخازن مشحونة بالثياب والاقمشة ومن قصور كبيرة شاهقة . وقد علمتُ بعد ذلك ان الاستانة من المدن القديمة القذرة وان في اوربا مدنًا كثيرة احدث منها وانظف ولكنني حسبتها حينئذٍ فردوس النعيم

ثم قال لي محمود اننا قربنا من بيت جدتكِ فخفق فؤَادي وتجدَّدت مخاوفي وكان ابي قد توفي حديثًا وهو حدَّاد فقير من اهالي الاناطول ولم يترك لي شيئًا . وقبل ان اسلم روحهُ تذكر ان حماتهُ لا تزال في قيد الحياة ولم يكن قد رآها بعد ان اخذ ابنتها واتى بها الى تلك القرية حيث ماتت بالفقر والحاجة فطلب من الفقيه معلم الاولاد ان يكتب لها كتابًا و يطلب منها ان تأخذني لاقيم عندها وعنون الكتاب الى بيت الباشا الذي كانت عندهُ مرضعًا لاولادهِ . ومضت اربعة اشهر قبلما جاء الجواب منها وكان ابي قد مات واخذني جارنا الى بيتهِ واخيرًا جاء رجل الى قريتنا قال انهُ رسول من فاطمة هانم وهو اسم جدتي ولما بلغني ذلك اسرعت لاراهُ فوجدت انهُ شيخ كبير السن شائب الشعر بشوش الوجه وسمعتهُ يقول

"مضى عليها زمان طويل في بيت الباشا وهي متكبرة على نوع ما ولكن قلبها طيب ولما وصلها مكتوب صهرها اخذت تبحث عن رجل يحضر لها بنت بنتها و بلغها انني آتٍ الى قونية لاشغال لي فيها فطلبت مني ان آتيها بها في رجوعي . وقد تأخرت في قونية اكثر مما كنت اظن". ثم التفت اليَّ وقال أهذه هي البنت. فقيل لهُ نعم فقال" تعالي يا بنتي" ومسكني بيدي ونظر في وجهي طويلاً وقال لا بد انكِ تعجبينها مع انهُ لا يعجبها احد . واخذ يتكلم على هذا النسق حتى خوَّفني منها وصرتُ أتمنى ان ابقى حيث كنت . وقام في اليوم التالي وجاء بي ولم يحدث في اثناء الطريق ما اخَّرنا عن الوصول . واخيرًا وصلنا الى بيتها ووقفنا امام بابها وانا اتمنى ان لا تكون في البيت ولكن خاب أملي لما فُتح الباب واتت خادمة وسارت بنا الى الطبقة العليا وادخلتنا غرفة فيها مقعدان و بساط وعلى احد المقعدين عجوز على رأسها منديل ابيض فلما دخلنا نهضت وسلمت على محمود ونظرت اليَّ وقالت أهذه هي البنت . وضمتني الى صدرها وجعلت تبكي

ثم التفتت الى الرجل وقالت لهُ "لا تضحك عليَّ لانني امرأة عجوز وقد مات اولادي كلهم

ولم يبقَ لي الأَّ هذه البنت وهي مثل امها تماماً واراها الآن كأَني ارى امها "

وكان عمري حينئذٍ اثنتي عشرة سنة وكنتُ شديدة الشعور بمصاب الغير فلما سمعتها تقول هذا الكلام وضعتُ ذراعيَّ حول عنقها وجعلت اقبلها وابكي فضمتني الى صدرها ثانيةً وقالت ستحبينني كما احبكِ. ثم التفتت الى محمود وقالت لهُ تفضَّل اجلس يامحمود اغا لكي تشرب فنجان قهوة. وناولتني سيجارة وقالت لي قدميها لهُ يا امينة. ونهضتُ وحركتُ النار في المنقل ووضعت غلاَّية القهوة عليها والتفتت اليهِ وقالت لهُ كلهم بخير في بيتكم وقد كنت عندكم امس وجاء مكتوب من ابنك يقول فيهِ ان معلمهُ الجديد مسرور بهِ.

فقال بلا شك لانهُ في بيت صهرهِ

فقالت نعم وقد احسنت بارسالهِ اليهِ وصهرك من احسن الناس

فقال نعم الحق بيدك وكيف حال نصرالله باشا واولادهِ

فقالت كلهم بخير ولكن نافذ بك مضى الى الاناطول

فقال هذا مثل ولدك لانك ارضعتهِ

فنظرت اليهِ باسمةً وقالت نعم وهو من احسن الشبان وقد صار عمرهُ الآن ثلاثاً وعشرين سنة واخوهُ البكر ادهم بك صار عمرهُ ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اول ولد ارضعتهُ. ولما تزوجت ابنتهم الصغرى وحيدة هانم سمحوا لي ان اسكن وحدي هنا. لما كان زوجي حيًّا كنت اقول انهُ حالما يكبر نافذ بك ويمضي الى الكتَّاب اتركهم واقيم في بيتي ولكن لما مات زوجي وتزوجت بنتي وتوظف ابني في مركب من مراكب العزيزية طلبوا مني ان ابقى في بيتهم فبقيت ثم لما صار عمر نافذ بك خمس عشرة سنة طلبتُ منهم ان يسمحوا لي ان اعود الى بيتي واعتني بابني لكن واحسرتاه مات ابني تلك السنة

فقال محمود بعد ان شرب القهوة نعم ولكني اراكِ تقيمين في بيت الباشا اكثر مما تقيمين هنا

فقالت نعم ولو اردت لبقيت عندهم دائماً ولكنني صرت عجوزاً وافضل ان ابقى وحدي في بيتي

وكانا يتكلمان وانا اسمع وقد ارتفعت منزلة جدتي في عينيَّ لما رأيت انها كانت في بيت باشا وانهم يكرمونها و يعزُّونها . وكانت تتكلم كلاماً فصيحاً وتشير اشارات الكبراء ورأيت انها تفوق كل النساء اللواتي عرفتهنَّ من قبل

ونساء العامّة في الاستانة لسنَ متعلمات اكثر من نساء القرى في بر الاناطول ولم تكن جدتي تعرف القراءة ولكن اتصالها بالطبقة العليا من الناس زماناً طويلاً هذَّب اخلاقها وجعلها تتكلم وتتصرَّف مثل افراد تلك الطبقة

ثم قالت " سآخذ امينة غداً الى بيت الباشا لان الهانم سألت عنها مراراً فترى كم تشبه امها " . ونهض محمود ليذهب فقالت لهُ على مَ انت مستعجل فقال لانني لم اذهب الى بيتي حتى الآن . فشكرتهُ على فضلهِ وودعنا وخرج . وقمت الى الشباك واطللت منهُ على الشارع الذي تحتهُ فاذا هو ضيق منعطف ثم رأيت الرجل يقرع باباً فيهِ فاذا بيتهُ بقرب بيت جدتي . ودنت جدتي مني وقالت لي لم اسمع كلامكِ حتى الآن تعالي اخبريني ما تعلمينهُ عن ابيكِ وامكِ . فجلست الى جانبها وجعلت اقص عليها كل ما اتذكرهُ وكيف لدغت افعى امي وهي تنزع الاعشاب من البستان وكيف كان ابي يتعب النهار كلهُ فلا يكاد يحصل القوت الضروري

فقالت يا مسكين كان يحب امكِ كثيراً ولكن لماذا لم يرسلكِ اليَّ قبل الآن . وقد عرض عليهِ الباشا ان يفتح لهُ دكاناً في غلطه هنا فلم يقبل لانهُ يفضل عيشة الجبال على عيشة المدن . ولم اكن اريد ان تذهب امكِ معهُ ولكنها كانت عنيدة وتخاصمنا ومضت مع زوجها ثم ندمتُ على ما فرط مني وكتبت اليها فلم يجبني احد ولا كنت اعرف اين انتم ومنذ سنتين اتاني مكتوب من ابيكِ ينعيها اليَّ ولكنهُ لم يذكر لي كلمة عنكِ

فقلت لها ان ابي كان يحبني لانني اشبه امي ولم يكن يريد ان يفارقني . فقالت نعم انك تشبهينها تماماً عيناك زرقاوان مثل عينيها وشعركِ اشقر مثل شعرها . وسترين اني احبكِ كما كان يحبكِ

ولقد صدقت في قولها لانها على شكاسة طبعها لم ارَ منها الا كل حب وكل دعة . وذهبنا الى بيت الباشا وكنا نقيم فيهِ احياناً شهراً او اكثر . والباشا رجل جليل القدر عظيم الشأن اعتزل المناصب العالية في كهولتهِ لانهُ يفضل الراحة على تعب البال وبقيت كلمتهُ مسموعة في دوائر الحكومة فحصَّل المناصب العالية لاولادهِ واصهارهِ . وكانت زوجتهُ على جانب كبير من الكبر والعظمة كثيرة الكرم شديدة الانتقام اذا رأت من احد حسنة جازتهُ عليها احسن جزاء واذا رأت من احد سيئة انتقمت منهُ اشد الانتقام . وهي تركية الاصل عرفت كيف تتسلط على زوجها حتى لم يتزوج ضرَّة عليها . وكانت شديدة النباهة يخشاها كل اهل البيت حتى اولادها وهم يطيعونها طاعة عمياء . ولا تزال صورتها نصب عينيَّ حتى الآن طويلة القامة نحيفة الجسم جميلة المنظر حادَّة البصر تنظر اليك فتظن انها تقرأ اعماق قلبك . تلبس لبساً بسيطاً جداً وتربط رأسها بمنديل ابيض تمكنهُ بدبوس من الماس ولا تتحلى بحلي غيرهُ . لم تعاملني بالقسوة ولكنني كنت اخاف منها كثيراً ولا استطيع الكلام في حضرتها . وابنها البكر ادهم بك مثلها سكوت كثير الاشتغال واما ابنتها الصغرى واسمها وحيدة فكانت غاية في الانس والبشاشة

وكانت هي وزوجها في بيت ابيها وعمرها عشرون سنة بعينين سوداوين ومحيا طلق وقد احببتها حالما وقع نظري عليها و يظهر لي انها هي احبتني ايضاً وقد اهتمت بتعليمي في مدرسة قريبة من بيت ابيها وعلمتني التطريز بيدها . وكان للباشا ابنة اخرى كانت حينئذٍ غائبة مع زوجها . اما الابن الاصغر نافذ بك فكان في الاناطول مع الايهِ والظاهر انهُ محبوب جدًّا من كل اهل البيت حتى ان ادهم بك كان يتبسم كلما ذكر اسم اخيهِ مع انهُ كان عابسًا في غالب الاحيان وزوجتهُ واسمها وليَّة هانم كانت تذكر اسم نافذ بك دوامًا وتقول انهُ روح البيت ومنذ غاب فقدوا كل بهجة(وهي امرأة بشوشة الوجه انيسة المحضر اقترن بها ادهم بك وعمرها اربع عشرة سنة ولها الآن ثلاثة اولاد مع ان عمرها تسع عشرة سنة فقط). واذا ذكرتهُ امهُ لم تخفِ حبها لهُ وعجبها بهِ وكذلك الجواري كنَّ يحلفن باسمهِ حتى صرت اودُّ ان اراهُ ولكن مضت خمس سنوات قبلما عاد الالاي الذي هو فيهِ

وليس من غرضي ان اسرد تاريخ حياتي كلها بل تاريخ مدة محدودة منها ولذلك لا اتكلم شيئًا عن هذه السنوات الخمس بل اتخطاها الى شهر مارس من السنة الخامسة منها فانهُ في ذلك الشهر اصابتني مصيبة لا اشد منها وهي ان جدتي مرضت مرضًا شديدًا واضطرت ان تعود الى بيتها واعود انا معها وقالت لي حينئذٍ انها تحب بيت الباشا كثيرًا ولكنها لا تريد ان تخرج جنازتها منهُ كانها جارية من جواريهِ بل تود ان تموت في بيتها .ولما رأَت الدموع في عينيَّ قالت لي لا تبكي يا حبيبتي فان الله كريم ولا بدَّ من ان يأْخذكِ الباشا الى بيتهِ ولا يتركك وحدكِ . ولما رأَت الدموع زادت هطولاً من عينيَّ وخنقتني الزفرات قالت لي ما ادرانا ان الله لا يمن عليَّ بالشفاء وانا لا اعتقد بهؤُلاء الاطباء ولكنني اعتقد بانسان حكيم اسمهُ الشيخ موسى فاذهبي الى بيت جارنا محمود وقولي لزوجتهِ حميدة لتدلكِ على بيت هذا الشيخ فان كان الله كتب لي الحياة فلا بدَّ من ان اشفى على يدهِ

فسررت بذلك لانني طالما سمعت ان المشايخ الصلاَّح يشفون كل من كتب لهُ الله الشفاء واما من سقطت ورقتهُ من شجرة الحياة فلا يشفيهِ الاطباء ولا الصلاَّح . والشيخ يعرف ذلك فاذا كان لا امل بالشفاء لا يقبل مني نقودًا. فمضت حميدة معي الى بيت الشيخ ولاقتنا زوجتهُ عند الباب وسارت بنا اليهِ فرأَيناهُ جالسًا على حصير والسبحة في يدهِ فلم يلتفت الينا فقالت لي حميدة ان اعطيهُ الدراهم التي اتيتهُ بها فاعطيتها لزوجتهِ فوضعتها تحت طرف الحصير وللحال رفع رأْسهُ وقال "كبرنا في السن ولكن الشجرة لا تقع حالما تصيبها الفاس قم يا عبدي وانا اقوم معك"

فلم افهم شيئًا مما قال ولكن حميدة إسرَّت في اذني قائلة ان جدتك ستشفى ثم قالت لهُ ماذا تأمرنا ان نعمل لها فقال ايتوني بمنديلها وليرتين

فسرَّت حميدة بذلك ووضعت لهُ غرشًا تحت الحصير وطلبت منهُ ان يخبرنا عن بختي فقال "هذه وردة مزهرة ولكن ستعصف بها الرياح" وعاد الى سبحتهِ ولم يلتفت الينا فعدنا من حيث اتينا وانا افكر في كلامهِ ولا افقه لهُ معنًى وكان عمري حينئذٍ سبع عشرة سنة وكنت انظر الى المستقبل نظر من تنتظر السعادة فيهِ لكن كلامهُ لم يكن حسب انتظاري . ولما اخبرنا جدتي بما قال هزَّت رأسها ولم تقل شيئًا ولكنها بقيت النهار كلهُ تنظر اليَّ . وارسلنا اليهِ المنديل والدراهم التي طلبها فجاء الينا بنفسهِ ونفخ في وجه جدتي واعطانا بخورًا لنحرق منهُ كل ليلة قبل الغروب وقنينة فيها شيء كعطر الورد فاعطتهُ جدتي خمس ليرات وليرتين اخريين لكي يكتب لي حجابًا من العين

ولم ينجع العلاج في جدتي واشتدَّ المرض عليها مدة ثلاثة ايام حتى لم تذق طعم الراحة ثم صلحت حالها قليلاً واتت حميدة لعيادتها فطلبت مني ان امضي وانام في غرفة مجاورة لغرفتها فمضيت ولكن انشغال بالي عليها حرم جفني النوم وبينما انا اطلب من الله ان يمن عليها بالشفاء سمعت حميدة تذكر اسمي فانتبهت واذا هي تقول ان كلام الشيخ موسى عن امينة مستغرب جدًّا ولا اعلم ما هو مرادهُ

فقالت جدتي يا ولدي الله يكون معها ويقيها ولولا يقيني ان الهانم تأخذها الى السراي لكنت اموت في اشد القلق

فقالت لها حميدة انكِ غير فقيرة وستتركين لها ما يكفي لاعالتها

فقالت نعم ولكن المال وحدهُ لا يكفي ولاسيما لمن كانت صغيرة وحيدة مثلها

فقالت حميدة لا تظني انها تكون وحيدة فانهُ ما دمت انا وزوجي في قيد الحياة فنحن نعتني بها وان شئتِ فعندنا من يعتني بها بعدنا

ثم سمعتها ادنت كرسيها من سرير جدتي وقالت لها ان امينة جميلة المنظر وحسنة الطباع ولا استنكف من الشغل اعطيها لابني وسيكون هنا بعد اسبوع على الاكثر وهو الآن في بورصة وقد وعدهُ صهري ان يورثهُ بيتهُ لان ليس لهُ ولد وانا احبها مثل بنتي وزوجي يحبها ويعبدها عبادة

فلم تجبها جدتي في اول الامر مع انني انتظرت جوابها بقلب خافق واخيرًا سمعتها تقول كل شيء بقضاء وقدر ولا يمكن ان احكم قبلما ارى داود فاني لم ارهُ منذ خمس سنوات فلا يمكنني

ان اجيبك الآن لا سلباً ولا ايجاباً . حينما يأتي ارسليهِ اليَّ وان كان لم يزل كما اعهدهُ فلا مانع عندي وعسى ان ابقى حية لارى عرسهما

فقالت حميدة ان شاء الله وداود شاب مجتهد جدًّا ولا بد من ان يعجبك

فلم تجاوبها جدتي لانهُ اصابتها نوبة سعال وقمت لاعطيها دواءٍ مسكناً وانقطع الحديث . لكنني بقيت افكّر فيهِ ذلك اليوم واليوم التالي وانا عالمة انني لا اقدر ان احل ولا اربط بل الذي تقررهُ جدتي التزم ان اقبل بهِ مهما كان الامر هامًّا عندي . وكثيرًا ما كنت اطلُّ من الشباك والتفت الى بيت جارتنا لعلي ارى هذا الشاب ولكن مضت ستة ايام ولم يحضر واشتدَّ المرض على جدتي فصرفت هذا الموضوع من ذهني . وفي اليوم السابع سمعت دقًّا على الباب فقالت لي جدتي "افتحي يا حبيبتي لابدَّ من ان يكون هذا واحدًا من السراي" وكان خدَم الباشا يأتون كل يوم لعيادتها فقمت وشددت بالحبل الذي يفتح الباب وقلبي يخفق حاسبةً اني ارى امامي ابن جارتنا ولما سمعت وقع الخطى على السلّم رجعت وقلت لجدتي انهُ رجل فقالت هذا داود لقد احسن بمجيئهِ الآن اتركيني وحدي معهُ . فدرت لاخرج قبل دخولهِ واذا انا بشاب لابس لبس ضباط الجيش وللحال انهضت جدتي رأسها وصرخت "نافذ بك ابني حبيبي الله يحفظك" ثم وضعت يديها حول عنقهِ وقبلتهُ

فجلس بجانب سريرها وقال لقد رجعتُ امس ولما اخبروني انكِ مريضة قلت ان اول واجب عليَّ هو ان اراكِ

فقالت " الله يحفظك يا حبيبي الله يكون معك لقد غمرتني بمعروفك لانك اتيت لاراك قبل موتي "

فقال " بعد عمر طويل يا دادتي[1] ان شاء الله ترضعين اولادي كما ارضعتني . اهذه ابنة بنتكِ التي اخبرتني عنها امي "

اما انا فكنت واقفةً كالصنم انظر اليهِ واعجب من لطفهِ وتنازلهِ الى هذا الحد . وكان يتكلَّم باشًّا مسرورًا كأنهُ لم يفعل شيئًا غير عادي بمجيئهِ الى هذا البيت الحقير . وعجبتُ من شدة مشابهتهِ لابيهِ فانهُ كان مثلهُ اشهل العينين خفيف العارضين واسع الفم عريض الذقن واضح المحيا

والتفتت جدتي اليَّ وقالت لي تعالي يا امينة وقبلي يد ابن سيدنا

فدنوت منهُ وانا مطرقة الى الارض خجلاً . فنظر اليَّ مليًّا وقال ما اجملها ولم يشأ ان يعطيني يدهُ لاقبلها بل قال نحن اصحاب يا امينة لاننا كلينا اولاد الدادا . والتفت الى جدتي

(١) الدادا كلمة تركية مستعملة في مصر معناها المرضع

وقال ان امينة ملكت قلوب الكل في البيت فان وحيدة ووليةوامي يتكلمن عنها بالمدح والاطراء حتى ادهم نفسهُ يذكرها بالمدح

فاستغربت كلامهُ جدًّا ولا سيما ما قالهُ عن ادهم بك لانني كنت اراهُ مشغولاً جدًّا لا يلتفت الى احد ولم يخطر ببالي حينئذٍ انهُ يكون اكبر عضد لي في وقت الضيق

فتبسمت جدتي وقالت الله يسعدهم لقد غمرونا كلهم بمعروفهم . ولكن هات اخبرني عنك يا حبيبي كيف كان حالك في الاناطول وماذا كنت تفعل هناك

فضحك وقال لم اكن افعل شيئًا لا انا ولا الحامية كلها بل كانت عيشتنا كلها كسلاً بكسل في تلك القلعة ولذلك كنت اتمنى دائمًا ان اعود الى البيت . وقد طفنا في كل بلاد الاناطول وقابلت عزّت باشا وقد صار واليًا بدل ابيهِ بمساعي ابي

فقالت جدتي وهل رأيت ستّهُ هانم

فقال كلاَّ لان صهري لم يعين للولاية الاَّ بعد رجوعي . والآن لا بدَّ لي من الذهاب الى السرعسكرية وساُعين هناك قريبًا

فقالت جدتي أَصحيح ذلك هذا خبر يسرني جدًّا

فقال نعم لان العيشة في القلاع موت احمر . ثم ودَّعها وقام ليخرج وتبعتهُ لاشيعهُ الى الباب حتى اذا وصل الى اعلى السلم قلت لهُ عن غير قصد اتظن حقيقة ان لا خطر على جدتي او قلتَ ذلك لكي تسكن روعها

فنظر اليَّ صامتًا ووضع يدهُ على رأسي وكأَن لسان حالهِ يقول لا امل بشفائها ففهمت مرادهُ من غير ان يفصح عنهُ بالكلام ولما خرج دخلت الى غرفتي وانطرحت على الارض وجعلت ابكي من كبدٍ حرَّى

وتكلمت جدتي كثيرًا تلك الليلة عن نصر الله باشا وعائلتهِ واخبرتني ان اباها كان قايقجيًّا لعائلة هانم افندي وزوجها كان قايقجيًّا ايضًا ولما ولد ولدها الاول عرضت عليها هانم افندي ان ترضع اولادها فاقامت عندها من ذلك الحين. ثم طلبت مني ان اعدها باني لا اخالف امرًا لهانم افندي مطلقًا فوعدتها بذلك وانا ابكي واذرف العبرات فقبلتني وقالت لي لقد حان الاجل يا بنتي ولا بدَّ من ان تعلمي ما هي وصيتي الاخيرة لكِ . اذهبي الى السراي وابقي هناك وهانم افندي تهتمُّ بك وبمستقبلكِ وما دمتِ تحت حمايتها فأَنتِ بأَمن من كل ضيم ولكن يجب ان لا تغيظيها بشيء . اواه كم اود ان يحضر داود الآن قبل وفاتي لانني لا استطيع ان اسلم بطلب امهِ ما لم انظرهُ بعيني

وصمتت برهةً ثم قالت " اني اشعر بتعب شديد ياامينة فنادي لي حميدة لتبقى معي الليلة فخرجتُ وارسلت اطلب حميدة ولما حضرتْ كان لسان جدتي قد انعقد عن الكلام وقبل الصباح اسلمت الروح فعدتُ يتيمة كما كنتُ

ويتعذّر عليَّ ان اصف ما حلَّ بي حينئذٍ فان موتها وقع عليَّ كصاعقة من السماء لكنني تجلدتُ قليلاً ونهضت لعلي افعل شيئًا مما يلزم لغسلها ودفنها وجاء العبيد من بيت الباشا حالاً واخذوا يجهزون كل ما يلزم لذلك ونزلتُ الى المطبخ لاشعل النار فوضعت ذراعي على حافة الشباك وغطيت وجهي بكفيَّ واعولت في البكاء وبقيت على ذلك الى ان شعرت بيد على كتفي وقائل يقول " يا مسكينة أأنتِ هنا اين البنات لماذا تركنكِ وحدكِ ". فالتفت واذا انا بنافذ بك واقفًا امامي فلم يرفع يدهُ عن كتفي بل ادنى مني كرسيًّا بيدهِ الاخرى اجلسني عليهِ وكان شعري قد انحلَّ وانسدل على وجهي فازاحهُ بيدهِ وللحال فاضت الدموع من عينيَّ فغطيت وجهي بيديَّ وعدت الى البكاء . اما هو فوقف امامي صامتًا ثم امسك يديَّ بيديهِ وقال لي لا امنعكِ عن البكاء يا امينة لاني اعرف ان البكاء نافع لكِ ولكن تعالي الى غرفة اخرى اذ لا بدَّ من مجيئهم الى هنا بعد خمس دقائق

ففهمتُ مرادهُ لانهم كانوا عازمين ان يغسلوا جدتي هناكِ والتفت الى الموقد فوجدت النار مطفأة فنهضت حالاً ومسكت قطعة حطب لاشعلها لكن الدموع اعمت عينيَّ وللحال سمعت صوت تلامذة المدارس ينشدون نشيد الغسل فاتكأت على الحائط خائرة القوى

والتفت نافذ بك الى احدى الجواري وقال لها " اهتمي انتِ بتسخين الماء يا بوار " ثم دار اليَّ وقال " وانتِ يا عزيزتي اعطي المفاتيح لبوار وتعالي معي . ما هذا أأنتِ حافية أوقفتِ حافية هنا من الصباح . تعالي اين غرفتك تعالي البسي اذ لا بدَّ لكِ من الذهاب الى بيتنا حالاً "

فلم اجبهُ بشيء لان الضعف كان قد اخذ مني كل مأخذ حتى فقدت ارادتي فتبعتهُ الى باب غرفتي ووقف هناك ونادى جاريةً اخرى وقال لها ساعديها يا ماهور لكي تلبس ثيابها والتفت اليَّ ووضع يدهُ على شعري بلطف وقال ساراكِ اليوم في بيتنا . قال ذلك ونزل ودخلتُ الغرفة مع الجارية ولم اكد اتم لبس ثيابي حتى سمعت صوت الرجال الذين اتوا ليأخذوا النعش ودخل الجواري الى غرفتي ليرين الجنازة وامسكت حميدة بيدي وسارت بي الى الشباك وهي تقول التفتي اليها فان روحها الآن عند رأس النعش وهي تودُّ ان تراكِ آخر مرة واقفة لتشييعها . ثم قالت لي بصوت منخفض انظري انظري فان نافذ بك ماشٍ في الجنازة ما اوضعهُ والذي

بجانبهِ ابني داود . فنظرت مكرهةً لانني لم اعد افكر بابنها فرأيتهُ عريض المنكبين قصير القامة وفعل نصرالله باشا اكثر مما يطلب منهُ فاخرج الجنازة على نفقتهِ وغطَّى النعش بشال من الكشمير الابيض ومشى العبيد امامهُ بمباخر الفضة وامامهم جمع غفير من المشايخ وتلامذة المدارس . الاَّ ان منظر النعش ورائحة البخور وصوت المشايخ والتلامذة كل ذلك اثر في نفسي تأثيرًا شديدًا وكنت خائرة القوى من السهر والحزن فطنَّت اذناي وغبت عن الصواب وهذه اول مرة أُصبت فيها بالاغماءِ . ولما افقت وجدت نفسي على الديوان ورأسي متكئ على كتف وحيدة هانم فقالت لما رأتني فتحت عيني لقد احسن نافذ باستدعائي الى هنا فان هذا فوق طاقتها . قومي يا حبيبتي فقد امسى المساءُ ولا بدَّ لنا من الرجوع الى البيت فني لارتب يشمكك وائتيها يا ماهور بكاس ماءٍ

فنظرتُ الى وحيدة هانم واذا عيناها مغرورقتان بالدموع فوضعت اليشمك على رأسي وقبلتني من صميم قلبها فلصقتُ بها كأني احسب انها الملجأُ الوحيد لي وقامت وسارت بي الى الباب وهي ماسكة بيدي وقالت " تعالي معي وحميده وبوار تبقيان هنا مع المشايخ ". فاتكات عليها ونزلت معها الى الباب ودخلنا المركبة فسارت بنا وهنا انطبق كتاب الماضي وانفتح كتاب المستقبل

ستأتي البقية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاعتناءُ بالاطفال

تمهيد

هذا موضوع لا نوفيهِ حقَّهُ مهما كرَّرنا الكلام فيهِ ولاسيما في هذا القطر وفي هذه العاصمة حيث يموت ثلاثة ارباع الاطفال قبلما يبلغون السنة الخامسة من عمرهم . والبلدان التي تفوق بلادنا في معرفة التدابير الصحية والعمل بها لا يموت الاَّ ثلث اطفالها قبل السنة الخامسة ويولد الاطفال اصحاءَ سليمين لا علة فيهم واذا اعتُني بهم الاعتناءَ الواجب عاشوا كلهم على

حيٍّ سوى . فهل تدري كل والدة تحمل جنينها تسعة اشهر وتلده بالالم والوجع انهُ يموت لقلة اعتنائها بهِ ولجهلها التدابير الصحية اللازمة له سواء كانت غنية او فقيرة عالمة او جاهلة

اذا علمت كل والدة ان حياة طفلها متوقفة عليها كما ان حياة الزرع متوقفة على الزارع فان هو حرث الارض وخدمها وروى الزرع حينما يعطش نما واينع وان هو اهمل حرث الارض وخدمتها وتركه بغير ري جف ويبس وكذلك الطفل اذا اعتنت والدتهُ بصحتهِ ورضاعتهِ عاش ونما وقوي والاَّ ضعف ومرض ومات . اذا علمت ذلك لم تترك واسطة تقي طفلها من المرض والضعف والموت لاسيما وان امراض الاطفال ناتجة عن تعريضهم لاسباب المرض فاذا لم يُعرَّضوا لها لم يمرضوا لان المرض نتيجة عن سبب وكما ان الحطب اذا وضعتهُ في النار اشتعل والسكَّر اذا وضعتهُ في الماء ذاب كذلك الطفل اذا تعرَّض لاسباب المرض والموت مرض ومات واذا لم يعرَّض لها اي اذا اعتني بهِ الاعتناء الذي يقيهِ من التعرُّض لها لم يصبهُ شيء من ذلك

ومن الغريب انهُ مضى على المرأة الآن الوف من السنين وطفلها اعز شيء عندها وهي مستعدة دائمًا ان تفتديهُ بنفسها ومع ذلك ترى اكثر النساء يجهلن قوانين الصحة والوقاية . وقد الَّف الاوربيون كتبًا في هذه المواضيع وكتبنا فيها فصولاً شتَّى في المقتطف ومع ذلك لا نرى بدًّا من اعادة الكتابة فيها وسنقسم الكلام الى فصول حسب اختلاف المواضيع

الفصل الاول في غسل الطفل

يرى الذين اعتنوا بتربية الاطفال ان لا بدَّ من غسلهم حالما يولدون . فيسخن الماء النقي حتى تصير حرارتهُ مثل حرارة الدم او حتى اذا غطَّت القابلة مرفقها فيهِ تشعر انهُ اسخن من يدها قليلاً وتجلس وتضع ملاءة نظيفة من الصوف الناعم على حضنها وتضع الطفل عليها ورأسهُ على يدها اليسرى ويوضع اناء الماء قرب يدها اليمنى وكذلك اسفنجة نظيفة ناعمة وقطعة ناعمة نظيفة من صوف الفلانلا وقطعة من الصابون ومنشفة ناعمة ولا بدَّ من ان يكون كل شيء نظيفًا ناعمًا جدًّا لان جلد الطفل رقيق لطيف لا يحتمل المسح بشيء خشن . وتشرع القابلة بغسل ما حول العينين ثم تفتحهما وتغسل جفنيهما بالاسفنجة او بقطعة الفلانلاَّ الناعمة ولا بدَّ من ان يكون الماء نظيفًا نقيًّا والاسفنجة او قطعة الفلانلاَّ من انعم ما يكون والاَّ احمرَّت عينا الطفل وكان ضررهُ من الغسل اكثر من نفعهِ . ثم تغسل وجههُ ايضًا بالاسفنجة والماء من غير صابون واذا كان في انفهِ مخاط نزعتهُ منهُ بلطف واعتناء ويجب ان تنزع المخاط من فمهِ ايضًا بالاسفنجة او بقطعة الفلانلاَّ . ثم ترغي الصابون على الفلانلاَّ وتغسل رأسهُ وتنشفهُ حالاً وبعد ذلك تغسل بدنهُ كلهُ بالماء والصابون وكلما غسلت قسمًا من بدنهِ نشفتهُ حالاً ولا سيما المفاصل

وطيات الابطين والساقين وخلف الاذنين وما بين الاصابع وكل طية من طيات جلده تغسل بطرف الفلانلا وتنشف بلطف . ومتى تمَّ غسل الجسم وتنشيفهُ يرش عليهِ قليل من مسحوق الارز الناعم (البودرا) الذي لم يطيب بشيءٍ

ويغسل الطفل كذلك مرتين في النهار مرةً في الصباح ومرة في المساء ولا تكون حرارة الماء اشد من حرارة الدم. ولا يضاف اليهِ لا خمر ولا بيرا ولا شيء من ذلك. ومن عادة بعض القوابل ان يعصرن ثديي الطفل ليخرج منهما لبن وهو عمل وحشي ضار وقد يضغطن يافوخهُ لكي تقترب عظامهُ بعضها الى بعض وهذا عمل ضارٌّ ايضاً لان ارتخاء اليافوخ ليس ناتجاً عن بُعد عظام الراس بعضها عن بعض بل عن ان ذلك الجزء الرخو لا يكون قد صار عظماً صلباً وهو يصير عظماً صلباً مع الزمان من نفسهِ والضغط عليهِ لا يصيرهُ عظماً ولا يقرب العظام بعضها من بعض

ولا يلبَّس الطفل ثيابهُ حالاً بعد غسلهِ بل يترك قليلاً يحرك يديهِ ويرفس برجليهِ فان ذلك نافع لهُ ولكن يشترط ان تكون الغرفة دافئة وليس فيها مجرى هواء وان كان فيها نار يجب ان لا يكون محل الطفل قريباً منها ولا يكون رأسهُ متجهاً الى جهة النار بل رجلاهُ

ثم تلتفت القابلة او الامرأة التي تغسل الطفل الى سرَّتهِ وتلفها بخرقة من القماش الناعم عرضها اربع عقد وتضعها مستوية على بطنهِ حتى لا تؤلمهُ وتلفهُ بقماط من الفلانلا حتى يبقى رباط السرَّة في مكانهِ ولا يتحرَّك . ويجب ان لا يكون هذا القماط ملفوفاً من طرفهِ لئلا يؤلم الطفل . ويجب ان لا يشد على جسم الطفل الاَّ بما يكفي لحفظ رباط السرَّة في مكانهِ. واذا كان مشدوداً اضرَّ بالطفل ضرراً شديداً وقد يكون سبباً لموتهِ

قال احد الاطباء انهُ دعي لمشاهدة طفل في حالة النزع فوجد ان التي غسلتهُ قمطتهُ وشدَّت القماط حتى لم يعد يستطيع التنفُّس الاَّ بالصعوبة الكثيرة فاصابتهُ نوبات كادت تقضي عليهِ فحلَّ قماطهُ وللحال انتعش وزال الخطر عنهُ

واذا كان الطفل صحيحاً سليماً قويًّا ترك القماط عليهِ الى ان تقع سرتهُ ثم يزال عنهُ ويترك بعد ذلك من غير قماط . واما اذا كان ضعيفاً فلا بأس بابقاء القماط شهراً او شهرين. والغالب ان رباط السرَّة يجف ويقع في اليوم الخامس بعد ولادة الطفل

واذا خيف من بروز السرة الى الخارج تقص اثنتا عشرة قطعة مستديرة من القماش الناعم الصغيرةُ منها كالغرش والكبيرة كربع الريال والبقية بين هذين الحدين وترصف الواحدة فوق الاخرى وتوضع على السرة حتى تكون الصغرى مباشرة للسرة وتمكن عليها برباط يلف حول وسط الطفل حتى تضغط السرة قليلاً وتمنع من البروز

احرار البقول والحمى

يراد باحرار البقول ما يؤكل منها من غير طبخ كالخيار والفجل والخس والبقدونس وما اشبه فان هذه النباتات تؤكل متبلة بالخل والزيت او غير متبلة. والذين يزرعونها بقرب المدن يسمدونها بالاقذار التي تخرج من المراحيض . واذا فرض ان مرض احد بالحمى التيفويدية وطرح برازه في المرحاض من غير تطهير كما يحدث غالبًا ونزعت الاقذار وسمدت بها البقول فلا يبعد ان تلصق جراثيم الحمى التيفويدية بها وتصل الى الذين يأكلونها . ومن المحتمل ان بعض الذين يصابون بالحمى التيفويدية من العائشين عيشة صحية سبب اصابتهم اكل هذه البقول . ولا نشير ان يمتنع الناس عن اكلها ولكن ان يغسلوها جيدًا قبل اكلها ان امكن فبالماء الغالي والاَّ فبكثير من الماء النقي ومعلوم ان الاهتمام بذلك منوط بربة البيت فعليها ان لا تسمح باكل هذه البقول الاَّ بعد غسلها جيدًا والاَّ عرَّضت نفسها وزوجها واولادها لداء من اشد الادواء خطرًا . وحبذا لو منعت الحكومة الزارعين عن تسميد البقول بسماد فيهِ شيء من الاقذار وحكمت عليهم بالعقاب الشديد ان فعلوا ذلك لكي يستأصل الشر من اصلهِ

زينة البيت

ترى في المتحف المصري في هذه العاصمة وفي غيرها من العواصم ما يستدلُّ منهُ على الاساليب التي كان المصريون القدماء يجرون عليها في تزيين بيوتهم وتنميقها نعم ان ما بقي من ذلك مجموع من الهياكل والمدافن فقط ولكن يبعد عن الظن ان هذه الزينة لم يكن شيءٌ منها في بيت الكبراء والاغنياء . وقد ابقت لنا الايام كثيرًا من الكراسي والمقاعد والموائد وفيها من النقش والاتقان ما يدلُّ على ان صانعيها كانوا يعرفون جمال الصناعة فترى قوائم الكراسي والمقاعد مصنوعة في شكل قوائم الاسد ببراثنهِ او الغزال باظلافهِ . وذوات الاوتار من آلات الغناء منقوشة نقشًا بديعًا ومزوقة بالوان شتى

والناظر في هذه الآثار وفيما آل اليهِ حال المصريين بعد ذلك حتى في هذا العصر يعجب من زوال هذا الذوق ذوق الزينة والزخرفة ومحبة الجمال فانك تدخل بيت عمدة كبير من عمد هذا القطر فترى فيهِ اثاثًا فاخرًا موضوعًا فيهِ كما صنعهُ الصانع الاوربي وفرشهُ الفرَّاش المصري كراسي ومقاعد وموائد وستائر من الخشب المذهَّب والحرير المقصَّب بعضها بجانب بعض على انتظام واحد تحيط بهِ العين بنظرة واحدة كأنهُ في مخزن بائع لا تنويع فيهِ ولا تبديل . والعين تسأم من نظر الشيء الواحد كما تعاف النفس اكل الطعام الواحد

ادخل حديقة ليس فيها إلاَّ نوع واحد من الورد ولا شجر غيره او ليس فيها الاَّ نوع واحد من الليمون ولا شجر غيره او ليس فيها الاَّ نوع واحد من النرجس ولا زهر غيره فانك ترى ما فيها وتسرُّ بهِ حال رؤيتهِ ثم تسأم عينك من رؤيتهِ اذا لم تجد تنويعاً في ما تقع عليهِ واما اذا دخلتَ حديقة فيها من انواع الورد والنرجس وغيرها من الازهار اشكالاً كثيرة منتظمة على طرائق شتى وبينها الادواح المختلفة الاشكال والاقدار وجدت عينك ترتاح الى ما تراه حتى لو بقيت فيها ساعات متوالية ما شعرتَ بسأم ولا بضجر

وهذا شأن البيت وما فيهِ من الاثاث فاذا كان الاثاث من نوع واحد فقط ووضع على طريقة واحدة وخلا البيت من كل زينة أُخرى ظهر كالبستان الذي فيهِ نوع واحد من الشجر واما اذا تفنَّن واضعهُ في وضعهِ واضاف اليهِ ما تتم بهِ زينة البيت في زواياه وعلى جدرانهِ وحول كواه ظهر كالحديقة المنمقة الخمائل والمغارس المختلفة الادواح والازهار والرياحين

ومعلوم ان تزيين البيت من اعمال المرأَة وهي تتعلم ذلك من امها ومن جارتها ومن معلمتها. اما المرأَة المصرية فلا امل ان تتعلم ذلك من امها ولا من جارتها لانهما لا تعلمان من اساليب تزيين البيوت غير ما تعلمهُ هي . فالمعلمة هي المطالبة بتربية هذا الذوق في البنات لا بالوصايا وحفظ القواعد لان ذلك لا يكفي ما لم يقترن بالعمل بل بمطالبة البنت وهي في المدرسة بترتيب غرفتها وغرفة المقعد وغرف المعلمات وتنويع وضع الاثاث فيها من وقت الى آخر . ويجب ان يكون ذلك قسماً من التدريس في مدارس البنات في هذا القطر ولو لم يكن في الاقطار الاوربية لان البنات يتعلمنهُ هناك في بيوتهنَّ واما هنا فلا سبيل الى تعلمهِ الآن الاَّ في المدرسة

حال المرأة في هذا القرن

اقترحت احدى المجلات الاميركية على ستة من الكاتبات الشهيرات ان تكتب كلٌّ منهنَّ رايها في ما يصير اليهِ حال المرأة في القرن العشرين

فكتبت الاولى منهنَّ وهي السيدة اليصابات ستانتون ما مفاده ان ما يرى الآن من فساد الآداب ناتج عن امتهان المرأة فاذا أُبيح لها شرعاً وديناً ان تتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها الرجل تربت فيها عزَّة النفس وترفعت عن الدنايا واضطرَّ الرجال ان يكرموها كما يكرم بعضهم بعضاً

وكتبت الثانية وهي لِلي دِفُرو بِلاك ما مفاده انهُ رغماً عن احتقار النساء مدة قرون كثيرة وامتهانهنَّ ظهرت مزيتهنَّ على الرجال كلما لاحت لهنَّ فرصة. فجنود اسرائيل قادتهم دبورة حينما عجز كالب عن قيادتهم وجنود فرنسا قادتهم جان دارك حينما قُهر جنرالية فرنسا . واليصابات

ملكة انكلترا وماريا تريزا ملكة النمسا وكاترين ملكة روسيا فقن الملوك الذين سبقوهن او لحقوهن. وما من احد يجادل الآن في كفاءة المرأة واقتدارها على القيام بالاعمال التي يقوم بها الرجل وهي لا تشغل الآن منصباً مما يشغله الرجال عادة الا بعد ان يثبت انها اكفى من الرجل لذلك المنصب

وكتبت هريت سبوفرد ان ما مرّ على المرأة من عصور الاستعباد اضعف قواها واعتمادها على نفسها . ولكن الاساليب الحديثة لتعليمها وتهذيبها قد تقوي فيها مبدأ الاستقلال والاعتماد على النفس فتنتظم في سلك المخترعين والمستنبطين وتتولى الاعمال على انواعها واذا لم تقوَ على الاعمال الشاقة كما لا يقوى عليها كثيرون من الرجال فلا تتعذّر عليها الاعمال الاخرى التي لا تقتضي قوة بدنية شديدة. وقد اظهر النساء كفاءتهنّ لتولّي الاشغال العقلية كالطب والقضاء. وكثيراً ما اعترض على انهنّ لا يستطعن الحرب كأن ليس للانسان عمل آخر غير الحرب او كأن كل الرجال قادرون عليها ومع ذلك فللنساء عمل كبير في ميادين القتال لا يقلّ نفعهُ عن عمل الجنود وهو الاعتناء بالمرضى والجرحى . ثم اذا اعطيت المرأة حقها في نظام الامم تصير الحروب اقل مما هي الآن كثيراً فتكون المرأة اكبر مبطل لها

وقالت غراس غرينوود اني ارى في كبر سني تعزية لي وهي تذكّري الزمن الذي ابتدأ فيهِ تحرير المرأة . وارى كثيرات من بنات نوعي يبذلنَ جهدهنّ الآن في اتمام هذا التحرير وجعل المرأة مساوية للرجل في كل الحقوق ولكني لا ارى انهنّ ينلنَ ذلك ما لم تتساوَ المرأة بالرجل في نظر الدين اولاً فاذا كانت السماء للرجال والنساء على حدٍّ سوى فالدين للرجال والنساء على حدٍّ سوى ويجب ان تكون الخدمة الدينية مباحة للجميع من غير تمييز

وقالت بلنثا لوكوود ان انتظام النساء الاميركيات في سلك العمّال كان نتيجة لازمة عن تعلمهنّ . وقد صارت الاعمال تعمل الآن بآلات متقنة تقتضي عقولاً حاذقة لادارتها فناظرت المرأة الرجل في هذا المضمار وارتفع مقامها في عينيهِ وفي عيني نفسها . وصرنا الآن نعلّم البنات لا لكي يتزوجنَ بل لكي يعملنَ الاعمال اللازمة لمعيشتهنّ وا نقائهنّ كما نعلم الصبيان لا لكي يتزوجوا بل لكي يعملوا و يشتغلوا . وستشتدُّ المناظرة بين الرجال والنساء ولكن تبقى الاعمال الكبيرة التي تقتضي رأس مال كبير في يد الرجال مدة النصف الاول من هذا القرن . وقد فتحت ابواب الصناعات للنساء فقام منهنّ الطبيبات والمحاميات والقسيسات ونجاحهنّ شجع غيرهنّ على اقتفاء خطواتهنّ . ولم يعد يستغنى عن الطبيبة الآن في مدن كثيرة ولاسيما في بلدان المشرق . وقد انتظم النساء في سلك رجال السياسة في الولايات الجديدة من بلادنا

وسيزيد عددهنَّ سنة بعد سنة. ولقد قال لي سفير الصين في بلادنا بعد ان شاهد تقدُّم نسائنا اني لا اعجب اذا انتخب الاميركيون رئيسة لحكومتهم بدل الرئيس يوماً ما ولكن لا بدَّ من ان يصير النساء وزيرات قبل ذلك

وقالت كات وودس ان المرأة تحاول الآن مجاراة الرجل وهو اقوى منها وكل الوسائط في يدهِ لا في يدها ولكنها نالت مع ذلك نصيباً وافراً من النجاح فجلست في مجلس القضاة والمحامين وتعلمت صناعة الطب ونجحت فيها وظهر من مهارتها في ادارة الاعمال الكبيرة ما اعجب بهِ رجال السياسة ورؤساء المعامل والغالب ان هؤلاء النساء يظهرن في الولايات الغربية وهنَّ الآن يستخدمنَ في البنوك ومنهنَّ مديرة لاحد البنوك الكبيرة

وقد بارى النساء الرجال في ميادين الشعر والانشاء ونزعن منها الغشَّ والرياء وسينزهنها عما يقصد بهِ التوهيم والاغراء . ومفاد ذلك كلهِ ان يصلح حال الازواج والزوجات والاباء والامهات والبنين والبنات وحال العالم اجمع . انتهى بتلخيص كثير



البرسيم الحجازي

كتب المستر بونابرت من مدرسة الزراعة المصرية مقالةً مسهبة في انواع العلف المستعملة في القطر المصري اسهب فيها الكلام على البرسيم الحجازي فقال انهُ يفوق كل انواع العلف بقدمهِ وانتشار زراعتهِ وغزارة ما يحش منهُ وطول اقامتهِ في الارض وتحمُّلهِ الحر والبرد والعطش . وقد وُجد برياً في بر الاناطول وجهات مختلفة من بلاد فارس وافغانستان وبلوخستان وكشمير وزراعتهُ منتشرة الآن في جنوبي فرنسا وفي ايطاليا وبلاد المجر وكل البلدان الحارة في جنوبي اوربا وكان اليونان والرومان يعرفونهُ وقد اتوا بهِ من بلاد مادي وقت حرب الفرس سنة ٤٧٠ قبل المسيح وانتشر في اوربا من بلاد اليونان وأُتي بهِ الى مصر من فرنسا

وهو نبات دائم جذرهُ طويل تغور فروعهُ في الارض الى عمق عميق يتحمل تقلبات الحرارة والبرودة والعطش الشديد لعمق جذورهِ في الارض . تنبت لهُ فروع كثيرة من قمة جذرهِ طول الفرع منها من قدم الى ثلاث اقدام والمتوسط قدمان وهي كثيرة الورق . ولعمق

جذوره في الارض يجود في الاراضي العميقة التربة التي ترابها في طبقتها السفلى غير متماسك لكي يسهل على جذوره الامتداد فيها . ولا بدَّ من ان تكون الطبقة السفلى جيدة التربة سواء كانت الطبقة العليا جيدة التربة او غير جيدة . ولا بدَّ لهُ من كثير من الجير والبوتاس ولذلك يجود اذا كانا كثيرين في الارض واحسن الاراضي لهُ الارض الرملية الخصبة التي فيها جير وطبقتها السفلى كثيرة المسام . ويجود ايضاً في الاراضي الطفالية التي طبقتها السفلى كثيرة المسام بل في الرمال التي طبقتها السفلى جيدة فيها تراب جيري

وتعد الارض لهُ بالحرث الجيد العميق والتمهيد حتى ينعم ترابها . ويزرع من ١٥ مارس الى ١٥ مايو . واصلح الاوقات لزرعه اواسط ابريل وهو يزرع في خطوط البعد بينها ٣٠ الى ٣٥ سنتمترًا ليسهل عزقها ويكون امتداد الخطوط شرقًا وغربًا . ومقدار التقاوي من ٣ ارباع الى كيلة ونصف للفدان ثم تغطى باليد وتروى ريًّا خفيفًا

ولا بدَّ للبرسيم من سباخ كثير ويستعمل لهُ السباخ البلدي ويوضع لهُ السباخ قبل زرع التقاوي ثم يسبخ مرة كل سنة في شهر يناير او فبراير ويلزم للفدان من ٥٠ الى ٥٧ حمل جمل اي من ١٠ امتار مكعبة الى ١٥ مترًا من السباخ البلدي ولا بدَّ من نزع الاعشاب التي تنبت بينهُ لانهُ لا يجود في الارض ما لم تكن خالية من الاعشاب وما لم تكن محروثة جيدًا وناعمة التراب ولذلك لا بدَّ لهُ من العزق مرارًا عند اول زرعه ثم يعزق بعد كل حشة بعشرة ايام الى ١٥ يومًا

ولا بدَّ لهُ ايضًا من الري الغزير المنتظم فيروى في اول الامر مرة كل اسبوع او عشرة ايام الى ان يحش اول مرة . ثم يروى بعد ذلك مرة كل ١٠ ايام الى ١٥ اكتوبر اما في فصل الشتاء فلا يحتاج الى ري كثير

ويستمر البرسيم في الارض في القطر المصري ٣ سنوات او اربع سنوات ثم يقل محصولهُ فتحرث الارض وينزع منها . ويمكن حشهُ مرة كل ٣٥ او ٤٠ يومًا من ابريل الى دسمبر واما من دسمبر الى مارس فلا يحش الا مرة ولذلك يحش في السنة ٨ مرات. ولا بدَّ من حشه قبلما يزهر . والحش افضل من الرعي . ومقدار البرسيم الذي يحش من الفدان ٤٥ طنًا انتهى ملخصًا

هذا لا يخفى ان الارض التي تصلح لزرع البرسيم الحجازي وريها وافٍ تصلح ايضًا لزرع القطن ومهما زادت غلة البرسيم الحجازي لا يزيد ايجار فدانها على ستة جنيهات اي لا تزيد قيمة غلة الفدان على سبعة جنيهات او ثمانية في السنة ولكن قيمة غلة فدان القطن تبلغ ذلك او تزيد عليهِ ويمكن زرع زراعة اخرى مع القطن . وزد على ذلك ان استعمال البرسيم الحجازي لمواشي القطر المصري لا غير فلا يمكن ان يتسع نطاق زراعتهِ الا بمقدار ما تمسُّ الحاجة اليهِ

المعرض الزراعي

تأخر افتتاح المعرض الزراعي هذا العام بسبب وفاة ملكة الانكليز كان ميعاد افتتاحهِ يوم الخميس في ٢٤ يناير فتأخر الى ٢٦ منهُ وزارهُ يومئذٍ الجناب الخديوي ومعهُ دولتلو البرنس ابرهيم باشا حلمي الساعة ٢/١ ١٠ قبل الظهر وطاف في اقسامهِ كلها وبقي فيهِ نحو ساعة ونصف وكان ذلك اليوم شديد العواصف والامطار ولذلك لم يزرهُ فيهِ كثيرون ثم كثر عدد الزوار في اليوم التالي وما بعدهُ

وقد اتسع نطاق المعرض هذا العام لكثرة ما عرض فيهِ من الآلات والادوات التي تستعمل في الزراعة ولاسيما آلات البخارية التي تستعمل لرفع الماء ثابتة ومتحركة مما يدار بحرق الفحم والحطب ومما يدار بحرق زيت البترول. ومن اخص ما يذكر من هذا القبيل آلة بخارية عرضها محل الن والدرسن يحرق فيها الفحم او البترول وهي تدير آلة للدراسة وعرض آلة بخارية صغيرة من نوع التربين اي انها تدور بخروج البخار منها على المبدإ القديم الذي ذكرهُ هيرون الاسكندري قبل التاريخ المسيحي ولم يعطَ حقهُ الاَّ في العام الماضي. ومن ذلك آلة بخارية عرضها محل نحمان قوتها ١٥ حصاناً تدار بالبترول ومقطوعيتها ٧ لترات في الساعة وآلة اخرى تنقل القوة منها الى آلة كهربائية ومنها الى آلات اخرى تحرّك بها

وعرض محل غوين آلة بخارية قوتها ١٥ حصاناً ترفع الماء خمسة امتار وتصبُّ منهُ ٢٥٠ متراً مكعباً في الساعة

وعرض محل الن والدرسن ايضاً آلة لضرب الارز تقشر ٨٠٠ اقة في اليوم وهي اختراع اميركي جديد وآلة لفرز التقاوي الكبيرة عن الصغيرة وآلة لتذرية القمح وآلة لعصر الزيت من بزرة القطن او السمسم او نحوهما وذلك ان الحبوب تمر بين اسطوانتين فتطحن ثم ترسل الى مرجل (قزان) فتلينها الحرارة وتسير من هناك الى قسم آخر من الآلة حيث تفرغ في قوالب وترسل الى معصرة مائية فتعصرها وينصب الزيت المعصور في اناء تحتها ثم ينقى الزيت برشحة. وقد قيل لنا ان ذلك كلهُ لا يستغرق غير خمس دقائق. وهناك آلة لصنع اقراص الكسب مما يبقى من البزرة بعد عصر الزيت فيها لتعليف الدواب والمواشي وقد عرض في هذا المحل طلمبات مختلفة الاشكال وآلات لطحن الحبوب وآلة لقرط البرسيم من صنع محل مكورمك الاميركي المشهور وهي تعمل عمل ٢٤ عاملاً في اليوم اي انها تقطع برسيم ستة افدنة وآلة لفرز البنجر وغير ذلك مما يحتاج اليهِ الزارع في زراعتهِ

وعلى مقربة من محل الن والدرسن هذا محل جابي اخوان وشركاهم . وقد ارانا فيهِ حضرة

مهندسه الموسيو بولاتشك وابورلوكوموبيل يوقد فيه زيت البترول وقوته ٦ احصنة وطلمبا تصب مئتي متر مكعب في الساعة وقد نالت الجائزة الكبرى في معرض باريس العام سنة ١٩٠٠ والجائزة الاولى في المعرض الزراعي هذه السنة

وعرض الخواجات ستيمان ومباردي آلات عديدة كثيرة النفع للمزارعين منها آلة للدراسة كان اصحاب المحل اول من اتى بها الى هذا القطر فاقبل عليها كبار المزارعين وآلة لتفريط الذرة تفرط ٢٠٠ اردب في اليوم استحضرت هذه السنة وآلة لغربلة حبوب البرسيم احضرت في السنة الماضية وقد وجه الخواجه مباردي انظارنا خصوصاً الى الطلمبات التي عرضها في محله من احسن طرز انكليزي وفرنسوي ولا سيما الطلمبات الفرنسوية منها

وعرض محل الخواجا انطون قلادة وكيل شركة ميدلاند آلات متعددة منها وابور لوكوموبيل نال الجائزة الاولى في السنين الماضية ومطاحن ومثاقب وطلمبات فمنح هذه السنة الجائزة الاولى الذهبية على محراث جديد وهو اخف من المحراث البلدي بنحو الثلث على ما اخبرنا ومن مزاياه انهُ يقلب التربة في حرث الارض الى جهة واحدة ذهاباً واياباً لوجود سلاحين فيه واحد للذهاب وواحد للاياب ولهُ سكين امامهُ يقطع بها جذور الاشجار اذا وجدت في طريقه

وارانا الخواجه ارتين انترانيجيان آلة للتذرية اخترعها فنال عليها الجائزة الاولى هذه السنة وهي تذري ٤٠ اردباً من الحبوب في اليوم ويديرها رجل واحد بيده على اسهل اسلوب فتخرج الحبوب مذراة بها جيداً

وعرض محل ارثور كوبل سكة حديدية زراعية وعربات لنقل التراب والرمل والسماد والحجارة والفحم وقصب السكر وعربات لنقل البضائع المختلفة ومثالاً من السكة الحديدية التي تسير بالكهربائية

وعرض محل نحمان ادوات حفر الآبار الارتوازية والآبار الحبشية واشكال طبقات الارض التي حفرت لبئر في الفيوم عمقها ٥٥ متراً

وعرض محل نيدلنجر آلات الخياطة من طرز سنجر وهي كثيرة مختلفة الانواع والاشكال فمنها آلات لخياطة الثياب على اختلاف اشكالها ولخياطة الجلد لصنع الاحذية وخياطة الجلد السميك للسروج وخياطة اكياس الخيش وعمل برانيط القش والشمسيات وخياطة الازرار على الجلد الى غير ذلك مما يظهر باجلى بيان كيف تنوب الآلات عن الانسان في هذا الزمان وكيف تعمل الآلة الواحدة في دقيقة ما لا يعملهُ عدة عمال في ساعة فلا عجب اذا رخصت اسعار المصنوعات رخصاً عظيماً عاماً فعاماً

ويلي معرض نيدلنجر معرض الكنس والرش وما فيهِ من السروج وعدد الخيل وغير ذلك من المصنوعات المتعددة الاشكال التي يصنعها صناع من الاهالي ويتقنون صنعها اتقانًا عظيمًا حتى يظنها الناظر صنع البلاد الاوربية لا صنع الديار المصرية ويلي ذلك معرض مدرسة المهندسخانة ونظارة الاشغال . وهناك يتذكر الناظر معرض باريس مما يرى امامهُ من مُثل القناطر والمصارف والسدود والسواقي والمرشحات ومثال الانتكخانة المصرية الجديدة ومثال ديوان الاوقاف ودار التحف العربية الى غير ذلك من المصنوعات المتقنة الجميلة

وكان معرض المواشي حسنًا جدًّا تبارى فيهِ بعض ارباب الزراعة عدا دائرة الخاصَّة الخديوية ودائرة القصر العالي وبعض الدوائر الاخرى التي كانت تعرض فيهِ عادةً كما ترى مما يلي

بقر الوجه البحري

ثور يزيد عمرهُ على ثلاث سنوات. نال الجائزة الاولى ثور عرضتهُ دائرة الخاصة الخديوية. والثانية ثور عرضهُ ابرهيم بك مراد. ومدالية الفضة ثور عرضهُ مصطفى باشا البغدادلي. ومدالية البرنز ثور عرضهُ شعراوي بك

ثور يقل عمرهُ عن ثلاث سنوات. نال الجائزة الاولى ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية. والثانية ثور آخر عرضتهُ الخاصة الخديوية. ومدالية الفضة ثور عرضهُ محمود بك حبشي ومدالية البرنز ثور عرضهُ بحري حلاوى

عجل : نال الجائزة الاولى والثانية عجلان عرضتهما الخاصة الخديوية

بقرة حلوب او عشار يزيد عمرها على ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية بقرتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية الفضة بقرة عرضها شواربي باشا ومدالية البرنز بقرة عرضها البرنس ابرهيم حلمي

بقرة عمرها اقل من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية بقرتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية الفضة بقرة عرضتها مدرسة الزراعة . ودبلوما بقرة عرضها سجن طره

عجلة . نالت الجائزة الاولى عجلة عرضتها الدائرة الخاصة والجائزة الثانية عجلة عرضتها مدرسة الزراعة

زوج ثيران خصيَّة شغالة. نال الجائزة الاولى زوج ثيران عرضهُ مصطفى باشا البغدادلي والجائزة الثانية زوج ثيران عرضهُ ابرهيم سعودي وشواربي باشا. ونشان الفضة زوج عرضهُ ابرهيم بك مراد ونشان البرنز زوج عرضتهُ مدرسة الزراعة

بقر الوجه القبلي

كانت الجوائز والنياشين المعينة لبقر الوجه القبلي مثل الجوائز والنياشين المعينة لبقر الوجه البحري والظاهر انهُ لم يعرض من الوجه القبلي غير علي بك شعراوي فنال الجائزة الثانية ثور عرضهُ

جوائز خصوصية

احسن ثور بلدي معروض من الدرجات المتقدمة . نال الجائزة ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية

احسن بقرة بلدية معروضة من الدرجات المتقدمة . نالت الجائزة بقرة عرضتها الخاصة الخديوية

المواشي الاجنبية

ثور يقل عمرهُ عن ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضهُ بوغوص باشا نوبار

بقرة حلوب او عشار عمرها اكثر من ٣ سنوات . نالت مدالية فضة بقرة عرضتها الخاصة الخديوية

البقر المولدة او المجنسة

ثور عمرهُ اكثر من ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضتهُ دائرة القصر العالي

ثور عمرهُ اقل من ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية ومدالية البرنز ثور عرضتهُ مدرسة الزراعة

بقرة حلوب او عشار عمرها اكثر من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى بقرة عرضها البرنس ابرهيم باشا حلمي والثانية بقرة عرضتها مدرسة الزراعة ومدالية البرنز بقرة عرضها بوغوص باشا نوبار

عجلة عمرها اقل من ٣ سنوات نالت الجائزة الاولى والثانية عجلتان عرضتهما الخاصة الخديوية

عجل من سنة فما دون . نالت الجائزة الاولى والثانية عجلتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية البرنز عجل عرضتهُ مدرسة الزراعة

المواشي المسمنة للذبح

نال مدالية الفضة المواشي التي عرضها البرنس ابرهيم باشا حلمي

الجواميس

جاموس عمرهُ ٣ سنوات فاكثر . نال الجائزة الاولى جاموس عرضتهُ الخاصة الخديوية والثانية جاموس عرضتهُ شركة اراضي ابي قير

عجل جاموس عمره من سنة الى سنتين . نال الجائزة الاولى عجل عرضتهُ الخاصة الخديوية والثانية عجل عرضتهُ دائرة القصر العالي

جاموسة حلوب او عشار عمرها ٣ سنوات او اكثر . نالت الجائزة الاولى والثانية جاموستان للخاصة

عجلة جاموس عمرها من سنة الى ثلاث . نالت الجائزة الاولى عجلة للخاصة الخديوية

الغنم المرعز

كبش عمره اكثر من سنة . نال الجائزة الاولى والثانية كبشان للخاصة . ومدالية الفضة كبش لبوغوص باشا نوبار

ثلاث نعاج عشار اومع نتاجها . نالت الجائزة الاولى نعاج للخاصة والثانية نعاج لبوغوص باشا نوبار والدبلوما نعاج لمدرسة الزراعة

الغنم البلدي

خروف عمره سنة فاكثر نال الجائزة الاولى كبش لاسمعيل بك دبوس والثانية خروف لمصطفى باشا وهبي البغدادلي . ومدالية الفضة خروف لمحمود بك حبشي والدبلوما خروف لشواربي باشا

غنم برقة

خروف عمره اكثر من سنة . الجائزة الاولى خروف لمدرسة الزراعة

ثلاث نعاج عشارية اومع نتاجها . الجائزة الاولى لمدرسة الزراعة

الغنم الاجنبية

نعجتان . مدالية الفضة نعجتان لبوغوص باشا نوبار

المعزى البلدي

الجائزة الثانية لتيس عرضهُ حسن ابيه

المعزى الاجنبي

جائزة اولى لتيس عرضتهُ الخاصة الخديوية وجائزة اولى لثلاث نعاج عرضتها الخاصة الخديوية وجائزة اولى ثلاثة جداء للخاصة الخديوية ايضاً

الجمال والهجن

نال الجائزة الاولى جمل لمخالي فلتوس والثانية جمل لشواربي باشا ومدالية الفضة جمل لعلي بك شعراوي

الخيل

نال الجائزة الاولى فرس صالح لاعمال الزراعة عرضهُ البرنس عمر باشا طوسن والثانية فرس عرضهُ ابو زيد طنطاوي

البغال

نال الجائزة الاولى والثانية بغلان لمصلحة التنظيم ونال بغل للبرنس عمر باشا طوسن شهادة

الحمير

حمار لانتاج البغال . نال الجائزة الاولى حمار للبرنس عمر باشا طوسن والثانية حمار الدائرة الخاصة . وشهادة حمار للجنة انتاج الخيول

حمار بحري . نال الجائزة الاولى حمار للدائرة الخاصة والثانية حمار لمسيو دلانوى

اتان بحرية نالت الجائزة الاولى اتان للدائرة الخاصة

ستأتي البقية

ومما يؤسف عليهِ ان اهالي الوجه القبلي لم يعرضوا شيئاً من المواشي في اكثر ابواب هذا المعرض مع انهُ عُيِّنت جوائز لمواشيهم كما عُيِّنت جوائز لمواشي الوجه البحري

التجارب في زراعة القطن

لخص جناب المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية التجارب التي جربت في زراعة القطن بالجيزة في السنة الماضية بالعبارات الآتية بحروفها

١ يمكن الاستفادة باستعمال الاسمدة الكيماوية

٢ ان الاسمدة الموافقة تلجيء الزرع الى سرعة النضج او بمعنى آخر تزيد في نسبة ما يحصل في اول جمعة

٣ ان سباخ نيترات الصودا يؤثر تأثيراً مضرًّا في القطن فيضطرهُ الى النمو السريع ويوجد داخل نباتاتهِ الرطوبة و بذلك يؤخر نضجهُ

٤ ان وضع الفوصفات القابلة للذوبان في الارض على شكل الفوق فوصفات انتج نتيجة حسنة

٥ ان وضع الاسمدة البوتاسية على شكل الكاينيت تفيد الارض ولكن زيادة المحصول لا تكون بقدر الزيادة الناتجة عن الفوق فوصفات

٦ ان الفوصفات غير القابل للذوبان لا يفيد الارض كثيراً مثل الفوصفات القابل للذوبان

٧ ان الاسمدة غير الحاوية للنتروجين اذا وضعت في اراضي ضعيفة لا تفيد فائدة تذكر

٨ ان نيترات الصودا تؤَثر تأْثيرًا حسنًا في الاراضي الضعيفة وان كان يستحسن كما ذكرنا قبلاً ان تخلط باسمدة اخرى قبل وضعها

٩ ان سباخي المواشي والبودرت يزيدان المحصول على العموم ولكن كما قلنا في مثل هذا الاوان في العام الماضي فلا يكثر من سباخ المواشي لانهُ يتلف الشعر

١٠ انهُ استنتج من وضع مقادير متساوية من البودرت بجملة طرق ان التكبيش افضلها

١١ ان الزراعة الواسعة عادت بزيادة في المحصول ونسبة عالية في متحصل الجمعات الاولى

[المقتطف] حبذا لو اسهب المستر فودن في وصف هذه التجارب وذكر اوصاف الارض التي أُجريت فيها ونفقات التسميد ومقدار الفائدة منهُ بالارقام ولو ذكر ايضًا الطرق التي يُمتحن بها السماد الصناعي لمعرفة ما فيهِ من المواد المفيدة كالفصفات القابل الذوبان . وحبذا لو منعت الحكومة بيع السماد ما لم يكن معهُ شهادة منها بمقدار ما فيهِ من المواد التي يتوقف فعلهُ عليها دفعًا للغش



السيارات وحركاتها في شهر فبراير ١٩٠١

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويقطع تبانهُ الاعظم وهو ١٨° و٦َ شرقًا نصف الليل بين ١٩ و٢٠ الشهر ويرى في الشفق اياماً نحو ذلك الوقت . وحركتهُ مستقيمة الى نصف الليل بين ٢٥ و٢٦ الشهر وحينئذٍ يتجه غربًا الى الشمس . ويقطع نقطتهُ الصاعدة في الرابع عشر من الشهر الساعة ٨ مساءً ونقطة الراس في ١٩ الشهر الساعة ١١ صباحًا

الزهرة

الزهرة نجم الصباح وهي مقتربة من الشمس وحركتها مستقيمة و يستنير ٠,٩٤٩ من قرصها في الرابع عشر من الشهر

المريخ

المريخ نجم الصباح حتى ٢٢ الشهر الساعة ٨ صباحًا حينما يمر بالاستقبال و يقطع حينئذٍ

الهاجرة نصف الليل ثم يصير نجم المساء ويبلغ نقطة الذنب في الخامس والعشرين الساعة ١٠ صباحاً . ومعلوم ان اهليلجية المريخ عظيمة جداً ولوقوعهِ في نقطة الذنب وقت الاستقبال يعسر رصدهُ فكل ما يقال عن الاكتشافات فيهِ يجب ان يؤخذ بالحذر الشديد

المشتري

المشتري نجم الصباح يقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٩ والدقيقة ٢٥ صباحاً وفي ٢٨ منهُ الساعة ٨ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

زحل

زحل نجم الصباح ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ١٠ والدقيقة ٥ صباحاً وفي الثامن والعشرين منهُ الساعة ٨ والدقيقة ٢٧ وحركتهُ مستقيمة

واورانوس يقطع عقدتهُ النازلة في الخامس عشر الساعة ٣ صباحاً ويقطع الهاجرة في الرابع عشر الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ صباحاً . ويكون نبتون على الهاجرة يومئذٍ الساعة ٨ مساء

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة		
في ٦	٠	صباحاً	يقترن بالمريخ فيقع ٩° ٥٤َ شماليهُ
١٥	٧	"	" بالمشتري " ٢° ٥١َ جنوبيهُ
١٥	٩	مساء	" بزحل " ٣° ٣َ "
١٧	١١	"	" بالزهرة فتقع ٥ ٤٩َ "
٢٠	٣	"	" بعطارد فيقع ٣ ٢٩َ "

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٣	٥	٣٠	مساء	البدر
١١	٨	١٢	"	الربع الاخير
١٩	٤	٤٥	صباحاً	الهلال
٢٥	٨	٣٨	مساء	الربع الاول
٩	٤,٩		صباحاً	في الحضيض
٢١	٤,٧		مساء	في الاوج

باب التقريظ والانتقاد

خاتمة رسائل اخوان الصفا

رسائل اخوان الصفا كتاب قديم مشهور ذكرهُ الوزير جمال الدين ابو الحسن القفطي المتوفَّى سنة ٦٤٦ هـ في كتابهِ تراجم الحكماء وذكر رسالة كتبها ابو حيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٣ هـ وصف فيها كيف أُلفت هذه الرسائل فقال " ان زيدًا بن رفاعة (وهو من معارفهِ) اقام بالبصرة زمانًا طويلاً وصادق بها جماعة منهم ابو سليمان محمد بن مشعر البستي وابو حسن علي هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وغيرهم وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهبًا زعموا انهم قرَّبوا بهِ الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا ان الشريعة قد دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الاَّ بالفلسفة لانها حاوية الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انهُ متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنَّفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة علميّها وعمليّها وسموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوها بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة . وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات. وحملتُ عدةً منها الى شيخنا ابي سليمان السجستاني وعرضتها عليهِ فنظر فيها اياماً وتبحَّر طويلاً ثم ردَّها عليَّ وقال تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما أُجروا وحاموا وما وردوا وغنُّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا فلفلفوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انهم يمكنهم ان يدسُّوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى والمنطق في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونهُ جدد وقد تورَّك على هذا قبل هؤُلاء قوم وكانوا اعظم اقدارًا وارفع اخطارًا واوسع قوًى واوثق عرًى فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا منهُ ما املوهُ لان الشريعة مأخوذة عن الله عزَّ وجلَّ بواسطة السفير بينهُ وبين الخلق من طريق الوحي والمناجاة وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنهُ والغوص فيهِ ولا بدَّ من التسليم المدعو اليهِ والمنبَّه عليهِ وهناك يسقط لمَ وبطل كيف ويزول هلاَّ ويذهب لو وليت " . انتهى ملخصًا مما ذكرهُ احمد بك زكي في رسالة منهبة لهُ في هذا الموضوع طبعت سنة ١٣٠٨ هجرية وقد

انتبهنا اليها اتفاقاً حالما مسكنا القلم لتقريظ هذه الرسالة ويظهر منها جليًّا ان ما قالهُ التوحيدي والسجستاني يؤيد ما ذكرناهُ في الجزء الماضي عند الكلام على ضرر المطابع وما نجاهر بهِ دائماً وهو ان محاولة بعض الكتَّاب تعزيز القضايا العلمية بالامور الدينية والامور الدينية بالقضايا العلمية ليست من الحكمة في شيءٍ

ورسالة اخوان الصفا التي نحن بصددها فيها وصف " تداعي الحيوانات على الانسان " لدى ملك الجان ويقال فيها ان سفينة طرحتها الرياح على جزيرة فنزل مَن فيها الى الجزيرة واستوطنوها وسخروا الحيوانات التي فيها حسبما كانوا يفعلون في بلادهم فذهب زعماء الحيوانات وخطباؤها الى ملك الجان وشكوا اليهِ امرهم فجمع سبعين رجلاً من الذين كانوا في السفينة وتداعى الفريقان امامهُ فامر الملك اخيرًا " ان تكون الحيوانات باجمعها تحت اوامر الناس ونواهيهم "

ويظهر مما ذكرهُ اخوان الصفا عن لسان الناس والبهائم انهم كانوا مطَّلعين على كتب العلم اليونانية التي تُرجمت الى العربية فاخذوا مقولاتها وتوسعوا فيها بالزيادة والنقصان ومزجوا بها آراءهم واوهامهم واضافوا اليها من الآيات والاحاديث ما ظنوهُ مؤيدًا لها لكي يربطوا الشريعة بالفلسفة فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا ما املوهُ كما قال السجستاني واجاد

والرسالة مطبوعة طبعًا حسناً على ورق جيد جدًّا في مطبعة دار الترقي

المرأة الجديدة

يرى المطَّلعون على تاريخ الامم ومسير العمران ان لا بدَّ لاهل الاسلام من ثورة اصلاحية مثل الثورة التي اوقد نارها لوثيروس في اوربا فيقابل زعماء هذه الثورة بالتكفير والحرمان كما قوبل لوثيروس وانصارهُ ولكن الاصلاح الذي ينادون بهِ يفوز فوزًا مبينًا فوق ما قدَّروهُ لهُ ويسير في منهاج اصح من المنهاج الذي وضعوهُ . واذا صحَّ هذا الرأي فيكون صاحب كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وصاحب مقالة النساء في الاسلام وصاحب جريدة المنار من زعماء هذه الثورة الاصلاحية وتكون الثمرة الاولى التي يجنونها تكفيرهم او حرمانهم لكن يلتفُّ حولهم كثيرون من العقلاء الذين يغارون على امتهم واوطانهم ويناضلون ويساجلون الى ان يستتبَّ لهم الفوز اخيرًا

وكتاب " المرأة الجديدة " اصغر حجمًا من كتاب تحرير المرأة واقل مادةً لكن فصولهُ اكثر انسجاما من فصول ذاك على ما يظهر لنا واقوى ادلة . وقد اطلق مؤلفهُ العنان لقلمهِ فجاهر

بغرضهِ كلهِ من اول سطر خطَّهُ فيهِ قال " المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث" فجمع في ثماني كلمات زبدة الكتاب وزبدة آرائهِ فيهِ وترك خصومهُ وخصوم العمران الاوربي يتقوَّلون ما شاؤوا . ثم فصَّل هذا القول المجمل في المقدَّمة وزادهُ تفصيلاً وايضاحاً في الفصول الخمسة التي تلتها فقال في المقدّمة انهُ بدأ ظهور المرأة الجديدة" في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلَّصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات وسلمتهُ قيادة نفسهِ ورسمت لهُ الطريق التي يجب ان يسلكها . ذلك حيث اخذ العلم يبحث في كل شيء وينتقد كل رأي ولا يسلم بمقال الاَّ اذا قام الدليل على ما فيهِ من المنفعة العامة وانتهى بهِ السعي الى ان ابطل سلطة رجال الكنيسة والغى امتيازات الاشراف ووضع دستورًا للملوك والحكام واعتق الجنس الاسود من الرق ثم اكمل عملهُ بان نسخ معظم ما كان الرجال يرونهُ من مزاياهم التي يفضلون بها النساء ولا يسمحون لهنَّ بان يساوينهم في شيء منها ". ومفاد ذلك ما اثبتهُ في السطر الاول من المقدمة وهو" ان المرأة الجديدة ثمرة من ثمرات التمدُّن الحديث" كالآلة البخارية والتلغراف والتلفون ولا شأن في وجودها لمزايا الامم الشمالية المتطلّبة الحرية ولا للديانة المسيحية التي جعلت قديساتها كثيرات مثل قديسيها وكاد بسطاؤُها يعبدون العذراء المباركة كما يعبدون ابنها. ولا شبهة في ان المكتشفات العلمية خلصت العقل من سلطة الاوهام فابطل سلطة رجال الكنيسة والغى امتيازات الاشراف وكان لذلك الشأن الاكبر في ارتقاء الامم الاوربية رجالاً ونساء ولكن لا ينكر ايضاً ان امم الشمال اطلب للحرية من غيرها وان الديانة المسيحية مهدت السبيل لهذه الحرية ولهذا الارتقاء العقلي

وذكر في الفصل الاول كلاماً مختصرًا عن حال المرأة في العصور الاولى ثم عند اليونان والرومان والعرب وانتقل بغتةً الى حالها في اوربا واميركا الآن ولخَّص ذلك بقولهِ " عاشت المرأة حرَّةً في العصور الاولى حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعتُرف للمرأة بشيء من الحق ولكن خضعت لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تُمتع بالحقوق التي اعترف لها بها ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة . وتساوت بالرجل في جميع الحقوق . اربعة احوال يقابلها اربعة ادوار من تاريخ التمدن في العالم " . ثم قال ان المرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث اي انها معترف لها بشيء من الحق ولكنها خاضعة لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تُمتع بالحقوق التي اعترف لها بها. وان ذلك من توابع الاستبداد السياسي الذي يخضعنا ونخضع لهُ

واسهب في هذا الفصل والفصول التالية في الشروح الفلسفية والقضايا النظرية وتطبيق ذلك على حال النساء في هذه البلاد والبلدان الاوربية والاميركية وانصف النساء الاوربيات ودفع عنهنَّ ما يرميهنَّ بهِ بعض السفهاء الذين ذهبوا الى اوربا ولم يعاشروا من اهلها سوى المومسات وبعض الكتّاب الذين يبنون العلالي والقصور على احصاءٍ اخطأُوا في قراءتهِ وفهمهِ ثم ابى عليهم تشيُّعهم الذميم ان يصلحوا خطاءهم . وبلغ منهُ حب الانصاف والانتصاف مبلغهُ في الفصل الخامس الذي نشرنا نحو ثلثهِ في هذا الجزء من المقتطف وهو ابلغ فصول الكتاب واقواها حجة واوضحها دليلاً بل هو القسم العملي منهُ الذي يجب الجري عليهِ . وقد جاهر فيهِ بما يتعذَّر على غيرهِ المجاهرة بهِ فقال " ان المدنية الاسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتّاب الذين وصفوها بما يحبُّون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وانها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ولا نستغرب انها اخطأَت في فهم طبيعة المرأَة وتقدير شأْنها فليس خطأُها في ذلك اكبر من خطإِها في كثير من الامور الاخرى ... وان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشدهُ الامهات من الغناء لتنويم الاطفال "

واننا ننصح لكل اديب يغار على خير وطنهِ ويسعى الى اصلاحهِ ان يطالع هذا الفصل بالامعان فانهُ يجد فيهِ الدليل المقنع على وجوب تعليم المرأَة ومنع كل ما يضعف قواها الادبية والعقلية والبدنية

وقد كان لهذا الكتاب وقع عظيم عند جمهور الفضلاء والادباء في هذا القطر فكتب كثيرون منهم يقرظونهُ ويشكرون مؤَلفهُ على ما بذلهُ من الهمة في وضعهِ ونشرهِ من ذلك ما كتب بهِ اليهِ عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار قال

عزيزي قاسم بك

قرأْت مع التأمل كتابكم الثاني " المرأَة الجديدة " فرأَيتكم قد اصبتم فيهِ موضع العلة من الامة واحسنتم التشخيص ودللتم على انجع الدواء وأَيدتم باجمل اسلوب ما ذهبتم اليهِ في كتابكم الاول " تحرير المرأَة " من ان العائلة لا يمكن ان تكون وسطاً صالحاً لنماء الفضيلة ولا تتقدم الهيئة الاجتماعية في بلادنا تقدماً حقيقيًّا من دون تربية المرأَة على الفضيلة والعلم وان هذه التربية لا تتم مع وجود الحجاب كما هو معروف الآن

ويسرُّني ان اقاسمكم الاعتقاد بصحة هذا الرأْي والرغبة في تحقيقهِ وان اهنئكم على النباهة في الالتفات اليهِ والبراعة في تصويرهِ والبلاغة في التعبير عنهُ والشجاعة في نشرهِ والثبات في تأْييدهِ والادب في الدفاع عنهُ

واؤمل ان تعبكم في الفكر والتأليف والنصح لا يضيع سدًى وان هذه البذرة التي وضعتموها تثمر الثمرة المقصودة لكم فتنتظم حال العائلة وتبلغ الامة من الكمال ما يتمناهُ كل محب لخيرها

نعم ان هذا يحتاج الى زمان طويل ولكنهُ يقصر بمشيئة الله اذا دامت عنايتكم بتعيدهِ وساعدكم عليهِ امثالكم من الفضلاء

وانكم وان لم تجدوا في الزمن الحالي كثيرًا من الانصار فسيكون لكم المستقبل كلهُ من الاعوان يشكركم اهلهُ كلما شعروا بسعادة منزلية او وجدوا اثرًا للفضيلة في الهيئة الاجتماعية

اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم مصطفى فهمي

والمقتطف يكرر لحضرة المؤلف ما قالهُ الوزير الحكيم رئيس النظار في خاتمة كتابهِ "اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم"

سمير العائلات

من آثار النهضة العلمية الحديثة الاكثار من نشر الكتب المفيدة علمية وادبية ترجمةً وتأليفًا وتلخيصًا وهي على درجات مختلفة من الفصاحة في العبارة والانسجام في الشرح والتدقيق في المعنى حسب اختلاف المترجمين والمؤلفين والمصنفين وتضلعهم من المواضيع التي يكتبون فيها

وسمير العائلات كتاب حسن في بابهِ قصد مؤلفهُ بث العلوم الدقيقة من حيث طبائع الحيوان في قوالب الحكايات والاحدوثات القريبة المنال السهلة المأخذ ففرض عائلة مصرية من زوج وزوجة وابن وابنة كانت تجتمع في حلقة البيت ويشرح الابن لاختهِ ما يتعلمهُ في المدرسة من حيث تركيب جسم الانسان . ثم فرض عائلة أُخرى قصَّت الام فيها على اولادها اخبارًا من طبائع القرود وقس على ذلك طبائع الدب والاسد وهلمَّ جرًّا . وسبيل العلم ليس سهلاً الى هذا الحد ولكن القصص والنوادر التي في هذا الكتاب تسلي وتفيد ولا سيما لانها موضحة بكثير من الصور ومكتوبة على اسلوب قريب المأخذ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكرًا جزيلاً

رواية وردة

وردة اسم رواية الفها الدكتور جورج ابرس الالماني وترجمت الى كثير من اللغات الاوربية . وقد قرأْناها بالانكليزية منذ نيف وعشر سنوات وترجمت الى العربية في ادارة المقتطف ولم نشأْ ان نطبعها قبلما نستأذن مؤلفها في نشرها بالعربية . والظاهر ان حضرة محمد افندي مسعود سبقنا الى استئذانهِ فانهُ ترجمها ونشرها وقد اهدى الينا الجزء الاول منها وهو مكتوب بلغة فصيحة مثل كل نفثات قلمهِ فنشكرهُ على ما اتحف بهِ اللغة العربية

تاريخ الانشقاق

اشرنا الى هذا الكتاب حين صدور الجزء الاول منهُ وقد صدر منهُ الجزء الثالث الآن مدبجًا بقلم حضرة مؤلفهِ الفاضل الارشيمندريتي جراسيموس مسرَّة رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية . وهو يبتدئ بتاريخ ما كان بين الكنيسة الشرقية والغربية من العلاقات بعد حروب الصليبيين اي من سنة ١٢٦٠ فما بعد حتى فتح القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر وما حدث في هذه المدة من المجامع وما جرى من السعي لاعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والغربية وذهاب هذا السعي باطلاً . ويلي ذلك خاتمة ذكر فيها ملخص تاريخ الكنيسة الشرقية من بعد فتح القسطنطينية الى الآن . ويعجبنا منهُ ما ذكرهُ المؤلف من معاملة السلطان محمد الفاتح لبطريرك القسطنطينية فانهُ " دعاهُ الى الغداء على مائدتهِ واستقبلهُ بكل ترحاب ومنحهُ امتيازات كثيرة وسلمهُ عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان يفعل قياصرة الروم ثم رافقهُ الى دار البلاط وكان فيهِ جواد من الجياد السلطانية عليهِ عدة ملكية فاركبهُ عليهِ وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوهُ الى كنيسة الرسل واعطاهُ حرسًا خاصًا ولم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الاَّ اجراها بل زاد عليها " ويلي ذلك تفصيل الامتيازات التي منحهُ اياها

والتاريخ كبير مسهب وحبذا لو كان تاريخًا للاتحاد لا للانشقاق



زبيب كليفورنيا

ذكرنا غير مرة ان اهالي كليفورنيا احدى ولايات اميركا اخذوا يناظرون بلدان المشرق ولا سيما الاقطار السورية في ما كان يعدُّ من مزايا هذه البلدان فزرعوا العنب والتين والليمون وعصروا الخمر وصنعوا الزبيب على اشكالهِ ووردت محصولات بلادهم الى الولايات الشرقية من اميركا بل الى اوربا وزاحمت البضائع السورية فيها. وقد رأينا الآن وصف كيفية تيبيسهم للعنب وعمل الزبيب منهُ فترجمناها في ما يلي لكي يرى ابناء المشرق كيف يمكن ان ترخص الحاصلات والمصنوعات ولو غلت اجور الصناع كثيرًا

في كليفورنيا بلد اسمهُ فرسنو سكانهُ عشرون الفاً ويكونون فيهِ وقت قطاف العنب ٤٥ الفاً يعملون من الصباح الى المساء في قطف العنب وتجفيفهِ . ويبتدئ اصحاب الكروم من اول فصل الشتاء في قضبها من عند الارض و يظلُّون يعتنون بها و يذرُّون الكبريت عليها لدفع الحشرات عنها الى اوائل شهر يونيو . واذا كانو ماهرين في ذلك مهارة بعض الكرَّامين في سويسرا فلا عجب اذا امتلأَت كرومهم بعناقيد العنب حتى لا يبقى في قضبانها مكان لنمو الورق كما شاهدنا ذلك عياناً في الصيف الماضي فاننا عددنا في القضيب الذي طولهُ متر عشرة عناقيد او اكثر. لكن الزارع الاميركي يهتم بكبر العناقيد اكثر مما يهتم بكثرتها ولذلك يقطع منها كل العناقيد الصغيرة التي تضعف غيرها

وقد وُجد بالاختبار ان كل ثلاثة ارطال ونصف رطل من العنب يكون منها رطل من الزبيب . وتبلغ غلّة الفدان خمسة اطنان من العنب او طنّاً وربع طن من الزبيب (والطن اثنان وعشرون قنطاراً مصرياً او نحو ثمانمئة اقة) . ومقدار السكّر في الزبيب من ٢٥ في المئة الى ٢٨ في المئة

ويبتدئ قطاف العنب في تلك البلاد في اواخر اغسطس (آب) وهناك ٤٢ الف فدان مزروعة كروماً ويلزم لكل فدان رجل وهو يمسك العناقيد باعناقها من غير ان يلمس الحب بيدهِ و يضعها في اطباق طول الطبق منها ثلاث اقدام وعرضهُ قدمان و يسع ست اقات وتوضع الاطباق في الكروم مائلة الى جهة الشمس وتترك فيها ستة ايام الى ثمانية وتقلب العناقيد بان يوضع طبق فارغ على طبق العنب و يقلب فتنقلب العناقيد الى الطبق الفارغ . ويبقى العنب في الشمس عشرة ايام الى اثني عشر يوماً ثم ينقل الى مكان التعريق وفيهِ صناديق اكبر من الاطباق عمق الواحد منها شبر فتوضع ورقة في قاع الصندوق وفوقها طبقة من عناقيد العنب ثم ورقة وفوقها طبقة من العناقيد وهلمَّ جرًّا حتى يمتلئ الصندوق وتنقل الصناديق الى غرفة مظلمة نقية الهواء ولكنها مقفلة الكوى ويوضع بعضها فوق بعض وتترك في تلك الغرفة ١٥ الى ٢٠ يوماً حتى تعرق جيداً اي حتى تنتشر الرطوبة التي فيها بين كل اجزائها ولا يبقى جزء منها ليناً وجزء صلباً بل تلين كلها على حدٍّ سواء

وترفع عناقيد الزبيب من هذه الصناديق لتوضع في الصناديق التي تباع فيها فيقع منها حبوب كثيرة وقت رفعها فتجمع هذه الحبوب وتنزع العيدان منها وتقسم الى اربعة اقسام حسب جرمها . وعندهم آلات ميكانيكية لتعريب الزبيب ونزع العيدان منهُ ويوكل النساء والبنات بوضع الزبيب في صناديق صغيرة يسع الصندوق منها عشرين رطلاً (نحو سبع اقات)

الى هذا الحد يكون الزبيب الاميركي كالزبيب السوري تقريباً ولا فرق بينهما الأ في ان الزبيب السوري يرش بقليل من ماء الرماد والزيت لكي يبقى ليناً ولا يختمر ولكن الاميركين زادوا على ذلك منذ اربع سنوات ان صنعوا آلات تنزع العجم من الزبيب فانهم يجففون الزبيب اولاً على حرارة ١٤٠ درجة مدة خمس ساعات ثم يبردونهُ تبريداً شديداً وينظفونهُ جيداً ببرشات كبيرة يمر بينها ثم ينقلونهُ الى غرفة حرارتها ١٣٠ درجة ويبسط فيها على نسيج من الاسلاك المعدنية فيلين ويجود طعمهُ جداً وينقل الى آلة نزع العجم (البزر) منهُ فيمر اولاً بين اساطين من الكاوتشوك فتتسطح كل حبة منهُ ويظهر العجم فيها تحت قشرتها ناتئاً منها ثم يمر بين اساطين فيها ابر دقيقة تمسك العجم وتنزعهُ منها وتطرحهُ في جهة اخرى فيخرج الزبيب خالياً من العجم. والآلة الواحدة تنزع العجم من اثني عشر طناً في اليوم. وتبقى حبوب الزبيب سليمة بعد خروج العجم منها حتى لا يكاد يظهر الثقب الذي خرج العجم منهُ . ثم يوضع الزبيب في صناديق صغيرة من الورق يسع الصندوق رطلاً منهُ

قصر القطن

اسلوب جديد

استنبط الاستاذ غوشلن الالماني اسلوباً جديداً لقصر القطن وغيرهِ من الالياف النباتية وهو ان يوضع القطن في مغطس فيهِ ١٠٠ لتر من الماء و١٠ كيلوغرامات من الجير (الكلس) و٥٠ كيلوغراماً من بي كربنيد الصودا ثم يعرَّض لفعل البخار ساعة من الزمان او ساعتين تحت ضغط قليل ويغسل بالماء ويجفف . ويمكن اغلاء القطن في المغطس بضع ساعات بدلاً من تعريضهِ لفعل البخار . ويقال ان هذا الاسلوب افضل من اسلوب القصر بالهيبوكلوريت ولا يتلف بهِ شيء من الالياف

اظهار الكتابة الممحاة

اذا محيت الكتابة عن القرطاس بحكها عنها سهل اظهارها ثانية بطريقة استنبطها حديثاً رجل هولندي وهي ان يذاب درهم من نيترات الفضة في عشرة دراهم من الماء ويدهن بهِ الورق محل الكتابة المحكوكة وحولها ويوضع في نور الشمس قليلاً فيسود الورق وتظهر الكتابة عليهِ اقل سواداً منهُ . كانهُ يبقى في الورق من دقائق الحبر ما يؤخر انحلال الفضة واسودادها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سكان المريخ

امبابه . اسكندر افندي نبيه أكثر بعض علماء الفلك من القول الآن بان كوكب المريخ مسكون حتى يقال انهم حاولوا جهد استطاعتهم استنباط واسطة للتكلم مع سكانهِ . فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فمن اين اتى سكانهُ

ج القول بان كوكب المريخ مسكون او قد يكون مسكوناً قديم ذكرناهُ منذ اكثر من خمس عشرة سنة كما قلنا في الجزء الماضي ولكن القول الحديث الذي تشيرون اليهِ لم يقل بهِ الاَّ عالم واحد كما ابنا في الجزء الماضي . ويظهر لنا انهُ واهم في حكمهِ ولذلك ازدرتهُ الجرائد العلمية ولم نرَ اشارة اليهِ في ما وصل الينا منها حتى الآن الاَّ في السينتفك اميركان وسنذكر ما قالتهُ في باب الاخبار العلمية وهو منطبق على ما سبقنا فذكرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف

(٢) رفع حجارة الاهرام

ومنهُ . اية آلة استخدمها قدماء المصريين لرفع حجارة الاهرام الى هذا الارتفاع العظيم

ج يرجح الآن انهم استعملوا عتلة كالشادوف او كالقبان وكانوا يرفعون الحجارة بها من مدماك الى الذي فوقهُ على التوالي فيربط الحجر بالحبال ويعلق بطرف عمود من الخشب معلق بثلاث اخشاب قائمة كما يعلق القبان ويشد بهِ الرجال من الطرف الآخر فيرتفع الحجر ويدار العمود حتى يصير الحجر فوق المدماك التالي فيبنى فيهِ او يُنقل الى الذي فوقهُ كما نُقل اليهِ .

(٣) قرطاجنة

ومنهُ . من اول من عمَّر قرطاجنة بعد ما دمرها الرومان وما تاريخها بعد ذلك

ج عمَّرها كايوس غراشوس سنة ١٢٢ قبل المسيح بعث اليها ستة آلاف من الرومانيين فانشأُوا مدينة يونونيا ولكنها لم تفلح وسنة ٢٩ قبل المسيح بعث اغسطس قيصر اناساً آخرين لتعميرها فافلحوا وعمرت البلاد حتى ناظرت الاسكندرية في مملكة الرومان على ما ذكر هيروديان وبلغت اوج مجدها في القرن الثالث

وعقد فيها كثير من المجامع المسيحية . وغزاها جنسرك الفندالي سنة ٤٣٩ وصارت كرسي مملكة الفندال في افريقية الى سنة ٥٣٣ . وغزاها عبدالله بن سعيد بأمر الخليفة عثمان ففتحها وقتل واليها سنة ١٦ للهجرة ثم خربها حسان بن النعمان الغساني في خلافة عبدالله بن مروان سنة ٧٤

(٤) من سمى تونس

ومنهُ . مَن سماها باسمها الحالي تونس ولماذا سُمّيت كذلك

ج لم نقف في كل المظان الافرنجية التي عندنا على كلام شافٍ في اصل هذه التسمية لكن العرب يقولون في كتبهم ان المسلمين سموها تونس لانهم لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ويأنسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها وقيل كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيستأنسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس وقيل كان اسم الراهب صاحب الصومعة تونس وبهِ سميت

(٥) اكرام يوم الخميس

امبابه . سمعان افندي عوض . يكرم المسيحيون يوم الاحد واليهود يوم السبت والمسلمون يوم الجمعة فهل من امة اخرى تكرم يوم الخميس

ج نعم يكرمهُ الدروز

(٦) راحة المعادن

ومنهُ . زعم البعض ان المعادن تستريح وقد جرَّب احد الحلاقين ذلك في موسى فزاد مضاؤُه فما سبب ذلك والمعادن ليست حسَّاسة حتى تحسَّ بالتعب ولا هي نامية

ج قرأنا ذلك قبلاً وذكرناهُ في المقتطف ولم يتجلَّ لنا سببهُ . ومن المؤكد ان دقائق المعادن متماسكة بما بينها من قوة الجذب . وفعل هذه القوة بالدقائق السطحية اقل منهُ في غيرها لان الدقائق السطحية تكون مجذوبة من خمس جهات لا من ست جهات مثل غيرها من الدقائق التي تحتها واذا كان الجسم رقيقاً جداً مثل حد الموسى فالدقائق التي على حدهِ تكون الجهات السائبة منها اوسع من الجهات الخاضعة لفعل الجذب فيحتمل ان تتبخر وتطير من نفسها اذا طال عليها الزمان واذا طارت ابقت الحد الذي تحتها ادق مما كان وهي فيهِ

(٧) شهب نوفمبر

بيروت . امين افندي ابرهيم غبريل . هل تساقطت الشهب في شهر نوفمبر الماضي كما انتظر الفلكيون وهل كان سقوطها عمومياً

ج . لم تتساقط في الميعاد المنتظر ولكن تساقط بعضها قبل ذلك وشوهد في استراليا كما ترون في الجزء الماضي والمظنون الآن انها ربما تتساقط سنة ١٩٠٢

(٨) المزاج الصفراوي والسل

ومنهُ . ارى ان الذين يصابون بداء

السل يكونون غالبًا من ذوي المزاج الصفراوي فهل لمرض السل تسلط على هذا المزاج اكثر من غيره

ج لم نرَ نحن ذلك ولا بلغنا ان احدًا قال به. والمتواتر ان اصحاب المزاج الصفراوي يكونون معرضين لامراض الكبد وامراض المسالك الهضمية والعلل الباسورية العادية

(٩) تحريم الخمر

مصر. عبد العزيز افندي عزّت الابودي

ما هو السبب في تحريم شرب الخمر

ج لم يُحرَّم شرب الخمر في ما نعلم ولكن أُمر الناس باجتنابها لعلة لاتخفى على احد وهي ان الخمر تسكر وتضرُّ شاربها وتمنعهُ عن القيام بما يطلب منهُ وهو سكران ولا فائدة منها توازي ضررها

(١٠) سبب البرق

ومنهُ. ما هو البرق وما سبب ظهوره في اوقات غير معلومة

ج اذا التفتم الى الترامواي الكهربائي رأيتم انهُ يتولد منهُ شرار مضيء احيانًا عند ملتقى عجلهِ بقضبان الحديد التي تحتها وعند ملتقى بكرة القضيب الممتد منهُ الى الاعلى بالسلك الذي فوقهُ وهذا الشرار لا يتولد والعجل متصل بالقضبان التي تحتهُ والبكرة متصلة بالسلك الذي فوقها بل يتولد حينما ينفصل العجل عن القضبان انفصالاً قليلاً بالتراب ونحوهِ وحينما تنفصل بكرة القضيب عن السلك انفصالاً قليلاً لان التيار الكهربائي اذا جرى على جسم متصل وانفصل ذلك الجسم الى قسمين انفصالاً ضيقًا فقد يثب المجرى الكهربائي من احد قسميهِ الى الآخر بعنف شديد و يظهر شرارة ساطعة النور. وعلى هذا النمط تتولد الكهربائية احيانًا في غيمتين متقابلتين غير متصلتين فتثب من احداهما الى الاخرى وهذا هو البرق. وقد يكون هذا الفعل الكهربائي بين الغيم والارض. ومعلوم ان ظهورهُ يتوقف على تولد الكهربائية في الارض والجو وتولدها يتوقف على الحرارة والبرودة وتولد البخار ومرور الرياح وغير ذلك من الاسباب التي لم تنتظم في ارضنا حتى الآن فلا تجري في ادوار محدودة

(١١) ماهية الرعد

ومنهُ. ما هو الرعد

ج حينما تثب الكهربائية من غيمة الى اخرى او من غيمة الى الارض ويحدث البرق تتولد حرارة شديدة تمدّد الهواء بسرعة فيحدث من تمددهِ الرعد

(١٢) ماهية السحاب

ومنهُ. ما هو السحاب وسبب سيرهِ

ج هو دقائق صغيرة جدًّا من الماء تصعد بخارًا بالحرارة كالبخار الذي يصعد من الماء الغالي وتتكاثف في الجو لشدَّة البرد فيهِ فتصير سحابًا وتسير من مكان الى آخر لان الرياح تسوقها

(١٢) ماهية المطر

وفيه : ماهو المطر وما سبب نزوله في جهات دون غيرها .

ج . هو دقائق البخار التي في السحاب يتصل بعضها ببعض فتكبر و يعجز الهواء عن حملها فتقع مطرًا و يحدث ذلك حيث يتفق وجود البخار الكثير في الجو ووجود هواء بارد يكثفهُ . وربما دعت الحال ايضًا الى وجود كهربائية توصل بين دقائق البخار . وقد كتبنا فصولاً كثيرة في البرق والرعد والصاعقة والسحاب والمطر في المجلدات الماضية فعليكم بمراجعتها او بمراجعة كتاب الظواهر الجوية



باب الاخبار العلمية

الانباء من المريخ

قلنا في الجزء الماضي ان العالم نقولا تسلا الذي اهتمَّ بمخاطبة سكان المريخ قوي عليهِ سلطان الخيال في هذه الايام وان القول بان سكان المريخ اشاروا الينا فرض بعيد جدًّا لا مسوّغ لهُ . ثم جاءتنا جريدة السينتفك اميركان الصادرة من اميركا في ١٩ يناير الماضي فرأينا فيها ما ترجمتهُ " قال احد الثقات انهُ قرُب الوقت الذي نتخاطب بهِ مع سكان الكواكب ولا سيما سكان المريخ " وتختلف قيمة هذا القول باختلاف عقول الذين يسمعونهُ والظاهر انهُ لما كان نقولا تسلا يمتحن التلغراف الاثيري في مكان مرتفع جدًّا عن سطح البحر (بولاية كولورادو) تمكن من توليد مجرى كهربائي " قوتهُ مثل قوة مئة الف حصان " وشرارة كهربائية " طولها مئة قدم " وحصر المجرى الكهربائي ولو كانت قوتهُ " خمسين مليون فولط " . ومع ان الكهربائية التي لديهِ كانت بالغة " خمسين مليونًا " في قوتها لم تصرفهُ عن الانتباه الى بعض الحركات الكهربائية الطفيفة التي لم يجد لها سببًا في الشمس ولا في شيء يعرفهُ على كرة الارض و بعد ان فكَّر في هذا الامر طويلاً " اقتنع اقتناعًا يقرب من اليقين العلمي ان اصل هذه الحركات من الكواكب السيارة " . وحبذا لو علمنا طرق الاستدلال التي استدلَّ بها على ان هذه الحركات الغريبة التي لم يعرف لها سببًا نقنع اقتناعًا يقرب من اليقين العلمي على انها ارسلت الى ارضنا من الكواكب السيارة بل من المريخ اذ ودَّ سكانهُ ان يخاطبونا بها . وقد قال السنيور مركوني ان هذه الانفعال

التي اثرت هذا التأثير الغريب في مخيلة المستر تسلا حاصلة من كهربائية الجو. وقال السر نورمن لكير ان كانت الاشارات الكهربائية ارسلت الينا من المريخ فعلامَ ينحصر ظهورها في ولاية كولورادو باميركا ولا تشعر بها كل المراصد المغنطيسية في الدنيا ". انتهى

وقد اوردت جريدة السينتفك اميركان هذا الكلام بصورة التهكم على العالم تقولا تسلا ثم استطردت فقالت " اما كون بعض السيارات مسكونًا فامر ممكن وليس في ما نعرفهُ الآن من نواميس الكهربائية ما يوجب القول بانهُ يستحيل علينا في مستقبل الايام ارسال الاشارات الكهربائية الى السيارات او الى غيرها من نجوم السماء . ولكن الاستدلال على ان ذلك صار امرًا واقعيًّا لا تكفي لهُ الافعال الطفيفة التي شوهدت على جبل في كولورادو ولم يعرف سببها "

وعادت السينتفك اميركان الى هذا الموضوع في عددها الذي صدر في ٢٦ يناير فقالت ان المسيو كاميل فلامريون الفلكي الفرنسوي لا يصدق ان سكان المريخ يحاولون الاشارة الى ارضنا . وعندهُ ان الانوار او النتوات التي ظهرت في بحر اكاريوم انما هي انعكاس نور الشمس وهي تغيب عن الغيوم فوق ذلك البحر

العلم والحكومة

اجتمع بالامس جماعة من علماء الاميركيين في مدينة بلتيمور باميركا وبحثوا في علاقة الحكومة بالعلماء فقال احدهم الاستاذ اسبورن "ان الباحث في ميزانية الحكومة يرى انها تنفق اكثر اموالها على امور لا بدَّ لها منها لان بها قوامها كرواتب الموظفين ونفقات الحربية والبحرية . وهذه النفقات من قبيل الاموال الهالكة تُقضى بها حاجة وقتية فتثمر او لا تثمر حسب نوعها . وتنفق بعض اموالها على ما منهُ نفع كبير في المستقبل كالذي يغرس شجرة اليوم لكي يجني ثمارها بعد اعوام كثيرة وهي الاموال التي تنفقها على العلم والتعليم . قال الاستاذ هلمهلتز ان رجال العلم يشتغلون لاجل الامة كلها ليجمعوا من المعارف العلمية ما ترتقي بهِ الاعمال الصناعية وتزيد الثروة وتنعم الحياة وتصلح الروابط السياسية والاجتماعية وتسمو الآداب والفضائل . ونحن واثقون ان كل ما يزيد معارفنا بقوى الطبيعة او قوى العقل يستحق ان يُطلب لذاتهِ ولا بدَّ من ان تجنى منهُ الثمار الكثيرة وهي تجنى غالبًا من حيث لا ننتظر

والدول التي تنفق على العلم والتعليم اكثر من غيرها هي المانيا وفرنسا واميركا وانكلترا فالمانيا تنفق اكثر من غيرها وانكلترا اقل من غيرها مع ان ما تنفقهُ على بناء بارجة واحدة من بوارجها يكفي لانشاء اربع مدارس من المدارس العلمية الصناعية وما ذلك الاَّ لقصر نظرها في العواقب "

وتكلم بقية العلماء على هذا النحو وذلك في بلاد اهلها اشد الناس سخاء على انشاء المدارس وترقية العلوم والفنون . ونحن في هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية يُطلَب منا ان نجاري الاوربيين والاميركيين في العلوم والفنون ولا سند لنا لا من الحكومة ولا من الامة

ساعة عجيبة

صنع احد الاميركيين ساعة عجيبة تدلُّ على الساعات والدقائق والايام والشهور والسنين واليوم من الاسبوع ومن السنة واوجه القمر وفصول السنة وتدق الساعات وتضرب لحنًا موسيقيًّا كل ساعة من ست انغام وتحرك آلة بخارية صغيرة وآلة كهربائية موضوعتين فيها. وفيها تماثيل جنود يلجنون الحانًا كل ربع ساعة ومنشار ينشر الخشب ويرميهِ في بركة ماء فيها كثير من الضفادع والسلاحف والحلازين. وادوات هذه الساعة مكشوفة كلها للعيان وهي تدوَّر من خمسة اماكن مختلفة وبعض تروسها يدور ستمئة دورة في الدقيقة وبعضها يدور دورة واحدة كل عشرة آلاف سنة وفيها ما يدل على السنة الكبيس فتزيد بهِ يومًا من نفسها. وارتفاعها كلها نحو تسع اقدام وعرضها نحو ثلاث اقدام

اكبر السفن الشراعية

يظهر ان غلاء الفحم الحجري دعا اصحاب السفن الى بناء السفن الشراعية الكبيرة وهم يبنون الآن سفينة محمولها ثمانية آلاف وخمس مئة طن اي انها ستكون اكبر من اكبر السفن البخارية الموجودة الآن بالفي طن . ومعلوم ان السفينة الشراعية لا تضطر ان تحمل فحمًا لها فتحمل من الوسق اكثر مما تستطيع حملهُ السفن البخارية وتكون اجرة نقل البضائع بها قليلة جدًّا فاذا نُقل الفحم الحجري من اميركا الى هذا القطر بسفينة شراعية قلت نفقات نقلهِ كثيرًا ورخص ثمنهُ

تلفون بوبن

استنبط الدكتور بوبن الاميركي اسلوبًا جديدًا تنقل بهِ الكهربائية على الاسلاك المعدنية ولا يضيع منها الاَّ قليل جدًّا بالنسبة الى ما كان يضيع منها قبلاً فانهُ يصل منها باسلوبهِ جزءٌ من اربعين جزءًا واما بالاسلوب العادي فلا يصل الاَّ جزءٌ من مئتين وخمسين الف جزء ولذلك صار مد التلفون بين كل البلدان ممكنًا مهما كانت بعيدةً بعضها عن بعض. وقد ابتاعت منهُ شركة التلفون والتلغراف الاميركية امتياز هذا الاختراع بخمس مئة الف ريال اي بمئة الف جنيه مصري

تمثال ثمين

وجد تمثال يوناني من النحاس في ضواحي بمباي بايطاليا طولهُ نحو اربع اقدام يظن انهُ صُنع في القرن الخامس قبل المسيح وقد قُدِّر ثمنهُ بعشرين الف جنيه

تذكار تيخو براهي

تهتم جمعية العلوم الملكية في بلاد اسوج بدعوة علماء الفلك الى الاحتفال بمرور ثلاثمئة سنة على وفاة تيخو براهي ابي علم الفلك العملي وذلك في ٢٤ اكتوبر الآتي. فهل من جماعة في صدرهم نخوة عربية يهتمون باحياء ذكر البتاني الذي يلقب ببطليموس العرب او غيره من مشاهير العلماء الذين تحق لنا المباهاة بهم

اكبر آبار البترول

حفرت بئر جديدة لزيت البترول بقرب بومنت احدى مدن تكساس باميركا يخرج منها كل يوم ما يملأ خمسة وعشرين الف برميل من زيت البترول . واغزر الآبار الروسية لا يخرج منها اكثر مما يملأ ثمانية عشر الف برميل . ويخرج الزيت من البئر الاميركية في شكل عمود قطره ست عقد وعلوه مئتا قدم وقد رخص ثمن الزيت الاميركي بسبب هذه البئر

خرط اعمدة الصوان

من يرى عمود السواري في الاسكندرية او المسلات المصرية في المطرية ولقصر يعجب بصبر المصريين القدماء الذين قطعوها ونحتوها وجلوها وصقلوها وقضوا في ذلك اياماً طويلة. ومن يظن ان ابناء هذا العصر يقصرون عن شأو المتقدمين قائساً صنّاع الاوربيين والاميركيين بصنّاع المصريين يخطئ خطأ كبيراً فان صنّاع الاوربيين والاميركيين الذين سخروا الحديد والبخار والكهربائية يستطيع الرجل منهم ان يعمل في ساعة من الزمان ما لم يكن يستطيعهُ مئة عامل في اسبوع. وقد قرأنا الآن في السينتفك اميركان ان الاميركيين صنعوا مخرطة كبيرة يخرطون بها عمود الصوان (الغرانيت) الذي طولهُ ٥٤ قدماً وقطرهُ ٦ اقدام وثقلهُ ١٦٠ طناً ويكون ثقل القطعة التي يخرط منها هذا العمود ٣١٠ اطنان فترفعها المخرطة وتديرها وتخرطها خرطاً بعد ان تهذّب حروفها ثم تجلوها وتصقلها وتتم ذلك كلهُ في ستة اسابيع . وتدور هذه المخرطة بآلة بخارية قوتها خمسون حصاناً

ضمان حياة الملوك

طلب الملك اسكندر ملك السرب من بعض شركات سوكرته الحياة ان تضمن حياتهُ على مبلغ مليوني ريال فرفضت شركة منها ذلك لان حياة الملوك في خطر من الفوضويين وقد خسرت هذه الشركة بقتل ملك ايطاليا ستمئة الف ريال

محاجر كرارا

ابتاع رجل اميركي محاجر الرخام الابيض الجميل في كرارا بايطاليا وهو عازم ان يستعمل الاساليب الاميركية لقطع الرخام منها فتقل نفقاتهُ و يرخص ثمنهُ

الذهب في الطين

في نيوسوث وايلس باستراليا نهران يطميان كل سنة فيعاني الناس المشاق في تطهيرها ونزع الطين منهما ونقلهِ الى البحر وطرحهِ فيهِ واتفق لاحد العمال ان صوَّل بعض هذا الطين فوجد فيهِ شيئًا من التبر فاخبر اولي الشأن بذلك فوجدوهُ مصيبًا ومن ثم جعلوا يصولون هذا الطين قبل نقلهِ الى البحر ويقال انهم يجدون فيهِ من الذهب ما يفي بنفقات التطهير كلها

الفحم والصناعة

اكثر الروسيون من انشاء المعامل الصناعية تمثلاً بغيرهم من الاوربيين والفحم الحجري قليل في بلادهم او لا يستخرج منهُ شيءٌ كثير فاشتدَّت حاجتهم الى الفحم حالاً واخذوا الآن يجلبونهُ من اميركا فتبلغ اجرة شحن الطن اليهم نحو ٨٥ غرشًا او اكثر . وهذا نصيب كل بلاد تحاول انشاء المعامل الصناعية وليس فيها حياة المعامل وهي الفحم الحجري

كنوز المغول

نريد بكنوز المغول كتبًا يونانية ورومانية نهبها المغول من الممالك الغربية لما غزوها وعادوا بها الى بلادهم وقد وجدتها الجنود الروسية الآن في مقدن فاوفدت الحكومة الروسية جماعة من علمائها للنظر فيها وينتظر ان توجد فيها كتب ثمينة جدًّا لم يستفد منها المغول شيئًا

منزل فيهِ ثلاثون طبقة

عزم احد الاميركيين ان يبني منزلاً في مدينة نيويورك يكون فيهِ ثلاثون طبقة الواحدة فوق الاخرى فيكون اعلى منازل تلك المدينة والغرض من ذلك الاقتصاد في الارض

النور الكهربائي والبصر

من المسائل الهامة جدًّا مسألة النور الكهربائي وهل يضر بالعين ويضعف البصر. وقد مضى علينا الآن ثلاث سنوات ونحن نستعملهُ كل ليلة ولا نستعمل غيرهُ ولم نشعر باقل تعب في عيوننا ولا باضطراب في بصرنا ولا سمعنا احدًا يشكو منهُ . ثم اننا رأَينا الآن ان لجنة مدرسة هيدلبرج الجامعة قرَّرت بعد البحث الدقيق ان النور الكهربائي ونور الغاز الذي يحمي شبكة اور لا يضران بالبصر واشارت باستعمال النور الكهربائي في كل المباني العمومية

تجارة القطر في العام الماضي

بلغت تجارة القطر المصري من صادر ووارد في العام الماضي بحسب تقدير الجمارك المصرية ثلاثين مليونًا و ٥٥٩ الف جنيه و ٧٤ جنيهًا عدا طرود البوسطة وقيمتها نحو ٣٢٠ الف جنيه فزادت قيمة الصادر عمَّا كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ مليونًا و٤١٥ الفًا و ١٨٩ جنيهًا وقيمة الوارد مليونين و٥٨٤ الفًا و ٩٨٤ جنيهًا . وزيادة الوارد شاملة كل

شيء تقريباً فالحيوانات وما يستخرج منها زادت قيمتها ٢٩٣ الف جنيه والحبوب والدقيق والاثمار المقددة زادت قيمتها ٥١١ الف جنيه والسكر والطيوب والبن زادت قيمتها ٨٣ الف جنيه والخمور والزيوت زادت قيمتها ١٨٩ الف جنيه والخشب والفحم والمصنوعات الخشبية زادت قيمتها ٣١٢ الف جنيه . والمنسوجات على انواعها زادت قيمتها اكثر من ٧٠٠ الف جنيه وزاد الحديد وحده نحو ٣٠٠ الف جنيه والآلات الرافعة للماء ١٣٣ الف جنيه . وبعض هذه الزيادة من غلاء الاسعار وبعضها من زيادة المقطوعية

اما الصادرات فالزيادة الكبرى فيها في ثمن القطن فقد زاد وحده مليونًا و ٤٤٠ الف جنيه وبزرة القطن فقد زادت ٣٢٢ الف جنيه وزادت قيمة الدبيغ ٥٩ الف جنيه والصمغ العربي ٦٣ الف جنيه ولكن نقصت قيمة الفول ٢١٥ الف جنيه . وقد نقصت قيمة اكثر الصادرات الاخرى ولولا الزيادة في ثمن القطن لكانت السنة الماضية من اكبر السنين خسائر على القطر المصري لان الفرق بين قيمة الصادر والوارد وهو مليونان ٧٥٦ الف جنيه لا يوازي ربا الدين الذي تدفعهُ الحكومة المصرية لاوربا اما سنة ١٨٩٩ فكان الفرق بين قيمة صادراتها وقيمة وارداتها اربعة ملايين ١٢٦ الف جنيه اي ما يفي برباديها واذا كانت سنتنا هذه مثل السنة الماضية استنزفت اوربا الثروة القليلة المجموعة في القطر المصري

الالمان في فلسطين

يهتم الالمانيون الآن بانشاء مدرسة لعلم العاديات في القدس الشريف وقد نالت جمعية فلسطين الالمانية الرخصة من الباب العالي لمسح البلاد التي شرقي الاردن ومنحتها الحكومة الالمانية ١٢٥٠ جنيهًا لهذا العمل وعسى ان يكون قصدها من ذلك علميًّا محضًا

الرخام تحت الضغط

بحث الاستاذ فرنك ادمس الاميركي عن فعل الضغط الشديد بالرخام فصنع اساطين من الرخام صقلها جيدًا ووضعها في انابيب من الحديد مثل انابيب المدافع حتى تملأها تمامًا ثم ضغط عليها ضغطًا شديدًا جدًّا يبلغ نحو مئة طن على كل عقدة مربعة وابقى الضغط عليها عدَّة اشهر متوالية فتمدَّدت جوانبها من شدَّة الضغط ونفخت الانابيب التي هي فيها ولما شُقت الانابيب وُجدت الاساطين متغيرة الشكل والقوام اي ان صلابتها صارت نصف ما كانت عليهِ . ثم ضغط غيرها هذا الضغط وهي محماة الى الدرجة ٤٠٠ بميزان سنتغراد فتغير شكلها ولكن بقيت صلابتها على حالها . وكذلك ضغطها وادخل فيها ماء العقدة منهُ مضغوطة ٤٦٠ رطلاً فتغير شكلها وبقيت على صلابتها الاولى

فاتضح من ذلك ان صخور باطن الارض المضغوطة وفيها ماء او حرارة شديدة لا يقلل الضغط صلابتها ولو كانت متبلورة الدقائق كالرخام

اصلاح التبغ

لما منعت الحكومة المصرية زرع التبغ في القطر المصري كانت حجتها الكبرى ان التبغ المصري لا يصلح للاصدار الى الخارج لانهُ غير جيد واذا ابيحت زراعتهُ فغلة الفي فدان تكفي القطر المصري ولكن الناس لا يكتفون بزرع الفي فدان فيزرعون اكثر منها فاذا زرعوا اربعة آلاف فدان فلاهم يستطيعون ان يصدروا غلة الالفين الآخرين ولاهم يستطيعون ان يبيعوها في البلاد. ثم ان الحكومة تكتسب الآن مليون جنيه من جمرك التبغ فاذا فرضت هذا المال على الاطيان التي تزرع تبغًا لزمها ان تفرض على الفدان خمس مئة جنيه فاذا اصابت زراعتهُ آفة ما خرب بيت صاحبهِ

ويظهر لنا من بعض التجارب التي جُرّبت في وادي كُنَكْتِكُت باميركا انهُ يمكن اصلاح التبغ حتى يصير من اجود الانواع بقليل من العناية وذلك بان تظلَّل الاراضي التي يزرع فيها بظلات من الخيش توضع على نحو عشر اقدام فوق الارض . فاذا كان ذلك يصلح التبغ المصري حقيقةً حتى يصير مثل اجود انواع التبغ التركي واباحت الحكومة المصرية زراعتهُ وجعلت مال الفدان مئتي جنيه فلا يبعد ان يزرع الناس عشرة آلاف فدان تستعمل غلة الفي فدان منها في القطر المصري ويصدر ما بقي الى اوربا فتربح البلاد ربحًا كبيرًا جدًّا ويتضاعف دخل الحكومة من التبغ

عناصر الهواء

انبأنا غير مرة ان الدكتور رمسي والدكتور ترڤرس اكتشفا عنصرًا جديدًا في الهواء وهو الارغون ثم اكتشفا عنصرين آخرين سمياهما الكربتون والنيون واستدلاَّ على وجود عنصرين غيرهما سمياهما المتارغون والكسنون وقد جمعا الآن مقدارًا كافيًا من الكربتون والكسنون فوجدا انهما يشبهان الارغون والهاليوم ووزن الكربتون الجوهري ٨٢ ووزن الكسنون ١٢٨ واوزان هذه العناصر المكتشفة جديدًا هكذا الهاليوم ٤ . النيون ٢٠ الارغون ٤٠ الكربتون ٨٢ الكسنون ١٢٨ وخواصها الطبيعية توافق اوزانها الجوهرية

عود الى مخاطبة المريخ

جاءتنا مجلة العلم العام الاميركية بعد طبع ما تقدَّم في اول الاخبار في هذا الجزء فرأينا فيها كلامًا مسهبًا عن دعوى المستر نقولا تسلا وقد تهكمت عليهِ وقالت انهُ شط عن مسالك العلماء كما وصفناهُ في الجزء الماضي من المقتطف. وهاك ترجمة بعض ما قالتهُ في هذا

الصدد " نشر المستر تسلا مقالة طويلة في جريدة السنتشري الصادرة في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ ضمنها بعض الامور الكهربائية وقضايا فلسفية واجتماعية خلط فيها خلطاً وبناها على آراء سداها الجهل ولحمتها الخطأ والدعوى . ونُشرت مقالة في جريدة الشمس (الاميركية) في ٣ يناير توصف فيها اشغال المستر تسلا في كولورادو ويقال فيها انهُ يرمي الى ثلاثة اغراض الاول نقل القوة من غير اسلاك معدنية والثاني اصلاح طريقة ارسال التلغرافات تحت البحر . وهذان الغرضان تجاريان ونتمنى لهُ النجاح فيهما ومتى نجح نسمع عن نجاحهِ من ديوان الامتيازات واذا اوصلت تجاربهُ فيهما إلى ما تزيد بهِ معارف الناس استحق شكرنا الجزيل ولا يخل عليهِ احد بهِ . واما الغرض الثالث فيقول انهُ يتضمن التسلط على القوى الكهربائية ومتى تمَّ بحثهُ فيهِ يعلنهُ للجمهور اما الآن فقد انتبه الى بعض الحركات الكهربائية الطفيفة التي لم يجد لها سبباً في الشمس ولا في شيءٍ يعرفهُ على كرة الارض فحسب انها اشارات الينا من سكان المريخ او غيرهِ من الكواكب السيَّارة البالغة عشرين او خمسة وعشرين عداً . والظاهر ان المستر تسلا يريد ان يشتهر اسمهُ في الجرائد اليومية . وكل احد يسرُّ اذا ثبت ان سكان المريخ يشيرون الينا ولكن المستر تسلا لم يقم شبه دليل على صحة دعواهُ وني ليست من العلم في شيءٍ . وتجاربهُ الكهربائية غرضها تجاري فتقاس بنتائجها التجارية . واما آراؤهُ فطائشة لا يعتدُّ بها وفلسفتهُ مشحونة بالجهل فلا قيمة لها " انتهى

هذا ما ذكرتهُ مجلَّة تعدُّ الاولى بين المجلاَّت العلمية الاميركية . وقد ذكرنا في صدر الاخبار العلمية ما قالتهُ جريدة السينتفك اميركان وقول هاتين الجريدتين حجة قاطعة على فساد كل ما زعمهُ تسلا وغيرهُ من المصدقين قولهُ

الاحتفال بعيد الجلوس

احتفل سكان القطر المصري عموماً وسكان العاصمة خصوصاً بعيد جلوس الجناب العالي على سدَّة الخديوية المصرية ليلة الثامن من شهر يناير وتألفت لذلك لجنة في العاصمة رأسها عطوفتلو عبد القادر باشا حلمي وانضمَّ اليها كثيرون من وجوه العاصمة وسائر مدن القطر وجعلت شرط الاشتراك فيها ان يدفع الطالب اكثر من عشرة جنيهات واعتبرت اصحاب الجرائد المصرية من اعضائها الاكراميين ورؤساء الجمعيات الخيرية من اعضائها العاملين . واقامت معالم الزينة في حديقة الازبكية وسار موكب من تلامذة المدارس بالانوار مع موسيقى الجيش المصري وموسيقى سجن الاحداث من شارع وجه البركة ومر امام نزل شبرد ونزل الكنتيننتال ودار في ساحة الاوبرا

ثم سار الموكب في شارع عابدين الى ان وصل الى سراي عابدين فوقف هناك امام باب التشريفات الكبرى وصدحت الموسيقى حينئذٍ بالسلام الخديوي ورتل التلامذة نشيدهم المخصوص ثم دار الموكب على نفسهِ وعاد في شارع عابدين حتى قرب من حديقة الازبكية فانقسم قسمين دخلاها من الباب الغربي والجنوبي حتى اذا التقيا عند قنطرة البحيرة طافا حولها وابتدأَت الالعاب النارية

وكانت اللجنة قد زينت الحديقة زينة باهرة وضربت فيها السرادقات الفخيمة اعلاها سرادق الجناب الخديوي ويتلوهُ سرادق البرنسات والنظار وقناصل الدول الجنرالية ثم سرادق الوجوه والاعيان ونظمت فيها الانوار الكثيرة ولاسيما الانوار الكهربائية الساطعة ونصبت عن يمين البحيرة ثلاث قناطر شبيهة بقناطر السدود في الصعيد يتدفق منها الماء وقد البستها الانوار حللاً بهية

وحضر الجناب الخديوي التمثيل في الاوبرا الخديوية وهو من جملة مظاهر الاحتفال وحضر دولة اخيهِ البرنس محمد علي مجالي الزينة في حديقة الازبكية. وقد غصّت الحديقة بكبار القطر المصري والنزلاء فيهِ وفي مقدمتهم مختار باشا الغازي وبطرس باشا غالي ومظلوم باشا وعباني باشا والمستر غورست والمستر متشل وكان رئيس اللجنة واعضاؤُها يقابلون الجماهير بالانس والاكرام

البعوض والملاريا

ذكرنا في الصفحة ٤٦٨ من المجلد الخامس والعشرين ان الدكتور لو والدكتور سامبون مضيا الى آجام رومية في شهر يونيو الماضي وسكنا في البيت الذي اشار الدكتور مانسون ان يبنى فيها وتوضع الناموسيات حول اسرَّتهِ فتمنع دخول البعوض الى من ينام فيها وانهما كانا لا يزالان سليمين حتى ذلك الحين. وقد قرأنا الآن انهما عادا الى مدينة لندن سليمين بعد ان قضيا الصيف والخريف هناك مع ان الحمى الملارية اشتدَّت اشتداداً غير عادي هذه السنة حتى انهُ مرض بها خمسة عشر من ستة عشر رجلاً من رجال الشرطة مضوا الى هناك واقاموا ليلة واحدة

قتلى الضواري وقتلى الافاعي

قتلت الضواري ٢٩٦٦ نفساً في بلاد الهند سنة ١٨٩٩ و٨٩٩ من هؤُلاء قتلتهم الفهود و٣٣٨ قتلتهم الذئاب و٣٢٧ قتلتهم النمور والباقون قتلهم الادباب والافيال والضباع التماسيح وما اشبه. اما الافاعي فقتلت وحدها ٢٤٦٢١ نفساً اكثرهم من سكان بنغالا لان السيل فيها يطرد الافاعي من المنخفضات الى الاراضي العالية التي فيها مساكن الناس. غير ان الضواري افترست تلك السنة ٩٨٢٣٨ من البقر. والافاعي قتلت ٩٤٤٩ رأساً فقط. فالضواري افتك

بالمواشي منها بالناس. والافاعي افتك بالناس منها بالمواشي

مضار النمل الابيض

اخبرنا القادمون من اعالي السودان ان النمل الابيض هناك لا يبقي على شيءٍ حتى انهُ ليأكل الثياب والاحذية وقد ضاقت الحكومة المصرية بهِ ذرعاً لانهُ ينخر اعمدة التلغراف ويأكلها حتى اضطرَّت اخيراً ان تنصب اعمدة من الحديد او تطلي اعمدة الخشب بدهان يبعد النمل عنها . والظاهر ان ضربة النمل الابيض منتشرة في كل افريقية من اصوان الى الترنسفال وقد قرأْنا شهادات كثيرة على فائدة الدهان المشار اليهِ آنفاً وانهُ يقي الخشب من النمل الابيض ومن الرطوبة ايضاً ويمنع دخل الرطوبة في المباني كلها سواء كانت من القرميد او من الحجر وعليهِ فقد انحلَّت مسأَلة من اغوص المسائل وهي حفظ الخشب في البلدان التي يكثر فيها هذا النمل

السر جون افانس

انسنا بلقاء العلاَّمة المفضال السرجون افانس رئيس جمعية علم النقود وسكرتير جمعية لندن الجيولوجية وهومن مشاهير علماء الانكليز رأس مجمع ترقية العلوم البريطاني لما التأم في كندا سنة ١٨٩٨ والجمعية الجيولوجية وبقي اميناً لصندوق الجمعية الملكية الانكليزية عشرين سنة من ١٨٧٨ الى ١٨٩٨ ولهُ من المؤَلفات كتاب في النقود البريطانية القديمة وكتاب في ادوات الظران القديمة وكتاب في ادوات البرنز القديمة وهو على كبر سنهِ (فانهُ في الثامنة والسبعين من عمرهِ) انيس الوجه كبير الهمة كانهُ شاب في مقتبل العمر . قدم العاصمة مع زوجتهِ لادي افانس وذهب الى اصوان ثم سافر قاصداً اثينا فكريت حيث ابنهُ يبحث في آثار تلك الجزيرة

مسز لوس ومسز جبسن

وانسنا ايضاً بلقاء العالمتين الفاضلتين مسز لوس ومسز جبسن قدمتا القطر المصري لدرس اللغة القبطية والبحث عن آثار الاقباط وكتبهم القديمة وهي همة علية لهما تذكر لتشكر

هبات اميركية

جاء في جريدة العلم الاميركية ان الدكتور بيرسنس اعطى مدرسة كلورادو الكلية خمسين الف ريال ومدرسة فورث وسترن ثلاثين الف ريال ووهب مدرسة اخرى مئتي الف ريال وتبلغ هباتهُ كلها للمدارس ثلاثة ملايين من الريالات اي ستمئة الف جنيه

مؤْتمر السل

يعقد مؤْتمر للبحث في مرض السل في مدينة لندن من ٢٢ يوليو المقبل الى ٢٦ منهُ وهو ثلاثة اقسام الاول اداري ورئيسهُ السر هربرت مكسول والثاني طبي ورئيسهُ السر

دغلس بول والثالث باثولوجي وبكتيريولوجي ورئيسهُ الاستاذ سمس وودهد والرابع بيطري (عن سل الحيوانات) ورئيسهُ السرجورج برون . وقد دعيت الحكومات كلها في اوربا واسيا واميركا لارسال النوَّاب اليهِ . والغرض منهُ البحث عن الوسائل التي يمكن استعمالها لدفع هذا الداء الفتَّاك

الاستاذ بوتان

توفي الاستاذ بوتان الطبيب الفرنسوي الشهير صاحب المباحث الدقيقة في امراض القلب والخطب المفيدة في الطب الكلينيكي . وهو من اكبر الثقات في علم الفسيولوجيا كما انهُ من اكبر الثقات في علم الطب وقد استنبط آلة لقياس الضغط الشرياني (سفيغمومتر) من ادق ما صُنع من نوعها ولهُ البحث المستفاض في استقصاء الامراض بواسطة ضرب القلب وكان عضواً في اكادمية باريس الطبية وفي اكادمية العلوم وتوفي في الخامسة والسبعين من عمرهِ

ناووس بديع

كل من شاهد الناووس البديع الذي أُخرج من مدينة صيداء وارسل الى الاستانة شهد انهُ ابدع ما صنعهُ الصناع قديماً وحديثاً. والظاهر انهُ قسم للمتحف السلطاني في الاستانة ان تكون فيهِ ابدع مصنوعات الناس فقد قرأنا الآن انهُ وجد ناووس آخر مثلهُ قرب مدينة قونية في اسيا الصغرى وهو من الرخام وعليهِ نقوش كثيرة تمثل ازهاراً وحيوانات وصور اناس وثقلهُ نحو ثلاثين طناً اي نحو ٣٢ الف اقة وسينقل الى الاستانة ويوضع في دار التحف

شهيد العلم

مضى الدكتور درهم والدكتور ميرس في شهر يونيو الماضي الى الاماكن التي تكثر فيها الحمَّى الصفراء في برازيل للبحث عنها وعن علاج لها فاصيبا بهذه الحمى ومات الثاني منهما بها في العشرين من شهر يناير الماضي

مدرسة شيكاغو

وهب المستر ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مليوناً ونصف مليون من الريالات اي ثلثمئة الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها البالغة نحو مليونين من الجنيهات ووهبها ليون مندل ٢٥ الف ريال فوق هباتهِ السابقة لها

نجوم الثريَّا

ترى العين في الثريَّا ستة نجوم او سبعة ولكن العين الفلكية رأَت فيها بآلة الفوتوغراف في مرصد هارفرد ٣٩٧٢ نجماً

عدد النيازك

ظهر بالحساب ان الرجم التي تسقط على الارض يومياً وهي كبيرة حتى ترى كأَنها نجوم ساقطة من السماء او نيازك يبلغ عددها عشرين مليوناً

فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٠ ذي القعدة سنة ١٣١٨

ڤردي VERDI



الامة جسم حي تولد وتنمو وتبلغ الفتوَّة والكهولة والشيخوخة والهرم مثل جسم الانسان والحيوان وفيها اعضاء رئيسة لا بدَّ لها منها لنموها وارتقائها وفيها اعضاء أُخرى نسبتها الى الاعضاء الرئيسة نسبة الفضلة الى العمدة فتقطع ولا يؤَثر قطعها في حياة الامة ونموها. والاعضاء الرئيسة هي نوابغ الامة في العلم والعرفان في السياسة والادارة في الاختراع والابتكار في ما يقوي الامة ويرقيها ويوسع عليها موارد الرزق ويثقف عقولها ويرقي آدابها ويدمث اخلاقها ويبهج نفوسها . ومن هؤُلاء النوابغ الذين تفاخر بهم الامة الايطالية غيرها من امم الارض السنيور فردي المعروف في القطر المصري برواية عائدة التي أنشأ الحانها للاوبرة الخديوية خاصةً فارتقى بها مقامهُ الى اوج موقعي الموسيقى وذاع اسمهُ في الخافقين . ولكرم اسمعيل باشا

الخديوي الاسبق اليد الطولى في شهرة هذا الرجل لان القرائح لا تُذكى بشيءٍ كما تذكى اذا وجدت من يقدرها قدرها. ولا ندري هل اكتشف اسمعيل باشا قريحة فردي بنفسهِ فاذكى نارها او اغراهُ غيرهُ بدفع المال لهُ فدفعهُ ارضاءً للمغري لا شاكيًا ولا شاكرًا على جاري عادتهِ من قطع السنة الطامعين فيهِ بكل ما لديهِ من الصلاة ليخلص من لجاجتهم. والرأي الثاني هو الاوجه عندنا لانهُ لم يكتشف بين ابناء بلادهِ قريحة واحدة فيذكيها وهي لم تخلُ من القرائح

وولد فردي في التاسع من اكتوبر سنة ١٨١٣ فتوفي في الثامنة والثمانين . عمرابتدأ بالفقر المدقع وتوسَّط بالشهرة الفائقة وخُتم بالغنى وجلالة القدر واعمال البر والاحسان ومسقط رأسهِ قرية رنكول على سبعة عشر ميلاً من بارما . وفي السنة التالية من ولادتهِ كانت ايطاليا ميدانًا لجنود الدول المتحدة على فرنسا فعاثت فيها ولجأ نساءُ قريتهِ الى الكنيسة فكسر الجنود ابوابها ودخلوها ولم يعفوا عن ولد ولا عن امرأة الاَّ ان امهُ حملتهُ وصعدت بهِ الى قبة الجرس واختفت هناك فلم يرها احد

وسمع فردي رجلاً يلعب على الكمنجه وهو ولد صغير فتنبهت قريحتهُ الموسيقية والحَّ على ابيهِ حتى اشترى لهُ ربابةً صغيرة جعل ينقر عليها ساعةً بعد ساعة من غير ملل . وكان في قرية ابيهِ رجل يلعب على ارغن الكنيسة فعلَّمهُ المبادىء التي عرفها ولم يحلْ عليهِ الحول حتى وجد انهُ صار يعرف مثلهُ فلم يعد عندهُ شيءٌ آخر يعلّمهُ اياهُ

وكان ابو فردي على غاية من الفقر ولهُ في قريتهِ دكان صغير كان يجلب ما يبيعهُ فيهِ من بلدة بوستو من بدَّال اسمهُ بارزّي فرضي هذا الرجل ان يضع فردي عندهُ صانعًا وكان يميل الى الموسيقى فسرَّ بما رآهُ منهُ وساعدهُ على تعلّمها . ولما صار عمر فردي عشر سنوات اختير للعب على الارغن في كنيسة قريتهِ وجُعلت اجرتهُ نحو مئة واربعين غرشًا في السنة

وكان يطمع في وضع الانغام للروايات الشعرية وعلم ان ذلك لا يتم لهُ ما لم يقرإِ الموسيقى على اهلها فلجأ الى البدال بارزّي فقرضهُ ما يحتاج اليهِ من النقود ومضى بها الى ميلان ليتعلم في مدرسة الموسيقى فلم يرَ منهُ اساتذتها ما يدلُّ على نجابتهِ فرفضوهُ . فجعل يدرس الفن على رجل اسمهُ لافنجا . وبعد سنتين توفي الرجل الذي يلعب على الارغن في كنيسة بوستو حيث معلمهُ البدَّال فاختير لها وكان يحب ابنة بوستو فاقترن بها سنة ١٨٣٦

ووضع انغام الرواية المسماة اوبرتو سنة ١٨٣٨ ومضى بها الى ميلان . وكانت جمعية حب الموسيقى عازمة على انشاد منظومة لهيدن وغاب المدير الذي يقود اللاعبين فطلبت من فردي ان يقوم مقامهُ فادهش السامعين بمهارتهِ فعين مديرًا للموسيقى فيها

وبعد عناء كثير مُثلت رواية اوبرتو سنة ١٨٣٩ فنجحت نجاحا عظيمًا وكان مرلي يدير الاوبرة في ميلان وفينَّا فطلب منهُ ان يضع لهُ انغام ثلاث روايات شعرية من نوع الاوبرة وهو يدفع لهُ عن كل واحدة ١٣٤ جنيهًا ونصف الربح من بيع ما يطابع منها . فوقع هذا الطلب منهُ وقوع المطر من الارض العطشانة لانهُ كان قد عجز عن دفع اجرة بيتهِ وعزم ان يقترض من حميهِ عشرة جنيهات فطلب من مرلي ان يدفع اليهِ جانبًا من الاجرة سلفًا فلم يقبل فاسقط في يدهِ وضاقت الدنيا في عينيهِ ولم يعرف كيف يجد اجرة بيتهِ حتى مرض من جراء ذلك لكن زوجتهُ بادرت الى معونتهِ وجمعت ما عندها من الحلي ومضت ورهنتها عند صراف واتتهُ بالنقود ليدفع اجرة البيت . قال فردي بعد ذلك " ولا اعلم كيف سهل عليها رهن حلاها ولكن فعلها هذا اثَّر في اعماق نفسي فعزمت ان لا يهدأ لي بال حتى استفك الرهن "

والمصايب لا تأتي فرادى فمرض ولداهُ وزوجتهُ وتوفوا في اقل من ثلاثة اشهر وهاك ما قالهُ في هذا الصدد "مرض ابني في شهر ابريل (سنة ١٨٤٠) ولم يعرف الطبيب علتهُ فزاد ضعفًا الى ان مات على ذراعي والدتهِ فانصدع فؤَادها ثم مرضت اختهُ وقضت نحبها حالاً ولم يأتِ شهر يونيو حتى مرضت زوجتي بالحمى الدماغية وفي التاسع عشر من ذلك الشهر حملت الجثة الثالثة من بيتي وامسيت وحيدًا شريدًا . في اقل من ثلاثة اشهر خرج من بيتي ثلاثة وهم كل الذين احبهم في هذه الدنيا"

ووضع انغام رواية بعد بضعة اشهر فلم يستحسنها احد والظاهر ان حزنهُ على زوجتهِ وولديهِ الوحيدين بلبل بالهُ فلم يحسن الايقاع فاسقط في يدهِ وعزم ان لا يوقع نغمًا آخر لكن قريحتهُ عادت فانتعشت واستردَّت مضاءها فوضع انغام رواية نبوخذنصر سنة ١٨٤١ ومثلت في شهر مارس التالي فاطلعت نجمهُ في سعد السعود . وهاك ما قالهُ عنها "هنا ابتدأ نجاحي في الموسيقى فان رواية نبوخذنصر وضعت انغامها في طالع سعد لان المصاعب التي حالت اولاً دون نجاحها تحوَّلت الى معينات لها . وكان ذلك بعد ان صبرت على مضض الفقر والقنوط زمانًا طويلاً وضحك عليَّ كل اصحاب المطابع وطردني ممثلو الروايات وضعف قلبي وخارت قواي ولم اثبت على عزمي الاَّ عنادًا حتى سمح لي ان اجرب رواية نبوخذنصر في مشهد لاسكالا بميلان . وكان العمال يصلحون المشهد وجعل المغنون يغنون على اقبح ما يكون ولكنهم لم يتقدموا في الغناء كثيرًا حتى ترك العمَّال اعمالهم واصغوا الى صوت الموسيقى كأنهم في كنيسة حتى اذا تمَّ فصل الغناء اندفعوا يصفقون وينادون برافو برافو ڤيف إل ميسترو (اي احسنت احسنت ليعش رب الفن) فعلمتُ حينئذٍ ان المستقبل لي

وتلت هذه الرواية روايات اخرى الى ان وضع انغام رواية عائدة ومثلت في الاوبرة الخديوية اول مرة سنة ١٨٧١ ثم في كل مشاهد التمثيل في اوربا واميركا الاَّ في مشهد بيروت بالمانيا حيث تمثل روايات وغنر. وارتقى بها اسم فردي حالاً الى الطبقة العليا بين ارباب الموسيقى

رأينا هذه الرواية تمثل مراراً في الاوبرة الخديوية وسمعنا ما فيها من الموسيقى الشجية وقد كنا نحتقر الديانة الوثنية ونزدري خزعبلات كهنتها وكاهناتها ونستخف عقول اصحابها ولا ندري ما يحملهم فيها على التدين والتقوى حتى شاهدنا فصول هذه الرواية وسمعنا انغامها الشجية ورأينا كاهناتها يكدنَ يذبن خشوعاً و يذبن الجماد بالحانهنَّ واصوات المعازف التي تعزف معهنَّ وتمتزج حركاتهنَّ بانغامهنَّ امتزاج الخمر بالماء والراح بالروح فانجلى لنا سرٌّ غامض ورأينا سلطة الموسيقى على العقول وعلمنا انها كانت الركن الاول من اركان العبادة . وسواء كان الغناء قد بلغ هذا المبلغ في هيا كل المصريين او لم يبلغهُ ولا بلغ ما يدانيهِ فلا شبهة انهُ كان يؤثر في نفوسهم هو وخشوع كهنتهم وكاهناتهم تأثيراً يخلب العقول ويجذب النفوس الى التدين والتقوى . ولم نكد نفرغ من كتابة هذه السطور حتى جاءنا بريد اوربا بمجلة القرن التاسع عشر وفيها مقالة عن فردي بقلم تلميذهِ ادورد جريج النروجي ذكر فيها رواية عائدة ووفاها حقها من الوصف حيث قال ما ترجمتهُ

"ووقف فردي عن الايقاع والتلحين مدة ثم انشأ انغام عائدة سنة ١٨٧١ . انشأها فاعجب وأبدع . اذا سألني سائل مأخذ مَن اخذ فردي فيها عجزتُ عن الجواب لانها مبتكرة واقفة وحدها على قمَّة الفن في كل العصور . نعم ان ارباب الفن المحدثين في فرنسا والمانيا افادوهُ ولكن فائدتهُ منهم كانت مقصورة على تنبيههِ لا غير . عائدة تحفة يتيمة افرغ فيها قريحتهُ الخاصَّة بهِ واضاف اليها احسن ما بلغهُ فن الموسيقى في هذا العصر فامتزج فيها فردي الايطالي وفردي الاوربي ولذلك بدت انغامها لابسة حلة عامَّة يدركها كل واحد ففازت بالنجاح في كل الدنيا لانها تتكلم بلغة الناس كلهم (اي الموسيقى العامة) ولذلك لا نضطر ان نرجع الى ايطاليا لفهمها . وانغامها وموافقاتها وتوقيع المعازف بعضها مع بعض كل ذلك يستحق الاعجاب و يزاد عليهِ الصبغة المصرية التي للرواية لا لان فردي درس التاريخ المصري درساً دقيقاً فاستخلص منهُ انغام الرواية بل لان مخيلتهُ نقلتهُ الى وادي النيل فاستنبط ما ينطبق على احوال المكان والزمان حتى ان مَن يرى بداءة الفصل الثالث منها مثلاً ويسمع انغامهُ يظن نفسهُ في ليلة ليلاء على ضفة النيل"

ووضع انغام اوتلو بعد ست عشرة سنة فارتقى بها الى اوج مجدهِ ولم ينحط عنهُ بقية عمرهِ ووضع بعدها انغام الفلستاف سنة ١٨٩٣ قال المسترستر تفيلد في وصف هاتين الروايتين .

" انهُ يتعذَّر عليَّ ان لا اغالي في وصفها لان اعجابي بهما يقرب من العبادة . ولم يجمع الناس كلهم على مدح رواية كما اجمعوا على مدح الفلستاف وهو ان ودَّع الدنيا بها ودَّعها باسماً مسروراً "

وكما ان الخطباء لا يفلحون ما لم يكن فيهم ميل الى الثورة والانتقاض على الحالة التي فيها بلادهم كذلك ارباب فن الغناء لا يخلبون الالباب ما لم يميلوا هذا الميل . ومن امثلة ذلك ما رأيناهُ في هذه العاصمة لما تغنَّى عبدو افندي الحمولي بالصوت الذي مطلعهُ " عشنا وشفنا العجب " فانهُ حكَّ بهِ حزازات في الصدور فارتاحت اليهِ النفوس ايَّ ارتياح . وهذا كان شأن فردي فانهُ لما نشأَ كانت بلاد لمبرديا في يد النمسويين وكان سكانها الايطاليون ناقمين عليهم راغبين في الثورة لخلع نيرهم فجاءهم على حسب اهوائهم وضمَّن اوبراتهِ اميالاً ثورويَّة فانتعشت بهِ نفوسهم وجعلوا يحيونهُ في المشاهد وينادون ليحيَ فردي . وفي اسمهِ Verdi خمسة احرف مثل الاحرف الأُوَل في هذه العبارة .Victor Emmanuel Re D'Italia فكأنهم كانوا ينادون ليحيَ فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا . فزادت شهرتهُ عند الايطاليين وعلا مقامهُ في نفوسهم . وضمَّن كثيراً من رواياتهِ الحض على الثورة وطلب الاستقلال فلم تكن تُمثَّل الاَّ وينتهي تمثيلها بثورة في الخواطر ومظاهرات بطلب الاستقلال واذا اعترض رجال الشحنة النمسويون قال الايطاليون انما نحن نباهي بفردي وندعو باسمهِ . حتى اذا تحرَّرت ايطاليا كلها جُعل عضواً في مجلس النواب لاشتراكهِ في تحرير بلادهِ

وانهالت الثروة على فردي بعد الفقر المدقع فان اسمعيل باشا اعطاهُ مئة وخمسين الف فرنك لمَّا الف لهُ انغام عائدة وكل الذين مثَّلوها في اوربا واميركا دفعوا لهُ شيئاً كجزية وقس على ذلك اوبراتهِ الاخرى فانهُ ربح منها كلها ربحاً وافراً لكنهُ بقي على بساطة المعيشة وانفق امواله في الاعمال النافعة لبلادهِ وامتهِ فانشأَ مستشفًى سنة ١٨٨٨ وداراً للعجزة من رجال الموسيقى تسع ستين رجلاً واربعين امرأَة يقيمون فيها آكلين شاربين . وتزوج ثانية سنة ١٨٥١ بامرأَة مشهورة بالغناء . وبيتهُ في سنت اغاتا متحف للصور البديعة والكتب النادرة

ومن النوادر الكثيرة التي تظهر بساطتهُ واستقامتهُ ان رجلاً اراد ان يسمع اوبرة من اوبراتهِ فقصد المشهد الذي تُغنَّى فيهِ وكان بعيداً عنهُ فدفع اجرة السفر ولم يسرَّ بسماعها . فقصد المشهد ثانية وسمعها فلم تعجبهُ فكتب الى فردي يشكو من ذلك ويقول لهُ انني دفعت كذا وكذا على سماع الاوبرة الفلانية فاضعت مالي سدى . فكتب فردي الى وكيلهِ يقول ادفع اليهِ كل ما دفعهُ ما عدا ثمن الاكل وخذ عليهِ صكاً انهُ ما عاد يطالبني بشيءٍ اذا سمع اوبرة من اوبراتي ولم تعجبهُ . وتوفي في السابع والعشرين من يناير الماضي فاسفت عليهِ ايطاليا

والعالم اجمع ووردت تلغرافات التعزية على عائلتهِ من ملك ايطاليا بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن بيت الملك ومن السنيور غالو بالنيابة عن الحكومة الايطالية ومن دون بروسبر وكولونا بالنيابة عن رومية . وجاء في تلغراف الملك انهُ "مشارك لعائلة الفقيد في الحزن الشديد على فقيدها ومشارك لايطاليا وللعالم اجمع في الاكرام لذكر فردي الخالد والاعجاب بهِ في الساعة التي خسرت فيها الامة الايطالية بفقدهِ خسارة لا اعظم منها ولا مثيل لها". واجتمع مجلس الشيوخ اجتماعاً خاصًّا وقرَّر ان يحتفل بجنازتهِ على نفقة الحكومة ويرسل مندوبون من المجلس لحضور الجنازة وينصب لهُ تمثال في المجلس يبقى اثرًا خالدًا لهُ فيهِ . وأُقفلت المشاهد والملاهي والمدارس والمخازن في ميلان احترامًا لهُ ووضعت شارات الحداد على البيوت . ولما اجتمع مجلس النواب قام الرئيس وناظر المعارف وسبعة من زعماء الاحزاب المختلفة وابنوهُ احسن تأبين وقرَّر المجلس باجماع الآراء وضع شارات الحداد في المجلس سبعة ايام وتعزية مدينتي بستو وميلان عن فقدهِ ثم فضوا المجلس دلالة على الحداد

هكذا تكرم اوربا نوابغها ولو كانوا من المغنين وهكذا تذكى نار القرائح وتشحذ مواضي الهمم فلا عجب اذا اتقدت الغيرة في فؤاد كل رجل وكل امرأة وسعي كل احد ليكون عظيمًا في قومهِ

النور الكهربائي الجديد

انتقدنا على المستر تسلا في الجزء الماضي من المقتطف ادّعاءهُ مخاطبة سكان المريخ او مخاطبتهم ايانا باشارات كهربائية لكن ذلك لا يغمط من فضل الرجل ولا يدلُّ على ان مباحثهُ الاخرى عقيمة مثل هذا المبحث فقد نقلت السينتفك اميركان الآن رسالة نشرها في الشمس الاميركية (نيويورك صَن) ادَّعَى فيها انهُ اتَّصل الى اكتشاف قنديل كهربائي ينير نورًا ساطعاً مثل نور الشمس وليس لهُ الاَّ سلك واحد وهاك ترجمة رسالتهِ

ان هذا القنديل هو نتيجة بحثي المستمر منذ ابتدأْت في التجارب امام الجمعيات العلمية في هذه البلاد وفي غيرها . وقد تغلَّبت على مصاعب كثيرة لكي اجعلهُ سهل الاستعمال واجعل من عملهِ ربحًا لعامليهِ . ومن جملة هذه المصاعب الحصول على اهتزازات كهربائية سريعة جدًّا على اسلوب بسيط قليل النفقة . وقد تسنَّى لي ذلك وتدلُّ النتائج التي نتجت لي حتى الآن ان هذا النور الجديد سيكون اقل نفقة من النور الكهربائي المستعمل الآن وزد على ذلك انهُ يمتاز عن كل طرق الاستصباح صحيًّا وهو اقرب الانوار كلها الى نور الشمس على ما يظهر لي

والقناديل التي تستعمل لهذا النور انابيب من الزجاج تلوى على اساليب مختلفة حسبما يراد والغالب اني الويها حتى يكون منها شكل قائم الزوايا وحتى تكون مساحة سطح الانبوب الذي في القنديل الواحد ثلثمئة عقدة مربعة الى اربع مئة عقدة (نحو ألفي سنتمتر مربع الى الفين وخمس مئة) وعلى طرفي هذا الانبوب قشرة معدنية وحلقة يعلق بها في السلك الذي تجري عليهِ الكهربائية. وفي الانبوب غازات ملطفة الى درجة معلومة عندي عيَّنتها بعد التجارب الكثيرة

وهاك الطريقة التي تنار بها هذه القناديل: يوضع في البيت آلة تحول المجرى الكهربائي العادي الى مجرى سريع الاهتزازات وهذه الاهتزازات السريعة تؤثر في الغشاء المعدني الذي على طرفي انبوب القنديل فيهتز الغاز الذي فيهِ اهتزازًا سريعًا يحدث منهُ نور ساطع من غير ان يحدث منهُ حرارة كثيرة اي يتحول اكثر فعل الاهتزاز الى نور لا الى حرارة على غير ما يحدث في النور الكهربائي العادي . ولذلك ثلاثة اسباب. الاول ان هذه الحركة اهتزازات سريعة جدًّا (اي انها من اهتزازات النور لا من اهتزازات الحرارة لان اهتزازات النور اسرع من اهتزازات الحرارة) والثاني ان الجسم المنير هنا هو غاز لطيف جدًّا فيشع النور من غير ان يزول منهُ شيء والثالث صغر دقائق الغاز المنير الذي في الانبوب فتتحرك بسهولة حركات سريعة ولا تتحرك الحركات البطيئة حركات الحرارة

ومن مزايا هذا القنديل ايضًا انهُ يبقى على حالهِ دائمًا فلا يقف ولا تدعو الحال الى ابدالهِ بغيرهِ لانهُ لا يحترق منهُ شيء وعندي قناديل استعملتها منذ عدة سنوات وحتى الآن لم تزل على حالها . وقوة كلّ منها نحو خمسين شمعة ويمكنني ان اصنع القنديل حتى يكون نورهُ اضعف من ذلك او اقوى كثيرًا كما اشاء . ومن خصائص هذا النور انهُ لا يرى في النهار الاَّ قليلاً واما في الليل فينير البيت بهِ نورًا ساطعًا حتى اذا اعتادتهُ العين صارت ترى النور الكهربائي العادي او نور الغاز المكثَّف بشبكة اور متعبًا للبصر جدًّا وذلك دليل قاطع على ان النور الكهربائي ونور الغاز متعبان للبصر ولو لم نشعر بهذا التعب الآن لاننا لا نقابلهُ بغيرهِ

ورأيت ان هذا النور يشبه نور الشمس في كل خواصهِ ولذلك ارجو ان استعمالهُ في المساكن يكون مفيدًا جدًّا كأَنهُ نور الشمس فان لنور الشمس فائدة شفائية لا تنكر وهذا النور يقوم مقامهُ تمامًا فتنار البيوت بهِ ليلاً كما تنار بالشمس نهارًا ولا تعود جراثيم الامراض تنمو فيها. ويمكن استعمالهُ لشفاء الامراض الميكروبية كالسل ونحوهِ بتعرض المريض لهُ دوامًا (اي انهُ يعرض لنور الشمس نهارًا ولهذا النور ليلاً). وقد وجدت بالاختبار انهُ يسكّن الاعصاب وانا انسب ذلك الى فعلهِ بشبكية العين . وهو يصلح البصر ايضًا كما يصلحهُ نور الشمس ويولّد

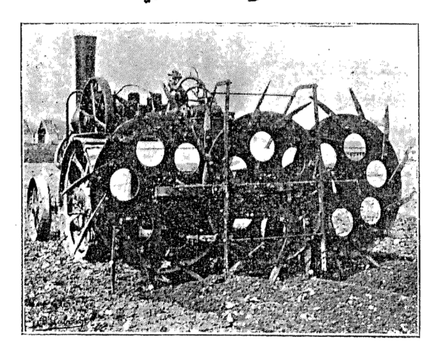
الاوزون في الهواء الى الحد المطلوب فاذا اريد تكثير الاوزون في المستشفيات لتطهير هوائها استطاع الطبيب ان يولد منهُ المقدار الذي يحتاج اليهِ ثم يوقف تولُّدهُ حينما يشاء

والقناديل رخيصة الثمن جدًّا لانها غير مفرَّغة من الهواء وغاية ما ينظر اليهِ فيها مقدار القوة التي تُنفَق بها. وحتى الآن لا اقدر ان احدد مقدار النفقة اللازمة لهذه القوة ولكني اقول انهُ يتولَّد من كمية معلومة من الكهربائية نورٌ من نوري اكثر مما يتولد منها عادةً. وجل الاعتماد على المحرّك الذي اخترعتهُ فيوضع هذا المحرك في مكان مناسب في اسفل البيت وتوصل اليهِ الكهربائية كما توصل عادة الى البيوت فيغير حركة تموجاتها ويجعلها سريعة جدًّا ثم تنتقل منهُ بالاسلاك العادية الى القناديل الكهربائية المشار اليها آنفًا ويكفي ان يكون لكل قنديل او مجموع من القناديل سلك بدل السلكين. ويمكن ان ينار القنديل من غير اسلاك مطلقًا. وهذا الامر الاخير هو غرضي الاهم فاني ساعٍ لاجعل المصابيح الكهربائية تنير من نفسها حيثما وضعت فتصير تنقل من مكان الى آخر كما تنقل مصابيح البترول والكهربائية تصل اليها في الخلاء من غير موصل معدني. ومتى تمَّ اتقان المحرّك الذي اشرت اليهِ نكون قد بلغنا غاية ما نتمناهُ وهو ايجاد نور خالٍ من الحرارة. وانا استطيع الآن ان انير البيوت بمصابيح كهربائية لاسلاك لها ولكنني لا ارى ان ينتشر استعمال هذه المصابيح قبلما يتم كل ما اقصدهُ لها من الاتقان. انتهى

و يظهر لنا من وصف الاستاذ تسلا هذا ومما قرأناهُ عن وصف تجاربهِ المختلفة ان المحرك الذي استنبطهُ لإسراع التموجات الكهربائية يفعل الفعل الذي ادعاهُ لهُ وانهُ يستطيع حقيقةً ان ينير المنازل بقناديل كهربائية غير متصلة بسلك معدني كما قال ههنا وانهُ سيكون لمحركهِ هذا شأن كبير في نقل الكهربائية وتغيير خواصها. ومن يستطيع ان يضع حدًّا لنتائج العقول وغرائب الطبيعة. ولا بدَّ من ان ترحّب المجلاَّت العلمية باختراع تسلا هذا وتمدحهُ عليهِ كما لامتهُ على تسرُّعهِ في ما ادعاهُ من مخاطبة سكان المريخ لنا بالاشارات الكهربائية. ولومها لهُ لم يكن مبنيًّا على ان مخاطبة سكان المريخ لنا ضرب من المحال بل على ان كل ما عُلم حتى الآن من امر المريخ لا يدل اقل دلالة على ان فيهِ سكانًا يحاولون مخاطبتنا

وقد قال احد العلماء منذ عهد غير بعيد انهُ يستحيل علينا ان نعرف ماهية العناصر التي في كواكب السماء ولم يمضِ على قولهِ سنون كثيرة حتى كُشف الحل الطيفي وصرنا نعرف بهِ عناصر الكواكب كما نعرف عناصر الخبز الذي نأكلهُ والماء الذي نشربهُ فما ادرانا انهُ لا يكشف ناموس جديد او اسلوب جديد نعرف بهِ كل ما يحدث في كواكب السماء من الاعمال والافعال فيصير عقل الانسان قادرًا على ادراك كل ما يحدث في هذا الكون قريبًا كان منهُ او بعيدًا

المحراث النوباري



من حين شرع المصريون القدماء في حرث الارض بعود اعقف الى الآن لم يحاول احد ان يغير اسلوب الحرث في ما نعلم بل سار اتقان المحاريث على اسلوب واحد تقريباً وهو شق الارض وقلبها في جهة سير السكة فيها . والظاهر ان صاحب السعادة بوغوص باشا نوبار جرى مجرى اكثر المخترعين العظام فغادر الطريق المطروق واختطَّ لنفسهِ طريقاً جديداً فصنع محراثاً ذا ثلاثة تروس فيها سكاكين كثيرة على محيطها تخرط الارض وتثيرها كأَنها تعزقها عزقاً وحركتها عمودية على الجهة التي يسير فيها المحراث اي اذا سار المحراث من الغرب الى الشرق دارت التروس من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال وشقت الارض وأثارت ترابها بسكاكينها الكثيرة . وقد نقلنا هذا الرسم عن صورة فوتوغرافية اهداها المخترع الينا وفيهِ صورة الآلة البخارية ولها اربع عجلات واسعة جداً تسير عليها بسهولة في الاراضي الزراعية ولو كان ترابها ناعماً وهذه الآلة تدير الاتراس الثلاثة المتصلة بها فتدير الترس المتوسط في جهة عقارب الساعة وتدير الترسين الآخرين في الجهة المقابلة

وفي الخامس عشر من الشهر الماضي دعا المخترع جمهوراً من وجوه العاصمة لرؤية هذا المحراث في اطيانهِ بشبرا واعدَّ لهم قطاراً خاصاً بنقلهم اليها فلبى الدعوة اصحاب الدولة البرنس

ابرهيم باشا والبرنس فؤاد باشا والبرنس عزيز بك ومختار باشا الغازي ورياض باشا وناظر الاشغال والمعارف وناظر الخارجية وناظر الحربية ووكلاء الدول ورؤساء مصالح الحكومة وكثيرون من وجوه العاصمة وكبار اهل الزراعة. ولما وصلوا كان مهندسا المحراث وعاملاه قد استعدوا لتجربتهِ فسيّراهُ بقوة البخار فسار وجعل يحرث الارض حرثاً جيداً في عرض قصبة حتى اذا سار نحو مئتي متر رفعت التروس الثلاثة بلوالب ترفع بها وادير المحراث كلهُ وعاد يحرث الارض راجعاً كما حرثها ذاهباً

وقد سُرَّ المدعوون سروراً عظيماً لما رأوهُ يحرث الارض وهو سائر امامهم وهم سائرون وراءهُ . واخبرنا سعادة مخترعهِ انهُ يقدّر حرثهُ من ستة افدنة الى ثمانية في اليوم وان عمل محراث حجمهُ كحجمهِ وقوتهُ ثمانية احصنة مثل قوتهِ يقتضي الف جنيه على الاكثر و ٨٠٠ جنيه على الاقل . وقد حسب المزارعون الخبيرون ان نفقتهُ تبلغ ٢٥ فرنكاً الى ٣٠ فرنكاً في اليوم فتكون نفقة حرث الفدان بهِ كنفقة حرثهِ بالبقر ولكن الحرث بهِ مرة واحدة مثل الحرث بالبقر مرتين ولذلك فنفقة الحرث بهِ نصف نفقة الحرث بالمحراث العادي

الاَّ انهُ يعوز هذا المحراث اصلاح جوهري ادركهُ الذين شاهدوا الحرث بهِ كما ادركهُ سعادة مخترعهِ قبلهم وهو انهُ تبقى قدةٌ من الارض غير محروثة بين كل ترسين وقد عزم المخترع ان يضيف اليهِ ترسين صغيرين يحرثان ما لا تصل اليهِ اسنان الاتراس الثلاثة . ويظن بعض المزارعين ان التربة التي تحرث بهِ لا تعرَّض للهواء ونور الشمس كالتربة التي تُحرَث بالمحاريث المعتادة لكن هذا الظن لا يعلم صوابهُ من خطائهِ الاَّ بعد طول التجربة والامتحان . وقد سمعنا جماعة من كبار المزارعين يقولون انهم سيصبرون سنة حتى يتحققوا نتيجة الحرث بهِ ثم يقتنونهُ اذا وجدوا النتيجة حسنة لانهُ يغنيهم عن مشقة عظيمة ونفقة غير قليلة . واما اصحاب الاطيان القليلة فلا يكاد يؤمل انهم يعوّلون عليهِ في حرث اطيانهم الاَّ اذا اشترك جماعة منهم في محراث واحد او اذا اقتناهُ واحد وحرث بهِ اطيان غيرهِ بالاجرة

وقد اثنى الجميع احسن ثناءٍ على سعادة المخترع ودخلوا السرادق الذي اعدَّهُ لهم فتناولوا المرطبات وعادوا يتحدثون بمزايا هذا الاختراع ويباهون ببراعة المخترع ويتمنون ان يكثر في الشرق امثالهُ من اصحاب الهمم الذين لا تقعدهم الثروة عن الجد والكد ولا يلهيهم اليسار عن الاختراع في الصناعة والاستنباط في الزراعة . وعسى ان نوافي القراءَ قريباً بما يدلُّ على نجاح هذا المحراث واقبال الكثيرين على استعمالهِ

حياة هكسلي واشغاله

من خطبة للورد افبري (السرجون لبوك) تلاها في مجمع علم الانسان (الانثربولوجيا) ببلاد الانكليز

(تابع ما قبله)

ومما يستحق الالتفات في حياة هكسلي اهتمامهُ بالمباحث التي وراء الطبيعة فلما أُنشئت جمعية ما وراء الطبيعة سنة ١٨٦٩ ارتاب اعضاؤُها في هل يدعون هكسلي وتندل للانضمام اليها وارسلوا المستر نولس (محرر مجلة القرن التاسع عشر) اليَّ يستشيرونني في الامر فقلت اني احسب اقصاءهما عنا بسبب آرائهما مبطلاً لحرية البحث ويتعذَّر علينا ان نضع حدًّا فاصلاً بين الآراء التي تجيز لاصحابها الانتظام في سلكنا والآراء التي تمنع اصحابها من هذا الانتظام مع ان كلَّ انسان حرٌّ في رأْيهِ وجمعيتنا لم تقيد آراء الناس . وهكسلي وتندل تخالفان في الرأي للبعض منا ولكن لا يمكن ان يعبّرا عن رأْيهما تعبيرًا يغيظ احدًا

وكان في هذه الجمعية نحو اربعين عضوًا وبينهم طمسن ورئيس اساقفة يورك واسقف غلوسستر ودين ستنلي ودين الفُرد من زعماء الكنيسة الانكليزية . والكردينال مننغ والاب دالجرنس والمستر ورد من زعماء الكنيسة الرومانية . وغلادستون ودوق ارجيل ولورد شربروك والسر غرانت دف والمستر مورلي من رجال السياسة . ومرتينو وتنيسن وبروننغ وفردرك هريسن ولسلي ستفنس وغيرهم من رجال الانشاء فلا عجب اذا توقعتُ اعظم الفوائد من هذه الجمعية . وقد حدث فيها ما ادهشني فاننا حرنا اولاً في من نجعلهُ اول رئيس علينا لاختلاف مذاهبنا دينًا وفلسفةً واخيرًا قرَّ القرار على جعلي الرئيس الاول فاذهلني ذلك جدًّا لانني لم اكن انتظرهُ . وكانت حرية البحث مطلقة تمام الاطلاق ولكننا كنا نبحث بالصداقة والمحبة . وكان هكسلي من اقدرنا على البحث والجدال

كنا نتغدَّى معًا ثم يقرأُ واحد من الاعضاء مقالةً في موضوع ما ويدور البحث فيها واخيرًا يقف صاحب المقالة ويلخص البحث ويرد على ما اعتُرِض بهِ عليهِ . وقدَّم هكسلي مقالات كثيرة لهذه الجمعية وكنا نسرُّ بمناظراتهِ فيها لانهُ كان فائقًا في شدَّة العارضة وقوة الحجَّة

(وهنا فصَّل الخطيب كيف فنَّد هكسلي فلسفة ده كارت التي يزعم فيها ان الحيوانات آلات ميكانيكية لا غير) وكان من نتائج هذه الجمعية وضع هكسلي لكلمة الاغنستك اي اللاادري . قال " لما بلغتُ اشدي وجعلتُ اسأَل نفسي أَموحِّد انا ام مشرك أَمادي ام روحي امعتنق للدين المسيحي ام غير معتنق لدين من الاديان وجدت انهُ كلما زاد علمي وبحثي اعتاص عليَّ ان اجيب عما تقدَّم

واخيرًا وجدتُ اني لستُ موحِّدًا ولا مشركاً ولا ماديًا ولا روحيًا ولا مقيدًا بمذهب من المذاهب الدينية لان الشيء الوحيد الذي يتفق فيهِ الصلاَّح من اهل هذه المذاهب هو الشيء الذي اخالفهم فيهِ فانهم يتفقون انهم يعرفون بعض الاشياء معرفة اكيدة و يعرفون غاية الوجود. وانا اعلم من نفسي اني لا اعرف هذه الاشياء التي يدعون معرفتها معرفة اكيدة ولا اعرف غاية الوجود . وكان كل واحد تقريبًا من أعضاء جمعيتنا ينتسب الى مذهب من المذاهب الاَّ انا فلم تكن لي نسبة فشعرت شعور الثعلب الذي قُطع ذنبهُ وجاء اخواتهِ الثعالب وهنَّ يجررنَ ذيولهنَّ عجبًا وتيهاً وهو ابتر بينهنَّ ولذلك اعملت فكري واخترعت اللاادرية (اغنستك) لكي انتسب الى مذهب مثل غيري معارضًا بهِ مذهب الغنستك الذين كانوا يدَّعون انهم يعرفون كثيرًا عن كل شيء مما اجهلهُ انا . واستغنمت اول فرصة وحلَّيت اسمي بهذا اللقب لكي يظهر ان لي ذيلاً مثل غيري من الثعالب "

واكد هكسلي انهُ ليس من معتقدي القدَر ولا من الماديين ولا من المعطّلين . قال "لست من معتقدي القدر لان القدر او الاضطرار صيغة منطقية لا اساس لها في العالم المادي. ولا انا من الماديين لانني لا اقدر ان أتصوَّر وجود المادة من غير وجود عقل يكيف صورة وجودها ولا من المعطلين لان مسألة العلة الاولى من المسائل التي لا تدركها عقولنا القاصرة على ما أرى "

وكثيرًا ما يقول علماء الكلام (اللاهوتيون) قولاً مفادهُ ان الانسان يستطيع ان يؤمن بصحة ما لا يفهمهُ كأَن الايمان امرٌ خاضع للارادة وكأَن من يؤمن بما لا يقدر ان يقيم الادلة على صحتهِ يحسب ايمانهُ بهِ فضيلة لهُ. وانهُ اذا ذُكر لك امر فلا بدَّ من ان تصدقهُ او تكذبهُ ولا وسط بينهما . اما هكسلي فقال كما يقول اكثر رجال العلم انهُ لا يستطيع ان يعتقد صحة شيء ما لم يرَ دليلاً واضحًا على صحتهِ . نعم ان المرء قد يسلم بصحة شيء من غير ان يعلم كيفيتهُ ولكن يستحيل عليهِ ان يعتقد بصحة ما لا يفهمهُ ولذلك يبقى في حالة متوسطة بين الاعتقاد والانكار

والايمان يعتمد على العمل اكثر مما يعتمد على القول فاذا كان الانسان لا يفعل حسبما يؤمن فهو غير مؤمن . ومثال الايمان المقترن بالعمل ان اهالي فيجي يؤمنون بالبعث (القيامة) و يقولون ان الانسان يُبعَث كما مات فاذا مات شابًا بُعث شابًا واذا مات شيخًا بعث شيخًا واذا مات هرمًا بعث هرمًا واذا مات قويًا بعث قويًا واذا مات اطرش بعث اطرش و يفعلون حسبما يؤمنون فيجعل كل واحد منهم اقاربهُ يقتلونهُ وهو في عنفوان قوتهِ حتى لا يموت ضعيفًا فيبعث ضعيفًا . وقد

قال الدكتور ولكس انهُ لم يرَ في مدنهم الكبيرة احدًا عمرهُ اكثر من اربعين سنة . هذا هو ايمان راسخ في النفس وايقان ثابت بالمعاد

ويظهر معتقد هكسلي من ثلاثة ابيات كتبتها زوجتهُ على رمسهِ وهي

Be not afraid, ye wailing hearts, that weep,
For still He giveth His beloved sleep,
And if an endless sleep He wills—so best.

ومعنى هذه الابيات " لا تجافي ايتها القلوب الباكية المنتحبة لانهُ (اي الله) يعطي حبيبهُ نومًا واذا اراد ان يكون هذا النوم ابديًّا فذلك هو الاحسن "

وهذا اعتراف صريح بوجود الخالق اما المعاد فالذي ينكرهُ هو الذي يعيش عيشة مدلولها ان ليس وراء هذه الحياة حياة اخرى او كما قال بكستر في كتابهِ " راحة القديسين " هو من يدَّعي انهُ مؤْمن بالسماء ويفعل كأَنهُ يفضل راحة السماء على نار جهنم ولكنهُ لا يفضلها على الملاذ الارضية

ثم ان هكسلي لم يكن من غير ايمان محدود فقد قال اني لستُ من الذين يقولون ان كل الاشياء تنعل معًا للخير (أُبتمست) ولكني واثق ان الحكم الالهيَّ عادل تمام العدل . وكلما زدت اختبارًا باحوال الناس اتضح لي ان الشرير لا يفلح والصدّيق لا يضام

وقد احسن السر وليم فولر حيث قال " انهُ اذا اريد بالتديُّن التسليم بالتعاليم والرسوم التي في مذهب من المذاهب الدينية فهكسلي لم يكن متدينًا ولكن ما من احد عاشرهُ الاَّ ورأى انهُ يحترم اشد الاحترام كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو ظاهر كل ما هو مسرّ كل ما صيتهُ حسن ويكره اشد الكره كل ما يناقض ذلك . وقال اللورد شفتسبري ان هكسلي حدَّد الفضيلة فقال " علموا الولد الحكمة فذلك هو الفضيلة "

والخلاف الحقيقي ليس بين العلم والدين بل بين العلم والخرافات . فعدم الاعتقاد برحمة الله هو الذي قاد الى انشاء ديوان التفتيش وفعل الفظائع المنسوبة اليهِ . وقد بقي الاعتقاد بالسحر باسطًا ستار الظلم فوق الديانة المسيحية مدة القرون الوسطى وما بعدها الى عصرنا هذا تقريبًا واعتقدهُ اناس من الصلاَّح مثل ولسلي . والعلم هو الذي ازاح هذا الستار فالبلاد التي لا يزال العلم فيها متأَخرًا الدينُ فيها غامضٌ والبلاد التي تقدَّم العلم فيها تقدَّم الدين ايضًا وفُصل بينهُ وبين الخرافات . ولكن لم يُعتَرف بخدمة العلم الاعتراف الواجب حتى الآن

وقد يظن كثيرون منا ان هكسلي تطرف في ارتيابهِ فان بعض ما ارتاب في صحتهِ عليهِ ادلة كثيرة تؤَيدهُ اكثر مما ظن . اما انا فاقول انهُ لم يستخف بشيءٍ من هذه الامور بل بحث عنها

بهمَّة واخلاص راغباً في الوصول الى حقيقتها . و يسرُّني ان اقول ان الجميع اعترفوا لهُ بذلك . ولم يكن معادياً للدين ولو خالف خَدَمتهُ في امور جوهرية لان اهل العلم يختلفون في امور كثيرة وهم يفتشون عن الحقائق ولكن لا يقال عن احد منهم انهُ معادٍ للعلم

الاَّ ان كثيرين من رجال الدين يعدُّون من يخالفهم في معتقدهم معادياً لدينهم ومن يشك فيهِ كافراً او معطّلاً . ولذلك رأيناهم بالغوا في كرم الاخلاق لما ابَّنوا هكسلي وذكروهُ بالاكرام ولو حسبوهُ خصماً عنيداً

قالت جريدة العالم المسيحي عند وفاتهِ " لو كان الرأي الشائع في الكنيسة لما كان هكسلي شاباً من حيث نشوء التوراة كما هو الآن لما رأينا الكنائس تنذهل من رأي دارون وتقاومهُ ولكان اعظم تلامذة دارون تمتع منذ ثلاثين سنة بما تمتع بهِ قُبيْل وفاتهِ من الاكرام والثقة والحب " .

ولما قام رئيس الجمعية الملكية السابق والحاضر وابَّنا هكسلي التفت كلٌّ منهما الى معتقدهِ الديني فقال الاول وهو لورد كلفن " اذا اريد بالتدين بذل الجهد في عمل الصلاح فمن يستحق لقب التدين اكثر من هكسلي " . ولما اراد الثاني وهو لورد لستر ان يصف استقامة هكسلي العقلية اشار الى انهُ كان " صدّيقاً قلبهُ مملوءٌ بالحنو والشفقة وديانتهُ فعل الصلاح "

وقد كان هكسلي رجلاً عظيماً وكان ايضاً صالحاً شجاعاً . ولم يستطع المجاهرة بآرائهِ الالانهُ كان شجاعاً ولو راعى مصلحتهُ الذاتية ما فعل ذلك ونحن مديونون لهُ بما نتمتع بهِ الآن من حرية القول

وكان يشتد حنقهُ اذا رأى احداً اساء الى غيرهِ او رأى احداً خدع غيرهُ او رأى احداً يتهن الحق . والتمثال الذي نُصب لهُ في متحف التاريخ الطبيعي يمثلهُ وهو في حالة الحنق . — الحنَق العادل الفاضل ولكنهُ لم يكن كذلك غالباً ولا كان كذلك وهو يدرّس ولا وهو بين اصدقائهِ فانهُ كان من اودع الناس واظرفهم وارقهم قلباً

وقد كان غرضهُ من اشغالهِ كلها على ما قال — ان تزيد المعارف الطبيعية وان تستعمل الاساليب العلمية في البحث عن المسائل العمومية . وكان في معيشتهِ البيتية مثالاً للحب والدعة فكان متعلقاً باولادهِ وكانوا متعلقين بهِ وقد قال في ذلك ان محبة اولادنا تنعش نفوسنا في شيخوختنا اكثر مما تنعشنا حرارة الشمس

ولا اريد ان اختم هذه الكلمات ما لم اشر الى زوجتهِ مسز هكسلي التي قال عنها ابنها انها كانت "عونهُ وعضدهُ اربعين سنة تساعدهُ بمشورتها وقت الجهاد وبانسها وقت الشدَّة . وهي المنتقد الذي كان لانتقادهِ المقام الاعلى في عينيهِ ولمدحهِ المنزلة الاسمى في نفسهِ وكان اهتمامهُ

الاول موجهاً اليها وفكره الاخير محصوراً فيها وهي الشخص المتجد بنفسهِ اتحاداً يتخذ قدوةً للاخلاص والحب المتبادلين"

وكان لهُ غايتان يسعى اليهما الاولى نشر العلم والثانية اصلاح حال العامَّة لكي يرتقوا من الحالة التعيسة التي يُرى اكثرهم فيها. قال وليس لي رغبة شديدة في الشهرة بعد الموت ولكن اذا كان لا بدَّ من ذكري بشيءٍ بعد موتي فاريد ان أُذكَر كرجل بذل جهدهُ لمساعدة الناس

وقد اجتمعنا هنا الآن اكراماً لذكر هذا الرجل لا لمجرَّد حبنا لهُ ولا لمجرَّد اعترافنا بانهُ كان عالماً كبيراً بل ايضاً لانهُ كان قدوة لنا كلنا كرجل بذل كل ما في وسعهِ لنفع غيرهِ

آثار كريت

لم تكد جزيرة كريت تنقه من داء الثورة وفساد الاحكام حتى اقبل العلماء الاوربيون اليها ينقبون عن عادياتها وفي جملتهم المستر ارثر افانس بن السرجون افانس. وقد بعث الينا بخلاصة نقبهِ في العام الماضي فاذا هو قد وجد من الآثار ما تنجلي بهِ امور كثيرة من غوامض التاريخ وكان من حظهِ ان وقع على آثار قصر عظيم حفظت من انياب الدهر وتخريب الناس على اسلوب عجيب مدة تنيف على ثلاثة آلاف عام . وكانت هذا الآثار قريبة من وجه الارض تغطيها طبقة رقيقة من التراب فحالما نزع التراب عنها ظهرت تحتهُ دور فسيحة وسراديب طويلة وغرف واسعة ومخازن مملوءة بالجرار والخوابي وبينها الغرفة التي كان فيها عرش الملك والغرفة كان يجتمع فيها ديوان مشورتهِ . والعرش من المرمر الشفاف (الالبستر) ولعلهُ نفس العرش الذي جلس عليهِ مينوس[1] ونطق بشرائعهِ وعليهِ نقوش كثيرة من المقنطرات المحددة . وعلى جدران هذه الغرفة وفي ارضها وارض الاروقة المتصلة بها صور كثيرة تزري بالصور اليونانية التي وجدت في مسيني . ووجد هناك صورة شاب يوناني ومنهُ يظهر شكل اول شعب مرتقٍ سكن اوربا واوجد عمرانها وصور اخرى كثيرة وبينها صور نساء يتحدثن وجدت في دور القصر وفي اروقتهِ . وينبوعاً ميزابهُ من المرمر في شكل لبوة عيناها من الميناء وكأساً من الالبستر في شكل بوق من ابواق البحر وسراجاً من حجر البرفير قائماً على مسرجة في

---

(١) هو ملك كريت الذي يقال في خرافات اليونان انهُ استلم الشريعة من الههم زفس (اي المشتري). ويقال فيها ايضاً انهُ وجد ملكان بهذا الاسم الاول ابن زفس واوربا والثاني حفيد الاول وهو الذي استلم الشريعة من زفس . فهذا القصر هو قصر كنوسس الذي كان مينوس ساكناً فيهِ

شكل النيلوفر المصري تحيط بهِ اوراق بديعة النقش جميلة المنظر

والظاهر ان الاتصال كان مستمرًّا بين كريت ومصر منذ عهد قديم جدًّا كما يبين من الآثار التي وُجدت في انقاض هذا القصر فقد وجد في الدار الشرقية منهُ تمثال مصري صُنع نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وتحتهُ آثار كثيرة من العصر الحجري سمكها نحو عشرين قدماً

ويظهر من آثار اخرى ان هذا القصر كان معبداً للمشتري اله الكريتيين ذي الفاس المزدوجة ومسكناً لملوكهم الاقدمين الذين كانوا فيها قبل عصر التاريخ وهو اللغز الذي كثر ذكرهُ في الاحاديث القديمة كما يستدل من سراديبهِ الكثيرة ومن تماثيل الثيران البارزة من جدرانهِ والزوايا والاعمدة المزدانة بالفاس المزدوجة (لابرس ومنها اسم لابرنث اي لغز) وقد بناهُ ديدالوس ممثّلاً بهِ اللغز المصري الذي كان مبنيًّا على شاطئ بحيرة مورس في الفيوم

وهذه الآثار على كثرتها وعظم شأنها لا تقابل باثر آخر وجد في انقاض هذا القصر وهو سجلات الملوك القدماء مكتوبة على صفائح من الآجر بنوعين من الخط الواحد صوري والثاني خطي وهذه الصفائح موضوعة في نواويس من الخزف والخشب والجبس ومختوم عليها بختوم من الخزف . والكتابة الصورية منها مثل الخط الهيروغليفي المصري . والكتابة الخطية خطوط قائمة متوسطة بين الخط الفينيقي والاوربي ولا بدَّ من ان تقرأ يوماً ما فتكشف عن امور كثيرة في تاريخ الاقدمين

ووجد في الجهات الجنوبية والغربية من هذا القصر كثير من الكؤوس من النوع الكريتي القديم الكثير الالوان ووجد ايضاً انقاض معابد صغيرة من ذوات العُمُد مثل المعابد التي كانت شائعة في فينيقية وفلسطين على ساحل بحر الروم

واتّصل النقب الى كهف سكرو الذي يقول الرومان ان معبودهم الاعلى ربي فيهِ وهو طفل. وهناك اقترن المشتري باوربا على زعمهم ومن هناك استلم مينوس الشريعة كما استلمها موسى على جبل سينا . وكان باب الكهف مسدوداً بصخر كبير وقع فيهِ فلما ازيل منهُ وُجد فيهِ كثير من الكؤوس والموائد والادوات من البرنز والعظم والحديد والتماثيل الخزفية وكلها مما كان الكريتيون يقدمونهُ لمعبودهم . وداخل الكهف بركة كبيرة واعمدة مدلاة من السقف وفي الطين الراسب في قاع البركة كثير من التماثيل النحاسية والحجارة الكريمة . هذا هو الكهف الذي يقال ان مينوس خرج منهُ ومعهُ الشريعة وادَّعى ان المشتري اعطاهُ اياها فيهِ

والهمة مبذولة الآن لجمع المال الكافي لاتمام النقب في قصر مينوس لان ما نقب منهُ لا يزيد على نصفهِ

تاريخ آل معن

(تابع ما قبله)

غير ان الدولة اذا امهلت المخالفين حيناً فما ذلك الاّ كظماً للغيظ وتحيّناً للفرص حتى اذا رأت يدها طائلةً اقتصّت من المعتدين وجاءت بهم الى طاعتها فما مرّت على المعنيين الاعوام الطويلة حتى نبغ في جوارهم بيت كاد يضارعهم قوةً واقتداراً ذلك انهم لما اسعفوا آل سيفا بلغ زعيم هؤلاء يوسف باشا الى منصّة الولاية على طرابلس واصبح وزيراً خطيراً سنة ١٥٧٩ ومناظراً للمعنيين شديد الحول قويّ المكانة وكان الامير فخر الدين قد مات سنة ١٥٤٤ وخلفهُ ابنهُ الامير قرقماز فجرى على خطة ابيهِ

الاّ ان يوسف باشا سيفا عُزل عن طرابلس وكان واليها سنة ١٥٨٤ جعفر باشا الطواشي فانزوى يوسف باشا بآلهِ في منزلهِ بعكار وفي خلال ذلك نُهبت الخزينة السلطانية بمرورها في جون عكار وهي محمولة الى استانبول فلما عُرضت الواقعة على الدولة العلية رأى ولاة الامر ان ليوسف باشا يداً في نهبها لانهُ معزول ولوقوع الجناية في جوارهِ فصدر الامر لجعفر باشا الطواشي ان يخرج بعسكرهِ فيقتص من يوسف باشا وآلهِ فتجهز جعفر باشا وخرج الى عكار واحرقها واكتسح بلادها وفرّ يوسف باشا من وجههِ

وكان في مصر يومئذٍ والٍ حزوم يُقال لهُ ابرهيم باشا وللسلطان مراد الثالث فيهِ ملء الثقة بحيث اجاز لهُ المجيء من مصر والمرور بطريقهِ على سوريا بجماعةٍ من العسكر المصري واذ كان السلطان ممتعضاً من امراء البلاد امرهُ ان يرى في الشؤون الجارية وان يقتص من الذين يفسدون هنالك وعززهُ بالاوامر السلطانية لعمال الدولة في الشام وقبرس ان ينجدوهُ بمن لديهم من العسكر السلطاني فخرج ابرهيم باشا المذكور من مصر وبدأت العساكر تنضم اليهِ وكأن آل سيفا الذين فتك جعفر باشا بهم ارادوا ان يرفعوا التهمة عن انفسهم فدسوا اليهِ ان الذين نهبوا الخزينة هم الامراء محمد العساف التركماني ومحمد جمال الدين والامير منذر التنوخي (١) وجماعة من وجوه الدروز واعيانهم فصدّق الباشا الوشاية واتخذها ذريعةً لكبت الامراء الذين مرّت بهم السنون ولم يذعنوا وجاء فخيم في مرج عرجموش او عرموش تحت زحلة ومع انهُ لم يذكر احد من الامراء المعنيين بين المتهمين بعث ابرهيم باشا يطلب من الامير قرقماز المعني والي

(١) مع ان الخواجا كتافاكو قد ترجم الى الافرنسية معظم ما في اخبار الاعيان من تاريخ آل معن نراهُ اخطأ في كتابة اسم سيف الدين اذ دعاهُ سعد الدين (جورنال ازياتيك اذار ونيسان ١٨٦٤ صفحة ٢٧٢)

الشوف ان يقبض على الجناة وان يقدّم خرجاً لعسكرهِ ثم تقدَّم وامسك على الدروز طريق البحر كأنهُ حصرهم في بلادهم فلما علم الامراء المذكورون باتجاه التهمة اليهم ذهبوا الى مخيم الباشا ولحق بهم عديدٌ من كبراء الدروز وعقّالهم فاعتقلهم جميعاً وقتل منهم نحواً من خمسمائة رجل وحمل الامراء اسارى اما الامير قرقماز فخاف المغبة ولم يرَ ان يقف في وجه العسكر السلطاني سيما وان رجالهُ قد تفرقوا وان عداهُ كثروا ففرَّ واختبأ في مغارة تيرون تحت جزين فاعتراهُ من جراء ذلك مرضٌ اودى بهِ . ومع ان وشاية يوسف باشا بالامراء لم تُذكر الاَّ في تاريخ خطيّ للمرحوم نوفل نوفل فاننا نحسبها اقرب الى التصديق لما فيها من رفع التهمة عن عاتقهِ والقائها على سواهُ ولما نعهدهُ من بغضاء يوسف باشا آل عساف وآل معن ولما يُفترض من التنافس بين العظماء ويخال لنا ان هذه الرواية تفضل سواها مما اطلعنا عليهِ في تاريخ العلاَّمة الدويهي وما نُقل عن ابن سباط وما ذكر المحبي واخبار الاعيان لكننا لا نوافق المؤرخ نوفل افندي على ان الشكوى اتجهت ضد القيسيين والاَّ لم يكن لمحمد العساف نصيب في الاتهام لانهُ يمني والله اعلم

روى المحبي ان الباشا قتل ونهب واحرق واخذ من الدروز اموالاً جمَّة وقال ڤولناي ان ابرهيم باشا ابلى بلاءً حسناً في الدروز والموارنة واذ وقع الخلف بين الزعماء اخذ منهم نحو مليون من الغروش وضرب عليهم مالاً استقرَّ عليهم

ورأى الباشا ان الدروز يدينون لاعيانهم وان هؤلاء الاعيان كثارٌ وبقاؤهم على كثرتهم مخلٌ بمسؤوليتهم لدى الدولة فامران يكونوا جميعهم تحت ولاء الامير الذي تصادق الدولة على امارتهِ فيهم فيصبح الامير مسؤولاً لدى ولاة الامر بسياسة الامة واداء المال فادّت وحدة الحاكم الى توحيد الامة واتجاه خواطرها الى عضد الامير ولم يبقَ بين الدروز في الشوف حزبان قيسي ويمني ومذ اجتمعت الآراء على الوحدة اتجهت القوى المتفرقة الى مناوأة الدولة ونوابها غير ان تلك المناوأة لم تبقَ على حالها الاول العلني بل سدّت ظواهر الطاعة بواطن العداء فكانت من نتائجها حوادث القرن السابع عشر

ولما قضى ابرهيم باشا من الدروز وطرهُ اخذ الامراء المعتقلين وسار بهم الى طرابلس ثم ركب البحر منها الى القسطنطينية فدخلها بابهةٍ عظيمة وحاز القبول لدى المولى حتى حباهُ شرف المصاهرة ثم انعم عليهِ بمسند الصدارة العظمى

وفي خلال ذلك نال الامراء المعتقلون نعمة المثول لدى السلطان وهنالك برروا انفسهم من وصمة الوشاة فحازوا نعمة العفو عنهم وعادوا بعد ان انعم على الامير جمال الدين الارسلاني بولاية الغرب وعلى الامير منذر التنوخي بولاية الشوف بدلاً من الامير قرقماز المعني المتوفى

وكان الامير قرقماز زوج الاميرة نسب شقيقة الامير منذر التنوخي ولهُ منها ولدان الامير فخر الدين والامير يونس وكانا صغيرين حين مات ابوهما فخافت امهما شرَّ السعاية بهما فعهدت بتخبئهما الى الحاج كيوان الماروني فسار بهما الى كسروان وخبأَهما عند سركيس الخازن في بلون لانهُ كان معروفًا بالامانة وهو قيسيٌّ ولا يُظن بهِ الاقدام على تخبئتهما في بلادٍ يحكمها آل عسَّاف اليمنيون

فلبث الغلامان عند آل الخازن ست سنين يتلقيان مبادئ التربية الفاضلة وفي نهايتها هدأَت القلاقل وسكن الاضطراب فاوعز الامير سيف الدين التنوخي الى حفظة الاميرين ان يظهراهما فجيء بهما اليهِ وقد اختلف الرواة في الموضع الذي كان سيف الدين فيهِ حين استقدمهما فقد روى العلاَّمة الدويهي ان الامير كان بدارهِ في الشوف فاستحضرهما اليهِ وفي نهاية السنة السادسة رجع الى عبيه ولكن اخبار الاعيان يقول ان سيف الدين استدعى الاميرين الى عبيه حتى اذا بلغا اشدهما ولاَّهما الشوف واسم اكبرهما فخر الدين وفي الرواية ايضًا غموض آخر من جهة السنين الست فان عبارة المؤرخين تختلف في مؤَداها بين ان يكون الاميران الصغيران قد قضياها في مخبئهما ثم ظهرا او ان يكونا قد اختبأا وظهرا عند خالهما وفي نهاية المدة توليا

بقي ان نبحث في شأن خالهما فان الذي كان معتقلاً هو الامير منذر وهو الذي اخذ الولاية بامر السلطان مراد فكيف قام اخوهُ سيف الدين[٢] بها وسكن الشوف وادار الاحكام حتى سلَّمها لابني اختهِ مع بقاء الامير منذر حيًّا الى اواخر الربع الاول من القرن السابع عشر

والمستفاد من انباء القوم انهم كانوا اذا خلت الامارة من صاحبها يجتمع الاعيان والوجوه ويختارون من البيت الاميري رشيدًا يولونهُ امورهم ثم يلتمسون لهُ الامر من الدولة فكأَن الامير سيف الدين جمع كبراء الدروز فاختاروا فخر الدين اميرًا الاَّ انا لا نعلم ما اذا كان قد فاز لاول امرهِ بمصادقة الدولة او ظلَّ بلا مصادقةٍ حتى مرَّ مراد باشا والي الشام بصيداء سنة ١٥٩٢ فامَّرهُ على الولاية اذ جعلهُ سنجقًا على ما قال المحبي والسنجق او الصنجق بالسين او بالصاد كلمة تركية معناها اللواء وهي في عرف الدولة العلية عبارة عن الامارة على قطرٍ وهي اكبر من البيرق اي الراية التي كان يجتمع اليها رجال المقاطعة وكل اصحاب الرايات ينضوون

(٢) يستفاد من رواية اخبار الاعيان ان محمَّد جمال الدين من آل ارسلان ولكن ذاك بينهُ و بين يوسف باشا سيفا صداقة وولاء واما قول العلاَّمة الدويهي انهُ ابن عم الامير منذر التنوخي فلعلهُ يقصد انهُ ابن حميهِ لان منذرًا كان صهرًا لمحمد

تحت اللواء. وللسنجق شعار ضفيرة واحدة من الشعر يُقال لها التوغ ولامير الامراء ضفيرتان اي توغان وللوزير ثلاث فالسنجق اذًا عبارة عن الامارة ولعل منها اطلق اسم سنجق او لواء على ما يحكم المتصرفون في بلاد الدولة العلية لهذا العهد (يستفاد هذا من الجزء الاول من تاريخ جودت باشا)

اما زمن العهد بالامارة لفخر الدين فلم نعثر على روايةٍ صريحة بشأنهِ ولكننا نستنتج ذلك تخميناً ربما يقارب الصواب فقد ذكر المحبي في ترجمة الامير انهُ ولد سنة ٨٨٠ ه بدليل يتبين من الشعر اوردها لمولدهِ والتاريخ فيهما قولهُ (نفخر دينٍ هلاّ) وسنة ٩٨٠ ه تعادل سنة ١٥٧٢م فلما مات ابوهُ الامير قرقماس سنة ١٥٨٤ كان عمر فخر الدين اثنتي عشرة سنةً واذ ورد انهُ قضى ست سنوات قبل ان تولّى يكون ابتداء ولايتهِ سنة ١٥٩٠ وعمرهُ يومئذٍ ثماني عشرة سنةً وليس غريباً ان يتولى الاحكام في هذا السن

الاّ ان احمد بن محمد الخالدي الصفدي يقول في تاريخ فخر الدين ان ولايتهُ كانت سنة ١٠١١ ه (تعادل سنة ١٦٠٢) والحال انهُ يستفاد من الوقائع الجمة ومن روايات المؤرخين ان ولاية الامير كانت قبل ذلك بزمنٍ طويل يقارب الاثنتي عشرة سنةً وحسبنا على ذلك ثبتاً ان مراد باشا لما اتى واليًا على الشام لقي من الامير حفاوةً فاقرَّهُ على امارتهِ وجعلهُ سنجقاً سنة ١٠٠١ ه فكأن الخالدي اراد تاريخ سنة تثبيت الامير من الوالي فزاد النساخ العشرة غلطًا والله اعلم

وكانت عادة الامراء ان يتخذوا لهم مدبرين من اهل الحصافة والامانة فاختار فخر الدين ابرهيم الخازن مدبرًا واتخذ اخاهُ رباحاً دهقاناً جزاء عنايتهما بهِ حين كان مستترًا عندهما فكان ذلك ابتداء وجاهة آل الخازن الذين نالوا عند الامراء المكانة العليا بصداقتهم وامانتهم واعتماد الامير فخر الدين على الشيخ ابرهيم واخيهِ واتخاذهِ الشيخ يونس بن سليمان حُبَيْش من الخدم المقربين اليهِ دليل حسن سياستهِ في اجتذاب النصارى باستخدام اعاظمهم

وكأن فخر الدين قصد في سياستهِ منذ تولى الاحكام ان يثأر لابيهِ من الذين ادّت بهم اعمالهم الى موتهِ فوضع نصب عينيهِ مناوأة رجال الدولة العلية ومناصبهم العداء فعلاً ولكن بظاهرٍ مموَّه بالطاعة الا انهُ رأى ان دون بلوغ الغاية عقابًا لا يستطاع تجاوزها الاّ اذا شدَّ اواخي الاخاء مع مجاوريهِ فحالف الامير علي بن منصور الشهابي فكان يستعين بهِ في مناوأة الحكام

ولا غرابة في ان يبقى على الظاهر المموَّه بالطاعة لان لا قبل لهُ بالمقاومة العلنية ولعل سياسة الوجهين هي التي دفعتهُ الى غزو العربان الذين كانوا نازلين في بلاد بعلبك وصور وعكاء وكبتهم كما روى بعض مؤرخي الفرنجة فارضى بذلك رجال الدولة العلية والاهلين

وربما كان هذه مغزى قول المحبي انهُ غزا اللجون ثلاثًا ولم يظفر من صاحبها احمد بن طرباي الحارثي بطائل وكذلك ما قال بهِ من العدوان بين فخر الدين والامير منصور المعروف بابن الفريخ صاحب البقاع الذي قتلهُ مراد باشا والي الشام باغراء فخر الدين

وما رسخت قدم فخر الدين في امارة الشوف حتى حدثتهُ نفسهُ بالطموح الى المزيد من العزة والسودد وجاءت الظروف موافقةً لامانيهِ اذ ان العدوان الذي وقع بين آل سيفا وآل عساف تمادى فادّى الى مقتل الامير محمد اخر العسافيين في موقعة المسيلحة بين طرابلس والبترون فبقيت على اثر ذلك ولاية كسروان غرضًا لتنازع الاضداد فسعى يوسف باشا سيفا بالتوصل اليها ذلك انهُ تزوج ارملة الامير محمد واستولى على مخلفاتهِ الّا ان حكمهُ في كسروان لم يرد بهِ نصٌّ صريح وانما استفدناهُ من رواية المحبي عن مقتل الامير منصور الفريخ وان مراد باشا لما قتلهُ بامر الدولة العلية امر الامير فخر الدين بالقبض على اولادهِ العشرة واكبرهم قرقماز المشهور بالظلم والقسوة فسار الامير اليهِ الى بوارج ولكنهُ فرَّ منها ملتجئًا الى يوسف باشا سيفا في كسروان فكتب فخر الدين يخبر مراد باشا بذلك فاجاز لهُ الزحف على كسروان فاوشك الامير ان يدهمها ولكنهُ لما علم بان يوسف باشا ابى قبول قرقماز صرف عسكرهُ وذهب راجعًا وبهذه الرواية ثبت تولي يوسف باشا سيفا على كسروان فعلاً

الّا ان ارتداد فخر الدين عن كسروان لم يكن ليقلّ عن مطامعهِ فيها بل حدثتهُ نفسهُ بالاستيلاء عليها وعلى بيروت المنضمة اليها ولم يرَ من سبيل الى ذلك الّا بمحاربة يوسف باشا فزحف الفريقان سنة ١٥٩٨ او سنة ١٥٩٩ وتواقعا عند نهر الكلب فانكسر يوسف باشا بعد ان قتل ابن اخيهِ الامير علي وتشتت جمعهُ فتولى الامير فخر الدين بيروت وكسروان . ولعلّ ما ذكرهُ ڤولناي ولامرتين من ان الامير طرد الاغا من بيروت انما قصدا بهِ الاشارة الى وكيل يوسف باشا فيها والّا فليس لدينا ما نعرف منهُ من هو ذلك الاغا المشار اليهِ ولا كيف ضُمت بيروت الى كسروان وعهدنا بها من توابع دمشق فصيداء اما فخر الدين فبعد ان تولى كسروان وبيروت سنة واحدة تركهما ليوسف باشا باختيارهِ ولا ندري لذلك سببًا . غير ان تخلي الامير عن ولايتهما لم يقطع اسباب الشحناء بينهُ وبين يوسف باشا بل ظلّت النفوس منقبضةً ومساعي الفيئتين متجهةً لمناوأة بعضهما الّا ترى ان يوسف باشا ارسل سنة ١٦٠٠ بعضًا من رجالهِ فقتلوا مقدمي جاج الاربعة لانهم من حزب فخر الدين ومنح القاتلين مقدمية بلاد جبيل

وكان الحرافشة من حزب المعنيين ولهم ولاية بعلبك ولعلّ ذلك ما حمل ڤولناي ولامرتين على حسبان بعلبك من ولاية فخر الدين الّا ان يكونا قد ارادا بلوغ امارتهُ اليها حين عمّت كل

البلاد بامر الدولة العلية فلما رأى الامير موسى الحرفوش ان يوسف باشا يناوئ فخر الدين كتّب رجالهُ وزحف على بلاد بشرّي بينما كان رجالها في الساحل فنهبها وعاد مثقلاً بغنائمها فلما علم يوسف باشا بما فعل الحرافشة في بلادهِ جمع عسكرهُ وزحف على بعلبك ففرَّ اهلوها واثخن في البلاد قتلاً وجرحاً وعاث حرقاً ونهباً وملك القلعة بعد ان حصرها خمسين يوماً وقتل رعد بن نبعة الذي كان قد قتل ابن اخيهِ يوم نهر الكلب ثمَّ امَّن الاهلين وعاد ظافراً

واللبيب يرى ان هذه الوقائع كانت من باب مناوأة العدوين على انها وامثالها ما لبثت ان تزايدت حتى تحفز الفريقان للحرب ثانية سنة ١٦٠٥ حين التقى العسكران في جونيه واقتتلا فانهزم يوسف باشا واستولى فخر الدين على كسروان وضمها الى ولايتهِ وجعل عليها يوسف المسلماني حاكماً واخذ بيروت وسلمها للامير منذر التنوخي وكأَن استفحال امر فخر الدين وامتداد احكامهِ وكثرة حلفائهِ وانصارهِ صوَّرت لهُ مناوأة عمال الدولة العظام فاصبح يقدم على مناصبة الواحد ومناصرة الآخر غير متهيّبٍ ما وراء ذلك من الالمام بشأن الدولة السائدة اعتبر ذلك بما ظهر لنا من الحادثة التالية

فقد ورد في اخبار الاعيان ان في سنة ١٦٠٥ سار نصوح باشا والي حلب الى مدينة كاس بنحو عشرة آلاف مقاتل ومعهُ الامير فخر الدين المعني فبرزوا اليهِ بمثلها فانكسر ورجع الامير فخر الدين برجالهِ الى البلاد انتهى. والحال ان المحبي يذكران في سنة ١٠١٢ هجرية (المعادلة لسنة ١٦٠٣ مسيحية) تولى نصوح باشا ولاية حلب وكان بعض العسكر الشامي يذهب كل سنة نفرٌ منهُ الى حلب فينصبون منهم سرداراً عليهم ويستخدمون في المدينة فلما اشتدَّ ساعدهم ظلموا وجاروا سيما طواغيهم واقرب اليهم كبراء البلد وحاصروهم فازدادوا صلفاً وامتلكوا القرى والضياع فقلَّت من جراء اعمالهم اموال السلطنة وضعفت حال الاهالي حتى صاروا كالارقاء لهم فلما تولى نصوح باشا وكان قويّ النفس شديد البأس استفدح خطبهم وسعى في رفع ايديهم واجلائهم عن البلاد فاستنجد عليهم حسين باشا جانبلاذ حاكم كاس واوقعاهم في حلب وفازا باجلائهم عنها الى حماه فاعرضوا لباب الدولة يشكون من الوزير وبعثوا يستصرخون بالامير فخر الدين المعني واحزابهِ كالامير علي الشهابي والامير موسى الحرفوش ثم حشدوا عسكراً غفيراً من حمص وحماه وفي اثناء ذلك ورد الى الشام امر الدولة العلية يحظر فيهِ على الجند الشامي المسير على حلب لقتال واليها وحاكم كاس وانهم اذا خرجوا اليها يكونون مغضوباً عليهم مستحقين للعقوبة والنكال من قبل السلطان فارسل والي الشام اليهم احد اعيان الشام ليردهم فما ارتدوا ولكنهم قصدوا حلباً وافسدوا في جوارها وجوار كاس حتى اقلعوا ولم يصبروا بل ولوا الادبار منهزمين ولحق نصوح

باشا بهم الى دمشق فلما صار على مقربة منها طلب نحوًا من ثلاثين رجلاً ليحصل ما في عهدتهم من المال السلطاني الذي اخذوهُ من حلب فامتنعوا عليهِ وتحصن نفر منهم في القلعة و بعثوا يستنجدون بفخر الدين و بموسى الحرفوش واحمد شهاب وغيرهم فاجتمع القوم الاَّ الامير فخر الدين فانهُ تخلَّف عن نجدتهم فالمستفاد من هذه الرواية ان العسكر الشامي استنصر بالامير فخر الدين وانصارهِ مرتين ففي المرة الاولى لم يذكر اباء فخر الدين صراحةً وانما قال المحبي انهم الحوا على الاميرين المعني والشهابي في السفر معهم واخذ ثأرهم فسافر قبلهم امير بعلبك موسى الحرفوش وفي المرة الثانية تصريح باباء فخر الدين وذهاب الباقين الاَّ انهُ يؤخذ من الرواية المحكي عنها ان الامراء اجتمعوا لنجدةِ عسكرها وان واليها مصطفى باشا عاد بالشهابي والحرفوش اليها بعد رجوع نصوح باشا عنها

وكل هذه الرواية على طولها لا تدل على ما اراد صاحب اخبار الاعيان ولعلهُ اراد الاشارة الى وجود فخر الدين في موقعة كلس التي شبت عقيب هذه الحرب بين نصوح باشا وحسين باشا وسببها ان حسين باشا انجد والي حلب حتى انالهُ الظفر على الجند فعظمت نفس نصوح باشا ان يحسب الظفر عائد الفخر لحسين باشا فطعن عليهِ وقال بعزمهِ على ضرب عنقهِ فانقلب الوداد عداء وذهب حسين باشا الى كلس مغاضبًا فاراد نصوح باشا ان يفاجئهُ بالقتال ولكن شعر حسين باشا وقابلهُ فانكسر نصوح بعد ان قُتل معظم عسكرهِ ودخل حلبًا منهزمًا ثم شرع يجمع عسكرًا لتجديد القتال فبجهُ امر السردار سنان باشا ابن جغاله باحالة الولاية الحلبية لعهدة حسين باشا فامتنع من التسليم وحصرهُ حسين باشا في حلب حتى اضطرهُ الى الخروج اليهِ مستأمنًا والسفر برجالهِ الى الاستانة

وليس في هذه الرواية ذكرٌ لفخر الدين ولا لاحدٍ من انصارهِ فلا نخال ان لهُ يدًا في موقعة كلس لان نصوح باشا اقترب من الشام وارتدَّ عنها ونفخر الدين في بلادهِ و بلغ حلبًا ثم زحف منها الى كلس ليباغت حسين باشا فمن اين جاء النبأ لفخر الدين بنجدة الواحد او الآخر على انهُ لو صحت الرواية لكان الاولى حسبان فخر الدين في جملة انصار حسين باشا وليس من اعدائهِ لانهُ ظهر من الوقائع الآتي ذكرها ان بين بني معن والجانبلاديين ودادًا واتفاقًا يعسر ان نجعل منشأها خلاف وقتال

وان صدقت رواية اخبار الاعيان فليس بعيدًا ان يكون فخر الدين قد اجاب داعية نصوح باشا عند ما استفزهُ لقتال الجند الشامي لانهُ كان يظهر الطاعة لولاة الامر فلما تم فتح حلب ووقعت حادثة حسين باشا خرج معهُ الى كلس وحضر الموقعة منجدًا لصاحبها والاَّ لو كان

باقياً على ولاء نصوح باشا لما استنجده الجند الشامي عليهِ فابى فان صدق هذا الظن كان مسلكهُ هذا موافقاً لمرضاة الدولة العلية لانهُ حارب مع نصوح باشا حين طاعتهِ وحاربهُ حين خالف امر الوزير سنان باشا الاَّ ان مثل هذه الطاعة لم تكن من خلق الامير والاَّ لاعتاص علينا تفسير عملهِ حين زوَّد العصاة درويش الرومي حاكم صفد وعبد الحليم اليازجي وجماعتها الذين حاربهم العسكر الشامي وهزمهم فروا في بلاد فخر الدين فاكرمهم بالزاد ولو كان مخلصاً لقبض عليهم وكفى الدولة مؤُونة ارصاد البعوث السلطانية لكبتهم واقتناص زعيمهم عبد الحليم

غير ان لاحمد الخالدي الصفدي رواية تخالف ما نقلناهُ ذلك ان الجند الشامي لما ارتدَّ مقهوراً الى دمشق استنصر بالامير فخر الدين ليزيل عنهُ عار الانكسار قال فجمع الامير لهم غالب الامراء من اولاد العرب وتوجه بهم الى بلاد حلب ووقع الحرب وحمي الوطيس على مدينة يقال لها كاس وكان العسكران كثيفين وقد اصطفا صفين كل صفٍ عشرة آلاف او يزيدون فانهزم عسكر الشاميين انتهى. فهذه الرواية اذا صحت اثبتت شيئاً مما تخيلناهُ من مغزى كلام اخبار الاعيان اي ان فخر الدين كان من انصار نصوح باشا وانهُ واقع الشاميين عند كاس فكسرهم لكن يعارض هذا وجود الشهابين والحرافشة بين عسكر الشام وتصريح الخالدي بوجود الامير على انا لانبتُّ في هذه الروايات حكماً لخلو الوطاب من ثبتٍ يصح الاسترسال اليهِ

ناهيك ان فخر الدين اظهر العداء للدولة في حادثة علي جانبلاذ وحكاية ذلك ان حسين باشا لما رسخت قدمهُ في نيابة حلب بامر الوزير سنان باشا كان المشار اليهِ سرداراً على العساكر المرصودة لحرب العجم فصدر امر الوزير لحسين باشا ان يلحق بهِ فتالكأ عن الاجابة حتى اذا بلغ سنان باشا مواقف العدو وارتدَّ عنهُ مكسوراً امتعض من قعود حسين باشا عن نصرتهِ وهو يحسبهُ من صنائعهِ فضلاً عن كونهِ من ولاة الدولة المفروض عليهم الذود عنها فاضمر لهُ السوء وفيما هو راجعٌ الى البلاد التقى بحسين باشا في وان متمهلاً في زحفهِ يريد ان يظهر الامتثال وهو لا يقصدهُ فبطش الوزير بهِ وكان حسين باشا قد استخلف على جلب ابن اخيهِ الامير علي فلما علم هذا بقتل عمهِ جمع من السكبان نحواً من عشرة آلاف وشرع يعيث بهم في البلاد مستبداً في حلب ما شاءت اهواؤُهُ فبعث يوسف باشا سيفا والي طرابلس يعرض على الدولة التنكيل بعلي جانبلاذ اذا عينتهُ الدولة سرداراً على الجيش السلطاني فصدرت لهُ الاوامر بذلك فبعث يطلب العساكر من الشام وضواحيها فاحتشدوا عند حماه ولما جاء علي جانبلاذ وقع المصاف فلم يقوَ يوسف باشا على الثبات طويلاً بل انكسر عسكرهُ وفرَّ باربعة رجال ليس الاَّ واستولى الامير علي على مخيم يوسف باشا وعسكرهِ وغنم غنائم وافرة جرجي يني

رواية امينة

الفصل الثاني

الفصل الربيع والشمس مشرقة وقد اكتنفت اشعتها البيوت المقابلة لنا على الضفة الاخرى من البسفور كأنَّ ناراً اضطرمت في جوانبها . وتنفَّست الامواج بين الرصافة والجسر كأنها زفرات والدة ولهانة. وصفا اديم السماء حتى كنتُ ارى الثلج يكلّل هامة جبل اولمبس. وانعكس النور عن برج البنات فتخاله بلوراً صافياً . وقُرعت الاجراس في السفن الراسية امامنا دلالةً على اذان الظهر ورأيت البحارة يذهبون ويجيئون وانا واقفة امامهم كسلى لا عمل لي ولا اشعر بهمّة للعمل . وقد مضت ايام منذ توفيت جدتي تخفّ ما كنتُ اشعر بهِ من الحزن عليها والوحشة من الانتقال الى حالة لم آلفها. ولقيت من كل احد فوق ما انتظرت من الاكرام فان هانم افندي عاملتني مثل ابنتها والباشا كان ينظر اليَّ نظر الحنو والشفقة وبنتهُ وكنَّتهُ اظهرتا لي كل حب وتودُّد اما ابناه فادهم بك لم يكن يكلمني الاَّ نادراً واذا كلمني فبوداعة ولطف ونافذ بك كان اكبر صديق لي من حين رآني في بيت جدتي ولم تفتر مودتهُ قط

وبينما انا جالسة امام البسفور وعيناي تجولان في ما امامي سمعتُ صوتاً يناديني قائلاً تقول لكِ امي لتأتي وتساعدي الجواري في كي الثياب لانها كثيرة وتخشى ان لا يتمَّ كيّها اليوم . فنهضتُ ومضيت الى الغرفة التي فيها الجواري حتى اذا بلغتُ بابها سمعتُ واحداً يضحك فعرفت من هو وصبغت وجهي حمرة الخجل وكان الدم يصعد الى راسي كلما سمعت صوتهُ وصار ذلك عادةً تنتابني وقد حاولتُ التغلب عليها بكل جهدي فلم استطع. كان نافذ بك هناك جالساً على حافة الشباك وهو يمزح مع الجواري فلما دخلتُ قام ودنا مني وقال " ماذا اتى بك الى هنا فقد دخلتُ الرواق منذ خمس دقائق ورأيتك جالسةً فيهِ فلم اشأ ان ازعجكِ بل تركتك واتيتُ الى هنا. أأتيتِ لتكوي كلاَّ كلاً ". واخذَ المكواة من يدي وهو يقول " ألاَ ترين انها حامية جدًّا وقد كنتِ تشكين من الصداع هذا الصباح ". فنظرتُ اليهِ نظر الشكر وقلت نعم ولكن الصداع كان خفيفاً وقد زال الآن. فقال كيفما كان الحال فالوقوف امام النار يضرُّكِ تعالي الى البستان وانظري ما اجمل هذا النهار. فقلتُ اني لا استطيع ذلك لان هانم افندي ارسلتني الى هنا لاساعد البنات. ولما قلت ذلك ردَّ اليَّ المكواة ودار الى الشباك وهو يصفر والتفتُّ اليهِ فوقعت عيني على عينهِ وللحال صبغت وجهي حمرة الخجل واضطررت ان انحني فوق سل الثياب كأني افتش عن قطعة اخرجها لاكويها والحقيقة اني كنت اريد ان استر وجهي . وسمعت حينئذٍ

واحدة تقول لعنة الله على هذه المكاوي ورمت المكواة من يدها فاخطأَت رأسي قليلاً . ورأيتُ ان التي فعلت ذلك هي بوار وكان الشرر يتطاير من عينيها ونهض نافذ بك مسرعاً وقال لها أَجُنِنتِ ما هذا الفعل يا بوار . فرشقتهُ بعينيها ودارت الى النار ولم تفُه بكلمة . ووقفتُ انا حيرى لا اعلم سبب غيظها ولا معنى ما يتغامز بهِ الجواري حولي . والظاهر ان نافذ بك حار في امرهِ ايضاً فمشى اولاً نحوها ثم عاد اليَّ وقال لي هل اصابتكِ فقلت كلاً فقال أَمتأَكدة انت فقلت ومن ادرى مني بنفسي . فتبسم على جاري عادتهِ وقال خفتُ ان تخفي ذلك لكي تدافعي عنها . فقلت انها لم تفعل هذا عمداً . فلم يجب بشيءٍ بل اتكأَ على طرف المائدة التي كنا نكوي عليها والتفتَ اليَّ بعد بضع دقائق وقال لقد ترقَّيتُ ولم تهنئيني واخذتُ وظيفة جديدة في السر عسكرية . فقلت لهُ ولم استطع ان اخفي سروري ان هذا الخبر يسر هانم افندي لانها كانت تودُّ ذلك كثيراً . وقالت شيستا وكانت واقفة امامي "وهو يسرُّنا كلنا وستبقى هنا يابك افندي فقال نعم وهذا بفضل ابي فانَّ مَن لهُ اب مثلهُ تأتيهِ المناصب عفواً من غير تعب . ولا بدَّ من ان كثيرين كانوا ينتظرون هذا المنصب وهم احقُّ بهِ مني وقد انتظروهُ سنين كثيرة فنلتهُ انا على غير استحقاق . فنظرتُ اليهِ لما قال ذلك وعندي انهُ ليس في العسكرية كلها مَن هو احق منهُ بالمناصب العالية فرأيتهُ ينظر اليَّ وقال لي ارى انكِ توافقينني على ما قلتُ نعم اني كسلان ولا اصلح لشيءٍ ولكن لو رفضت هذا المنصب بدعوى اني غير اهل لهُ لعدَّ الناس ذلك مني تصنُّعاً وتظاهراً بالضعة . فاعترضتهُ قائلة اني لم اعنِ ذلك ولا خطر ببالي هذا الخاطر . فقال اذاً ماذا تعنين فانكِ نظرتِ اليَّ نظر المستحسن لكلامي فاخبريني ماذا كان يدور في بالك حينئذٍ . فبقيت صامتة وقالت لهُ كبجه جارية ادهم بك اليك عن البنت بك افندي ولا ادري كيف نقدر ان نُتم شغلنا وانت واقف هنا

فقال مَن يمنعكِ عن الشغل والشغل لا يمنع الكلام . ثم دنا مني وكلمني بصوت منخفض قائلاً قولي لي ما هو فكركِ فيَّ . وللحال شعرت بواحدة مرَّت بجانبي فالتفت واذا بوار قد خرجت من الغرفة والحنق ماليءٌ عينيها ودفعت الباب وراءها حتى كادت تكسرهُ . فوقفتُ حيرى لا ادرى سبب غيظها مني وقلتُ في نفسي ترى ماذا فعلتُ حتى غضبت عليَّ وباي شيءٍ اسأتُ اليها وقد كانت تعزني كثيراً في حياة جدتي . ولمس نافذ بك يدي وقال لي بماذا انتِ تفكرين بوار سريعة الغضب والظاهر ان هذا اليوم من ايام بؤسها ونحن قد اعتدنا ان نرى ذلك منها اما انتِ فلم تعتادي ولكني ورأس ابي لا ادعها تفشُّ خلقها فيكِ

فقلت على مَ تفشُّ خلقها فيَّ وما هو ذنبي عندها

فقال لا ذنب . ثم اخرج ساعتهُ من جيبهِ وقال صارت الساعة واحدة ولا بدَّ من ذهابي الآن . اشتغلنَ يا بنات وما عدتُ ازعجكنَّ . ولم يكد يخرج من الباب حتى اغرب الجواري في الضحك

وقالت ماهور وهي جارية متقدمة في السن لها في بيت الباشا عشرون سنة يا مسكينة اني اشفق عليها . فقالت لها كنجه اما انا فلا اشفق عليها واخاف انها تؤذي هذه البنت المسكينة . فقالت مريم جارية وحيدة هانم مَن هي البنت المسكينة ثم نظرت اليَّ وقالت لا اظن انها جنَّت الى هذا الحد . وقالت بندزار وهي خزندار السراي لقد اخطأ نافذ بك الى بوار وكان يجب عليهِ ان يتزوجها بعد ان انتظرتهُ هذه السنين . فاجابتها مريم قائلة كيف تقولين انها انتظرتهُ فانهم اشتروها تحت التجربة لان نافذ بك قال مرةً انهُ يفضل ان يتزوج جركسية وقال لامهِ انها جميلة ولكنهُ لا يقرر فكرهُ حتى يعود من الاناطول وقد عاد الآن فلم تعجبهُ وهي جارية مثلنا ويجب ان تشتغل شغل الجواري وانا اكره كل مَن تتخطى حدودها

فانجلى لي الامر قليلاً وقلت لها أعن بوار تتكلمين . فقالت مريم نعم أَما بلغكِ ذلك قبل الآن فقلت كلاَّ ولم اسمع انهم اشتروها لنافذ بك . فقالت شيستا نعم اشتروها لهُ وقد مضى عليها الآن خمس سنوات وهي تتعلم لتصير هانماً ولكن خاب املها. ووضعت كنجه اصبعها على فمها وطلبت منا ان نسكت لان بوار آتية . ودخلت بوار حينئذٍ وصمت الجواري فنظرت اليها مشفقة عليها لانهُ لا اصعب من الفشل بعد الامل . وكانت ثورة الغضب قد خمدت لكن كان في عينيها ما يحذر الجواري من الكلام معها فاخذت تكوي الثياب الى ان فرغت وهي لا تفوه بكلمة والجواري حولها يتكلمنَ همساً ويتغامزنَ ثم اخذت ثياب نافذ بك وخرجت وحملتُ انا وكنجه السل الذي فيهِ ثياب ولية هانم واخذناهُ وصعدنا بهِ الى غرفتها ورتبنا الثياب في الخزائن وكنا نعمل صامتتين ثم قالت لي كنجه ياليت نافذ بك يتركك وشأنكِ . فقلت لها ماذا تعنين وعلت وجهي حمرة الخجل . فقالت لا شيء لانني اعلم انهُ انما يمزح معكِ فانكِ ابنة مربيتهِ وقد رآكِ يتيمة فشفق عليكِ وهذا شيء معقول لكن بوار غارت منكِ ولا سيما بعد ان خاب املها. فقلت لها لماذا تغار مني أَتظنين انها تحسب نافذ بك يفضلني عليها. فقالت نعم هذا الذي اظنهُ ولا ادري كيف دخل هذا الفكر رأسها ولكن دعينا من هذا الموضوع الآن وهلمَّ ننزل. فنزلت معها وانا افكر في كلامها وفي ما رأيتهُ من نافذ بك فانهُ كان ينظر اليَّ نظر مَن يهمهُ امري ويتكلم معي ويمزح على غير ما يفعلهُ مع بقية الجواري وكنت اعلم ذلك منهُ واسرُّ بهِ ولكنني لم اكن افسرهُ الاَّ بانهُ يشفق عليَّ ويعاملني باللطف لان اللطف من طبعهِ . وحتى

تلك الساعة لم اكن اظن انهُ يعني غير ذلك . وحاولت ان انسى ما رأيتهُ من بوار فلم استطع واخذ فؤادي يخفق مع ان عقلي كان يقول لي ان ظنونها في غير محلها . واخيرًا اخذتُ عودًا بيدي وخرجت الى الحديقة وحاولت اللعب عليهِ لانني كنت قد شرعت اتعلم اللعب على العود فوقع من يدي وغصت في بحار الافكار واتضح لي حينئذٍ ان نافذ بك كان يظهر من الاهتمام بامري ما يحمل على الظن بان ذلك غير ناتج عن مجرد الشفقة عليَّ . وتذكَّرتُ حينئذٍ شدة ميلهِ اليَّ واعتنائهِ بي ولما فكرتُ في كيف تنظر بوار الى ذلك صعد الدم الى رأسي فكاد يشعل وجنتيَّ . وحتى تلك الساعة كنتُ اسرُّ بما اراهُ منهُ من غير ان اقدّر لهُ معنى اما وقد رأيت ما رأيت من بوار وسمعت ما سمعت عنها فداخلني ريب في نفسي وقلت قد يكون قاصدًا شيئًا آخر ولكن يستحيل عليهِ ان يفكر بالاقتران بي. وحاولت قرع الاوتار بانامِلي فلم استطع وللحال انفتح باب الحديقة من ورائي ودخل نافذ بك وهو يتبسم وجلس بجانبي واتكأ على العشب وقال لي ماذا تفعلين هنا أتلعبين على العود . هذا احسن من كي الثياب ولقد احسنتِ بالمجيء الى هنا قبلما تتعبين

فقلت " اتممنا كي الثياب كلها " . وهذه اول مرة شعرت فيها باني اكره ان اقيم معهُ وحدنا . اما هو فلم يكن فكرهُ مثل فكري على ما يظهر لانهُ قطع غصنًا من الريحان وجعل يلعب بهِ ثم قال لي اسمعي يا امينة لا اريد ان اراكِ تشتغلين مع هؤلاء الجواري لانك لستِ جارية واظن انهُ لا بدَّ من ان اخبر امي بذلكَ . فقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ لا تخبرها لانيَ احبُّ الشغل ولو كنتَ تعلم مقدار فضل امك عليَّ ومقدار ما اشعر بهِ من الشكر لها ومقدار رغبتي في مرضاتها لعلمتَ انني مستعدة ان افعل كل ما تطلبهُ مني مهما كان شاقًّا . فتبسم وقال اذًا لا اخبرها ولكن انتِ عديني بان لا تتعبي نفسكِ لانني لا اراكِ قويةً قادرة على الشغل الشاق فقلتُ كلاَّ بل انا قوية ولو كنت تراني نحيفة صفراء ولم امرض في حياتي

فلم يجبني بل وضع عرق الريحان امام انفي وقال لي ما معنى الريحان في لغة المحبة . فاضطربت لما قال لي ذلك وقلتُ لا اعلم هذه اللغة ونهضتُ لاذهب فقال لماذا تذهبين ماعدتُ اكلمكِ في ذلك ابقي هنا فان المكان جميل جدًا وانت محتاجة الى الراحة اجلسي وامسك بيدي واضطرني الى الجلوس واخذ كتاب الموسيقى مني ونظر الى اللحن الذي كان مفتوحًا عندهُ وقال لي هل تعلمتِ هذا اللحن فقلتُ اني آخذة في تعلمهِ . وخطرت ببالي بوار حينئذٍ وخفتُ ان تأتي وتراني كذلك ولم ارَ من اللياقة ان اقوم واتركهُ غضبًا عنهُ . ثم قال العبيهِ امامي لارى كيف تلعبينهُ فمسكت العود واخذتُ العب وللحال انقطع وتر من اوتارهِ فاخذهُ مني ليصلحهُ

وقال لي انكِ لا تتكلمين عن الحب ولكنكِ تغنين بهِ فكيف ذلك . فقلت اذًا لا اغني . فقال كلاَّ كلاَّ وقد رجعتُ عن قولي ها قد اصلحت الوتر فدوزنيهِ لانني انا لا اقدر ان العب على عود دونهُ غيري . فاخذت العود من يدهِ ونهض هو ووقف امامي وقد احنى رأسهُ ناظرًا اليَّ فصعد الدم الى وجهي لان عينيهِ كانتا مملوءتين بدلائل الحب والشفقة وبينما انا ادوزن العود انفتح باب الحديقة ودخل ادهم بك ولما وقع نظري عليهِ نهضتُ على قدميَّ اجلالاً لهُ وزاد اضطرابي لانني شعرت ان حمرة الخجل صبغت وجهي وعنقي

ونظر ادهم بك الى نافذ بك وقال لهُ لماذا لم تبقَ في السلاملك فان ابي ليس هنا وقد اقمت مع يوسف باشا اكثر من ساعة وانا مشغول جدًّا

فقال نافذ بك ان مسايرة يوسف باشا تزهق الروح ولكن لو عرفتُ انك مشغول لجلست معهُ . والحق اقول لك انني اتيت الى هنا هربًا منهُ وانت اكثر مني صبرًا

فاجابهُ ادهم بك لستُ اكثر صبرًا ولكني اقل حبًّا لنفسي وانت تعلم اني مشغول وكان يمكنك ان تأتي وتقوم مقامي وذلك خير لك من قيامك هنا

وقد اندهشت انا ونافذ بك من كلام ادهم بك لاننا لم نعهد منهُ مثل ذلك . وقال لهُ نافذ بك ان كان كلام يوسف باشا يغيظني كما اغاظك فقد احسنتُ بهربي منهُ . فلم يجبهُ بشيءٍ بل دار وجههُ وسار نحو البيت . واخذ نافذ بك بيدي وقال ليَ هلمَّ نذهب نحن ايضًا فاطعت امرهُ وانا مضطربة مشغولة البال كمن اقترف ذنبًا كبيرًا ولكنهُ وقف ولم يمشِ ونظر الى البحر وكانت الشمس قد مالت الى المغيب ونزلت وراء الآكام فاشرت اليها لكنهُ هز كتفيهِ وقال لي لاشغل لكِ فلماذا انتِ مستعجلة ثم تقدَّم الى السور الذي يفصل بين الحديقة والرصافة وازاح اغصان الياسمين المشتبكة بين درابزينهِ وقال لي هلمَّ ننظر الى البحر وكان لا يزال ماسكاً يدي بيدهِ فوقفت بجانبهِ مكرهة وانا اودُّ ان يتركني لاعود الى البيت . فنظر الى البحر قليلاً ثم قال هوذا ابي فنظرتُ واذا قائق نصر الله باشا يمخر البحر مسرعًا فقلت لهُ ألست ذاهبًا لتلاقي اباك . فقال ضاحكاً ما اشد رغبتك في البعد عني كلاَّ لست ذاهبًا لملاقاتهِ . فوقفت صامتة لا ادري ما اقول اما هو فقال لي ما جرى لك يا امينة حتى اراكِ متغيرة عليَّ . فنظرت اليهِ متعجبة وقلتُ ماذا تعني يا مولاي . فقال اراكِ منزعجة من وقوفي معكِ هل قال لكِ احد شيئًا فانكِ لم تكوني كذلك قبلاً . فلم اجبهُ ولكن صعد الدم الى وجهي وصرت أتمنى ان تشتدَّ الظلمة لكي لا يراني . اما هو فنظر في وجهي مليًّا وقال لا بدَّ من ان يكونوا قد قالوا لكِ شيئًا فاخبريني ماذا قالوا لكِ . وكان يتكلم بلهجة الغيظ ولكنني

لم أُجبهُ ولا رأَيت ان اخبرهُ شيئًا عن بوار ثم خطر لي ان كل من يرانا حينئذٍ على تلك الصورة يظن ما ظننتهُ بوار فحاولت نزع يدي من يدهِ ولكنني لم استطع فقلت دعني اذهب قبل ان تسأَل عني هانم افندي . فقال دعيها تسأَل لا اتركك قبل ان تخبريني ما قالتهُ لكِ بوار. فسررت لان الموضوع تحوَّل على هذه الصورة وقلت لهُ لم تقل لي شيئًا وما عساها ان تقول وانا اشفق عليها

فقال علي مَ تشفقين عليها وماذا جرى لها

فلم اجبهُ ووددت ان اخفي من وجههِ لكي لا اجيبهُ على هذا السؤَال لكنهُ لم يُعدْهُ بل قال الحق في يدك يجب ان تمضي لكنهُ لم يترك يدي . فقلت لهُ كيف امضي وانت لا تتركني. قلت ذلك ونظرت في وجههِ فرأَيتهُ ينظر اليَّ وقبل ان افهم مرادهُ انحنى وقبَّل وجهي وللحال سمعنا صوت ادهم بك يناديهِ ويقول ابي على المائدة وانت تعلم انهُ يكره الانتظار افلا تريد ان تتعشى. فترك يدي واسرع نحو اخيهِ واتكأْت انا على السور وقد غطيتُ وجهي بيدي وكدت اذوب خجلاً من نفسي . وقلت كيف يتجاسر على ذلك وانا لست جارية من جواريهِ ولا بدَّ من ان اكون قد جرَّأْتهُ على هذا العمل والاَّ ما تجاسر عليهِ . ثم راجعتُ نفسي فرأَيت انني لم افعل شيئًا كان يمكن ان لا افعلهُ ولم يكن في طاقتي ان اتخلَّص منهُ من غير ان اخلَّ بشروط الحشمة والاكرام لهُ كابن للسيدة التي انا مستظلَّة بظلها . واخيرًا آليتُ على نفسي ان لا اقابلهُ ابدًا الاَّ في حضرة امهِ حيث لا يستطيع ان يتطاول عليَّ مهما كان شأْنهُ

ومضيت تلك الليلة الى الغرفة التي يجلس فيها سيدات البيت وجلست بجانب هانم افندي وكانت ولية هانم تخيط ثيابًا لابنتها فساعدتها فيها . ثم سمعنا صوت الاولاد في الرواق فقالت وحيدة هانم لقد تعشَّى ابي وقام عمي ان يأْتوا حالاً لا كلم ادهم فيقنع ابي بارسال جودت الى مدرسة في باريس

فقالت هانم افندي انا لا استصوب هذا الرأْي ولا استحسن ان يرسل الاولاد الى مدارس الكفار وهم صغار فيضيعوا دينهم وان كان ادهم يريد ان يبقى ابنكِ هنا فليس من الصواب ان تقنعيهُ بارسالهِ الى باريس

ولم اسمع جواب وليَّة هانم وللحال انفتح الباب ودخل نصرالله باشا وصهرهُ علي بك زوج وحيدة هانم والتفتا الينا وقالا اين ادهم ونافذ فانهما تركانا منذ ربع ساعة ودنت وليّة من نصرالله باشا وقبلت يدهُ وهي تقول لم يأْتيا الى هنا ولا اعلم اين ذهبا وما من احد يسلينا في السهرات غيرهما. فضحك علي بك وقال لها أَصرنا عندكِ صفرًا ولكن هوذا ادهم بك تعالَ

يا اخي فان زوجتك كانت تشكو الآن من غيابك وتقول ان لا احد يسلّي غيرك

ونظرتُ الى ادهم بك خجلة لانني كنت اخاف ان يكون قد رآنا في البستان ووقفت لهُ اكراماً لما دنا مني فوضع يدهُ على كتفي وطلب مني ان اجلس في مكاني وقال لعلي بك لقد اخطأت فان حضوري وغيابي سيان عند السيدات ولكنهنّ افتقدن نافذاً . فضحكت ولية هانم وقالت لزوجها ما ذلك الاّ لانك لا تجتهد لتجعلنا نفتقدك في غيابك اما نافذ بك فانهُ يسلينا كلنا . فتبسَّم ادهم بك وقال وهذا لا يغيظني لانني مهما اجتهدت لا يمكنني ان اقوم مقامهُ . فلم تجبهُ وكنت اراها تخجل دائماً كلما تكلمت معهُ . ودار الحديث على مواضيع شتّى ثم جاء نافذ بك ورأيتهُ عابساً على غير عادتهِ ودنا من امهِ وقبَّلها ثم عاد ووقف بجانب ابيهِ وقال لهُ هل قرأت الجرائد افندم او اقرأها لك . فنظر اليهِ ابوهُ نظر الدهشة لانهُ لم يعتد منهُ ذلك وقال لهُ مالك وللجرائد اذهب سامر البنات . فجلس في مكانهِ وكان يحاول ان لا تقع عينهُ عليّ ثم قال لابيهِ لقد عزمت الآن ان اعقل سمعتك امس تذكر حساباً تريد ان يراجعهُ احد لك فدعني اراجعهُ . فقال ابوهُ اذا كان الامر كذلك فالدفاتر في مكتبتي . فنهض واتى بها وراجع الحسابات الى ان اتمها ثم نظر الى ساعتهِ وقال صارت الساعة العاشرة فاذهبُ الآن وامشي قليلاً على الرصيف الى وقت النوم ثم ودَّعنا وخرج

فقالت ولية هانم بعد خروجهِ ماذا جرى لنافذ بك فاني اراهُ متغيراً قالت ذلك ناظرةً الى نصرالله باشا . فضحك وهزَّ كتفيهِ وقال لا ادري وان كان مغتاظاً من احد فلا يكون مني لانك رأيتِ كيف عرض خدمتهُ عليَّ فلا بدَّ ان يكون السبب من غيري . فقالت ولية هانم على كل حال ليس السبب مني لانني لم اختلف معهُ في حياتي . فقال علي بك يا بختهُ وياليتني كنت مثلهُ

وقمت حينئذٍ لامضي الى غرفتي لانني كنت اشعر بشيء من التعب ودنوت من الباشا وقبلت يتكهُ فوضع يدهُ على كتفي ونظر في وجهي وقال لماذا انتِ محمرَّة بهذا المقدار ماجرى لك . فزاد خجلي وادرت وجهي وانا اتمنى ان لا يراني احد فوقعت عيني على عين ادهم بك فرأيتهُ ينظر اليَّ نظر الاهتمام لكنهُ لم يقل شيئاً . فخرجت ومضيت الى غرفتي

الفصل الثالث

ولم يحضر نافذ بك في اليوم التالي وقال لنا علي بك انهُ تغدَّى في المدينة وسيقضي المساء هناك . ثم صار هذا دأبهُ فلم نعد نراهُ في دار الحريم الاَّ نادراً فكان يقضي نهارهُ في السر عسكرية ويتعشى خارجاً واذا تعشى في البيت خرج بعد العشاء ومضى الى بيرا . وكانت اختهُ

وامرأة اخيهِ تشكوان من ذلك وقالت امرأة اخيهِ ان اللوم كلهُ على بلاد الاناطول لانها غيرت طبعهُ وجعلتهُ مثل زوجها

ثم صرنا نسمع عنهُ قصصاً غريبة وقالت لي كنجه ان ادهم بك اخبر امهُ بان نافذ بك يعاشر اناساً يثلمون صيتهُ. ثم سمعنا انهُ صار يقامر وخسر اموالاً كثيرة وهذا الخبر اخبرتني اياهُ شيَسْتِا وقالت انها سمعتهُ من ادهم بك وعلي بك. فساءني هذا الخبر جداً وقلت في نفسي تُرى ما يقول الباشا عنهُ. وفي اليوم الذي سمعتهُ فيهِ كنت واقفةً امام الشباك فرأيت قايقةً آتياً بهِ وكانت مريم بجانبي فقالت لي هذا نافذ بك وقد امر الباشا ان يُرسل اليهِ حالما يحضر. فقلت لها اين الباشا الآن فقالت في السلاملك

ولم اعد اسمع عنهُ شيئاً ذلك اليوم لاننا لم نسمع في دار الحريم عمَّا دار بينهُ وبين ابيهِ في السلاملك. ولكني رأيت ادهم بك في المساء فاذا هو عابس الوجه اكثر من ذي قبل. ولم يكتب على جاري عادته بل اخذ كتاباً وجلس امام الشباك كأنهُ يريد القراءة مع انهُ كان بعيداً عن النور فلا يستطيع ان يرى ليقرأ. وكذلك نصر الله باشا بقي صامتاً اكثر الوقت وكان بيدهِ صحيفة من صحف الاخبار تغطي وجههُ عنا. ومرَّ المساء وكل احد صامت عبوس حتى ولية هانم جاست تنقر على قيثارها كأنها لا تقصد اللعب بل التسلية. اما هانم افندي فجلست على ديوانها على جاري عادتها وهو اشبه بعرش ملكي منهُ بديوان بسيط وسيكارتها في يدها الواحدة والسبحة في يدها الاخرى. وجلست بجانبها على طرَّاحة وامامي مصباح وكنت اطرّز لها لحافاً من الحرير بخيوط القصب كانت عازمة ان ترسلهُ الى ابنتها وكنت اراها تنظر الى ادهم بك من وقت الى آخر نظر الاهتمام. وفيما نحن كذلك سمعنا واحداً يضحك في الدار فعرفنا كلنا انهُ نافذ بك وللحال دخل وتقدَّم الى امهِ وقبَّل يدها ووجهها على جاري عادتهِ ثم جلس بجانب ابيهِ والتفت اليهِ بعد قليل وقال لهُ صدر الامر لبعض الضباط من فرقتي بالذهاب الى اليمن حالاً ولم يمضِ علينا خمسة اشهر من حين اتينا من الاناطول فهل ذلك من العدل

فقال نصر الله باشا اما انت فلا تخف فانك ما دمت في اركان الحرب فلا يرسلونك. فقال ولكن اذا ساعدتني يرسلونني. فنظر اليهِ ابوهُ مستغرباً وقال اتريد ان تمضي الى اليمن. وللحال تركت ولية القيثار وقالت هذا شيءٌ لا يصير نينا[1] بك افندي وحيدة قولوا كلمة فقد مضى شهران وهو يكدّرنا والآن يريد ان يذهب الى اليمن

فقالت هانم افندي هذا شيءٌ لا يصير وكيف تمضي الى اليمن وانت تعلم ان هواءها اردأ

(١) هذا نداء لحماتها وزوجها وابنة حميها ومعنى نينا ام

هواء في كل السلطنة والآن فصل الصيف حين تفشو الكوليرا فيها فلماذا تريد ان تذهب اليها

فقال نصر الله باشا الذهاب اليها خير من المقامرة ولكنهُ اذا كان لا يريد ان يذهب فلا أرسلهُ غصباً عنهُ

ونظرتُ انا الى نافذ بك فرأيتهُ جالساً ويدهُ تحجب وجههُ عني وكنت اودُّ ان لا يذهب ولكن لم يكن لي صوت في الجماعة . وقامت هانم افندي وتقدمت من زوجها وقالت لهُ لا يمكن ان اسلم بذهابهِ وانت تعلم ما حلَّ بي مدة غيابهِ في الاناطول فكيف يكون حالي اذا ذهب الى اليمن فلا يقسُ قلبك عليهِ لانهُ مهما كان ذنبهُ فهو لا يستدعي ارسالهُ الى حيث تكون منيتهُ

فقال لها نافذ بك ولكن انا نفسي اريد الذهاب الى اليمن وانا الذي طلب منهُ ان يسعى لي في الذهاب اليها أليس الامر كذلك يا بي . فهزَّ نصر الله باشا كتفيهِ وقال لا اريد ان اكون مسؤولاً امام امك . نعم انهُ ليس هناك اقل خطر ولكن الهواء قد لا يناسبك ولا اريد ان يقع اللوم كلهُ عليَّ

فوقف نافذ بك بجانب امهِ ووضع رأسهُ على كتفها وقال صدقيني يا امَّاه انهُ ليس هناك اقل خطر او اقل شيء يشغل البال وقد ذهب ثلاثة من رفاقي وعادوا بالامس وقالوا ان الحر محتمل جدًّا . وهي اربعة اشهر فقط اسمعي ما يقال في الجريدة وفتح الجريدة ليقرأ لها فخطفتها من يدهِ وقالت لهُ لا اريد ان اسمع ولا اريد ان تفقد مركزك في السر عسكرية بقلة العقل . فتبسم نصر الله باشا وقال لابنهِ اليك عن هذا الموضوع فان امك لا تسلم ابداً ولم يخطر ببالي قط انك لا تستطيع ان تقاوم التجربة الاَّ بالهرب منها الى اقاصي الارض

فقالت هانم افندي ما هي هذه التجربة . واحمرَّ وجه نافذ بك ونظر الى اخيهِ نظر من يطلب منهُ كتم امرهِ

فقال نصر الله باشا الدوران في بيرا وترك ولية في البيت تقلق رأسنا بالسؤال عنهُ . هات رقعة الشطرنج يا نافذ وتعال نلعب دقًّا

وكانت رقعة الشطرنج وراء ادهم بك فلما ذهب نافذ بك ليأتي بها رأيتهُ همس في اذنهِ شيئًا فاجابهُ ادهم بك بهز كتفيهِ ولما عاد بالرقعة قال لامرأة اخيهِ تعالي ياولية والعبي لنا شيئًا ووحيدة تغني لانهُ يجب ان تسلوني قليلاً اذا اردتم ان ابقى في البيت . ثم بسط رقعة الشطرنج ورتب البياذق عليها وجعل يلعب مع ابيهِ واخذت ولية تنقر على القيثار ووحيدة تغني وكنت اقول في نفسي ترى ما جرى لنافذ بك ولماذا يريد ان يترك بيت ابيهِ . ولم يمضِ الاَّ ربع ساعة حتى دفع نصر الله باشا رقعة الشطرنج من امامهِ وقال لكنتهِ وبنتهِ انكما تغنيان غصباً

عنكما ونافذ يلعب من غير عقل . قوموا نادوا البنات ليأتوا و يرقصوا لنا قليلاً وانتِ يا امينة قومي والبسي وشاركي البنات في الرقص . فقمت اطاعةً لامرهِ وخرجت من الغرفة فتبعني نافذ بك ونادى بوار وقال لها قولي للبنات ان ابي يريدهنَّ ان يأتين و يرقصنَ ثم التفت اليَّ وقال لي أأنتِ ايضاً آتية لترقصي . فقلت لهُ نعم ألم تسمع ما قال الباشا . فقال ما اتى بي الى هنا يا ليتني بقيت في الاناطول الى ما بعد زواجك . فلم اشأ ان افكر في معنى كلامهِ بل قلت لهُ حالاً على كل حال انا مسرورة لانك غير ذاهب الى اليمن . فابرقت اسرَّتهُ وقال أصحيح ذلك أكان ذهابي يسوءُك . فقلت يسوء كل احد بلا شك . وقد استاءت ولية هانم جدًّا لانك غبت هذه الايام

فقال وانت أكنتِ تودين ان لا اغيب وهل سألتِ نفسكِ عن سبب غيابي . ولم تكن لي فرصة لاجيبهُ لان الباب انفتح حينئذٍ وخرج ادهم بك ونظر الى اخيهِ نظر الغيظ فعاد نافذ بك الى الغرفة وصعد ادهم بك الى الطبقة العليا وتبعتهُ ومضيت الى غرفتي لاغير ثيابي . وكان كلام نافذ بك لا يزال يرنُّ في اذنيَّ ولم تبقَ عندي شبهة في انهُ يميل اليَّ ولكني قلت في نفسي انهُ خاطر خطر لهُ و يزول من نفسهِ سريعًا لانهُ يستحيل ان يحبني وانا دونهُ بمراحل ولم ارَ شيئًا صريحًا في كلامهِ يدلُّ على حبهِ لي . ثم عدتُ الى نفسي فرأيت انني كنتُ كاسفة البال النهار كلهُ ولما قال انهُ عازم على الذهاب الى اليمن شعرت كأَن حجرًا ثقيلاً ارتمى عليَّ حتى ضاق صدري . فقلت ترى لو كان الكلام على ذهاب ادهم بك اكنت اشعر بما شعرت بهِ واتضح لي حينئذٍ ما لا استطيع انكارهُ وهو انني احب نافذ بك سواء كان يحبني او لم يكن يحبني . ولما تمثلت هذه الحقيقة امام عينيَّ غطيت وجهي بيديَّ واخذت ابكي من كبد حرَّى لانني خجلت من نفسي لكثرة ما كنت اسمع من التكلم بالازدراء على من تُتهم بحب رجل حتى ان الزوجة لا تستحلُّ ان تقول انها تحب زوجها فكيف شأن البنت التي مثلي . ثم عدت ابرّر نفسي وقلت هذا ليس حبًّا بل هو شعور بالشكر لهُ ولعائلتهِ على اعتنائهم بي ولكني لم اقتنع بذلك وظهر لي اني فتحت للحب قلبي فتملك مني فعدتُ ألوم نفسي وقلت ماذا تقول النساء عني اذا عرفنَ امري وكأَني رأيتهنَّ امامي ينظرنَ اليَّ شزرًا و يزدرينني وللحال سمعت نقر آلات الغناء وكنت اودُّ ان ابقى حيث انا ولكنني لم اتجاسر على مخالفة امر الباشا فقمت ولبست حالاً ونزلت فرأيت المغنيات جالسات في طرف الغرفة والراقصات يرقصنَ في وسطها و بوار واقفة ترقص وحدها . وكنت احسبها من اجمل النساء ولكني لم أرَ من جمالها الرائع مقدار ما رأيت حينئذٍ فانها كانت لابسة قميصًا من الملس الرقيق وعلى خصرها شال

من الكشمير يتدلى على سراويل من المخمل وشعرها مسدول على كتفيها يكاد يصل الى قدميها وهي ترقص رقصاً بديعاً وتحرك حركات فتانة حتى كدت احسدها على ما هي فيهِ ولكن هذا الخاطر لم يخامر نفسي حتى زال منها حالاً . وكان نصر الله باشا جالساً على الديوان بجانب زوجتهِ وادهم بك واقفاً متكئاً على كرسي ولية هانم . ووحيدة جالسة تلاعب ابنها وزوجها واقفاً يتكلم مع ادهم بك بقرب الشباك فلما دخلت قال لي نافذ بك ما اطول ما غبتِ فقد ظننا انك عدلت عن المجيء . واشار اليَّ نصر الله باشا لارقص مع بوار فدنوتُ منها ورقصنا قليلاً وانا خجلة من نفسي ثم مسكت الدف لادور على الحاضرين واجمع منهم الجبوة على جاري العادة فشعرت كأن ناراً في وجهي. ورأت هانم افندي مني ذلك فقالت لي مالكِ يا امينة فهل تعبتِ من الرقص فحاولتُ مجاوبتها ولم استطع ودنيت الدف من ادهم بك فرمى فيهِ جنيهاً من غير ان ينظر اليَّ ودنوتُ من علي بك فقال يظهر لي انكِ تخجلين من الاستعطاء يا بنتي فعسى ان لا تفعلي ذلك الاَّ في اللعب. فضحكت وكنت اشعر بمودَّة علي بك لي واراهُ دائماً بشوش الوجه معي من حين رأيتهُ اول مرة وقلت لهُ اني لا اخجل من الاستعطاء منك لاني عالمة انك لا تعطيني شيئاً. فقال اخطأتِ اخطأتِ خذي ليس معي غير هذا الجنيه ولكن لا تدَّعي بوار تأتي الى هنا قولي لي لماذا اراها مقلوبة الوجه اليوم . فالتفتُّ اليها فرأيتها تنظر اليَّ شزراً فقلت في نفسي لعلها تغار ايضاً مني لان علي بك يكلمني ودرت الى نافذ بك فرأيتهُ هو ايضاً ينظر اليَّ فزاد خجلي وادرت وجهي حالاً فقلت لعلي بك لا ادري سبب غيظها ولكن انظر ما اجملها . فقال جميلة او غير جميلة انا لا اطيقها ويا تعس نافذ بك ان تزوَّج بها . فقلت لهُ اتظن انهُ يتزوَّج بها فقال لا اعلم ولا هو يعلم على ما يظهر لي . كانت تعجبهُ قبل ذهابهِ الى الاناطول وقد صمم نيتهُ على ان لا يتزوج واحدةً لم يرَها ولذلك لا يقدر ان يتزوَّج الاَّ جارية . ثم قال انظري فقد عيل صبر البنات اسرعي حالاً واعطيهنَّ الدراهم والاَّ ظننَّ انك عازمة ان تأخذيها فدرت اليهنَّ وخرجنا كلنا من الغرفة وصعدت الى غرفتي وانا اسأل نفسي مرةً بعد مرة ترى هل ما اراهُ من نافذ بك هو حبٌّ لي او انهُ يعاملني كما عامل بوار

وايقظتني الجواري في اليوم التالي باكراً لنمضي الى المصيف وننظفهُ لان نصر الله باشا كان عازماً على الانتقال اليهِ بعد ثلاثة ايام فقمت ولبست حالاً ونزلت فوجدت الجواري كلهنَّ لابسات وولية هانم تلبس يشمكها لتذهب معنا ونافذ بك واقف امامها ينزع النقاب عن وجهها كلما وضعتهُ ويضحك ويمزح فمضيت الى الرواق ولما رآني ترك امرأة اخيهِ واتى اليَّ عابساً واتكأ على درابزون الرواق ولم يكلمني فدرت لادخل البيت فقال الى اين انتِ ذاهبة لماذا تهربين مني

دائماً كاني من احط الناس ارجو ان تجتهدي وتحسني ظنك بي الى ان تري مني ما يريبك . فان ادهم بك غير معصوم ويجب ان لا تصدقي كل ما يقوله عني حتى يثبت لك صدقهُ

فاستغربت كلامهُ وقلت لهُ انهُ لم يخطر ببالي قط انك كما تصف نفسك ولا قال لي ادهم بك شيئاً عنك ولماذا يقول لي وما هو الداعي ليكلمني عنك

فقال ما هو الداعي . ألم يحذركِ مني

فقلت كلاً كلاً ولماذا يحذرني واي ضرر كنتَ تقصدلي

فتهلَّل وجههُ قليلاً ثم قال ان لم يكن قد حذَّركِ مني فلماذا اراك تتجنبينني. وكأنهُ رأى ان حمرة الخجل علت وجهي فتبسم واتكأَ على الرواق وقال هل قلتُ لكِ ماذا ظننتكِ البارحة فقلت كلاً . فقال ظننتكِ ساحرة ويا حبذا لو كنتِ ساحرة فتسهلي عليَّ ما يحيق بي من المصاعب ولما قال العبارة الاخيرة عبس وجههُ ثم تبسم قليلاً وقال اراكِ ذاهبة مع الجواري الآن فلا تتعبي نفسكِ ولا ارى من العدل ذهابك معهنَّ لانك لست جارية

فتبسمتُ وقلت لهُ لماذا لا اتعب اتظن اني لو كنت باقية في قريتي كنت اجلس بلا عمل . فقال كلاً ولكن كنت تتزوجين وتشتغلين لنفسكِ وبيتكِ وربما كان ذلك افضل لك ولي

فتجاهلتُ معنى كلامهِ وقلت ان قريتنا جميلة جدًّا هل رأيتها قط. فقال لا اعلم . اين هي . قلت اسمها قش اغاج وهي تحت قوجه طاغ. فقال نعم كنت هناك ونمت ليلة في القرية لما كانت فرقتي في ايدين . فقلت لهُ متى كان ذلك فقال منذ سنتين نمت في بيت شيخ وهو معلم المدرسة هناك . فقلت هو الشيخ سليمان ولو عرف من انت واني عندكم لسرَّ بذلك كثيراً يا حبذا لو امكنني ان اكتب اليهِ . فقال عليَّ لا تكتبين اكتبي وانا ارسل المكتوب الى صديق لي في ايدين فيرسلهُ اليهِ . فتهلل وجهي وشكرتهُ على فضلهِ . فدار عني وقال يا حبذا لو كنت كما تظنين ووضع يدهُ على رأسي ثم رفعها وقال هوذا الجواري ولا بدَّ من ذهابكِ . فتركتهُ ومشيت معهنَّ وانا افكر بالشيخ سليمان ومقدار سرورهِ حينما يقرأ مكتوبي

وخرجنا بعد الظهر الى حديقة المصيف لنستنشق الهواء قبل رجوعنا الى المدينة وتقدَّمت اليَّ بوار وكلمتني بلطف قائلة سنترك المدينة قريباً ألا تريدين ان تمضي وتري حميدة قبل مجيئنا الى هنا . فقلت لها كيف لا اريد ولكن هل تسمح لي هانم افندي

فقالت لا شبهة في انها تسمح وانا استأذنها لكِ ولكن يجب ان تأخذيني معكِ ايضاً . فقلت لها حتماً والهانم لا تسمح لي بالذهاب وحدي . وقالت كنجه ألا يمكن ان يذهب اربع او خمس منا فانهُ مضى زمان طويل منذ خرجنا من البيت . فرمقتها بوار شزراً وقالت كلاً فانكِ

الآن الخزندار ومن يهتم بالصناديق في غيابك وقالت شيستا اما انا فلا شغل لي خذيني معك يا امينة . فقالت بوار كلاَّ كلاَّ لان هانم افندي لا تريد ان نخرج كلنا من البيت معاً لئلاَّ يحسدها الناس . فقالت لها شيستا لا تغضبي ولا تنفري وان كان لك مقاصد خفية فما احد منا يصرفك عنها اذهبي وحدك مع السلامة. فقالت لها بوار اليك عن هذا الكلام الفارغ ان شئت ان تأتي معنا فتعالي فقالت شيستا كلاَّ لا اريد ومن لا يرى انك لا تريدين ان نذهب معك . فلم تجبها بوار بشيء بل سارت في طريقها وضحك الجواري والتفتت شيستا اليَّ وقالت الى اين هي ذاهبة . فقلت لها لا اعلم ولكنني اظنها ذاهبة الى بيت حميدة . فقالت مريم كلاَّ ولكنها ذاهبة الى الشيخ المنجم لكي تكتب عنده حجاباً. فقلت لمن الحجاب ألها املي فقالت لها لكي يحبها نافذ بك. فقالت لها كنجه اصبت اصبت ولا شيء يبرد خلقها غير ذلك . وقالت لي شيستا أتعرفين منجماً . فقلت نعم . فقالت اين يسكن وهل اخبرك عن بختك فاخبرتها ما اعلمهُ عنهُ . وعادت بوار ونحن نتكلم ثم اتت ولية هانم وسمعتني اقص ما قالهُ لي الشيخ فقالت اظنهُ يعني ان واحداً يطلبك فترفضينهُ من هو هذا يا ترى ولماذا ترفضينهُ . فقالت مريم كيف ترفضهُ وهل الامر حسب ارادتها فان هانم افندي وحدها تحل وتربط في هذه المسألة . فقالت ولية هانم نعم واظن ان الامر تقرَّر الآن ولكن اظن ان امينة لا ترضى بهِ . فقالت بندزار كيف لا ترضى بهِ ويجب ان تشكر ربها لانها وجدت من يتزوجها. فقالت شيستا ان بندزار تتكلَّم عن نفسها بالله عليك يا ولية هانم قولي لهانم افندي ان تجد عريساً لبندزار . فاحمرَّ وجه بندزار ولم تتكلَّم وقالت ولية هانم كأنكنَّ تطلبن هذا الطلب ولكن هانم افندي احكم من ان تفعل مرضاتكنَّ . ثم ما معنى كلام هذا الشيخ ان لم يكن كما فهمتهُ

فقالت كنجه ربما مرادهُ ان رجلاً عظيماً مثل نافذ بك يطلبها فترفضهُ. فذعرت بوار لما سمعت هذا الكلام وادرت انا وجهي لاخفي ما شعرت بهِ وضحكت كنجه وقالت انا امزح وقد حان الوقت لنذهب ولا بدَّ من الذهاب الآن لنلحق القارب . وكانت تنظر اليَّ ونحن راجعات لترى تأثير كلامها فيَّ ولكنها لم تقل لي شيئاً. ثم اتت الى غرفتي في المساء وقالت لي اتعلمين يا امينة ان ادهم بك تخاصم مع نافذ بك . فقلت لها لماذا تخاصما فقالت هذا شيء يسوءنا كلنا فانني انا كنت جارية ادهم بك قبلما تزوَّج ولذلك يتكلم امامي ولا يخفي عني شيئاً وامس اشتدَّ الخصام بينهُ وبين نافذ بك . فقلت لها ولكن على اي شيء اختصما . فقالت اظن انك ستتعبين يا امينة ولا ادري ما تقول هانم افندي . فقلت لها بالله عليك اخبريني السبب . فقالت اما عرفت السبب الآن ان كنت لم تعرفيهِ فانت بلهاء كيف يحبك رجل وانت لا

تعرفين ذلك . فان نافذ بك يُريد ان يقترن بكِ هذا ما قالهُ لاخيهِ البارحة

فقلت " أَيريد ان يقترن بي " . فقالت نعم يقترن بكِ والظاهر انهُ احبك من اول ما رآكِ وزاد حبهُ لكِ رويدًا رويدًا وقد قبَّلكِ مرةً في الحديقة ورآهُ ادهم بك ولامهُ لومًا شديدًا لانهُ ان كان لا يستطيع ان يقترن بكِ فليس من الشهامة ان يعاملكِ هذه المعاملة . والظاهر ان نافذ بك صوَّب رأي اخيهِ وحاول ان ينساكِ فتعلَّق المقامرة

ولما قالت ذلك غطيت وجهي بيدي وانجلى لي معنى الكلام الذي سمعتهُ منها . ثم قلتُ لها ماذا قالوا البارحة فقالت لما اخبر نصر الله باشا ابنهُ ادهم بك عن ديون اخيهِ اشار ادهم بك الى قصتك من طرْف خفي ملتمسًا عذرًا لاخيهِ . ثم لما تكلم نصر الله باشا مع نافذ بك قال كلمتين يفهم منهما ان القصة بلغتهُ فاغتاظ نافذ بك من اخيهِ وقال لهُ امس انهُ سيقترن بكِ وذلك خير من الاقتران بجارية

فقلت لها انهُ يمزح ولا بدَّ لان الامر ضرب من المحال . فقالت لا ادري فان نافذ بك لم يكن يمزح حينئذٍ وانتِ لا تعلمين عنادهُ اذا قاومهُ احد . وكان يجب على ادهم بك ان لا يشدّد اللوم عليهِ كما فعل . وامس تكلم معهُ بلهجة كادت تشعلهُ واخيرًا قال لهُ نافذ بك اعلم اغابك[1] اني بذلت كل جهدي لكي أتجنب هذه المشاكل التي لا بدَّ منها اذا بقيتُ مصرًّا على عزمي وحاولت ان اترك هذه البلاد مطلقًا وكان يمكنني ان اتجنب هذه الفتاة اكرامًا لابي ولكني لا احتمل لومك كلما تكلمت معها كلمة . هذا علي بك يتكلم معها ساعة بعد ساعة ولا احد يقول لهُ كلمة . وحتى الآن لا اعلم انها تحبني ولكن ان كانت تحبني فانا اقترن وهذا ختام الكلام

فقلت لها وماذا قال ادهم بك . فقالت قال لهُ هل تدري مقدار الكرب الذي تسببهُ لها فان امي تتركك وشأنك ولكنها تنتقم منها وهي ابنة يتيمة لا ناصر لها ولا مجير . والرجل الذي يعرّض ابنة مثلها لاشد انواع الانتقام ارضاءً لاهوائهِ يستحق ان يجلد حتى الموت وانا اجلدهُ بيدي ولو كان اخي . وهمَّ نافذ بك بالجواب ولكن دخلت ولية هانم حينئذٍ وافترقا . والآن اعلمي ياحبيبتي ان قول ادهم بك صدق كلهُ فان الهانم لا تقول كلمة لابنها ولكنها تصب غضبها ونقمتها على رأسكِ مدَّعية انك سحرتِ ابنها وحينما افكر في ما يمكن ان تفعل بك يقشعرّ بدني وانتِ لا تعرفينها كما اعرفها انا ولم تريها حتى الآن غضبى . ويمكن ان اقص عليك قصصًا عن افعالها تشيب رأسك . واقول لك بالاختصار انهُ لولا نصر الله باشا ما كان احد منا يبقى هنا بل كنا نهرب كلنا . اما مسألتك فلا اظن الباشا يتعرَّض لها فاقبلي نصيحتي وتجنبي نافذ بك على قدر طاقتك

(١) لقب الاخ الاكبر .

فقلت لها سأفعل حسب مشورتك وأؤكد لكِ يا حبيبتي ان كل ما جرى لم يكن باختياري. فقالت نعم انا اعرف ذلك ولكن لا احد يبررك بل الجميع من هانم افندي فنازلاً يقولون انكِ اغريتهِ وفتنتهِ وحبذا لو انتهت الامور عند هذا الحد

فسألتها ماذا قال الباشا لما سمع هذه القصة . فقالت لا اعلم ولكن لاشبهة عندي في انهُ لا يوافق على اقتران نافذ بك بكِ . والآن لا بدَّ من ذهابي . وقامت لتذهب ثم قالت ترى هل سمعت بوار بهذه القصة. لكنها عادت فقالت حتماً لم تسمع ولو سمعت ما كانت تطلب منك لتمضي معها غداً كوني على حذرٍ منها فانها اكبر عدوّ لك. ثم قبلتني وذهبت فقمت الى سريري وانا غائصة في بحار اليأس فاني كنت احب نافذ بك ولو لم يخطر ببالي قط انهُ يطلب الاقتران بي . وقد زاد اعجابي بهِ الآن حتى صرت اعبده فقد كنت احسبهُ من اكرم الناس فصرت اراهُ شهماً لا مثيل لهُ بين الرجال . وقلت ماذا فعلتُ لهُ حتى انكر نفسهُ لاجلي . ثم تقدمت الى حيث المرآة ورأيت وجهي وقلت اني لست اجمل من بوار ولكنهُ يحبني حتى يترك اباهُ وامهُ لاجلي . وهذا الفكر سرَّني ولكنني لم اغترَّ بهِ لانني كنت اعلم ان اقترانهُ بي ضرب من المحال ولا بدَّ من ان ابذل جهدي لاصرفهُ عن عزمهِ. وتذكرتُ حينئذٍ الوعد الذي وعدت جدتي بهِ وهو ان لا اخالف هانم افندي في شيء فقلت كيف اخالفها الآن واعصي امرها ولقد صدقت كنجه في انهم يحسبون الحق كلهُ عليَّ . ولما امعنت نظري في ما يمكن ان يجرَّ اليهِ امري ضاقت الدنيا في عيني فانطرحت على سريري وجعلت ابكي وانتحب وانادي جدتي واقول لها لماذا تركتني لماذا تركتني يا جدتي الحنونة . وللحال سمعت صوت الاذان فاصغت اليهِ وطلبت من الله ان يساعدني فسكن روعي قليلاً وقمت الى الشباك واتكأت عليهِ فرأيت علي بك ونافذ بك يمشيان في الممشى تحتهُ لان العادات التركية تقضي على الاولاد ان لا يدخنوا التبغ في حضرة والديهم فخرجا ليدخنا خارجاً وسمعتُ علي بك يقول لنافذ بك "لا يمكنك ان تقترن بامينة وارى ادهم بك مصيباً في ما قالهُ لك". ولم اسمع جواب نافذ بك لانهما ابعدا عني في مشيهما ولكني سمعتهُ يقول حينما رجعا "لو تركني وشأني لكنت اجتهدت حتى اسلوها ولكنهُ جاءني بالتوبيخ والتقريع وحملني تبعة كل ما يمكن ان يحلَّ بها بسببي فارضاءً لهُ اجتهدت ان اسلوها حالاً فكانت النتيجة انني صرت افتكر بها اضعاف ما كنت افتكر قبلاً "

ولما سمعت هذا الكلام اردت ان اقفل الشباك لكي لا اسمع اكثر فرأيتهما قد جلسا تحتهُ ولما وقع نظري عليهما سمعت واحداً يمشي آتياً نحوهما واذا بهما قد طرحا السيكارتين من يديهما ونهضا واقفين . وكان هذا نصر الله باشا فقال لهما لماذا انتما هنا . ما الطف هذا النسيم

اسمع يا نافذ مات ابن يوسف باشا أَتقدر ان تذهب غدًا وتسير في جنازتهِ فانا مشغول جدًّا وادهم لا يقدر ان يصل الى ايوب سلطان في الوقت لانهُ يتأخر في خروجهِ من المكتب

فقال نافذ بك نعم افندم اذا اردت

فقال نعم يا ولدي فان يوسف باشا صديق لنا ولا اريد ان يفتكر اننا نسيناهُ

فاقفلت الشباك وانطرحت في سريري وحاولت ان انسى كل ما سمعتهُ

(ستأتي البقية)

معرض باريس العام

الباب الخامس عشر في سائر الصناعات

في هذا الباب تسعة فصول تختلف معروضاتها مما ثمنهُ مليمات قليلة الى ما ثمنهُ ملايين من الفرنكات كيف لا وقد عُرضت فيها اللعب والدُّمَى واقلام الكتابة وعرضت ايضًا الساعاتُ الثمينة والجواهر الكريمة وكل ما تفنَّن الصاغة والجوهريون في صوغهِ وترصيعهِ

الفصل الاول منها في صنائع الورَّاق والكتَّاب . وقد يُظنُّ لاول وهلة ان هذا الفصل ضيق النطاق لان صناعة القلم من اضيق المعايش لكن الامر عند الاوربيين على غير ما هو عند الشرقيين . وقد كانت صناعة الوراقة والكتابة في بلاد المشرق قبلما عرفت الامم الشمالية شيئًا عنهما لكن بلغ تقدمهما عندنا حدَّهُ منذ نحو سبع مئة سنة ثم لم يزد عليهِ واما عندهم فبلغتا مبلغًا يفوق ما يتصوَّرهُ اهالي المشرق ولا غرابة في ذلك فان من عمرت دواوينهم بارباب الاقلام واتسعت متاجرهم حتى عمَّت الخافقين وبسم لهم وجه الزمان مئات من الاعوام وكاشفتهم الطبيعة باسرارها وساعدتهم العناية على كبح جماح الظالمين من ملوكهم وتقييدهم بقيود الدستور والشورى لحريُّون بان ترتقي الصناعات في يدهم وتبلغ اوج مجدها

ولقد ادرك الاوربيون حقيقةً طبيعية يجري عليها كل مخلوق حتى الجماد ولا يخالفها الاَّ كتَّابنا وهي اختيار اسهل السبل واقلها مقاومةً . فترى الماء يجري في طريقهِ حتى يجد ما يعيقهُ فيقف ويختار طريقًا آخر يسهل عليهِ الجري فيهِ . والريح تهب حتى اذا وجدت جدارًا قائمًا في طريقها حادت عنهُ وكذا عقل الانسان فانهُ ينبو عما يعتاص عليهِ ويرتاح الى ما يستسهلهُ لكنَّ كتَّابنا حفظهم الله لم يكتفوا باختيار كل غريب شارد من الالفاظ بل زادوا الطين بلةً ان علقوا الحروف والكلمات في الكتابة والطبع حتى تجد العين اكبر مشقة في قراءة ما ترى كما يجد

العقل اكبر مشقة في فهم معناهُ . اما الاوربيون والاميركيون فجعلوا حروف مطابعهم واضحة مفصولة بعضها عن بعض لكي لا تجد العين اقل صعوبة في استجلائها ثم استنبطوا آلة للخط تكتب الحروف مفصولة واضحة كأنها مطبوعة طبعاً والكتابة بها اسرع كثيراً من الكتابة بالقلم اقتصاداً في الوقت وفي القوة العقلية . واستنبطوا وسائل كثيرة لنسخ النسخ الكثيرة مما يكتبون باسرع ما يكون من الوقت. وقد بحثت بين آلات الكتابة لعلي اجد بينها آلة للخط العربي فلم اجد لكني رأيت من آلات النسخ ما يمكن استعمالهُ في العربية. وقد دهشت مما رأيتهُ من الاثاث والرياش في امثلة مكاتب التجار والمحامين وما يلزم لها من ادوات الكتابة واجناس الحبر والاقلام . وهناك معرض تاريخي للكتابة وما يتعلق بها من اقدم عهدها الى الآن . واكثر العارضين في هذا الفصل من النساء لا من الرجال كأنهنَّ عزمنَ ان يحتكرن صناعة طالما امتاز الرجال بها وجعلوها مرقاة الى السيادة

وعُرضت في الفصل الثاني من فصول هذا الباب السكاكين والمواسي واقلام الحفر والنقش وما اشبه والغرض من عرضها صناعي كما هو تجاري فانك ترى بينها سكاكين قديمة مقابضها الذهب او العاج منقوشة مرصعة افرغ الصنَّاع فيها مهارتهم ومثَّلوا بها الاشكال البشرية والحيوانات المختلفة وتفننوا في نقشها على اساليب شتى. وبعضها قديم من القرن الماضي والذي قبلهُ الى القرن السادس عشر وقلما يتخطَّاهُ الاوربيون اذا عرضوا بدائع صناعتهم . ولا ندري ما يقولونهُ عن ابناء المشرق ابناء مصر والشام والعراق وفارس حينما يستخرجون بدائع الصناعة من مدافن اسلافهم فيرون بينها الخناجر المرصَّعة والقلائد المنسقة والثياب الموشَّاة ثم يلتفتون الينا فيروننا لا نصنع سكيناً ولا ابرة وما نصوغهُ وننسجهُ بسيط في صنعهِ ليس عليهِ لمحة من الجمال الاَّ عند من يستحسن الغريب السادج ولو كان من اعمال الزنوج .لكن ابناء المشرق الاقصى لم يحلَّ بهم ما حلَّ بابناء المشرق الادنى من هذا القبيل فبقيت مصنوعاتهم في المكان الاعلى من الدقَّة وحسن الصنعة. لان في عبادة الاصنام وعمل الصور والتماثيل وزخرفة الهياكل والمعابد ممَّا يرغِّب الصناع في اتقان التصوير والتمثيل وسائر الفنون اليدية. وفي النهي عن ذلك كلهِ ما يميت اصول الصناعة وشواهد هذا كثيرة لا محل لسردها هنا ولذلك اقتصرت الصناعة العربية على رسم الخطوط والزوايا والاقواس وكان ملوك العرب اذا ارادوا النقش والزخرفة يجلبون الصنَّاع من الروم فلا يتقنون لهم عملاً الاَّ كما يتقن الاسير لآسرهِ والعبد لسيدهِ فماتت الفنون في البلاد التي نشأت فيها

وعُرضت في الفصل الثالث المصوغات من ذهب وفضة منائر ومزاهر وكؤوس واباريق

وكل ما يصاغ من الحجرين الكريمين مما هو دقيق الصنعة لكنهُ قبيح الصورة كالتماثيل التي على بعض المصوغات من معمل سنر بباريس فان فيها الغيلان والتنانين . الى ما جمع بين الجمال والدقة كمصوغات ميرس سوهن النمسوي فان فيها من تماثيل العذارى والولدان والازهار والاثمار ما جُمع فيهِ الحسن كلهُ . او الى ما جمع فيهِ الجمال والدقة والتفنن والنفع كما في مصوغات محل تفني الاميركي فانَّا رأينا منها ما يملأُ بيتًا كبيرًا من الآنية الفضية والذهبية من صحاف ومزاهر واباريق مختلفة الاشكال والاقدار وبعضها من البلور الطبيعي وقد افرغ ونقش نقشًا بديعًا ومن ذلك الكاس المعروفة بكاس ادمس وهي من الذهب الاميركي ارتفاعها نحو نصف متر مرصعة بكثير من الحجارة الكريمة التي توجد في اميركا ويمثّل فيها نبات القطن من حين ظهورهِ الى ان يخرج القطن من كنافجهِ وتمدّ السبائخ منهُ . الى ما توسط بين هذه الاشكال الثلاثة كالمصوغات الانكليزية التي صاغتها شركة الصاغة الانكليزية فانها ادخلت في مصنوعاتها تماثيل جامعة بين الجمال والغرابة فترى فيها افراس البحر خارجة من الاصداف وقد صارت قوائمها زعانف كزعانف الحيتان . والدلافين شائلة باذنابها كالعقارب وعيونها غائرة تحت اصداغها. وعرائس البحر تحمل المنائر على عواتقها وتتهلل بولادة الانهار وايلوس اله الريح عند اليونان ينفخ بالصور ونبتون اله البحر يصعد منهُ وغير ذلك مما شرحهُ مسطور في الخرافات اليونانية وللاوربيين ولع شديد بتمثيلهِ والعود اليهِ مرةً بعد أُخرى

واذا قلنا الذهب والفضة تصوَّرنا حالاً لونيهما الاصفر والابيض وصقالهما البرَّاق لكن الصنَّاع الاوربيين والاميركيين سئموا رؤية هذين اللونين المألوفين فلونوا الحجرين الكريمين بالوان شتَّى فترى الذهب مخضرًّا او مسودًّا والفضة سوداء او رمادية وكلهُ من باب طلب الغريب والبعد عن المألوف او من باب مراعاة النظير لان هذه الالوان يراعى فيها احيانًا ما يراد تمثيلهُ بالذهب والفضة من صور الناس والحيوانات والاسماك والاطيار والازهار والاثمار الى غير ذلك

ولم يكتفِ الصاغة بعرض مصنوعاتهم بل عرضوا مصنوعات بعض القدماء او ما يماثلها ومن ذلك الكاس الارلندية المعروفة بكاس ارداغ وهي مصوغة من الذهب والفضة منذ القرن العاشر للميلاد اي منذ تسع مئة سنة

وللفرنسويين النصيب الاكبر من هذا الفصل كما لهم من غيرهِ وقد ابدعوا في تلوين الذهب والفضة وتمثيل الناس والملائكة وعرضوا كثيرًا من مصوغاتهم القديمة من القرن السادس عشر فما بعدهُ

والفصل الرابع من فصول هذا الباب للحلي والجواهر . اين عقود الجمان وقلائد العقيان اين قرطا مارية وجواهر كليوباترا مما عرضهُ الاوربيون والاميركيون في هذا الباب . رأينا فيهِ عقدًا واحدًا من الدر فيهِ ست واربعون يتيمة تامة الاستدارة كالبندق حجماً ثمنها تسعون الفًا من الجنيهات فثمن اللؤلؤة الواحدة منها الفا جنيه . وهناك ماسة كالجوزة الكبيرة منصوبة على سلك دقيق يدور بها دوامًا ليرى الوقوف وجوهها كلها من غير ان يدوروا حولها وامامها ثلاثة من رجال الشرطة مسلحون لحراستها . وعُرض ما لا يقع تحت حصر من انواع الحلى من الاكاليل والعقود والقلائد والاقراط والسلاسل والدبابيس وهي مرصعة بانخر انواع الماس والياقوت والزمرُّد والفيروز وكل حجر كريم ممَّا حجمهُ كالبيضة فنازلاً الى ما لا تكاد العين تراهُ لصغرهِ ولا يظهر الاَّ لاجتماعهِ مع غيرهِ . ومما لونهُ عاديٌّ الى ما خالف اللون العادي وتشكل باشكال شتى فترى هناك الماس الابيض والاسود وكل الدرجات التي بين هذين الحدين والماس القرنفلي والبنفسجي والمصفرّ والمخضرّ والمزرقّ . وترى الياقوت المعروف بدم الحمام وغيرهُ مما يزيده صفاءً او كدرةً . واللؤلؤ الابيض والاصفر والرمادي والاسود وهو على اشكال شتى كروي وبيضي وكمثري وغير ذلك مما يطول شرحهُ

ولا مشاحة في ان منظر تلك الحلى جميل جدًّا سواءٌ نُظر اليها من حيث جمالها الطبيعي والصناعي او من حيث تفنُّن الصنَّاع في نظمها وتنسيقها . ولا بدَّ من ان يخطر على بال المرء خواطر كثيرة حين يراها ككثرة الماس واللؤلؤ وقلَّة الفوائد من هذين الجوهرين الكريمين . وغنى الجوهريين المفرط لان الواحد منهم قد يعرض من الحلى ما ثمنهُ ملايين كثيرة من الفرنكات . والفرق الشاسع بين طبقات الناس بين مَن تحلي رأسها باكليل ثمنهُ مئة الف جنيه وعنقها بقلادة ثمنها مئتا الف جنيه وبين مَن ترتدي اخلاقًا لا تستر عريها وتسلق المندباء لصبيتها فلا تجد كفافهم منها

ولم يقتصر العارضون على عرض الحلى والجواهر في قسم الانفاليد بل عرضوا كثيرًا منها في شان دو مارس وفي قصور الدول المختلفة كما تقدَّم في الكلام على معروضات اللؤلؤ في قصر الحراج والصيد وكما سيجيءُ في الكلام على قصور الدول والمستعمرات

وان لم يستفد المرءُ من رؤية الحلى استفاد من رؤية المكان الذي تقطع فيهِ الحجارة الكريمة وتجلى وتصقل وتصاغ وهو هناك على يسار الداخل الى معرض الانفاليد وقد رأينا فيهِ حصى الياقوت والماس لا جمال لها ولا بريق فيها يأخذها الصانع ويلصقها بشيءٍ يمسكهُ بيدهِ ويضعها على ترس رشَّ عليهِ السنباذج او غبار الماس ويديرهُ دورانًا سريعًا جدًّا حتى لا تراهُ

العين دائراً لشدَّة سرعتهِ والمدير لهُ الكهربائية التي صارت الآن خادمةً لكل الصنائع فيجلى ويصقل ويظهر نورهُ وبريقهُ

وكما عُرضت الجواهر الصحيحة عُرضت الجواهر الكاذبة وهذه لا تفرق عن تلك منظراً مهما عظم الفرق بينهما قيمةً فالماسة التي ثمنها مئة الف جنيه تقلَّد بزجاجة او ببلورة ثمنها جنيهان او ثلاثة. واذا اريد بالجواهر مجرَّد الزينة فلا فرق بين الاثنتين ولذلك ترى كثيرات من النساء يضعنَ حلاهنَّ الصحيحة في خزائن الحديد مخافة ان تسرَق ويتحلَّين بحلى مثلها كاذبة بخسة الثمن وذلك وحدهُ كافٍ للحط من قيمة الجواهر ولكن من يستطيع ان يقاوم العادة والزي ما دام اصحاب المناجم ومعامل الصياغة يعضدونهما

والفصل الذي بعد هذا فصل الساعات ومعروضاتهُ اكثر المعروضات عدداً ولا غرابة في ذلك لان الساعة من لوازم العمران وصنَّاعها يتفننون فيها دواماً حجماً وشكلاً ووضعاً وانتظاماً. ولا شيء تظهر فيهِ مهارة الصانع ودقة اليد وتدقيق الآلات كما تظهر في عمل الساعة ولوالبها وزنبلكاتها . ولم يكتفِ الصناع بعرض الساعات المختلفة الاشكال والاقدار مما يوضع في ابراج الكنائس والمباني العمومية ويقرع اجراساً موسيقية كبيرة عند حلول كل ساعة ونصف ساعة وربع ساعة الى ما يوضع في فصِّ الخاتم ولا يزيد على فلقة الحمصة حجماً . ومما صنع من الخشب والحديد الى ما صنع من الذهب ورُصِّع بالماس والياقوت — لم يكتفوا بذلك بل عرضوا الآلات التي تصنع بها ادوات الساعات المختلفة وعرضوا الوفاً والوف الوف من هذه الادوات فترى اللوالب مما لا يكاد يرى بالعين لصغرهِ الى ما هو في غلظ الابهام والزنبلكات مما هو ادق من الشعرة الى ما هو اغلظ من الذراع وهي كثيرة جدًّا ولا سيما الصغير منها كأنَّ المراد بيعها بالاردبِّ

ولم يكتفوا بعرض الساعات الحديثة بل عرضوا مجاميع كثيرة من الساعات القديمة منها مجموعة فيها ستون ساعة ثمنها اثناعشر الف جنيه وهي من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر. وعرضوا ايضاً كثيراً من الساعات الرملية والكرنومترات والساعات الفلكية والكهربائية والهوائية والمائية والآلات التي يقاس بها السير والوقت الموسيقي وما اشبه. ويظهر الفرق في دقة الساعات واحكام صنعتها من ان آلات ساعة الجيب يختلف ثمنها من ريال واحد الى مئتي جنيه. وعرضوا ايضاً اشكالاً كثيرة من الساعات الدقَّاقة التي تعمد في البيوت ممَّا هو بسيط يقصد بهِ الدلالة على الوقت لا غير الى ما هو في منتهى الزينة والزخرفة تحيط بهِ تماثيل الملائكة والعذارى من الخشب او الحديد او النحاس او الفضة او الذهب وحولهُ وتحتهُ اعمدة وعضائد من المرمر او المعدن الى غير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

الفصل السادس في المصنوعات من البرنز والحديد المسبوك والمطروق ويليهِ ثلاثة فصول الواحد في الادوات الجلدية كالسيور والمناطق والصناديق وما صنع من العيدان كالسلال والجوتن والاسفاط ومن الهلب والليف كالبرشات والمماسح . والثاني في ما يُصنع من الصمغ الهندي والكتابرخا . وما يحتاج اليهِ في السفر من الصناديق والسروج والاسرَّة . والثالث في الدُّمى واللعَب وما اشبه . وقد تبارت امم الارض في هذه المصنوعات كلها كما تبارت في سائر ابواب المعرض وفصولهِ وتفنن الصنَّاع في عمل التماثيل ووجدوا سبيلاً جديدًا للتفنن لم يخطر على بال اليونان والرومان ولا على بال المصريين والبابليين وهو قبض المصابيح الكهربائية فقد كان صنَّاع التماثيل يضعون في يد التمثال سهماً او قوساً او رمحاً او نجماً او بوقًا او مشعلاً فصاروا يضعون في يدهِ غصناً ازهارهُ او اثمارهُ مصابيح كهربائية مختلفة الاشكال والالوان او يوقفونهُ في ظل اشجار من النحاس اثمارها المصابيح الكهربائية وصار لهم في ذلك اساليب شتَّى يضيق المقام عن وصفها

وعرض الروس واهالي اليابان من مسبوكات البرنز والحديد ما لا يقلُّ جمالاً واتقانًا عن مصنوعات الفرنسويين والايطاليين والبلجيكيين. ولا ندري كيف استتبَّ لهم ان يسبكوا الحديد حتى يخرج من القوالب صقيلاً يظهر فيهِ الشعر على دقتهِ . ولكن الصناعة ملك مشاع لا يشتهر بها قوم دون غيرهم . وقد كنت ارى تماثيل البرونز وافكر في تمثال الملك بيبي ربيع الثالث من ملوك الدولة السادسة التي حكمت القطر المصري منذ خمسة آلاف سنة فاكثر وهو الآن في المتحف المصري بالجيزة واقول في نفسي انهُ لو بقي سكان القطر المصري محتفظين بما كان لهم منذ خمسة آلاف سنة من البراعة في الصناعة وزادوا براعةً واتقانًا ولو شيئًا قليلاً كل مئة سنة ما كان احد من امم العالم يباريهم الآن ولكن غيَّر الدهر ونوائب الايام حوَّلت حالهم وقوَّضت اركان مجدهم فهل يحلُّ باوربا في مستقبل الازمان ما حل ببلدان المشرق فتتقوض اركان عمرانها وتمسي معالمهُ اثرًا بعد عين او ان في عمرانها من الاصول الراسخة ما يكفل بحفظهِ ما دامت صالحة لسكن الانسان . هذه مسألة يحسن البحث فيها وكأَنَّ الباب التالي من ابواب هذا المعرض وهو الباب السادس عشر فتح لحلها فان مدارهُ على المسائل الاجتماعية التي اذا أُهملت من بلاد اسرع الخراب والدمار اليها واذا أُعطيت حقها من الرعاية والاعتناء سهلت مداواة العلل التي تنتاب عمرانها من وقت الى آخر . وقد ظهر لي من النظر في معروضاتهِ ان فضلاء الاوربيين والاميركيين باذلون اقصى الجهد في مداواة علل العمران ونزع سوس الفساد منهُ وتعهدهِ بالعلاج الذي يكفل لهُ البقاء والنمو كما سأُوضحهُ في الفصل التالي

جوائز الشعراء

انتقاد

لو جئنا نقابل حالة الشعراء في عصر الامويين والعباسيين بحالة شعراء هذا الزمان لوجدنا داعياً كبيراً للعجب ومتطرقاً فسيحاً للشكوك والريب وانتقدنا على المؤرخين الذين نقلوا الينا شؤون اولئك ووفرة جوائزهم واتهمناهم بحب المغالاة وعدم التثبت في تحرير الاخبار ونقل الحكايات . وقد وقع مثل هذا لصديقي الفاضل خليل افندي ثابت في ما كتبهُ تحت عنوان "مدائح الشعراء وعطايا الامراء" في جزء دسمبر من المقتطف الاغر . فانهُ اتى بتلك المنقولات ووضعها تحت محك التنظير ثم رازها بنظر المقابلة فتعامي عليهِ تصديقها وأبت لديهِ الاَّ نبوًّا عن حوزة الاحتمال . على انهُ لا يسوغ لنا ان نُسقط النقل الاَّ اذا تعارض مع العقل بصورةٍ يتعذر فيها التأويل وعندي (ان كان لي عندٌ) ان النقول التي انتهت الينا عن جوائز الشعراء ليست بعيدةً عن القبول ولا متراميةً عن حيز الامكان . واليك ما اجيءُ بهِ زائداً عن استقامة النقلة ورامياً من وراء حرمة المؤرخين الاَّ قليلاً

(١) لكلٍّ زمان دولة . انك لتأخذك الدهشة والعجب ويذهب بك الاستغراب كل مذهب عند ما تقرأُ عن عُمَر بن الخطاب وهو يلتحف بمرقعتهِ البالية ويستتر ببرقع الظلام ويخرج طائفاً في احياء المدينة ليعثر على امرأةٍ مُعدمة وصبيتها حولها يضورون جوعاً فيذهب الى انبار الدقيق ويحمل منهُ على ظهرهِ عدلاً يأتيها بهِ ثم يكل اليها امر عجنهِ واصلاحهِ ويجلس يوقد النار حانياً عليها والدخان ينبعث من خلال لحيتهِ ولا ينصرف عنها الاَّ وقد شبع صبيتها وهجعوا. يفعل هذا في الليل وهو في النهار يعقد الالوية لامراء يحملون بجنودهم على ايوان كسرى فيزعزعون اركانهُ . ويكرُّون على قيصر في معاقلهِ فيضعضعون عمرانهُ . على حين لم تكن تنتهي اليهِ الاَّ اخبار النصر المبين وبشائر الفتح العزيز

وانت لو نظَّرت حالهُ هذه بما عليهِ ملوك هذا الزمان من الاثرة والانفة وكثرة الحجَّاب على الابواب مع ما يظهرون فيهِ من عظمة الملك وهيبة السلطان وهم دون مبلغهِ عزَّةً وبأساً لما شككت في ان لكلٍّ زمان دولة وان الاحكام تتبدَّل بتبدل الازمان

كذلك لو رأيت اليوم رجلاً مرفَّهاً لهُ في المعاش بارزاً في بزَّةٍ حسنةٍ ومحفوفاً بانفس الاثاث والرياش ثمَّ سألت عن حالهِ وصناعتهِ فقيل لك انهُ شاعر لما رضيت لهُ بكُنهِ هذه المنزلة ولا صدَّقت ان الشعر يُتخذُ باباً للكسب وحرفةً للارتزاق . على انهُ كان في العصور

المتراخية مرتزقًا ليّنًا وموردًا سائغًا يأتيهِ كلُّ من تمزَّى بحسن البيان وفصاحة اللسان و يصدر عنهُ مفعم الاردان باعطيات الامراء والاعيان

وبينا نرى شعراء هذا الزمان يربأون بانفسهم عن التزلف الى الاغنياء بمدائحهم نرى شعراء امس يجتمعون في ابواب الملوك وارباب الثروة يستأذنون بالدخول عليهم ليعرضوا ما جادت بهِ قرائحهم من المدائح ويلتمسو الصلات التي عليها معوَّلهم في العيش وبها يستقيم أَوَدهم في سبيل الاجتراح

(٣) سخاء العرب. وقد كان لهم في هذه الخلّة المنزلة التي لا تُطال وبلغوا بها الشأو الذي لا يُدرك حتى اصبحت محلَّ فخرهم ومظهر مباهاتهم . اوغلوا فيها حتى لم يدعوا لسائر المحامد في جنبها مستقرًّا رحيبًا فزينوا بذكرها اشعارهم وعطَّروا باسمائها انديتهم وصارت عندهم محيّا المآثر وواسطة عقد المفاخر . ولا آخذ على نفسي الآن إفراد حوادثهم في الكرم طُرفةً طرفة فان ذلك لما تضيق بهِ المجلدات الضخمة ولسنا بحاجةٍ اليهِ مع كثرة ورودهِ في اساطيرهم. فقد كان فيهم من يمسي على إتراب ويصبح على متربة تراهُ اليوم ذا ثروةٍ طائلة وخزائن مفعمة بالمال ثم غدًا تلقاهُ فارغ الجيب صفر اليدين يلتمس لنفسهِ ولعيالهِ قوتًا . فكم ممسٍ وجرذان بيتهِ تمشي على التراب اصبح وهي تشب وثوب الاسود وكم كريمٍ اثرى تارةً واملق أُخرى فتعاقبت عليهِ الحالتان في حياتهِ عشراتٍ من المرات . وجملة اخبارهم في هذا الصدد تدلنا على ان مكانتهم في الندى لا يساورهم فيها احد ولا ينكر عليهم علوَّ كعبهم في البذل الاَّ من كابر وعَنَد

وكاني بمعترض يقول ان حكاياتهم في الكرم لا يركن اليها اذ هي اقاصيص موضوعة ليس فيها من الصدق الاَّ كالنواة من الشجر . غالى في نقلها الراوون او لفّقها المولعون بادهاش الناس وارباكهم بالخوارق والغرائب كما هي فطرة المتكلم ان يتهلّل عند ما يرى سامعهُ حيران ذاهلاً فيحتال ليجعل حديثهُ فوق ما عرفهُ الناس بمحسوساتهم ليتّسق لهُ استفزاز عقولهم ووضعها موضع التعجُّب والارتباك

اقول هذا كلام وجيهٌ لولا ما فيهِ من المغامز فلو كان حب المغالاة بعث رواة العرب الى وضع ما نقلوا او الى الزيادة فيهِ لحد المسخ والتشويه لكان يبعث غيرهم من رواة الامم الى مثلهِ او الى ما يقاربهُ . ولدينا اخبار كثير من شعوب الارض في فجر حضاراتهم وبعد ان استبحر عمرانهم فنكاد لا نجد شيئًا من هذا القبيل. ولا سبق لمتجري غيرهم ان اكثروا من ذكر السخاء والبذل ولا لمادح غير ناطق بالضاد ان جعل بسط الكف مدارًا للمدح والاطراء. وقد اخبرني بعضهم انهُ يوجد في اساطير الفرس شيءٌ من هذا القبيل الاَّ انهُ قليل بجنب ما للعرب فيهِ

الكرم من خلال البداوة في كل امة وبلاد وبما ان العرب انتقلوا من البداوة الى الحضارة المرتقية انتقالاً فجائيًّا بقيت فيهم بقية من تلك الصفة وظهرت اكثر مما ظهرت في غيرهم من امم الارض . وكلما ارتقى التمدن ثبّت مبدأ الاستقلال في النفوس وعرف الخلق ان ليس للانسان الاَّ ما سعى وانهُ لا تزر وازرة وزر اخرى. وبالمدنية تتعين الاجور على قدر الاعمال ولا تساق الثروة لاحدٍ الاَّ بعد العناء والنصب. وفوق ذلك ان العرب ايام دولتهم لم يتجشموا كبير عناء في تحصيل المال ولا تكلفوا المشاقَّ في اجتدائهِ واحتشادهِ فقد كانت تأتيهم الجزى من ابعد المطارح وتحمل اليهم اتاوات الملوك الاعزَّة فيستولون عليها مغنماً بارداً

ومن اخذ البلاد بغير حربٍ يهون عليهِ تسليم البلادِ

فلا استغراب اذا رأيناهم يهبونها بعضهم بعضاً ويرخصونها في سبيل احياء الذكر وتخليد الاثر لا سيما بذلهم اياها في اثابة الشعراء وهي كانت من اسمى مراميهم واكفل الوجوه لنيل ما يتشوَّفون اليهِ من بعد الصيت . ونظرٌ غير طويل يكشف لنا ان الغنى في بيوتهم لم يكن ليبقى طويلاً في الاعقاب بل كانت الثروة سريعة التنقل من واحدٍ الى آخر وهذا غير ما نراهُ اليوم وقد انتشر بيننا مبدأ الاقتصاد وغير ما نعرفهُ عن بيوت الشرف في اوروبا التي في بعضها ثبت الإثراء في الاعقاب بضعة قرون ومنهم من لا يزال يتقلّب في العيش الخُضال منذ انبلاج فجر تمدنهم الى يومنا هذا. وقد كان العرب يفتخرون بتبديد الثروة ومحق المال و يسمون ذلك كرماً يماجدون بهِ و يشارفون اما نحن اليوم فنسميهِ بعرف الاقتصاد تبذيراً وسوء قيام على ما في الحوزة. وللماوردي في السخاء كلامٌ جليل اثبتهُ في كتاب ادب الدنيا والدين لا بأس من مراجعتهِ هناك

(٣) رهبتهم من الشعراء . كانوا يرهبونهم ويحذرون جانبهم خوفاً من هجائهم وتقبيح الاحدوثة منهم فقد كان الشعراء لسان الامة تسير ابيات القدح والفضيحة منهم مسير الظلام و يتناشدها الاقوام في سمرهم فتحط كثيراً من قدر المغار عليهِ في نفوس الناس . وما كان اسرع الشعراء الى تشويه وجه البخيل بكل قافيةٍ شرود وما احسن شعر الحماسة بهذا المعنى

اذا انت أُعطيت الغنى ثمَّ لم تَجُدْ بفضل الغنى أُلفيت مالك حامدُ
وجُلّلتَ عاراً لا يزال يشبُّهُ سباب الرجال نثرهم والقصائدُ
وقلَّ غناءً عنك مالٌ جمعتهُ اذا صار ميراثاً وورَّاك لاحدُ

وعندما وفدت ليلى الاخيلية على الحجّاج امر احد غلمانهِ أنِ اذهب بها واقطع لسانها يريد صلتها ولما هجا المتنبي ضبَّة رجع خال المهجوّ فاتك الاسدي على ابن اختهِ باللوم وقال لهُ كان يجب ان لا تجعل عليك لشاعرٍ سبيلاً

وحينما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليهِ الشعراء فدخل اليهِ عدي بن ارطاة وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة . فقال عمر ويحك يا عدي ما لي وللشعراء . قال عدي اصلح الله الامير ان رسول الله قد امتُدح واعطى ولك بالرسول اسوة حسنة . قال عمر وكيف كان ذلك. قال امتدحهُ العباس بن مرداس السلمي فاعطاهُ حلة فقطع بها لسانهُ. فاذن عمر لجرير فدخل عليهِ ومدحهُ ولم يكن لدى الخليفة سوى مئة درهم فاعطاهُ اياها

ومثلها مانقلهُ الحريري ان عروة الشاعر وفدعلى هشام بن عبد الملك فقال لهُ هشام ألست القائل

لقد علمتُ وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى لهُ فيعنّيني تطلّبهُ ولو قعدت اتاني لا يعنّيني

واراك قد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق . فقال عروة يا امير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم ولارُدّ وافدك خائبًا لقد بالغتَ في الوعظ واذكرتني ما انسانيهِ الدهر. قال هذا وخرج الى راحلتهِ فركبها وتوجه من فورهِ قافلاً الى الحجاز . فلما كان الليل ذكرهُ هشام وهو على فراشهِ وقال انهُ شاعرٌ ولا آمن ما يقول فلما اصبح اتبعهُ برسول يحمل اليهِ ألفي دينار فاخذها وقال للرسول ابلغ امير المؤمنين اني سعيت فاكديت ورجعت الى بيتي فاتاني رزقي . وقد قال بعض المحدثين

لعمرك انما الشعراء قوم جديرٌ ان يهابوا في العبادِ
وليس لمن يعاديهم مفرٌّ ألستَ تراهمُ في كلّ وادِ

(٤) رغبتهم في المدح . لا اعلم ما هي الاسباب التي افضت بالعرب الى التهالك على حب المدح والاطراء حتى ان واحدهم كان يتقاضى الناس مدحهُ كانهُ حق من جملة حقوقهِ المقرَّرة عليهم واذا ذكرهُ المادح بما فيهِ فقط نقم عليهِ اعتدالهُ وحسبهُ باخسًا اياهُ اشياءهُ . نعم ان حب المدح شيمة من شيم النفوس الاَّ ان المبالغة الظاهر كذبها احرى بان تحمل على محمل التمويه والاستهزاء منها على محمل المدح والتجلة

حكى ابن خلكان قال اجتمع الشعراء في مجلس المستعين فقال لهم لست اقبل الاَّ ممن يقول فيَّ مثل قول البحتري في المتوكل

لو انَّ مشتاقًا يكلف فوق ما في وسعهِ لسعى اليك المنبرُ

فقال احمد بن عيسى هاك ما اقول وانشد

ولو ان بردَ المصطفى اذ لبستهُ يَظَنُّ لظنَّ البُرْدُ أنك صاحبُهْ

وقال　وقد أُعطيتهُ ولبستهُ　نعم هذه اعطافهُ ومناكبهُ

فقال لهُ المستعين هذه سبعة آلاف دينار اذّخرها للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمتَ حيًّا . ونقلوا ان النفور الذي استحكم بين الصاحب ابن عباد والمتنبي نشأ عن ان ابا الطيب ضنَّ بشعرهِ عن مدح الصاحب فاستاء هذا منهُ واخذ يترصد هفواتهِ ويطعن على مواضع الضعف من ابياتهِ . وكان سيف الدولة كثير الاهتزاز بالشعر الجيد المقول فيهِ فاستعاد ابا الطيب قصيدتهُ التي مطلعها "على قدْر اهل العزم تأتي العزائم" عشراتٍ من المرَّات على ما فيها من المبالغة والمغالاة . وحكى الثعالبي ان الصاحب مُدح مرَّة بقصيدة فكان مقبلاً على الشاعر بجامعهِ حسن الاصغاء الى انشادهِ مستعيدًا اكثر ابياتهِ مظهرًا من السرور والاهتزاز شيئًا كثيرًا حتى زحف عن دستهِ طربًا . وقد كانوا يحسبون المدح خيرًا من الذهب والثناء الطيب اغلى من الجواهر وصلة الشعراء المادحين فريضة واجبة . من ذلك انهُ وفد اعرابيٌّ على امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب وقال ان لي اليك حاجة يمنعني الحياء من ذكرها فقال عليٌّ خطها في الارض فكتب "اني فقير" فقال عليٌّ يا قنبر اكسهُ حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلةً تبلى محاسنها　فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا

انَّ الثناء ليُحيي ذكر صاحبهِ　كالغيث يُحيي نداهُ السهلَ والجبلا

لا تزهدِ الدهرَ في عُرف بدأت بهِ　كلُّ امرىءٍ سوف يُجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زدهُ مئة دينار فقال يا امير المؤمنين لو فرَّقتها في المسلمين لاصلحت من شأنهم فقال علي صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله يقول اشكروا لمن اثنى عليكم . وقال الحسن يومًا لعبد الله بن جعفر انك قد اسرفت في بذل المال فقال ان الله عزَّ وجلَّ عودني ان يتفضَّلَ عليَّ وعودتهُ ان اتفضل على عبادهِ فاخاف ان اقطع العادة فيقطع عني فضلهُ . وامتدحهُ نُصيب يومًا فامر لهُ بخيل واثاث ودنانير فقال لهُ رجل اتعطي مثل هذا الاسود كلَّ هذا المال فقال ان كان اسود فان ثناءهُ ابيض ولقد استحقَّ بما قال اكثر مما نال وهل اعطيناهُ الاَّ ثيابًا تبلى ومالاً يفنى اما هو فقد اعطانا مديحًا يبقى وثناءً يُروى . اما في هذا الزمان فيليق بنا ان نتمثل بقول ابن الرومي

ذهب الذين تهزُّهم مدَّاحهم　هزَّ الكماة عواليَ المرَّانِ

وليس ذلك فقط بل ربما انقضَّ على الشاعر المادح بالاستهزاء والامتهان فعاد وهو يرضى من الغنيمة بالاياب

(٥) شرود القوافي . وهذا ايضًا كان داعيًا لإعتاب الشعراء اذا عتبوا وقاضيًا

باسترضائهم اذا غضبوا . فلم تكن الابيات الجيّدة تسقط من فم الشاعر حتى تخطفها الآذان وتحتويها الاذهان فتدور على الالسنة و يتناقلها الحداة والركبان و يطير بها ذكر الممدوح في الآفاق حتى يعرفهُ من جهلهُ مكتسياً بما جلّلهُ بهِ الشاعر من الصفات الباهرة والمآثر الزاهرة .

قال عليّ بن الجهم في المتوكّل .

ولكنّ احسانَ الخليفة جعفرٍ دعاني الى ما قلت فيهِ من الشعرِ
فسار مسير الشمس في كل بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرّ والبحرِ

ومثلهُ قول المتنبي في سيف الدولة

ولي فيك ما لم يقـل قائلٌ وما لم يَسِرْ قمرٌ حيث سارا
وعنـدي لك الشرَّد السائرا تُ لا يختصصنَ من الارض دارا
اذا سِرْنَ من مِقْوَلٍ مرَّةً وثبنَ الجبالَ وخُضنَ البحارا

واخلق بمن كانت هذه منزلة اشعارهم ان تدرَّ عليهم صلات الامراء وتساق اليهم جوائز الكبراء الطامعين بالصيت البعيد الراسخ والراغبين في تشييد الشرف الباذخ

وقد كان للادب سوقٌ ينفق فيها رخيصهُ فضلاً عن غاليهِ اذ لم تكن الهمم مصروفةً الى شيءٍ من علوم اليوم . واليك ما فعلهُ هشام اذ كتب الى عاملهِ في العراق ان ادفع الى حماد الراوية خمس مئة دينار وجملاً مهريًّا وسيّر معهُ من يوصلهُ اليَّ في اثنتي عشرة ليلة فلما وصل حماد الى الشام وسلم على امير المؤمنين قال لهُ أتدري فيمَ بعثتُ اليك اجاب لا قال بعثت اليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا اعرف قائلهُ قال حماد وما هو قال

ودعوا للصبوح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها ابريقُ

فاخبرهُ حماد بصاحبهِ وانشدهُ باقي القصيدة فاجازهُ وردَّهُ الى العراق

اما القول بان الرواة التقطوا الوقائع الجزئية وبالغوا في تقدير جوائزها ترغيباً باجازة الشعراء وتشويقاً لاستدراج الحمد والثناء فهو غير عارٍ عن الشبهة لانهم في نقولهم اوردوا الغثَّ والسمين وجاؤوا بذكر الجواد والضنين فلم يأنفوا من نقل الخبر عن الجوائز الصغيرة ولا اغفلوا ذكر الشعراء الذين لم يوصلوا بشعرهم. وهذه الاعطيات البالغة والصلات الفاحشة ليست كثيرة في اساطير العرب بالنسبة الى المدَّة المستغرقة وعدد الامراء المنسوبة اليهم . انما نحن نراها مدوَّنةً في كتابٍ واحد ونقرأُ عشراتٍ منها في ساعة واحدة فنزعم انها جرت متوالية بدون فترات بينها. مع انهُ لم ينقل عن ملك واحد او عن امير واحد بذل مثل هذه الصلات الكبيرة اكثر من بضع مراتٍ في حياتهِ بينما نرى الفريق الاكبر من الممدوحين أُغفل ذكرهم في هذا الباب

وما ذلك الاَّ لانهم لم يأتوا فيهِ شيئًا يذكر

ويظهر عدم استنكاف الرواة من نقل اخبار المقتصدين انهم دوَّنوا كثيرًا من الحوادث التي طوى الشاعر فيها المسافات وعاد بخفَّي حنين . من ذلك حادثة ابن زريق البغدادي المشهورة ومنها ان المنصور الملقب بالدوانقي لقيهُ رجل في طريق الحج يحدو لهُ طامعًا بصلتهِ فحدا كثيرًا الى ان قال

اغرُّ بين الحاجبين نورهُ   يزينهُ حياؤُهُ وخيرُهُ

ومسكهُ يشوبهُ كافورهُ   اذا تغدَّى رُفعت ستورهُ

فطرب المنصور حتى ضرب برجلهِ المحمل ثم قال يا ربيع اعطهِ نصف درهم فقال الحادي نصف درهم يا امير المؤْمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لي بثلثين الف درهم فقال المنصور تأخذ من بيت مال المسلمين ثلثين الف درهم يا ربيع وكّل بهِ من يستخلص منهُ هذا المال. وقال المتنبي يومًا لرجل مدحهُ كم املت منا على مدحك قال عشرة دنانير فقال لهُ والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة لما اعطيتك دانقًا واحدًا . وعندما مدح المتنبي عليَّ ابن منصور الحاجب بقصيدتهِ التي اولها " بابي الشموس الجانحات غواربا " لم يعطهِ عليها الاَّ دينارًا واحدًا ولذلك لُقبَتْ بالدينارية . وكان احد الخلفاء اذا جاءهُ مادحٌ يكل بهِ بعد الانشاد من يأخذهُ الى المسجد ليصلي مئة ركعة او اكثر حتى قال لهُ بعضهم من ابيات

فانعم لي بكسر الصاد منها   فتصبح والصَّلاة هي الصِلاتُ

ثم ان من اختار السخاء منهم كان عليهِ ان يقتفي خطوات سابقيهِ ويستنَّ بسنتهم فيبلغ درجتهم في الكرم او يزيد عليها ولو فرضنا ان اساطير اسلافهم موضوعة او مبالغ فيها فلا يسع المتحدّي الاَّ العمل بها على ظاهرها وكما انتهت اليهِ والاَّ فيصبح تحدّيهِ تمويهًا وهذا مما لا يسلمهُ العقل وان تكرَّر اعطاء القليل والجهر بالكثير لايمتدُّ بهِ الامر حتى يفتضح ويصير حكم هذه الاعطيات واخبارها حكم " الشوبشة " التي اشار اليها حضرة الكاتب خليل افندي لا ينقلها احدٌ ولا ينظر اليها الاَّ بعين الازدراء

ومن امثلة التحدّي طرفة كافي الكفاة الصاحب بن عباد وقد دخل عليهِ شاعر يقول من قصيدة

كسوتَ المقيمين والزائرين   كسى لم يخَلْ مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في   ضروب من الخزّ الاَّ انا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن بن زائدة ان رجلاً قال لهُ احملني ايها الامير فامر لهُ بفرس وناقة وبغل وحمار وجارية ثم قال لهُ لو علمت ان الله تعالى خلق مركوبًا غير هذه

لحملتك عليه وها نحن قد امرنا لك من الخزّ بجبة وقميص ودراعة وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخزّ لاعطيناكهُ . هذا ولم يكن الواهبون ومجيزو الشعراء الاّ من الملوك والامراء وهبات الملوك ملوك الهبات ولا نكبرها عليهم ونحن نرى اليوم اصحاب الثروة في اوروبا يهبون الوف الجنيهات لدور العلم والاختراع او لفائدة الصناعة او للاحسان الى الفقراء وكانت اثابة الشعراء في عيونهم اجلّ من الهبات العلمية في عيون الاوروبيين . نعم ان غاية هؤلاء اسمى ومطلبهم اشرف مما رمى اليهِ اولئك انما لكل زمانٍ دولة . وان قلنا لماذا كان الشعراء في بعض الاحايين في ضيقٍ من معاشهم مع غزارة مرتزقهم نجيب ان الشعراء ايضاً كانوا اسخياء ومبذرين يُوصلون ويصلون ومن كان منهم ممسكاً مثل المتنبي وابي العتاهية مات عن ثروةٍ وافرة

اما الفكاهة التي ختم بها جناب الكاتب مقالتهُ بخصوص وزير العجم فعندنا في اساطير العرب ما يكون واياها على طرفي نقيض وذلك ان سيف الدولة ضرب دنانير سماها دنانير الصلات في الواحد منها عشرة مثاقيل ذهب اي ان واحدها يساوي الف غرش تقريباً نقش اسمهُ وصورتهُ على وجهيها وكان يصلي الشعراء منها وفيها يقول ابو الفرج

ابدع من هذه الدنانير لم يجرِ قديمًا بخاطر الكرمِ
فقد غدت باسمهِ وصورتهِ في دهرنا عوذةً من العدمِ

وقد سمعت ان الموسيو مورتز الالماني مدير المكتبة الخديوية اثناء سياحتهِ بالخريف الماضي في سوريّا عثر على واحدٍ من هذه الدنانير فاذا بهِ كما ذكرهُ المؤرخون

ولا ينكر ان قبض الصلات ايام فساد القيمين على المال كان اصعب من نطق الامير بها وربما أمر الممدوح لشاعرٍ بصلة ثم لم يُدفع لهُ منها الاّ القليل وما ذلك لان الامير يرجع عما وهب بل لان وكلاء المال يمنعون الشاعر حقهُ فلا يفون بامر الممدوح ومثل هذا كثير الوقوع في هذه الايام عند بعض الملوك مما نسمع بهِ كلّ يوم . ولعلّ معناً تخوّف مطالهم فقال اجعلها عاجلة يا امير المؤمنين ومن ذلك خاف جرير عند ما قال لعمر بن عبد العزيز

اني لارجو منك نفعًا عاجلاً والنفس مولعةٌ بحبّ العاجل

ولا باس برأي الكاتب الفاضل خليل افندي اذا كان معتدلاً فينبذ بموجبهِ ما كان من هذه الاقاصيص نابيًا عن العقل وبعيدًا عن الامكان وهو القليل النادر

فارس الخوري

جنازة ملكة الانكليز

ذكرنا في الجزء الماضي نعيّ هذه الملكة الجليلة وطرفًا من تاريخها وكلامًا وجيزًا عن ارتقاء بلادها في عهدها . وقد رأينا ان نشفع ذلك الآن بوصف ما كان من الاحتفال بدفنها وما شهد بهِ اكبر رجال الدين في البلاد الانكليزية وقت الصلاة عليها لان فيهِ عبرةً لملوك الارض وكشفًا لسر النجاح الذي نجحهُ شعبها في عصرها فنقول

توفيت الملكة في قصر اسبُرْن بجزيرة ويط وهي جزيرة صغيرة جنوبي البلاد الانكليزية فتُركت فيها الى غرَّة فبراير حتى تمَّ الاستعداد للاحتفال بدفنها ووصل الملوك والامراء الذين وفدوا من الاقطار الشاسعة لتشييع موكب الجنازة . وفي غرة فبراير وضع النعش على مركبة مدفع تجرُّها ثمانية من الجياد وأُلقي عليهِ الرداءِ الذي ارتدتهُ حين مُسِحها ووضع عليهِ الصولجان وكانت جواهرهُ تتألق في شعاع الشمس لان السماء صحت في ذلك اليوم على خلاف العادة وبزغت اشعتها تلطف برد الشتاء . ومشى وراء النعش ابنها الملك ادورد السابع واخوهُ دوق كنوت وابن بنتها امبراطور المانيا ووراءهم ولي عهد المانيا وعمهُ البرنس هنري والبرنس كرستيان ودوق سكس كوبرج والبرنس ارثر بن دوق كنوت والبرنس تشارلس الدنماركي والبرنس لويس باتنبرج . ووراءهم الملكة الكسندرا وثمان من الاميرات مشين ثلاثًا ثلاثًا ثم الحرس الملكي وحاشية الملك والامبراطور . حتى اذا وصل النعش الى مرفإ كوس في تلك الجزيرة نُقل الى اليخت البرتا ووضع تحت قبة من المخمل الارجواني نصبت لهُ فيهِ وكان البحر رهوًا كأن امواجهُ هجعت هيبةً ووقارًا . وسار اليخت الساعة الثالثة بعد الظهر بين صفوف البوارج الانكليزية والاجنبية التي اجتمعت هناك لتحيتهِ في سيرهِ بينها لان الملكة رغبت في ان يكون الاحتفال بدفنها بريًّا وبحريًّا معًا . وكانت البوارج تقابلهُ باطلاق المدافع والانغام الموسيقية المحزنة وهو يسير بينها وئيدًا وامامهُ ثمان من طرَّادات التربيد ووراءهُ اليخت فكتوريا والبرت يقلُّ الملك والامبراطور وغيرهما من الحزانى الذين من بيت الملك الى ان بلغ مرفأ بورتسموث فقابلتهُ السفن التي فيهِ والحصون التي حولهُ باطلاق المدافع . وكان اعضاء مجلس الاعيان ومجلس النواب قد حضروا هم ونساؤهم باربعة قطرات خاصة ونزلوا في سفينتين وقفتا بهم بين البوارج التي مرَّ اليخت بينها . وبات النعش في اليخت تلك الليلة

وفي صباح اليوم التالي وهو الثاني من فبراير صُلّي على النعش في اليخت وانزل الى البر وأُتي بهِ الى مدينة لندن في قطار ملكي ودخلها من محطة فكتوريا وسير بهِ فيها بين ملايين كثيرة

من شعبها الآسف على وفاتها . ويقال انهُ لم يجتمع حشد مثل ذلك الحشد في زمن من ازمان الدهر ولا في مدينة لندن اكبر مدائن الارض لكن الجماهير وقفت على الجانبين خاشعة كأنَّ على رؤوسها الطير فلم يحدث شيء يخل بالنظام . وبلغ الموكب غاية ما يتصوَّرهُ العقل من العظمة والفخامة والمهابة والجلال فسار في مقدمتهِ عدد عظيم من الجنود الانكليزية من كل انواعها وصفوفها من المشاة والفرسان والمدفعية وهي اكثر من خمسين نوعاً مختلفاً ثم جمهور من قواد الجيش ووراءهم الجنرال السر رتشرد هريسن والجنرال السر افلن وود ووراءهما القائد العام لورد روبرتس ثم اجواق الموسيقى وكبار رجال البلاط وحاشية الملكة ثم النعش حولهُ فرق الحرس الخاص ووراءهُ اللواء الملكي ثم الملك وعن يمينهِ امبراطور المانيا وعن يسارهِ دوق كنوت ووراءهم ملك البرتغال وملك اليونان ثم دوق هس والبرنس كرستيان والبرنس هنري الروسي وثلاثة وثلاثون اميراً ساروا ثلاثة ثلاثة ثم مركبة الملكة وبناتها ومركبة ملك البلجيك وبنات الملكة المتوفاة واربع مركبات اخرى لغيرهنَّ من الاميرات حتى اذا بلغ هذا الموكب محطة بادنجتون كان بانتظارهِ قطار الملكة الخاص الذي صُنع لها وقت يوبيلها الاخير سنة ١٨٩٧ فوضع النعش على منصة في مركبة الملكة وركبهُ الملك والامبراطور وسائر المشيعين فسار بهم الى قصر وندزور حتى اذا بلغ المحطة سار الموكب على الترتيب المتقدم فسار اولاً الحرس الخاص واركان الحرب وقائد الجيش العام ثم النعش يحفُّ بهِ الحرس ووراءهُ الملك والامبراطور ودوق كنوت وملك البرتغال وملك اليونان والامراء الذين اشرنا اليهم قبلاً ثم سفراء الدول التي لم يحضر امراؤها الاحتفال وقد ساروا على هذا الترتيب سفير تركيا اولاً ثم سفير فرنسا فالولايات المتحدة الاميركية فاسبانيا فايران وهلمَّ جرًّا

ووضع النعش في كنيسة القصر على منصَّة مجلَّلة بالارجوان وقام بصلاة الجنازة رئيس اساقفة كنتربري واسقف ونشستر ثم وقف المنادي وقال لقد اقتضت مشيئة الله القدير ان تأخذ من هذه الحياة الزائلة الى رحمتها الالهية المرحومة الملكة فكتوريا الفائقة العظمة والسمو ملكة المملكتين المتحدتين بريطانيا العظمى وارلندا بنعمة الله حامية الايمان امبراطورة الهند فلنطلب باتضاع من العزَّة الالهية ان تنعم بالعمر الطويل والصحة والكرامة وكل سعادة زمنيَّة على ملكنا القدير العظيم ادورد الذي صار الآن بنعمة الله ملك المملكتين المتحدتين بريطانيا العظمى وارلندا حامي الايمان امبراطور الهند . ليحيَ الملك

ثم رتَّل المرتلون طوبى للاموات وأُعطيت البركة . وهكذا تمَّ للاحتفال الرسمي بجنازة الملكة . ويوم الاثنين في الرابع من الشهر نقل التابوت باحتفال عظيم سار فيهِ الملك والملكة

والامبراطور وغيرهم من الامراء الى المدفن الذي دفن فيهِ زوج الملكة وهو بناء كبير في شكل صليب تعلوهُ قبة مثمنة وقد كتب على اساسهِ بالانكليزية ما ترجمتهُ " انشأت الملكة فكتوريا اساس هذا البناء تذكاراً تقويًّا لزوجها العظيم الصالح الذي دفنتهُ هنا في ١٥ مارس سنة ١٨٦٢ طوبى للذين يرقدون في الرب " . وفوق الباب لوح من النحاس كتبت فيهِ باللاتينية انها تودُّ ان تدفن هناك

وداخل المدفن كنيسة صغيرة كانت مزدانة بالازهار البيضاء والسجوف الارجوانية فاقيمت الخدمة الدينية فيها ووضعت الجثة في المكان المعد لها وعاد الذين جاؤوا معها من غير احتفال. وهطلت الامطار حينئذٍ ووقعت الثلوج واشتدَّ الظلام رويداً رويداً . في ذلك المدفن دفن الانكليز امهم وملكتهم وستبقى انظارهم متجهة اليهِ ابد الدهر لان فيهِ رفات من عرفت كيف تسوس شعبها وتوردهُ موارد الفلاح

وقد اشترك المسيحيون عموماً والبروتستانت منهم خصوصاً في تجنيز الملكة في كل اقطار المسكونة وابَّنها الوعاظ في الكنائس وعدَّدوا فضائلها وفواضلها وحثوا شعبهم على الاقتداء بها وشاركهم الاسرائيليون في ذلك وذكر اكبر ايمة الدين المسيحي عند الشعب الانكليزي وهو رئيس اساقفة كنتربري كلاماً في تأبينها يحسن ايرادهُ هنا قال

كلنا يعلم ان جمهوراً عظيماً من الناس يقولون ان وجود الملك الدستوري ضرب من المحال لانهُ اذا كان هناك مشيئتان — مشيئة الملك ومشيئة الرعية فلا بدَّ من اختلافهما في امر من الامور كما هو طبع البشر وليس فوقهما مشيئة ثالثة توفق بينهما عند وقوع ذلك الاختلاف فحينئذٍ اذا غلبت مشيئة الملك الدستوري مشيئة رعيتهِ فهو ملك مطلق لا ملك دستوري لانهُ يتعرَّض لحرية شعبهِ ويجري على غير مشيئتهم . واذا غلبت مشيئة الرعية مشيئة الملك كان الملك كالانسان بلا ارادة او كالاسم بلا مسمًّى فهو ملك اسمًا ولا شيءَ فعلاً . على ان المرحومة الملكة فكتوريا حلت هذا المشكل حلاًّ جليًّا واعلمت الناس كيف يكون الملك الدستوري لانها جعلت همها معرفة كل امر يهم رعاياها والعلم بكل ما ينفع شعبها و يعود بالخير عليهم فكانت تتعب النهار والليل لتعرف كل ما يتعلق بهم وما يضرهم وما ينفعهم . ومتى احاطت علمًا بذلك كلهِ تبني رأيها على علمها هذا في كل امر يعرض عليها

ثم انها كانت تعلم ان شعبها حرٌّ وان حريتهم هذه تقتضي ان يسوسهم الذين انتخبوهم هم لسياستهم وان الوزراء الذين يجرون كل ما يقرُّ الرأي على اجرائهِ هم النائبون عنهم . فكانت كلما عرض امر من الامور تستعد لهُ في البحث عن نفعهِ وضررهِ والاحاطة بوجوه الصواب

والخطاء فيهِ ثم تبدي رأيها فيهِ لوزرائها مقرونًا بمشورتها . وتفصح لهم عن ذلك كلهِ بكلام جلي قوي الحجة حتى يفهموا مشورتها والباعث لها عليها وتباحثهم وتجادلهم في المسائل بانية اقوالها على معارفها وعلى رغبتها في خير رعيتها وتجتهد في اقناعهم بصحة رأيها وقبول مشورتها اذا اختلف رأيها عن رأيهم ولكنها لا تتعدى في ذلك كلهِ حدًّا من الحدود المعينة لها في دستور بلادها . فاذا لم تستطع اقناعهم بقبول رأيها اذعنت لرأيهم مراعية في ذلك خير رعيتها لاعتقادها انهُ خير للرعية ان يحكمها و يسوسها الذين انتخبتهم الرعية نفسها لسياستها وتدبير امورها ولانها كانت تعتقد انهُ ولو كان رأيها صوابًا ورأي وزرائها خطاء فخير للرعية ان يكون الرأي النافذ الرأي المطابق لحريتها اي رأي الذين اختارتهم الرعية نوابًا ووكلاء عنها لا الرأي الذي يكون في مسألة من المسائل انفع لرعاياها ولكنهُ غير مطابق لشروط حريتهم. وكانت تعتقد انهُ خير للرعية اذا وقع خطاء ان يكون وقوعهُ من الوزراء نوابها لا من الشخص المالك عليها

فحرية رعيتها كانت دائمًا نصب عينيها وكانت مقدسة محترمة عندها ولذلك كانت تسلم للذين اقامتهم الرعية نوابًا ولو كانت مقتنعة بان رأيهم خطاء تقديمًا لحرية الرعية على كل ما سواها لعلمها ان الامة الحرة تسوس نفسها بنفسها في آخر الامر احسن مما يسوسها اعقل انسان في العالم . وان هذه الحرية هي مصدر كل نجاح حقيقي وكل ربح ونفع صحيح . وان هذه الحرية قنية ثمينة قد تفضي الى خطاء في السياسة احيانًا والى عواقب وخيمة احيانًا اخرى ولكنها تبقى افضل كثيرًا من القسر والاكراه ولو على الخير والنفع في مسألة من المسائل

فكان ملكها بذلك داخل حدود الدستور تُصدِق وزراءها دائمًا وتفصح لهم عن آرائها وتصرح لهم بما تفضلهُ على غيرهِ ولكنها تراعي حرية رعيتها فوق ذلك كلهِ . فهذا مقام الملك الدستوري الحقيقي وقد ثبت جليًا انهُ واقعي حقيقي خلافًا للذين يقولون انهُ محال

فقد حلَّت تلك المشكلة وعلمت رجال السياسة فائدة الملك الدستوري . وطالما رأى وزراؤها انها كانت اقدر منهم على ادراك مصير الامور برزانتها . ومهما كان الملك الدستوري قويًّا حكيمًا عظيمًا لا يستطيع ان يستوفي شروط السلطة ما لم يحترم حرية الذين يتسلط عليهم ويتولاهم حسبما يشاؤون لكي تحفظ لهم حريتهم . انتهى

هذا وقد كان لنعي الملكة الوقع الاليم في القطر المصري فاقبل الجناب الخديوي على الوكالة البريطانية للقيام بالتعزية واوفد دولة اخيهِ البرنس محمد علي الى البلاد الانكليزية نائبًا عنهُ واقيمت الصلوات في كنائس البروتستانت والاقباط واليهود فحضرها جناب اللورد كرومر ونظار الحكومة المصرية

باب الزراعة

المعرض الزراعي

(تابع المعروضات التي نالت الجوائز)

الدجاج وسائر الطيور الداجنة

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج البلدي نال الجائزة الاولى قفص عرضهُ خليل باشا فوزي والثانية قفص عرضتهُ مدرسة الزراعة

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الهندي . الجائزة الثانية المستر لوري

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الفيومي . الجائزة الاولى مس دلانوي والثانية مدرسة الزراعة

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الاوربي المربَّى في مصر . مدالية الفضة المستر برنتش والبرنس عمر باشا طوسن . ومدالية البرنز المستر لوري ومدالية اخرى المسيو جلبرتي

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج المولَّد . مدالية الفضة المستر شتز ومدالية البرنز المستر برنتش والدبلوما مدرسة الزراعة

قفص فيهِ ثلاث بطات بلدية ذكر وانثيان. الجائزة الثانية البرنس عمر باشا طوسن

قفص فيهِ ثلاث بطات مولدة . الجائزة الاولى البرنس عمر باشا طوسن والثانية بوغوص باشا نوبار

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الرومي الابيض . الجائزة الثانية خليل باشا فوزي وبوغوص باشا نوبار

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الرومي الاسود . الدبلوما بوغوص باشا نوبار

قفص فيهِ ديك وفرختان من الوز البلدي . شهادة المدح البرنس عمر باشا طوسن وخليل باشا فوزي

سبت فيهِ ١٢ بيضة . الجائزة الاولى الدكتور ورنوك والثانية بوغوص باشا نوبار

سبت فيهِ ١٢ بيضة من بيض الدجاج الرومي . شهادة المدح بوغوص باشا نوبار

سبت فيهِ ١٢ بيضة من بيض الوز . الجائزة الاولى الدكتور ورنوك وشهادة المدح خليل باشا فوزي

قفص فيهِ اربع حمامات بلدية ذكر وثلاث اناث . الجائزة الثانية مدرسة الزراعة وشهادة المدح مدرسة الزراعة ايضاً

قفص فيهِ اربع حمامات اجنبية مربّاة في مصر . الجائزة الاولى المسيو جلبرتي والثانية المسيو لوري وشهادة المدح المستر كارتون ده فيار

قفص فيهِ اربع حمامات مولدة ذكر وثلاث اناث . الجائزة الثانية مس دلانوي

قفص فيهِ ثلاث ارانب اوربية او مصرية مولدة . الجائزة الاولى مس دلانوي والثانية البرنس عمر باشا طوسن وشهادة المدح المستر كارتون ده فيار

واعطيت مدالية الفضة للبرنس عمر باشا طوسن لان مجموع ما عرضهُ في هذا القسم من المعرض كان احسن مما عرضهُ غيرهُ

الحبوب

قمح اسمر بحيري . الجائزة الاولى البرنس عمر باشا طوسن والثانية مدام اغوبيان باشا والدبلوما جرجس تكلا ومحمد عيسي

قمح اسمر صعيدي . الجائزة الاولى خليل بك لطفي ورزق الله ميشاكي وطلبه بك سعودي. والثانية علي صالح . والدبلوما البرنس عمر باشا طوسن

قمح ابيض . الجائزة الاولى خليل بك لطفي وراتب باشا وامين بك الشمسي وحسن افندي شادي وعلي بك شعراوي وعلي باشا حلمي والجائزة الثانية رياض باشا واحمد بك حلمي وبوغوص باشا نوبار

الشعير البلدي . الجائزة الاولى مدام اغوبيان باشا والثانية علي بك الشواربي ومحمد بك خليل ورياض باشا ودائرة القصر العالي ومحمد بك حبشي والدبلوما سيف النصر بك طنطاوي ومحمد سعيد الكبير.

شعير اوربي مزروع في مصر . الجائزة الاولى مدرسة الزراعة ومدام اغوبيان باشا ومحمد الشنواني . والدبلوما مدرسة الزراعة ومدام اغوبيان باشا

فول بحيري . الجائزة الاولى رياض باشا وخليل بك علي والثانية دائرة القصر العالي والشركة الزراعية الصناعية . والدبلوما محمد عيسى وشهادة المدح محمد الشنواني

فول صعيدي . الجائزة الاولى الدائرة الخاصة واحمد بك حمدي والثانية طلبه بك سعودي وعلي بك الشعراوي والدبلوما احمد بك دلا وشهادة المدح احمد محمد حكيم

فول رومي . الدبلوما امين بك الشمسي وشهادة المدح مدام اغوبيان باشا .

الذرة الشامية . الجائزة الاولى امين بك الشمسي والبرنس عمر طوسن والثانية احمد بك حمدي ورياض باشا والدبلوما اصلان صغدون وسعيد بك ايوب وخليفة بك علي وبوغوص باشا نوبار وحسين بك سعيد ومحمد سعيد الكبير . وشهادة المدح احمد بك دلاَّ وعبد اللطيف سعودي وحسين بك عابدين ودائرة القصر العالي وتفتيش الوادي وخليل باشا فوزي

الذرة الاجنبية المزروعة في مصر . الجائزة الاولى البرنس عمر طوسن والثانية بوغوص باشا نوبار والدبلوما شعبان شعبان ورمضان شعبان

الذرة البلدية . الجائزة الاولى علي بك الشعراوي واحمد بك حمدي والثانية علي افندي محمد وابو زيد طنطاوي . والدبلوما سيف النصر بك طنطاوي وموسى افندي محمد علي . وشهادة المدح محمد عيسى

الارز السلطاني . الجائزة الثانية مهدي افندي نمر

الارز السبعيني . الجائزة الاولى عبد اللطيف سعودي والثانية بوغوص باشا نوبار

سائر انواع الارز . الجائزة الاولى ابو زيد طنطاوي واحمد بك دلاَّ والثانية سيف النصر بك طنطاوي وطلبه بك سعودي . والدبلوما تفتيش الوادي

العدس البحيري . الجائزة الاولى محمد سعيد الكبير

العدس الصعيدي . الجائزة الاولى علي بك شعراوي والثانية جرجس تكلا

الفول السوداني . الجائزة الاولى ابرهيم بك مراد والثانية امين بك الشمسي والدبلوما تفتيش الوادي . وشهادة المدح مدرسة الزراعة

بزر الكتان . الجائزة الاولى امين بك الشمسي والثانية ابو زيد طنطاوي والدبلوما علي صالح

السمسم الابيض . الجائزة الاولى ابرهيم بك مراد والثانية تفتيش الوادي

السمسم الاسمر . الجائزة الاولى ابرهيم بك مراد ومحمد الشنواني والثانية تفتيش الوادي وبوغوص باشا نوبار وعلي صالح . والدبلوما مدرسة الزراعة والبرنس عمر طوسن

الحلبة . الجائزة الاولى علي بك شعراوي والثانية طلبه بك سعودي والدبلوما ميخائيل فلتاووس وسيف النصر بك طنطاوي وشهادة المدح عبد الحكيم محمد ونخله رزق الله

حب البرسيم البعلي . الجائزة الاولى الدائرة الخاصة وعلي بك شعراوي والثانية يونان يوسف

حب البرسيم المسقاوي . الجائزة الاولى الدائرة الخاصة وسيف النصر بك طنطاوي ورياض باشا واحمد بك ابو الفتوح والثانية علي بك شعراوي ومدام اغوبيان باشا ومدرسة الزراعة والجمعية الزراعية الصناعية وبشاي ابرهيم . والدبلوما دائرة القصر العالي واحمد بك دلاَّ ومحمد

سعيد الكبير ومحمد بك الحبشي

الحمص . الجائزة الاولى محمد سعيد الكبير

الترمس . الجائزة الاولى علي بك شعراوي والثانية محمد سعيد الكبير وابرهيم بك مراد

القطن الميت عفيف

الغربية . كفر الزيات . الجائزة الاولى ابرهيم بك حلمي والثانية ابرهيم بك بهايه وحسن بك كامل

« طنطا والسنطة . الجائزة الاولى اغوبيان باشا

« زفتى ومت بره . الجائزة الثانية مصطفى باشا فهمي ودائرة البرنس جميل طوسن

« المحلة الكبرى وطلخه وسمنود . الجائزة الاولى يارد اخوان

« شربين وبلقاس . شهادة المدح احمد بك ابو الفتوح

المنوفية . جوار كفر الزيات . الجائزة الاولى شرف الدين جنازي والثانية عبد الغفار بك

الشرقية . مينا القمح وبلبيس . الجائزة الاولى البرنس ابرهيم حلمي والثانية البرنسس فاركه هانم وشركة الزراعة والصناعة

« ههيا والزقازيق . الجائزة الثانية البرنسس خديجه هانم والبرنس حسن ودائرة القصر العالي والبرنسس حميده هانم

البحيرة . دمنهور واتياي البارود . الجائزة الاولى دائرة القصر العالي والثانية محمد بك الحبشي

« النجيلة وناحية نكلا الجائزة الثانية خليفه بك محمود

الدقهلية . المنصورة وميت سمنود والبحر الصغير . الجائزة الاولى المسيو لوزاتو والمسيو اندريزاتي والثانية الخواجات جريس . وجائزة اولى ايضاً لاحمد بك عفيف وثانية لمحمد بك نافع

الدقهلية . السنبلاوين الجائزة الاولى صالح بك

القليوبية . طوخ وقليوب وبنها والبراج والجيزة . الجائزة الاولى المسيو قسطوبولو والثانية البرنس جميل طوسن وخليل باشا فوزي

القطن الاشموني

الفيوم . الجائزة الاولى خليل بك لطفي والثانية ابو زيد طنطاوي والثالثة احمد بك حمدي والدبلوما احمد الروبي

المنيا . الجائزة الاولى بشرى ميخائيل والثانية علي بك شعراوي والثالثة سلطان باشا

القطن العباسي

الغربية . الاولى محمد بك راسم والثانية البرنس كمال الدين واغوبيان باشا

المنوفية . الاولى ابرهيم باشا حلمي والبرنسس خديجه هانم والثانية دائرة القصر العالي

البحيرة . الاولى دائرة القصر العالي والثانية البرنس حسين باشا كامل

القليوبية . الثانية الدائرة الخاصَّة وبوغوص باشا نوبار

قطن ينوفتش

الغربية . الاولى الدائرة الخاصَّة ومحمد بك سدلي والثانية راتب باشا والبرنسس فاطمة هانم والثالثة شركة الزراعة والصناعة والشركة العقارية

الشرقية . الاولى دائرة القصر العالي . والثانية البرنسس فاركه هانم والثالثة البرنس ابرهيم باشا حلمي

البحيرة . الاولى البرنس حسين باشا كامل والثانية دائرة القصر العالي

السكَّر وقصب السكَّر

القصب الاحمر . الاولى فرج حسين وعلي بك شعراوي والثانية يونان يوسف

القصب الابيض . الاولى فرج حسين والثانية جرجس تكلا

القصب البلدي . الاولى علي بك شعراوي

سائر المعروضات

البنجر . الاولى ابرهيم حلمي والثانية محمد وصيل

البطاطس . الاولى بيولي بك والثانية حسن الشناوي

بطاطس للتصدير . الاولى بيولي بك

البصل . الاولى محمد سعيد الكبير ورمضان شعبان

الطماطم . الاولى محمد عيسى والثانية حسن الشناوي

الزبدة الطرية . الاولى مدرسة الزراعة

الزبدة المملحة . الاولى مدرسة الزراعة

السمن . الاولى خليل باشا فوزي

العسل . الاولى خليل باشا فوزي

الصوف . الدائرة الخاصَّة

البلح . الاولى جان ايزا كاليدس والثانية ابرهيم مشراق

الحنا . الاولى مهدي نمر

السمار . الاولى وزر عبد الله وتفتيش الوادي والثانية محمد عمر

ريش النعام . الدبلوما شركة تربية النعام بالمطرية

درس من المعرض الزراعي

نشرنا في هذا الجزء والجزء السابق ما اتصل بنا من ذكر الجوائز والمداليات التي حُكم بها في المعرض الزراعي للعارضين حسب حكم المحكمين . وتختلف المعروضات كثيرًا في نوعها كالثيران والجواميس والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال والحمير والدجاج والحبوب من قمح وشعير وفول وعدس وحمص وغيرها من المزروعات كالقطن والكتان والقصب ويظهر لنا من امعان النظر فيها امور كثيرة لا يخلو ذكرها من الفائدة وهي

اولاً ان الجوائز ليست على نسبة النفع . فان الجوائز تختلف قيمتها من الف غرش الى ٢٥ غرشًا لكن ما قدّرت له الجائزة الكبرى ليس من انفع المعروضات التي يجب بذل الهمة لترغيب اهل الزراعة في اصلاحها ولا الذي اعطي الجائزة الصغرى من اصغر المعروضات فان الجائزة الكبرى وهي الف غرش لزوج من الثيران الخصية . وقد استحق هذا الجوز الجائزة التي عينت له ولكن فائدته تقتصر على صاحبهِ فلا يمكن ان يبقى نسله في البلاد لانهُ خصي ولا فيهِ ما يعلّم اهل الزراعة كيف يربون ثيراهم حتى تكون مثله . نعم ان البلاد محتاجة اشد الاحتياج الى الثيران القوية الصالحة للزراعة ولكن لو اعطيت هذه الجائزة لمن يؤلف رسالة في كيفية تربية الثيران حتى تكون صالحة للاعمال الزراعية الشاقة او لمن يربي ثورًا طلوقًا يجود بهِ نوع الثيران لكان ذلك انفع للبلاد

والقفص الذي فيهِ ثلاث وزات بلدية جائزتهُ الاولى ٥٠ غرشًا والثانية خمسة وعشرون غرشًا والوز غير لازم لاهل الزراعة لزوم الثيران ولكن هذه الوزات اذا كانت تفضل على كل ما عرض من الوز من حيث غزارة لحمها وكثرة بيضها امكن توليد الوز من بيضها فيصير في البلاد صنف من الوز جيد اللحم كثير البيض فيكون منهُ طعام كثير الغذاء قليل النفقة . واشد ما يحتاج اليهِ اهالي القطر المصري الغذاء اللحمي الكثير المواد النيتروجينية

وكانت جائزتا الذرة الشامية مئة غرش وخمسين غرشًا مع ان الذرة الشامية طعام جانب كبير من سكان هذا القطر حتى لما امرت الحكومة بتأخير زرع الذرة في العام الماضي

علّت شكوى اهل الزراعة الى عنان السماء . فاذا تمكن احد ان يجد تقاوي تزيد بهاغلة الفدان اردبًّا افاد البلاد فائدة تقدَّر بعشرات الالوف من الجنيهات . وقس على ذلك القمح والفول والشعير والبرسيم والقطن والكتَّان فان مَن يتوصَّل الى ايجاد صنف منها يفوق الاصناف المعروفة يستحق ان يجازى اكبر جزاءٍ وهو في هذا القطر احق بالرتب والنياشين من كل من يعطى رتبة فيهِ ونشانًا

❊ ثانيًا ❊ ان الذين تباروا في هذا المضمار هم من كل طبقات الناس من الجناب الخديوي فنازلاً الى زارع البصل والثوم . فترى اسم الجناب الخديوي او دائرة الخاصَّة الخديوية مذكورًا مرارًا كثيرة ولا سيما في عرض المواشي الكبيرة وكذلك اسماء بعض الامراء من العائلة الخديوية وكبراء القطر مثل رياض باشا ومصطفى باشا وهبي وبوغوص باشا نوبار واغوبيان باشا وغيرهم . واحيانًا ينال الجائزة الاولى واحد من عامَّة الناس والثانية واحد من الكبراء دلالةً على ان المحكَّمين نظروا الى المعروضات نفسها لا الى عارضيها لكن ذلك قليل والغالب ان الذين نالوا الجوائز هم كبراء القطر اصحاب الزراعات الكبيرة

❊ ثالثًا ❊ ان اكثر العارضين كانوا من الوجه البحري ولم يعرض من الوجه القبلي الاَّ قليلون مع ان المعرض عام للجميع على حدٍّ سوى وليس بعد المسافة بسبب كبير لقلة العارضين من الوجه القبلي لان سكة الحديد قرَّبت المسافات

❊ رابعًا ❊ ان الاقباط اقل اهتمامًا بالمعرض من كل سكان هذا القطر فنالوا اقل ما يكون من الجوائز مع ان اطيانهم تزيد على عشر اطيان القطر ولعلَّ السبب الاكبر لذلك كون اكثرهم في الوجه القبلي

❊ خامسًا ❊ ان مدرسة الزراعة لم تفق معروضاتها معروضات غيرها فانهُ كثيرًا ما اخذ غيرها الجائزة الاولى واخذت هي الجائزة الثانية وذلك على غير ما ينتظر منها

❊ سادسًا ❊ ان الوقت الذي يُفتح فيهِ المعرض الزراعي عادة ليس من اصلح الاوقات كما ثبت هذا العام لانهُ اذا وقع فيهِ المطر او عصفت الرياح الشديدة زال كثير من رونقهِ ونفعهِ فاما ان يقدَّم شهرًا او شهرين او يؤَخر شهرًا او شهرين

❊ سابعًا ❊ لا بدَّ من انشاء مبانٍ للمواشي والآلات خوفًا من وقوع الامطار وعصف الرياح واشتداد الحر لان ذلك كلهُ محتمل الوقوع من اوائل الخريف الى اواخر الربيع

هذا ولا بدَّ في الختام من اسداء الشكر الوافر الى عمدة الشركة الزراعية وحضرة سكرتيرها المستر فودن على ما بذل من الهمَّة في ترتيب المعرض واتقانهِ والى الحكومة المصرية لجودها بالمال عليهِ

تقاوي قصب السكر

رأينا في نشرة الزراعة التي تنشر في جزائر الهند الغربية خلاصة تجارب كثيرة جُربت في زراعة قصب السكر وفي جملتها تجارب في زرع القصب من الثلث الاسفل من القضيب ومن الثلث المتوسط ومن الثلث الاعلى . وقد كررت هذه التجارب زماناً طويلاً فكان القصب المزروع من الثلث الاسفل تؤخذ التقاوي منهُ من ثلثهِ الاسفل . والقصب المزروع من الثلث الاوسط تؤخذ التقاوي منهُ من ثلثهِ الاوسط وكذا القصب المزروع من الثلث الاعلى تؤخذ التقاوي منهُ من ثلثهِ الاعلى ودام الحال على هذا المنوال سنين كثيرة فكانت النتيجة ان غلة القصب المزروع من العقد السفلى ومن العقد الوسطى ومن العقد العليا متشابهة ولذلك لا فرق سواء اخذت التقاوي من اعلى القضيب او من وسطهِ او من اسفلهِ

القصب الكبير والقصب الصغير

جُرّبت تجارب أُخرى ليعلم اي العيدان اصلح الكبيرة ام الصغيرة فاختيرت ثلاث قطع متماثلة من الارض وزرعت الاولى من القصب الكبير العيدان والثانية من القصب المتوسط العيدان والثالثة من القصب الصغير العيدان . واعيدت التجربة سبع مرات وكان القصب يبقى في الارض سنتين كل مرة فجملة السنوات اربع عشرة سنة فكانت النتيجة ان متوسط غلة الفدان من القصب الكبير بلغت ثلاثين طنًّا وثلث طن ومن القصب الصغير نحو ٢٦ طنًّا وكمية السكر في الطن الواحد واحدة في النوعين وعليهِ فزرع العيدان الكبيرة افيد كثيرًا من زرع العيدان الصغيرة

غذاء القصب

ثبت بالامتحان في بلاد جاوى ان كلاًّ من الحديد والمغنيسيا والجير والحامض الفصفوريك والبوتاسا والنيتروجين ضروري لقصب السكّر واذا خلت الارض من مادّة من هذه المواد يبس القصب حالاً . واذا قلّت فيها مادة من هذه المواد عمّا يلزم لنمو القصب ضعف وتأخر نموهُ ولا سيما اذا قلّ النيتروجين . واذا قلّ الحديد تجعَّدت الاوراق واصفرّت ودقّت الجذور كثيراً واذا اضيف الحديد الى الارض اخضرّت الاوراق حالاً وغلظت الجذور . وهذه المواد توجد في كل الاراضي التي يزرع القصب فيها ولكن مقدارها فيها يختلف بعض الاختلاف فالبوتاسا تكون في الارض السوداء اكثر من سبعة اعشار في المئة وفي الارض الخفيفة نحو اربعة اعشار في المئة والمغنيسيا تكون في الارض السوداء واحداً ونحو اربعة اعشار في المئة وفي الارض الخفيفة نحو ثمانية اعشار في المئة فقط



عمل الجبن

لقد استغربنا جدًّا عدم استحقاق احد لجائزة في المعرض الزراعي الماضي على الجبن كأنَّ اللبن المصري لا يصلح لعمل الجبن او كأنَّ صنّاعهُ يخجلون من عرضهِ. والحقيقة ان صناعة الجبن مهمَّة جدًّا في هذا القطر ويجب ان تهتم الشركة الزراعية بتعزيزها بكل الوسائط. وقد اطَّلعنا على مقالة كبيرة الفائدة في الجبن وعملهِ للاستاذ كون من اساتذة مدرسة الوسليين الجامعة باميركا فرأينا ان نعربها لما فيها من الفوائد قال الكاتب

يقول الكيماويون ان الجبن من ارخص الاطعمة واكثرها غذاء. وقيمتهُ الغذائية اكثر من قيمة اللحم وثمنهُ اقل من ثمن اللحم. ولكن النظر الى الجبن من وجه كيماوي محض لا يدلُّ على كل فائدة الجبن في الطعام فان الجبن لا يؤكل لاجل ما فيهِ من الغذاء بل لاجل لذة طعمهِ. ويقول الفسيولوجيون ان لا فائدة غذائية من لذَّة الطعم وان الغذاء هو من المواد المغذية نفسها ولكنهم يقولون ايضاً ان الجسم لا يغتذي من المواد المغذية ما لم تكن طيبة الطعم فاذا اطعمتهُ زلال البيض لا غير لم يستطع ان يقتات بهِ مدة اسبوع كامل او لم يستطع ان يقتات بما يكفيهِ منهُ فالطعم ضروري مثل الغذاء لانهُ يطيب الطعام ويسيغهُ ويهيج الغدد لافراز المفرزات التي تعين على هضم الطعام فينهضم ويغتذي الجسم منهُ. وما الغرض من صناعة الطبخ واضافة البهارات والتوابل الى الطعام الاَّ إجادة طعم الطعام حتى تستطيبهُ النفس ومن هذا القبيل غلاء بعض الاطعمة النادرة فان الناس يغالون بها لطيب طعمها ولما ينالهم من الفائدة من اكلها. فالطعم الطيب ضروري للطعام ولكن ضرورتهُ ليست ذاتية والاَّ لكان كل طعم طيب ضروريًّا ومفيدًا لكل احد على حدٍّ سوى والحال ان ما يستطيبهُ زيد قد لا يستطيبهُ عمرو فما يكون مفيدًا للاول قد لا يكون مفيدًا للثاني. ويقال ان الايطاليين يستطيبون الثوم والمكسيكيين يستطيبون الفلفل قدر ما يستطيب الانكليز الفانلاَّ في المبرَّدات وهذه المواد الثلاثة المختلفة اشد الاختلاف في طعومها تقوي الشهية للطعام وتحرك اعضاء الهضم على حدٍّ سوى

فالفائدة الاولى من الجبن هي لذة طعمهِ ولذلك ترى الفقير يضع قطعة صغيرة منهُ في لقمتهِ فيتهلل وجههُ وتبرق اسرتهُ كأنهُ يأكل أفخر المآكل واطيبها. اي ان فائدة الجبن الكبرى تقوم بالطعم الذي لا يلتفت اليهِ الكيماوي في تحليلهِ ولا يعتدُّ بهِ الفسيولوجي في بحثهِ

ولا يحسب لهُ فائدة غذائية . ومعلوم ان الجبن يغذي ايضاً بنفسهِ فهو طيب ومغذٍ في وقت واحد ولكن اهميتهُ في الطعام لا تتوقف على ما فيهِ من الغذاء بل على ما فيهِ من طيب الطعم

وهنا يليق بنا البحث عن سبب ما في الجبن من الطعوم. فان الجبن الجديد خالٍ من الطعوم التي يمتاز بها الجبن عادة اي من الطعوم الجبنية . ويصنع الجبن من اللبن بترسيب المادة الجبنية منهُ بواسطة الانفحة كما هو معروف او بواسطة ترك اللبن حتى يحمض كما في الجبن الفلمنكي . وتؤخذ المادة الجبنية بعد عصر المصل منها وتلف بخرق او توضع في قالب حتى يصير منها قرص الجبن. لكن هذا الجبن يكون خالياً من الطعم الجبني الخاص ولا يظهر فيهِ هذا الطعم الاَّ بعد ما ينضج ونضجهُ قد يتمُّ في ايام وقد لا يتم الاَّ في اشهر او في سنتين او سنين والغالب ان انواع الجبن المختلفة تصنع من نوع واحد من اللبن ولكنها تعرَّض لاساليب مختلفة من النضج فتختلف طعوم الجبن باختلاف الاساليب التي يعالج بها وقت نضجهِ . واذا اردنا ان نعرف اسبابها وجب ان نبحث عنها في الاساليب التي تستعمل لانضاج الجبن

ونضج الجبن عمل مزدوج فهو من الوجه الواحد كيماوي لان بهِ يتغير تركيب الجبن الكيماوي ويصير اسهل هضماً مما كان قبلاً وسببهُ الاكبر مادة خميرية موجودة في اللبن نفسهِ طبعاً ولا يهمنا البحث عنها الآن لان طعوم الجبن لا تتوقف عليها بل على فواعل اخرى حية من نوع النباتات الدنيئة تنمو في الجبن وعليهِ وتقوم اساليب انضاجهِ بتقوية بعض هذه النباتات واضعاف بعضها

والجبن نوعان كبيران لين وصلب والغالب ان النباتات التي ينضج بها الجبن اللين هي من نوع العفن والتي ينضج بها الجبن الصلب من نوع البكتيريا . ويصنع الجبن اللين هكذا : يجبن اللبن بالانفحة ويقص بالسكاكين حتى يتحلب المصل منهُ او يفرغ في القوالب رأساً ويكون في القوالب ثقوب في جوانبها وقاع فوق قاع فيهِ قش حتى يخرج المصل منها فيجمع الجبن في القالب ويتشكل بشكلهِ . ويكون في اول امرهِ ليناً جداً فيقلب من وقت الى آخر مدة يومين او ثلاثة ويشتد قوامهُ حينئذٍ حتى يسهل رفعهُ باليد وينقل حينئذٍ الى القبو الذي ينضج فيهِ الجبن . ويختلف هذا الاسلوب في تفاصيلهِ اختلافاً كثيراً فقد يوضع الجبن على حصير خاص من القش او يلفُّ بنوع خاص من القش مما استعمل في معامل الجبن مراراً كثيرة حتى امتلأ ببزور العفن . ثم يوضع في مكان هواؤهُ رطب بارد ينمو العفن فيهِ فينمو سريعاً ويغطي وجههُ. وقد تستعمل وسائط مختلفة لاسراع نمو العفن مثال ذلك ان يصنع نوع خاص من الخبز ويترك حتى يعلوهُ العفن ثم يسحق سحقاً ناعماً ويمزج بالجبن حال وضعهِ في القالب

ويثقب الجبن ثقوبًا صغيرة لكي يدخلهُ الهواء ويسهل نمو العفن فيهِ وهذه الطريقة مستعملة في جبن ركفورت لكن الغالب ان يعتمد صانعو الجبن على الحصر التي يلفونهُ بها . ثم ان انواع العفن مختلفة واشهرها العفن الازرق العادي ولكن الجبن لا ينضج غالبًا ما لم تفعل بهِ انواع مختلفة من العفن معًا

وتولّد العفن في الجبن ليس خاتمة نضجهِ بل بداءتها . ويمنع نموهُ بالملح الكثير الذي يذر على الجبن وبغسل وجههِ فلا يبقى لهُ سبيل الى النمو الاَّ في قلبهِ . ولا بدَّ من نقل الجبن الى الاقبية التي ينضج فيها وهي اما مبانٍ باردة رطبة او كهوف في قلب الجبال . وقد تتوقف جودة الجبن على نوع الكهف الذي ينضج فيهِ . ودرجة الحرارة واحدة في هذه الاماكن وهواؤُها رطب غالبًا ولذلك يستمرُّ فعل الانضاج فيها على مدار السنة . واذا كان لهذه الاماكن درجات مختلفة من الحرارة اختلف نوع الفطر الذي ينمو فيها او اختلفت سرعة نموهِ واختلف طعم الجبن باختلافها

ومتى وُضع الجبن في هذه الاماكن يقلُّ نمو العفن فيهِ او يبطل وتنمو بدلاً منهُ انواع مختلفة من البكتيريا ويكون الجبن قد صار قلويًّا بنمو العفن فيهِ فيسهل نمو البكتيريا حينئذٍ واذا كانت الحرارة شديدة فالبكتيريا تحل الجبن سريعًا وتفسدهُ فينتن ولكن اذا كانت الحرارة معتدلة او واطئة كما هي في هذه الاماكن وقف فعل البكتيريا ولم يحصل الفساد المذكور . ويتولَّد في الجبن مركبات كيماوية جديدة من تولُّد البكتيريا فيهِ وهي التي تسبب طعمهُ الطيب فيباع حينئذٍ ويوكل قبلما يزيد فعل البكتيريا فيهِ عن هذا الحد

ويبقى الجبن طريًّا بعد ارسالهِ الى السوق ويبقى الانحلال جاريًا فيهِ فلا يكون صالحًا للاكل الاَّ زمانًا قصيرًا واذا طال عليهِ الزمن فسد كلهُ . وقبل ذلك يكون طعمهُ قويًّا يستطيبهُ بعض الناس جدًّا

هذا هو الاسلوب العام لعمل الجبن اللين . لكن صنّاعهُ يختلفون كثيرًا في تفاصيل عملهِ ويتنوَّعون هذا الاسلوب حسب نوع اللبن وحسب كون القشدة باقية فيهِ كلها او منزوعًا بعضها منهُ وحسب اساليب التجبين المختلفة ومقدار الملح ودرجات الحرارة والرطوبة في المكان الذي ينضج فيهِ فانهُ ينتج من ذلك كلهِ تولُّد انواع مختلفة من العفن والبكتيريا وينتج منها طعوم مختلفة . ولا تحصل النتيجة المطلوبة الاَّ اذا كان في معمل الجبن انواع العفن والبكتيريا اللازمة وهنا المجال الواسع لعلم الميكروبات والمباحث الميكرسكوبية

والنوع الثاني الجبن الصلب وهو اقل طعماً من الجبن اللين وقوالبهُ اكبر من قوالب الجبن

اللين غالبًا و يبقى زمنًا طويلاً من غير ان يفسد ولذلك يسهل نقلهُ من بلاد الى أُخرى

والفرق بين عمل الجبن اللين والجبن الصلب قليل جدًّا فان الجبن الصلب يجبن مثل الجبن اللين ولكن يضغط عليهِ بعد ذلك شديدًا وقد يسخن الى الدرجة ١١٠ بميزان فارنهيت بعد تجبينهِ كما يفعل اهالي سويسرا فيتغير قوامهُ ويصير فيهِ شيء من المرونة . ويكون الضغط عليهِ خفيفًا في اول الامر ثم يزاد رويدًا رويدًا فيندمج وتقترب دقائقهُ بعضها من بعض حتى يعسر على نبات العفن النمو فيهِ

ولا بدَّ من ان ينضج الجبن الصلب كما ينضج الجبن اللين لكي تتولد فيهِ الطعوم الطيبة ومدة نضجهِ اطول وهو ابطأ من نضج الجبن اللين . فيوضع في بيوت او كهوف حيث يقلُّ اختلاف الحرارة او تعدَّل الحرارة بالصناعة ويترك اسابيع او اشهرًا فيحل بهِ فعل كيماوي بطيء من انواع التخمير الكيماوية والآلية التي فيهِ ويتولد فيهِ الطعم الخاص بهِ

وليس للعفن يد في الجبن الصلب كما لهُ في الجبن اللين لان الملح يمنعهُ ويبقى الفعل الاكبر للبكتيريا . وقد ثبت بالامتحان ان البكتيريا تنمو بكثرة في هذا الجبن مدة نضجهِ وان بعض انواع البكتيريا يولد في اللبن طعومًا مثل طعوم الجبن الناضج وان الوسائل التي تبطل نمو البكتيريا تبطل تكوُّن هذه الطعوم في الجبن . وقد عرف عاملو الجبن الفلمنكي المشهور كيفية اسراع نضجهِ بزرع انواع من البكتيريا في اللبن الذي يصنع منهُ . وهذا الزرع شائع في ثلث الجبن الذي يصنع في هولندا فان الصنَّاع يضيفون اليهِ المصل الكثير البكتيريا لكن علماء البكتيريا لم يتفقوا حتى الآن على اي الميكروبات ينضج الجبن لان مدة النضج طويلة يتولد فيها انواع مختلفة من الميكروبات فلا يُعلَم ايها هو الفاعل الاكبر في نضجهِ"

ثم شرح الكاتب فائدة البحث البكتيريولوجي في هذا الموضوع لكي يتيسَّر على الاميركيين تقليد الجبن السويسري والجبن الفلمنكي ونحوهما من الانواع التي لا تصنع حتى الآن الاَّ في بلادها . وحبذا لو ترصَّد احد سكان لبنان نتائج العلم البكتيريولوجي في هذا الشان عساهُ يجد اسلوبًا لتقليد انواع الجبن الغالية الثمن فان في لبنان وما حولهُ من البلاد اماكن كثيرة تصلح لعمل الجبن كما تصلح جبال سويسرا وبلاد هولندا

عيدان الفصفور

يقسم عمل عيدان الفصفور الى اربعة اقسام الاول تشقيق الخشب وعمل العيدان الدقيقة منهُ والثاني غط العيدان في البارافين الذائب او الكبريت الذائب والثالث تحضير المزيج الذي

يشتعل بالفرك وغط العيدان فيهِ والرابع عمل الصناديق الصغيرة التي توضع العيدان فيها .
وقد رأينا هذه الاعمال كلها في بلدة صغيرة في سويسرا وهاك وصفها بالايجاز

العمل الاول شق الخشب . يقطع الخشب قطعاً طول القطعة منها نحو ٣٥ سنتمترًا وينزع قشرهُ ويوضع على مخرطة ويدار فيها امام سكين حادَّة فينقشر بها كانهُ درج ملفوف والسكين تفتحهُ فيصير صفيحة رقيقة ثخنها ثخن العيدان التي تصنع منها. وتقطع هذه الصفيحة على طولها سبع قدد فيكون عرض كل قدَّة منها خمسة سنتيمترات اي طول عود الفصفور وتوضع هذه القدد بعضها فوق بعض وتقطع بمقاطع كمقاطع الورق فيقطع بالآلة الواحدة مليون عود في اليوم . ثم توضع العيدان في براويز صفوفاً صفوفاً تمكّن بها من طرف وتبقى سائبةً من الطرف الآخر ويكون في البرواز منها نحو ثلاثة آلاف عود

ومتى وضعت العيدان في البراويز تغط اطرافها في البارافين المصهور او في الكبريت المصهور ليلصق عليها من البارافين او من الكبريت ما يشتعل من الفصفور اولاً ويشعل الخشب . ثم يؤتى بها الى المزيج الذي فيهِ فصفور . والغالب انهُ يركَّب من جزء من الفصفور وثمانية اجزاء من كلورات البوتاسا واربعة اجزاء من الغراء وجزئين من الطباشير وثمانية اجزاء من الزجاج المسحوق سحقاً ناعماً جدًّا . وقد يبدل كلورات البوتاسا بنيترات البوتاسا فيكون للعيدان صوت شديد حين اشتعالها ويوضع هذا المزيج على لوح من الحديد يسخنهُ والبخار قليلاً حتى يبقى مائعاً . والمزيج المستعمل في فرنسا يصنع من ثلاثة اجزاء من الفصفور وجزئين من اكسيد الرصاص الثاني وجزئين من الرمل وثلاثة من الغراء

وقد لا يوضع الفصفور في المزيج الذي تطلى بهِ رؤُوس العيدان بل في المزيج الذي يطلى بهِ جانب الصندوق حيث يفرك العود . وحينئذٍ يصنع المزيج الذي تطلى بهِ رؤُوس العيدان من خمسة اجزاء من كلورات البوتاسا وجزئين من كبريتيد الانتيمون وجزء من الغراء ولهم تراكيب أُخرى اشهرها هذه الاربعة

	الاول	الثاني	الثالث	الرابع
كلوريد البوتاسيوم	٢٠٠٠ جزء	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠
اكسيد الرصاص الثاني	١٢٥٠ «	٢١٥٠		
اكسيد الرصاص الاحمر	٢٥٠٠ «	٢٥٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠
كبريتيد الانتيمون الثالث	١٢٥٠٠ «	١٢٥٠	١٣٠٠	٣٠٠٠
كرومات البوتاسيوم	١٣١٨ «		٠٧٥٠	١٥٠٠

صمغ عربي	٠٦٧٠	"	٦٧٠٠	٦٧٠٠	٠٦٧٠
بارافين	٠٢٥٠	"	٠٢٥٠		

ويفرك البارافين بالانتيمون اولاً في التركيب الاول والثاني ثم تمزج به بقية الاجزاء وهذه التراكيب تشتعل بسهولة وتشعل الخشب سريعاً

اما الفصفور فيكون في المزيج الذي يدهن به الصندوق وهو يركب من تسعة اجزاء من الفصفور الامورفي وسبعة اجزاء من كبريتت الحديد المسحوق سحقاً ناعماً وثلاثة اجزاء من الزجاج المسحوق وجزء من الغراء او الصمغ وما يكفي من الماء او يصنع من خمسة اجزاء من الفصفور الامورفي واربعة اجزاء من كبريتيد الانتيمون وجزئين ونصف من الغراء

ولعمل الصناديق آلة بديعة تصنعها باسرع من لمح البصر وتلصق الورق بها ويتعذّر على الانسان ان يتصوّرها من غير ان يراها

عيدان الفصفور المعطَّرة

وقد يكون لعيدان الفصفور رائحة طيبة وتصنع هذه العيدان بنقعها اولاً في الحامض الستياريك ثم تغط في المزيج الفصفوري وهو يصنع من ثلاثة اجزاء من الفصفور ونصف جزء من صمغ الكثيراء وثلاثة من الماء وجزئين من الرمل الناعم وجزئين من اكسيد الرصاص الاحمر. وبعد ما يجف هذا المزيج عليها تغط في مذوب صمغي عطر مصنوع من اربعة اجزاء من البخور الجاوي (البنزوين) مذابة في عشرة اجزاء من السبيرتو الذي درجتهُ ٤٠ بميزان بومه

بعض الخمور النادرة

خمر العسل

اضف ثمانية ارطال من الماء الى رطلين من العسل واغل المزيج ساعةً من الزمان وانت تنزع الزبد عنهُ ومتى برد اضف اليهِ قليلاً من خميرة البيرا واتركهُ حتى يختمر. ويحسن ان تضع فيهِ خرقةً فيها قليل من الافاويه مثل الزنجبيل وكبش القرنفل فيصفو السائل بعد شهر ويكون خمراً طيبة

خمر البرتقال

اغلِ ٤٠ رطلاً من السكر ربع ساعة في مئة رطل من الماء واعصر ٧٥ برتقالة وصفِّ عصيرها وامزجهُ بقشرها واضف اليهِ الماء والسكر بعد ان يبرد الماء وتصير حرارتهُ ٨٥ بميزان

فارنهيت . وضع المزيج في برميل وحركهُ مدة ثلاثة ايام او اربعة ثم سدَّهُ جيدًا وضعهُ في قبوٍ بارد واتركهُ فيهِ ستة اشهر فيصير العصير خمر البرتقال

خمر البرتقال والليمون الحامض

اذب ستة ارطال ونصف رطل من السكَّر في اثني عشر رطلاً من الماء على حرارة ١٠٥ بميزان فارنهيت واضف الى المذوب عصير خمس ليمونات وملعقة من خميرة البيرا واترك المزيج حتى يختمر مدة ٤٨ ساعة وامرت قشر الليمونات الخمس وقشر خمس وعشرين برتقالة برطل من السكر واضف ذلك الى العصير المختمر ثم اضف اليهِ عصير الخمس والعشرين برتقالة ودع المزيج يختمر مدة ٤٨ ساعة ثم صبَّهُ في برميل واضف اليهِ رطلاً من الخمر وسدَّ البرميل واتركهُ ستة اشهر

خمر الزبيب

اخبرتنا سيدتان انكليزيتان انهما رأَتا الرهبان يصنعون الخمر من الزبيب في دير الانبا بولا قرب البحر الاحمر ولم تقفا على تفصيل الاسلوب الذي يصنعونهُ بهِ اما الاوربيون فيصنعون الخمر من الزبيب هكذا . يضاف ستة ارطال ونصف رطل من الزبيب الى عشرين رطلاً من الماء ورطلين من السكَّر وتسع اواقي من زبدة الطرطير وما يكفي من خميرة البيرة لكي يبتدئ الاختمار في المزيج . ويمكن ان يستغنى عن خميرة البيرة اذا اريد شرب هذه الخمر سريعًا

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البشاشة

خطبة للسيدة شفيقة مسيحه احدى تلميذات الصف المنتهي بمدرسة اسيوط العالية

ايها السادة والسيدات . قد وقفت امام قوم بينهم من اذا انبرى لا يبارى واذا جرى لا يجارى . بينهم رجال الخطابة وابطال الكتابة اذ قد دعاني الواجب ودعوتهُ حكم وطاعتهُ غنم . فلبيت مع علمي بوعورة المجال ونزارة المقال . وقد انتقيت البشاشة موضوعًا لي حتى اذا كبا جواد فكري استعين بما سطرتهُ يد الانسانية على محياكم من ايات الانس والسماحة

سادتي . جنحت النفوس من بدء نشأتها الى طلب ما ترتاح اليهِ وتأنس بهِ . وكثر تفنن الناس في اساليب السعادة المزعومة . فلم يقفوا عند حد وتجاوزوا في طرقهم الحصر والعد . فكل من وجد مقصداً قريباً قصد او مورداً عذباً ورد . ومع ذلك لم يتمتعوا بما املوهُ ولا طابت نفوسهم بما اخترعوهُ بل ذهب سعيهم شتاتاً اذ نسوا ان نعيم الجنان لا يدعو الى سرور الانسان إلاَّ اذا زانهُ وجه نضير وكلهُ ابتسام السمير . فانهُ لم تكشف لآدم بهجة الازهار إلاَّ بعد ان اشرقت شمس حواء وبدون رقة الفاظها لم يستطب ترنيم الاطيار ولا لطف الهواء . فلا تطمع ايها الانسان في وجود واسطة تخفف الاتعاب وتزيل الاوصاب إلاَّ بانسان نظيرك تكلل بسماحة الوجه وبشاشة المحيا . فان البشاشة علة سرور الناس وسعادة الجلاس للايناس . بها تصير القفار نعيماً وبدونها تمسي الجنان جحيماً . هي عنوان الرضى ومرآة تعكس نور الاخلاص وكثيراً ما تغني عن الكلام فتترجم عما يكنهُ الضمير من المروءة وشريف العواطف

والآن اوجه التفاتكم الى لزوم البشاشة في دائرتين عظيمتين . اولاهما العائلة وهي اساس الهيئات ومنشأ الفضيلة ودار السعادة وجنة المسرات الحقيقية . فاذا سقيت هذه البذار بماء البشاشة استغنى الناس عن الجلوس في القهاوي والحانات التي يقصدونها حينما لا تتيسر لهم موجدات السرور . فيا ايتها السيدات اللواتي يهمهن امر ازواجهنَّ واولادهنَّ ويخفنَ عليهم من ان تجرهم القهوة الى الحان والحان الى القمار والقمار الى العار اجعلن بيوتكنَّ محل الاناسة واتخذن من البشاشة حتى يحب رجالكنَّ معاشرتكنَّ ويؤثروا الاقامة في البيوت . وإلاَّ فخسارتكنَّ لا تعوض . وليس هذا الامر خاصاً بكنَّ فقط بل بالرجال ايضاً . اذ يجب على الرجل ان يجعل بيتهُ في ذروة السعادة حتى تشرق عليهِ شمس الصفاء والحبور قبلما تشرق على غيرهِ وتغيب عنهُ بعدما تغيب عن غيرهِ . وويل لمن يبني بيتهُ في وادي الهموم فلا تبارحهُ ظلمات الغموم

كل ربة بيت تحب ان ترى بيتها مملوءًا من الاثاث الفاخر من الابسطة والكراسي والموائد والصور والتحف الثمينة مما أتقن صنعهُ وغلا ثمنهُ . ولا حدَّ لزينة البيوت فقد ينفق الواحد الالوف ويبقى يظن بيتهُ دون بيوت كثيرين . ولكن ربة البيت الحكيمة تستطيع ان تزين بيتها ومائدتها بزينة بديعة بلا نفقة يعجب لها كل من يراها . وقد يظن اني اقصد الزينة الطبيعية بالازهار والرياحين . فهي تبهج عين الرائي فينشرح لها صدرهُ . نعم ولكن هذه زينة يلزم تجديدها كل يوم او بضعة ايام غير ان للبيت زينة اخرى تفوق كل زينة ألا وهي انس اصحابهِ وطلاقة وجوههم ولطف حديثهم . فكم من بيت يدخلهُ الانسان ويخرج منهُ مسرور الخاطر كأنهُ تمتع بمشاهدة اجمل المتنزهات . وما ذلك إلاَّ لانهُ رأى من انس اهل البيت ما شرح صدرهُ

وطيب نفسهُ. وطلاقة الوجه ملكة يربو عليها الصغار ايضًا فتظهر فيهم كبارًا وتجتذب قلوب الناس اليهم . وهنا محل الانتقال من الهيئة العائلية الى الدائرة الاوسع التي فيها البشاشة الزم وانفع

التفتوا معي لحظة لنتأمل في بعض الهيئات ولنبدأ بالهيئة العلمية مثلاً . اي المربين انجح في جذب قلوب الناس واقدر على امتلاكها وجعلها في الحالة التي يريدونها . لا شك انهم المتصفون باللطف وسماحة الاخلاق . اعطني معلمًا بشوشًا فاريك اياهُ محبوبًا من تلامذتهِ ناجحًا في عملهِ قادرًا ان ينال منهم باللطف ما لا يقدر عليهِ غيرهُ بالعنف . بل سل المتعلمين انفسهم اي الدروس احب اليكم فيجيبوا ان درجة ميلنا لكل درس تقاس بدرجة ميلنا الى مُدرسهِ . ولنأتِ الى دائرة الاعمال الاخرى . مَن هو التاجر الكثير الاصدقاء القادر ان يجذب الناس الى محلهِ فيقبلوا ما يفرض من الاثمان . ومن هو الحاكم المتعلقة بهِ نفوس الرعية فتخضع الرقاب لسلطان لطفهِ لا لسلطان سيفهِ ويتغنَّى الكاتبون والخاطبون بمدحهِ . ومن هو الرئيس المالك قلوب عمالهِ فيطيعونهُ ويخدمونهُ حبًا لا كرهًا. ومن هو الصديق الذي تدوم صداقتهُ فلا يخشى نكبات الزمان ومقاطعة الاخوان. بل مَن هو الذي حالفتهُ السعادة واحبهُ الملا باجماع. هو من زانتهُ البشاشة وكملهُ روح اللطف والسماحة

والبشاشة قد تكون اكتسابية فتنشأ عن حسن التربية منذ الطفولية لانهُ اذا كانت الحيوانات البرية والكواسر الوحشية قابلة للتهذيب منذ نشأتها فكم بالحري يكون النوع الانساني الذي هو اكثر استعدادًا للتربية والتهذيب . وان كانت المعاشرات الردية تفسد الاخلاق الجيدة فكهذا تكون المعاشرات الجيدة مصلحة للاخلاق الردية . وبمقدار ما يكون المربي بشوشًا يكون المربَّى . ولا يخفاكم ان المبادئ الاساسية والطرق القويمة بهذا الشان معظمها منوط بالسيدات الفاضلات اذ انهنَّ اصل التربية الصالحة ومصدر السعادة الحقيقية . وعليهِ فيقتضي لجميعهنَّ التسربل بهذه المزية التي هي من اول المبادئ الرئيسية اللازمة للملا عمومًا وللسيدات خصوصًا . والسيدات كما يكنَّ نقمة اذا أُهملنَّ يكنَّ بركة اذا تهذبنَّ وحزنَ اوصاف البشاشة الحقيقية باكملها

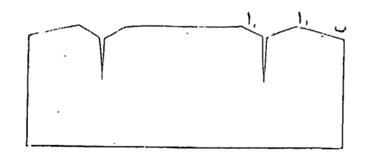
وفي الختام اسأل الله ان يطيل ايامكم ويعيد عليكم وعلينا امثال هذا اليوم اياما كثيرة وسنينًا عديدة متسربلين بكل صحة وسرور ما ترنمت الورقاء وزهت بنجومها السماء في ظل ركن امتنا وولي نعمتنا خديوينا المعظم ورجال حكومتهِ الفخام وسعادة مديرنا الهمام احمد حشمت باشا وكل من شرف هذا المقام

آمينَ آمين لا ارضى بواحدةٍ حتى ازيدَ عليها الفَ امينا

الاعتناء بالاطفال

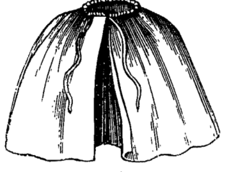
(تابع ما قبله)

اكثر الثياب التي تخاط للاطفال لا تصلح لهم اما لانها لا تغطي الصدر والعنق جيدًا او لانها تضيق على اليدين وتمنع حركتهما او لانهُ لا يمكن الباسها للطفل ما لم يقلب ظهرًا على بطن مرارًا او لانها طويلة جدًّا او ثقيلة جدًّا . هذا من حيث الثياب التي يصنعها الاوربيون لاطفالهم اما نساء هذه البلاد فيبسطن بدن الطفل ويلففنهُ بقماط و يلففن رأسهُ ايضًا و يتركن يديهِ ورجليهِ عارية . والنساء في سورية يلبسنهُ ثيابًا ناعمة و يلففنهُ بقماط كلهُ حتى يصير كالموميا المصرية



(شكل ١)

ويجب ان تخاط ثياب الطفل حتى تغطي بدنهُ كلهُ على السواء ويكون ثقلها كلهُ على عظام كتفيهِ وحتى يمكن الباسها لهُ من غير ان يقلب مرارًا وتكون خفيفة وقصيرة حتى يسهل عليهِ تحريك اعضائهِ كلها . ترى في الشكل ١ صورة قطعة من القماش تفصَّل وتخاط فيكون منها قميص يغطي جسم الطفل ولا يضغط عليهِ . ويمكن ان يلبس دائمًا قمصانًا مثلهُ حتى يبلغ عمرهُ ستة اشهر

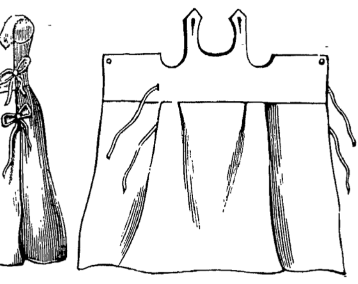


(شكل ٢)

وطول هذه القطعة نحو سبعين سنتيمترًا وعرضها نحو ٢٥ سنتيمترًا ولا تخاط الاَّ حيث الحرفان ا ا وما يقابلهما على الجهة الاخرى ويثني أعلى هذا القميص ويدخل فيهِ شريط دقيق

ويزم بهِ ويخرج من قبل طرفهِ فاذا زمَّ بهِ صار كما ترى في الشكل الثاني ووقع طرفاهُ احدهما فوق الآخر ويخرج ذراعا الطفل من شقين فيهِ

ويلبس الطفل تحت القميص تنورة (غونلا) من الفلانلاً طول صدرها ثمانية سنتمترات وعرضهُ ٦٠ سنتمترًا ولهُ علاقتان طول كل علاقة منهما ١١ سنتمترًا وعرضها نحو اربعة سنتيمترات في المكان الاعرض منها والبعد بينهما سبعة سنتيمترات الى ثمانية ولها عروتان تزران بزرين . وطول التنورة نفسها من اعلى الى اسفل ٤٥ سنتيمترًا وعرضها من الطرف الواحد الى الطرف الآخر ٨٠ سنتمترًا وهي مبسوطة كالشكل الثالث ومضمومة كالشكل الرابع فتغطي الصدر والظهر وتترك الذراعين مكشوفين حرَّين وتشدُّ بانشوطتين كما ترى في



(شكل ٤)　　(شكل ٣)

الشكل الرابع . ويلبس الطفل القميص اولاً ثم التنورة وفوق ذلك بذلة (فسطانًا) مفتوحة من الامام تشدُّ بالعرى من الامام كما تشدُّ التنورة من الجنب ولا يزيد طول البذلة والتنورة عن قدمي الطفل اكثر من ٢٥ الى ٣٠ سنتمترًا

ويلبس الطفل ايضًا جوربين من الصوف الناعم فيصير لباسهُ من قميص وتنورة وبذلة طويلة وجوربين لا غير. ويشير الاوربيون ان لا يغطي رأسهُ بشيءٍ ويحتمل ان تكون العادة الجارية في بلادنا وهي تغطية الراس وكشف القدمين صالحة كالعادة الاوربية ولا يمكن البت في اي العادتين اصلح

وهذه الثياب يُلبسها الطفل وهو ملقى على بطنهِ ثم يُقلب على ظهرهِ وتربط عراها ويتم ذلك بسرعة ومن غير ازعاجهِ . ولا بدَّ من ان تكون ثيابهُ كلها واسعة لا تضيق على عضوٍ من اعضائهِ

ولا يجوز ان يغرز فيها دبوس لان الدبوس قد يشك في بدنهِ وتكون نتائجهِ وخيمة جدًّا

ولا بدَّ لكل طفل من ست قمصان وتنورتين واربع بذلات و ١٢ حفاضاً وبرنصين . ويمكَّن الحفاض بسير وعروة لا بدبوس ولا يجوز تبطين الحفاض بالشمع لكي لا يخرقهُ البول فيحفظ الرطوبة على جسم الطفل بل يجب ان يكون سميكًا ناعماً يمتص البول كلهُ ويبدل بغيرهِ كلما تبلل

ويبدل قميص الطفل والثوب الذي يلف بهِ وقت نومهِ مرتين في الاسبوع على الاقل وتبدل التنورة والبذلة مرتين في الاسبوع ايضاً وتُبدَل الحفاضات حالما تتبلل. واذا ترك الحفاض مبللاً ساعة من الزمان تقرَّح جلد الطفل بين طيَّاتهِ والمهُ جدًّا . واذا ابتلَّ الحفاض لا يستعمل ثانيةً الاَّ بعد غسلهِ وتنشيفهِ وحالما يبتل ينزع ويمسح بدن الطفل تحتهُ باسفنجة مبلولة بالماء النقي. و يعوَّد الطفل بعد الشهر السادس حتى يكون بغير حفاض وذلك بالعرض عليهِ كل ساعتين

علموا البنات الطبخ والعجن

طالعت في مقتطف يناير مقالة لفاضلة من قارئات المقتطف اعترضت فيها على تعليم البنات الطبخ والعجن في مدرسة الاميركان وقالت ان هذا التعليم يجب ان يكون خاصًّا بالخادمات والعائلات الفقيرة الى ان قالت " اما العائلة التي تقدر ان تنفق على بناتها في المدارس العالية فلا تضطر المرأَة التي فيها ان تعجن وتطبخ طعامها بيدها ولذا فلا لزوم لتعليمها الطبخ والعجن " فاستغربت مقالها اكثر من استغرابها للخطب التي حثت على تعليم البنات الطبخ والعجن وبالتأمل في الامثلة التي اوردتها لم اجد فيها ما يثبت هذا الرأي الجديد لان اصحاب الحرف المتنوعة التي ذكرتها لم يتركوا حرفة الزراعة التي كانت عامَّة لهم ولغيرهم كما قالت الاَّ بعد ان تحققوا نجاحهم في الحرف التي قصدوها . وكم في المئة من النساء المتعلمات في بلادنا اشتغلنَ في امور اخرى ونجحنَ . او لم ترَ حضرتها ان القليلات اللواتي يحترفنَ حرفة التعليم لا يلبثنَ فيها الاَّ الى حين زواجهنَّ . أو لا تقدر ربة البيت الاَّ ان توفر اجرة الطبَّاخة . نعم ان كانت من الكسالى اللواتي يفتكرنَ ان الموده والتعليم لا يقومان الاَّ بالتقاعد واكثار الخادمات فهذه لا توفر شيئًا ولكن ان كانت من المجتهدات المقتصدات فانها توفّر ايضاً اجرة مرضعة وخادمة اخرى وزد على ذلك شفقتها على ما بيدها بخلاف ما اذا كانت تسلم للخادمة التي لا يضرها اذا نفد كل ما في البيت . وكان الاولى بحضرة المناظرة ان تجتهد اولاً في اقناع اخواتها اللواتي احترفنَ حرفة التعليم بالاستمرار على مهنتهنَّ ثم اذا افلحت تنهاهنَّ عن تعليم الطبخ والنفخ

ولم يترك الناس نسج ملبوساتهم بايديهم الاَّ بعد ان ضمنوا لانفسهم مكسباً من جهة اخرى اوفر من اجرة النسج باليد فكم بالاولى لا يليق بهم ان يتركوا الطبخ قبل ان يضمنوا غيرهُ وماذا يضرُّ البنات لو تعلمنَ الطبخ والعجن ثم احترفنَ حرفةً أُخرى ألم تسمع حضرة الكاتبة عن سراة الاوربيين لا سيما العائلة المالكة في المانيا كيف انهم يحترفون حرفاً هم في غنًى عنها

وهل يليق ان تكون الخادمة في البيت عارفة باموره اكثر من سيدتها وهل تستطيع ربة البيت ان تصلح خطأ الخادمة وهي تجهل امور بيتها

ثم اني لا اوافق حضرة الكاتبة في جزمها ان التعليم في المدارس العالية خاص ببنات الاغنياء لان الاغنياء قلما يعلمون بناتهنَّ وكثيرات من بنات الفقراء المضطرات الى الطبخ والعجن تعلمنَ في المدارس العالية وتزوجنَ فاذا لم يكنَّ قد تعلمنَ الطبخ والعجن والغسل وباقي لوازم البيت في المدرسة فماذا كنَّ يعملنَ في بيوتهنَّ

ولا محل لما قالتهُ حضرة الكاتبة من امكان تعليم هذه الامور في البيت الاَّ اذا قصرت مدة التعليم فتحرم البنت من فوائد كثيرة وزد على ذلك ان تعليم تدبير المنزل الذي منهُ الطبخ والعجن لا بدَّ ان يكون مؤَسساً على اصول وقواعد قلَّ ان تجدها التلميذة في بيت امها التي هي في الغالب من الجاهلات

نعم نود كثيراً ان يصل البنات عندنا الى ما ذكرتهُ حضرة الكاتبة من احتراف المحاماة والطب والتجارة والصناعة وبالاخص التعليم ولكن لا يظهر ان الاستعداد لهذه الدرجة يكون بترك علم تدبير المنزل . ونعلم ان الحاجة ماسَّة الى معلمات ولكن علم الطبخ والنفخ لا يمنع السيدات من ان يكنَّ معلمات . ولا ترضى امرأَة عاقلة ان تترك مزاولة الطبخ والعجن قبل ان تحترف حرفةً تغنيها عنهما فكم بالحري لا ترضى ان تجهلهما قبل الحصول على غيرهما

المراغه سليمان ميخائيل

نصائح يجب اتباعها في غرفة المريض

(١) يجب ان لا يكون الضوءُ مقابلاً لوجه المريض لان الشعاع يؤْلمهُ

(٢) يجب ان تطهَّر الغرفة دواماً من جراثيم المرض وتوضع المواد المطهرة في آنية تحت سرير المريض وان يجدَّد هواؤُها مرتين في اليوم

(٣) يجب ان تحفظ حرارة الغرفة على درجة معتدلة وان يتخللها الهواءُ الجديد دائماً

(٤) يجب ان ينفض الفراش والوسائد من وقت الى آخر بشرط ان لا يقلق المريض

(٥) تجنب كل حركة قرب فراش المريض

(٦) الصحاف والكؤوس والملاعق التي يستعملها المريض يجب ان تكون على غاية النظافة لئلاَّ يشمئز منها

(٧) لا بدَّ من ان يغلى الماء قبلما يشربهُ المريض واذا كان كثير العطش يسقى الماء فاترًا

(٨) لا بدَّ من تحديد الاوقات التي يطعم فيها المريض ولا يعطى الطعام في غيرها

(٩) لا يقطع الامل من شفاء المريض ما دام فيهِ رمق على حد ما قال الشاعر

لا ييأسنَّ مريض من سلامتهِ ما دام في جسمهِ شيءٌ من الرمقِ

استراليا وديع ابو رزق



السيَّارات وحركاتها في شهر مارس ١٩٠١

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء حتى السابع من الشهر الساعة ٥ مساءً حينما يقطع اقترانهُ الاسفل ثم يصير نجم الصباح ويسرع الى غربي الشمس ويثبت في العشرين من الشهر الساعة ٥ صباحًا وقبل ذلك تكون حركتهُ متقهقرة ثم تصير مستقيمة . ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في اول الشهر الساعة ٥ مساءً وعقدتهُ النازلة في ٢٦ منهُ الساعة ٥ صباحًا ويقترن بالزهرة في ٣١ الشهر الساعة ٩ صباحًا

الزهرة

الزهرة نجم الصباح وهي مقتربة من الشمس وحركتها مستقيمة وتقطع نقطة الذنب في الخامس من الشهر الساعة ٨ مساءً وعرضها الشمسي الاعظم جنوبًا في الثامن والعشرين الساعة ٤ صباحًا وفي الخامس عشر من الشهر يستنير ٠٫٩٨ من قرصها

المريخ

المريخ نجم المساء ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ١١ والدقيقة ٤٣ مساءً وفي ٣١ منهُ

الساعة ٩ والدقيقة ١٢ مساء وحركتهُ متقهقرة

المشتري

المشتري نجم المساء ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٧ والدقيقة ٥٧ صباحاً وفي ٣١ منهُ الساعة ٦ والدقيقة ١٥ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

زحل

زحل نجم الصباح و يقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٨ والدقيقة ٣٢ صباحاً وفي ٣١ منهُ الساعة ٦ والدقيقة ٣٢ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

واورانوس في التربيع الغربي في ٨ الشهر الساعة ٤ صباحاً . ونبتون في التربيع الشرقي في ١٧ الشهر الساعة ٨ مساء

اقترانات القمر

يوم	ساعة					
في ٤	الظهر	يقترن بالمريخ فيقع على	٩°	٥٣َ	شماليةُ
« ١٥	١ صباحاً	« بالمشتري « «	٣°	٢٥َ	جنوبيةْ
« ١٥	١١ «	« بزحل « «	٣°	٢٦َ	«
« ١٩	٨ «	« بعطارد « «	٣°	٤٧َ	«
« ٢٠	١ «	« بالزهرة فتقع «	٦°	٣١َ	«
« ٣١	٥ «	« بالمريخ فيقع «	٨°	٦َ	شماليةُ

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
١٥	١٠	٤	صباحاً	البدر
١٣	٣	٦	مساء	الربع الاخير
٢٠	٢	٥٣	«	الهلال
٢٧	٦	٣٩	صباحاً	الربع الاول
٩	١		«	في الحضيض
٢١	١٢		مساء	في الاوج

باب التقريظ والانتقاد

طبائع الاستبداد

متى اشتدت العلّة على المريض واتضحت لم يتعذّر على الطبيب تشخيصها ووصف العلاج لها وكذا اذا اشتدّ داء الامم لم تتعذّر على الحكيم معرفتهُ والاشارة بالدواء الشافي لهُ . وغير خافٍ ما اعترى الامم الشرقية من الادواء التي افسدت عمرانها ونخرت عظامها حتى باتت الملايين منها خاضعة لبعض الاوربيين واشرف غيرها على الخضوع . وقد بحث كثيرون عن علة هذا الداء الدفين وفي جملتهم حكيم شرقي زار هذا القطر في الصيف الماضي ونشر في بعض الصحف ابحاثاً علمية سياسية في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد قال انهُ " غير قاصدٍ بها ظالماً بعينهِ ولا حكومة مخصَّصة وانما اراد بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين عسى يعرف الشرقيون انهم هم المتسببون لما هم فيهِ فلا يعتبون على الاغيار ولا على الاقدار وعسى الذين فيهم بقية رمقٍ من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات " ثم جمع تلك الابحاث في كتاب واضاف اليها بعض زيادات وجعلها هدية للناشئة العربية

وقد قدّم لهذه الابحاث مقدمة ذكر فيها مَن الَّف في فنون السياسة من الاقدمين ولم يذكر اليونانيين كافلاطون وزنوفون وارسطوطاليس مع ان لهم الباع الطولى فيها . واستطرد الى ذكر الكتَّاب المحدثين ودعاهم الى المسابقة في خير خدمة ينيرون بها افكار اخوانهم الشرقيين ولا سيما العرب منهم وهي البحث عن داء الشرق ودوائهِ . ولم يكلفهم عملاً لم يعملهُ هو فبحث ونقَّب وقال ان داء الشرق الاستبداد والاستعباد وبحث في طبيعة الاستبداد وتأثيرهِ في الدين والعلم والمجد والمال والاخلاق والترقي والتربية . وكيف يمكن التخلص منهُ

وقال في الكلام على هذا الموضوع الاخير . ان الاستبداد لا يقاوَم بالشدَّة انما يقاوَم بالحكمة والتدريج . والوسيلة الوحيدة لقطع دابرهِ هو ترقي الامة في الادراك والاحساس وهذا لا يتأتى الاَّ بالتعليم والتحميس. ثم قال انهُ يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ما يستبدل بهِ . ولا بد من تعيين المطلب تعييناً واضحاً موافقاً لرأي الكل او لرأي الاكثرية التي هي فوق الثلاثة ارباع عدداً او قوة بأس والاَّ فلا يتم الامر ولذلك يجب تعيين الغاية بصراحة واخلاص واشهارها بين الناس والسعي في اقناعهم واستحصال رضائهم بها . ويلي ذلك شرح مسهب . والكتاب كلهُ على هذا النسق والغاية منهُ ظاهرة لا تخفى على احد من قارئيهِ

رواية ثورة الهند

هي رواية تاريخية توصف فيها الفتنة التي ثارها الهنود على الانكليز سنة ١٨٥٧ ترجمها من الفارسية حضرة الميرزا يوسف خان المستوفي الاشتياقي ابن اعتصام دفتر والظاهر ان الاصل الفارسي مترجم من لغة اوربية . واسلوب الرواية حسن ووقائعها مفجعة وعربيتها تفتقر الى شيءٍ من التنقيح والتهذيب وهي مع ذلك فوق ما ينتظر من كاتب فارسي في هذا العصر الذي ضعف فيهِ شأن العربية حتى بين ابنائها

رواية صفاء الوداد

اصل هذه الرواية انكليزي واسمها بالانكليزية Which loved him best وهي مشهورة جداً وقد نقلها الى العربية احد سراة اللبنانيين ولم يذكر اسمهُ فيها اقتداء بمؤلفها الاصلي الذي اغفل ذكر اسمهِ . وقد فاز المترجم بافراغ الرواية في قالب عربي ودبَّج فصولها برقيق الاشعار حتى لولا عجمة اسمائها لظنها القارئ عربية الوضع . وحبذا لو رضي المترجم بتعريب بعض الكلمات الاوربية التي صارت اكثر شيوعاً مما ترجم بهِ مثال ذلك قولهُ في الصفحة ١١ "ضفرت كارمين شعرها ولبست ثوباً ناصعاً ووضعت في قبعتها زهرة" فان كلمة قبعة غير حسنة في هذا المكان تصرف الذهن الى كلمة قبوعة وعندنا ان كلمة برنيطة خير منها من كل وجه . وقولهُ في الصفحة ١٤ "يا انسة ارسل" فان الكلمة التي استعذبتها ارسل هي مس ارسل ولو كتبت هذه الرواية بالفرنسوية او اليونانية او الروسية لوضعت فيها "مس ارسل" لان كلمة مس هي المقصودة بالذات الأَ ان هذه الشوائب القليلة لا تغضُّ من قدر الترجمة ولا من اسلوب الرواية وحسن تنسيقها. ولما فتحناها لنرى موضوعها وعبارتها قبل تقريظها ولم نكن قد قرأناها بالانكليزية لم يسعنا بعد قراءة الفصل الاول منها الاَّ ان قرأنا الذي يليهِ ثم ما بعدهُ الى ان قرأناها كلها في جلسة واحدة فاذا هي تصف ما تمتاز بهِ المرأَة من الحب الصادق والغيرة الشديدة ابلغ وصف . وقد ابدع واضعها في اختراع حوادثها فجعلها كلها مما يمكن وقوعهُ كل يوم ولو كانت من اغرب الحوادث واشدها وقعاً في النفوس كما احسن المترجم في جعل عباراتها العربية سلسة قريبة المأخذ . وهي تباع في مكتبة المطبعة الادبية في بيروت لمديرها سليم بك صالح نصر

التساهل الديني

مضت السنون ونحن نرقب ما يكون من فعل الحضارة الاميركية باخواننا السوريين الذين

هاجروا الى تلك البلاد النائية واتّجروا فيها وعاشروا اهلها وتعلموا لغتهم . ونحن نسمع عنهم ما يسيء وما يسرّ ونقرأ من نفثات اقلامهم ما يعذب وما يمرّ ونتوقع دائمًا غلبة الخير على الشر والصلاح على الطلاح وبقاء الاصلح في عراك هذه الحياة ونودّ ان يوفقوا الى اصلاح داء دفين من ادواء المشرق وهو داء التحزُّب الديني الذي قسم المشارقة بعضهم على بعض فاضعفهم واضرَّهم الى ان وصلت الينا نسخة من هذه الخطبة فاذا بصاحبها الكريم امين افندي ريحاني عرف الداء والدواء ووصفهما على اسلوب بديع تصوّبهُ العقول وتطرب لهُ النفوس . وقد تليت هذه الخطبة في احتفال جمعية الشبان المارونيين في نيو يورك باميركا ولا بدَّ من ان يكون الحضور قد استحسنوا كل ما قالهُ الخطيب ووافقوهُ عليهِ . فان عملوا بهِ هم وسائر الجالية السورية وابلغوا صوتهم الى سواحل الشام وهضاب لبنان حتى تردَّد صداهُ من آكامهِ وقلوب سكانهِ فيكون لامين افندي ريحاني فضل على بلادهِ يذكرهُ لهُ ابناؤها على تمادي الايام

براءَة الانجيل من فساد التأْويل

لحضرة الارشمندريتي خريسطفورس جباره اهتمام شديد بالتوفيق بين اصحاب الاديان اليهودية والمسيحية والاسلامية وقد كتب في ذلك كتبًا ورسائل شتَّى وغايتهُ من احمد الغايات لان الاختلاف الديني من الاسباب الكثيرة التي اضعفت بلدان المشرق وهو يرى ان التوفيق بين اصحاب هذه الاديان ممكن وعندهُ ان السبيل الى ذلك فهم بعض الآيات في التوراة والانجيل والقرآن على غير ما يفهمها اصحابها فيزول ما بينهم من الخلاف ولو بقي كلٌّ على دينهِ . ولا شبهة في ان التوفيق بين الناس حسن جدًّا ولكننا لا نراهُ سهلاً كما يراهُ حضرة كاتب هذه الرسالة ولا نرى السبيل الذي طرقهُ مؤَديًا اليهِ

المجلة الصحية

تبحث هذه المجلة في المواضيع الصحية بنوع عام كالطب المنزلي والتدابير الصحية الخصوصية في حالتي الصحة والمرض . رئيس تحريرها حضرة الدكتور اديب زيات ومديرها حضرة الصيدلاني الشهير نجيب افندي غناجه وقد رأينا في الجزء الاول منها مقالات ونبذًا كثيرة مفيدة في التدخين والرضاعة والقشف وعلاجهِ وتنظيف الفم والاسنان والطب المنزلي وما اشبه وفوائدها كثيرة وعبارتها سهلة قريبة المأخذ فنثني على حضرة مديرها ومحررها ونتمنى لها النجاح التام

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) جون بول

المراغة . سليمان افندي ميخائيل . لماذا يطلق الناس على الانكليز اسم جون بول

ج سبب ذلك ان واحداً من علمائهم المشهورين بالهزل الَّف كتاباً سنة ١٧١٢ سماهُ "تاريخ جون بول" وَرَّى فيهِ عن اسم الملكة حنَّة ملكة الانكليز باسم مسز بول وعن كنيسة انكلترا باسم ام جون بول عن الامة الاسكتسية باسم بغ اخت جون بول فأُطلق اسم جون بول على الشعب الانكليزي كعلَم جنسي لهُ

(٢) امراض الوهم

ومنهُ . ما هي الامراض التي يشفيها الوهم بواسطة الدجالين

ج هي الامراض الوهمية والوظيفية اي الحاصلة عن خلل في وظيفة بعض الاعضاء مثل من يتوهم ان عنقهُ من الزجاج او انهُ مصاب بخفقان في قلبهِ ولا خفقان فيهِ او انهُ يرى امامهُ اشباحاً لا وجود لها في الخارج ومثل من يعجز عن المشي لاعتقال عصبي في رجليهِ ومن يعجز عن النطق لاعتقال عصبي في لسانهِ وليس بهما علَّة في بناء الاعصاب التي تحرك الرجلين ولا في بناء الاعصاب المتسلطة على اعضاء النطق . فان هذه الادواء وامثالها يمكن ان تزال بالوهم والتدجيل

(٣) نقل الم اللسع

ومنهُ . هل يسري حكم الشفاء الوهمي على نقل الم اللسعة من الملسوع الى غيرهِ فقد قرَّر لنا كثيرون انهم شاهدوا احد الناس ينقل الم لسعة العقرب من الملسوع الى من يريد من الناس بواسطة عزيمة يتلوها وايدوا قولهم بشهادة آخرين والجميع ثقة وكلهم قالوا رأَينا بعيوننا فلا يستطيع الانسان ان يكذبهم فكيف ذلك

ج اذا كان الامر مأْلوفاً او من نوع المأْلوف كفى لاثباتهِ شهادة شاهد واحد ولو كان كاذباً مثل ان يقول قائل رأيت زيداً استغلَّ ثمانية قناطير من القطن من فدان واحد . فان حصول هذا الامر مالوف او من نوع المأْلوف فيصدَّق ولو كان المخبر بهِ غير

صادق. واذا كان غير مألوف وبعيدًا عن المألوف ولكنهُ لا يناقض اختبار الناس بوجهٍ ما وجب لاثباتهِ شهود عدول معروفون بالصدق مثل ان يقول قائل رأيت زيدًا استغلّ عشرين قنطارًا من القطن من فدان واحد فلا يُصدَّق قولهُ الاَّ اذا كان ممَّن يوثق بهِ تمام الثقة او اذا ايَّد قولهُ اناس من الثقات. واذا كان غير مألوف ومناقضًا لاختبار الناس في كل العصور كأن يقول قائل زرعت تينة فاثمرت برتقالاً وركبت حمارًا فاستحال تحتي جملاً لم نصدقهُ ولو كان من اكبر الثقات ووافقهُ على قولهِ جمهور غفير من الثقات ايضًا بل قلنا انهم مخدوعون خدعهم مشعوذ او خُيل لهم او اصيبوا بخلل في عقولهم لان فرض هذه الفروض كلها اقرب الى الاحتمال من اثمار التينة برتقالاً وصيرورة الحمار جملاً. ومن هذا القبيل انتقال سم العقرب من شخص الى آخر بالعزائم فانهُ مخالف لاختبار الناس في كل العصور ومناقض لما يُعلم من نواميس المادَّة هذا اذا كان الملسوع والذي انتقل اليهِ الالم سليمي العقل مثل سائر الناس واما اذا كان عقلاهما مختلين فيحتمل ان ينقطع شعور الاول بالالم وسم العقرب في بدنهِ ويشعر الثاني بهِ ولا سمَّ فيهِ

(٤) انفاس السكان

ومنهُ. أصحيح ان انفاس السكان تقوي جدران المساكن فقد قلنا للذين ادَّعوا هذه الدعوى لعلَّ ذلك من اعتناء السكان بمساكنهم وتنظيفها وترميمها فقالوا كلاَّ فان انفاسهم تقويها ولو لم يعتنوا بها فكيف ذلك.

ج انتم المصيبون ولا ندري كيف يعتقد اهالي هذا القطر اعتقادًا مثل هذا وهم يرون الهياكل القديمة المهجورة ثابتة منذ الوف من الاعوام والبيوت التي سكنها هم وآباؤهم لا تقيم خمسين عامًا

---

(٥) الغاية من خلق الانسان

بيروت. احد تلامذة المدرسة الكلية الاميركية. ما هي غاية الله من خلقهِ الانسان

ج نتذكر اننا قرأنا منذ ثلاثين سنة او حواليها كتابًا للاسقف هوتلي المنطقي المشهور يقول فيهِ ان لا بدَّ لله من غاية في خلقهِ الانسان وان هذه الغاية لا تقلُّ عن ان يكرم الانسانُ الله ويعبدهُ. واتخذ ذلك قضية اولية وبنى عليها وجوب الوحي. وهذا رأي رجال الدين عمومًا اما رجال العلم اي العلم الطبيعي فيقول جمهورهم كما قال هكسلي لا ندري مقاصد الله ولكن نرى من تاريخ المخلوقات الحية العائشة على الارض والباقية آثارها فيها انها آخذة في الارتقاء رويدًا رويدًا كما ان نوع الانسان آخذ في الارتقاء ايضًا فكأنَّ الغاية من وجود المخلوقات ان ترتقي وتزيد ارتقاءً قرنًا بعد قرن ودورًا بعد

آخر . ولم يرَ العلم الطبيعي حتى الآن سبيلاً للاستدلال على ما يكون بعد ذلك . اما ما تشيرون اليهِ من الغلط المطبعي الذي يقع في المقتطف فسنزيد اهتماماً بمنعهِ

---

(٦) ماهية العقل

الشرابية بمصر. عبد العزيز افندي عزّت اللبودي. ما هو العقل

ج ماهية العقل غير معلومة والذي يُعلَم من امرهِ انهُ غير مادي اي ليس لهُ خواص المادة كالتحيز والثقل فلا يملأُ مكاناً محدوداً ولا يزن ثقلاً معلوماً ولا يُرَى ولا يُلمَس ولا يُشَم ولا يذاق ولا يتخطى بعضهُ بعضاً. وهو مع امتيازهِ التام عن المادة لا نعلمهُ منفصلاً عنها فالانسان الحي جسم وعقل معاً وكل افعال العقل متصلة بافعال المجموع العصبي. فالعقل غير المادة ولكننا نعرف المادة مجرَّدة من العقل ولا نعرف العقل مجرداً عن المادَّة

(٧) سبب اسوداد الزنوج

ومنهُ . قد علمنا ان آدم وحواء كان لون جسميهما ابيض فما هو السبب في سواد سكان السودان

ج كيف علمتم ان لون آدم وحواء كان ابيض وكيف يمكن لانسان ان يعلم شيئاً لم يقع تحت حواسهِ ولا حواس كل الذين اتصلت بهِ اخبارهم. ولكن يمكن وضع سؤالكم في قالب آخر وهو هل الناس كلهم من اصل واحد وان كانوا كذلك فلماذا بعضهم بيض الابدان وبعضهم سود الابدان . و يقال في الجواب عن القسم الاول من هذا السؤال ان المرجح عند اهل العلم الطبيعي ان الناس كلهم من اصل واحد لوجود مشابهة تامة في بناء اجسامهم لا ترى في حيوانين من نوعين مختلفين ولكن هذا الحكم مرجح فقط وغير محقق لانهُ يحتمل ان يكون الناس من اصول مختلفة اي ان يكون بعضهم نتج من ارتقاء حيوان في افريقية وبعضهم نتج من ارتقاء حيوان في اسيا. غير ان هذا لا يحلُّ ما سألتموهُ من جهة اختلاف اللون بل يبعد حدوثهُ درجة من درجات الارتقاء فعوضاً عن ان يكون اختلاف اللون حدث بعد ان صار الانسان انساناً يكون قد حدث قبل ذلك ولا بدَّ لهُ في الحالين من سبب . اما السبب فهو اختلاف فعل نور الشمس في البلدان الاستوائية عنهُ في البلدان البعيدة عنها و يتضح لكم ذلك من ان العرب الذين استوطنوا بلاد السودان منذ بضعة قرون صاروا سود الابدان مثل السودانيين

(٨) اسم السودان وسكانه

ومنهُ . من سمَّى السودان بهذا الاسم ومن اول من عمَّرهُ بعد الطوفان

ج ان السودان سميت كذلك بحذف المضاف وابقاء المضاف اليهِ اي ان اصل التسمية بلاد السودان سماها كذلك

جغرافيو العرب في القرون الوسطى . اما زمن الطوفان فلم يصل العلم حتى الآن الى تحديدهِ ولكن لا شبهة في ان الجنس الحامي سكن بلاد السودان قبل الجنس السامي وقبل زمن التاريخ والجنس السامي هو العرب الذين دخلوا بلاد السودان قليلاً قليلاً في العصور الغابرة ثم دخلوها كثيرًا بعد ما دخلت في حوزة المسلمين . والجنس الحامي والجنس السامي دخيلان في بلاد السودان وسكانها الزنوج الاصليون اقدم منهما كثيرًا ولا يعلم من اين اتوها

(٩) سبب الارق وعلاجهُ

مصر . احد المشتركين ما هي مسببات الارق وما علاجهُ

ج الارق عَرَض لامرض ومعالجتهُ تقتضي اولاً البحث عن سببهِ فاذا علم ازيل او عولج واذا لم يعلم عولج الارق نفسهُ بالمنومات والمسكنات اذا كان الدماغ متعبًا من كثرة الاشغال او كان المجموع العصبي مرتبكًا بالهموم او مضطربًا بامر يهيجهُ . ومما يحسن الاعتماد عليهِ استنشاق الهواء النقي قبل النوم والرياضة البدنية وشرب فنجان من اللبن السخن قبل النوم او من مرق اللحم السخن . اما معالجة المرض المسبب للارق فيعتمد فيها على الطبيب ولا يجوز شرب دواء الاَّ بامرهِ

(١٠) حبر الختم

المنصورة . بطرس افندي فرح . كيف يصنع الحبر الملون الذي يختم بهِ

ج اذا اضيف قليل من الجليسرين الى حبر الانيلين الاعتيادي صار صالحًا لأَن يختم بهِ . وهاكم وصفة حسنة اذيبوا ١٦ قمحة من الانيلين الازرق او البنفسجي او الاحمر في ثمانين قمحة من الماء الغالي المقطر واضيفوا الى المذوَّب سبع قمحات من الجليسرين وثلاث قمحات من الشراب (شراب السكَّر) وحرّكوا المزيج جيدًا قبل استعمالهِ

(١١) المخ والحرَف

امبابه . سليمان افندي عوض روى بعض نطس الاطباء ان المخ والمخيخ يتقلبان طبقًا لاحكام الحرف التي يتعاطاها الانسان فالمشغف بالشطرنج يلبس مخهُ ومخيخهُ حلَّة شطرنجية (اي مربعات) . واطباء الاسنان ثغرًا مفغورًا فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ والذي رواهُ ليس من نطس الاطباء بل من الدجالين

(١٢) نفع البيرة

ومنهُ . زعم عضو من مجلس البارلمان يناهز الثمانين وتلوح عليهِ سمة العافية ان طول العمر والقوى البدنية والعقلية تكتسب من الادمان على شرب البيره فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ ولو كان صحيحًا لكان اكثر

الذين يشربون البيرة طوال الاعمار او كان اكثر طوال الاعمار من شاربي البيرة . ولا علاقة بين شرب البيرا وطول العمر

(١٣) عمر الانسان

ومنهُ . هل عمر الانسان محدود او غير محدود .

نظن انكم تريدون هل اليوم الذي يموت فيهِ الانسان معين من قبل ولادتهِ حتى اذا قدّر لهُ ان يموت في اليوم الرابع من ولادتهِ مثلاً فلا يمكن لواسطة من الوسائط الطبية او غيرها ان تطيل عمرهُ ساعة عن ذلك واذا قدر لهُ ان يموت في آخر السنة الثانية من عمرهِ فلا يمكن لواسطة من الوسائط ان تطيل عمرهُ سنة اخرى او يوماً آخر فان كان هذا هو مرادكم فالجواب عليهِ ان علم البشر واختبارهم يثبتان ان العمر غير محدود ولذلك يتعلم الناس علم الطب ويفتشون عن اسباب الامراض والادوية التي تشفي منها ويقولون ان الله خلق لكل داء دواء وان الترس يقي من السهم والطعم يقي من الجدري والمصل يشفي من الدفتيريا وان الناس الذين يتقون اسباب المنايا يعمرون عمرًا طويلاً . ولكن اذا اردتم بكون عمر الانسان محدودًا انهُ لا يفوت ثمانين سنة الا نادرًا واندر من ذلك ان يفوت المئة او المئة والعشر فهو محدود في الانسان وفي غيرهِ من انواع الحيوان ويظهر بالاستقراء ان عمر الحيوان يبلغ خمسة اضعاف المدة التي يبلغ فيها الحيوان اشدهُ فالحيوان الذي يبلغ اشدهُ في سنة يعيش خمس سنوات والحيوان الذي يبلغ اشدهُ في اربع سنوات يعيش عشرين سنة . والحيوان الذي يبلغ اشدهُ في ١٥ سنة يعيش ٧٥ سنة هذا بوجه التقريب

---

(١٤) موت العقارب في قرية ادفا

سوهاج . الخواجه جبره تاوضوروس . في مديرية جرجا قرية اسمها ادفا أخذ اليها بعض الوجهاء عقربًا حية داخل زجاجة فما وصلت اليها حتى ماتت . وجرَّب كثيرون ذلك فكانت النتيجة كما ذكر . ويقال ان السر في ذلك اوراق قديمة مكتوبة مدفونة تحت عتبة كنيسة . وقد اخرجها اهالي البلدة قديمًا فانتشرت العقارب فيما بينهم فاعادوها الى مركزها سريعًا فامتنعت وماتت فما رأيكم في ذلك وهل لهذه الاوراق قوة على منع العقارب او لمنعها سبب آخر

ج يقال ان احد ملوك الانكليز دخل الجمعية العلمية الملكية مرةً وقال لاعضائها لماذا اذا وضعنا سمكة في عشرة ارطال من الماء لا يزيد ثقل الماء بمقدار ثقل السمكة ولو لم ينصب شيء منهُ . فاخذ العلماء يفرضون الاسباب لذلك ويشرحون ويفصلون واخيرًا قال واحد منهم هلمَّ نمتحن الامر فاخذوا اناء فيهِ ماء ثقلهُ خمسة ارطال مثلاً ووضعوا فيهِ عشرة ارطال من

الماء فصار ثقل الاناء والماء خمسة عشر رطلاً ثم وضعوا سمكة في الماء فصار ثقل الاناء والماء والسمكة ١٦ رطلاً وذهبت تعاليل العلماء وشروحهم ادراج الرياح. ولو جربتم نقل العقارب الى القرينة باناءٍ مكشوف حتى يدخل اليها الهواء لوجدتم انها تعيش فيهِ وان ماتت هناك فيكون لموتها سبب طبيعي كأن يأكلها حيوان يفترس العقارب او تبتلي بداءٍ مميت

(١٥) لغة اولاد نوح

امبابه. اسكندر افندي نبيه. ماهي اللغة التي كان يتكلم بها اولاد نوح قبل تبلبل الالسن

ج لا نعلم. لانهُ يتعذَّر رد اللغات المعروفة الى اصل واحد. والظاهر ان الناس تكلموا اولاً لغة قليلة الكلمات جدًّا ثم تدرجوا في ادراك المعاني ووضع الالفاظ مدة قرون كثيرة فضاع الاصل الاول كلهُ

باب الاخبار العلمية

النجم الجديد

ظهر نجم جديد في صورة فرساوس رُئي اولاً في الحادي والعشرين من فبراير وكان من القدر الثالث تقريباً ونورهُ ابيض الى الزرقة وفي الساعة السادسة والدقيقة ٥٨ من اليوم التالي بوقت غرنوتش الاوسط صار المع من الدبران وفي الساعة الثامنة صار لامعاً مثل الشعرى الغميصاء ومشابهاً لها لونًا. وفي ٢٣ فبراير الساعة ٨ والدقيقة ١٠ حتى صار المع من العيوق. وبقي المع من الدبران حتى الخامس والعشرين من الشهر والمع قليلاً من العيُّوق

وقد شاهد الاستاذ بكرنغ الاميركي هذا النجم في ١٩ فبراير فكان نورهُ اضعف من نور نجم من القدر الحادي عشر فصار في ٢٢ منهُ المع من العيُّوق اي زاد اشراقهُ عشرة آلاف ضعف في اربعة ايام. وهو المع نجم جديد رآهُ الناس منذ سنة ١٦٠٤. ومن اليوم الخامس والعشرين فما بعد اخذ نورهُ يضعف وصار في السابع والعشرين من الشهر بين القدر الاوَّل والثاني وصار لونهُ ضارباً الى الحمرة بعد ان كان ضارباً الى الزرقة عند اول اكتشافهِ

اقدم الآثار المصرية

ادرجنا في اوائل هذا الجزء وصف الآثار القديمة التي كُشفت في جزيرة كريت وهي آثار القصر الذي كان يسكنهُ الملك مينوس سانّ الشرائع اليونانية القديمة والكهف الذي ادَّعى ان معبودهم المشتري سلَّمها لهُ فيهِ.

وقد بلغنا حينئذٍ انهُ كشفت آثار اقدم منها العرابة المدفونة بصعيد مصر ووصفها لنا الذين رأوها مرأى العين من السيَّاح وهي آثار مينا الملك الاول من الملوك المصريين وبعض الملوك الذين تلوهُ فآثرنا تأخير ذكرها الى ان نطَّلع على وصفها باقلام مكتشفيها وتمَّ لنا ذلك قبل صدور هذا الجزء فاطَّلعنا على وصفها بقلم الاستاذ بتري المكتشف الشهير فنقلنا منهُ ما يلي من رسالة بعث بها الى جريدة التيمس

ان الآثار المشار اليها تمتد مدة اربع مئة سنة من حين شرع سكان هذا القطر في الكتابة الهيروغليفية وكانت على غاية البساطة والسذاجة الى ان اتقنوها تمام الاتقان. ويظهر من هذه الآثار انهم كانوا قد اتقنوا ايضاً فن الصياغة والترصيع ونقش العاج وذلك منذ اكثر من ٦٥٠٠ سنة

والآثار الدالة على الملك مينا وسلفائهِ التي وُجدت من دسمبر الماضي الى اوائل شهر مارس فيها ثلاثون كتابة ورسماً على الحجر والعاج وفيها اسماء ثلاثة ملوك وهم نرمر وكا واسم ملك آخر في اسمهِ رسم سمكة وفيها اسمان آخران وهما دت وسام يحتمل انهما اسما ملكين. ووجد من المصنوعات التي صنعت في عهد الملك مينا قطع من اربعة صفائح من العاج عليها صور وكتابات وعلى واحدة منها صورة ضحية بشرية ومعها قطعة كبيرة من الذهب عليها اسم الملك مينا نفسهِ

ومن اغرب الآثار التي وجدت ذراع زوجة الملك زر خليفة مينا ولم تزل بلفائفها والظاهر ان واحداً من ناهبي قبرها قطعها واخفاها عن رفاقهِ في حفرة لكي يعود اليها ثم لم يعُد وعليها اربعة اساور في احدها اشكال رأس الصقر الملكي منظومة معاً وهي ١٣ رأساً من الذهب بينها ١٤ رأساً من الفيروز. والاسوار الثاني خرز لولبي من الذهب واللازورد والثالث خرز مخصور من الجمشت والذهب على التوالي وعروتهُ من الذهب والفيروز. والرابع في وسطهِ قطعة كبيرة من الذهب في شكل زهرة وعلى جانبيها خرز من الجمشت والفيروز يحيط بها جدائل من خيوط الذهب. ويستدلُّ من هذه الاساور على ان صناعة الصياغة كانت بالغة مبلغاً عظيماً من الاتقان في عهد الدولة الاولى من الدول المصرية وهي اقدم من التي وجدت في دهشور بالفي سنة وكانت تلك اقدم ما وجد من نوعها حتى الآن. وقد دخل ناهبو القبور هذا القبر اربع مرات بعد ان خُبئت هذه الذراع فيهِ فلم يعثروا عليها

ووجد اربعون قطعة مكتوبة من العاج والحجر من عهد هذا الملك واسنان من العاج ووجد ناووسهُ مكسراً فضمت قطعهُ بعضها الى بعض

ووجد اثنتا عشرة قطعة عاج من عهد الملك دن وشو الخامس من الدولة الاولى

وبينها مقبض مطار (خيط البنَّاء) . ووجد ايضاً رسمهُ وهو يصارع فرساً من افراس النهر ويطعن برمحهِ تمساحاً . وعشرون قبراً من عهدهِ ووجد فيها كثير من القسي والسهام

ووجد لحد الملك برابسن من ملوك الدولة الثانية وهو من المرمر الذي يجلب من جبل سينا وقبر خليفتهِ خاسخموي وفيهِ صولجان من العقيق الاحمر بين قطعهِ خواتم من الذهب طولهُ سبعون سنتمتراً لكن طرفهُ الاسفل مفقود فقد كان اطول من ذلك . ووجد ايضاً سبعة آنية من الحجر اغطيتها من الذهب واسواران من الذهب وعشرون اناءٍ من النحاس وآنية كثيرة من البرنز وفؤوس وسكاكين من النحاس واناءٍ من المرمر

هذا ما خلفهُ اللصوص الذين نهبوا هذه المدافن مراراً قديماً وحديثاً ولا يعلم الاَّ الله ما كان فيها من التحف والكنوز

وقد وعد الاستاذ بتري بعرض كثير من هذه التحف في لندن ولا ندري كيف جاز لهُ ان يأخذها من هذا القطر وهي وحيدة في نوعها

الاستاذ اليشع غراي

لا يأتي فصل الشتاء حتى يمدَّ ملاك الموت منجلهُ لحصد الشيوخ فيأخذ كبار العلماء كما يأخذ عامة الناس . ومن الذين قضى عليهم في اواخر يناير الماضي الاستاذ اليشع غراي الاميركي صاحب المكتشفات الكثيرة في الكهربائية . ولد سنة ١٨٣٥ وتعلَّم النجارة عند نجار وكان يغتنم دقائق الفراغ ويدرس فيها العلوم الطبيعية ولما صار عمرهُ ٢١ سنة مضى الى مدرسة اوبرلن الكلية ولما اتمَّ دروسهُ جُعل استاذاً فيها . واهتمَّ بالآلات الكهربائية فاخترع مخترعات كثيرة في التلغراف والتلفون اشهرها التلغراف الذي تنقل بهِ الكتابة من مكان الي آخر بصورتها . ولما حضرتهُ الوفاة كان يمتحن اسلوباً جديداً لنقل الانباء تحت الماء بالاجراس الكهربائية فبرد ومرض ومات

واشهر ما يذكر بهِ اسمهُ اختراع التلفون فانهُ اودع دار الامتياز الاميركية رسم تلفونهِ في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٦ وبعد ساعات قليلة جاء المخترع بل واودع تلك الدار رسم تلفون آخر ثم اتقن بل تليفونهُ قبل غراي فحُكم لهُ بالاسبقية وفُصل الخلاف بينهما بان أُنشئت شركة للتلفون اشترت حق الامتياز من الاثنين . ويقال ان احد المستخدمين في دار الامتياز افشى سر غراي لبل وصدَّق غراي هذا القول سواء كان صادقاً او غير صادق فتنغَّص بهِ عيشهُ . واعترفت الحكومة الفرنسوية بفضلهِ فاعطتهُ نشان لجون دونر ورأس مؤتمر الكهربائيين في معرض شيكاغو العام . ولهُ كتاب بسيط في الكهربائية . وكانت وفاتهُ في الحادي والعشرين من شهر يناير الماضي

الاستاذ بتنكفر

الجاني على هذا الاستاذ الكبير ليس برد الشتاء كالاستاذ غراي بل ضيق النفس من شدة الالم . وهو شيخ علماء الصحيين في المانيا ولد سنة ١٨١٨ وبهِ اشتهرت مدرسة مونخ التي كان استاذاً فيها ولهُ الراي المنسوب اليهِ في اصل الامراض الوبائية كالكوليرا ونحوها ولهُ رسائل كثيرة في المواضيع الصحية منها عشرون رسالة في الكوليرا اشهرها الرسالة التي شرح فيها رأيهُ المشهور وهو ان انتشار الكوليرا والتيفويد يتوقف على الماء الذي تحت وجه الارض فاذا هبط سطح هذا الماء انتشر هذان الوباءان . ورأيهُ هذا غير صحيح كما لا يخفى ولكنهُ افاد كثيراً في اصلاح ماء الشرب واتقاء الكوليرا والتيفويد حتى صارت مدينة مونخ وما جاورها من اصلح المدن بعد ان كانت من افسدها هواء واكثرها امراضاً وحسنت الصحة في كثيرين من العواصم الاوربية باصلاح مائها

وكتب ايضاً في اصلاح الكنف والتدابير الصحية اللازمة للسفن ونسبة الهواء الى الملابس والمساكن والارض . وكان يهتم بالمباحث الكيماوية المتعلقة بحفظ الصحة ولهُ الاسلوب المنسوب اليهِ لمعرفة مقدار الحامض الكربونيك في الهواء

اصيب بداء عياء في اخريات ايامهِ ولما رأى ان حيل الاطباء نفدت ولا امل بتخفيف آلامهِ ولا يرجى منهُ نفع بعد ذلك لنوع الانسان صرم حبل حياتهِ برصاصة اراحتهُ من هذا الالم في العاشر من شهر فبراير

خسارة لا تعوَّض

شبَّت النار في دار الباثولوجية بمدينة برلين فاحرقت مجموعة الاستاذ وركو وهي اثمن المجموعات الباثولوجية والانثربولوجية

جيولوجية وادي النيل

نشر المستر بدنل من قلم المساحة الجيولوجية وصفاً موجزاً لجيولوجية وادي النيل ارتأى فيهِ ان وادي النيل تكوَّن في عصر الپليوسين الاسفل بخسوف الارض ثم رسبت الرواسب فيهِ في عصر البليوسين وارتفع فارتدَّ البحر عنهُ وصار حلقة من البحيرات العذبة . وفي عصر البلستوسين جرى النيل في هذه البحيرات وخدَّ طريقهُ فيها الى البحر بعد ان خرق الرواسب التي رسبت منهُ فيها

نشان لافوازيه

قتل الفرنسويون لافوازيه في ثورتهم ثم كفَّروا عن ذنبهم بان اقاموا لهُ في العام الماضي تمثالاً من اعظم التماثيل التي اقيمت لاحد من رجال العلم وهم ينوون الآن ان يصنعوا نشاناً باسمهِ يهدونهُ سنة بعد سنة الى الذين يفوقون غيرهم في المكتشفات الكيماوية

التلغراف الاثيري

نجح الاستاذ مركوني في ارسال الانباء البرقية بتلغرافهِ الاثيري مسافة مئتي ميل وكانت انباؤهُ تسير ذهابًا وايابًا في وقت واحد من غير ان يعترض بعضها بعضًا . ويقال ان الاستاذ نقولا تسلا يحاول الآن ارسال هذه الانباء بين اوربا واميركا بواسطة الالة التي استنبطها لاسراع التموجات الكهربائية

هبات علمية اميركية

"وهب المسترجون ارتشبلد مدرسة سيراقس الجامعة ٤٠٠ الف ريال مشترطًا ان يهبها غيره مقدار ذلك . ووهب المستر كارنجي مدرسة ايوى العليا الجامعة ٢٢٥ الف ريال لانشاء مكتبة فيها . ومدرسة اورورا الكلية ٥٠ الف ريال

معرض الصور

كتب الينا حضرة المصوّر البارع سليم افندي حداد يصف معرض الصور الحادي عشر الذي فتح في هذه العاصمة في الرابع عشر من شهر فبراير الماضي قال

"امتاز هذا المعرض عما سواهُ من المعارض في امر واحد يجدر التنبيه اليهِ وهو ليس زيادة الاتقان او التحسين في الصور المعروضة كما قد يتبادر الى الذهن فان الخواجات رالي وكلي وفيليبوتو وروسي وفورشلا وكوسلر وروجرس باشا وبولاد الذين اعتادوا ان يعرضوا صورهم لم يعرضوا شيئًا احسن مما كانوا يعرضونهُ قبلاً فان صورهم لا تزال على حالها بل وجه الامتياز في زيادة عدد العارضين . وهنا اذكر اخص هؤُلاء المستجدين فمنهم لافورن صاحب الصور الثلاث الكبيرة واحسنها صورة اخيهِ الموضوعة تجاه الباب تمامًا فهي احسن صور الاشخاص بل الوحيدة المتقنة بينها. ثم جاسته وصورهُ شرقية وقد اجاد جدًّا في صورة المغاربة وقت صلاة الغروب فان الوانها على غاية التناسب وسماءها نيرة تمثل غروب الشمس والوان الابنية والاشخاص باردة ومغشاة بالنور الرمادي الضعيف الذي يظهر بعد غروب الشمس في يوم صافي الاديم رطب الهواء وهي من اجمل صور المعرض ويكاد الناظر اليها يخال نفسهُ متمتعًا بمنظر الحقيقة لا الخيال و يشعر بتأثير الهواء وسكون الطبيعة في مثل تلك الساعة من النهار . ومنهم المستر بروكبانك ولهُ منظران متقنان ولا سيما في ما يتعلق بتأثير الهواء والوان الابعاد . والسنيور منيلا وصورهُ تخيلية رسم فيها النوق في الصحراء وابا الهول . والسنيور توسكاني والمسيو جالينه والمستر موريصن ولهُ رسمان متقنان والمسيو ميشاله وصورهُ فريدة في بابها وقد اظهر فيها تأثير النور الاحمر وانعكاس الالوان على الاشخاص ولهُ صورة صغيرة متقنة لاحد اصدقائهِ

ومما يوجب السرور زيادة عدد السيدات

المصورات واخص بالذكر منهن مدام فورونوف فانها اجادت في تصوير الفاكهة ومدام دي بروك وتصويرها الازهار اكثر اتقاناً للصنعة من تصويرها الاشخاص ومدامواز يل بوسكوفيتز ومدامواز يل ايرام ومدام ويلد ومس وود

هذا ما بدا لي ان اورده عن معرض هذه السنة وعسى ان يكون المعرض القادم اوسع نطاقاً واكثر اتقاناً في صوره وان يلقى من الجمهور ولا سيما مستوطني هذا القطر اقبالاً وتنشيطاً فان هذا الفن الجميل يرتقي بزيادة الملاحظة والانتقاد واقبال الناس عليهِ ومعرفتهم قيمتهُ في تزيين البيوت وترقية الذوق "

ونزيد على ذلك ان حضرة الكاتب عرض صورة صغيرة زيتية رسم فيها منظراً مصرياً مما يشاهد كل يوم في مدن هذا القطر رجالاً ونساءً واولاداً سائرين في شارع كأنهم استبضعوا من مدينة وهم عائدون الى بيوتهم فالبسهم لباس الفلاحين ورسم على وجوههم سيماء السعي والاهتمام حتى يخيل لمن ينظر اليهم انهُ يسمعهم يتكلمون ويراهم يجدُّون في سيرهم مخافة ان يفوتهم القطار او يمسي عليهم المساء قبلما يصلون الى بيوتهم. وقد بيعت هذه الصورة حالما عرضت . وعسى ان نرى من قلمهِ صوراً كثيرة من نوعها في المعرض التالي

وصور كسلر والي تخالف صور جاسته فان صورها تكاد تكون فوتوغرافية ملونة لدقتها ونعومتها وصورهُ خشنة كأنها مصنوعة بالطين لا بالدهان لكن اذا ابعد عنها الرائي ظهر لهُ انها تفوق صورها تخيُّلاً وجمالاً وانطباقاً على الحقيقة ويقال ان صورهُ بيعت كلها قبلما عرضت

نيازك نوفمبر

كتب مدير مرصد تورنتو بكندا انهُ شاهد وقوع النيازك في ١٥ نوفمبر الماضي وكانت كثيرة جدًّا حتى امتلأ بها الجو وشاهدها في الليلة التالية ايضاً وبقيت تتساقط الى الصباح وذُعر الناس منها وظنوا انهُ دنا انقضاء العالم

سكان المانيا

ظهر بالاحصاء الاخير الذي تمَّ في شهر دسمبر الماضي ان سكان المانيا كانوا ٥٢٢٧٩٩٠١ سنة ١٨٩٥ فبلغوا ٥٦٤٥٠١٤ سنة ١٩٠٠ . والذكور منهم ٢٧٧٣١٠٦٧ والاناث ٢٨٦١٣٩٤٧. وفي بروسيا وحدها اكثر من ٣٤مليوناً وفي بافاريا ٦ ملايين . وفي مدينة برلين ١٨٨٤١٥١

ربح بعض المخترعات

جاء في مجلَّة العصر الاميركية ان مخترع المثقب اللولبي ربح من اختراعهِ اكثر من مليون ريال وكان قبل ذلك فقيراً جدًّا حتى اضطرَّ ان يسير من فيلادلفيا الى وشنطون ماشياً على قدميهِ . ومخترع قطعة النحاس التي توضع على رأس احذية الاولاد ربح من

اختراعهِ مليوني ريال . ومخترع الآلة التي تلفُّ بها الستائر فوق الشبابيك يربح مئة الف ريال من اختراعهِ في السنة . ومخترع الاداة الصغيرة التي تعين على ادخال الخيط في سم الابرة يربح عشرة آلاف ريال في السنة ومخترع القلم الذي حبرهُ فيهِ يربح منهُ مئة الف ريال في السنة

نياشين المعرض

بلغ عدد النياشين الذهبية والفضية التي منحت للعارضين في معرض باريس مبلغاً عظيماً جدًّا حتى رأت الحكومة الفرنسوية ان تبدلها بنياشين من النحاس ولا تعطي نيشان الذهب او الفضة لمستحقهِ الاَّ اذا دفع ثمن معدنهِ

آلة جديدة للطيران

صنع رجل اسكتلندي اسمهُ دافدصن آلة للطيران لها جناحان وذنب مثل الطائر وفي طرف الجناحين لوالب كاللوالب التي تدفع الماء في السفن البخارية . وهذه الآلة تصعد في الهواء وتسير فيهِ على الاسلوب الذي يطير بهِ الطائر تماماً لانهُ يصعد في الهواء بتصفيق جناحيهِ ويسير فيهِ بالزلق عليها صعوداً او نزولاً . فاذا دارت اللوالب التي في طرفي الجناحين رفعت آلة الطيران الى الاعلى لكن ميل جناحيها يجعلها تزلق زلقاً وتسير في سطح متوسط بين الاعلى والامام . وقد عزم المخترع ان يصنع آلة ثقلها عشرة اطنان و يكون طولها ٦٠ قدماً وعرضها من طرف الجناح الواحد الى طرف الجناح الآخر ١٢٠ قدماً ويكون في قلبها آلة بخارية ومكان لخمسين راكباً فتطير بهم كما يطير الطائر تماماً وتنزل حيث يشاؤُون

اكبر آبار البترول

ثبت الآن ان البترول الخارج من البئر الاميركية التي ذكرناها في الجزء الماضي لا يصلح للانارة لكنهُ يصلح وقوداً . والمظنون الآن ان الوقود في القرن العشرين سيكون اكثرهُ من زيت البترول

خسارة المعرض

لم تزد خسارة معرض باريس على ثمانين الف جنيه فقد كان دخلهُ ٤٥٨٠٠٠٠ ونفقاتهُ ٤٦٦٠٠٠٠ جنيه لكن الشركات الخصوصية خسرت بهِ خسارة كبيرة

اقدم موميا مصرية

وجد في القطر المصري موميا رجل طولهُ ٥ اقدام و ٩ عقد وعلى رأسهِ شعر اشقر وهو بارز الصدغين صغير الراحتين والقدمين دلالة على انهُ من جنس مرتقٍ جدًّا . ومن رأي العلماء الذين رأوهُ انهُ من سكان مصر الاولين الذين تغلَّب عليهم الدخلاء من اسيا قبل المسيح بنحو ثمانية آلاف سنة وامتزجوا بهم فصار منهم الجنس المصري . وجد هذا الرجل مدفوناً في صخر رملي وحولهُ قطع الظران والخزف ونُقل الى المتحف البريطاني في مدينة لندن

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٢ ذي الحجة سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

الفصل السادس عشر في مصالح الجمهور

اشرت في الفصل السابق الى علل العمران التي يحاول فضلاء الاوربيين مداواتها . وقد انشأ مديرو المعرض قصرًا فخماً لذلك ليجتمع فيهِ علماء الارض ويعرضوا ما استعملوهُ من الوسائل لمداواة علل العمران ونفع الجمهور — لحفظ الاطفال واشراك العمال في ربح اصحاب الاعمال وتأليف الشركات الصناعية والزراعية ومد يد المعونة الى الفلاحين ووقاية العمَّال من مضارّ المعامل وبناء البيوت الصحية لهم وتعليمهم وتعليم اولادهم واعداد ما يلزم لهم من التدابير الصحية ونحو ذلك مما يتصل بهذه المواضيع

وعرضت الدول المختلفة ومجالسها البلدية شرح الوسائل التي تستخدمها في هذه السبل وخرائط كثيرة واحصاءات عديدة وكتباً شتى وجرائد وسجلات يظهر منها مقدار ما تمَّ لها من النجاح وما لا تزال مفتقرة اليهِ

وقد زرت هذا القصر قبلما زرت اكثر مباني المعرض وزرتهُ ثانية بعد ان شاهدتُ اكثرها وخرجت منهُ كاسف البال لان كل ما رأيتهُ في القصور الاخرى من نتائج الصناعة والزراعة يمكن ان يقلَّد او يشترى بالمال واما ما فيهِ من الوسائل والاساليب فلا يشترى وقلَّما ينفع فيهِ التقليد والتمثيل. فاذا لم نستطع ان نصنع آلة بخارية مثل الآلات التي صنعها الفرنسويّون او الاميركيون او الالمان والبلجيون او غيرهم لم يتعذر علينا ان نشتري منهم واحدة منها. واذا تعذَّر علينا ان نصنع نظارة فلكية مثل النظارات الفرنسوية او الالمانية لم يتعذَّر علينا ان نبتاع واحدة منها . ولا يتعذر علينا ان نجلب مطبعة من المطابع التي تطبع خمسين الف نسخة في

الساعة ونشتري انفس الكتب ونطالعها ونتعلم ما فيها كما يتعلمهُ الاوربيون والاميركيون . ولكن اذا اتينا الى الوسائل التي تستعملها الحكومات والمجالس البلدية والجمعيات العلمية والادبية لترقية الامة وحفظ عمرانها ونزع شرور الفساد منهُ وقفنا امام "علق كريم لا يباع ولا يعار" امام نظام محكم الحلق ينتظم فيهِ أُلوف من كبار العقول اهل الحنكة والدراية والعفة والتفاني في خدمة الامة . نظام لا نستطيع نقلهُ الى بلادنا ولا النسج على منوالهِ ما لم تصر حكومتنا مثل حكوماتهم ورجالنا مثل رجالهم وهمتنا مثل همتهم . وهذا شأوٌ لا ندركهُ الاَّ بعد سنوات كثيرة ولو سعينا اليهِ سعياً حثيثاً وهو الفارق الاكبر بين المدنية الاوربية الحاضرة وبين مدنية العرب والروم واليونان والمصريين والاشوريين فان تاريخ تلك الامم يكاد يكون تاريخ ملوكها وامرائها وحروبها وغزواتها اما مصالح الجمهور فكانت مهملة متروكة الى احوال المكان وغيَر الزمان اذا افلح الملوك في الغزو والنهب كثر رزق الرعية وانغمست في الترف.واذا اجدبت الارض وقلت الخيرات ماتت الرعية جوعاً واذا دخل البلاد وباء انتشر فيها انتشار النار في الهشيم فيموت بهِ ربع السكان او ثلثهم او نصفهم ولذلك كان يمرُّ القرن بعد القرن ولا يزيد عدد الامة بل قد ينقص . اعتبرْ ذلك بسكان هذا القطر فانهم كانوا وقت الفتح نحو ثمانية ملايين من النفوس ومرَّ عليهم الف ومئتا سنة لم يزيدوا فيها بل نقصوا رويداً رويداً الى ان بلغوا مليونين من النفوس في اوائل القرن الماضي ثم لما صلحت امورهم في هذه السنين الاخيرة صارت زيادتهم السنوية نحو ثلاثة في المئة وصار الوباء الجارف اذا دخل قطرهم لا يستطيع ان يفتك بمئة من سكانهِ ولو بقي فيهِ شهوراً كثيرة

لكن ما نراهُ من الاصلاح في احوال هذا القطر مستعارٌ اكثرهُ والقائمون بهِ من غير اهلهِ في الغالب ولا يتيسر الآن لاهلهِ ولا لغيرهم من اهل المشرق ان يستنبطوا الاساليب التي استنبطها الاوربيون لمداواة ادواء الحضارة ولا ان يحسنوا استعمالها لو اقتبسوها من غيرهم وليس من مصلحتهم ان يكونوا معتمدين على الاوربيين القائمين بها

وفي هذا القصر بهو كبير اجتمع فيهِ نوَّاب الجمعيات العلمية المختلفة وبحثوا في كل موضوع من مواضيع العلوم والفنون والمعارف على انواعها كأنهُ معرض عرضوا فيهِ ثمار العقول وبنات الافكار لكي يستفيد كل احد منهم مما اكتشفهُ غيرهُ او استنبطهُ او وقف عليهِ . ولا ندري كيف وسع الوقت المؤتمرات العديدة التي اجتمعت فيهِ ولا تيسر لنا حضور اجتماع من اجتماعاتها لاننا وصلنا باريس بعد انفضاض اكثرها ولكننا لقينا كثيرين من اعضائها في ليلة حافلة احياها البرنس رولند نبوليون وهم من اكبر علماء اوربا واميركا و بعض علماء الهند وكثيرات من شهيرات النساء و بعضهم متطرّف

في آرائهِ شأن كثيرين من الذين يبحثون في موضوع واحد و يطيلون النظر فيهِ ولكن اكثرهم من جلّة علماء الارض ولذلك لا يستغرب اجتناء الفوائد الجلى من مجتمعاتهم

الفصل السابع عشر في الاستعمار والمستعمرات

انكلترا اوسع الدول مستعمرات وانجحها استعماراً فان مساحة مستعمراتها والممالك الخاضعة لها نحو احد عشر مليون ميل مربع وعدد سكانها اكثر من ٣٥ مليونًا من النفوس وتتلوها فرنسا فقد بلغت مساحة مستعمراتها الآن ثلاثة ملايين ومئتي الف ميل مربع اي ما يقارب مساحة اوربا كلها وعدد سكانها خمسون مليونًا ثم هولندا ومساحة مستعمراتها نحو ٧٥٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ٣٣ مليونًا وتأتي بعدهنّ المانيا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية

وقد تبارت هذه الدول في عرض ما في مستعمراتها من الثروة الطبيعية والاعمال الصناعية كأن الشركات التي انفقت على معارضها غرضها الاول ترغيب الناس في ابتياع اسهمها سواء كانت زراعية او صناعية او تجارية وغرض رجال الحكومة الذين عرضوا المعروضات " الرسمية " ان يقنعوا ابناء بلدانهم انهم قاموا بما يُطلَب منهم ولم يأخذوا اجورهم سدًى . ومهما يكن من هذه الاغراض فلا شبهة في ان المعروضات الرسمية التي ابانت بها هذه الدول عن حال مستعمراتها تشهد لها انها مهتمة شديد الاهتمام بنشر اساليب الحضارة ومساعدة رعاياها على استثمار خيرات الارض ومساعدة اهالي المستعمرات انفسهم على ما يصلح حالهم و يخفف عليهم مشاق الحياة واطلاق يد العلماء في البحث والتنقيب عن المتحجرات والعاديات والجماد والنبات والحيوان والعادات والاخلاق وغير ذلك مما لا يخلو البحث فيهِ من فائدة علمية

والقول الشائع ان فرنسا غير مفلحة في مستعمراتها ولكنها ابانت في ما عرضتهُ في هذا الفصل ان الفلاح قرين اعمالها في كل مستعمراتها حتى جزيرة مدغسكر احدثهنّ استعماراً فانها بنت لها بناءً كبيرًا خارج التروكادرو على نسق قصور الملوك الوطنيين في مدغسكر وبنت حولهُ اكواخًا كثيرة اسكنت فيها اناسًا من المدغسكريين انفسهم حتى تظهر كيفية معيشتهم في بلادهم وعرضت في هذا القصر ما لا يحيط بهِ وصف مما يستدل بهِ على غنى تلك الجزيرة ووفرة خيراتها وانواع تربتها وتاريخ اهلها وعاداتهم واخلاقهم فترى فيهِ ثياب ملوكها وملكاتها وحلاهم وتيجانهم وآنيتهم الذهبية والفضية . ولا يُعلَم كم من هذه الاشياء صنعهُ اهالي مدغسكر انفسهم وكم منها صنعهُ الاوربيون المستوطنون عندهم او جلبوهُ لهم من اوربا وباعوهم اياهُ باستقلالهم لكن يظهر من انواع الاسلحة المعروضة ان بعضها من عمل اهالي مدغسكر وانهم كانوا على شيءٍ من الصناعة قبل ان امتلكت فرنسا بلادهم او دخلها الاوربيون ويؤيد ذلك اصنام

الخشب المعروضة فان بعضها حسن عليهِ لمحة من الاتقان ولو كان اكثرها في منتهى الشناعة

ويظهر اهتمام الفرنسويين الشديد بهذه الجزيرة من بحث علمائهم في كل ما يتعلق بتاريخها الطبيعي فترى هناك امثلة كثيرة من حيواناتها ولاسيما قرودها الكثيرة والسلاحف الكبيرة التي كانت عائشة فيها وانقرضت منها الآن والكركدن الصغير الذي انقرض منها ايضًا والطائر المسمى ابيورنس الذي كان معاصرًا للانسان ثم انقرض منها وقد عُرضت بيضة كبيرة من بيضهِ قطرها الاطول نحو ٣٥ سنتمترًا . والحشرات على انواعها والاصداف والاسماك والعشاش المنسوجة نسجًا ومصنوعات الاهالي واساليب انتقالهم في المحفات وعلى الثيران . والمنسوجات الحريرية والقطنية وهي كثيرة الانواع تضاهي المنسوجات الاوربية في اختلاف اشكالها وتنوُّع ألوانها . بينها منسوجات حرير العناكب وقد عُرضت هذه العناكب وحريرها وهو اصفر ذهبي لامع ومنسوجاتهُ متينة وغطاء السرير المعروض هناك لم يُنسج من حريرها على ما شاع بل من حرير دودة اكبر من دود الحرير العادي عرضت هناك ايضًا . والظاهر ان اكثر هذه المصنوعات صنعها الاوربيون النازلون في الجزيرة ولم يكن سكانها الأ صناعًا عندهم . وعُرضت ايضًا حاصلات البلاد من الكاوتشوك والبن (وبعض انواعهِ كبير الحب كالفول) والصمغ العربي والكوبال والشمع والخشب والجلد والبطاطس وثمر شجر الخبز وهو كبير خشن اخضر اللون . والمنجو والرمان والصبر والشاي والزعفران والقرفة والفانلاَّ والكاكو والفول السوداني والارز والقمح والذرة والصبر والاناناس والموز والليمون

والظاهر ان الذهب كثير في تلك الجزيرة فقد أُستخرج منهُ من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٩ ما تزيد قيمتهُ على خمسة ملايين من الفرنكات

وقد اشرت قبلاً الى مناظر مدغسكر التي عرضت في هذا البناء وهي صور كبيرة تظهر فيها تلك البلاد بحورها وبرورها وسهولها وحزونها وجبالها ووهادها ومدنها وقراها ومواقع الحرب التي آثارها الفرنسويون على اهلها فملكوا بها جزيرتهم واسروا ملكتهم . والصور من نوع البنوراما وقد احسن صناعها رسمها واتقان النور والظل عليها حتى يحسب من رآها انه رأى جزيرة مدغسكر وضرب في ارجائها وشاهد معارك القتال فيها وما تقلب عليها من الشؤون منذ عشر سنوات الى الآن

واجاد الفرنسويون في معارض تونس والجزائر والسنغال وداهومي والنيجر وانام والتنكين كما اجادوا في معرض مدغسكر حتى لقد تغني مشاهدة هذه المعارض عن الرحلة الى تلك البلدان القاصية وعرضوا صورًا كثيرة للبلاد التي تصفها فالناظر في معرض الجزائر مثلاً يرى امثلة

المباني الفاخرة في تلك البلاد وازياء الناس وطرق معيشهم وحاصلات حقولهم ومعادن ارضهم وما استفادوهُ من استيلاء الفرنسويين عليهم . لكن الشرقيَّ يأسف لان الوطنيين من اهالي تلك البلاد لم يجاروا الفرنسويين في عرض ما يدلُّ على ارتقائهم الادبي والمادي بل عرضوا اموراً دنيئة سمجة كالرقص والخلاعة ومصنوعاتٍ حقيرةٍ زرية ما كان اغناهم عن عرضها. وكأن العارضين خدعوا اخوانهم الذين حضروا بهم الى عاصمة فرنسا فلم يوفوهم اجورهم وكثيراً ما كنتُ اراهم يتخاصمون ويتشاتمون وقال لي بعض التونسيين والجزائريين انهم كانوا يبيتون احياناً على الطوى ليس لهم ما يقوتهم

وكما ادخل الفرنسويون حسنات العمران الاوربي الى مستعمراتهم ادخلوا اليها سيآتهِ كالسكر والقمار والتهتُّك. ولو لم يثبت من تاريخ الانسان ان الصلاح يغلب على الطلاح اخيراً لخيف من غلبة السيآت على الحسنات وانقراض السكان من هذه المستعمرات

ومعارض المستعمرات الانكليزية لا يظهر فيها ان الانكليز يهتمون بالبحث النظري قدر الفرنسويين ولكن لا شبهة في انهم يهتمون مثلهم او اكثر منهم بالبحث العملي بالعدانة والفلاحة والصناعة والتجارة . ففي معرض استراليا ما لا يحصى من شذور الذهب وحجارتهِ وفيهِ هَرَم كبير يمثل ما استخرجوهُ من الذهب من تلك البلاد وهو من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٩ ستة عشر مليوناً و ٤٧٩ الفاً و ٣٨٣ جنيهاً واستخرجوا سنة ١٨٩٠ وحدها ١٦٤٣٨٧٥ اوقية تساوي ٦٢٤٦٧٢٨ جنيهاً. واكبر شذرة من شذور الذهب الاسترالي المعروضة هناك طولها نحو ٢٠ سنتمتراً وعرضها كذلك وسمكها نحو ١٠ سنتمترات ووزنها ٤١٣ اوقية وقيمة ذهبها ١٣٤٨ جنيهاً . ويقال انهُ وجد في حفرة واحدة نحو سبعين رطلاً من التبر

ومن معروضات استراليا اللؤلؤ ومنهُ تسعة حبوب كبيرة في شكل صليب . والفحم الحجري وانواع الرخام والخشب الملون . وحسبُ استراليا وحسب الانكليز معمريها ان عدد سكانها منهم يبلغ الآن نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون وتبلغ قيمة صادراتهم في السنة سبعين مليوناً من الجنيهات وقيمة وارداتهم ستين مليوناً ودخل حكومتهم السنوي نحو سبعة وعشرين مليوناً من الجنيهات اي ان دخل حكومة استراليا نحو ضعفي دخل الحكومة العثمانية مع ان سكان استراليا نحو عشر سكان البلاد العثمانية . ولم يتفق لامة من امم الارض ان عمَّرت بلاداً كما عمَّر الانكليز كندا واستراليا وزيلندا الجديدة ونحو ذلك من البلدان التي نزلوها فلا عجب اذا فاخروا الامم في ذلك واعترف لهم الجميع انهم اقدر الناس على الاستعمار

العلاج بالحرارة

بندر ان يُستنبط شيء جديد ليس لهُ اصل قديم حتى قال حكيم اليهود لا جديد تحت الشمس. ومن هذا القبيل علاج الادواء بالحرارة لا بالكي والوسم بل بتعريض الجسم لهواء حارّ جدًّا تزيد حرارتهُ على حرارة الماء الغالي فان قدماء الرومان كانوا يعالجون بعض الادواء بوضع اصحابها في حمامات حامية حتى تعرق ابدانهم وتلين عضلاتهم وقد كان عدد المستحمين في حمامات كراكلا خمسة وعشرين الف نفس كل يوم يتعرون و يستلقون على البلاط السخن ويتدثرون و يتضمخون بالطيب ويفركون بهِ ابدانهم حتى تلين اعضاؤهم . لكن حرارة الحمامات مهما اشتدَّت لا تبلغ درجة غليان الماء بل تبقى دونها كثيرًا

ولا يخفى ان الحرارة هي المقصودة بالذات من اللزق والحراريق والخردليات وما تستعملهُ العجائز احيانًا من وضع رغيف سخن على مكان الالم او صرَّة ملح مسخَّن على الاذن المألومة . لكن القدماء لم يصلوا الى ما وصل اليهِ ابناء هذا العصر من استعمال الحرارة الشديدة التي تبلغ ثلثمئة او اربع مئة درجة بميزان فارنهيت من غير ان يُسلَق الجسم او يُحرَق . وطريقة المحدثين التي شاعت في العام الماضي وهذا العام ان يُصنع اناء يسع الجسم كلهُ او بعض اعضائهِ ويبطَّن بالاسبستوس ويحمى باشعال الغاز تحتهُ فيسخن كثيرًا و يسخن الهواء الذي فيهِ ويدثر الانسان او العضو الذي تراد معالجتهُ بالحرارة ويوضع في هذا الاناء فيسخن رويدًا رويدًا الى ان تعلو الحرارة فوق درجة غليان الماء كما يعلم من ترمومتر خارج من الاناء ولا يشعر الجسم ولا العضو بالالم بل تفعل الحرارة بهِ فعلاً مخدّرًا مسكنًا وتمتص الابخرة منهُ وتورّد الدم اليهِ وتفعل بهِ فعلاً صحيًّا كما سيجيء

وهذه الطريقة العلاجية تستعمل الآن في اشهر مدن اميركا في نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو وفي اشهر مدن المانيا ويراد استعمالها ايضًا في مدينة لندن . وقد قرأنا رسالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور نيومن الالماني ظهرت في الثلاثين من شهر مارس في مجلَّة اللانست الطبية قال فيها انهُ عالج كثيرين بالحرارة الشديدة فشفاهم وقد عولج بها في مستشفى لندسباد بيادن بادن الف نفس فاحتملوا كلهم الحرارة الشديدة . وذكر عشرة منهم شفوا من عرق النسا وتسعة شفوا من النقرس الروماتزمي او المعيب (Arthritis deformans) وواحدة شفيت من تصلُّب الجلد (Scleroderma) وواحدة شفيت من الاذيما المخاطية (Myxœdema)

ومن الذين شفوا من المعرق النسا رجل كان المهُ شديدًا جدًّا لا يستطيع المشي ولا الوقوف ولا

النوم عولج على اساليب كثيرة فلم ينجع فيهِ علاج واخيرًا عولج بالحرارة على ما تقدَّم مدة شهرين فشفي شفاءً تامًّا ومضى عليهِ الآن سبعة اشهر وهو يتعاطى اعمالهُ على جاري عادتهِ

ومنهم امرأَة أُصيبت بأَلم عرق النسا وظُن اولاً انها مصابة بالتهاب مفصل الورك وعولجت لذلك ثلاثة اشهر ولم تستفد شيئًا ثم ثبت انها مصابة بالم عرق النسا فعولجت بالحرارة اربعة اسابيع فشفيت تمامًا

ومنهم رجل كسر عنق عظم ساقهِ فضمرت واصيب بالم شديد في عرق النسا وبقي اشهرًا لا يستطيع المشي فعولج بالحرارة وشفي وهو يمشي الآن من غير أَلم

ومنهم امرأَة كانت تشكو من الم عرق النسا في فخذيها أُرسلت الى الدكتور نيومن بعد ان لزمت فراشها ستة اشهر ظنًّا انها مصابة بلين العظام Osteo-malacia وكانت لا تستطيع تحريك رجليها ولا حوضها . ثم شُخّص انها مصابة بالم عرق النسا وعولجت بالحرارة وبعد ستة اسابيع تركت المستشفى وهي تمشي بسهولة لكنها بقيت تتوكأُ على عصًا

وامرأَة اخرى كانت ركبتها يابسة وساقها منثنية وكانت متأَلمة الماً شديداً في المفصل الحرقفي العجزي الايسر وفي الاربية ولا تستطيع المشي الاَّ محدودبة حتى تكاد تنثني على نفسها فعولجت بالحرارة وشفيت تمامًا وصارت تمشي منتصبة

ومريض آخر كان مصابًا بالم عرق النسا في فخذهِ الايسر وبضمور في عضلات الالية والم في الاعصاب الالوية والمفصل العجزي والحرقفي العجزي ولم يكن يستطيع ان يحرك كتفهُ اليمنى الاَّ بصعوبة فعولج بالحرارة وشفي تمامًا

ومن الذين شفوا من النقرس المعيب مريض كان يشكو من يبس كتفيهِ ولا يستطيع ان يرفع ذراعيهِ ويبس رسغهُ الايسر وورمت ركبتاهُ وكعابهُ ويبست اصابعهُ فحمل الى المستشفى حملاً لانهُ لم يكن يستطيع المشي وعولج فيهِ بالحرارة فشفي تمامًا وهو الآن يمشي ويكتب ويرفع يديهِ فوق رأْسهِ ولا يشعر باقل الم

ومنهم امرأَة كانت مصابة بالنقرس المعيب في يديها ومفاصل اصابعها منذ اربع سنوات فعولجت بالحرارة ولم يزل رسغها الايمن يابسًا قليلاً ولكن زال الورم من اصابعها وصارت تحركها بسهولة وتكتب وتحبك على جاري عادتها

ومنهم مريض اصيب بالانفلونزا فتولد منها فيهِ نقرس معيب بقي سنتين اصيبت بهِ ركبتاهُ واكعابهُ ويداهُ فلم يعد يستطيع ان يعمل اقل عمل فعولج بالحرارة وشفي وصار يمشي ويحرك يديهِ بسهولة وزال الورم والالم

ومنهم مريض آخر كان مصاباً بالنقرس المعيب في ركبتيهِ فدخل المستشفى سنة ١٨٩٩ ولم يكن يستطيع المشي مطلقاً فخرج منهُ يمشي على عكاز ثم عاد اليهِ سنة ١٩٠٠ وعولج فيهِ ثانية فخرج منهُ صحيحاً

ومن الذين كانوا مصابين بتصلُّب الجلد Scleroderma امرأَة عمرها ٤٦ سنة مضى عليها ست سنوات مصابة بهذا الداء لسبب غير معروف وكان التصلُّب في بطنها وصدرها وظهرها ورجليها من ركبتيها الى قدميها ويديها وذراعيها وبلغ اشدَّهُ في يديها حتى لم يعد يمكن تحريك جلدها وافترقت اصابعها والتوت حتى صارت كمخالب الطير وبانت كفاها كانهما من الحجر ولم يعد المشي ميسوراً لها وكانت تتألم الماً مبرحاً كلما ارادت تحريك جسمها ولا سيما ليلاً. وبقي جلدها يحس ولكنهُ لم يكن يعرق ابداً. وبقي قلبها سليماً وكذلك رئتاها ولكن كان منظرها منظر الخوف والكآبة والكرب الشديد. وامتدَّ الداء الى وجهها فتغيَّرت سحنتها وقبح منظرها. فعالجها الدكتور نيومن بالحرارة فخفَّت آلامها وشرع جلدها يتحرَّك واخذت تعرق وصارت اصابع يديها تتحرك وتدنو بعضها من بعض ثم سهل عليها المشي وبعد اربعة اسابيع تركت المستشفى ثم عادت اليهِ في ١١ اكتوبر الماضي وقالت ان فعل الشفاء مستمرٌّ في جسمها وقد بدت الطلاقة في وجهها بعد الانقباض وصارت تمشي وتقوم وتقعد من غير الم

ومن الذين كانوا مصابين بالايذيميا المخاطية Myxœdema امرأَة عمرها ٣٤ سنة سُمّت بالغاز سنة ١٨٩٨ ثم اعترتها الايذيميا المخاطية من اسفل ظهرها الى ركبتيها وأُرسلت الى الدكتور نيومن وكانت مصابة بفقر الدم صغيرة النفس تبكي لاقل سبب ولم تكد تستطيع المشي وكان جلدها غليظاً جداً اصفر عجينيًّا لا يتحرك فعالجها اولاً بتنشيقها الاكسجين وبالحمامات حتى اذا صلحت حالها قليلاً عالجها بالحرارة فرقَّ جلدها وصار يتحرَّك بسهولة وزادت قوتها وبشَّ وجهها ثم صارت تمشي وذهبت ثلاثة اميال ماشية في ارض ترتفع ستمئة قدم

ونشرت مجلة الستراند صور الآلات التي يوضع فيها الجسم ويحمَى بالغاز المشتعل حتى تعلو حرارتها رويداً رويداً. وهي اما كبيرة تسع الجسم كلهُ الى حد الرأس او صغيرة شكلها كشكل العضو الذي يراد علاجهُ فيها. وقد قال الدكاترة لندوزي ودجرين وكريتيان من اطباء باريس ان الحرارة من درجة ٢٠٠ الى ٢٥٠ بميزان فارنهيت شفت من النقرس والروماتزم المزمن. ويقال انهُ اذا بلغت الحرارة ١٥٠ درجة لم يشعر المصاب بشيءٍ من الالم واذا بلغت ١٨٠ درجة شعر بوخز كوخز الابر وعند الدرجة ٢٠٠ يشعر بخدر وسبات ومن ثم الى الدرجة ٢٨٠ يشعر بلذة لا بالم وقد تدعو الحال ان تزاد الحرارة الى الدرجة ٤٠٠ ولا بدَّ حينئذٍ من ان يوضع الثلج على رأس المصاب ويسقى ماء الثلج رويداً رويداً الان دمهُ يغلي عند الدرجة ٣٥٠

غرائب العلم

من خطبة لحضرة نجيب افندي بستاني رئيس محكمة قضاء المتن بلبنان تلاها في احتفال مدرسة شمس البر في بيروت

سادتي وسيداتي

لقد شاقني ما اقرأهُ كل يوم في كتب الغربيين ومجلاتهم من الحديث المستفيض عن اسرار العلوم وما ينجم عن استقرائها من الفوائد الى اختيار هذا الموضوع الجليل راجياً ان يشفع بي اليكم حداثة عهدي في مزاولة هذا الفنّ على خطارتهِ وقلَّة المامي بتفاريعهِ مع انهُ يستلزم سعة الاطلاع وبعد النظر فاقول . ان الايام لم تزل ترينا من غرائب العلم وعجائب الاكتشاف ما تَدْهَشُ بهِ العقول الزكيّة ويستغربهُ العلماء بل ينكرهُ كثير من الفضلاء حتى عُدَّ بعضها من المعجزات وخوارق العادات الى ان عمَّ الاعتقاد بمنشإِها العلمي كالتليفون والتلغراف بدون سلك والفونوغراف والسينماتوغراف واشعة رنتجن والفوروفون وهو احدثها اختراعاً . ولا يذهب عليكم ان العلماء قد استيقظوا منذ اقدم القدم الى ممارسة بعض الاسرار العلمية كالسحر والصرع والشعوذة والعرافة واظهار الاشباح والخيالات فضلاً عمَّا سمَت اليهِ نفوسهم من الادّعاء بمحادثة ارواح الاموات ومكالمة المعبودات ممَّا تمخضت لهُ سماء العلم فاحدث في قلوب الناس واذهانهم اثرًا مذكورًا فظنَّ قومٌ انهُ رجسٌ من عمل الارواح الخفيّة فاذاقوا دعاتهُ من العذاب واعتقدهُ آخرون بما انطلى عليهم من خبث هؤُلاء ودهائهم مما سألمُّ بهِ في معرض البحث عن تفاريع هذا الامر ناقلاً اليكم الخبر على علاّتهِ مبيناً مزاعم العلماء كاشفاً ستر التعمية عن بعض اعمالهم وآرائهم وانا واياكم سواء في انكار ما يستهجن من كل ذلك واستحسان ما يسلم بهِ العقل فإنَّ من العلم لسحرًا

وقد اخترت ان اروي لكم من كل ذلك حديثاً مستطاباً عن غرائب العلوم السرية كالتلباتي وهو الشعور عن بعد وظهور المحتضرين وانتقال الافكار والنوم العصبي والرؤْيا الشافة حجاب الخفاء عن حوادث المستقبل ومحادثة ارواح الموتى والارواح القارعة . موردًا على كلّ منها بعض ما وقعت عليهِ من الامثلة الكثيرة في كتب الباحثين عن اسرار النفس الضاربين في بيداء الوهم آخذاً باهداب البحث عن كل فرع من فروع هذا المأخذ الخطير بما لا يتجاوز حدَّ التعريف مبتدءًا بظهور المشرفين على الموت مما يدخل في باب الشعور عن بعد

ذلك بان يقع على شعور المرء تأثيرٌ خفي يمثل لهُ حادثاً يقع على بعدٍ شاسع عنهُ كأن يرى

وهو في بيروت ما يدل على حادثة تقع في باريس او اميركا وهو ما يسميهِ الافرنج بتلباثي كما مرَّ. وقد رأيت بعد طول التدبر ان الحوادث التي سأوردها على مسامعكم لا تخلو على مكان بعضها من المبالغة والغلو ونشوء البعض الآخر منها عن محض اتفاقٍ مما يجعلها قريبة الى العقل لكثرة حدوثها بين البشر. من ذلك حادثة جرت في بيت الجنرال بارمنتيه في شلستادت الواقعة على نهر الرين في ليلة شديدة الحرّ وكان الباب بين غرفة الاستقبال وغرفة النوم قد ترك مفتوحًا ونافذتا غرفة الاستقبال كذلك تركتا مفتوحين وقيدت مصاريعهما لئلاَّ يحركها الهواء وكان والد الجنرال بارمنتيه ووالدتهُ نائمين فشعرت والدتهُ بحركة رفعت السرير من الاسفل الى الاعلى فاستيقظت مذعورة وأيقظت زوجها وبينا هي تقص عليهِ الخبر اهتز السرير شديدًا للمرة الثانية فأوقد زوجها مصباحًا وتفقَّد الغرف وعاد قائلاً لها ليسكن جأشكِ فان الارض زلزلت وما لبث ان اضطجع حتى تحرَّك السرير وصارت ضوضاء قوية في غرفة الاستقبال كانما قد تصادم مصراعا النافذتين وانكسر الزجاج فقام وزوجتهُ وتفقدا الغرفة فوجدا النافذتين مفتوحتين والمصاريع موثقة والزجاج سالمًا فتحققا ان ما سمعاهُ كان وهمًا فاستولى على والدة الجنرال من جراء ذلك خوفٌ شديد فقالت لزوجها لقد أُصبت باحد من ذوي قرباي او احبائي وما هذا الاَّ انذارٌ خفيٌّ ولم يمضِ على ذلك ايامٌ قليلة حتى بلغها خبر وفاة رابتها في ڤينا في تلك الليلة عينها وكانت لشدَّة ولعها بها قد أسفت وهي تحتضر لعدم تمكنها من وداع تلميذتها المحبوبة

وروى الفلكيّ فلاماريون حادثة جرت لصديقٍ لهُ في مدينة روان سنة ١٨٩٦ هي بمكانٍ عظيم من الغرابة قال كان لصديقي موريس صديقة تُدعى هيلانة ترعرعت وايَّاهُ في مهدِ الصداقة والحب فحكم عليهما الزمان بالافتراق فذهبت هيلانة الى باريس وقد استحفظت موريس صورتها ليذكرها كلما رآها في غرفتهِ فاضرَّ هواء باريس بهيلانة وانهك البعاد جسمها فانحلهُ واعتراها داء السل فجزع موريس لذلك واخذ يراقب سير الداء و يراسلها وتراسلهُ الى ان كتبت اليهِ ذات يوم انها مستدرجةٌ الى الشفاء فقال ان الشفاء ممكن وما على الله شيء عسير. وفي تالي ذلك اليوم اي في السادس عشر من نيسان (ابريل) جاش بالهُ النهار بطولهِ متوجسًا ان يكون ما اشارت اليهِ من الشفاء ناشئًا عن تعلُّق المسلولين بحبال الآمال فدخل غرفتهُ جزعًا وجلس في كرسيهِ محدقًا الى صورة تلك الصديقة غريقًا في بحار الافكار والآمال فرأى اجفانها تختلج في الصورة وشفتيها تتحركان كأنها تخاطبهُ ثم سمع صوتًا أدهشهُ فاذا ناقوس الساعة يطنُّ الساعة الثامنة فظن انهُ في حلم فمسح عينيهِ معاودًا النظر الى الصورة فرآها ثانية قد فتحت عينيها شديدًا ثم اطبقتهما وحركت شفتيها وتنهدت فذُعر مما رأى وتوسَّد لينام فأرِق

ونحو الساعة العاشرة قُرِع باب غرفتهِ بعنفٍ فناولوهُ رسالةً برقية تنبئهُ بان هيلانة ماتت الساعة الثامنة فبكر من الغد الى باريس فاخبروهُ ان هيلانة لم تفتر عن ذكرهِ دقيقة واحدة وانها قالت قبيل وفاتها بدقائق لا شك ان صديقي موريس ينظر الآن الى صورتي راجياً لي الشفاء

وقد قرأت نحو مائة وثمانين حادثة مثل هذه ولا يُعقل ان تكون بجملتها صادرة عن محض الصدفة والاتفاق كما يزعمهُ البعض ولا بدّ من تأثيرٍ خفيٍ يُدرك عند حدوثهِ فقط فان مثل هذه الحوادث يُدركها المراقبُ البصيرُ ولا يقوى احد على احداثها . واكثر بعض العلماء على انها خارجة عن حد الاوهام واضغاث الاحلام ناشئة عن شعور النفس بما يقع على بُعد عنها حينما تكون مهيأة لقبول مثل هذا التأثير باستقرارها على امرٍ معلوم واشتغالها بهِ دون سواهُ وهو قريب الى الصواب ان لم يكن حقيقيًا فان من النفس الى النفس سبيلاً

ثم اننا اذا اعتبرنا ما تقدَّم فقد تمثلت لنا قوة سرية لم تزل مجهولة تصدر عن المرء وتؤثر في من كان بعيدًا عنهُ من امثالهِ . وليس مراد العلماء ان النفس الحية هي التي تنفصل عن الجسد مندفعةً نحو الشخص الذي تؤثر فيهِ فانما يظنون ان هناك شيئًا من الاشعاع او اهتزاز الهواء بحيث تصدر عنهُ امواجٌ تصدم الدماغ فتوهمهُ حصول حادثٍ معلوم كما ان الاشياء التي نراها لا ندرك وجودها بالحسّ بها فعلاً بل بانتقال صورها الى الدماغ . والرأي الغالب على ان نفس المشرف على الموت تؤثر عن بعدٍ في نفس غيرهِ من الاحياء بطريق الدماغ وما يتراءى لهذا من انتقال الاشياء من مكانٍ الى مكان وما يتمثل لهُ من الاشباح والخيلات وما يقع على سمعهِ من الاصوات كلها اوهام تتعاقب في دماغهِ وهو في تلك الحالة . ولم يرَ العلماء في ذلك شيئًا من وراء العقل فاننا اذا اخذنا آلتين موسيقيتين وضربنا على اوتار احداهما احدث اهتزازها اهتزازًا لأوتار الاخرى ولو بعيدةً عنها لان تموجات الصوت ينقلها الهواء بصورة خفية . أوليس الفونوغراف ينقل اهتزازات الصوت من بلادٍ الى بلاد فيُردّد على اسماعنا الكلام والانغام . أولسنا ونحن على بعد ملايين من الاميال عن بعض الاجرام السماوية نتمكن من تصويرها بواسطة اشعة النور . اليست اشعة رنتجن تخترق الاجسام الجامدة وتكشف لنا ما وراءها من صور الاشياء . أليس الدماغ مرجع كل ما نشعر بهِ من فرح او ترح او ألم ومع ذلك فنحن نظن ان الالم محصور في العضو الذي يقع عليهِ الفعل . فلو احترقت يد انسانٍ لظن الالم محصورًا في يدهِ او كُسرت رجلهُ فالامر كذلك مع اننا لو قطعنا الاعصاب الواصلة ذلك العضو بالدماغ لما شعر باحتراق يدهِ وانكسار رجلهِ لانقطاع خط الصلة بينهما وبين الدماغ موطن كل شعور . واغرب من هذا ان الشعور بوجود الذراع مثلاً لا يترتب على وجودها فقط فان كثيرين من

فاقدي الذراع الواحدة او الرجل الواحدة يشعرون بها كما لو كانت لم تزل موجودة فاذا قرس البردُ حاولوا سترها تحوّطاً فان جنديًّا اطارت كرات المدافع رجلهُ كان اذا جاء الشتاء يشعر بآلام في رجلهِ المفقودة ولاسيما اذا جن الليل وارخى الظلام ستارهُ

ويقال ان جنديًّا من جنود نابوليون الاول فقد رجليهِ في الذودِ عن بلادهِ واستبدلهما برجلين من خشب ثم احسَّ ببرد شديد في رجليهِ المفقودتين فاشعل نارًا وادناهما منها ليصطلي فاشتعلتا ومات ضحية هذا الوهم . وبالجملة فان تولد الافكار واشتراكها انما ينشأان عن اهتزاز الدماغ وما يتفرّع عنهُ من اهتزاز المجموع العصبيّ . ويذهب العلماء في ايضاح ذلك الى مقابلتهِ باهتزاز وترٍ موسيقيّ فان كلَّ جزءٍ صغير من اجزائهِ يهتزّ على حدتهِ وكذلك الدماغ اذا اهتزّت ألياف جزءٍ منهُ بتأثير فكر فيها فلربما اهتزت الالياف المجاورة لها ايضًا فينشأ عن ذلك اشتراك في الافكار الحاصلة . وعليهِ فكل حركةٍ في الفكر يقابلها حركة في الدماغ وهو ما حمل دعاة العلوم السرّية على الاعتقاد بالشعور عن بعدٍ. ولا يسعني المقام أن اورد جميع الامثلة والبراهين التي يذكرها هؤلاء في كتبهم فاكتفي بما تقدم مضيفًا اليهِ ان التأثير الذهني اذا كان بالغ الشدَّة قتل بقوّة ما يحدثهُ من الاهتزاز الشديد في الدماغ كما انَّ اعتقاد المرء انهُ مريض او مكسور اليد او مصدورٌ او مشرفٌ على الموت كافٍ لانشاء الشعور بالالم في ذلك العضو واحيانًا لاحداث الموت

ويزعم هؤلاء ان اصدق دليل على التأثير الذهني او انتقال الفكر من دماغ انسان الى دماغ انسانٍ آخر انما هو ما يرى في حوادث النوم العصبي مما لا يبقى معهُ محل للريبة والالتباس من ذلك ما حدث في مدينة ننسي بفرنسا في ٩ كانون ثاني سنة ١٨٨٦ الغابرة للاستاذ ستانسلاس غيطا والدكتور امبرواز ليبيو فانهما عقدا اجتماعًا في بيت هذا الاخير حضرهُ كثيرون واستقدما آنسةً تدعى لويز وبعد ان أنيمت نومًا عصبيًا أُمرت ان تجاوب على الاسئلة التي يتصوّرها الدكتور ليبيو في ذهنهِ دون ان يتفوّه بكلمةٍ او يشير الى شيءٍ فوضع الدكتور يدهُ على جبينها هنيهةً وتصوّر في فكرهِ السؤال الآتي " متى يتمّ شفاؤكِ " فاجابت بصوتٍ سمعهُ من حضر " قريبًا ان شاء الله " فأُمرت حينئذٍ أن تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الدكتور ليبيو فاعادتهُ بحرفهِ وعقب هذا دنا منها الاستاذ غيطا وبعد ان وضع يدهُ على جبينها تصوّر في ذهنهِ السؤال الآتي " انعودين الاسبوع القادم " فاجابت " ربما " فأُمرت ان تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الاستاذ فاعادتهُ هكذا " أتاتي انت الاسبوع القادم " فكأنها اخطأت في قراءة كلمة واحدة فقط . ثم عمد الدكتور ليبيو الى ورقةٍ ورقم عليها هذه العبارة

"إن لويز اذا استفاقت رأت برنيطتها السوداء حمراء" فاطلع الحضور على العبارة ثم جلس الاستاذ غيطا والدكتور ليبو امامها وهي لم تزل نائمة ووضعا ايديهما على جبينها. وهما يفتكران في العبارة المارّ بيانها فلما افاقت وقع نظرها للحال على البرنيطة فقالت ضاحكة "قد بدلتم برنيطتي بما هو في شكلها وحجمها فلن ارضَ بذلك فاتركوا المزح وادفعوا اليّ برنيطتي" وبعد جدال طويل سئلت عما تجدهُ من الفرق بين الاثنتين فقالت "أليس لكم عيون أليست هذه حمراء وبرنيطتي سوداء" ولم تزل تخبط في الاوهام حتى قال لها الدكتور ليبو ان البرنيطة ستعود الى لونها وتناولها بيديهِ ونفخ بفمهِ عليها بما اوهمها انها عادت سوداء فتناولتها شاكرة

اما النوم العصبي المعروف بالهبنوتزم فقد اكتشفهُ الدكتور جمس برايد سنة ١٨٤١ وقديمًا كانوا يخلطونهُ بالمغنطيسية الحيوانية وما جاءَت بهِ من الغرائب في الاعصر الخالية لعهد كاغليوسترو وفاريا ومسمَر وغيرهم ذلك بان يتسلط المنوّم على النائم بقوة الارادة والنظر والاصوات المرتفعة فيصبح وهو على هذه الحالة طوع ارادة المنوّم يأتمر بامرهِ وينتهي بنهيهِ فيوهمهُ الماء القراح خمرًا والحجارة نارًا والهواء ارواحًا وينطقهُ ما يريد ولذلك تكوّن افكار النائم صدًى لافكار المنوّم فيتحدان فكرًا ورأيًا وعلمًا . وايضاحًا لذلك أروي لكم حديثًا للدكتور فيلبس عما وقع لهُ في تونس سنة ١٨٥٣ فانهُ دُعي لإنامة رجل امام جماعة من الادباء فاختار لذلك رجلاً عصبي المزاج وأنامهُ النوم العصبي وناولهُ حجرًا باردًا وكان قد الهمهُ بقوة الذهن انهُ انما ناولهُ جمرة محرقة فانقبضت عضلات وجههِ لشدة الالم وصار يتناقلها بيديهِ كمن قد احرقتهُ حرارتها ثم ناولهُ كاسًا من الماء القراح والهمهُ انهُ خمرٌ فما لبث ان شرب منها حتى بدت عليهِ امائر السكر وصار يخطر في مشيتهِ ويهتزُّ ويتبختر كالنشوان

ومن غرائب ما صنعهُ الدكتور شاركو في باريس إبان قيامهِ على معالجة المصابين بالامراض العصبية الحادة وداء النقطة والهستيريا وسائر الامراض الدماغية انهُ كان يوقع الواحد منهم في سبات بتوجيه النور الكهربائي على عينيهِ او بقرع ناقوس قرب اذنيهِ. وقد شهد جمهور الباريسيين عدة حفلات اتخذها لتلك الغاية فكان يحدث النوم السباتي بتصويب النور الكهربائي على عيني المريض فلا يأتي عليهِ دقائق قليلة حتى يجمد نظرهُ وترتخي اعضاؤُهُ بحيث يتمكن المنوّم من تغيير وضعها فتتغير لذلك هيئة وجهِ النائم فاذا رُفعت يداهُ الى فمهِ كمن يقبّل شيئًا ابتسم ثغرهُ واذا رُفعتا الى الامام كمن يدافع عن نفسهِ ظهرت امارات الغضب عليهِ . وقد احدث شاركو ببراعتهِ في هذا الفن اثرًا مذكورًا في نفوس الفرنساويين بما وصل اليهِ طَولهُ من احداث الشخوص تارةً والسبات أُخرى ذلك بانهُ اوقع النور الكهربائي على عيني انسان فأنامهُ نومًا

سباتيًا فاصبحت اعضاؤُهُ جميعها خاضعةً لارادتهِ فرفع رجل النائم وأمرهُ ان يبقيها مرفوعةً فبقيت ما شاء وكذلك يدهُ وباقي اعضائهِ ثم صوَّب النور نحو احدى عينيهِ فقط فاضحى نصف جسدهِ في سبات والنصف الآخر في شخوص بما اصار النصف الاول خاضعًا لاوامر شاركو واخرج النصف الثاني عن سلطتهِ والعكس بالعكس. وقد استعان هو وزملاؤُهُ بالنوم العصبي في معالجة الامراض العصبية واستعاضوا بهِ عن الكلوروفورم في الجراحة ذلك اذا كان المريض عصبيَّ المزاج متهيئًا الانفعال والقبول يتأثر لاقل حادث وقصَّروا عن تنويم من كان قويَّ البنية جيد الصحة من ذوي الامزجة الاخرى

ومن اغرب ما يذكر عن حالة النائمين على نحو ما تقدم انهم لا يعدمون الرشد والادراك فيعقلون ما يسمعون ويفعلون ما يؤمرون بهِ ويكتبون اسماءهم وبعض الاجوبة التي يريدها الطبيب مما سيأتي ذكرهُ في تتمة هذا البحث لانهم يسمعون صوت الطبيب عند ما يأمرهم بأن يأتوا حركةً او عملاً معلومًا ولضعف ارادتهم واعتلال صحتهم يستمكن منهم حكم العادة مما يثبت ان النوم العصبي لا يزيد على ما قدمنا والاَّ لم يكن المرء مسؤُولاً عن اعمالهِ وساغ لكثيرين من المجرمين ان يدَّعوا العذر في ما يجترمون

واما محادثة ارواح الموتى فقد شغلت اذهان فريق من العلماء منذ اقدم القدَم فزاولوها باساليب وطرق غريبة وابتنوا لمشايعيهم المنتديات يختلفون اليها في مواقيت معلومة لممارسة هذه الطريقة يفتتحون الحفلات بصلوات يتلونها استعطافًا للارواح السابحة في الافلاك الحائمة حول الارض . ومن معتقد هؤُلاء ان للنفس جسدين جسدًا ماديًا وجسدًا بخاريًا شفافًا وان هذا الجسد البخاري الشفاف ينفصل احيانًا عن الجسد المادي فتتكاثف اجزاؤُهُ الدقيقة ويظهر للعيان بشكل خيال وان النفس انما تنفصل بالموت عند الجسد المادي وترتدي الجسد البخاري فتطوف العالم تحادث الاحياء وتعاونهم على ادراك رغائبهم . ومن مزاعمهم انَّ ما يحدث من الغرائب انما يصدر عنها على ان محادثة هذه الارواح الخالدة انما تجري بشفاعة الوسطاء ممن حصلوا بطول المزاولة وبرقة مزاجهم العصبيّ السريع الانفعال على الملكة الراسخة في هذا الفن وهم ايضًا خاضعون لسلطة اساتذة الفن الذين يملكونهم بشيءٍ من النوم العصبي

واليكم تفصيل محادثةٍ جرت في لندن سنة ١٨٩٨ في بيت المستر هوجسن فانهُ استقدم اليهِ وسيطًا يدعى پاير مشهورًا بمحادثة الارواح ليستعين بيعد نظرهِ على مخاطبة صديقٍ لهُ يدعى پلهام كان قد أخذ على نفسهِ ان يظهر لهُ بعد الموت ويأتيهُ بالخبر الصادق والقول الفصل عن اسرار العوالم الروحية فانتبذ هوجسن احدى زوايا الغرفة وجلس والدپلهام بجانبهِ وامامهما

الاستاذ فنوت وجلس الوسيط امام مائدةٍ في منتصف الغرفة وبعد ان شخص طرفةً من الزمن واختلجت اعضاؤهُ سألهُ الاستاذ عما انكشف لهُ من وراء حجاب الغيب فاجاب انهُ يتكلم بلسان روح جورج بلهام المشوق الى عناق والده فسألهُ والدهُ بلسان الاستاذ فنوت ان يذكر الامور الخطيرة التي وقعت لهُ في حياتهِ فذكر شيئًا منها بلسان الوسيط وأتى على وصف غرفتهِ وتحديد ما يجاور دار والدهِ من البيوت والرياض فدفع الاستاذ الى الوسيط قلمًا وقرطاسًا فصارت يدهُ تكتب ما ينزل عليهِ من حديث الروح جوابًا على خطاب والدهِ فكتب العبارات الآتي تعريبها " لقد استيقظت الآن لادراك ما في الخلود من الحقائق فاحسبني كنت لاول الامر في ظلام حالك بما استولى عليَّ من هول الموقف في عالم الارواح وسيكون من همي ان اراكم واحادثكم حينًا بعد حين فانني اسمع ما تقولون واصواتكم تقع على مسمعي كاصوات الدفوف واما صوتي فيكاد سمعكم لا يدركهُ لضعفهِ وانخفاضهِ " كل ذلك والوسيط يرقم العبارات بسرعة غريبة وعيناهُ تنظران الى الاعالي فلما فرغ من الكتابة وقع القلم من يدهِ وتدلت فقال والد بلهام مخاطبًا روح ولدهِ " يا بنيَّ أَدهشتَ اذ نظرت نفسك حيًا بعد الموت " فاختلجت يد الوسيط ثم عادت وتناولت القلم ورقمت الجواب الآتي " ادهشني ذلك ولاسيما اني لم اكن اعتقد بالحياة الآتية بل حسبت ذلك فوق ادراك البشر فاننا معاشر الارواح اذا انفصلنا عن الجسد المادي ارتدينا الجسد البخاري الشفاف " وهنا سكت الروح عن الكلام . ولقد قدمنا ان محادثة الارواح ضربٌ من النوم العصبي فلا حاجة الى الاعادة

اما ظهور الارواح فلا يسمح لي ضيق المقام ان اذكر حوادثهُ تفصيلاً لان كثيرين من علماء هذا الفن يتوسلون الى اظهار الاجساد البخارية الشفافة بطرق الشعوذة والتمويه يتخذون المرايا وانعكاس النور سبيلاً الى تمثيل جسد الاسكندر او ارسطو او ابقراط وسواهم من الفلاسفة والمشاهير انما بقي عليَّ ان أُلمَّ بمحادثة الارواح القارعة والموائد الدوارة . اما هذه فقد عمَّ استعمالها واستأنس الجميع باسرارها فانما هي عبارة عن مائدة مستديرة ذات عمود واحد ينتهي بثلاث ارجلٍ تسهيلاً للحركة يحدق بها ثلاثة او اربعة او اكثر من الناس يضعون اطراف اناملهم عليها ويشخصون برهة من الزمن فلا تلبث ان تتحرك فيرفعون اياديهم عنها فتدور على ارجلها متقدمة الى الامام ويعلم الجميع ان هذه الحركة تنشأ في الغالب عن فعل فاعلٍ يدفع المائدة بخفة فتدور على نحو ما تقدَّم وكثيرًا ما يكون الفاعل وسيطًا يجلس بين هؤلاء ويفعل ذلك بامر الاستاذ لما لهُ من السلطة عليهِ كما يحصل في النوم العصبي وقد اسلفت ان لمزاولي هذا الفن منتدياتٍ وهياكل وصلوات فاذا اجتمعوا لمحادثة الارواح تلا الاستاذ

الصلاة الآتية "نسأل الله القادر ان يبعث الينا بالارواح الصالحة هدًى واستصلاحًا ويقصي عنا الارواح الخبيثة فيقينا حبائل مكرها وتجاربها وان يرشدنا بنوره" — الى ان يقول — "ايتها الارواح الصالحة ارشدينا سواء السبيل وانفي عن اذهاننا حبَّ الذات والكبرياء والحسد لنتجاوز عمن اساء الينا من امثالنا"

وقد حار الناس في اواسط القرن التاسع عشر في امر الارواح القارعة وفي ما أتى الوسطاء في محادثتها فلقبوهم بالعجائبيين ولم يصلوا بعد طول البحث وزيادة التدقيق الى رفع براقع التمويه عما استنبط هؤلاء من الحيل لستر اعمالهم وممن نبغ في الفن عقيلة فوكس وابنتاها نحو سنة ١٨٥٢ في الولايات المتحدة فقد أتينَ اعمالاً طار ذكرها في الآفاق فكثر تحدث الناس بهنَّ واكثروا لهنَّ من العطاء والرفد وبالجملة فانهنَّ كنَّ يحادثن الارواح فتجيب عن اسئلتهنَّ باصوات تقع على اسماع من حضر كقرع الابواب فان ايجابًا قرع الباب او المائدة او غيرها من اثاث البيت ثلاثًا وان سلبًا صمتت الارواح . ومما يتخلل هذه المحادثات اصوات خفية اشبه بضرب الدفوف الصغيرة مما اخذ بافكار الناس واوهمهم ان وراء ذلك سرًّا لا تدركهُ الاَّ الارواح الهائمة في الفضاء الى ان اتصل الدكتور شيف الى كشف هذا المعمَّى بحضرة المجمع العلمي بباريس فاثبت ان تلك الاصوات انما تصدر عن جسد الوسيط يحدثها بتحريك عضلة من عضلات جسده بصورة خفية بقبض ربلة الساق ودفعها على عظم الساق تباعًا فتحدث اصواتًا كقرع الابواب او ضرب الدفوف ومثلها فلكة الركبة اذا دفعت الى الامام ثم أُعيدت ولاسيما ان مقدرة بعض الناس على تحريك بعض عضلات الذراع والاوراك وفلكة الركبة على هذا النمط ثابتة عند الاطباء . ولما شاع ذلك وذاع دعا قومٌ من الاطباء ابنتي فوكس الى حفلة وراقبوا حركة فلكة الركبة على نحو ما تقدَّم فتحققوا صدق الدكتور شيف وهكذا كشفوا نقاب الوهم عن اذهان الناس جميعًا

اما الرؤيا فهي ما يتراءى للمرء في نومهِ من الصور او يتصوَّر حدوثهُ من الحوادث فانها تتعاقب في ذهنهِ باسرع من لمح البصر يكاد يشهد منها في ثانية ما يقتضي ايامًا وشهورًا اما منشأ اكثرها فعن اخلاطٍ في معدة النائم او انزعاجٍ في وضع جسمهِ او ضيقٍ في تنفسهِ او مماسة جسمٍ غريبٍ لاعضائهِ وما يعتريهِ احيانًا من عطشٍ او جوعٍ او بردٍ او مرضٍ فانها كلها تحدث تأثيرًا في فكرهِ لان اشتغال الفكر في اليقظة بامرٍ معلومٍ واستقرار النفس بكليتها عليهِ انما يحدث اثرًا في الدماغ والمجموع العصبي يستمرُّ في حال النوم ويتفرع عنهُ افكار اخرى لم تكن في الذهن ولا في الحسبان فقد يتفق ان يتحقق بعضها في اليقظة بعد الرؤيا بايام مما لم

يقع حتى الآن تحت الحصر الاَّ انهُ بمكانٍ عظيم من الغرابة من ذلك رؤيا زوجة يوليوس قيصر فانها حلمت بقتل زوجها ونصحت لهُ ان يجتنب الخطر المحدق بهِ فلم يعبأ بكلامها فمات مقتولاً ورؤيا قارون اذ حلم ان ابنهُ آتيس لا يموت الاَّ قتلاً فاصابهُ سهمٌ قتلهُ اذ كان يصيد . واغرب من هذا ما وقع للموسيقي الشهير ترتيني فانهُ قصَّر في اليقظة عن تأليف احد اصواتهِ الشهيرة فادركهُ النعاس وهو في الجهد والعناء فاتاهُ ابليس في نومهِ وقال لهُ "ان سلطتني على نفسك اسمعتك ما شئت من الاصوات وفرَّجت كُربتك" فاجابهُ ترتيني الى ذلك فأخذ ابليس القيثار واسمعهُ الصوت الذي لم يقتدر عليهِ فاستيقظ ترتيني ورقم للحال ما سمع في نومهِ فاذا هو الصوت الذي يريدهُ . وقد ذكر ڤولتير انهُ حلم ليلة بعدة ابيات من الهنريات قصيدتهِ المشهورة . والامثال على ذلك كثيرة لا يسعنا المقام تعدادها . ومما يزعمهُ فلاماريون ان الفكر لا ينام تماماً وان استولى عليهِ فتور اي ان عملهُ قد يكون اذ ذاك منحصراً في ذاتهِ لا تشعر النفس بهِ ولا يرسم منهُ شيءٌ على لوح الذهن وان المرء لا يذكر من احلامهِ الاَّ النزر اليسير مما يكون قد احدث اثراً عظيماً في نفسهِ وقد لا يذكر هذا ايضاً كما انهُ لا يذكر من الافكار التي تتعاقب في ذهنهِ وهو في اليقظة الاَّ ما يكون اثرهُ باقياً في مخيلتهِ فاننا اذا ايقظنا انساناً مستغرقاً في نومهِ قام وحدثنا بامورٍ وافكارٍ قد تكون متضاربةً وقد تكون منسوقةً بما يسدّد الدليل على ان عمل الفكر يستمرّ في حالة النوم ايضاً وخالفهُ في ذلك كثيرون من نُطس الاطباء. ونحن نرى ان مثل هذه الاحوال يتعذَّر تمحيصها وتنقيتها مما يشوبها من داخلة الريبة والغموض . هذا ما وقعت عليهِ في هذا الباب من خطرات افكار العلماء وزبدة آراء الفضلاء رويتهُ لكم على مكان بعضهِ من الغرابة والله اعلم بمكنونات الامور . انتهى

رواية امينة

الفصل الرابع

ونهضتُ في الصباح بعد ليل لم اذق فيهِ طعم الكرى واخذت ألبس ثيابي وفُتح الباب ودخلت بوار وقالت اذنت لنا الهانم ان نزور بيت حميدة فالبسي حالاً وهلمي معي. قالت ذلك وخرجت مسرعةً . فسررت بهذا الخبر لانني كنت اودُّ الخروج من البيت وقبل ان لبست يشمكي دخلت وحيدة هانم وقالت بلغني انكِ ذاهبة فاتيت لاساعدك اجلسي لكي اضع لكِ اليشمك . ثم جعلت ترتب شعري ووضعت اليشمك على رأسي وشكلتهُ على حسب ذوقها

وقالت لي لا اخفي عليكِ يا امينة ان داود بن حميدة استأذن امي في ان يكتب كتابهُ عليكِ ثم لما قالت بوار امس انكِ ذاهبة اليوم الى هناك اخبرت امي ابي بذلك وسألتهُ عما اذا كان ذهابكِ الى هناك لائقاً . فقال ان لا مانع من ذهابكِ لانهُ لم يُكتَب كتابكِ حتى الآن . وستخبر بوار حميدة ان الكتاب يكتب في الاسبوع القادم

فقلتُ مضطربة " أيكتب كتابي "

فقالت نعم ولماذا خفتِ فان هذه هي مشيئة جدتك وقد اتفقت هي وحميدة على ذلك

فوضعت رأسي على يدي ولم أفه بكلمة وكنت اعلم اني لا اقدر ان اقول شيئاً لا سلباً ولا ايجاباً ولكن كانت حواسي كلها نافرة وانا اقول في نفسي كيف اقترن برجل وانا احب آخر

ولما رأت وحيدة هانم مني ذلك قالت لي بالله عليكِ لا تظهري هذا النفور امام احد لئلاَّ يظن انكِ لا تريدين ان يكتب كتابكِ عليهِ فيكثر القال والقيل . ارفعي رأسكِ ودعيني اصلح شعركِ ثانية ولا تعملي مثل المجانين ولا بدَّ لكِ من الزواج فان لم تسرَّ حميدة بمنظركِ فلا يمكن ان ترضيها بعد ذلك

ثم اوقفتني امام المرآة ونفشت شعري قليلاً ووضعت عليهِ عزيزية وردية ثم وضعت اليشمك وكانت حمرة الخجل قد صبغت وجنتيَّ فلم يسعني الاَّ ان اعترف لنفسي باني كنت يومئذٍ جميلة المنظر ثم عقدت نطاقي وألبستني الفرجية ودخلت بوار حينئذٍ فتركتني وحيدة هانم معها

وخرجنا من البيت سوية وسرنا حتى بلغنا السلاملك وكان المماليك مجتمعين هناك فكلم واحد منهم بوار بالشركسية فلم تجبهُ فقال بالتركية مازحاً انسيتِ لغتك يا حبيبتي وما عدتِ تتنازلين لمخاطبة رجل مثلي. فقال لهُ آخر وكنت سمعت انهُ ابن عمها " الحق في يدها لماذا تخاطبنا ونافذ بك امام عينيها — متى تصيرين كنة الباشا يا عزيزة "

فقالت لهُ " حينما تصير انت صهرهُ ولكن دعنا من الهزل يا شاكر آغا وتعال معي الآن ان امكن " . فقال لا اظن ذلك ممكناً لان الباشا لم يخرج حتى الآن ولكنني سأتبعكِ بعد خروجهِ فالى اين انتِ ذاهبة . فقالت الى اجيا صوفيا وننتظرك على الجسر . فقال نعم وهوذا مركبة الباشا فاسرعا من هنا

فخرجنا وسرنا وقلت لبوار لماذا طلبتِ من هذا الرجل ان يتبعنا . فقالت وما هو الضرر من ذلك فهو ابن عمي ويحق لي ان اتكلم معهُ. فقلت ولكن انا لا يحق لي . فقالت بالله عليك ماذا تفعلين في قريتكِ ألا تكلمين الرجال

فلم اجبها بشيءٍ ولكنني شعرت بنفسي اننا لم نحسن في الكلام معهُ . وكنت اعلم ان

الجواري يكلمن هؤلاء المماليك كلما لاحت لهنَّ فرصة ويشعرنَ بقرابة تربطهنَّ بهم لانهم كلهم من بلاد واحدة . وبقينا ماشيتين الى ان بلغنا الجسر وبعد قليل وصل الينا شاكر آغا ومشي معنا وكانت بوار تكلمه بالشركسية وذكرا اسم نافذ بك مرارًا فانشغل بالي من جرَّاء ذلك لانني حسبتها تخبره بما خامر ذهنها من حبهِ لي . ثم عادا الى التكلم بالتركية . فقال لها لا اقدر ان ارشدك الى احد ولكن قيل لي ان واحدةً كانت تسكن في آت ميدان . فقلت لها ماذا تريدين . فقالت مرادي ان امضي الى امرأة ساحرة ويقول شاكر آغا ان في آت ميدان عرَّافة ساحرة ثم التفتت اليهِ وقالت أبعيد المكان من هنا . فقال كلاَّ بل هو قريب جدًّا قرب السر عسكرية ثم قال لي ما قولكِ يا امينة هانم . فقلت كما تريد بوار . ولم أكن اريد ان نذهب الى هناك ولكن تعذَّر عليَّ ان ابدي رأيي . وظهر لي ان شاكر آغا يعرف الطريق الى العرَّافة جيدًا مع انهُ ادَّعى انهُ لا يعرفها حتى اذا بلغنا باب بيتها قرع الباب بعصاه ففتح لنا وأُدخلنا الى غرفة العرافة واذا هي جالسة امام منقل فلما وقع نظرها علينا نهضت وطرحت قليلاً من البخور في النار . واسرَّت بوار في اذني قائلةً اطلبي منها ان تخبرك عن بختك اولاً فانغضت رأسي وانا اقول في نفسي انها ان كانت عرَّافة افشت من سري ما لا اريد افشاءهُ وان لم تكن فلا فائدة من كلامها . فتقدمت بوار اليها وقالت لا اريد ان تبصري لي بختي ولكن ان تساعديني في امر اخبرك بهِ سرًّا . ثم مشت معها وابعدتا عنا وعادت بوار بعد قليل وجعلت تكلم شاكر آغا بالشركسية . وفهمت حينئذٍ ان بوار طلبت من العرَّافة ان تكتب لها عوذة لكي يحبها نافذ بك فاسفتُ جدًّا لانني اتيت معها ولكنني عدت ولمت نفسي على ذلك وقلت خير لهُ ان يحبها ويقترن بها لانهُ لا يغيظ احدًا اذا فعل ذلك اما انا فلا امل لي بهِ على الاطلاق ولا بدَّ لي من احتمال بعادهِ بالصبر مهما كان مرًّا . وعادت العرَّافة وبيدها ورقة ملفوفة وقالت لبوار اطمروا الورقة الحمراء تحت عتبة غرفتهِ لكي يمشي من فوقها . فذعرت بوار من ذلك وقالت لها ان تخفض صوتها فخفضتهُ واعطتها ورقة بيضاء وقالت لها عنها شيئًا لم اسمعهُ واعطتها بوار جنيهين وانصرفنا من بيتها

ولما خرجنا اعطت بوار الورقتين لشاكر آغا فاخذهما منها ومضى وسرت انا معها الى بيت حميدة فاستقبلتنا بمزيد الترحاب وانفردت بوار بحميدة وابلغتها وصية الهانم وكنت اعرف مؤدَّاها وقد سلمتُ امري للاقدار ورأيت شيئًا من السلوى في المقابلة التي قابلتني بها حميدة وزوجها فانهما قابلاني كوالدين حنونين ذكَّراني بابي وامي . وقلتُ في نفسي انهُ اذا امكنني ان اسلو نافذ بك عشت معهما عيشة الرضى والسرور . ولم ارَ داود في البيت لان اباهُ اخبرهُ بمجيئنا

فبقي في السوق . ثم اشارت علينا حميدة ان نذهب الى النزهة بعد الظهر فلما خرجنا من البيت كان داود جالساً في قهوة قريبة فمشى وراءنا لحراستنا . والتفتُّ اليهِ مراراً فرأيتهُ بشوش الوجه مثل ابيهِ لكنهُ عريض الحاجبين حتى اذا بلغنا الجسر نادى امهُ وقال لها اننا ان كنا نريد الذهاب الى ايوب سلطان فيمكننا ان ننزل في قارب من هناك فسرّت بوار بذلك ونزلنا في قارب وقطعنا الى الجهة الاخرى من البسفور الى ايوب سلطان وكنت كلما التفت اليهِ اراهُ ناظراً اليَّ

وسرنا بين القبور في ايوب سلطان وكان الحر شديداً جداً فاخترت بقعة فيها حشيش وجلست فيها لاستريح. وكان الازدحام شديداً في المقبرة ورأيت بين الناس كثيرين من ذوي المقامات العليا على غير المعتاد فاخذت اسلي نفسي بقراءة ما على القبور من الكتابة ثم جعلت افكر في ما آل اليهِ امري وبينما انا غائصة في بحار الافكار سمعت صوتاً مألوفاً فالتفت واذا نافذ بك ماشٍ مع ياورٍ من ياورية السلطان وللحال خطر ببالي ما سمعتهُ البارحة عن موت ابن يوسف باشا ومجيء نافذ بك في جنازتهِ بالنيابة عن ابيهِ. وكنت اعلم اني لم اجنِ ذنباً بمجيئي الى هذا المكان ولكنني لم ارد ان نتقابل فيهِ فقمت بعد ما مرّا والتفت الى بوار وحميدة فلم ارَهما ولكنني رأيت داود واقفاً على بضع خطوات مني متكئاً على شجرة والظاهر انهُ كان يحرسني .وكنت اعلم انهُ لا يليق بي ان اكلمهُ ولكن قضت الضرورة عليَّ وقلت انهُ يعلم ذلك و يغتفرهُ فتقدمت اليهِ وقلت لهُ اين امك و بوار . فقال لا اعلم اتريدين ان نتبعهما . فقلت نعم لان نافذ بك هنا والاحسن ان لا يرانا فقال اذاً اذهب وادعوهما فهل يغتاظ اذا رآك هنا. فقلت اظنهُ لا يريد ان يرى جاريتهُ هنا

فلم يفهم كلامي جيداً على ما ظهر لي ولكنهُ فهم اني اريد ان يدعو امهُ وبوار فدار وقال لا اعلم اين ذهبتا ولكنني امضي وافتش عنهما قال ذلك ودار ومضى وسمعت حينئذٍ واحداً يناديني باسمي فالتفت واذا نافذ بك ورائي والغيظ في وجههِ فقال لي من هذا الرجل ولماذا انتِ هنا فقلت لهُ ان امك سمحت لنا بالذهاب الى بيت حميدة ثم اتينا الى هنا للنزهة . فقال ولكنكِ لم تجيبيني عن سؤالي الاول وهو من هذا الرجل الذي كنتِ تتكلمين معهُ

فقلت هو داود بن حميدة وقد ارسلتهُ ليفتش عن امهِ و بوار

فقال لماذا بعدتِ عنهما وكيف تمشين وحدكِ مع رجل بلغت الوقاحة منهُ ان طلب الاقتران بكِ

فلم اجبهُ لأنَّ كلامهُ اغاظني جداً ولم اكن انتظر ان يكلمني بمثل هذا الكلام مهما كان فضل والديهِ عليَّ كبيراً لاني لست جارية من جواريهما

ولما رأى اني لم اجبهُ قال أتريدين ان تقولي لي انكِ تعرفين ابن البقال هذا من زمان طويل وانهُ طلب الاقتران بكِ برضاكِ

ولما سمعت منهُ هذا الكلام ورأيت ما فيهِ من الكبر والخيلاء اخذتني الانفة وقلت لهُ ان كان هو ابن بقال فانا ابنة حداد

فقال مزدريًا احسنتِ ويسرُّني انكِ عرفتِ مقامكِ ولكن ما دمت في دارنا يجب عليكِ ان تعرفي شروط اللياقة فلا يناسب سمعتكِ ان يقال انكِ كنتِ تتكلمين مع حبيبكِ وحدكما في مثل هذا المكان

فلجمتُ لساني عن اجابتهِ ووقف هو صامتًا برهةً ثم قال كنت اظنكِ افضل من هؤلاء الشركسيات فاخطأت ولذلك ارجو ان تنسي كل ما اطلعتكِ عليهِ. ثم ادار وجههُ عني وقد آلمني قولهُ ألمًا انطق لساني غصبًا عني فقلت لهُ " لا حقّ لك يا مولاي ان تكلمني بمثل هذا الكلام اما من جهة ما تطلب مني ان أنساهُ فانا افعل حسب طلبك عن طيب نفس لان ما اطلعتني عليهِ قد آلمني اكثر مما سرَّني "

ولم التفت الى وجههِ حينما قلتُ هذا القول ولذلك لا أعلم ما كان تأثير كلامي فيهِ ووصلت حميدة وبوار حينئذٍ وجعلت حميدة تسلم عليهِ فلم يلتفت اليها بل امر بوار ان نعود الى البيت حالاً لان الشمس كادت تغيب ولا نصل الى البيت قبل العتمة . فمشينا وكانت بوار وحميدة تتأسفان لانهُ التقى بنا هناك اما انا فكنت لا أعي على شيءٍ لفرط ما حلّ بي من الغيظ والكرب ونزلنا في قايق حتى اذا وصلنا الى قباطاش شكرت بوار داود وافترقنا ونظر اليَّ داود نظر المستفحص ليعلم سبب اضطرابي فتجلدت على قدر طاقتي وكاد وجهي يحترق من الخجل

ومرَّ بنا نافذ بك بقايقهِ ونحن في البوغاز وكان في قائقهِ اربعة رجال يجدفون فوصل الى البيت قبلنا فلما دخلنا اوقف بوار وقال لها رأيتك في الصباح قرب السرعسكرية مع شاكر اغا ثم رأيتك في المساء مع داود في ايوب سلطان فهل تظنين انني اسكت عنكِ وانت جارية من جواري ابي

ولما قال ذلك امتقع وجه بوار وارتخت مفاصلها حتى كاد يغمى عليها فاسندت يدها على كرسي وقالت يا سيدي وكأنها قصدت ان تنكر ذهاب شاكر آغا معنا فقال لها نافذ بك اياكِ والكذب فاني سألت شاكرًا عنكِ فاخبرني لماذا ذهبتِ والى اين ذهبتِ . وانتِ تعلمين اني اذا اخبرتُ امي ضربتكِ حتى الموت . ولكن الذنب ليس كلهُ عليكِ ولذلك لا اخبر امي واياكِ والذهاب مع امينة مرة اخرى اذا ارادت ان تذهب الى العرافين ليكتبوا لها عوذ المحبة

او ان تلتقي بحبيبها في ابوب سلطان فانت تحت امري واما تي فالشكر لله انها ليست تحت امري

وحاولتُ ان اجيبهُ وانفي هذه التهمة عني ولكنهُ سار في طريقهِ قبل ان اقول شيئًا . ووقفتُ مدهوشة يكاد قلبي ينصدع من الغم والكرب ونظرتْ بوار اليَّ وكأن همومها فُرّجت عن صدرها . وعلمتُ حينئذٍ ان لا امل لي بان كرم اخلاقها يحملها على اظهار الحقيقة والمدافعة عني ولم اشأ ان الجأ اليها لاني علمتُ انها لا تلبي طلبي فصعدتُ الى غرفتي وانطرحت على الديوان وقلت في نفسي ان شاكر اغا عالم بان نافذ بك اشترى بوار لتكون زوجةً لهُ ولا بدَّ من ان يتزوَّج بها يوماً ما فمن مصلحتهِ ان يرضيها ويدافع عنها ولا بدَّ من ان يكون قد القى اللوم كلهُ عليَّ

ولما صوَّرت لنفسي الحالة التي يراني فيها نافذ بك حينئذٍ ضاقت الدنيا في عينيَّ وغلبتني العبرات فاخذت ابكي وانتحب ولكنني عدتُ وتجلَّدت وقلت لعل الله دبَّر ذلك لخيري وخيره فاخرج من هذا المكان ويمنع الشقاق الذي كان لا بدَّ منهُ بسببي

ولما نزلنا الى العشاء رأيت نصرالله باشا آتيًا ليتعشَّى في دار الحريم مع اولادهِ فتقدمت اليهِ حسب العادة وقبلت يدهُ ويد هانم افندي ويد ادهم بك وكان لا بدَّ لي من ان اقبّل يد نافذ بك ايضاً لانهُ معهم فلما دنوتُ منهُ لم يرد ان يعطيني يدهُ بل قال لقد رأيتك منذ خمس دقائق قال ذلك من غير ان يلتفت اليَّ فضحكتْ وحيدة هانم وقالت ان نافذ بك يكره هذه العادة وقد جاءنا من باريس بافكار جديدة مع انهُ لم يقم فيها سوى ثلاثة اشهر ولم يعد يريد ان يقبّل احد يدهُ . وقالت ولية هانم لا ادري كيف يقيم بك افندي عشر سنوات في باريس ويعود منها تركيًّا قحًّا واما اخوهُ فتغيرهُ ثلاثة اشهر تغييرًا تامًّا

فضحك ادهم بك حتى استلقى على ظهرهِ وقال ان جلدي سميك لا يتأثر ولكن اذا اردتِ ان تمدحيني فلا يكون المدح على هذه الصورة لان التركي القح مذموم في هذه الايام . ولا انكر اني من الطراز القديم وامس سمعتُ واحدًا من المستخدمين عندي يقول ان ادهم بك تركي قح مع انهُ يتكلم الفرنسوية مثل الفرنسويين . فقال لهُ علي بك وماذا قلتَ لهُ . فقال لم اقلْ شيئًا لانهُ كان يودُّ ان اشرح لهُ بالفرنسوية ورقة اريد ان يكتبها بالتركية . وارى المستخدمين يطيعونني ولكني لا اراهم يحبونني لانني صارم لا اوافقهم على سخافة عقولهم ولا اعذر احدًا من الذين يسكرون ويقامرون حاسبين ان الاقتداء بالاوربيين يقوم بمثل ذلك وان التمدُّن يقتضي التهتك

فقال علي بك اني اشفق عليهم لانهم يحسبون انهم سائرون في طريق التمدن وان هذا هو الاقتداء بالافرنج

وقال نصرالله باشا لقد اصاب ادهم ولا اعني بذلك انهُ يجب ان نرجع الى الوراء ونتمثل باسلافنا الذين كانوا منذ تسعين سنة ولكن لا ارى احتقار لغتنا وامتنا من التمدن في شيءٍ

فقال علي بك . ثم ان لغتنا نفسها لم تبقَ على ما كانت عليهِ بل اتسعت وتهذبت ألا ترون انهُ لم يكن فيها كلمة " شَرَف " فأوجدت فيها وشاع استعمالها

فقال نافذ بك متهكماً كان معناها موجوداً ولفظها مفقوداً اما الآن فوُجد اللفظ وفقد المعنى

فالتفت اليهِ ادهم بك وقال لهُ ما شاء الله هذا تغيير جديد في نافذ والظاهر انهُ سيترك حزبهُ وينضم الى حزبنا

فقال نافذ بك كلاَّ لا اريد الانضمام الى هذا ولا الى ذاك لاني لا افهم ما هي مطالبها وقد رأيت كثيرين من حزب تركيا الفتاة يتزلفون الى الترك القدماء ورأيت كثيرين من الترك القدماء يبعثون اولادهم الى اوربا لكي يربوا على الاخلاق الاوربية ثم يعودون عليهم باللائمة لانهم لم يبقوا مثل اسلافهم يبصقون على كل مسيحي ويحسبون الحكومة الدستورية خراباً للبلاد

فتهلَّل وجه علي بك وقال نشكر الله صار نافذ بك يبحث في السياسة . ولم اكن اعلم من اي حزب انت فهلمَّ اخبرنا ما هو رأيك في الاحوال الحاضرة

فانغض نافذ بك رأسهُ ولم يجب بشيءٍ . وقالت ولية هانم ان نافذ بك غير راضٍ عن شيءٍ منذ شهر من الزمان فلا ترسلوهُ الى الاناطول مرةً اخرى لان القصاص يقع علينا اخيراً

فالتفت نصرالله باشا اليهِ وقال اراك يا نافذ كأنك مريض فهل كان الحر شديداً في ايوب سلطان

فاجاب نعم كان شديداً جدًّا وبقينا هناك ثلاث ساعات ازهقت ارواحنا لان قبو المقبرة انصدع فاضطررنا ان نصلحهُ قبل الدفن فيهِ

فقالت امهُ اظنك كنت واقفاً في الشمس ويظهر لي كأنك مصاب بصداع في رأسك ياولدي

فقال لها ما بي شيءٌ يا امي كوني مطمئنة وما هو الاَّ تعب يسير يزول بالراحة . فقالت عسى ان يكون الامر كذلك ولكن يظهر على وجهك انك مريض

ولما قام ليذهب نظرتُ اليهِ فاذا وجههُ كالتراب وحول عينيهِ دائرتان سوداوان فنسيتُ كل ما بدا لي منهُ من الاساءة واخذت لكن الفضة ودنوت منهُ عازمةً ان اكون البادئة في الصلح فنظر اليَّ وقال لا تتعبي نفسكِ ونادى الجارية مريم وقال لها خذي اللكن

منها . فاعطيتها اياهُ وسرت الى الشباك لاخفي ما جال في عينيَّ من الدموع وانا اقول في نفسي ما عاد يحسبني اهلاً لشيء ولا لخدمتهِ

وشغلنا في اليوم التالي بالحزم والرزم وخرجت في العشيَّة الى الحديقة فرأيت فيها ادهم بك ونافذ بك وكان نافذ بك قد اخذ يوسف ابن اخيهِ ووضعهُ على شجرة وهو طفل رضيع ووقفت امهُ ولية هانم امامهُ تتوسل اليهِ ان ينزلهُ لئلاَّ يقع . ولما وصلتُ دار والتفتَ اليَّ فبان لي كانهُ مريض فانهُ كان غائر العينين احمر الوجنتين مقطب الجبين ولما وقعت عينهُ على عيني حوَّل نظرهُ عني مغتاظاً وقال لامرأة اخيهِ سأترك الولد حيث هو لانهُ يجب ان يتعلم ان يبقى وحدهُ.
فقالت ليس على الشجرة بالله عليك انزلهُ والاَّ وقع خذيهِ منهُ يا امينة فانهُ يسمع منكِ

فوقفتُ حيرى لا ادري ما افعل لكن نافذ بك لم يتركني في حيرتي بل انزل الولد حالاً ووضعهُ على الارض وجلس بجانبهِ وقال لامهِ اطمئني عليهِ ولا ادري ما يريبكِ مني كأن لي ثاراً عليهِ حتى تجنّي اذا مسكتهُ خمس دقائق

فقالت ما حيلتي وانت تنسى ان يديهِ ورجليهِ ليست من حديد ولا اريد الاَّ ان تتزوج لأرى كيف تعامل اولادك

فقال دبري لي العروس وانا اتزوَّج اكراماً لخاطركِ

فقالت ما لنا وللهزل لماذا لا تقول لامك لتدبر لك عروساً فقد حان الوقت

فقال قولي لها عن لساني ولكني اخاف انها لا تأخذ على نفسها هذا الامر الشاق . وقد كتبتُ مرةً قائمة الاوصاف التي اطلبها في زوجتي واطلعت وحيدة عليها

فقالت وحيدة لم تطلعني انا لان ليس لي الشرف ان اؤتمن على اسرارك ولكني اظنك اطلعت امينة عليها

وخفت ان تكون عنت شيئاً بهذا الكلام فنظرتُ اليها ولما لم ارَ منها اقل اشارة نظرتُ اليهِ وكان مستلقياً على الارض ويداهُ تحت رأسهِ والطفل جالس بجانبهِ يلعب بساعتهِ والظاهر ان كلام اختهِ جعلهُ يظن ما ظننتُ انا فنظر اليها مستفسراً ثم قال لا فرق عندي في مَن اطّلع عليها اولاً وانا مستعدٌّ ان اتلوها عليكِ الآن اذا شئتِ . فقالت افعل اكراماً لخاطري

فقال يجب اولاً ان تكون جميلة جميلة مثل — والتفت الى مَن حولهُ ليرى مَن يشبهها ولكنهُ لم يلتفت اليَّ ثم قال مثل ولية لاني لا ارى لماذا تكون امرأة اخي اجمل من امرأتي

فضحكت وحيدة وقالت اشكري صهرك ياولية اما انا فلا أُعدُّ بين الجميلات . مسكين بك افندي فان ذوقهُ لا يعتدُّ بهِ

فقال كلاَّ ولو كنتُ مكانهُ ما كنتُ أُقدِم على الاقتران ببنت نصر الله باشا ولاسيما بعد ان رأى ما رأى من اغا بك ومني .

فقالت لهُ لماذا وما هو عيبك

فقال ألا ترين ما بي من العناد فلا بدَّ من ان يكون فيكِ بعض ما فيَّ واذا كنتُ على ما اقول فلا يحسن ان اقترن بامرأة عنيدة بل لا بدَّ من ان تكون امرأتي مثل المرأة التي يحكى عنها في القصص انها تنتظر زوجها في الباب والخبز والماء في يدها

فقالت ولية والعصا في اليد الاخرى لكي يأكل و يشرب ثم يضرب فان كان الامر كذلك يا حبيبي فلا عجب اذا كانت امك تستعفي من تدبير الزوجة لك وارجو ان تعفيني من القيام مقامها

فقال احسنتِ وهذا يريحني منكِ ومنها . وانتَ يا ابني الله يعطيك العافية

وكان الطفل قد اخذ يرجح الساعة بسلسلتها ثم ضرب بها ساق الشجرة

فصرخت ولية هانم ماذا فعل ماذا فعل هل كسرها قبحهُ الله لماذا اعطيتهُ اياها

فقال هل اقدر على ابنكِ وهو ابن والديهِ نعم كسرها قولي لزوجك ان يشتري لي ساعةً بدلاً منها

واخذ الساعة من الطفل فوضع الطفل اصبعهُ في فيهِ وتهيأ للبكاء فقال لهُ كلاَّ كلاَّ خذ الساعة والف ساعة لا تسمعنا صوتك لان رأسي يكاد ينشقُّ

فالتفتت وحيدة اليَّ وقالت لي لا احد يقدر ان يسكت هذا الولد غيركِ . فتقدَّمت لآخذهُ من يدهِ وقبل ان وصلت اليهِ نهض على قدميهِ ودنا من اخيهِ واعطاهُ الطفل قائلاً انت اقدر من غيرك على تسكيت الناس . فاخذهُ ادهم بك منهُ واعطاهُ لزوجتهِ وقال لها لا تسلميهِ اياها اذا اردتِ ان يبقى سليمًا ونشكر الله لان نافذًا يمل من لعبهِ ويتركها سريعًا . فقال نافذ بك نعم ولكنهُ لا يكسر قلوبها ولا ارجلها . فالتفت ادهم بك اليَّ ولم يقُلْ شيئًا ثم جلس بجانب امهِ وقال لها ايمكننا ان نذهب غدًا . فقالت " نعم ولا بدَّ من الذهاب غدًا فان نافذًا مريض ولو انكر ذلك والتغيير يفيدهُ " . والظاهر ان نافذ بك لم يستطع الوقوف فجلس حالاً ولكنهُ قال لامهِ لست مريضًا كما تظنين نعم اني اشعر بشيءٍ من الصداع ولكنني غير مريض اما اذا اردتِ انتِ وابي ان تصرَّا على كوني مريضًا فليكن ذلك

فقالت نعم وقد لحظ ابوك منك ذلك البارحة وقال انك ستمرض . فقال اشكر فضلهُ وعسى ان يبقى ينظر اليَّ هذا النظر فلا يعاملني كما عاملني اخيرًا

فقالت لهُ ولية لقد ذكَّرتني الآن فقل لنا ماذا قلت لهُ

فقال لم اقل شيئًا بل وقفت امامهُ مصابًا بالخرس لاني أحكَمُ من ان اتجاسر على مجاوبتهِ فقالت اذًا ماذا قال لك هو . فقال قال لي اني مجنون فلم يفدني شيئًا جديدًا لاني علمت ذلك من نفسي والآن ما لنا ولهذا الحديث هلمَّ الى السلاملك اغابك فقد حان وقت العشاء

ولما سارا التفتت وحيدة هانم اليَّ وقالت لي ماذا جرى لهُ يا امينة . فقلت لها ما حضرني من الجواب بصوت منخفض فاكتفت بهِ ولم تعد تسألني ومن ثم لم يعد نافذ بك يكلمني ولا يلتفت اليَّ

الفصل الخامس

في اليوم التالي بعد وصولنا الى المصيف اضطرَّ نافذ بك ان يسلّم بانهُ مريض واشتدَّت الحمى عليهِ واستُدعي الطبيب فقال ان الحمى دماغية ورجح ان سببها وقوفهُ في الشمس زمانًا طويلاً في ايوب سلطان . فانقلب السرور الى غم واضطرت هانم افندي ووحيدة هانم وولية هانم ان يلازمنَ غرفتهُ نهارًا وليلاً . وكأن هانم افندي آلت على نفسها ان تنقذ ابنها من هذا المرض ولو فدتهُ بنفسها فجلست امام سريرهِ لا تطرف لها عين ولا تنزل لها دمعة وزاد اكرامي لها لما رأيتها ساهرة على ابنها وبيتها معًا تدير العبيد والخدم كانهنَّ ساعةً في يدها . وكاد قلبي ينصدع حزنًا وغمًّا ولكني لم اكن لا عبأ بما حلَّ بي لان قيامي على جدتي وهي مريضة علمني تمريض المرضى وجعل لي شيئًا من النفع . وغاب نافذ بك عن وعيهِ حالاً ولكن خدمتي لهُ كانت مريحةً جدًّا ولما رأت هانم افندي ذلك لم تعد تسمح لي بالخروج من غرفتهِ فشكرت الله على ذلك والاَّ لجننت

مَن جلس بجانب مريض عزيز لديهِ يعدُّ الساعات والدقائق ويرى علامات الصحة والمرض والقوة والضعف تتناوب امام عينيهِ ويشعر كأن ملاك الموت يرفرف فوق عزيزهِ وهو يحاول ابعادهُ عنهُ بكلتا يديهِ يعلم الحالة التي كنت فيها والكرب الذي كنت فيهِ يومًا بعد يوم الى ان قال الطبيب انهُ جاز الخطر

ومضت ايام البحران كلها ولم يلفظ اسمي مرة ولا اشار اليَّ ولو اشارة لكن ذلك لم يؤلمني ولا كان لي وقت لافكر فيهِ

وذات ليلة صلحت حالهُ حتى اقنعنا هانم افندي بان تمضي الى غرفتها وتنام ولو ساعة من الزمان . فرضيت وتركتني بجانب سريرهِ لانها لا تركن الى الجواري . ومضت ربع ساعة وانا انظر اليهِ واسأل نفسي ترى هل كتبت لهُ السلامة واذا بادهم بك قد دخل ولما احتفزت لاقف لهُ اشار اليَّ ان أبقى جالسة ووقف ينظر الى اخيهِ وكان قد صار جلدًا وعظمًا وكأنهُ كان مثلي قليل الامل بشفائهِ . وتحرَّك نافذ بك حينئذ وفتح عينيهِ ونظر اليَّ ولم ينظر الى اخيهِ

وهذه اول مرة رأيتهُ نظر اليَّ وعرفني ثم قال لي يا امينة يا حبيبتي أأنتِ هنا اظنني مضى عليَّ زمان طويل وانا مريض تعالي الى هنا تعالي ودعيني الثم وجنتيكِ . فخرت في امري لكن ادهم بك نظر اليَّ وقال قومي اكراماً لخاطري قومي لاننا لا نستطيع ان نخالفهُ الآن والاَّ عرَّضنا حياتهُ للخطر . فقمت مكرهة وادنيت وجهي منهُ وانا اكاد اذوب خجلاً وشعرت كأنَّ شفتيهِ متقدتان وكأني ارتكبت جريمة لا تغتفر . اما هو فتبسم اولاً ثم عبس وقال ألم تتخاصم نعم ولكنني نسيت السبب نسيت السبب . كم مضى عليَّ وانا مريض اغا بك . فدنا ادهم بك منهُ وجعل يمهد وسادتهُ وقال لهُ مضت مدة طويلة توجب عليك الراحة التامة والآن يجب ان تنام ولا تتكلم . فقال امرك واغمض عينيهِ . فدار ادهم بك اليَّ وقال "نجا من الخطر ان شاء الله وانت سبب نجاتهِ يا عزيزتي ولكنني ارى علامات التعب الشديد عليكِ فاين البقية " . وقد استغربت هذا التودُّد لاني لم اعتدهُ منهُ وقلت لهُ ان هانم افندي مضت لتنام . فقال سأبعث وحيدة واما انتِ فانكِ محتاجة الى النوم ايضاً . وبعد قليل دخلت وحيدة واضطرتني ان اخرج وانام فخرجت ومضيت الى غرفتي عن طيب نفس لانني شعرت بالحاجة الشديدة الى الراحة وقلت في نفسي انهُ لا يمكنني ان ابقى على خدمتهِ ما لم استرح

وحاولت النهوض في الصباح فلم استطع لاني كنت مصابة بصداع شديد واخبرتني كنجه ان الطبيب حضر وقال ان نافذ بك نجا من الخطر وانهُ صار في حالة النقه فعزمت ان ابقى في سريري ذلك اليوم لاني رأيت انهُ يسهل الاستغناء عني فبقيت النهار كلهُ وشعرت في المساء بشيء من الراحة فنهضت ومضيت الى غرفة نافذ بك فرأيتهُ نائماً وجلست بجانب هانم افندي ولم اكد اجلس حتى ضمتني الى صدرها وقبلتني فاستغربت ذلك منها وقلت في نفسي ماذا جرى حتى عطفت عليَّ الآن . وبعد دقائق قليلة فتح نافذ بك عينيهِ ونظر الى امهِ ولما رآني الى جانبها ادار وجههُ ودخلت ولية هانم حينئذٍ ووقفت فوق رأسهِ وقالت لهُ اراك احسن كثيراً فقال نعم ولكني ضعيف جداً اين اغا بك ولم يكد يتم كلامهُ حتى دخل ادهم بك ودنا منهُ وقبل ان يكلمهُ التفت اليَّ وقال اظنكِ كنتِ مريضة من كثرة التعب والتفت نافذ بك اليَّ ايضاً وقال لماذا تتعبونها . فقالت لهُ ولية هانم كانت تمرّضك كل هذه المدة ولولاها ما كنت ادري ماذا كانت امك تفعل . فقالت هانم افندي نعم وليس بيننا من هي امهر منها في التمريض ومع اهتمامها الشديد بك لم يضعْ رشدها مثلنا . فلم يقل شيئاً بل التفت الى اخيهِ وطلب منهُ ان يقرأ لهُ فامسك ادهم بك صحيفة وجعل يقرأُ فاغمض عينيهِ ثم فتحهما ونظر اليَّ كانهُ لم يكن يسمع شيئاً . وحينئذٍ دخل نصر الله باشا وعلي بك فقال نافذ بك لاخيهِ كفاكَ

يا اخي فاني اشعر بالنعاس وانتِ يا امي اذهبي ونامي ولا داعي لان يبقى عندي الاَّ جارية من الجواري . فقالت هانم افندي ان امينة تبقى هنا لانها استراحت النهار كلهُ . فقال بل هي محتاجة الى الراحة مثلي . فنظر اليَّ نصر الله باشا بعين ملؤُها الشفقة وقال لي لقد صدق نافذ نادوا بوار لتبقى هنا فاني لا ارى لماذا لا تخدم سيدها. فقال نافذ بك نعم وانا لا ارى لماذا لم تخدمني من اول الامر وليس من العدل ان نتعب امينة وكيف نخلص من عتب حميدة اذا رأتها هنا

ولما قال ذلك زال اصفرار وجهي وشعرت كأن الدم كاد يطفر منهُ ونظر ادهم بك اليَّ واحدقت الابصار كلها بي ونظرت هانم افندي الى ابنها نظر التوبيخ . فقال ما عدتُ اقول شيئاً ولكني لا اريد ان نقتل نفسها لاجلي اذهبي يا امينة الى سريركِ والاَّ مرضتِ وأُضطر حينئذٍ ان امرّضكِ كما مرضتِني وفاءً لمعروفكِ وانا لا استطيع ذلك مثلكِ

فخرجتُ من غرفتهِ ومضيت الى غرفتي ورميت نفسي على الديوان وقلت لقد استجاب الله دعائي فقد طلبتُ منهُ ان يحوّل قلبهُ عني فحوَّلهُ فلماذا استاءُ من ذلك . ولكن عواطفي غلبت عقلي فاستولى اليأس عليَّ

ومضت بضعة ايام بعد ذلك لم ارهُ فيها وحدي لانهُ كان قد نقه وصارت العائلة تجتمع في غرفتهِ غالباً وكان يجتنب الكلام معي ولحظتْ ذلك ولية هانم فقالت لهُ ذات يوم "اهكذا تظهر شكرك لامينة فانك من حين شفيت لم تكلمها عشر كلمات كانك مغتاظ منها لانها مرَّضتك".

ولحسن الحظ لم يكن احد في غرفتهِ غيرنا لان هانم افندي ووحيدة هانم كانتا قد مضتا الى غرفة الاستقبال لمقابلة بعض الزوار وكان نافذ بك يقرأُ في كتاب لما قالت ولية هانم هذا القول فرفع عينيهِ وقال لقد اخطأتِ فاني غير مغتاظ منها ولا منكر فضلها عليَّ

فقالت اذاً لماذا لا تكلمها ولماذا لا تتكلمان كلاكما على جاري عادتكما كانكما صرتما غريبين فقلْ لي ماذا جرى بينكما هل تخاصمتما

وكان متكئاً على مقعد امام الشباك ويداهُ تحت رأسهِ فقال لها اليكِ عن الهزل فان امينة ليست خادمة عندنا ولا لنا سلطة عليها بل هي غريبة هنا فبأي حق اخاصمها

فقالت لهُ ألا تخجل من نفسك كيف تقول انها غريبة وما معنى هذا القول . فقال لماذا اخجل ولم ارد ان اقول سوى انهُ ليس لي علاقة بها تجيز الخصام او غير الخصام

فقالت نعم يجب ان تخجل من هذا الكلام الجارح . اليكِ عنهُ يا امينة يا حبيبتي ولا تعبئي بكلامهِ واظن انهُ جن حتى يتكلم بمثل هذا الكلام بعد كل ما بذلتهِ من العناية بهِ

فلم اعد استطيع الصبر وقمتُ لاخرج وسمعتهُ وانا خارجة يقول ان كانت قد اعتنت بي

بهذا المقدار فليس ذلك مما تمدحون عليه لاني كنتُ اظن اني اعزّ عليكم من ان تتركوني حتى لا يبقى من يعتني بي غيرها ولماذا لم تستأجروا لي ممرضة تمرّضني فانها كانت تمرضني مثلها

فخرجت وغلقت الباب ورائي واسرعت الى الحديقة وانا اكاد اتميز غيظاً . نعم اني كنت نزيلة عليهم ومحتاجة اليهم ولكنهُ هو آخر من ظننت انهُ يمكن ان يذكرني بذلك . فضاقت الدنيا في عينيّ وغلبتني العبرات فجعلت ابكي من كبد مقروحة واذا انا بادهم بك وعلي بك قد دخلا الحديقة واقتربا مني فقال لي ادهم بك ما جرى لكِ ما سبب هذا البكاء يا بنتي . فقلت لا شيء ونهضت وحاولت مسح دموعي . فقال هل قالت امي لكِ شيئًا فقلت كلاَّ فقال اذا وحيدة فقلت كلاَّ فقال بهية فقلت كلاَّ فصمت قليلاً ثم قال اذًا نافذ

وكان في صوتهِ شيء افاض الدموع من عينيّ غصبًا عني ولكني غطيت وجهي بيديّ فوضع يدهُ على كتفي وقال يا مسكينة اخاف ان يكون نافذ اغاظك بالكلام لاني رأيتُ انهُ تغيّر عليكِ من يوم مضيتِ الى بيت حميدة فهل يمكنكِ ان تخبريني السبب

فقلت اني لا اعرف سببًا . ولما رأيت انهُ رثى لحالي تشجعت وقلت لهُ ألا يُسْمَح لي ان امضي الى بيت حميدة واقيم عندها بضعة ايام

فنظر اليّ مستغربًا ثم قال اخاف ان يكون ذلك غير ممكن لاسباب ولكن لماذا تريدين ان تتركينا يا امينة هل رأيتِ منا شيئًا يغظيكِ . فقلت كلاَّ يا مولاي . فقال اذًا تريدين ان تبعدي عن نافذ فاخبريني هل التقيتِ بهِ ذلك اليوم . فقلت " نعم ". وكنت اتمنى ان تنزل عليّ صاعقة او تثور زلزلة او زوبعة او يحدث حادث ما يمنعهُ من السؤَال ويمنعني من الجواب

فقال هل قلتِ لهُ شيئًا اغاظهُ . فقلت كلاَّ . فقال لماذا اغتاظ منكِ اذًا . فلم اجبهُ . فقال لي اسمعي يا امينة انا مثل ابيكِ فلا تخفي عني شيئًا لعلي استطيع ان اساعدكِ . فهل اوضح لك ما قالهُ ابي لهُ وهو ان يقاوم التجربة من غير ان يهرب منها . فصعد الدم الى وجهي حينئذٍ لاني رأيتهُ اقترب من الموضوع الذي كنت اريد ان ابعد عنهُ وقلتُ لهُ كلاَّ يا مولاي . فقال ولكن انت فهمتِ ذلك فهل هذا سبب نفورهِ . فقلت كلاَّ — نعم — لا اعلم حقيقةً ولكنهُ اغتاظ لانّي ذهبت الى ايوب سلطان

فقال مع من ذهبتِ الى هناك ولماذا

فقلت ذهبنا نتنزه هناك انا وبوار وحميدة وتبعنا داود بن حميدة كحارس لنا . فقال لا حرج عليكِ في ذلك ان كانت امي قد سمحت لكِ وقد احسن داود بذهابهِ معكما فهل ذلك غاظ نافذًا . فقلت انهُ اغتاظ لانهُ رآني اتكلم مع داود . ولما قلت ذلك شعرت كأنني اخطأت

بهذا الاقرار وانتظرت ان يعود عليَّ باللوم كما عاد اخوهُ لكنهُ لم يفعل ذلك بل نظر اليَّ طويلاً ثم قال لقد احسنتِ ولا ارى ضرراً من كلامكِ مع داود. وهذا احسن شيء لكِ انا ذاهب الآن لاقنع نافذاً بان لاحقَّ لهُ ليستاء منكِ

واردت ان اوقفهُ عن الذهاب ولكنهُ ذهب قبلما افقت من الدهشة التي اعترتني حالما سمعت كلامهُ . وقد قام في نفسي انهُ سيقع الخلاف بين الاخوين بسببي مرةً اخرى و بينما انا واقفة افكر في ذلك سمعت واحداً يضحك فالتفت واذا علي بك ورائي يضحك عليَّ وقد نسيت انهُ هناك فقال تعالي يا امينة لا تخافي ما عاد خصامها ممكناً لان نافذاً على ما تعلمين من الضعف الآن . فنظرت اليهِ مدهوشة ثم قال لي لا امهر من ادهم بك في اكتشاف الاسرار ولكنهُ لا يلبث ان يكتشفها حتى يسيء فهمها ويستنتج منها نتائج غير صحيحة

فلم اجبهُ لان قلبي لم يكن فاضياً لهذا الكلام وسرت نحو البيت ودخلت الرواق وجلستُ فيهِ افكر في امري وفي طريقة انجو بها من هذه المشاكل فلم ارَ غير الاقتران بداود وهذا كنت انفر منهُ بكليتي . ومرَّت ساعة من الزمان وانا غائصة في بحار الافكار ثم جاء بعض الزوار فسرت بهم الى غرفة الاستقبال ودخلت غرفة نافذ بك لانادي هانم افندي فرأيتهُ نائماً على المعقد وامهُ جالسة بجانبهِ فلما اخبرتها بمجيء الزوار قامت واشارت اليَّ ان اجلس مكانها فجلست وانا اتمنى ان يأتي احد غيري قبلما يستيقظ لكي لا يراني بجانبهِ لاني كنت مغتاظة جداً من الكلام القارص الذي اسمعني اياهُ في الصباح . ولم يسعني الاَّ ان انظر الى وجههِ وهو نائم وكان اصفر نحيفاً غائر العينين واحدى يديهِ على رأسهِ والاخرى ملقاة بجانبهِ على المعقد ووراءهُ ستارة من المخمل الازرق يظهر وجههُ عليها كأنهُ وجه ميت لا وجه حي . فلما تأملتهُ اغرورقت عيناي بالدموع ووددت ان امسك يديهِ بيدي واغسلهما بدموعي وقلت في نفسي يا الهي كم احبهُ وكم تألم بسببي . وفتح عينيهِ حينئذٍ ونظر اليَّ فنهضتُ مضطربة وقلت لهُ ان امك امرتني ان ابقى هنا فان اردتَ ادعو لك شخصاً آخر . فلم يجبني ولم يرفع نظرهُ عني ثم تبسَّم وقال عبثاً عبثاً . اذا كان بقاؤُكِ هنا لا يزعجكِ فلا تدعي احداً ولكني ارجو منكِ ان تزيحي هذه الستارة لاني اكره الظلمة . وكانت الستارة وراءهُ ولا بدَّ لي من ان انحني فوقهُ حينما ازيحها فانحنيت فنظر اليَّ ملياً وقال لي ارى انك كنت تبكين وقد قال لي ادهم بك انهُ رآكِ في الحديقة فاخبرتهِ ان كلامي ساءكِ جداً فسامحيني عن كل ما صدر مني

وخرج هذا الكلام منهُ تكلفاً كانهُ امرٌ واجب عليهِ قضاؤُهُ . وازحتُ الستارة ووقفتُ امامهُ وقد علتني حمرة الخجل وقلت لهُ لا ذنب اسامحك عليهِ . وقبل ان اتم كلامي قال لي لا تخافي ان

اتعبك ايضاً وارى الآن انهُ لم يكن يحق لي ان استاء مما ظننت انهُ يحق لي ان استاء منهُ فارجو ان تنسي ما مضى وتسامحيني اذا استطعت فنعود الى صداقتنا القديمة . ولما قال ذلك اعطاني يدهُ لاصافحهُ فظننت انهُ اعطاني اياها لالثمها على جاري العادة ولما هممتُ بذلك اخذها مني وقال اني اكره هذه العادة ولا افهم كيف تلثم المرأة يد الرجل ولكن خذي هذه المروحة وروّحي لي لان الحرّ شديد ازهق روحي

فجلست اروّح لهُ وانا افتكر في كيف استطاع ادهم بك ان ينقل اليهِ كل هذه الاخبار وكنت انظر من الشباك الذي وراءهُ الى البيوت التي على الضفة الاخرى اما هو فبقيت عيناهُ شاخصتين اليَّ . ثم قال ترى هل يريد هؤلاء الزوار ان يتعشوا هنا . فقلت في نفسي اذاً استثقل قيامي معهُ وقلت لهُ هل تريد ان ادعو ولية هانم فقال كلاَّ وقد اقامت معي الصباح كلهُ ولا يجوز ان نتعبها ايضاً . ولكن اين علي بك فقلت رأيت قائقهُ ذاهباً الآن بهِ ولكن ادهم بك هنا فهل ادعوهُ . فقال كلاَّ كلاَّ فقد سمعت منهُ ما يكفيني شهراً الاَّ اذا كنتِ قد شكوتِ اليهِ شكوى جديدة لم يبلغنيها حتى الآن

فنظرتُ اليهِ نظر الانفة والترفُّع فضحك وقال لا بدَّ من ان اطلب السماح منكِ مرةً اخرى . لماذا لا اقدر ان اقول كلمة من غير ان اغيظكِ . هاتي ناوليني هذا الكتاب حتى اقرأ فتستريحي مني . فاعطيتهُ الكتاب وكان شغل ولية هانم هناك فاخذتهُ وجعلت اطرز فيهِ ولم تمضِ دقيقة حتى طرح الكتاب من يدهِ وقال لا استطيع ان اقرأ لان رأسي يكاد ينصدع . مَن عندنا الآن فقلتُ زوجة يوسف باشا . فقال اما حان لها ان تنتهي زيارتها فقلت اتى زوَّار غيرها فقد رأيت الآن قائقاً آخر . فقال ما شاء الله الزوار بالافواج . فقلت انهنَّ اتينَ لعيادتك والسؤال عنك فقال شكراً لافضالهنَّ ولا سيما لانهنَّ لم يرينني في عمرهنَّ . فقلت بلى رأينك مراراً من الشبابيك ولو لم ترهنَّ . فقال هذه الرؤية لا تكفي لمجيئهنَّ في هذا الحر

ولم يكن في حديثنا طائل فصمتُ وصمت برهةً ثم تناول ساعتهُ وفتحها وقال متأففاً لم نزل في الساعة الرابعة وكنت اظنها الساعة السادسة ترى كم يوم يجب ان ابقى مطروحاً هنا مثل الكلب هل خرج الباشا . فقلت لا اظن فهل تريد ان اناديهُ لك . فقال اتظنين انهُ يليق ان اناديهُ ليأتي ويسليني . فقلت ولكن ألا تستطيع ان تسأَلهُ عن امرٍ من الامور حجَّة . فقال ماذا اسأَلهُ ونظر اليَّ باسماً فلم استطع الاَّ ان اضحك وضحك هو ايضاً وقال اني استغرب كيف يودُّ كلٌّ منا ان يتخلص من الآخر لماذا ذلك يا امينة اجلسي واسمعي ما اقولهُ لك . فجلستُ

وانا اود ان تدخل هانم افندي لاخلص من حرج هذا الموقف ولما خطر ببالي ذلك صعد الدم الى رأسي . فقال ماذا جرى لكِ الآن وبماذا انتِ تفكرين لا تخافي فاني صرت احاذر ان اقول لك كلمة مخافة ما القاهُ من التعنيف مَن ادهم بك . والظاهر انكِ جعلتهِ موضع سركِ اتوسل اليكِ ان لا تغتاظي مني الآن فتشكي امركِ اليهِ لاني احب ان اخسر كل خسارة ولا اسمع تعنيفهُ مرة اخرى

فقلت لهُ كيف تعاملني هذه المعاملة وكيف تستحلُّ ذلك أأصدّق ان ادهم بك قال لك كلمةً بطلبي او برضاي

فقال لماذا شكوت اليهِ امركِ اذًا وقلتِ انكِ ترغبين في الخروج من بيتنا لكي تخلصي مني لاني صرت اضطهدكِ واسيء معاملتكِ من حين رأيتك مع داود في ايوب سلطان غيرةً منهُ

فبهتُّ من كلامهِ وكدتُ لا استطيع جوابًا لاستغرابي كيف حُرِّف كلامي واخيرًا قلتُ لهُ هل اخبرك ادهم بك اني انا قلت لهُ ذلك

فقال اتنكرين هذا القول وربما تنكرين ايضًا انكِ قلت لهُ انكِ تحبين داود كفى كفى يا امينة ما عدتُ احتاجكِ ان تشكي اليهِ شيئًا وارجو اني ان اسأت اليكِ بعد الآن لا تشكيني الى ادهم بك بل الى الشخص الوحيد الذي اعترف لهُ بالسلطة عليَّ في هذا البيت . نعم ان نصائح الاخ لاخيهِ حسنة مقبولة ولكنها قد تفرغ في قالب تنفر منهُ النفس . واريد ان ينبهني الى نقائصي رجل خالي الغرض لا ناقة لهُ في المسألة ولا جمل حتى لا يكون حكمهُ عليَّ مشوبًا باغراضهِ الذاتية . فلو لامني ابي وقال لي اني تصرفتُ معكِ تصرفًا مخلاً بالادب لقبلت لومهُ وحسبت أنهُ ابدى لي ما يعتقدهُ تمامًا سواءٌ كان مخطئًا فيهِ او مصيبًا لاني اعلم انهُ خالي الغرض واما ادهم بك فلا

ولما سمعت منهُ هذا الكلام اسودَّت الدنيا في عينيَّ وقلت لهُ والغيظ ملءُ فؤادي أتظن ان ادهم بك لا يرى ما يراهُ كل احد أوَبي حاجة ان اشرح لهُ هذه الامور

فزاد غيظهُ وقال أإلى هذا الحد . لم يخطر ببالي قط اني كنتُ مكروهًا في عينيكِ قبل الشهر الاخير واظن ان غيري ايضًا كان مغشوشًا مثلي

وهنا طفح الكيل ولم اعد استطيع الكلام فغطيت وجهي بيديَّ وخنقتني العبرات فصرت ابكي كالطفل لان كل كلمة من كلامهِ جرحت قلبي كسهم مسنون . وحاولت ان املك نفسي لئلاَّ يشمت بي فلم استطع واخيرًا شعرت بيد وُضعت على يدي ورفعتها عن وجهي ففتحت عينيَّ ورأيتهُ واقفًا امامي وهو اصفر الوجه ويدهُ تكاد تحترق فقلت في نفسي لا بدّ من ان يكون

كلام ادهم بك وكلامي قد اعادا اليهِ الحمى فصرختُ وانا اشهق ارجعْ الى مكانك بالله عليك ارجعْ الى مكانك والاَّ عاودتك الحمى وحسبتَ اني انا السبب ووقع اللوم كلهُ عليَّ. فتبسم وقال كلاَّ كلاَّ انا هو السبب وقد اخطأت اليكِ فسامحيني ولا تبكي

وحاولتُ ان اعيدهُ الى مكانهِ ونهضت لاخرج من غرفتهِ فقال اطيعك بشرط ان تبقي هنا وعاد الى المقعد وبقيتْ يدهُ ممسكة بيدي وجلس واجلسني بجانبهِ وجعل يرفع شعري عن وجهي بيدهِ الاخرى وكانت يداهُ ترتجفان. فقلت لهُ ستعاودك الحمى حتماً واكون انا المسببة لك في ذلك

فقال كلاَّ لا تخافي لا يمكن ان تعاودني الحمى لاني عازم ان لا امرض ايضاً ولكنني لم اظن اني ضعيف بهذا المقدار والظاهر ان الوقوف اتعبني. والآن قولي لي الحق هل قلتِ لادهم بك انكِ تحبين داود

فاجبتهُ "كلاَّ لم اقل لهُ ذلك فهل قال لك اني قلتهُ لهُ". وقد صرَّحت لهُ بذلك لان خوفي من انتكاسهِ الجأني الى التصريح بهِ مع علمي بما سيترتَّب عليهِ. فقال لم يقل لي ذلك صريحاً ولكن هذا كان معنى كلامهِ فاخبريني الآن أصحيح ما فهمتهُ منهُ

فلم اجبهُ واراد ان يعيد سؤالهُ ثم توقَّف وترك يدي من يدهِ وقال لي اجلسي امامي فقمت وجلست على الكرسي امامهُ ولم اكد اجلس حتى فُتح الباب ودخلت هانم افندي وتبعها زوجها والتفت الى نافذ بك ولما وقعت عينهُ عليهِ عبس وقال لهُ ماذا فعلت بنفسك. ونهض نافذ وقبَّل يد ابيهِ فقال لهُ ابوهُ ها قد عاودتك الحمى

واضطرب فؤادي لما قال نصر الله باشا ذلك فضحك نافذ بك وقال كل الحق على امي لانها تركتني ساعتين ولم تترك عندي الاَّ امينة وهي لا تستطيع ان تزجرني. فنظرت امهُ اليَّ وقالت لي كيف تغاضيت عنهُ يا امينة. فاجابها نصرالله باشا قائلاً ان نافذاً ليس طفلاً ولاهو جاهل مصلحة نفسهِ فاذا اراد ان يجنَّ فهذه البنت لا تستطيع منعهُ قومي يا امينة وامضي الى غرفتك لاني ارى علامات التعب على وجهكِ ولا بدَّ لكِ من الراحة وانت يا نافذ نم في مكانك وسارسل الآن واستدعي الطبيب. قال ذلك وخرج من الغرفة فخرجتُ وراءهُ وقد غلبني الخجل والاضطراب. ووقف في الممشى والتفت اليَّ كأنهُ يريد ان يكلمني فخفق فؤادي لاني كنت اعلم انهُ عارف بقصتي من اولها الى آخرها لكنهُ لم يفعل بل سار في طريقهِ وصعدتُ الى غرفتي وانا اسأل نفسي ماذا افعل لاخلص من هذه المشاكل والمتاعب

التبزير ودود الحرير



المسيو برته Berthet

لتربية دود الحرير شأن كبير في البلدان الشرقية ولا سيما الاقطار السورية ومن المحتمل ان يصير لها شأن كبير في القطر المصري ايضاً بعد زمن غير بعيد لان الذين شرعوا في زرع التوت وتربية الدود في هذا القطر تكلَّلت اعمالهم بالنجاح وسيتَّسع نطاقها رويدًا رويدًا . واهم ما يُنظر اليهِ في تربية دود الحرير بعد الضربات التي توالت عليهِ ان يكون بزرهُ سليمًا من كل مرض ويكون من اصل جيد حتى ينتج منهُ من الحرير ما منهُ ربح كافٍ من حيث كميتهُ ونوعهُ. ولذلك لم يعد مربو الدود يستخرجون البزر من دودهم بل صاروا يبتاعونهُ من اناس يهتمون بانتقاء الشرانق خالية من الامراض واستخراج البزر من فراشها ومن ثمَّ يذهب بعض السوريين الى فرنسا كل سنة لهذه الغاية او يختارون الشرانق ويفحصونها فحصاً ميكروسكوبيًّا دقيقاً قبل استخراج البزر من فراشها

وقد رأينا في جرنال التجارة الفرنسوي مقالة عن المسيو برته Berthet صاحب معامل استخراج البزر فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

"لا يجود دود الحرير ما لم يكن البزر الذي يتولَّد منهُ مستخرجًا من دود خالٍ من الامراض الفطرية أُحسنت تربيتهُ وانتُقي من نوع جيد من انواع الدود

ولا شبهة في ان اكتشاف باستور لامراض الدود والفحص عنها بالميكرسكوب نافع جداً ولكن خلو البزر من الامراض التي تعلم بالفحص الميكروسكوبي لا يكفي وحده ولا بدَّ من ان يكون البزر مستخرجاً من دود جيد أُحسنت تربيتهُ. وهذا الامر دعا المسيو برته لانشاء اماكن يربى فيها الدود ويستخرج البزر منهُ وقد شرع في ذلك منذ سنة ١٨٦٨ وانشأ شركة لهذا الغرض ولم يمضِ وقت طويل حتى اشتهر امر هذه الشركة ونجحت اعمالها وعظمت فائدتها

وقد اختار المسيو برته وشركاؤُه اماكن مختلفة على ساحل بحر الروم جامعة للشروط اللازمة لتربية الدود واصلاحه من حيث طلاقة الهواء واعتدال الحرارة والرطوبة وعدم تغيرها السريع وجودة ورق التوت الذي ينمو فيها . ولكل شرط من هذه الشروط شأن كبير في جودة الدود والحرير . وعندهم نحو الفي نفس يشتغلون بتربية دود الحرير في هذه الاماكن التي خصتها الطبيعة بمزايا كثيرة وهم مختارون من اذكى الناس واشدهم اعتناء وكل واحد منهم يربي ثلاثين غراماً من البزر فقط لكي يسهل عليهِ الاعتناء بها وتبلغ الشرانق التي تنتج من ذلك ثمانين الف كيلوغرام في السنة

ويؤْتى بالشرانق الى معامل التبزير وتفحص اولاً فحصاً ابتدائيًّا بالنظر والجس حتى اذا وُجدت صالحة أُخذ منها مقدار معلوم وفحصت جيزانهُ فحصاً ميكروسكوبيًّا فاذا وجدت خالية من الامراض اختيرت بقية الشرانق للتبزير والغالب ان يطرح من الشرانق ثلثها او ربعها فيستعمل للحل وما بقي منها يستعمل للتبزير

وقد بلغ موسمهم سنة ١٨٩٩ ثمانين الف كيلوغرام من الشرانق فاختير منها ٥٥ الف كيلوغرام للتبزير فخرج من كل كيلوغرام ٣ اواقي من البزر وبلغ البزر المستخرج سنة ١٩٠٠ اكثر من ١٥٠ الف اوقية . وجملة ما يستخرج في معامل التبزير في فرنسا كلها مليون اوقية فيكون المستخرج في معامل برته وحدها سبع ما يستخرج في فرنسا كلها

ولبيت برته ١٤ معملاً للتبزير في جهات مختلفة من فرنسا ولهُ ايضاً معمل للتبزير في لبنان ومعمل في جزيرة قبرص ومعمل في بورصه وقد انشأ الآن معملين جديدين في فرنسا ينتظر ان يبزر فيهما كل سنة ٥٠٠٠٠ اوقية فيصير ما يبزرهُ في السنة مئتي الف اوقية

وقد ذهب واحد من رؤَسائهِ الى تركستان وانشأ فيها معملاً للتبزير فيهِ الآن عشرة ميكروسكوبات يفحص بها الدود والبزر

والمعامل كلها قائمة في احسن الاماكن التي يمكن اختيارها للتبزير من حيث جودة الهواء واعتدال الحر والبرد والرطوبة وفيها نحو ثلاثة آلاف عامل ويزورهم المسيو برته وشركاؤُه من وقت

الى آخر يراقبون اعمالهم لكي لا يقع منهم اقل خلل او قصور عالمين ان نجاح هذا البيت يتوقف على حفظ مالهم من الاسم والشهرة

والبزر الذي يستخرج في معامل برته وشركائهِ هو من نوع مخصوص من الدود ثبت بالتجارب ان شرانقهُ اجود من شرانق غيرهِ واكثر منها حريرًا واغلى منها ثمنًا وقد نجحوا في حفظ هذا النوع من الدود سالمًا من الآفات ومن الامتزاج بغيرهِ من الانواع الدنيا واجادوهُ بالانتقاء المتوالي وحسن التربية . وقد شهد لهم الذين استعملوا بزرهم شهادات كثيرة

والبضائع الواردة الى سورية يؤخذ عليها ٨ في المئة رسم الجمرك ولكن البزر الوارد من محل برته يؤخذ على الاوقية منهُ اكثر مما يؤخذ على الاوقية من غيرهِ لان عمال الجمرك يثمنونهُ باغلى مما يثمنون بهِ غيرهُ وما ذلك الا لانهم عرفوا بالاختبار ان الناس يغالون بهِ ويحسبونهُ اثمن من غيرهِ وكفى بذلك شهادة لهُ

ويرسل هذا البزر الآن الى كل الاماكن التي يربى فيها دود الحرير في تركيا وبلاد اليونان واسبانيا وايطاليا وبلغاريا والسرب والقوقاس وايران وتركستان وبخارا". انتهى بتصرُّف قليل

وقد عرض المسيو برته شرانقهُ في معرض باريس الاخير فنال جائزة الشرف الكبرى . هذا ما قرأناهُ وما اتصل بنا من امر هذا الرجل وجودة بزرهِ وعسى الذين جربوا هذا البزر في سورية يكون اختبارهم مؤيدًا لما ذكرناهُ

السفر الى القطب الجنوبي

الضاربون في الاقطار الشمالية لاكتشاف القطب الشمالي اكثر عددًا من الضاربين في الاقطار الجنوبية لاكتشاف القطب الجنوبي ولو لم يكونوا اشد منهم جرأةً . ويمتاز اولئك عن هؤلاء بان القطب الشمالي قريب من المعمور فاكتشافهُ قد يكون من ورائهِ فائدة تجارية باكتشاف طريق قريب بين المشرق والمغرب اذا صحت الظنون وكان حولهُ بحر لا يجمد في كثير من شهور السنة عدا الفائدة الجغرافية والفائدة العلمية من الارصاد الكهربائية والمغنطيسية والجوية والجيولوجية . واما اكتشاف القطب الجنوبي ففائدتهُ علمية محضة لا فائدة تجارية من ورائهِ . هذا هو الامر الظاهر الذي يجاهر بهِ متجشمو المشاق في الذهاب الى القطبين والذين يساعدونهم بالاموال ولكن وراء هذا الامر الظاهر امرًا آخر اظهر منهُ ولو لم يجاهر بهِ احد وهو ان رؤساء

هذه الرحلات مثل ننسن وبورشغرفنك وغيرهما يتوخون ايضاً الشهرة الادبية والربح المالي معاً لان اصحاب الصحف وناشري الكتب يوفونهم الدرهم ديناراً فلا يرجع سائح من سياحتهِ حتى تنشر اخبارهُ في الصحف ويطبع كتاب رحلتهِ مراراً كأنهُ تاجر بضاعتهُ غرائب الاخبار عن غرائب البحار

وقد نشرنا في ما مضى تفصيل رحلتين الى القطب الشمالي وهما رحلة ننسن ورحلة دوق ابروزي وعثرنا الآن على تفصيل رحلتين الى القطب الجنوبي فآثرنا تلخيصهما لما فيهما من الغرائب المدهشة لكي لا ترجح كفة على كفة

الاولى رحلة ده جرلاك

الذين مضوا الى القطب الجنوبي من اهالي البلجيك كان غرضهم الاول المكتشفات الجغرافية وهذه هي اول مرة مهّد فيها السبيل لرجال العلم ان يبلغوا تلك الاقطار واول مرة وصل فيها اهل السياحة الى بحار الثلج الجنوبية منذ خمسين سنة الى الآن وشتّوا فيها

ومدير هذه الرحلة ادريان ده جرلاك وقد قام بنفقاتها حكومة البلجيك واناس من اهاليها واكثر اعضائها من اهالي البلجيك ايضاً ومن النروجيين واخذوا معهم الدكتور كوك الاميركي كاتب السطور التالية جرّاحاً وانثربولوجياً وفوتوغرافياً . وجورج لكوانت البلجي للارصاد الفلكية والمغنطيسية واميل ركوفتزا الروماني وهو عالم بعلم الحيوان والنبات وهنري اركتوسكي الروسي وهو عالم بالجيولوجيا والمتيورولوجيا ورسم البحر . فالرحلة علمية جغرافية والسفينة التي ساروا فيها نروجية محمولها مئتان وخمسون طنًّا فاصلحوها وسموها بلجيكا . قال الدكتور كوك واصفاً سفرهُ فيها وما لقيهُ هو ورفاقهُ من المشاق : لقيت السفينة في ريو جنايرو (ببلاد برازيل) فنزلت فيها واشتدَّ علينا الدوار مدَّة سيرنا في الاقاليم الحارَّة الى ان بلغنا الاقاليم الباردة في بتاغونيا (عند الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية) واخذنا ما يلزم لنا من الفحم والزاد من هناك وسرنا شرقاً في خليج بيغل عازمين ان نسير بعد ذلك جنوباً الى ان نبلغ ابعد ما يمكن الوصول اليهِ وكانت جزائر مابيجي تحيط بنا على الجانبين وقد غطتها الحراج الغبياء ودنا نصف الليل وكان الشفق لا يزال مشرقاً يتدفق نورهُ على صفائح الجمد المنتشرة امامنا وينير قنن الجزائر بنور لؤلئي بهي فيعكس شكلها من مرآة الماء حتى يخال الرائي ان الجبال ممتدة من عنان السماء الى جوف الارض . ومخرت بنا السفينة امام الخلجان فكنا نراها تتعاقب تباعاً ونحن نمعن النظر فيها عسى ان نرى اثراً لبني آدم حتى اذا بلغنا هضاباً متصلة قيل لنا ان فيها شيئاً قائماً لا يبعد ان يكون بيتاً فاتجهت النظارات اليهِ وبينما نحن نرقبهُ شعرنا كأن

السفينة وقفت عن السير بغتةً فاستغربنا ذلك ولم نعلم سببهُ واندفعت الآلة البخارية على اشد قوتها فلم تستطع ان تدفع السفينة من مكانها قيد باع وسبرنا غور البحر فوجدنا اننا ارتطمنا بدَبْر(١) في البحر ولكنَّ السفينة علت فوقهُ رويداً رويداً حتى لم نشعر الاَّ وهي واقفة عليهِ لا تتحرك. وانتظرنا حينئذٍ ان يعلو ماء البحر بالمد فيرفع السفينة لكنهُ هبط بالجزر وتركها واقفة تترنح كالسكرى ثم مالت على احد جانبيها حتى كادت تنقلب فجعلنا نسندها بروافد الخشب فتنقصف كالقش . وتبينَّا المرتفع الذي رأيناهُ على الشاطئ بيتاً ولم يكن الاَّ ساعة زمانية حتى اقبل علينا جماعة من سكانهِ وهم هنود نزل بهم هناك رجل اسمهُ بردجس لرعاية الغنم ثم جاء هذا الرجل ومعهُ رجالهُ كلهم وتعاونوا هم والبحارة على تخفيف السفينة بانزال الشحن منها ولم يكادوا يفرغون قاربين او ثلاثة حتى عصفت الرياح وتعالت الامواج وفصلت بيننا وبين السفينة وجعلت وصولنا اليها ضرباً من المحال وزاد نودانها واضطرابها حتى قطعنا الرجاء من نجاتها وبينما نحن ننظر اليها آسفين هجمت عليها موجة كبيرة فرفعتها من مقرها ودفعتها الى العمق فبلغتهُ سالمة وانحلَّ قيدها وسارت بها العاصفة بمن فيها حتى اختفت عن الانظار وراء رأس في الجزيرة لكن البحر سكن بعد قليل وعادت الينا في اليوم التالي ولم يصبها ضرر يذكر

وقمنا من هناك وسرنا شرقاً الى جزيرة ستاتن فاخذنا منها كفافنا من الماء القراح وودعنا آثار الانسان وسلمنا انفسنا الى مجاهل البحار وكان ذلك في الثالث عشر من يناير سنة ١٨٩٨ وبقينا سنة وشهرين ونصف شهر في عالم جديد منقطع عن عالم الاحياء تمام الانقطاع فثارت الحرب الإسبانية ووضعت اوزارها وتجسمت مسألة دريفوس وانحلَّت عراها ونحن لا نعلم شيئاً من امرها كأنا في دنيا اخرى

عمق البحر — وكان من اول اغراضنا سبر اغوار البحر من طرف اميركا الجنوبية الى ابعد ما يمكننا الوصول اليهِ لأنَّ تلك الاغوار لم تسبر قبل ذلك ورأينا في اول الامر ان سبرها ضرب من المحال اذ لا بدَّ من البقاء في كل بقعة نرمي فيها المرجاس ثلاث ساعات او اربعاً لكن اتفق لنا ان كان البحر رهواً فتمكنا من سبر اغوار كثيرة استدللنا منها ان جنوبي اميركا الجنوبية منفصل تمام الانفصال عن الانحاء القطبية لان البحر بينهما عميق جداً ويزيد عمقهُ بغتةً حتى يبلغ ثلاثة عشر الف قدم

جبال الجليد — والتقينا باول جبل من جبال الجليد التي تسير في عرض البحر كالسفن السيَّارة في التاسع عشر من يناير وصعدنا كلنا الى ظهر السفينة نرقبهُ ونود ان يبقى بعيداً عنا

(١) قطعة تغلظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها

وبعيدين عنهُ . وكان الجو قاتمًا مغبرًّا لكن هامة جبل الجليد كانت مكلَّلة بغمامة بيضاء تعلو وتسفل فوقهُ فتكشفهُ تارةً وتحجبهُ أُخرى . وظلت السفينة تبتعد عنهُ الى ان غاب عن الابصار . واطبق علينا ليل بهيم مدلهم لا نجم فيهِ ولا قمر واسودَّ ماء البحر حتى كأنهُ النقس فسهرنا الليل كلهُ لئلاَّ يبيتنا جبل آخر من جبال الجليد فيطبق علينا على غرَّة. واشتدَّ البرد تلك الليلة حتى ايقنا انَّا مصيبون الجمد قريبًا لكن لم يكن الامر كذلك . وكانت طيور البحر كثيرة تتبع السفينة وتملأُ الفضاء بصراخها والحيتان الضخمة تسير طولاً وعرضًا وتدفع الماء من خياشيمها فيعلو في الجوّ كالصواريخ وطلع النهار ولم تطلع الشمس وبقي الجو قاتمًا مكفهرًّا الى الظهيرة وحينئذٍ اذابت اشعة الشمس سحابة الجمد التي كانت تخيم علينا و بزغت من خلالها فاشرق وجه البحر ودلتنا الدلائل على اننا مصيبون برًّا بعد زمن غير طويل فامسك كلٌّ منا نظارتهُ بيدهِ يرقب الافق الى ان كانت الساعة الثالثة بعد الظهر فاذا نحن بمرتفعات بعيدة عنا جدًّا كانها قطع السحاب فوق الافق فلما قربنا منها وجدنا انها الطرف الجنوبي من جزائر شتلند وعرفنا منها جزيرة لفنستون وجزيرة سمث وحاولنا الدنو منها لعلنا نراها جيدًا قبلما يحالك الظلام لكن تعذَّر علينا ذلك لانهُ لم تكد الشمس تغيب حتى عصفت الريح من الشمال الشرقي ومعها ضباب كثيف حالك اسودَّ بهِ الجو

جزائر شتلند — والجزائر الكبيرة هنا تحيط بها جزائر صغيرة يختلف اليها الفظ والبنغوين والغَلّ وغيرها من طيور البحر . وفي الجزائر الكبيرة ولا سيما جزيرة لفنستون آكام مستديرة الرؤوس يغطيها الثلج جوانبها جرداء وبينها اودية فيها انهار الجليد تمتدُّ منها في البحر ثم تتمزَّق فتتكوَّن منها جبال الجليد . وكان الساحل خاليًا من الثلج حينئذٍ ولم نرَ عليهِ شيئًا من النبات ولكننا علمنا بعدئذٍ ان فيهِ كثيرًا من الطحالب والاشنان

وهذه الجزائر كثيرة تبلغ مئة عدًّا وطول ساحلها نحو الف ميل وكلهُ مما يمكن بلوغ السفن اليهِ وفيهِ كثير من المرافىء الامينة ومع ذلك لم تمتلكهُ دولة من الدول ولا اهتمَّ احد بارسال السكان اليهِ . وحبذا لو امتلكت بلادنا (اميركا) هذه الجزائر واقامت فيها منارةً ووضعت فيها شيئًا من المؤونة للبحَّارة الذين تنكسر بهم السفن في هذه الجهات كل سنة وهم يقصدون الصيد فيها

وامسى المساء في العشرين من يناير واشتدَّ القتام فزاد خوفنا من جبال الجليد لاننا دنونا من البر واصبح الصباح والضباب يملأُ الجو ومررنا بكثير من جبال الجليد الصغيرة و بينما نحن نحاول الابتعاد عنها اصطدمت السفينة بصخر تحت الماء اصطدامًا عنيفًا جدًّا كاد يقطع اوصالها ثم ارتفع الضباب فرأَينا البحر حولنا مملوءًا بالصخور السوداء وصدمت السفينة صخرين آخرين

لكنها بقيت سائرة وخرجت من بين الصخور سالمة ثم رأينا جبال الجليد دنت من تلك الصخور واصطدمت بها فتكسرت وتبعثرت وخفنا ان يصيبنا ما اصابها

وفي ظهيرة الحادي والعشرين صحا الجوّ وبان الافق فرأينا صخر الشراع واضحاً عن بعد وهو صخر كبير في عرض البحر يرى عن بعد كسفينة ناشرة شراعها طولهُ الف قدم وعرضهُ خمس مئة وارتفاعهُ اربع مئة وجوانبهُ قائمة كجدران البيت لا موقف فيها لطائر ولم نكد نجتازه حتى تغير الهواء واظلم الجوّ واسودّ الماء ووثبت طيور البنغوين من البحر واسرعت نحو البر منذرة بقرب النوء

وثار النوء في الثاني والعشرين من الشهر فجعلت الامواج تتقاذف السفينة كأنها كرة تتقاذفها الصوالج وتشمخ احياناً وتجري فوق ظهرها فتجرف ما عليهِ من الامتعة وعصفت الرياح فصرنا نسمع لها قصيفاً كقصيف المدافع . وعند العصر كنت انا ورجل آخر على برج السفينة نرقب شيئاً في الافق بالنظارة فسمعنا صرخة شديدة اقشعرَّ لها بدني فالتفتنا كلانا ولم نرَ ما يدلُّ على مصدر الصوت وظنَّ رفيقي انهُ وقع عطب في الآلة البخارية فاسرع اليها اما انا فاسرعت الى مؤخر السفينة ونظرت الى البحر فرأيت رجلاً يغالب الامواج وهو من بحارتنا واسمهُ ونكل وساعدتهُ التقادير حتى بلغ حبل المقياس المتدلي من السفينة فامسك بهِ وجعلت انا أُلقهُ والحبل يزلق من يدهِ الى ان بلغ العوَّامة فامسك بها بكلتا يديهِ مسكة الموت لكن حبلها لم يكن ليحتملهُ لو حاولنا انتشالهُ بهِ ولا كان في الامكان انزال قارب اليهِ لشدة العواصف واضطراب البحر ولأن الامواج كانت تلعب بالسفينة لعب الطفل بالكرة . وتبرع رجل آخر ان ينزل اليهِ ويربط حبلاً متيناً حول وسطهِ لننشلهُ بهِ وكان الرجال كلهم قد صعدوا الى ظهر السفينة فربطناهُ بحبل وانزلناهُ الى البحر وماؤُهُ يكاد يجمد لشدة بردهِ فاستقبلتهُ الامواج واطبقت عليهِ حتى حسبنا انهُ غرق لكنهُ عاد الى وجه الماء وبذل جهدهُ ليدنو من ونكل ويربطهُ بالحبل فلم يستطع والظاهر ان البرد غلب على ونكل فافلت حبل المقياس من يديهِ وغاص في الماء ولم نعد نرى لهُ اثراً مع اننا اوقفنا السفينة ساعة من الزمان

وتقشع الضباب قبل مغيب الشمس فرأينا امامنا حائطاً من الجليد ارتفاعهُ خمسون متراً يمتدُّ شرقاً وغرباً الى حد ما يصل البصر فابقينا السفينة على اربعة اميال منهُ وسرنا امامهُ شرقاً ولم نبعد كثيراً حتى رأينا تحت الجليد خطاً اتضح لنا اخيراً انهُ صخور ورأينا عند حده الشرقي كثيراً من الرؤُوس البركانية ولم يكن الاَّ قليل حتى صمت آذاننا باصوات الملايين الكثيرة من طائر البنغوين . فاقمنا هناك تلك الليلة وقمنا في الصباح لنقطع البوغاز الفاصل بين جنوبي

جزائر شتلند والاراضي القطبية ولم ينقشع الضباب كما املنا ورأينا كثيرًا من جبال الجليد الطافية في البحر وهي قائمة الجوانب مقطوعة الرأس ينعكس عنها نور ازرق واخضر لكن الضباب كان يحجب الوانها احيانًا كثيرةً . وكنا نسير بين عاملين الابتهاج بجمال لونها وعظيم حجمها والخوف من الاصطدام بها اذا اشتدَّ حلك الضباب

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا ضبابًا ابيض في الافق الجنوبي وبعد قليل ظهر لنا حد اليابسة يمتد الى ابعد ما يصل اليهِ مدى البصر شرقًا وغربًا وكان الضباب يغطي اعاليها وفيهِ نور بديع تمتاز بهِ الاصقاع الجنوبية على غيرها . ولما زاد اقترابنا منها رأينا انها كثيرة المرتفعات والمنخفضات والرؤُوس والخلجان والجليد يغطيها كلها وكان خليج من خلجانها واسعًا جدًّا حتى ظنناه بوغازًا وحاولنا العبور منهُ جنوبًا وكان عن يميننا جبل يعلو عن سطح البحر نحو الفي قدم تحيط بهِ آكام كثيرة تمتد من اعلاه الى شاطىء البحر وحدها المتصل بالبحر جدار قائم من الجليد ارتفاعهُ نحو مئة وعشرين قدمًا والخليج الى الغرب منهُ ووراءهُ جبال أُخرى يغطيها الثلج الدائم والى الشرق جزائر صغيرة قاحلة اكثرها خالٍ من الثلج ووراء ذلك في الجهة الجنوبية الشرقية بر فسيح ابيض اللون فوجَّهنا السفينة اليهِ لنعلم حقيقتهُ ونحن نسير الهوينا مخافة ان نصطدم بصخر او دبر كما اصطدمنا قبلاً . ولما صارت الساعة العاشرة ليلاً دنونا من البر فانزلنا قاربًا تهافتنا عليهِ وكلٌّ منا يود ان يكون الاول في النزول على البر القطبي . وكان منظر ما حولنا غريبًا لم نشهد مثلهُ في الاصقاع الشمالية كأن الهواء والماء والسحب توشحت كلها بالمدهشات . وكانت الشمس طالعة فوق الافق ولو كان الوقت نصف الليل لا يحجبها عنا الاَّ الجبل الذي تقدَّم ذكرهُ ومع ذلك كان الجو مظلمًا اما ماء البحر فكان فيهِ شيءٌ من النور الاخضر حتى كنا نستطيع ان نقرأ بهِ الكتابة الكبيرة الحروف . ولما دنونا من البر وجدنا فيهِ من النور ما يكفي للتصوير الفوتوغرافي اما الجو فكان لا يزال اسود قاتمًا وكان وجه البحر صقيلاً كالمرآة والهواء ساكنًا لا حركة فيهِ وكأن محركات الطبيعة تركت الجماد واقتصرت على الحيوان. فكانت طيور البحر تملأُ الفضاء باصواتها والحيتان والقطوط تثير البحر بالماء المندفع من خياشيمها وتصمُّ الآذان بصراخ اطفالها

فنزلنا في جون صغير وكان اركتوسكي الجيولوجي اول من وطئ البحر منا ومطرقتهُ في يدهِ وجرابهُ على كتفهِ لكي يكسر الصخور ويجمع منها الامثلة الجيولوجية وتبعهُ راكوفتزا لجمع امثلة التاريخ الطبيعي من حيوان ونبات ونزلت انا وجرلاك بعدهما نزلنا على الصخور والجليد بين عصابة من طير البنغوين فلم ترحب بنا بل اجتمعت حولنا تدفعنا عن بلادها بمناقيرها . وكنا نودُّ ان نقيم على هذه الجزيرة مدةً لكن امواج البحر كانت عنيفة عند الشاطىء فخفنا ان تكسر قاربنا

ولذلك عدنا اليهِ وابعدنا عن البر قليلاً واكتفينا بما نراهُ منهُ بالنظارات وبقي اركتوسكي وركوفتزا فيهِ لجمع امثلة الحي والجماد وكنا نسمع صوت الاول وهو يكسر الصخور بمطرقتهِ واصوات البنغوين وهي تتألب حول الثاني تحاول ابعادهُ عنها . ثم عدنا الى البر لنأتي بهما فاجتمعت طيور البنغوين علينا واوسعتنا نقداً بمناقرها وحامت طيور الغَلّ والكروات فوق رؤوسنا الاولى تضربنا بقوادمها والثانية تمدُّ اعناقها الينا تستطلع اسرارنا و بلغ الخبر نمور البحر فاجتمعت حولنا تغطُّ وتكشر انيابها وعيونها تجول في اوقابها كالمصابيح

وعدنا الى السفينة واطلقناها البخار فسارت بنا جنوبًا سيرًا بطيئًا واتسع الخليج امامنا ونحن نسير فيهِ وفي الساعة الخامسة صباحًا علت الشمس فوق قنن الجبال ففاضت اشعتها على ما حولنا من البر والبحر سكبت عليهِ وعلينا جام الراحة والاطمئنان ورأينا انفسنا في متسع من البحر يبعد اثني عشر ميلاً عن اقرب الجزائر الينا ولم نعد نرى الطيور عليها لبعدها عنا فشعرنا بوحدة لم نشعر بمثلها قبلاً وكنا نرى الدلائل على وجود الخلجان جنوباً وغرباً لكننا لم نتبينها جيداً لان البر كان بعيداً عنا وظهر لنا كانهُ فضاءٌ من البلور لا حدَّ لهُ ستأتي البقية

نزول الثلج وحياة الانسان

للشاعر الاميركي وليم برانيت (Bryant.)

١

من طرفكَ الذاكي اعرني نَظْرهْ وقفْ معي تجاهَ تلكَ البَحْرهْ
تلبَّدتْ من فوقِها الغيومُ والماءُ فيها راكدٌ بهيمُ
والثلجُ من تلكَ الركامِ الجامدَهْ بناتهُ واحدةً فواحدَهْ
واجفةً تهبِطُ نحو الماءِ تختفي في البحْرة السَّوداءِ

٢

تخرجُ بالمئاتِ والالوفِ من خلفِ ذاكَ البرقعِ الكثيفِ
وبعضها كحائرٍ لا يهتدي والبعضُ ينقضُّ انقضاضَ البَرَدِ
والكلُّ مهما اختلفتْ في الطرُقِ في ظلمةِ الاعماقِ طرًّا تلتقي
بالرغمِ عنها عندَ الالتقاءِ تنحلُّ في البُحَيرةِ السوداءِ

٣

نجوم ثلج أنتجتها السُّحُبُ كأنها لولا التواني شُهُبُ
او رُجُم صبّت من المجرَّةْ على بني الدنيا تشدُّ الكرَّةْ
تلعبُ دورَ العمر في الهواء مسرعةً الى سكونِ الماء
والماء يخفيها على السواء بجوفهِ في البحرةِ السوداء

٤

مولودةٌ من كُوَمِ الرديدِ[1] هابطةٌ كالطائر المصيدِ
تنزل في مسالكها الخفّاقِ مُشغَلةً بالضمِّ والعناقِ
كأنها زوجانِ او خدنانِ تقطعُ حبل العمر بالتداني
وكلُّ معشوقٍ وذي ولاء يضيعَ في البحيرة السوداء

٥

انظر اليها كيف زاد العَدَدُ حتى غدا كالعهن منها الجَلَدُ
يهزم بعضًا بعضها ويقدمُ وذاك ممَّا خلقهُ منهزمُ
عجبتُ من سباقها لتدفنا كأنها تعشق سرعة الفنا
تنحطُّ من مراتب العلياء للموتِ في البحيرة السوداء

٦

الدمعُ من عينيكَ يجري وانا اقرأُ منهُ الآن معنًى مُحزنًا
يُبكيكَ أن فارقكَ الخلاَّنُ بسرعةٍ كأنهم ما كانوا
كقطَعِ الثلج التي نراها ثم كسرِ الطاير لا نلقاها
على التوالي وبلا ارتضاء تُزجُّ في البحيرة السوداء

٧

ها قد تولّى السُّحُبَ افتراقُ والماء يكسو وجههُ إشراقُ
ومن وراء الغيم شقَّ النورُ فانتشر الصفاء والحبورُ
وقطعُ الثلجَ التي كنا نرى تجري الى الضريح جريًا مُنكَرا
اضحت بها اشقَّ من الضياء كواكبًا في البحرة الزهراء

فارس الخوري

[1] السحاب اربق ماؤُهُ

تاريخ آل معن

(تابع ما قبلهُ)

وعلم الامير فخر الدين ان الاسطول العثماني قادمٌ عليهِ بقيادة محمد باشا وان اميرهُ انفذ الى صيدا عشرة سفائن بامرة يحيى باشا ليرصد طريق البحر فلا يفرّ الامير بحرًا فللحال نهض الى نهر صيدا واجتمع بيحيى باشا وشكا اليهِ من تحامل الحافظ عليهِ مع انهُ عرض عليهِ[1] واحدًا وخمسين الف ذهب سلفًا عن السنة التالية. ثم ان الامير قدَّم للباشا هديةً واستكتب اهل صيدا عريضةً وارسلها مع رجلين من اخصائهِ لمحمد باشا امير البحر فلما وصل الوفد الى الباشا سر بذلك وامّن الامير والوفد وبعد ايامٍ اقلعت السفن العثمانية من ميناء صيدا وقدم مركبان فرنساويان ومركب هولاندي

وكان الامير في خلال ولايتهِ على بيروت قد تعرَّف بالبنادقة الذين كانوا ينتابونها للتجارة في الاحايين وشرع يراسل حكومتهم عن يدهم وكانت هذه الحكومة من اعداء الدولة العلية الاَّ في تلك الاونة فانهُ كان بين الدولتين هدنة وتواد ومن الغريب ان يقع في ابانها مثل هذه المخابرات على ان فخر الدين بنى من الاماني صروحًا عالية حاسبًا ان المساعدات الاجنبية تنيلهُ رغائب نفسهِ ولذلك لما رأى الجيوش السلطانية زاحفةً عليهِ وانس من انصارهِ القعود عن نجدتهِ عزم على السفر الى اوروبا اما فرارًا من العسكر واما التماسًا للنجدة الموعودة وكان الحاج كيوان الماروني قد اشار عليهِ بالسفر فأبى ولكنهُ لما استأذنهُ بسفر نسائهِ وامتعتهِ واذن لهُ استاجر احد المركبين الفرنسيين الموجودين في صيداء وانزلهنَّ فيهِ ثم ارتضى الامير بالسفر بعد اذ استقدم اخاهُ الامير يونس الى الدامور وكذلك الاميرين منذرًا وناصر الدين التنوخيين ومشائخ البلاد وآل الخازن وغيرهم من الوجوه واستنهضهم لنصرتهِ فابوا جميعًا فرأى انهُ مخذولٌ ولا امل لهُ بنصرة حلفائهِ فعاد حينئذٍ الى صيداء وعهد بالامارة الى اخيهِ الامير يونس على ان يقيم في دير القمر فخرج اليها برجالهِ واخصاء اخيهِ وسكانهِ. ولكن قولناي ولامرتين يقولان انهُ استناب ابنهُ عليًا ولا نرى لذلك سندًا لان عليًا كان يومئذٍ في حوران. ولما تمت اهبة الامير استأجر المركب الفرنسيّ الاخر والمركب الهولاندي كلاًّ منهما بخمسة آلاف ذهب ونزل باحدى نسائهِ ومماليكهِ وغلمانهِ البالغين خمسين نفرًا ونزل الحاج كيوان في المركب الاخر فلما

(١) وفي رواية الخالدي الصفدي ان هذا القدر من المال كان للامير على خزينة الشام لانهُ كان قد دفعهُ سلفًا

علم الربان الهولاندي بان اجرة المركب الفرنسي كاجرة مركبهِ طلب مضاعفة الاجور فاداها الامير ثم طلب خمسة الاف اخرى كان الامير قد اخذها منهُ جريمةً فقبضها [٢] ولم يبقَ مع الامير حين سفرهِ الاَّ خمسة وعشرون الفًا ذهبًا ثم اقلعت السفن من صيداء وقيل ان الامير سافر من بيروت

وبلغ الامير ايطاليا ونزل برَّها واختلف الرواة في اسم الموضع فمن قائل انهُ نزل في فلورنسا ومن مخبرٍ انهُ في توسكانا وروى غيرهما في ليكورن بحيث لو اطّلع غير الخبير على هذه الروايات في مصادرها لاحتار ولم يدرِ ايها يعتمد والحق ان فخر الدين كان على صلةٍ مع آل مديسي Médici امراء فلورنسا وكان هؤلاء قد اتسع في تلك الاونة نطاق امارتهم فعمَّ كل بلاد توسكانا وفازوا بصداقة البابا بيوس الخامس على تلقبهم بكران دوك توسكانا فاتخذ احدهم فردينندو الاول ليكورن مرفأً للسفن المتجرة مع الشرق فما عتَّمت المدينة ان كبرت وازدهرت. فالاقوال المتضاربة ظاهرًا صحيحة والمرجح ان فخر الدين نزل البر في ليكورن ولكنهُ اقام في بيزا المنضمة الى تلك الامارة وذلك بامر الكران دوك والكران دوك هذا هو كوزمو الثاني (الذي حكم من سنة ١٦٠٩ الى سنة ١٦٢١) وقد رحّب بالامير وكذلك رحبت بهِ امهُ وأُخلي لهُ قصرٌ فسيح وأُجريت لهُ الرواتب البالغة نحو الفي سكوت في السنة ثم ارسل الكران دوك بعضًا من عظماء البلاد يسلمون عليهِ ويستخبرونهُ عن شؤونهِ فالحوا عليهِ بالسؤَال كثيرًا ولكنهُ تحفظ منهم واجابهم مقتضبًا فما سألوهُ عن عدد العسكر الذي يستطيع ان ينجدهم بهِ اذا قصدوا بلادهُ فاجابهم انهُ يومئذٍ بين ايديهم ولا يستطيع جوابًا فقالوا اذا لم يكن ممكنًا لاهل لبنان ان ينجدوهم فهل يبيعونهم زادًا فقال لهم انكم عارفون بقوة المسلمين وحول العثمانيين فان كنتم قادرين على غلبة قواتهم فانتم في غنىً عن الاعتماد على معونة الغرباء في تموينكم فسألوهُ كم من العسكر يجتمع تحت لوائك في بلادك فقال لما كنت واليًا على لبنان كنت احشد عشرين الفًا غير الذين يقيمون في بلادهم اما الان فاني لسوء الحظ لا احكم الاَّ على نفسي

قلت اذا صحت هذه الرواية فانها تدل على اباء فخر الدين ان يكون آلةً في ايدي الاجانب يسعى لهم في غرضهم وصحتها تناقض الراوية القائلة بما سبق لهُ من مخابرتهم للاعتضاد بهم لانهُ لو كانت نفسهُ تحدثهُ بمثل هاتيك المطامع لما ابى الانتفاع بها حين صارت وشيكة الوقوع فكأَن سفرهُ الى هاتيك الديار لم يكن الاَّ فرارًا من العسكر السلطاني وبطشهِ وانما التجأَ الى القوم الذين كان يحسن الى تجارهم المقيمين في بلادهِ بالحماية والعضد وليس غريبًا ان

(٢) وفي رواية الخالدي ان المال كان قد اخذ غطاء من القنصل المسمى كروانا

يسعى القوم في استنصارهِ على الدولة لما هو معروف من عدائهم لها ولذلك يحكى انهُ لم يمضِ الاَّ بضعة ايام على محادثتهِ حتى تقلّص ظلّ الترحاب بهِ وقلت كمية المال المرتب لهُ حتى اصبح محتاجاً الى رهن مجوهرات امرأتهِ للانفاق على بيتهِ مع انهُ اقام في بيزا يعيش عيشةً بسيطة خاليةً من الترف لكنهُ لم يكن مهملاً ومع ذلك فقد تولاَّهُ الملل والضجر لاسيَّما وقد انقطعت صلاتهُ مع الكران دوك او كادت

اما تاريخ هذه الرحلة ففيهِ خلاف بين الكتبة لكن المرجح وقوعها سنة ١٦١٢ لان ذلك قول جلةٍ من العلماء الاعلام كالبطريرك الدويهي والمطران يوسف الدبس والمرحوم البستاني واحتذاهم صاحب تاريخ كسروان وانما خالفهم الخالدي الصفدي واخبار الاعيان والمسيو دريس صاحب التاريخ العام (Dreyes; Chronologie Universelle) فانهم ارخوا ذلك سنة ١٦١٣ واما الكولونل تشرشل فقد ارخهُ في ٢٥ اكتوبر (١ ت) سنة ١٦١٤ فتأمل

ولما ذاع خبر وصول الامير الى اوربا استلفت الانظار اليهِ واسترعى السماع لكلامهِ وشرع الناس يتساءلون عن شأنهِ وعن وطنهِ وامتهِ ومنشئها وانبرى الباحثون لذلك ينقبون عن الوقائع التاريخية والاشخاص ولا يهتدون وتراهم يخبطون خبط عشواء في اعتبار الدرزية من الفرق الاسلامية والنصرانية فما قالوهُ انهم بقية شرذمةٍ من الصليبيين حاسبين ان اولئك التجأوا الى الجبال العصم وانهم ظلوا سحابة ايامهم يعادون اصحاب البلاد فكان هذا القول على غثهِ مقبولاً لدى فخر الدين ليبقى لهُ ما فاز بهِ من التفات الافرنج واحتفائهم بهِ وما علق بهِ املهُ من النصرة السياسية فادعى انهُ من سلالة آل لورين وساعدهُ الحظ ان بعضاً من الذين تهمهم الرسالات الدينية او التجارية في سورية صدّقوا مدعاهُ ليفوزوا منهُ باستمرار حمايتهِ وعنايتهِ بهم اذا عاد الى وطنهِ حاكماً وتمادوا فشرعوا يقيمون الادلة على صحة قولهم حتى قال قومٌ منهم ان كلمة دروز مشتقة من دري Dreux وهو اسم احد امراء الصليبيين زاعمين ان جماعة من الصليبيين الفرنسويين تحت امرة الكونت دري نزلوا تلك البلاد فنسبت الجماعة لزعيمها وعرفت بهِ . ثم ان صاحب اخبار الاعيان يحسب المعنيين من المسلمين وكذلك يحسبهم الكولونل تشرشل في كتابيهِ تاريخ لبنان وتاريخ الموارنة والدروز على ان معظم المؤرخين الذين قرأنا مؤلفاتهم عنهم يحسبونهم من الدروز وقد صرّح بذلك المحبي والمرادي والبستاني الاَّ ان المحبي يقول في صدر ترجمة فخر الدين ان بعضاً من حفدتهِ قال لهُ ان فخر الدين كان يقول ان اصل آبائنا من الاكراد سكنوا هذه البلاد فاطلق عليهم الدروز باعتبار المجاورة لا انهم منهم قال وهذا ايضاً غير ثابتٍ الخ . قلت لو صحّ عند المسلمين السنيين ان بني معن كانوا

منهم لما تبرأ الامير حسين بن فخر الدين من الدرزية حيث لبث في الاستانة بعد مقتل ابيهِ كما روى المرادي في ترجمتهِ

واما قول حفيد فخر الدين للمحبي ان اصلهم من الاكراد ففيهِ نظرٌ لان القوم كانوا يتفاخرون بنسبهم العربي وانهم من بني ربيعة ناهيك ان شاعرًا معاصرًا لفخر الدين اسمهُ محمد الطالوي كان قد مرَّ على صيداء ومدح الامير ثم اخذ الامير مملوك الشاعر فكتب ذالك الى والي دمشق شريف باشا قصيدةً يشكو فيها ويتظلم من فعلة الامير وفي القصيدة هذا البيت

ماذا لقي في ثغر صيدا من درزيٍّ غويٍّ

ثم ان سفر فخر الدين الى اوربا لم يطفئ جمرة الحرب بل عاد ابنهُ من حوران لنجدة بلادهِ لان احمد بك احطَّ على قلعة شقيف ارنون وحصرها طويلاً وكانت النجدات تتوارد على عسكرهِ من انحاء البلاد حتى حصروا بلاد الامير يونس المعني فاشار عليهِ قومهُ ان يرسل امهُ الى الباشا في طلب الامان والتسليم فارسلها وصحبها بخمسة وعشرين الف غرش واربعة من الخيول العراب هديةً وبعث معها ثلاثين رجلاً من عظماء البلاد وفي غضون ذالك علم بمراسلات سكانهِ والباشا فخرج من دير القمر وكان حسين باشا سيفا مرابطًا في الدامور فلما علم بخروج الامير وعسكرهِ من دير القمر قصدها ليحرقها الاَّ ان ام الامير كانت قد بلغت مخيم الوزير وقدمت لهُ الخيول والمال فرحَّب بها واجاب ملتمسها بان عفا عن ابنها وخلع عليها ولكنهُ اشترط ان يؤدي لهُ مئة الف قرش نصفها فداءٌ عن حرق الشوف والنصف الآخر لكف القتال وابقاء القلاع فارتضت بذلك وظلت عندهُ رهينةً فامر بالانكفاء عن الحرب واطلق الامان لآل معن وارسل بعض اخصائهِ يبشر الامير يونس بما حاز من العفو وان يسعى بتدبير المال

والظاهر من رواية العلاَّمة الدويهي ان مجيء ام الامير للمخابرة بالصلح كان بطلب الباشا اجابةً لالتماس الامير يونس لانهُ رأى البلاد اصبحت عرضةً للحرق والسلب الاَّ ان المحبي يقول انهُ انما ارتضى بنزولها اليهِ لما علم ان فخر الدين قد سافر الى اوروبا وانها لما مثلت لديهِ قالت لهُ نحن ما ضبطنا بلدًا بغير اذن السلطان ولا انكسر عندنا مال وانها اعطتهُ مئة الف للسلطان وخمسين الفًا للوزير ومثلها لهُ

ولما وقع الصلح عاد الباشا الى دمشق والرهائن معهُ وما لبث الامير يونس ان برَّ بوعدهِ وجمع المال المطلوب وارسلهُ الى الباشا صحبة الشيخ احمد العكس من دروز حفة حلب فدفع الرسول ثمانين الفًا وهرب من الشام بالعشرين الالف الباقية فطلبها الباشا من الامير فاعتذر

عن ادائها ثانيةً بما كان من فعلة ابن العكس فلم يرتضِ بذلك بل ركب للقتال وسار حتى قب الياس فارسل الامير اليهِ مبلغاً واعتذر عن الباقي فابى الباشا الامهال وتوافدت اليهِ العساكر ومن جملتهم الامير احمد الشهابي مع ان الباشا كان قد نكبهُ بعشرة آلاف غرش فسرَّ بهِ ووعدهُ بولاية حاصبيا وسائر وادي التيم فلما علم اخوهُ الامير علي بذلك جمع رجالهُ وانضم الى عسكر الامير يونس وارسل ابنهُ بشرذمة من الرجال لنجدة الامير علي بن فخر الدين في قلعة بانياس اما الباشا فارسل الشيخ مظفراً برجالٍ من اتباعهِ الى الباروك فلقيهم المعنيون وحاربوهم فكسروهم وردوهم على الاعقاب خائبين واقام الامير يونس في الباروك متوقعاً هجوم الباشا عليهِ بكل قوتهِ الا ان الباشا كان قد دسَّ لاهل الشوف الخروج عن ولاء الامير والالتجاء اليهِ فيلقون خيراً فاجابهُ بعضهم الى ما اراد فخاف الامير يونس من مغبة الانحراف عنهُ وذهب من الباروك الى بانياس وقدم الباشا فدخل دير القمر واثخن فيها قتلاً ونهباً واحرق منازل المعنيين وارسل الشيخ مظفراً الى عبيهِ فاسر الامير ناصر الدين التنوخي وجاء بهِ الى الباشا فاكرمهُ وولاهُ الشوف واما المعنيون فاحتشدوا في مرج بسري وجاءهم عسكر الباشا ولما التقوا انكسر جيش الباشا فارسل المعنيون يبشرون الامير يونساً بظفرهم و يطلبون مدداً وكذلك بعث الباشا يستقدم حسين باشا سيفا من الدامور فجاء ووقع المصاف وكانت عدة رجال الشوف اربعمائة واما عسكر الباشا فعشرون الفاً فانكسر الشوفيون وولوا الادبار وفي طريقهم التقوا بنجدة اميرهم فعاد بهم الى بانياس وانصرف الامير علي الى بلادهِ وتشتت اهل الشوف في وادي التيم وخلا الجو لجيش الباشا فشرع يعيث في الشوف فساداً من قتلٍ وسلبٍ وحرقٍ ثم قصد قلعة شقيف نيرون فلم يقوَ عليها فتركها وعاد الى دمشق وفي طريقهِ اليها اتمَّ خراب البلاد . ولقد ذكر العلامة الدويهي ان سبب رجوع الباشا عن تتبع نصرهِ ما علمهُ من مقتل الصدر الاعظم نصوح باشا فخاف وسرَّح العرب ونكص راجعاً ولا نعلم موضع هذا السبب من الصحة لان هذه الحرب وقعت سنة ١٦١٢ ولم يكن امدها طويلاً ليتجاوز السنة والمعهود ان مقتل نصوح باشا كان في ١٢ او ١٣ رمضان سنة ١٠٢٣ هـ المعادلة سنة ١٦١٤ على ما يستفاد من المحبي ومن تاريخ تركيا لجوانين وڤان كاڤر

ولما رجع احمد باشا الى دمشق عاد الامير يونس الى دير القمر واقام فيها لانهُ كان قد اتخذها مركزاً للولاية منذ فوض اليهِ اخوهُ الامارة فانتقل من بعقلين اليها

ولما عزل احمد باشا الحافظ سنة ١٦١٣ عن الشام وعين محمد باشا جركس ارسل متسلمهُ وامرهُ ان ينادي بالامان ويرد جميع النازحين فغنمن بلاد الشوف للشيخ يوسف المسلماني من

اعوان بني معن فارسل اليهِ الامير يونس الشيخ ابا نادر الخازن والشيخ ابا ظاهر حبيش ليسعفاهُ في عد الاشجار واستيفاء المال ولما وصل محمد باشا الى حلب اطلق سراح ام الامير فخر الدين ومن معها من الرهائن التي ابقاها احمد باشا عندهُ حين مصالحتهِ الاولى وعفا محمد باشا عن الامير فخر الدين وأمنهُ ليعود الى بلادهِ فارسل الامير يونس كتاب الامان الى اخيهِ

وكأن فخر الدين احب الوقوف على شؤُون بلادهِ فارسل رسلاً اليها مع جماعة من سياح الافرنج فوصلت الرسل ونزلوا ضيوفًا على اخيهِ الامير يونس في دير القمر ثم تفقدوا القلاع وعادوا بالجواب من الامير يونس ومعهم الشيخ خاطر الخازن وخمسون رجلاً من الشوف

وبينما كان في بيزا زارهُ قنصل فرنسا وقدَّم لهُ رسالةً من الملك لويس الثالث عشر يدعوهُ بها الى بلاطهِ ويعرض عليهِ التوسط لهُ لدى السلطان ليعفو عنهُ فيرجع الى قومهِ آمنًا فاجاب متلطفًا بالاعتذار عن قبول الدعوة

وكانت مملكة اسبانيا في ذلك الحين متسلطةً على بعض ارجاء ايطاليا ومن جملتها مسينا فاراد ملكها فيليب الثالث ان يضيف الامير فخر الدين فأمر عاملهُ في مسينا ان يكتب الى كران دوك توسكانا ملتمسًا منهُ ان يبعث الامير الى بلادهِ ضيفًا على حكومتها وفي رواية تشرشل ان الكران دوك طلبهُ ذات يومٍ الى حديقة القصر فذهب اليها مع شيخ الاسلام نصر الدين فرأى الدوك يتمشى مع رئيس وزراء ملك نابولي فلما اجتمعوا اطلعهُ الكران دوك على كتاب من الملك فيليب الثالث يدعوهُ بهِ لزيارتهِ في مدريد ويعدهُ اذا صار مسيحيًّا ان يُعطى امارةً اعظم من امارة لبنان فاجاب الامير شاكرًا احسان ملك اسبانيا وعنايتهُ بهِ ولكنهُ قال اني لم آتِ الى هذه الديار لعلةٍ دينية ولا لاطلب حكومة ولكني جئت ملتجئًا ثم قال للكران دوك انك ظللتني بحمايتك واغدقت عليَّ نعمك ولذلك اصبحت في منةٍ زائدة لفضلك فان شئت ان ابقى هنا فاني مطيع لامرك وان شئت ان ترجعني الى وطني سررت جدًّا اه . الاَّ ان روايةً أُخرى تقول ان الكران دوك خيَّرهُ في الذهاب الى مسينا او في البقاء في بيزا فقبل الدعوة ترويحًا للنفس فاعطاهُ الكران دوك سلسلةً من ذهب واعدَّ لهُ مركبًا فسافر بعيالهِ والشيخ خاطر الخازن وبقي الحاج كيوان في توسكانا ولما بلغ الامير مسينا استقبلهُ واليها الاسباني بالانس والترحاب واقام عندهُ مكرَّمًا في قصرٍ عظيم أُعد لهُ

وبعد حينٍ استأذنهُ فخر الدين في الذهاب الى بلادهِ ليطلع على شؤُونها فأذن لهُ وسيَّرهُ ببعض غلمانهِ فلما اقترب من صور ارسل الشيخ خاطر الخازن ليجيء باخيهِ يونس الى قرب الدامور واتفق معهُ على اطلاق البارود في الجو علامةً لوجودهم لكي يقترب منهم فيراهم فذهب

الشيخ خاطر واجتمع في دير بسيم برجل من جماعة اخيهِ ابي نادر واستخبره عن حال البلاد وسأله عن والي صفد فاجابهُ انهُ الامير يونس كأنهُ لم يعلم انهُ الامير عليّ او اخطأ الناقل في الرواية وانهُ استناب عليها الشيخ ابا نادر ومن ثمَّ ذهب ابو خاطر الى دير القمر واخبر الامير يونس فركب ومعهُ كثيرون من عظماء الشوف الى الدامور واعطوا العلامة فاقترب مركب الامير من البر وشرع الناس يذهبون اليهِ للسلام على فخر الدين والتمسوا منهُ النزول الى البر فابى الربان ذلك كأنهُ كان محظوراً عليهِ ان يسمح بهِ ولما قضى الامير من الاجتماع وطره سافر فمرَّ على مالطة فرحب بهِ واليها واهلوها ترحاباً عظيماً وحيوهُ باطلاق المدافع ثم عاد الى بلرمو في ايطاليا

جرجي يني

عمران دمشق

تمهيد

التأليف في هذه الديار ضربٌ من شاقّ الأعمال لا يُعانيهِ الاَّ من يُدانيهِ لضعف مادة العلم وكساد بضاعة الفضيلة وتباين المشارب والمذاهب وشدَّة الضغط والتعسُّف بحيث يضطر في الغالب من يجرأُ عليهِ الى التقية يستعملها فيما يكتب على حين أنهُ لا تقيَّة في العلم ولا خشية من التصريح بالحق الاَّ في اقطار يُحظر فيها كلُّ شيء خلا التمويه والتدليس

لي صديق من حملة العلم اوعز اليَّ ان أُنشئ رسالة أُلمُّ فيها بما تقلَّب على دمشق الفيحاء من كُثر وقُلّ وعلم وجهل فامتثلتُ امرهُ وانا أُحاذر ان تنطبق عليَّ بالقول والفعل جملة فاهَ بها احد كتاب الفرنسيس وقد ألف كتاباً وهو في الخامسة والعشرين من عمره "إن هذا السنَّ يستسهل العقل فيهِ حلَّ المشكلات ويأخذ الاشياء بظواهرها ويحلُّ الخيال منهُ محلَّ النقد والتنقيب و يعتقد المرءُ في الامور بغير قيد وهو سنٌّ لو انصف اهلوهُ ما كتبوا ولا ألَّفوا"

واذ شرعتُ في العمل تيسَّر لي رغم المصاعب من مخطوط الأَسفار ومطبوعها ما لم اتوقع الحصول عليهِ فاستأنستُ ببعض واقتبست من آخر ومما طالعتهُ من المخطوط جانب من تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ والضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ والكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ ومختصر الدارس في تواريخ المدارس للعلوي والاصل للنُعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ ومحاسن الشام للبدري وحوادث دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ لابن بدير وكتاب ثمار المقاصد في ذكر

المساجد ليوسف بن عبد الهادي كتبهُ سنة ٨٨٣ وتاريخ في ١٤٠ صحيفة منصّفة القطع ناقص كرّاساً من الاول ارّخ فيهِ مؤلفهُ منذ ابتداء العالم الى زمن قايتباي الجركسي سنة ٨٧٢ وعليهِ حواشٍ بقلم محمد الاكمل بن مفلح المتوفى سنة ١٠١١ واظنهُ مختصراً من تاريخ ابن عساكر مع زيادة في آخرهِ

وطالعت من المطبوع طرفاً من تاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠ وتاريخ الكامل لابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ وتاريخ المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ وتاريخ ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الرّبوة المتوفى سنة ٧٢٧ وجغرافية ابي الفدا المتوفى سنة ٧٤٣ وجغرافية المقدسي ومسالك الممالك للاصطخري والمسالك والممالك لابن خردادبه ومعجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ وازهار الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ وعيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ وتاريخ ابن خلّكان المتوفى سنة ٦٨١ وذيلهُ لابن الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ وخلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي المتوفى سنة ١٢٣٢ وخلاصة تاريخ العرب للمستشرق سيديليو المولود سنة ١٨٠٨م وروضة المناظر لابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ واخبار الدول للقرماني المتوفى سنة ١٠١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وتاريخ بغداد لعثمان بن سند البصري المتوفى سنة ١٢٥٠ وقطف الزهور ليوحنا ابكاريوس وتاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد وتاريخ سورية لجرجي يني والروضة الغنّاء لنعمان القساطلي والكامل للمبرّد المتوفّى سنة ٢٨٥ ورحلة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٧ وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري المتوفى سنة ٧٤٩ وجهان نما لكاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ ورحلة المستشرق فولني المتوفى سنة ١٨٢٠ وغيرها من الرحلات والتقاويم والكتب الجغرافية والتاريخية المطبوعة بالافرنسية والتركية

هذه هي مآخذي ولقائل ان يقول مالك والتعنّي في تصفح كل هذه الصحائف من اجل وضع رسالة في تاريخ مدينة واحدة . ولو حقق لعلم ان هذا الاحتفال وان جلّ لا يُعدُّ شيئاً في جانب ما يُقاسيهِ الغربيون من الإِمعان في التنقيب والتنقير وإغراق النظر في المبحث الصغير فضلاً عن الكبير . وكم من غربيّ صرف شطراً من حياتهِ في تأليف كُتيّبٍ دون ان تعتريهُ ملة وسآمة وكم من شرقيّ بدأَ في عمل فعاودهُ ما رُكز في طباع الشرقيين من قلة الثبات فوقف في منتصف الطريق وربما انقطع في اوّلهِ وما ذاك الاَّ من انحلال الروابط وقلة الوسائط

ولعلَّ الناظر في هذا الوجيز يلاحظ معي ان سلسلة التاريخ انقطعت في اكثر القرون

خصوصاً في المتوسط منها فنازلاً وذلك لارتفاع العلم النافع من بين اظهرنا وعموم البلوى بالجهل المركب حتى زهد الناس في فن التاريخ وحسبوه اقاصيص خرافية لُفقت للمستضعفين وبالية رائج بينهم رواج كتب المجون والاضاليل

كُتبت بعض تواريخ في هذه القرون لكن الغرض والعوض اعميا اصحابها فلم يدونوا الآ ما يرتضيه الكبراء ويحظي بالزُلفى ممن انتسبوا اليهِ . ومَن لنا بمؤرخ عالم عاقل كالجبرتي الذي ارّخ حوادث مصر في اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر نستقي من مورده فان الحال في سورية كانت سواء والقطر المصري ولكن اخباره حفظت وضاعت اخبارنا وما ذاك الاَّ لأن من تسمَّوا بالعلماء تجافوا مؤخرًا عن خدمة هذا الفن بعد ان كان اساطين الرجال في غابر الزمن متولين امره يقتطعون سُويعات من اوقاتهم العزيزة لينقلوا الاخبار مخافة ان تعبث بها الاغيار وتخفيها يد الاشرار من اجل ذلك خلَّف اكثرهم في فهارس مصنفاتهم تواريخ باعها المتأخرون منا بالمجّان فغادرت ربوعنا غير آسفة اذ أحلها الاغيار محلّ الاعتبار وامسينا نقرأ في تراجم الاسلاف اسماء زهاء الف وخمسمائة كتاب في التاريخ ثم اذا عددنا ما في الايدي منها لا نراه يربو على الخمسين تاريخًا

هذا وقد ادمجتُ اثناء الكلام على عمران دمشق طرفًا من اخبار الدول التي تعاقبت على هذه الحاضرة لاني رأيتني مضطرًا الى ذلك يقين انَّ حال البلاد متعلق بسياستها تعلق الارواح بالاشباح واغتفرت هذا الاستطراد لنفسي علمًا بان من لا تروقهُ انباء عاصمة عظيمة قديمة يقرأ على الاقلّ إجمالاً عن تاريخ الاسلام قد يحصل منهُ على اثير يغنيهِ عن كثير

ولا اقول اني راعيت فيما كتبت الزمان والمكان بل اثبتُّ كل ما ينبغي لمؤرخ ان يذكره واخترت في الاحايين التلميح بدل التصريح لجلاء الكلام على من يتدبر السياق والسباق . واعتمدت على التاريخ الهجري في اكثر الروايات اذ لم اطمح الى تغييره كما اني لم أغير التاريخ الميلادي . وجريت على اسلوب مؤرخي الفرنجة في تقسيمهم عمر العالم الى ثلاثة اقسام القرون القديمة والقرون المتوسطة والقرون الحديثة ويبتدئ الاول منذ عُرف التاريخ الى سنة ٣٩٥م ابَّان انقسمت المملكة الرومانية الى شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومة ويوصله بعضهم الى سنة ٤٧٦ حين انقرضت تلك المملكة بتاتًا. والقرون المتوسطة تبتدئ من انتهاء القرون القديمة الى ان فتح السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م و٨٥٧هـ والقرون الحديثة تبتدئ من استيلاء الفاتح على هذه العاصمة الى حدوث الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ وما بعد ذلك يُدعى بالتاريخ العصري

وتوخيت الاختصار ما امكن فجاءت هذه العجالة ما ترى لا ما يجب ان ترى والنية معقودة ان فُسح في الاجل ان اعيد فيها النظر ثانياً ازيد وانقص ريثما تتم للنفس امنية تسعى الى ادراكها من التمحيص والتعديل . وعسى ان لا يكون نصيبي من ذلك نصيب من يحاول تطبيق القضايا العلمية على الاصول الدينية . ورجائي ان افوز باجر من يضمّ الموزَّع ويلأم صَدْع المهزَّع وان يتفضل رصفائي في خدمة العلم بما يعنُّ لهم من الملاحظات مشفوعة بالتدقيق في الاستقراء لتقابل مني بالمنة والثناء

(١) عمران دمشق في القرون القديمة

بالطمع والجهل كثرت شرور البشر فبُدّلت الارض غير الارض وبضدّها استبحر عُمران وسعد انسان . قال احد علماء الافرنج كانت محبة الذات في ابان أعتدالها مبدأ سعادة وعنوان كمال فلما اصبحت عمياء مختلة استحالت سمًّا زعافًا وغدا الطمع وهو ابن الجهل والبغة داعياً الى الشرور كلها التي دمّرت الارض

وما من قانون الهيّ او وضعيّ الاّ وعرَّف الخلق طرق الخير والشر ودلهم على حدائق الازهار ومتألف العوسج بيَدَ انَّ الارض لا تعمر باسبابها الطبيعية ما لم تشفع بالصناعية فقد غصت بلادنا مثلاً بخصب دائم وماء دافق وريح طيبة وفصول معتدلة فما اغنت غناءها بجانب ما كانت تستند اليهِ في رُقيها من عدل وعلم فلما دالت دولتهما تنكر عمرانها وتفرَّق سكانها

بالطمع والجهل تداعت اسوار نينوى والجنان المعلقة ببابل وقصور تدمر ومعابد بعلبك وصروح القدس ودثرت اساطيل صور ومعامل صيداء وملاحة ارواد وآثار غزة وعسقلان وبصرى وجرش وعمّان وبادت الزهراء والحمراء وانقرضت الخضراء والشقراء وتقوّضت الحدباء والزوراء وادبرت الشهباء والفيحاء

بالطمع والجهل جرى ما جرى لتلك الحواضر وفقد ما تفاخر بهِ الارض من ناطق وصامت وعجماوات وجمادات وتعطلت هاتيك المرافئ التي طالما اقلعت منها سفن الفينيقيين واليهود والبحرت في شواطئ شبه جزيرة العرب ماخرة العباب الى الخليج الفارسيّ والبحر الهنديّ لتقلّ من عمان والبحرين نواتج القارّتين الاسيوية والافريقية من تبر وذهب وفضة ولؤلؤ واحجار كريمة وشال وعطور وبخور وصبر وعاج ومسك وعود وطواويس وقرود . ومن تلك الموانى كانت تسير المراكب المصرية والسورية لتوزع اوساقها على سواحل البحر المتوسط على حين انك لا تسمع بمثل هذه الحركة التجارية اليوم الاّ في مراسي اوربا واميركا منها واليها ذاهبة جائية

لا جرم ان المتفلسف في طبائع الاكوان يعلق الاسباب على مسبباتها فاذا رأى عمراناً بين امة حكم انهُ كان بعدل وحرية او وحدة دينية او وطنية او سيف وحكمة او حسن قيام على تجارة وزراعة وصناعة واذا شهد العكس نسبهُ الى سوء ادارة وفساد اخلاق او ظلم وشقاق او حروب متتابعة ودول متعاقبة وجدالات اهلية . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

وبعدُ فقد كانت دمشق الفيحاء مصر الشام وامّ مدنها وعروس المشرق لوقوعها في مركز تنتهي اليهِ السيارة المشرقية الى الافق المغربي وقد عظم شأنها بين المدن الحافلة العريقة في القدم الباقية في لوح الوجود فروى تاريخ القرون المتوسطة عن عظمتها السالفة عجائب ما كان المرء ليخالها الاَّ مبالغاً فيها لو لم تشهد بها الآثار والاخبار. وتلك كسائر الامصار الحلو والمرّ من صروف الدهر فنالت حظها من بهاء ورفعة وانحطاط وضعة وأربَتْ شقوتها على سعادتها فعدت ايامها السود كثيرة في جنب ايامها الغرّ المحجلة

واختلفت الروايات في سبب تسميتها واصل بانيها بحيث اتسع مجال القول للوضاعين والقصاصين واقوالهم في الباب متخالفة ولا اختلاف علماء الطبيعة في عمر الارض والصحيح الذي ينبغي ان يعوَّل عليهِ انّ التاريخ القديم غامض للغاية اللهمّ الاَّ ما جاء من طريق معاصرينا من مؤرخي الفرنجة الذين يستدلون على الحوادث بآثار لا تقبل الانكار

ولقد قسم العارفون بايام الناس تاريخ دمشق الى ستة ادوار كما يقسم علماء الجيولوجيا طبقات الارض الى ستة اقسام في الغالب ايضاً فكانت مستقلة نحو ١٤٥٠ سنة وبسط البابليون والفرس ايديهم عليها ٤١٧ سنة وظلَّت بها حكومة اليونان السلوقيين ٢٤٧ سنة وحكمها الرومان ٦٩٩ سنة وسادها العرب المسلمون ٤٤١ سنة وتملكها الاتراك العثمانيون منذ سنة ٩٢٢ هـ

وما من اثر يدلُّ على كيفية حكومتها ايام استقلالها وعمرانها في تلك العصور المظلمة . واذ سقطت مراراً في ايدي اليهود صيّروها عاصمة سورية ولذا تكرر اسمها في سفر التكوين تحت اسم آرام وحكمها ملوك وردت اسماء بعضهم في التوراة لكن تصعب معرفة ازمانهم واحوالهم

ودخلت دمشق في حوزة ملك اشور سنة ٧٤٠ ق . م فقاست ما قاستهُ مملكة اشور من شقاء ونعماء ولم تكن هذه الحكومة في سورية مضرة بالتجارة والثروة مع ما عُرفت بهِ من القسوة والهمجية . وخضعت دمشق للفرس نحو ثلثمائة سنة ولما لم تكن حكومتهم تُحسن الاستعمار انحط عمرانها وظلَّت نحو الف سنة تتسكَّع في بيداء الصَّغار وتتردَّى في مهاوي الدَّمار واقلُّ اعمال الفرس فيها كما في تاريخ سورية حمل اهلها على الجلاء الى بلاد مادي وسكنى الاشوريين فيها

ولما نشب القتال بين داريوس ملك الفرس وهو صاحب سورية اذ ذاك وبين الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق . م تقهقر جيش داريوس وانهزم الى ما وراء الفرات فاستولى الاسكندر على سورية وفلسطين ونصب احد رجالهِ واليًا على دمشق والبقاع ولم يروِ التاريخ عن دمشق شيئًا على عهد هذا الفاتح العظيم وقد كانت البلاد تنقاد اليهِ عفوًا صفوًا وتمشي امورها زهوًا رهوًا حتى اذا هلك انقسمت مملكتهُ بين اربعة من قوادهِ فكانت سورية لسلوقس منذ عام ٣١٢ ق . م . وكانت الدولة السلوقية دولة حرب وشقاق فارتفع الامن في ظلها وفسد النظام واصبحت سورية باجمعها حوالي سنة ٨٧ ق . م على شفا جرف هارٍ من الاخطار اذ كانت رومية تطالبها ببسط نفوذها عليها ومصر تحاربها لتضمها اليها والفرس يجتاحون البلاد ببأسهم وشدة مراسهم حتى قررت لهم السيادة الادبية عليها ولا تسل عما منيت بهِ البلاد اوائذٍ من ضعف الحال والرجال . ولاضطراب حبل المملكة السلوقية امتدت يد ملك ارمينية الى سورية وحكمها ١٤ عامًا الى ان جاءها الرومان سنة ٦٥ ق . م واستخلصوها منهُ . ويقول اغلب اهل السير من الافرنج ان الدولة الرومانية كفلت السور بين بالعدل فاحسنت كفالتهم مع ما كانت عليهِ في داخليتها من المشاغب والمتاعب حتى اذا شاخت دولتهم وغدا ملوكها لا يفكرون الاَّ في نيل تاج الملك ولو ملوَّثًا بزعفران الدماء وقصاراهم ان يعيشوا في قصورهم مترفين وفي شهواتهم منغمسين يحرسهم الحجاب وتتسرَّب الى خزائنهم اموال الجبايات انقلبت الحال الى اتعس مما كانت عليهِ من قبل . وبالنظر لتجافي هؤلاء الملوك عن التبصر في احوال رعاياهم كان اكثرهم يُقتلون غيلة بيد قوادهم او جندهم او شعبهم فرارًا من سوء ادارةٍ افقدت أُمتهم ومجاوريها الحرية والعدل . وعلى هذا امست دمشق بل قطرها في حمإٍ مسنون من الرق شأن كلّ مغلوب على امرهِ لا يعرف اهلها غير الذلة والمسكنة يُضاف اليهما ما يتأصل في اهل كلّ قُطر ينصبغ بصبغة الحكومة المتغلبة من مكر ونفاق وفساد في العادات والاخلاق

هذا طرف من حال الفيحاء قبل الاسلام وقد خضعت للرومان مدة استيلائهم على سورية وما دار في خلدها الانتقاض عليهم . واذ كانت انطاكية عاصمة البلاد لم تلحق دمشق شأوها في العظمة والشهرة بل تخلفت عما يؤهلها اليهِ مركزها الطبيعي وان تكن خلفت تدمر بعد سقوطها في عمرانٍ لم يبقَ منهُ الآن سوى احجارٍ مبعثرة ونواويس مكسرة تدلُّ مع هذا على ضخامة سلطانها واستبحار عمرانها واسماء رواها التاريخ فغابت عن العيان مسمياتها بتةً كالبناء العجيب المسمى بالبريص وفيهِ يقول حسان

يسقونَ من ورد البريص عليهمِ بردى يصفق بالرحيق السلسلِ

وقال وعلة الجرمي

فما لحم الغراب لنــا بزادٍ ولا سرطان انهار البريصِ

قال ياقوت وهذان البيتان يدلان على ان البريص اسم الغوطة باجمعها الا تراه نسب الانهار الى البريص وكذلك حسان فانهُ يقول يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من ورد البريص. على ان المسعوديّ يقول ان هذا البناء كان موجوداً في سنة ٣٣٢ هـ في وسط المدينة وكان يجري فيهِ الخمر في قديم الزمان وقد ذكرتهُ الشعراء في مدحها لملوك غسّان من مأرب وغيرهم

(٣) عمران دمشق في القرون المتوسطة

جاء المسلمون لفتح دمشق عام ١٤ هـ وكانت مختلة بحروب لم تنتفض بعد من عوارضها معتلة بامراض بادية للفاتح اعراضها وبعد حصار نازلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة فاسرع اهل البلد الى ابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وكان كل واحدٍ منهم على ربع الجيش فسألوهم الامان فأمنوهم وفتحوا لهم الباب فدخل هؤلاء من ثلاثة ابواب ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر وملكوهم وكتبوا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ بخبر الفتح فاجراها كلها صلحاً

وهنا لا بأس بايراد طرف من احوال الدولة الاموية التي اتخذت هذه المدينة عاصمة جديدة للاسلام خصوصاً وانها كانت مبدأ دور ثانٍ لهذه الامة باحداثها اموراً اوجبت انقلاباً عظيماً اهمهُ تغير وضع الامامة وبالاشارة الى طور الدور الاول ينجلي الفرق فاقول:

الاسلام جامعة عظمى لمصالح الناس دعا اليها الرسول العربيّ عليهِ الصلاة والسلام فكان فيهِ هادياً ومهيمناً فلما توفاهُ الله شعر رؤساء الامة بوجوب اقامة خليفة يخلفهُ في بث الدعوة وتوطيد الجامعة . وبعد خلاف نصبوا بالاتفاق اصلحهم لهذا الشأن ابا بكر الصديق اماماً وخليفة وهو في سيرتهِ المثلى على ما يعرفهُ من شمَّ ريح التاريخ وكان من اجتهادهِ في حب المصلحة العامة ان انتخب خليفة يخلفهُ فعهد الى عمر بن الخطاب وهو على ما هو من التوفر على اعلاء الكلمة فقد لا يوجد جاهل بتلك السيرة العُمَرية

وعرف عمر ان نصب الامام من حقوق الجماعة فلم يغصبهم اياها حتى انهُ لما طعن قيل لهُ يا امير المؤمنين لو استخلفتَ فقال " لو كان ابو عبيدة حياً لاستخلفتهُ وقلت لربي ان سألني سمعتُ نبيك يقول انهُ امين هذه الامة ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حياً لاستخلفتهُ وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالماً شديد الحب لله تعالى " . الى ان قال " عليكم هؤلاء الرهط وهم عليٌّ بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص

والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً " الى آخر ما تواتر في قصة الشورى

ولما انتخب رؤساء الصحابة عثمان بن عفان تطالّ بنو امية الى غرض كان يحيك في صدورهم راعني به الرئاسة العظمى على المسلمين كافة وذلك لانهم راجعوا تاريخهم فعلموا انهم كانوا في جاهليتهم رؤساء وحب الرئاسة كما يعهده علماء الاخلاق خلة ينزع اليها كل من كان له قديم يرجع اليه وتنمو جرثومتها في الناشئين في مهادها حتى اذا اضاء لهم برق مشوا في سبيلها حثيثاً شأن الأمويين في خلافة عثمان فانهم ظنوا الامر امرهم لا امر الامة وطمعوا في الولايات والاعطيات حتى نقم عليهم من نقم وكان من التألب على عثمان ما اشتهر امره وبقتله انفرجت على المسلمين ثغرة ما سدّت ولن تسدّ

ولما ولي الشام معاوية بن ابي سفيان مُقدَّم بني امية اتخذ دمشق قاعدة لامارته لاسباب منها انها كانت متوسطة بين البلاد غزيرة الخيرات للجند ملائمة لابهة الملك وعظمة السلطان . ثم اخذ في تسخيرها لامره وتمهيدها لذريته وتربية اهلها على الطاعة للرؤساء والاستسلام للامراء حشدها باهل عصبيته واستمال قلوب جند الشام وهم العرب المعنيّون بقول المؤرخين اهل الشام لا اهلها الاصليون من الروم فان هؤلاء ما كان لهم في المسألة ناقة ولا جمل . وعلى اثر ذلك قام معاوية يطالب بدم الخليفة الثالث فكان ما كان من امر وقعتي الجمل وصفّين وقيام الخوارج وتشتت الكلمة بتلك العصبيّات على نحو ما رواه الطبريّ وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين المعتدلين

ومن البديهيّ ان الحضارة بنت الترف والترف ابن الغنى والغنى من طبيعة الملك وملك بني أمية كان يمتدّ من اقاصي جبال حملايا في الشرق الى اداني جبال الألب وسط فرنسا في الغرب وحضارتهم كانت نسخة منقولة عن الفرس والروم لان الحضارة تنتقل في الغالب من الدول السالفة الى الدول الخالفة . وقد طفح التاريخ بادلة تُثبت انغماس بني امية في الترف انغماساً لم يعهده العرب الفاتحون

سار عمر بن الخطاب الى الشام اربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل والرابعة على حمار فخرج معاوية للقائه وشارات الأبهة تحفّهُ وترفّهُ فلما تقابلا تأثر عمر من هذا البذخ ونظر شزراً الى معاوية قائلاً أكسروية يا معاوية . وفي رواية ابن عبد ربه عن يزيد عن ابيه قال إن عمر بن الخطاب لما قدم الشام ومعهُ عبد الرحمن بن عوف تلقّاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمرَ حتى أُخبر فرجع اليه فلما قرب منهُ نزل اليه فاعرض عمر عنهُ فجعل يمشي الى جنبه راجلاً فقال له عبد الرحمن بن عوف اتعبتَ الرجل فاقبل عليهِ عمر فقال يامعاوية انت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك . قال نعم يا امير المؤمنين .

قال ولمَ ذاك قال لأنّا في بلد لا نمتنع فيهِ من جواسيس العدو ولا بدَّ لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان امرتني بذلك اقمتُ عليهِ وان نهيتني عنهُ انتهيتُ فقال لئن كان الذي تقولهُ حقًّا فانهُ رأي اريب وان كان باطلاً فانها خدعة اديب وما آمرك بهِ ولا انهاك عنهُ

وذكر المبرّد ان معاوية قدم على عُمَر بن الخطاب من الشام وهو أبضُّ الناس فضرب عُمَر بيدهِ على عضدهِ فاقلع عن مثل الشراب او مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تُقطع انفسهم حسرات على بابك . وروى ابن الاثير ان عُمَر لما قدم الجابية من قرى دمشق وهي ناحية بالجولان كان اول مَن لقيهُ يزيد وابو عبيدة ثم خالد عليهم الديباج والحرير فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما اسرع ما رجعتم عن رأيكم اياي تستقبلون في هذا الزي وانما شبعتم منذ سنين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلتُ بكم غيركم. فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامعة وان علينا السلاح قال فنعم اذن وركب حتى دخل الجابية وعمر وشرحبيل كانهما لم يتحركا

هكذا كان الخلفاء الراشدون يعاملون عُمَّالهم ليربأوا بهم عن موارد الترف والسرف في حين كانوا باول النشوء وصدر الفتح. ومن المسلَّم ان معاوية كان من السياسة والحلم على جانب واجمع ثقات المؤرخين على انهُ ما فتئ يستميل رجالات قريش اليهِ منذ جرى في شغاف قلبهِ حب الإمارة وقوي فيه عرق الامل بنيلها . وممن مالأهُ على تحقيق رغائبهِ عمرو بن العاص قريبهُ وعاملهُ على مصر والمغيرة بن شعبة عاملهُ على الكوفة وهما الداهيتان اللذان يقول فيهما الحسن البصري — كما في السيوطي — انهما افسدا امر هذه الامة لاحتيال الاول برفع المصاحف يوم صفّين وتقرير التحكيم ولأن الثاني كان من الداعين لاخذ البيعة ليزيد فاوعز معاوية سرًّا الى ولاة الامصار ان يوفدوا الوفود اليهِ يزينون لهُ اعطاء العهد لابنهِ حتى استوثق لهُ اكثر الناس وبايعوهُ والسيوف مُصْلَتة على رقاب كبار الصحابة وقت اخذ البيعة كيلا ينبسوا بحلوة ولا مُرَّة فتسلسل الملك في اعقابهِ سُنَّةَ قيصر وكسرى بل كما قال عبد الرحمن بن ابي بكر سنة هرقل كلما مات هرقل قام هرقل

ولما قُضي على اهل الشام ان يكونوا بعدُ جيشَ بني أُميّة الخاص يقاتلون بهِ من يناوئهم في القاصية والدانية لم يكن نصيب بلادهم من العمران كنصيبهم من خدمة الاغراض . ومن جملة وصايا معاوية ليزيد قولهُ انظر اهل الشام فليكونوا بطانتك ورعيتك فان رابك من عدوّك شيء فانتصر بهم فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم فانهم ان اقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم

لاجرم ان ملك بني أُمية على الجدّ في قطع شأفة الخارجين عليهِ لم يدم سوى احدى وتسعين سنة وتسعة اشهر او الف ومئة شهر تعاقب عليهِ اربعة عشر ملكاً كلهم متشابهون في مسالكهم الاّ قليلاً دَعْ عنك افضلهم واعقلهم واعدلهم عمر بن عبد العزيز فانهُ لما شرع يتمكن من هدم ما بني من القواعد ليقوم باصلاح حقيقي دسَّ اليهِ بعض أُسرتهِ من سقاهُ السم فذهب حميد الاثر ولم يلِ الخلافة سوى ٢٩ شهراً

تبين مما تقدم ان الدولة الأُموية لم تتفرغ للعمران لانصراف وجهتها الى الفتوح وبث الدعوة وكبح جماح الخوارج والقدرية والازارقة والصفرية وغيرهم ممن

مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً تحوم عليهم طيرٌ وقوعُ

قال احد حكماء السياسة لا سلطان الاَّ بالرجال ولا رجال الاَّ بمال ولا مال الاَّ بعمارة ولا عمارة الاَّ بعدل فعمران هذه الحاضرة على عهد تلك الدولة فضلاً عن انهُ نُقل عمن قبلهم نقلاً اعتورهُ القلب والابدال لم يكن في الدرجة التي يزعمها بعضهم اللهمَّ الاَّ ما كان من قصورهم ومصايفهم في الضاحية التي يتعذَّر الآن تحديد مراكزها لان بني العباس لما اخذوا الملك من بني أُمية هدّوا قصورهم كما نبشوا قبورهم

وقد انبثت قصور الامويين بجوار جامعهم الذي بناهُ الوليد بن عبد الملك ذاك المولع بتشييد القصور المنجَّدة والصروح الممرَّدة وهو صاحب البلاط الغريب . اما الخضراء وهي بلاط معاوية فقد كانت في الحيّ المعروف اليوم بمصبغة الخضراء من احقر احياء المدينة تكون عن شمال الداخل الى الجامع من باب جيرون اي الباب الشرقي المسمى اليوم بباب النوفرة لوجود فوَّارة بقربهِ منذ مئات من السنين يؤيّد ذلك ما رواهُ المبرّد في كاملهِ من ابيات في بنت معاوية قال في مطلعها

صاح حيّا الالهُ اهلاً ودارًا عند اصل القناة من جيرونِ
عن يساري اذا دخلت من البا ب وان كنت خارجاً فيميني

وذكر ابن خلكان ان دار سليمان بن عبد الملك كانت موضع سقاية جيرون وذكر القرماني ان عمر بن عبد العزيز لم يسكن في دار الخلافة بباب الخضراء وسكن شمالي جامع دمشق بمكان يعرف اليوم بخانقاه الشميصاتية وقال ايضاً كانت دار هشام بن عبد الملك عند سوق الخواصين مكان تربة نور الدين الشهيد وقيل في الكلاّسة . وروى ابن عساكر ان دار مسلمة بن هشام وكانت معروفة بدار اماجور متصلة بالجامع من ناحية باب البريد ملاصقة دار ابي الدرداء

(ستأْتي البقية) محمد كرد علي

كلام كارنجي عن نفسهِ



نشر المقتطف في اوائل العام الماضي مقالة وجيزة فيها طرف من ترجمة هذا المحسن الشهير والغني الكبير وقد رأَيتُ الآن مقالة وجيزة من قلمهِ نفسهِ وصف فيها احوالهُ في صباهُ وكيفية ارتقائهِ واكتسابهِ الاموال الطائلة فرأَيت ان اترجمها افادة للشبان من قرَّاء المقتطف لما فيها مما ينهض الهمم ويقوي العزائم قال:

" اضطررت لحسن حظي ان اعمل عملاً نافعاً لي ولغيري وانا صغير السن جدًّا لاني كنت بكر والديَّ وكانا فقيرين . وكان ابي حائكاً من اهالي اسكتلندا وكانت احوالهُ حسنة نوعاً لما ولدتُ كان عندهُ اربعة انوال من الانوال التي ينسج بها النسيج المعرَّق المعروف بالدمشقي وعندهُ صنَّاع ينسجون بها وذلك قبل استعمال البخار في معامل النسيج . وكان التجّار يقدمون الغزل للحاكة فيحيك هؤُلاء لهم ما يطلبونهُ منهم

" ولما اتسع نطاق المعامل الكبيرة ضعف شأْن الحاكة الصغار الذين يحيكون بايديهم وكان ابي من جملة الذين اضرَّ بهم ذلك فدخل البيت ذات يوم وهو يقول انهُ لم يبقَ عندهُ

شغل لانهُ اخذ المنسوجات التي نسجها الى التاجر فاخذها التاجر منهُ وقال لهُ انهُ ما عاد يمكنهُ ان يعطيهُ شيئًا آخر لينسجهُ لهُ . وهذا اول امر مهم ادركتهُ في حياتي

" ودارت المذاكرة في بيتنا على بيع الانوال الاربعة والمهاجرة الى اميركا وبقي والداي يتذاكران في ذلك اياماً واخيرًا قرَّ القرار على بيعها واتباع اقاربنا الذين سبقونا الى بتسبرج باميركا . فهاجرنا ووصلنا مدينة اليغاني ابي وامي وانا واخي . ودخل ابي عاملاً في معمل من معامل القطن وجُعلت انا صانعاً فيهِ وجُعلت اجرتي خمسة شلنات في الاسبوع وكان عمري اثنتي عشر سنة وهناك ابتدأ استعدادي لمعاطاة الاعمال

" وقد تعاملتُ بعد ذلك بمبالغ كبيرة من المال ومرَّت في يدي ملايين كثيرة ولكن السرور الذي شملني حينما قبضت اجرتي الاولى يفوق كل سرور شملني بعدهُ من كسب المال لانها كانت اجرة حقيقية لتعب شديد تعبتهُ تعبٍ لولا الغرض الذي كنت ارمي اليهِ والجزاء الذي كنت انتظرهُ لحق لي ان اسميهُ استعبادًا

" ولم يطل عليَّ المطال حتى رآني رجل اسكتلندي رقيق القلب يعرف بعض اقاربي فرثى لحالي وكان عندهُ معمل غزل فاخذني الى معملهِ واستخدمني وقَّادًا للآلة البخارية فاستصعبت هذا العمل جدًّا لانني كنت اخشى ان تزيد الحرارة فتنشق الآلة وتنسف المعمل كلهُ نسفًا وانشغل بالي بهِ حتى كنت استيقظ ليلاً فارى نفسي جالسًا في فراشي افكر في مقياس الآلة البخارية

" وبعد سنة انتقلت الى مكتب التلغراف في بتسبرج ساعيًا لتوزيع الرسائل التلغرافية على اصحابها وكان عمري اربع عشرة سنة وكأني انتقلت الى عالم جديد

" والاولاد الذين يوزعون التلغرافات يطمعون في ان يصيروا من العمَّال الذين يدقون الاشارات التلغرافية على مفتاح الآلة ولذلك تراهم يبكّرون الى المكتب قبل العمال ويتمرّنون على استعمال مفتاح التلغراف ويخاطب بعضهم بعضًا من مكتب الى آخر فحذوت حذوهم وتعلمت استعمال مفتاح التلغراف . وذات يوم كنت واقفًا امام الآلة قبل مجيء العمال فاخذ مفتاحها يضرب باشارة برقية من فيلادلفيا وهي خبر وفاة فتجاسرت واخذت الخبر بنفسي وسلمتهُ للكاتب قبل مجيء العامل ومن ثمَّ صار العمَّال يكلفونني لاقوم مقامهم اذا غابوا

" وكنت حادَّ السمع فتعلمتُ حالاً ان افهم الاشارات التلغرافية من مجرَّد سمعها وكان ذلك نادرًا جدًّا في اميركا لا يستطيعهُ الاَّ اثنان فقط في كل الولايات المتحدة على ما اظن وللحال انتبه رؤَسائي اليَّ وجعلوني من العمال وقطعوا لي راتبًا حسبتهُ عظيمًا جدًّا وهو خمسة

جنيهات في الشهر او ستون جنيهاً في السنة . وتمَّ خط سكة الحديد الواصل الى بتسبرج وكان مديرهُ الفهامة توما سكوت يأتي الى مكتب التلغراف مراراً كثيرة ليكلم رئيسهُ المدير العام في التونا فعرفني . ثم لما مدَّت تلك السكة الحديدية العظيمة خطاً تلغرافياً خاصاً بها استخدمني كاتباً لهُ وعاملاً لتلغرافهِ فانتقلت من مصلحة التلغراف الى مصلحة سكة الحديد . وارتفع راتبي دفعةً واحدة من خمسة جنيهات في الشهر الى سبعة جنيهات فحسبت ذلك طفرة كبيرة غير منتظرة

" وكان المستر سكوت اكرم الناس اخلاقاً واشدهم عطفاً عليَّ فقال لي ذات يوم " هل تستطيع ان تأتي بمئة جنيه لاشتري لك بها اسهماً " . وللحال انتبهت فيَّ ملكة الكسب وقلت في نفسي انهُ ان كان رئيسي قد تنازل للمعاملة معي فقد فتحت العناية في وجهي باباً لا يليق بي سدهُ فقلت لهُ نعم يا مولاي اظن اني استطيع

" فقال حسناً هات الدراهم فان رجلاً توفي وعندهُ عشرة اسهم من اسهم شركة ادمس اكسبرس اريد ان تشتريها

" فوقعت في حيص بيص لاننا لم نكن نملك مئة جنيه ولكني كنت واثقاً بأن امي تدبر المال كيفما كان الحال وكنا قد ابتعنا بيتاً صغيراً نسكن فيهِ كان يساوي مئة وستين جنيهاً على ما اتذكر فاجتمعتُ بابي وامي تلك الليلة وتداولنا في الامر ملياً واخيراً قرَّ قرارنا على رهن بيتنا فرهناهُ واخذت مئة الجنيه ودفعتها ثمن العشرة الاسهم ولكن لم يعرف احد ان ابي وامي رهنا بيتهما لكي يعطيا ابنهما رأس مال . ولما وُزّع علينا الربح الشهري استغربناهُ كثيراً لاننا لم نعتد قبض شيء غير اجرة عملنا

" وحدث بعد مدة ان فلاحاً على وجههِ سمات الصدق والامانة دنا مني وانا راكب في سكة الحديد وقال لي بلغني انك مستخدم في شركة سكة الحديد واريد ان اريك شيئاً . واخرج من كيس صغير معهُ مثالــــ مركبات النوم الاولى . هذا هو المستر ودرف مستنبط مركبات النوم التي ضمَّت بعدئذٍ الى مركبات بلمن . فلما وقع نظري عليهِ رأيت فائدتهُ حالاً وطلبت منهُ ان يأتي الى التونا في الاسبوع التالي

" ولما رأى المستر سكوت هذا المثالــــ ادرك فائدتهُ حالاً واتفق مع المخترع على تجربة مركبتين في سكة بنسلفانيا وعرض المستر ودرف سهماً عليَّ فاشتركت معهُ حالاً ولكنني لم اعلم من اين آتي بالمال المطلوب وكان ثمن المركبتين اقساطاً شهرية وخصني من القسط الاول ٤٤ جنيهاً ولم يكن معي منها شيء فحرتُ في امري ثم خطر ببالي ان استدين المال من البنك

الذي هناك فمضيت وقابلت مديره وطلبت منهُ ان يدينني المال المطلوب وتعهدت أن اوفيهُ بدفع ثلاثة جنيهات كل شهر من اجرتي الشهرية فبش في وجهي وقال لي لا بأس عليك يا ابني وقرضني المال المطلوب وحينئذٍ امضيت اول تحويل وانا مفتخر بنفسي حاسب انني صرت من رجال الاشغال . نعم امضيت اول تحويل وقبلهُ البنك مني وهذا هو سرُّ افتخاري لان كل احد يستطيع ان يمضي تحويلاً ولكن ليس كل احد يستطيع ان يجد بنكاً يقبل تحويلهُ

"ووفر الربح من مركبات النوم فدفعنا منهُ الاقساط الباقية ومن هذه المركبات ربحت اول ربح كبير

"وبعد قليل جُعلتُ مديراً لفرع بتسبرج من فروع سكة الحديد . وكانت كباري (جسور) سكك الحديد من الخشب كلها ورأيت شركة بنسلفانيا تمتحن كبرياً من الحديد المسبوك فقام في نفسي ان كباري الخشب لا تصلح في المستقبل لسكك الحديد وللحال انشأت شركة في بتسبرج لعمل كباري الحديد . وكان سهمي منها ٢٥٠ جنيهاً ولم يكن هذا المال معي لكن البنك قرضني اياهُ وشرعنا في العمل فنجحنا نجاحاً عظيماً جداً وبنت شركتنا اول كبري حديد على نهر اوهايو وكان اتساعهُ ٣٠٠ قدم ثم بنت كباري كثيرة بعدهُ

"هذه بداءة انشائي لمعامل الحديد وكنت استعمل ما اربحهُ من المعمل الواحد في بناء معمل آخر وهلمَّ جرّا"

هذا ما كتبهُ المستر كارنجي عن نفسهِ . وقد نقل المقتطف عنهُ في اوائل العام الماضي ان ثروتهُ تقدَّر الآن بنحو اربعين مليوناً من الجنيهات ودخلهُ السنوي منها يبلغ مليونين من الجنيهات اي يبلغ دخلهُ اليومي نحو ٥٤٨٠ جنيهاً . وهو على غناهُ المفرط وكبر سنهِ طلق المحيا انيس المحضر كانهُ شاب في السادسة عشرة . لم يورثهُ والداهُ شيئاً من المال ولكنهما اورثاهُ صحة جيدة واخلاقاً رضية وآداباً رائعة فتراهُ ممتلئاً صحة ونشاطاً لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليهِ . وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تُملُّ كتابتهُ ولو كانت في الاحصاء

واعظم ما امتاز بهِ كرمهُ الحاتمي على ما ينفع الناس فقد تصدَّق في السنوات العشرين الاخيرة باكثر من ستة ملايين من الجنيهات . وآخر شيء تصدَّق بهِ مليون جنيه تدفع معاشات للعجزة من العمال في معاملهِ ومليونان ونصف مليون جنيه لانشاء مكاتب عمومية في كثير من المدن

نجيب صروف

جحيم الضواري

لا شيء يرعب الوحش الضاري كالنار اذا اشتعلت في ما يجاوره فترى الضاربين في القفار التي يخشون فتك ضواريها يضرمون النار حولهم فيتقيها الاسد والنمر والفهد وكل الضواري. واذا اشتعلت النار في غابة اوغوطة كما يحدث مراراً كثيرة في اميركا واستراليا نفر منها كل ما فيها من انواع الحيوان وداس بعضهُ بعضاً كأنهُ أُصيب بجنة هذا ومجال الهرب متسع امامهُ فكيف اذا كان في حظيرة مسوَّرة لا منفذ لهُ منها او اذا كان في اقفاص تحيط بها قضبان الحديد لا غرو اذا جُنَّ حقيقة قبل ان يسلم انفاسهُ

حدث ذلك على صورة تقشعرُّ لها الابدان في الثامن من شهر فبراير الماضي في مدينة بلتيمور من الولايات المتحدة الاميركية في حظيرة الحيوانات المعروفة بحظيرة بوستوك وهي اكبر حظائر الضواري التي تنقل من مكان الى آخر لاجل الفرجة فهناك فيها خمسون اسداً وعشرة نمورة واحد عشر دبًّا وسبعة فهود وستة عشر ذئباً وخمسة وخمسون سعداناً وعشرون كلباً وستة نسور وثلاثة شواهين وسبعون طائراً من نوادر الطير وخمسون من الافاعي وغيرها من الزحافات ونعامتان وخمسة قناقر وغير ذلك من الضواري والكواسر والسوام اربع مئة حيوان او تزيد

كتب بعضهم وكان على مرأى من النار ان جهنم فغرت فاها لابتلاع هذه الوحوش فلاقت بنيتها جزعة مضطربة وهي تزأر وتعوي وتصيح وتصرخ وتئن وتبكي وتتواثب وتتصارع ويمزق بعضها بعضاً

والحظيرة اكبر حظائر اميركا والظاهر ان سلكاً من اسلاك النور الكهربائي لم يكن مفصولاً عن السلك الموازي لهُ فحميا واحرقا خشب السقف فامتدت النار حالاً في الحظيرة كلها امتدادها في الهشيم لانها مبنية من الخشب تغطيها الواح رقيقة من الحديد. وحدث ذلك بعد خروج آخر واحد من المشاهدين بنحو خمس دقائق فلم يصب احد منهم بمكروه . لكن شاعت الاخبار حالاً ان الضواري هربت من الحظيرة وتفرقت في انحاء المدينة تفترس اهاليها فساد الرعب وعمَّ الاضطراب والحقيقة ان الضواري لاقت حتفها في الحظيرة والذي نجا منها بقي مذهولاً لا يستطيع هرباً . فان احد المدرّبين اخذ يفتح اقفال الاقفاص عساهُ ينجي بعضها وهو لا يدري لحمقهِ انها تفتك بالناس اذا خرجت بينهم فرآهُ المدير المستر بوستوك وشفاهُ من هذا الجنون وكان قد اخرج اسداً افريقياً ودبًّا قطبياً فلم يخطر لهما الاَّ ان يتواثبا ويتصارعا ولو

عقلا لتيسّر لهما الفرار واوقعا الرعب في المدينة كلها فزأر الاسد ووثب على الدب ووقف الدب على رجليهِ والتقاهُ بين ذراعيهِ وضمهُ الى صدرهِ وفغر الاسد فاهُ وقبض على عنق الدب ورفع الدب احدي قدميهِ وضربهُ بمخالبها ليبقر بطنهُ وا بقى الاثنان على الارض وجعلا يتمرَّغان ويجأران ويزأران وقبل ان يتم لاحدهما الغلب على الآخر مدَّت النار لسانها والتهمتهما . وخرج غيرها من الضواري وغير الضواري لكنها وقفت حيرى الى ان وصلت اليها النار والتهمتها

وكان بين الاسود اسد كبير اسمهُ برونس وهو الذي ربتهُ السيدة بينكا وكانت تدخل رأسها في فيهِ فلما وصل اللهب اليهِ وقف على قدميهِ وفغر فاهُ كما يفغرهُ حينما كانت تدخل رأسها فيهِ وجعل يزأر باعلى صوتهِ كانهُ يناديها لتاتي لنجدتهِ ولما رأى ان لا منجد لهُ ولا معين جعل يهرُّ كالكلب واخيرًا ضاقت بهِ الدنيا فوثب على قضبان الحديد التي حول قفصهِ وحاول كسرها فلواها ثم حاول نهشها بانيابهِ والدم يتدفَّق من فيهِ الى ان اندلع لسان النار اليهِ واخمد انفاسهُ

ومنها الاسد المسمَّى ولس وهو الذي افلت مرةً في مدينة نيويورك ودخل اسطبلاً وافترس فرسًا وبقي هناك ايامًا قبل ان تمكن اصحابهُ من القبض عليهِ وقد افترس خمسة رجال من حين وقع في قبضة الانسان ولا يعلم الاَّ الله كم افترس قبل ذلك اما الآن فشوتهُ النار شيًا

وكان بين الاسود لبوة افريقية لها شبلان فحاولت انقاذهما من النار جهدها ولما لم ترَ لها سبيلاً ضمتهما الى صدرها وغطتهما بذراعيها . شفقة الوالدة ولو من الضواري ووُجدت عظامها مع عظامهما رميمًا

ومن الضواري فهد اميركي اسود اسمهُ خرطوش وفهدة هندية مخططة اسمها صافو كان بينهما حاجز سخيف من الخشب فلما اضطرمت النار وثبت صافو على الحاجز ومزقتهُ كانهُ ورق ودخلت عرين خرطوش فظن انها هي سبب النار فالتقاها بانيابهِ ومخالبهِ واشتدَّ بينهما الصراع وعلا زئيرهما حتى سمع فوق زفير النار عن بُعْد شاسع. وبلغتهما النيران وهما متعانقان عناق الموت

وخرجت سبعة اسود من عرّيسها الى الساحة الوسطى وجعلت تثب لعلها تحلّق فوق الحاجز الذي يحيط بها وارتفاعهُ عشرون قدمًا فلا تبلغ اعلاهُ بل تقع في النيران ثم تثب ثانية وهي تزأر زئيرًا يصمُّ الآذان الى ان هلكت كلها

ووصلت النار الى الجاموس الافريقي وهو ضخم الجثة كثير الشحم واللحم فشوتهُ شيًا ووُجد ولسانهُ مندلع من فيهِ كأنهُ راية اليأس

وكسَّرت النار الالواح الزجاج التي على وجه مغاير الافاعي فانهضتها الحرارة وزادت نشاطها فقامت البوآء الافريقية تسعى في دار المشهد سعيًا حثيثًا تطلب النجاة ولا تجدها وتبعها التنين

الهندي وجاءت وراءها ذوات الاجراس والاحناش والاصلال لكن النار ابطلت سعيها وشوتها الواحدة بعد الاخرى فتلوَّت ويبست واشتعلت . وصبرت البواء على النار زماناً طويلاً الى ان عيل صبرها وسلَّمت للاقدار . ويقال ان بعض السوام انتحرت انتحاراً لمَّا لم ترَ لها من النار مناصاً

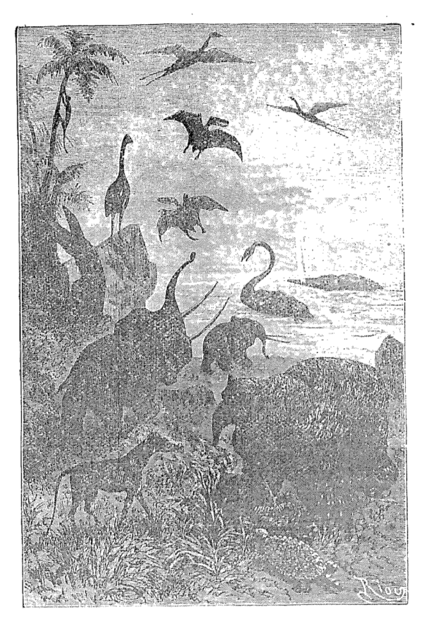
وكان بين الاسود اسد اسمهُ برنس وهو من اكبر الاسود التي وقعت في اسر الانسان . والظاهر انهُ رأى من اول الامر ان لا مناص لهُ فلم يقلق ولا حاول الهرب بل ربض في عرينهِ واضعاً كفيهِ على لبوتهِ كأنهُ يحاول وقايتها واقاما على ذلك الى ان خمدت انفاسها . وكان بينها ثلاثة اسود اخرى عاشت بعضها مع بعض سنين كثيرة على الصفاء فلما دنت النار منها غلب غيظها على عقلها فتواثبت وتصارعت ومزَّق بعضها بعضاً قبل ان اكتنفتها النيران

وكان في قفص ثمانية ادباب قطبية وصلت الى الحظيرة منذ ثلاثة اسابيع فقط من الاصقاع المتجمدة حيث كانت تلعب وتمرح على الجمد فراعتها النار وحرارتها وحاولت تكسير القفص الذي هي فيهِ لكن النار اراحتها من الجهاد حالاً

وقابل بعضهم مدام بينكا مربية الاسد بروتس الذي كانت تدخل رأسها في فيهِ وسألها عما تريد ان تفعل فاجابتهُ والدموع ملء عينيها لا ادري ولا انا افكر في ذلك الآن ولكنني ما عدت ادخل عرين اسد في حياتي ولا عدت ارى اسداً . وقد كان عندي هنا اربعة اسود كبيرة وثلاثة اشبال والاشبال ولدت في هذه البلاد واما الاسود فلم يولد منها في الاسر الا واحد والثلاثة الباقية أُتي بها من جنوبي افريقية وانا التي ذللتها وعلمتها وكان في الحظيرة اسود اخرى من بلاد النوبة ولكنني لم اكن التفت اليها . وقد مضى على الاسود الاربعة سبع سنوات وهي معي واراني كنت متعلقة بكل واحد منها . ولما اردت ادخالها الى اقفاصها بعد المشهد الاخير ابت ان تطيع امري حتى اضطررت ان الجأ الى الشدة ثم لما دخلت ودخلتُ معها جعلتْ تحاول منعي من الخروج بحركاتها وكأنها كانت تتوسل اليَّ بعينيها حتى ابقى معها ودنت مني لبوة كانت شديدة النفار وسمحت لي ان اضع يدي حول عنقها ولم تكن تسمح لي بذلك قبلاً ولا ادري الآن هل شمَّت النار في بداءة اشتعالها فخافت وجعلت تتوسل اليَّ لابقى معها او ادركت ما ستصير اليهِ بقوة في نفسها لا ندري بها . وقد اثر فيَّ ما اظهرتهُ لي من التودد واخبرت زوجي بهِ قبلما عرفنا باشتعال النار . ولم اكد البس ثيابي لاخرج الى السوق حتى سمعنا ان النار شبت في المشهد ولم يكد زوجي ينجو منها

وتمكن رجال المشهد من انقاذ بعض الحيوانات الكبيرة فانقذوا فيلة وحمارين وثوراً و بعض الجمال . وما بقي من الحيوانات ذهب كلهُ فريسة النار

الاحياء القديمة



لعلماء الطبيعة ابحاث دقيقة ومشاحنات كثيرة قصْد تحديد الزمن الذي ظهر فيهِ الحيوان على وجه البسيطة . وهم لا يطمعون ان يحددوهُ بالايام والسنين ولا ان يثبتوا ما تعلَّمناهُ ونحن اطفال من ان الارض وما فيها من حيوان ونبات وُجدت في ستة ايام من ايامنا منذ نحو ستة آلاف سنة . فان تاريخ فراعنة مصر يمتدُّ الى اكثر من ذلك والحجارة التي بنوا بها اهرامهم منذ اكثر من ستة آلاف عام مؤلفة من اصداف وبقايا حيوانات عاشت في الارض وماتت

قبل ان وُجد الانسان فيها بالوف والوف الوف من السنين

ومهما اختلفت اقوال العلماء في عمر الارض وتحديد الزمن الذي وجد فيهِ الحيوان لا تختلف في ان الارض وُجدت وصارت صالحة لسكناهُ منذ الوف والوف الوف من السنين حتى ان اقلّ تقدير يجعل عمرها من حين بردت وصارت صالحة لمعيشتهِ عشرين مليونًا من السنين . وسواءٌ ثبت ذلك على تمادي الايام او كُشفت ادلة جديدة تنفيهِ وثبت ان زمن وجود الحيوان على الارض قريب جدًّا لا يتجاوز عشرين الف سنة او حواليها فالادلَّة عديدة على انهُ كان في الارض حيوانات كثيرة انقرضت منها الآن وصارت اثرًا بعد عين وكان فيها حيوانات اخرى معاصرة للحيوانات التي انقرضت ولم يزل نوعها في الارض حتى الآن

انظر الى الصورة الوهميَّة التي في صدر هذه المقالة فقد جمع فيها المصور حيوانات انقرضت عن وجه البسيطة منذ عهد بعيد جدًّا وحيوانات اخرى انقرضت منذ عهد قريب وحيوانات تكاد تنقرض وحيوانات قد لا تنقرض الاَّ بعد عصور كثيرة . ففي اعلاها طائران في شكل الخفاش من النوع الذي وصفهُ الاستاذ مارش الاميركي سنة ١٨٨٢ من الاحافير القديمة التي وجدت في باڤاريا سنة ١٨٧٣ وقال ان ذنبهُ ينتهي بمِلْوَق عريض كالمجداف . وتحتهما طائران آخران من نوع الزحافات المجنحة وهما كبيرا الرأس والفم والاسنان كانهما من التماسيح . في كل يد من ايديها اصبع طويلة ينتشر بينها وبين ذنب الحيوان غشاءٌ جلدي كغشاء الخفاش ليطير بهِ . وعظام هذه الحيوانات مجوفة مثل عظام الطير ليسهل عليها الطيران

وعلى صخر الى اليسار من هذه الوحوش الطائرة طائر حقيقي كالنعامة لعلهُ من النوع المسنن المنقار الذي وصفهُ الاستاذ مارش ايضًا وقال ان ارتفاعهُ خمس اقدام الى ست . ولا شبهة في ان اجتماع الاسنان والاجنحة في هذه الحيوانات دعت اليهِ شدَّة الزحام كأن الحيوانات كثرت في بلاد ضيقة تحيط بها البحار وتعذَّر على بعضها السعي على الاقدام او الهرب من الاعداء عدوًا او سباحة فلجأَت الى الانتقال في الهواء ولعلها بدأَت تسبح وتثب في الماء كالسمك الطيَّار او تقفز من شجرة الى أُخرى كالسناجيب الطيَّارة فتولَّد لها غشاءٌ بين ايديها وابدانها اتَّسع رويدًا رويدًا بالاستعمال والوراثة وبقاء الاصلح حتى صار كافيًا لحملها في الهواء

وتحت الوحوش الطائرة بحر خضمٌّ يجري فيهِ حوت يقذف الماءَ من خياشيمهِ كما تقذفهُ الحيتان في هذه الايام اي انهُ يفغر فاهُ ويعبُّ الماءَ وما فيهِ من السمك ثم يطبقهُ ويعصر الماءَ فيخرج من ثقوبهِ ويبقى السمك فيهِ . والحوت من الحيوانات القديمة التي لم تنقرض من البحار حتى الآن وقد لا تنقرض منها الاَّ بعد زمن طويل جدًّا . والى جانبهِ الحيوان المعروف

بالبليوساوروس وهو يمتاز بصغر رأسهِ وطول عنقهِ واتساع زعانفهِ التي يستعملها كالمجاذيف في الماءِ وقد عاش هذا الحيوان في البحار القديمة القليلة الغور وانقرض في العصور الجيولوجية

والى يسار الصورة شجرة عالية كالنارجيل وعلى ساقها قرد يصعد عليها وآثار القرود اقدم في الارض من آثار الانسان ولكنها غير شديدة التوغل في القدم فابعد ما وُجدت فيهِ عصر الميوسين والبليوسين ولم تزل القرود كثيرة في الارض ويبعد ان تنقرض منها قريبًا وفوق الافيال حيوان قائم على رجليهِ وعجزهِ ليتناول اغصان الشجرة ولعلهُ من النوع المسمى مغاثاريوم وهو اكبر من الكركدن . وُجد هيكل من هياكلهِ طولهُ ١٨ قدمًا وقصبة ساقهِ اغلظ من قصبة ساق الفيل ثلاثة اضعاف وعظام ذنبهِ غليظة متينة حتى يستند عليهِ اذا اراد النهوض وهو من الحيوانات التي بقيت الى الدور الرباعي ثم انقرضت فيهِ

والافيال امرها معروف والمرسومة ههنا اكثرها من الافيال القديمة الكبيرة التي انقرضت في عصر الانسان ولم تزل آثار بعضها في سيبيريا . والحيوان الذي تحت الشمالي منها من اقدم ذوات الثدي من الحيوانات المنقرضة وهو اصل الكركدن والفرس والجمل والخنزير

هذه بعض طوائف الحيوان التي نشأت في الارض وعاشت فيها ادهارًا كثيرة تسرح وتمرح في برها وبحرها وهوائها ومائها قبل ان وجد الانسان فيها

المشد (الكرسه) ومضارهُ

تتخذ المرأة أجهزة او البسة تستعين بها على الظهور بمظهر جميل يختلف باختلاف العادات والزي والزمان . ومنها شيء تتخذهُ لقدها ليس من انواع الالبسة في شيء انما هو الى الآلات اقرب منهُ الى الكسوة . وهو المشد اي الكرسه المعروف عندنا على ما صار عليهِ اكثر انواعهِ في عهدنا هذا . فهو آلة تعدّل القد بل هو ضرب من الصدار او النطاق ذو شكل معلوم يتخذ لصنعهِ من المواد ما يجمع بين الصلابة والمرونة فيكون منهُ للخصر بل لما توسط من قامة الانسان باسرهِ قالب ذو شكل معلوم تتطاول النساء الى التشكل بهِ لانهُ يهيئ لبعض القدود اشكالاً ليست على شيء من الشبه للقد الذي يكتنفهُ . فالمشدُّ عند الغربيين ومن اخذ اخذهم من الشرقيين في جملة ما يلبسهُ النساء مما لا يقي من برد او يدرأُ لظى الحر وليس مما يتخذ للتستر انما هو على ما سبق القول اقرب الى الآلات منهُ الى الكسوة يُغيّر بهِ ظاهر البدن ويكيف القد اشكالاً وهو عبارة عن قدد تقد من عظم الحوت (البلين) او تصنع من الفولاذ مسطحة

دقيقةً مستطيلةً تجمع على نمط معلوم بين شقتين من الكتان محكمتي النسج شديدتين متينتين وقد قدّر كلٌ منهما وفصل على شكل معين فيجعل قطعة منهُ الى كل من جانبي البدن بين الورك والابط ويصل بين القطعتين من جهة الظهر ببريم او شريط اذا شُدَّ طرفاهُ قرَّب بين القطعتين وتتصل القطعتان مما يلي الصدر بازرار او أَبازيم او ما شاكلها فتبالغ المرأة في شد الشريط او تعتدل فيهِ طبقاً لما تطلب وعلى ما تريد

وللنساء اهواء متباينة في ما يتخذن من المشدات فمنهن من ترضى بالقطن نسيجاً لهُ اذا تيسّر لها ذلك ومنهن من تطلب الكتان ومنهن من تأنف الكتان تأنّقاً او ترفعاً ولا ترضى لهُ سوى الديباج بديلاً او الاطلس او المتموّج من الحرير تزينهُ بانواع الزركشة والزخارف من مخرَّم ومطرَّز أو تؤثر ما كان نسيجهُ مسترخياً كبير الحلق عليهِ وشيٌ اشكالاً بصور النبات او ضروب من العقل او الترقيم او التدبيج او خليط من كل ذلك . وقد يبلغ ببعضهن التأنق ان يتطلبنَ الدبيغ من الماعز بدلاً من النسيج طلباً للرونة واللين

اما اصل المشد (الكرسه) فالمعروف عنهُ انهُ فرنسوي واسمهُ عندهم عبارة عن تصغير اسم الجسم في لغتهم . ولا دليل من النقل يدل على اول العهد بهِ دلالةً ثابتة . ومما يُعرف عنهُ أَنهُ كان لاول امرهِ شقة من النسيج عليها صفائح خشبية يُشد بها الوسط ثم كبروهُ فاشتملوا بهِ الصدر والظهر والوركين وجعلوا لهُ في اعلاهُ سبيبتين من الكتان او غيرهِ من الانسجة يلقونهما على الكتفين فتحملانهِ ولهُ في صدرهِ بريم او شريط يشدهُ . فما لبثوا أن نبذوا صفائح الخشب وهم يغيرون ويبدلون فتدرَّجوا فيها الى القدد يقدّونها من عظم الحوت ثم اتخذوها من الفولاذ . ثم نقلوا الشريط في القرن السابع عشر للميلاد من صدر المشد الى ظهرهِ . واتخذوا لهُ في ذلك العهد ايضاً قدداً صلبةً من الفولاذ او غيرهِ يجعلون منها اثنتين الى ما يلي صدر البدن طلباً للصلابة والقوة فيهِ ثم تبين لهم ان القدد الصلبة مما يتعذر على النساء احتمالهُ والثبات تحت ضغطهِ ورأوا ايضاً ان ما على الاكتاف من سبائبهِ جعلهُ عليها وقراً يهدُّ قواها . فاضطروا الى اتخاذ القدد الصلبة صغيرة ما امكن وضربوا عن سبائب الاكتاف صفحاً الى ان كان لهم مثل ما نراهُ الآن من انواع المشد

هذا ولم يغفل المنتقدون امر المشد وما يترتب من الاخطار العظيمة على الافراط في الاعتماد عليهِ وفي شد الوسط بهِ . وممن شدَّد النكير عليهن في هذا المعنى من الفلاسفة وذوي الآراء الثقات مونتاني وجان جاك روسو وكروفيلي وبوتيه وغيرهم. والحق يقال ان مضار المشد والافراط في شد الوسط بهِ خصوصاً مما يقضي علينا بتدبر امرهِ والاعتدال في الشد المذكور

ايّ اعتدال . فمن ذلك ما يترتب عليهِ من الضرر البليغ لذوي بعض العلل ولمن كان لهُ في مزاجهِ وبنيتهِ ما يسهل سبيلها اليهِ من مثل التدرُّن الرئوي وتمدُّد القلب وما شاكلها . ثم ان من النساء نساء يبالغن في شد خصورهنَّ بشدنا الحديث بل يشددن ما تحت الخصر مع الاضلاع والصدر والظهر فيؤثر ضغطهُ في اسفل الصدر ويجهد اعضاء التنفس التي تعرف بالجهاز التنفسي بما يصيبها من الزيادة والسرعة في عملها . ثم ان ضغطهُ على المعدة يقف في سبيل حركتها التي تمتد بها الى الجهة الوحشية من البدن (اي الى الامام) وهي حركة يتطلبها انتظام الهضم ضرورة . فاذا امتنعت على المعدة كان امتناعها عثرةً في سبيل الهضم

ولقد شاهدنا في وليمة غادة من صحيحات الجسم لها من السمانة نصيب وافر وقد دفعتها السمانة الى التصلب في شدّ وسطها طلبًا للتخصُّر ففازت ببعض ما تريد وجمعت علاوة على ما تريد معظم سمانتها الى ما يلي العنق والكتفين والوركين . فلم تلبث ان ضاق صدرها واضطربت بجملتها تطلب القيام منتصبة وقد اعياها الجلوس لوقوف المشد في سبيل معدتها فاوقف بعض حركاتها فاذا وقفت أُتيح لها ان ترفع بعض الضغط عن معدتها او ان تخفضهُ فتحرك حركة تزيل عنها ما استحوذ عليها من الضنك او بعضهُ . ولكل ذلك آثار من الضرر في الاعضاء البدنية تعدُّ السلامة من عواقبها غنيمة

اما فعلهُ في الكبد فهو انهُ يشوهها تشويهًا لا يرجى لها منهُ شفاء . فهو يقف في سبيل عملها ويمنعها من القيام بما فرض عليها من واجب الخدمة للبدن وتهبط بجملتها عن موقعها الطبيعي الى موقع تحتهُ مما يشغلهُ غيرها من الاعضاء فتدفعها ايضًا ويضغط بعضها البعض الآخر وتهبط الامعاء برمتها فتضغط على ما في الحوض من الاعضاء واخصها الرحم فلا تلبث مع استمرار الضغط عليها ان تنحرف الى غير مركزها او تهبط وكل ذلك مما يترتب عليهِ من العلل في الحمل والولادة ما تتعذَّر ملافاتهُ احيانًا . ومثل ذلك ما ينشأ عن الضغط على المبيضين وعواقبهُ وخيمة طالما بدت وقت الطمث

ثم ان من النساء من تألف لبس المشد والمبالغة في شد وسطها بهِ فتستزيد من الشد اضطرارًا كل يوم ولو اصابها من انحراف المزاج ما يتواتر عليها انواعًا من مثل آلام المعدة والآلام في اعصاب البطن في ما بين الصدر والحوض واسترخت اعضاؤها وقواها . ولا يلبث ان يكون من عواقب شدها وضغطهِ ومثابرتها على الاستزادة منهُ سبب سابق يعقبهُ ما سبقت الاشارة اليهِ من العلل والآفات وتشويهِ الاعضاء وتقصيرها عن القيام بوظائفها قيامًا يضمن صحة البدن ويصونها

والآن نقف عند الاثدي وقفة المتبصر الحكيم نتأملها وننظر في آثار المشد فيها ونفكر في ما يصيبها من آفاته وما يعرّضها لهُ من الاخطار فمن المقرر ان سطح الثديين الظاهر (تحت طبقات المشد والكسوة على كل حال) اذا ضغط واذا رُفعا بل دُفعا قسرًا الى ما فوقها استرخيا وتهدَّلا على مثل ما يحل بهما اذا تدليا مطاوعة لثقلها ولم يكن لها ما يسندها . ثم ان الجذب والضغط اذا وقعا بالثدي هزل وانحل فاضمحل او كاد يضمحل لذلك كان المشد آفة على الاثدي ثم اذا اجتمعت اليهِ بعض الاسباب مما لا محل لايرادهِ هنا قصرت المرأة عن الارضاع اذا اضطرت اليهِ او رغبت فيهِ وطالما قصرت النساء من ذوات اليسر او الثروة الطائلة عن ارضاع فلذات اكبادهن للسبب المذكور

واختم بحثي هذا الوجيز بايراد ما ثبت او كاد يثبتهُ الاختبار من النصح الواجب لمن يشد اهم اجزاء البدن فاقول . يحسن بالفتاة ان تمتنع عن شد وسطها الى ان تتجاوز سن البلوغ واذا رغبت في المشد تسند بهِ بعض اعضائها فليكن حجمهُ صغيرًا ما امكن فتختار منهُ ما كان عبارة من نطاق او حزام عريض لا ما كان كالدرع من الحديد وافضلهُ ما حاكى في اشكالهِ وتركيبهِ النطاقات او الاحزمة التي اتخذها نساء اليونان ايام باركليس فهي لا تستمرُّ على ضغط الاعضاء البدنية

واعود فاقول ان صحة الابدان ووقايتها وحفظها تقتضي الاقتصار من المشدات على ما كان ليِّنًا مرنًا يناسب اعضاء البدن وتقطيعها كل المناسبة من حيث الشكل والحجم ولا يتجاوز الحد ارتفاعًا ولا يصيب مما اسفل الخصر الا الجزء اليسير ويشدُّ شدًّا غاية في الاعتدال فيكون منهُ للفتاة ما تعدّل بهِ قدّها تعديلاً اذا حسبت ان لا بدَّ لها منهُ وما تتخصر بهِ بعض التخصر متى بلغت سن الرشد او البلوغ ويكون منهُ لمن استحوذت السمانة عليها منهنَّ ما يقيها بعض ما تطلب من سند بعض اعضائها واشتمالها به ولا يشوّهها او يوآذيها الدكتور

توفيق صوصه

ضرر الفلانليت

الفلانلت نسيج قطني يشبه الفلانلاَّ في قلة اندماجهِ تخاط منهُ قمصان النوم للصغار لانهُ لين يدفئ البدن . لكنهُ سريع الاشتعال اذا اخذت فيهِ النار اشتعل كلهُ سريعًا بلهب ازرق كانهُ السبيرتو حتى يتعذَّر اطفاؤُهُ . وقد تكرَّرت حوادث الاطفال الذين اشتعلت قمصانهم على هذه الصورة فاوردتهم حتفهم . فيجب ان يتقي الذين يلبسون الفلانلت النار ولو كانوا بعيدين عنها لانها اذا اخذت في ثيابهم لم يقهم منها واقٍ

الرياضة للرجال والنساء

وهي خطبة خطبتها حضرة الفاضلة الدكتورة انيسة صيبعة في النادي الشرقي في ٨ مارس

سيداتي الفاضلات وسادتي الكرام

لا شك ان الخطابة والكلام ارتجالاً من المواهب الخصوصية التي تحلى بها البعض فقط وساعدتهم الاحوال على اظهارها في الجمعيات العلمية والمنتديات الادبية والمحافل السياسية . ولذلك لا ينتظر من كل من رقي منبرًا ان يأتي بآيات بينات ولا ان يصفق لهُ السامعون استحسانًا . ومعرفتي هذه هي التي جعلتني في احتفال سابق لهذا النادي ان لا اجيب طلب سعادة رئيسهِ وبعض اعضائهِ الكرام حين طلبوا مني الكلام في هذا الموقف الخطير . على ان اللسان لابد وان ينشط من عقالهِ عند ذكر الامور التي تستحق المديح والثناء الجميل . فالارض التي وهبها سعادة سكاكيني باشا لتعد للالعاب الرياضية وحاجتنا الكبرى الى ترويض اجسامنا جعلتاني انسى اهمالي للغتي العربية مدة سنوات متوالية في البلاد الاوربية وان اقدم على التشرف بالمثول امامكم الآن معتمدةً على كرم اخلاقكم فاقول

ان الرياضة الجسدية المعتدلة هي التي تحسن الدورة الدموية المتوقف عليها غذاء انسجة الجسم الانساني والمرء مدفوع بحكم الطبيعة اليها لانهُ مأمور بالسعي وراء الكسب والارتزاق كما هو مشاهد في اهل البداوة الذين يطوون النجاد والوهاد وراء مواشيهم ولكن لما امتدت الحضارة ايسر بعض الناس وتسهلت لهم وسائط الترف والرفاهية فقللوا من الرياضة بالانتقال من مكان الى مكان واستبدلوها مع الزمن بالعاب شتى كما يشهد تاريخ اليونان والرومان وغيرهم من الامم المتقدمة وجعلوا للذي يمتاز عن غيرهِ جوائز ثمينة واكاليل ظفر يكللون بها هامة المنتصر

ولست بمطيلة الشرح في هذا الموضوع اذ هو تحصيل حاصل فلنأتِ الى حالتنا الحاضرة وفيها ما يغنينا الآن عن الالتفات الى الماضي والتشوف الى معرفة المستقبل

فالرياضة يجب ان تكون في المحلات الفسيحة الارجاء الواسعة المجال حيث الهواء نقي جاف ليحصل المرء على الفائدة المطلوبة اذ اول تأثير للرياضة تحريك الدم في الخلايا فيحمل ما يجد فيها من الفضلات الى الجانب الايمن من القلب حيث توصلهُ الشرايين الرئوية الى الرئتين فيطهر بفعل الاكسجين الذي تستنشقهُ مع الهواء ويرجع الى الجانب الايسر من القلب نقيًا

خاليًا من الشوائب صالحًا لان تحمله الشرايين الى سائر اعضاء الجسم وانسجتهِ ليقوم بغذائها

وقلة الحركة تأتي بضد ما ذكر اذ يبقى الدم الفاسد في محلهِ فتتغذى الانسجة من هذا الغذاء غير الملائم وتضعف من يوم الى آخر ويصح ان يقال في الدم ما قيل في الماء "وبمكث الماء يبقى آسنًا". وهذا هو السبب في ما نشاهده من الفرق العظيم بين سكان الجبال والبراري واهل المدن اجمالاً . فالاولون تبدو على محياهم دلائل الصحة والعافية وكل حركة يأتونها يرى من خلالها القوة والنشاط بيد ان الآخرين لقعدهم اشغالهم التجارية او الكتابية او غيرها عن الحركة وتبدو عليهم علامات الكبر قبل اولئك . ولقد ادرك اهل الحضارة هذا الامر فصاروا يتسابقون الى الالعاب الرياضية ويباهون بها حتى الاغنياء . ومن درس عيشة الانكليز وعوائدهم عرف ان سرَّ تقدمهم ومقدرتهم على القيام باعظم الاعمال اساسهُ ما يشبُّون عليهِ من العيشة الخشنة فلا تكاد تشرق شمس في بلادهم حتى تروهم يصعدون الجبال ويهبطون الى الاودية ويزحفون على الثلج ويكثرون من الرياضة حتى التي تلقي حياتهم في الخطر احيانًا . وهذه التربية هي التي تدفع البعض من اغنيائهم حين يملكون قياد انفسهم ان يهجروا الاهل والاوطان ويقصدوا اواسط افريقية او الهند لصيد الوحوش الضارية كالاسد والضبع والفيل وما شاكل ذلك

مهلاً سيداتي وسادتي لا تقولوا انني تطرفت بذكر انواع الرياضة فما ذكرتهُ عن الانكليز ضروري لكل فرد منهم لحفظ كيانهم كأُمة عظيمة اما نحن فلا حاجة بنا كافراد الآن الاَّ الى الرياضة المعتدلة اللازمة لحفظ قوانا وتجديدها وتحسين صحتنا وهي موضوع الكلام

وهذه الرياضة يجب ان يبتدئ الطفل بها وهو رضيع وذلك ان تلاحظ الوالدة سهولة حركاتهِ وتعريضهُ للشمس والهواء وتغيير هواء الغرفة التي ينام فيها كلما اقتضت الحاجة وان لا يضغط عضو من اعضائهِ مطلقًا بل يترك ينمو نموهُ الطبيعي ومتى بلغ سن الصبا وأُرسل الى المدارس يجب على معلميهِ ان يحببوا اليهِ الرياضة ويجبروهُ عليها باحسن الوسائط ويطرحوا عنهم الوهم القديم بالافتخار بالاولاد الذين لا يهتمون الاَّ بكتبهم وواجباتهم المدرسية لان هذه الامور لا تثمر في الولد حين يشب الاَّ الخمول ومعها يكون عقل المرء محدودًا مهما كان مجتهدًا وجسمهُ نحيلاً مهما كانت بنيتهُ الاصلية قوية . ولا اظن اني أُخطئ اذا قلت ان الحركة في الولد دليل على قوى حيوية زائدة يصرفها في الالعاب الرياضية فتعينهُ على تجديد قواه العقلية . وبالطبع ان من شبَّ على خلق شاب عليهِ فحين يخرج التلامذة من مدارسهم ويذهب كل في جهة لعمل الاعمال المختلفة فالذين اعتادوا منهم الرياضة يحافظون عليها

والشغل من حيث هو رياضة. فالنجار والحداد مثلاً تظهر نتيجة صنعتهما على ايديهما القوية الكبيرة والفلاح الذي يضرب بالفاس تظهر النتيجة عليهِ بغلظ عضلات ساعديهِ والعسكري الذي يعتاد الوقوف مستقيماً باتساع صدرهِ واما الكاتب فاذا اقتصر على صناعتهِ مستخدماً كان او تاجراً او سياسيًّا او عالمًا فقد كتبت علامات الضعف على وجههِ وعضلاتهِ اجمالاً . ولذلك كان من الواجب ان لا يكتفي احد بنوع واحد من الرياضة التي تعود بالنفع على عضو خاص من اعضاء الجسم بل ان يستعمل انواعها المختلفة ليشرك بنفعها الصدر واليدين والرجلين وبقية الاعضاء . ولقد احسنت اغلب المدارس فعلاً وخصوصاً في اوربا باختيارها الطرق المؤدية الى هذه الغاية . ولو اردت تعداد الالعاب المختلفة المصطلح عليها لضاق بي المقام ولذلك ارجع الى الارض التي وهبها سعادة الرئيس فهل يسهل ايجاد وسائط عديدة تقوم بالغاية المقصودة فيمكن ان يعد بها محل للعب "اللون تنس" وآخر "للكروكاه" وآخر للاخشاب المتوازية المقوية للسواعد والموسعة للصدر وغير ذلك من الالعاب التي يصادق عليها حضرات الاعضاء الكرام والتي اجمع الناس على حسن نتائجها الصحية

وهنا اقول انهُ لا يبرح من الذهن ان حاجة الاجسام الى الرياضة تختلف درجتها باختلاف قوة اصحابها فالشاب القوي البنية مثلاً لا يقدر ان يجاريهُ الضعيف ولا الفتاة التي ربيت على الرفاهة وقلة الحركة . على انني استدرك فاقول ان الاجتماع في محل عمومي لهذه الغاية اذا كان مقروناً بالارادة والعزم على العمل فلا بدَّ وان يدعو الجميع من نساء ورجال واولاد الى الاشتراك بهذه الالعاب والانتفاع منها جسديًّا عدا عن كون الاجتماع نفسهِ ينتج فوائد ادبية كثيرة اكتفي بالتلميح اليها

قلت ما قلت واخشى ان تظنوا انني موجهة الكلام الى السادة فقط دون السيدات مع اني اعتقد ان الرياضة ألزم مبدئيًّا لهنَّ مما هي للرجال . فرغماً عن زمن مضى وكان بعضهنَّ يعتقد فيهِ انهنَّ ارفع من ان يأتينَ بحركة او عمل ما نرى كثيرات قد تركنَ هذه الاوهام وقمنَ يجارينَ الرجال في ميدان الاعمال ويعملنَ ما في وسعهنَّ لتقوية اجسامهنَّ مدركات ان عليهنَّ تتوقف سعادة الاطفال في الحياة من حيث الصحة وعالمات "ان العقل السليم في الجسم السليم" فلم يعدنَ يكتفين بملازمة البيوت وركوب العربات والافلال من الحركة بل شاركنَ الرجال في اكثر انواع الرياضة ونعم ما فعلنَ

وعلى ذكر الرياضة اذكر ان الثياب اللازمة لها يجب ان تكون واسعة لتسهل معها الحركة وبالتالي التنفس الذي عليهِ يتوقف الانتفاع من الرياضة وليدور الدم الدورة الطبيعية من غير ان

يلقى ضاغطاً او عثرة في سبيلهِ . ومن زار معرض باريس في السنة الفائتة او احد المتاحف الشهيرة وعاين التماثيل القديمة كتمثال الزهرة الهة الجمال او ديانا الهة الصيد او غيرهما ورأى تناسب اعضائها علم بداهةً ان ذلك لا يتأتى الاَّ عن اعتياد المعيشة القانونية الصحية واعطاء الجسم الحرية الرياضية الكافية

وقبل الختام ألتمس عذراً من حضرات السادة الافاضل واطلب منهم ان يعيروني اذناً صاغية فيذكروا وهم يهتمون باصلاح هذه الارض واعدادها ان فريقاً كبيراً يسمونهُ هم الجنس اللطيف في حاجة الى هذه الارض مثلهم فلا يدعهم نشاطهم يتصرفون في هذه المسألة بما هو مشهور عن الجنس النشيط من حب الاثرة والاستقلال وان لم يرشقوني بالسنة حداد قلت ما اشتهر عنهم من حب الذات !! حبذا لو سبقت وقلت هذه الكلمة بغير هذه اللغة لانني كثيراً ما رأيت لفظة egoism ; egotism ترد عند الافرنج مرادفة للجنس النشيط او تابعة لهُ او متبوعة بهِ !! والامل ان لا يحولوا نشاطهم الى لومي وتعنيفي على ذلك فاني لست الاَّ بناقلة لما اشاهدهُ واسمعهُ وناقل الكفر ليس بكافر !!

وقبل الختام ايضاً اطلب من حضرات السيدات ان يوجهنَّ انظارهنَّ معي الى هذا الامر الجلل فنحن ولا شك متفقون على ان نساء غيرنا من الامم المتمدنة قد سبقتنا بمراحل في امر الاهتمام بالرياضة الجسدية والاعتناء بالصحة فكنَّ اهلاً للقيام باحمال هذه الحياة ومشاقها وترحمَّ اولادهنَّ عليهنَّ لما اورثنهم من الصحة والقوة اذ الصحة اعظم ثروة للرجل وأعظم جمال للمرأة كما يتبين لمن يتأمل في الامر قليلاً . ولا بدَّ لمن يقدم من بلادٍ اعتادت نساؤُها الحركة والعمل ان يعجب من عيشتنا الخاملة وتأثيرها في الصحة والهيئة اجمالاً ولا اظنكم تحسبونني ابالغ اذا قلت ان المرأة الغربية تناهز الخمسين من عمرها ولوائح الصبا بادية عليها وهي تعدنفسها قادرة على القيام باي عمل اعتادت عملهُ في العشرين من عمرها . فاين حالها من حال التي لا تدرك الثلاثين منا حتى تبدأ تذكر الضعف والعجز وعدم المقدرة على المشي ونحو ذلك . هذا اذا كانت قد سلمت من بعض الامراض العصبية حقيقة كانت او وهمية

اذا ذكرتُ لحضراتكم ما شاهدتهُ من عيشة المرأة الانكليزية فربما ظننتم انني ابسط لكم عيشة النساء الطبيبات فتقولون ان كل امرأة لم توجد لتكون طبيبة حتى تعيش هذه العيشة . اقول دعونا من الطبيبات فلنتركهنَّ وشأنهنَّ . ولننظر الى حالة امرأة من الطبقة الوسطى التي هي قوام الامة الانكليزية . فهذه المرأة تركب الخيل والدراجات والقطارات والترامواي وتمشي على قدميها في يوم واحد وهي مع ذلك تهتم بامور بيتها وتلاحظ ترتيبهُ في الامور الكلية والجزئية

فلا تفوتها ملاحظة زوجها واولادها وخدمها ثم انها تكون عضواً في كثير من الجمعيات العلمية والادبية والخيرية وتضطر ان تخص جانباً مهماً من وقتها وقوتها بتلك الجمعيات وتجدها مع ذلك كلهِ قوية البنية طلقة المحيا سعيدة في حياتها ومركزاً تنبعث منهُ السعادة الى الذين حولها . وارى الأولى بي ان اصور لحضراتكم المرأة الانكليزية بقصة تخطر على بالي الآن وبها اختم الكلام

دعتني احدى السيدات لاقضي عندها اسبوعاً من الزمن في قرية تعد من اجمل القرى في اسكتدلندا وذلك بعد ان اجتزت امتحاني الطبي الثاني وهو يعد من اصعب الامتحانات حتى جرت العادة ان اهالي التلامذة والتلميذات الذين يقدمون عليهِ واصدقاءهم يتذكرونهم خصوصاً حينئذٍ ويهيئون الوسائط لبسطهم وانشراحهم بعد اجتيازهم ذلك الامتحان . وكانت هذه السيدة قد تعرفت ببعض اعضاء عائلتنا في الاسكندرية فاحبت ان تهتم بامري حتى لا اشعر بالوحدة ووحشة الغربة في تلك الفرصة . فلبيت دعوتها مسرورة وكنت لم اشاهدها قبل ذلك فصرت اتصورها والقطار سائر بي وافكر في امرها وفي ما عسى ان تكون عليهِ فلما وصلت الى بيتها رأيت حديقة غناء حاوية الازهار على انواعها ولما اجلت نظري فيها عجبت من ترتيبها وتنسيقها ودهشت من لطافة الذوق في ترتيب الوان الازهار فيها وقلت هذا فعل سيدة في مقتبل العمر اذ لا بدَّ لها من ملاحظة هذه الجنينة ولو سلمتها الى عدة من الجنائنية ولكن خاب ظني واضمحلت تصوراتي لما رأيت صاحبة البيت آتية لاستقبالي وهي لابسة البذلة التي تلبسها مدة العمل في الجنينة وهي لم تكلفها غير جنيه واحد على ما اخبرتني بعدئذٍ وعلى رأسها قبعة من الجوخ كالتي يلبسها الاولاد وبيدها مقص لو كان بيدي الآن لعافت السيدات منظرهُ لكبرهِ وغلاظتهِ

هذه السيدة تتجاوز الخمس والستين من العمر وهي تعمل في جنينتها نحو ثلاث ساعات او اربع يومياً وليس عندها من يعتني بجنينتها غيرها مع انها من ذوي الوجاهة والثروة . وهي عائشة وحدها لان اشغال اولادها ووظائفهم قضت عليهم بسكن مصر والهند

وقد ادهشني ما جمعتهُ هذه السيدة في بيتها من نفائس المصنوعات الشرقية من بسط وسجادات وطنافس وتطريز قديم وحديث مما يتعذر وقوع النظر على مثلهِ في احدى المدن الشرقية ولو قضيت الاشهر في التفتيش عنهُ . ولكل قطعة منها تاريخ عندها وقد اصلحتها ورفأتها ورقعتها فحفظت بذلك رونقها وجمالها

فهذه قصتي وهذه افكاري ابنتها لحضراتكم موجزة قدر الامكان فان لم يكن كلامي قد اورثكم الملل فحسبي ذلك منةً وكفى



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة .

التوفيق بين اصحاب الاديان

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اني اشكر فضلكم على ما تكرمتم بهِ في مقتطفكم الاغر (الجزء الثالث من هذه السنة) من مدحكم مشروع التوفيق بين اصحاب الاديان واستحسانكم الغاية ولكن ختمتم الكلام بقولكم انكم لا ترون التوفيق سهلاً ولا ترون السبيل الذي طرقتهُ مؤدياً اليهِ . فاسمحوا لي بايراد عبارة وجيزة للايضاح

اولاً . ان كل سعيي انما كان في اظهار الوفاق الكائن فعلاً بين الانجيل والقرآن كما يوجد بين التوراة والانجيل انما سوء التفاهم في بعض آيات قلائل جدًّا واحدة في القرآن وتسع في الانجيل اوهم وجود تضاد بينهما وشقاق علا صياحهُ كل هذه القرون في كل الآفاق

فلو فُهِمَت هذه الآيات العشر بحسب القرائن وروح الاسفار المأخوذة منها وعموم الكتب المنزلة لزال كل خلاف جوهري كما زال لديَّ في برهة وجيزة جدًّا بلا مرشد اصلاً سوى طلب الحق باخلاص . ولا اظن ذلك صعباً على احد يطلب الحق باخلاص تام لا سيما بعد ما بيَّنتُ صريحاً في ما نشرتهُ حتى الآن كل وجوه الوفاق بين الانجيل والقرآن الشريفين . ثم انهُ لا يصحُّ الاعتماد على مجرد التباس وهمي في بعض آيات ولو ضادَّ النص الصريح في اكثر من الفي آية في العهد الجديد فضلاً عن آي كل اسفار العهد القديم وصريح نصوص القرآن العزيز

ثانياً . لو خصصتم حضرتكم وسائر اصحاب المجلات الاخرى جزءا صغيراً منها لهذا الموضوع لنوَّرتم كل انسان في علاقاتهِ مع اهل السماء والارض ومع نفسهِ واهلهِ ودللتموهُ على

سعادة الدارين . لانكم بلا مساعدة نور الدين ربما تعالجون داء فيجدُّ ادواء غيره اضرُّ منهُ

ثالثًا . ألا تستحسنون وجوب أبانة السبل المؤدية للتقارب بين الناس في جوهر الدين وعرفان الصواب فيهِ بما ان الدين هو اشد رباط في الدنيا واثبت وافضل واعم في كل العلاقات الانسانية

رابعًا . ان الكلام في الدين ليس من خصائص رؤساء الدين او خدامهِ وحدهم بل هو من واجبات كل عالم او متنور في الدين . وقد استحسنتم آراء حضرة الفاضل امين افندي ريحاني مع ان ابانة حقائق الدين واظهار اصحها اسهل واقرب تناولاً من التساهل الديني المطلوب واقل ضررًا واحسن عاقبةً وارضى لله وللقلوب لاننا اذا لم نكترث للتضاد الديني والادبي فقد نخلو اخيرًا من كل اعتقاد بوحي او آخرة او حياة ابدية ونبعد عن الآداب الحقيقية . نعم المعاملة بالحسنى هي من اوامر كل دين ولكن الضلال والكفر والتضاد في الدين مكروهة في كل دين فكيف يمكن التوافق والتساعد القلبي . فإما يلزم ترك الدين بالمرَّة او يلزم عرفان الصواب فيهِ وهذا صار سهلاً الآن ويمكن اظهارهُ ونشرهُ للعموم نظرًا لاتساع المعارف وكثرة وسائط النشر ورغبة الجمهور في المعرفة الارشمندريت

خريسطفورس جباره

[المقتطف] يريد حضرة الكاتب منا ان نخصص جانبًا من المقتطف للتوفيق بين الناس دينًا اي لاقناعهم بان اديانهم متفقة ولو اختلفوا هم في فهم كتبها . وهذا نفعلهُ نحن دائمًا على اسلوب غير الاسلوب الذي ينتدبنا اليهِ وهو نشر المعارف التي تنير العقل فان العقول اذا استنارت لا تعود تختلف في ما لا اختلاف فيهِ كما أنها لا تختلف مثلاً في ان النار تحرق الخشب والكينا تشفي من البرداء ومربع الوتر من مثلث قائم الزاوية يعدل مربعي ساقيهِ ولله در المعري حيث قال

جاءت احاديثُ ان صحَّت فان لها . شأنًا والاَّ ففيها ضعف اسنادِ

فشاورِ العقل واترك غيرهُ هدرًا فالعقل خير مشيرٍ ضمهُ النادي

واذا استنارت العقول لم يتعذَّر عليها اكتشاف الاتفاق بين القضايا التي تنظر فيها ولو لم يكن الاتفاق واضح الظهور ولهذا قلما نرى اختلافًا في امر جوهري بين علماء الرياضيات والطبيعيات وان وجد فيكون في التعليل والتفسير لا في الاصول والقواعد المقررة . هذا من حيث ما يمكن للبشر ان يتفقوا او يختلفوا فيهِ من تلقاء انفسهم وبحسب ارشاد عقولهم . ويقول اهل الاديان ان هناك امورًا اخرى لا تقاس بقياس العقل والعلم ولا ترسخ في النفس

بالحجة والدليل لا " باقوال حكمة بشرية " بل بفعل روحي يشهد للارواح . فهذه الامور لا يحققها البحث العلمي ولا يزيدها النشر في المجلات انتشاراً

ترقية المرأة

سيدي منشئ المقتطف الزاهر

صدر كتاب المرأة الجديدة بعد تحرير المرأة فنجمت عنهُ حركة في الافكار واختلاف في الآراء . ولما كان المقتطف الأنور هو المجلة الاجتماعية في الشرق فهو احق بالبحث في هذه المسألة التي ترتبط بالهيئة العمرانية في الشرق عموماً

لعمر الحق ان المرأة المصرية ليست في رق الاَّ رق الجهل . وتأخر العائلات المصرية على الغالب والتقصير في تربية الناشئة ناتج في الكثير من جهل النساء فالواجب على الذين يفتكرون الآن في تحرير المرأة ان يبحثوا في طرق تعليمها وبث المبادئ القويمة فيها . فالعلم هو النور الذي يمشي وراءهُ الانسان في هذه الحياة

ولنترك الحجاب وشأنهُ لانهُ من الامور الدينية او من الامور المتأصلة في النفوس لا يرفعهُ مجرد البحث واقامة البراهين العقلية او النقلية فالناس مقتنعون بضرورتهِ ولزومهِ وحكمهُ صريح في الكتاب فلا داعي ولا نفع في الاجتهاد في رفعهِ بعد ثلاثة عشر قرناً

فان كان غرض من امضوا السنين الطوال في جمع الادلة والبراهين على رفع الحجاب هو تحرير المرأة فليحرروها من رق الجهل رق حياة النفس والروح في الظلمات وليجتهدوا في انشاء جمعية عمومية في القاهرة (تنتشر فروعها في ما بعد في جميع الاقاليم) غرضها تعليم المرأة فان تأسست الجمعية وثبتت ولا اخالها الاَّ ثابتة وطيدة باذن الله بعد هذه الحركة ومدَّت لها يد المساعدة وانشأت مدارس لتعليم البنات حقيقة تعليماً نافعاً بحسب احتياجات العائلات المصرية نشأت امرأة جديدة في مصر وراء حجاب العفة والنزاهة وصفات الكمال تعرف ما لها وما عليها وتؤَدي وظيفتها كما ينبغي ان تؤَدى فترتاح العائلات ولا تنسى ما بعد ذلك من الهناء في المعيشة وتربية الناشئة والصرف في ما ينبغي لا تبذير ولا تقتير

هذه هي سعادة المرأة او سعادة الرجل والمرأة معاً

فمن يسعى في ذلك سعياً حقيقياً بغيرة وهمة ثابتة حق لهُ اعظم الشكر في مستقبل الايام وعظيم الفخر الآن في ترقية الهيئة الاجتماعية المصرية وان عاش ورأى ما يثمرهُ تعميم تعليم البنات فعندها لا يشير الاَّ بتعميم الجمعيات لتعليم الناشئات وهذا منتهى الخير في هذه الحياة الدنيا والآخرة والسلام

المنصوره في ١٧ فبراير سنة ١٩٠١ رمضان احمد

علموا البنات ما يحتجنَ اليهِ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لا اكتب هذه السطور قصد الردّ على ما كتبهُ حضرة الاديب سليمان افندي ميخائيل في الجزء السابق من المقتطف بل ايضاحاً لامرٍ تمسُّ الحاجة اليهِ شديد المساس وهو ماذا يجب ان نعلّم بناتنا في المدارس . فان الذين انشأوا المدارس للصبيان ساروا فيها على غير هدًى سنين كثيرة ثم عادوا الآن الى الاختيار والانتقاء فكان الاوربيون يبقون الشاب عشر سنوات يدرس اللاتينية واليونانية وهم يعلمون انهُ سيكون تاجراً او مهندساً لا يحتاج الى شيء مما قضى زهرة العمر في تعلمهِ . واهالي هذا القطر والقطر السوري كانوا يقضون السنوات الطوال في درس الصرف والنحو والبيان متوناً وشروحاً وحواشي ويحسبون ذلك العلم كلهُ. ولا يزال كثيرون من الاوربيين يقضون السنين في درس الجبر والهندسة والرياضيات العليا وهم يستعدون لدرس الطب مثلاً حيث لا يحتاجون الى غير قواعد الحساب الاربع الاصلية

واذا اردنا ان نعلم بناتنا ما يحتجنَ اليهِ فقط وجب اولاً ان نقسم البنات الى اقسام حسب درجتهنَّ في الحياة لان ما تحتاج اليهِ ابنة الوزير لا تحتاج اليهِ ابنة الفلاح وما تحتاج اليهِ ابنة الفلاح لا تحتاج اليهِ ابنة التاجر وهلمَّ جرًّا

ومن العلوم ما يحتاج اليهِ كل احد فقيراً كان او غنيًّا رجلاً كان او امرأةً كالقراءة والكتابة ومبادئ الحساب والجغرافية وعلم الصحة وعلم وظائف الاعضاء وقوانين المعاملات العمومية فيجب ان يتعلمهُ الجميع على حدٍّ سوى . ومنها ما تحتاج اليهِ البنات اللواتي يرغبنَ في التعليم كقواعد اللغة وعلم التعليم. ومنها ما تحتاج اليهِ بنات الاغنياء كالموسيقى والرسم والتصوير والتاريخ . ولا بدَّ لكل البنات من ان يتعلمنَ علم تدبير المنزل من غير استثناء

بقي علم الطبخ . والبنات من حيث هذا العلم على ثلاثة اقسام كبيرة بنات الاغنياء اللواتي لا يطبخن بايديهنَّ ولا مانع يمنعهنَّ من تعلم علم الطبخ بل من وتعلمهِ فائدة لهنَّ ولكن ازواجهنَّ لا يريدون ان يروهنَّ في المطابخ بل يفضل الرجل منهم ان يرى زوجتهُ تلعب على البيانو او تصور صورةً جميلةً ولو دفع اجرة طبَّاخين او ثلاثة فيصير تعلمها لعلم الطبخ من باب العبث ان لم تمارسهُ

وبنات الاواسط اللواتي لا ينتظر ان يصرن طبَّاخات عند غيرهنَّ وهؤلاء لا حاجة بهنَّ الى اتقان صناعة الطبخ كما يتقنها طبَّاخو الفنادق والقصور لان غاية ما ينتظر منهنَّ ان يطبخنَ

ما يحتجنَ اليهِ من الطعام في بيوتهنَّ او يساعدن الطباخات اللواتي يستأجرنهن وذلك كلهُ بسيط تتعلمهُ البنت من امها ويتعلمهُ الخادم البربري في شهرين من الزمان اذا كان نبيهًا . واذا وُجد في البلاد مدارس للطبخ فلا بأس بذهاب هؤلاء البنات اليها والقيام فيها شهرًا او شهرين لمشاهدة اساليب الطبخ التي تستعمل فيها والتمرُّن عليها بالعمل

وبنات الفقراء وهؤلاء إما ان يتعلمنَ ليصرنَ طبَّاخات او لا . فان كان الاول فلا بدَّ لهنَّ من ان يتعلمنَ علم الطبخ في مدرسة خاصَّة بهِ وان كان الثاني فالغالب ان فقر والديهنَّ يمنعهنَّ من التعلُّم في المدارس العالية واذا تكرَّم عليهنَّ احد فدفع اجرة تعلمهنَّ او كان في المدارس العالية مال من اهل البر لتعليم بنات الفقراء مجانًا وكان لهنَّ نصيب من ذلك فرأيي عليهنَّ ان لا يُضعنَ وقت احراز العلم في التمرُّن على الطبخ بل يقضينهُ في تعلُّم علم التعليم لان مقام المعلمة ارقى كثيرًا من مقام الطبَّاخة وفائدتها لنوع الانسان اعظم جدًّا من فائدة الطباخة. اما الطبخ البسيط الذي تحتاج اليهِ المرأة الفقيرة في بيتها فلا يستدعي علمًا في المدارس بل يكفي ما تتعلمهُ من امها وجاراتها وما يرشدها اليهِ عقلها او ما تطالعهُ في كتب الطبخ

وجملة القول ان تعلم البنات يجب ان يكون بحسب ما يحتجنَ اليهِ لا ان يكون جزافًا من غير قصد ولا تقدير لان الحياة قصيرة والواجبات كثيرة ومن تضع وقتها في تعلُّم ما لا تحتاج اليهِ لا تجد وقتًا آخر لتعلُّم ما تحتاج اليهِ احدى قارئات المقتطف

باب الهدايا والتقاريظ

دائرة المعارف

يندر ان يؤلف كتاب في اللغة العربية في هذا العصر يخلَّد بهِ اسم مؤلفهِ واندر من ذلك ان يؤلف كتاب يخلَّد بهِ اسم عائلة كبيرة ككتاب دائرة المعارف الذي شرع فيهِ المرحوم بطرس البستاني الخالد الذكر والاثر وانجز ابنهُ المرحوم سليم البستاني جانبًا منهُ ووقع لاخويهِ نجيب افندي ونسيب افندي ولابن عمهما سليمان افندي بستاني ان يتموهُ. وقد تأهلوا كلهم لاتمامهِ بالدرس والبحث والتنقيب ولا سيما سليمان افندي الذي ترجم اشعار هوميروس الى العربية ونظمها وشرحها فيها

وقد صدر الآن الجزء الحادي عشر من الدائرة مبتدئًا بكلمة صُلْبَة ومنتهيًا بكلمة عثمانية . وورد فيهِ بين هذين الحدين مئات من المواد المشروحة شرحًا مسهبًا مما لا يعثر عليهِ الاَّ في دائرة المعارف او في خزانة كتب كبيرة فالكلام على الصلبة وهم جيل من البدو يملأُ اربع صفحات كبيرة بقلم سليمان افندي بستاني ولهُ بحث خاص في هذا الموضوع نشرهُ في المجلد الثاني عشر من المقتطف . والكلام على الصليبيين يملأُ تسع صفحات كبيرة والكلام على الصين يملأُ ٢١ صفحة وعلى الطاعون تسع صفحات وعلى الطائر ١١ صفحة وعلى الطباعة ١١ صفحة ايضًا وعلى الطب ٢٠ صفحة وهلم جرًّا

وقد امتازت دائرة المعارف على كل الكتب الاوربية التي من نوعها بما تضمنتهُ من ترجمات الاعلام العربية وتاريخ ممالك العرب وآدابهم فاذا امكن عارفي اللغات الاوربية كالانكليزية او الفرنسوية ان يستغنوا عنها بالانسكاوبيذيات الافرنجية في العلوم والفنون والتواريخ الاوربية لا يستطيعون ان يستغنوا عنها في شيء مما يتعلق بتاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وترجمات رجالهم . ومن هذا القبيل تاريخ بني طغتكين ولاة الشام في القرن السادس وطغرل بك السلجوقي والملك الظاهر بيبرس والشيخ ظاهر العُمَر والملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام والملك العادل اتابك والملك العادل اخو صلاح الدين وبنو عبَّاد وعبد الغني النابلسي وغيرهم من الاعلام المشهورة

والشرح مسهب في التواريخ والعلوم الحديثة ايضًا كما يظهر من الكلام على الطير والطيف الشمسي والدولة العثمانية وطرق الحديد والطب والطباعة والطاووس والضفدع . وهو موضح بصور كثيرة في متنهِ وفي مجموعة من الصور البديعة ملحقة بهِ

وجملة القول ان حضرات العلماء الافاضل سليمان افندي ونجيب افندي ونسيب افندي البستاني لم يدَّخروا وسعًا في جعل هذا الجزء مثل الاجزاء السابقة او اكبر منها فائدة . وان دائرة المعارف كتاب نفيس لا تستغني عنهُ مكتبة شرقية

فن الصوت والموسيقى

الموسيقى او علم الايقاع علم اعتنت بهِ كل الامم الكبيرة قديمًا وحديثًا فكان لهُ مقام رفيع عند المصريين والكلدان واليونان والفرس والروم والعرب وعند اهالي الهند والصين ولهُ الآن المقام الاعلى عند الاوربيين . وقد نقلهُ العرب عن اليونان مع ما نقلوا من التعاليم ووضعوا فيهِ مصنفات . ووسع المحدثون من الاوربيين هذا العلم ووضعوا لهُ قيودًا جديدة يسهل

ربط الانغام بها . ويسرُّنا ان احد النابغين من المصريين حضرة رزق الله افندي شحاته وضع فيهِ كتاباً بالعربية بعد ان اختبر تدريسهُ سبع سنوات وطالع اهم المؤلفات الاوربية الحديثة وقد طبع هذا الكتاب طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة المقتطف وهو يطلب من مكاتب حضرات المرسلين الاميركيين

المرأة في الاسلام

يرث الولد الاستعداد الجسمي والعقلي من امهِ كما يرثهُ من ابيهِ وتربيتهُ رضيعاً وطفلاً وفتًى موكولة الى امهِ لا الى ابيهِ فاذا تناظرت امتان في ميدان هذه الحياة وكانت القوى الجسمية والعقلية بالغةً اشدَّها من النمو والتهذيب في رجال الامة الواحدة ونسائها ايضاً وبالغة اشدَّها في رجال الامة الثانية دون نسائها فلا بدَّ من ان يسبق اولادُ الامَّة الاولى اولادَ الامة الثانية في ميدان الحياة

ثم ان الجسم والعقل لا يبلغان اشدَّهما من النمو والارتقاء الاَّ بالتعليم والتمرين وقرن العلم بالعمل ومعاملة الناس ومعاركة الدهر وهذا يصدق على النساء كما يصدق على الرجال

ولعلَّ هذا الامر هو الذي دعا بعض فضلاء المشرق في بلاد الهند وفي القطر المصري الى المجاهرة بوجوب تعليم النساء وبوجوب رفع الحجاب من نساء الخاصَّة واشراكهنَّ في الاعمال كما يشترك فيها نساء العامة . ولم يقفوا عند كتابة المقالات المتفرقة في المجلات وصحف الاخبار ولا اكتفوا بتأليف الكتب بل وضع احد ادباء هذا القطر ابرهيم بك رمزي مجلَّة علميَّة تهذيبيَّة سمَّاها المرأة في الاسلام وجعل موضوعها البحث في ترقية شأن النساء فعسى ان تفي بالغرض المقصود منها وتجيء بالنفع المطلوب

تتمة البيان في تاريخ الافغان

للسيد جمال الدين الافغاني شأن كبير عند مريديهِ حتى لقد كانوا يلقبونهُ مهبط اسرار الحكمة وفيلسوف الاسلام والمسلمين . وسواءٌ كان كما يقولون او لم يكن فلا شبهة في انهُ كان من اعرف الناس بتاريخ بلادهِ وما تقلَّب عليها من الشؤُون السياسية ولذلك يرحّب ابناء المشرق بكتاب وضعهُ في تاريخها . وقد اسهب في وصف الحروب التي ثارت بين الانكليز والافغان وخذل فيها الانكليز مراراً والحق ذلك بفصل مسهب في بيان الشعوب المختلفة الساكنة في افغانستان واخلاقها وعاداتها ومذاهبها وكيفية حكومة البلاد وهو افضل فصول الكتاب . وقد التزم طبعهُ حضرة الاديب علي افندي يوسف الكريدلي محرر جريدة العلم العثماني

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) اكبر حيوانات البحر

دنديط . سعد الدين افندي نافع . ارجو ان تفيدونا عن طول اكبر حيوان في البحر ووزنهِ وعمرهِ

ج الحيتان اكبر الحيوانات البحرية وقد ذكر العالم ود في كتابهِ عن الحيوان حوتاً طولهُ ٩٥ قدماً انكليزية وعرض ذنبهِ ٢٢ قدماً ونصف قدم وكان ثقل هذا الحوت ١٥٠ طنّاً وذكر غيرهُ حوتاً طولهُ ١٢٢ قدماً . وعمر الحوت غير معروف

(٢) الحشرات القشرية

طنطا . الخواجه سليم قطيني . وجدنا على بعض الاشجار دويبّة صغيرة وقد اضرّت بالاشجار ضرراً شديداً فارسلنا اليكم عوداً عليهِ منها فما هو نوعها وما هو علاجها

ج نراها من الحشرات القشرية ولعلها من النوع المسمى Aspidiotus Harrisii اما علاجها فقضب الاشجار حتى لا يبقى منها الاَّ اغصان قليلة او لا يبقى الاَّ ساقها ومسحها بمستحلب زيت البترول وقد فصّلنا كيفية عملهِ واستعمالهِ في الصفحة ٣٧٩ من المجلد العشرين من المقتطف (ووضع عدد الصفحة هناك ١٧٩ خطاء)

(٣) سكان المريخ

الخواجه رشيد ابو ريحان . بمدينة جكسن بميزوري في الولايات المتحدة . ذكرتم ما يظنهُ العلماء من وجود سكان في المريخ فهل يمكن ان تفيدونا عن جنسهم وهل هم من جنس البشر

ج ان وجود السكان في المريخ من الامور المحتملة لان حالتهُ الطبيعية تسمح بان يكون مسكوناً وهذا كل ما يُعلم من امرهِ من هذا القبيل . اما جنس هؤُلاء السكان فلا يعلم وليس لدى البشر حتى الآن واسطة يعلمون بها نوع سكان الكواكب ولكن لا يستحيل ان توجد واسطة يعلم بها ما اذا كانت السيارات مسكونة او غير مسكونة ونوع سكانها لاسيما وان مَن يبحث عن سكانها يثاب على بحثهِ فان احدى السيدات تركت مالاً لمن يثبت انها مسكونة

(٤) الملائكة الساقطة

ومنهُ . يقال ان ثلاثة اجواق من الملائكة سقطت من السماء جوق منها بقي بين السماء والارض وجوق وصل الى الارض وجوق نزل تحت الارض فهل من عالمَ فوق الارض وعالم تحت الارض

ج ان هذه الاقوال غير مؤَسسة على اساس علمي اي لا اساس لها بين معلومات البشر التي علموها بالحس والمشاهدة والاستدلال . والارض كرة كالبرتقالة معلقة في الفضاء تدور على نفسها وتدور حول الشمس وليس حولها ما يقال لهُ فوق وما يقال لهُ تحت حقيقةً وانما نحن سكان الارض نعني بكلمة فوق ما كان فوق رؤُوسنا اذا كنا واقفين على الارض وبكلمة تحت ما كان تحت اقدامنا فالفوق يعم كل ما يحيط بالارض من كل الجهات والتحت يختص بما تحت اقدامنا من الكرة الارضية . وما نشير اليهِ بكلمة فوق نهارًا مما حول الارض نشير اليهِ بكلمة تحت ليلاً كما يظهر باقل تأمل

(٥) دوران الارض

ومنهُ . أَصحيح ما يزعمهُ العلماء من ان الارض تدور وان الكواكب والشمس والقمر راكزة لا تدور

ج الذي يقولهُ العلماء ويثبتونهُ بادلة كثيرة مقنعة لا سبيل معها للريب هو ان الارض كرة كبيرة تدور على نفسها دورة كاملة كل اربع وعشرين ساعة وتدور حول الشمس دورة كاملة كل سنة . والشمس اكبر من الارض كثيرًا وهي في مركز النظام الشمسي الذي هو الارض والزهرة وعطارد والمريخ وزحل والمشتري واورانوس ونبتون وهذه السيارات تدور كلها حول الشمس والشمس ثابتة بالنسبة الى هذه السيارات ولكنها تحملها وتدور معها في هذا الفضاء الواسع حول مركز آخر بعيد جدًّا . اما النجوم الاخرى التي في السماء فنراها تدور حول الارض لا لانها تدور حولها حقيقة بل لان الارض تدور بنا على محورها فلا نشعر بدورانها لكبرها بل نشعر بدوران النجوم الى الجهة المقابلة . والارض تدور من الغرب الى الشرق ولذلك نرى النجوم تدور من الشرق الى الغرب كما اذا كنتم سائرين في قطار سكة الحديد من الغرب الى الشرق فانكم قد لا تشعرون بسيرهِ بل تشعرون كأَن الارض التي بجانب القطار تسير من الشرق الى الغرب

(٦) شهب نوفمبر

بيروت . احد المشتركين . هل تساقطت الشهب في شهر نوفمبر الماضي كما زعم الفلكيون وهل كان سقوطها عموميًّا وغزيرًا

ج ذكرنا في الجزء الماضي ان مدير مرصد تورنتو بكندا شاهد تساقطها في ١٥

نوفمبر الماضي وكانت كثيرة جدًّا امتلأَ بها الجو وشاهدها ايضاً في الليلة التالية وبقيت تتساقط الى الصباح وذعر الناس منها وظنوا انهُ دنا انقضاء العالم . فان كان ما انبأ بهِ هذا المدير صحيحاً فقد سقطت شهب نوفمبر في حينها ولو لم ترَ في كل البلدان . ومعلوم ان الشهب القريبة من الارض لا ترى في اماكن كثيرة في وقت واحد وان ما يرى منها ليلاً في اميركا لا يرى في اوربا في الوقت نفسهِ لان الوقت يكون نهاراً فيها ولكن تورنتو قريبة من مدن كثيرة اميركية كبفلو وهملتون والبعد بينها وبين نيويورك غير شاسع لا يبلغ ٣٥٠ ميلاً فيستغرب عدم رؤيتها فيها الاَّ اذا كانت قريبة من الارض جدًّا

(٧) اعمار القدماء

ومنهُ . جاء في التوراة ان القدماء كانوا يعيشون نحو الف سنة فهل كانت سنتهم اقصر من سنتنا او كان الواحد منهم يعمّر عشرة اضعاف ما يعمرهُ الواحد منا الآن

ج ان حقيقة ذلك غير معلومة ولعلماء التفسير اقوال مختلفة فيهِ ويميل اكثرهم الى ان السنين المشار اليها مثل سنينا تماماً والناس الذين يقال انهم عاشوا مئات من السنين قد عاشوا كذلك حقيقة حسب نص التوراة الصريح

(٨) شهر فبراير

المنيا . يعقوب افندي دوغان . قرأت في جريدة انكليزية ان شهر فبراير سيكون ٢٨ يوماً مدة خمسين سنة من ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ فهل ذلك صحيح

ج . كلاَّ ولكن يقال ان قيصر الروس ارتأى ان يبقى فبراير ٢٨ يوماً في السنين الكبيسة بالحساب الشرقي الى ان يزول الفرق بين الحساب الشرقي والغربي وهو يزول في ٥٢ سنة اذا فعل ذلك

(٩) السنة الكبيس

ومنهُ . لماذا كان شهر فبراير في السنة الماضية ٢٨ يوماً مع ان سنة ١٩٠٠ تقسم على ٤ بدون باقٍ

ج . لانها تقسم ايضاً على ١٠٠ بدون باقٍ ولو كانت تقسم على ٤٠٠ بدون باقٍ لعادت كبيسة فان القاعدة في الحساب الغربي هي ان السنة تحسب كبيسة اي يحسب شهر فبراير فيها ٢٩ يوماً اذا كانت تقسم على ٤ ولكنها لا تقسم على مئة واذا كانت تقسم على مئة تحسب عادية بشرط ان لا تقسم على ٤٠٠ فسنة ١٥٠٠ عادية ولو كانت تقسم على ٤ بدون باقٍ لانها تقسم ايضاً على مئة ولا تقسم على ٤٠٠ وسنة ١٦٠٠ تحسب كبيسة مع انها تقسم على ١٠٠ لانها تقسم ايضاً على ٤٠٠ وسنة ١٧٠٠ عادية وكذا سنة ١٨٠٠ و ١٩٠٠ هذا في الحساب الغربي اما في الحساب الشرقي فيحسب فبراير ٢٩ يوماً في كل سنة تقسم على ٤ وقد جعل الفرق بين الحساب الغربي

والشرقي ١٠ ايام في عهد البابا غريغوريوس سنة ١٥٨٢ . وفي سنة ١٦٠٠ بقي الفرق على حالهِ لان الشرقيين حسبوا تلك السنة كبيسة لانقسامها على ٤ والغربيين حسبوها كبيسة ايضاً لانها تقسم على ٤٠٠ . وسنة ١٧٠٠ زاد الفرق يوماً فصار ١١ يوماً لان الشرقيين حسبوها كبيسة واما الغربيون فحسبوها عادية لانها تقسم على ١٠٠ ولا تقسم على ٤٠٠ . وسنة ١٨٠٠ زاد الفرق يوماً آخر فصار ١٢ يوماً للسبب المتقدم ذكرهُ وكذا سنة ١٩٠٠ زاد الفرق يوماً ثالثاً فصار ١٣ يوماً ويبقى الفرق ١٣ يوماً سنة ٢٠٠٠ ويصير ١٤ يوماً ٢١٠٠ وهلمَّ جرًّا

(١٠) كروجر

القناطر الخيرية . محمد افندي فهمي . لما قام كروجر من لورنزومركيز لِمَ لم يأسرهُ الانكليز أَوَلم تتعدَّ هولندا حقوق الحيادة بنقلهِ في سفينتها الحربية

ج اذا فرَّ احد المتحاربين الى بلاد دولة على الحياد حُمي في بلاد تلك الدولة ولم يجز لخصمهِ ان يقبض عليهِ فيها . وكروجر هرب اولاً الى املاك البرتغال فاضطر الانكليز ان يمتنعوا عن اتباعهِ اليها ونزل منها في البارجة الهولندية وحكم البارجة حكم املاك الدولة الاجنبية لا يجوز انتهاك حرمتها

(١١) غرينلندا

ومنهُ . هل كانت جزيرة غرينلاند مأهولة وقت اكتشافها وكيف كان حال سكانها قبل التاريخ الميلادي

ج لا بدَّ من انكم تريدون " بوقت اكتشافها " وقت اكتشفها الاوربيون والاَّ فان اردتم وقت اكتشفها الناس اول مرة فجوابهُ بديهي انها لم تكن مأهولة اما وقت اكتشفها الاوربيون فكانت مأهولة بسكانها الاسكيمو والمرجح انهم جاؤُها من اسيا او انهم من هنود اميركا تبعوا مجرى الانهار الشمالية حتى وصلوا غرينلندا او رحلوا شمالاً من امام شعب اقوى منهم حتى وصلوا الى اطراف اميركا الشمالية وعبروا الى غرينلندا . ولا يعلم كيف كان حال سكانها قبل التاريخ الميلادي ولا يظهر لنا انهُ سكنها احد حينئذٍ ولم يعلم شيءٌ من امرهم الاَّ منذ عهد قريب

(١٢) سبات طويل

طما . احمد افندي رزق . روى البصير في العدد ١٠٧٠ الصادر في ١٣ مارس الحالي ان رجلاً في اوستراليا ارتكب جريمة القتل وبينما كانت المحكمة تتهيأُ للحكم عليهِ نام ولبث نائماً من نوفمبر سنة ١٨٩٦ حتى استيقظ في يناير سنة ١٩٠١ ولم يدرِ من جنايتهِ شيئاً. وحيث ان العقل يرتاب في صحة هذه الرواية فارجو ابداء رأيكم فيها

ج يظهر لنا ان الرجل المشار اليهِ اصابهُ شيءٌ من البحران فبقي يأكل ويشرب ولكنهُ لا ينتبه الى شيءٍ فحفظت حياتهُ الى ان

استيقظت قواهُ العقلية او زال الخلل من دماغهِ فعاد يدرك كما كان قبل ان اصابهُ البحران

(١٣) اصغر ممالك اوربا

مصر . محمد افندي عمر . هل من مملكة في اوربا دخلها السنوي اقل من ٣٠٠ الف جنيه

ج . ان مملكة سان مارينو او جمهورية سان مارينو سكانها نحو ثمانية آلاف نفس فقط ولا نعلم كم دخل حكومتها بالتحقيق ولكننا لا نظن انهُ اكثر من عشرة آلاف جنيه . وامارة الجبل الاسود دخل حكومتها السنوي ستون الف جنيه



هيكل فينيقي

ينازع الممالك الاوربية ورجالها يكابدون المشاق وينفقون النفقات الطائلة لاكتشاف آثار الاولين نرى هذه الآثار تنكشف عفواً لابناء سورية فلا يعتنون الاَّ باعطائها لحكومتهم من ذلك ما قرأناهُ في جرائد بيروت وهو انهُ كُشف هيكل عظيم في جوار صيداء في بستان على ضفاف نهر الاولي . والهيكل فينيقي مبني بحجارة عاتية طول الحجر منها نحو عشر اذرع وفيهِ كثير من التماثيل وكتابة يقال فيها ان الهيكل بني للاله عمون . والبستان الذي فيهِ الهيكل لسعادة نسيب بك جنبلاط فاهداهُ بما وجد فيهِ الى الحكومة العثمانية

النجم الجديد

ذكرنا اكتشاف هذا النجم في الجزء الماضي وقد ثبت بعد ذلك من مراجعة صور السماء الفوتوغرافية انهُ لم يكن ظاهراً في ١٩ فبراير الماضي او كان اصغر من القدر الحادي عشر . وبعد ذلك فاق الشعرى العبور والدبران والعيوق في لمعانهِ ثم ضعف نورهُ رويداً رويداً حتى بلغ القدر الثالث ثم اختفى عن العيان

واول نجم جديد انتبه لهُ الناس وذكروهُ في تواريخهم ظهر سنة ١٣٤ قبل المسيح . ومن ذلك الحين الى الآن انتبهوا الى ١٩ نجماً جديداً ثلاثة عشر منها رُئيت في القرن الماضي وستة من هذه في السنوات العشر الاخيرة منهُ فلو اهتمَّ الناس برصد الافلاك في القرون الغابرة كما اهتموا برصدها في القرن الماضي وفي السنوات العشر الاخيرة منهُ لرأوا نجماً جديداً كل سنة او سنتين . ثم ان ما يرى بالعين من النجوم لا يبلغ جزءا من عشرة

آلاف جزء من النجوم التي ترى بالتلسكوب الكبير فاذا كانت النجوم الجديدة تزيد على هذه النسبة ايضاً فقد ظهر منها الوف كثيرة في هذه العشرين قرناً

والنجم الجديد يظهر للعيان بغتةً ويزيد اشراقهُ سريعاً ثم يقلُّ رويداً رويداً الى ان يختفي ثانيةً . وقد فرض العلماء فروضاً مختلفة تعليلاً لظهور النجوم الجديدة لكنهم لم يجدوا حتى الآن فرضاً تعلَّل بهِ كل ظواهرها

اللبن والميكروبات

بحث الدكتوران فلاجسا وارتونا في مدرسة رومية الجامعة عن وجود الميكروبات في اللبن وعن فعل النور والحرارة بها فوجدا ان نور الشمس لا يميت الا الميكروبات التي تعيش على سطح اللبن فلا يكون لها ما يقيها من نور الشمس ووجدا ان ميكروب الدفثيريا يعيش في اللبن و يولّد فيهِ مادتهُ السامة ولكن لا يكون سمهُ فيهِ اقوى من سمهِ لو ربي في سائل آخر . ووجدا ايضاً انهُ اذا سخن اللبن الى الدرجة ٦٠ او٧٠ او ٨٠ بميزان سنتغراد لم تكن الحرارة كافية لقتل ميكروب السل منهُ اذا كان فيهِ

الكسوف المقبل

ستكسف الشمس كسوفاً تامًّا في ١٨ مايو المقبل يبتدئ الكسوف في الجنوب الغربي من مدغسكر و يسير شمالاً فشرقاً ويقطع الاوقيانوس الهندي و يمرُّ في موريتوس وسمطرة وبورنيو وجزائر سلبس وغينيا الجديدة . ومدة الاختفاء التام في موريتوس نحو ٣ دقائق و ٥٠ ثانية وفي ارخبيل ملقا ست دقائق ونصف دقيقة

المطر الدموي

امطرت السماء مطراً احمر كالدم في اوائل شهر مارس في ايطاليا وشمالي افريقية وكتب بعضهم من مدينة بلرمو بايطاليا في ١٠ مارس يقول تكاثفت الغيوم فوق المدينة منذ البارحة وكان الجو احمر داكناً وعصفت الجنوب عصفاً شديداً ووقع المطر نقطاً حمراء كالدم . و يعلل ذلك بغبار احمر من صحراء افريقية اثارتهُ العواصف ومزجت بهِ ماء المطر. ووقع هذا الغبار في نابلي ايضاً حملتهُ العواصف من صحراء افريقية

وكتب الاستاذ جد في جريدة ناتشران آثار المطر الدموي بلغت مدينة همبرج في المانيا وشلسوغ هولستين دلالة على كثرة الغبار الذي حملتهُ العواصف من افريقية . وبعث الدكتور ركر اليهِ بقليل من هذا الغبار جمعهُ عن مائدة رخام في فندق بايطاليا فبحث فيهِ بالميكرسكوب فاذا اكثرهُ مواد غير آلية وقطع من الكوارتز بينها كثير من الذرات النباتية التي تعيش في الماء القراح

وجمع الاستاذ ركر الغبار عن موائد في

صقلية قائمة على سطح الفندق الذي كان فيهِ ووزنهُ فوجد وزنهُ نحو غرام على ما مساحتهُ نحو خمس اقدام مربعة فاذا فرضنا ان ما وقع على ايطاليا كلها هو على هذه النسبة بلغ وزنهُ ستمئة مليون كيلوغرام او ستمئة الف طن او خمسة اطنان ونصف على كل ما مساحتهُ ميل مربع

قبر بقراط

يقال انهُ كشف قبر بقراط ابي الطب في لارسا بتساليا وقد اهتمت الحكومة اليونانية بذلك شديد الاهتمام وبعثت لجنة الى هناك لتعمل بما تراهُ لازماً لحفظ هذا القبر

تمييز دم الانسان

كشفت طريقة جديدة يميزبها دم الانسان عن دماء كل الحيوانات ما عدا دم القرد وذلك بان يحل قليل من دم الانسان ويحقن بهِ ارنب ثم يضاف قليل من دمها الى قليل من محلول الدم المشتبه فيهِ فان كان من دم انسان تعكر حالاً ورسب منهُ راسب وان كان من دم حيوان آخر لم يتعكر ولا رسب منهُ راسب . ودم القرد يتعكر كما يتعكر دم الانسان ولكنهُ لا يتعكر حالاً كما يتعكر دم الانسان فيكون ذلك فارقاً بينهما

كتب مصر في اميركا

بلغ نصيب المدارس الاميركية الجامعة ١١٨ درجاً من الدروج المصرية القديمة المكتوبة على ورق البردي مما وُجد في القطر المصري حديثاً خصَّ مدرسة يال الجامعة ١٦ درجاً منها فيها اجزاء من كتاب افلاطون في الحكومة الجمهورية كتبت قبل المسيح بنحو مئة سنة واجزاء من رواية شعرية مفقودة . ووجد في نصيب مدرسة هرفرد الجامعة جانب من رسالة مار بولس الى اهالي رومية وجانب من اشعار الرومان شاعر اسبرطه الذي كان سنة ٦٥٠ قبل المسيح . وفي نصيب مدرسة كولمبيا تاريخ زنوفون المسمى بالهلينيكا وهو تاريخ بلاد اليونان مدة ٤٩ سنة وكتاب مرسل الى ملك مكدونية . وفي نصيب مدرسة جونس هبكنس ملخصات من تيسيديدس وديموستنس . وفي نصيب مدرسة براستن قطعة من هيرودوتس من القرن الثاني وصك من عهد نيرون . وفي نصيب مدرسة فسار صك دين بثلاثة آلاف درهم ومقدار الربا ٨ في المئة وهو من القرن الثالث . وجملة الدروج ١١٨ كما تقدم واكثرها مما وجد في البهنسة

حفظ الصوت بالفونوغراف

نال الشهير اديصن امتيازاً من الحكومة الاميركية لعمل اساطين من الفضة تحفظ فيها العلامات التي تحدث الصوت بالفونوغراف الى ما شاء الله . وذلك ان تؤخذ هذه العلامات على اسطوانة الشمع اولاً ثم توضع اسطوانة الشمع في اناء فارغ من الهواء بين قطبين من الذهب وتمر بينهما شرارة كهربائية

فيلبس الشمع غشاء رقيقًا من الذهب ثم يلبَّس الذهب بقشرة سميكة من النحاس بالترسيب الكهربائي ويذاب الشمع ويرسَّب مكانهُ طبقة سميكة من الفضة بالترسيب الكهربائي ايضًا ويذاب النحاس فتبقى الفضة وعليها غشاوة الذهب وفيها العلامات التي كانت في اسطوانة النحاس . وتحفظ كذلك الى ماء شاء الله لا يؤثر فيها الحر ولا البرد ولا الاستعمال المتكرر

ملهل الاحصائي

توفي ميخائل ملهل الاحصائي الشهير في مدينة لندن . وهو اكبر علماء الاحصاء واوسعهم بحثًا وادقهم نتائج وقد قدَّر عدد سكان الولايات المتحدة قبلما أُحصي اخيرًا فكان الفرق بين تقديره والاحصاء ٩٥ الفًا لا غير

مؤتمر السل

سيلتئم مؤتمر كبير في مدينة لندن في ٢٢ يوليو المقبل للبحث في خير الوسائط التي يمكن استعمالها لاتقاء السل وشفائهِ واستئصالهِ وسيحضرهُ مندوبون من كل اقطار المسكونة ويفتحهُ ملك الانكليز بنفسهِ

السكاوبيذيا الصينية

في المجلد الكبير من المقتطف نحو نصف مليون كلمة وعند الصينيين دائرة للمعارف (سكاوبيذيا) فيها ٣٦٦٩٩٢٠٠٠ كلمة اي انها تساوي اكثر من سبع مئة مجلد من مجلدات المقتطف وقد حُرق هذا الكتاب العظيم مدة حصار السفارات الاجنبية في باكين وليس حرقهُ بالخسارة الوحيدة التي خسرتها بلاد الصين اشباعًا لمطامع الاوربيين

مصل التيفويد

نشرت الجرائد الطبية النمسوية ان طبيبًا اكتشف مصلاً يشفي من التيفويد ولا يعالج بهِ المريض حقنًا بل شربًا

السمك المدفون

كتب بعضهم من جزيرة زيلندا الجديدة يصف نوعًا من السمك يغور في الارض في اواخر فصل الشتاء ويصنع لنفسهِ كفنًا غرويًا يلتف بهِ وينام الى فصل الشتاء التالي وهو صغير طول السمكة منهُ نحو اصبع . واذا أُخرج من الارض في اوائل فصل الشتاء لم يظهر عليهِ شيءٌ من دلائل الحياة ولكنهُ اذا وُضع في الماء طرح الكفن الذي يحيط بهِ فوقع في قاع الماء واخذ هو يسبح فيهِ مثل غيرهِ من السمك

دواء الحمى القلاعية

اعلن الدكتور جار في اكادمية الطب بباريس انهُ اكتشف دواء للحمى القلاعية التي تميت الغنم شفى بهِ الفًا وخمس مئة رأس في مدة سنتين وهو محلول مركز من الحامض الكروميك النقي تكوى بهِ الجروح كيًّا وفعلهُ سريع جدًّا

ايصال باريس برومية

تمدُّ اسلاك التليفون الآن بين باريس ورومية وسيتخاطب اهالي هاتين العاصمتين في الصيف المقبل والبعد بينهما اضعاف البعد بين القاهرة والاسكندرية ولكن شتان بين همة الناس هناك وهمتهم هنا

اكبر صورة فوتوغرافية

صنعت صورة فوتوغرافية في مدينة شيكاغو على لوح طولهُ ثماني اقدام وعرضهُ اربع اقدام ونصف قدم ويقال انها اكبر صورة فوتوغرافية صُنعت حتى الآن

النور والعلاج

قرأ الدكتور غارنول رسالة في اكادمية العلوم بباريس عن فعل النور الشافي وذكر انهُ عالج كثيرين بالنور الساطع فشفاهم من امراض مختلفة وانهُ انتبه الى ذلك مما ذكرهُ المسيو تروفه وهو ان عاملاً مصاباً بالروماتزم اقام ٤٨ ساعة بقرب نور كهربائي ساطع فشفي من مرضهِ ثم ظهر ان الذين يلحمون المعادن بالكهربائية يشفون من النقرس والروماتزم . وقال انهُ اذا جمع النور من قنديل قوتهُ مثل قوة ٥٠ شمعة على مصاب بالروماتزم او بالزكام المزمن او بالصمم شفي او استفاد كثيراً

رخص الاكسجين

اشار الاستاذ بكتيه من اساتذة مدرسة جنيفا الجامعة باسلوب جديد لاستحضار الاكسجين بكثرة وبقليل من النفقة حتى ان الآلة البخارية التي قوتها ٥٠٠ حصان يستحضر بها خمس مئة الف قدم مكعبة في اليوم وذلك بتبريد الهواء في اناء يحيط بهِ الهواء السائل فينفصل اكسجين الهواء عن نيتروجينهِ وينزل الاكسجين الى اسفل الاناء ويبقى النيتروجين في اعلاهُ لان الاكسجين اثقل من النيتروجين

الماء لباريس من سويسرا

يهتم المهندسون الفرنسويون في جلب الماء الى مدينتهم من بحيرة جنيفا ويقال ان نفقات جر الماء من جنيفا الى باريس لا تقل عن اربعين مليون جنيه

الآلة البخارية الشمسيَّة

اهتم المخترعون منذ زمان طويل باستنباط آلة بخارية تأتيها الحرارة من الشمس مباشرة ولا يخفى انهُ اذا جمعت اشعة الشمس بعدسية محدبة او بمرآة مقعرة كان في محترقها حرارة شديدة جداً تذيب الحديد والصوان . فقد صنع احد الفرنسويين مرآة قطرها اربع اقدام فصهرت حرارة الشمس المجتمعة بها قطعة من الحديد في ست عشرة ثانية . وصنع رجل انكليزي بلورةً قطرها ثلاث اقدام صهرت قطعة من الحديد في ثلاث ثوانٍ واذابت حصاة من الصوان في دقيقة من الزمان . ومعلوم ان المرآة التي قطرها ثلاث اقدام لا

تزيد مساحة سطحها على سبع اقدام مربعة فما قولك لو صنعت مرآة مقعرة مساحتها مئات من الاقدام لا غرو انها تذيب الحديد في اقل من طرفة عين

غير ان ما يبقى في دائرة الامتحان في كل البلدان يخرج الى دائرة العمل في اميركا بلاد الغرائب فقد رأينا في السينتفك اميركان الآن صورة مرآة كبيرة مقعرة مؤلفة من مرايا كثيرة صنعت في كليفورنيا واوصلت بآلة كالساعة تديرها من الشرق الى الغرب حتى تبقى مواجهة للشمس قطرها عشرة امتار مؤلفة من ٧٨٨ مرآة صغيرة مجموعة بعضها مع بعض على سطح واحد مقعر حتى تجمع اشعة الشمس المعكوسة عنها على اناء اسطواني كبير طوله خمسة امتار وفيهِ مئة جالون من الماء . اذا اديرت هذه المرآة الى الشمس لا تمضي عليها ساعة حتى يغلي الماء فيها ويشتد ضغط البخار فيدير آلة بخارية ترفع الماء من بئر عميقة ومقدار الماء الذي ترفعهُ ١٤٠٠ جالون في الدقيقة فهي مثل آلة بخارية بقوة عشر رؤُوس خيل . ولا يبعد ان نرى مثل هذه الآلة في القطر المصري وفي بلاد السودان حيث تبقى الشمس ظاهرة اكثر ايام السنة

ذات الرئة ومصل الدفثيريا

اعلن الدكتور تلامون من اطباء مستشفى بشات في باريس انهُ عالج ذات الرئة بالمصل المضاد للدفثيريا فنجح في علاجها

نوع جديد من الغنم

اكتُشف نوع جديد من الغنم في كلنديك شمالي اميركا الشمالية رأسهُ وعنقهُ وصدرهُ وبطنهُ وباطن يديهِ بيضاء كلها كالثلج وما بقي من جسمهِ رمادي اسمر

السل والنور المحلول

استعمل احد اطباء اميركا النور المحلول لمعالجة المسلولين ويقال انهُ نجح في ذلك كثيرًا فيسقي المسلول زيت السمك والزرنيخ ليقوي جسمهُ ويحل النور الكهربائي من قنديل بقوة ١٥٠٠٠ شمعة ويلقيهِ عليهِ من خلال زجاج ازرق

ارتفاع بحيرة لوط

يقال ان قاع بحيرة لوط آخذ في الارتفاع رويدًا رويدًا بفعل بركاني وسطح البحيرة آخذ في الاتساع

جريدة تليفونية

سبق اهالي بودابست عاصمة المجر غيرهم الى انشاء جريدة تليفونية اي ارسال الاخبار بالتلفون الى المشتركين وقد شرعوا في ذلك منذ سنة ١٨٩٣ والاشتراك في هذه الجريدة التليفونية خمسة عشر غرشًا في الشهر وترسل الاخبار الى المشتركين من الساعة ٨ صباحًا الى الساعة ١١ مساء وقد كثر انتشارها الآن وشاع استعمالها في ضواحي المدينة ايضًا

الهيدروجين في الهواء

ثبت الآن ان الهيدروجين كثير في الهواء يبلغ نصف الحامض الكربونيك الذي فيهِ اي انهُ نحو جزء من عشرة آلاف جزء جرماً ولم يعلم ذلك قبل الآن لصعوبة اكتشافهِ في هذا المقدار الكبير من الهواء . والظاهر ان مقدار الهيدروجين ثابت في الهواء ومن المحتمل انهُ يذهب من جو الارض و يبعد عنها في الفضاء لخفتهِ فيأتي هيدورجين آخر من الارض ليقوم مقامهُ ويبقى مقدارهُ ثابتاً في الهواء

الطعام النباتي

وهب بعضهم مدينة برلين ٢٥ الف جنيه لتنشئ بها ملجأً للايتام مشترطاً ان تقصر طعامهم فيهِ على المواد النباتية فرفضت هبتهُ لعلمها انها تضرُّ الايتام بذلك اكثر مما تنفعهم .

عمر السكير

اثبت الدكتور دانا الاميركي ان السكير لا يعيش اكثر من ١٥ سنة بعد ادمانهِ للسكرات . وجسم الانسان لا يحتمل اكثر من ثلاثة آلاف سكرة

شذور عن مجلة الطبيب

صدرت الارادة السنية بتجديد اعفاء الآلات الزراعية من رسوم الجمرك عشر سنوات اخرى في كل المالك العثمانية

وجد احد قرويي اليونان ان محلول الملح يتلف جراثيم مرض الكرمة المعروف بالبرونوسيون . وقد جرَّب دهن العنقود الجديد عند اول عقدهِ بمحلول الملح فكان يسلم منهُ تسعون في المئة

اكتشف زيت البترول في جهات الموصل و يقال انهُ اجود من البترول الوارد من باطوم

تقرَّر في مجلس شورى الدولة العثمانية ان تعفى اشجار الزيتون والخرنوب والبندق من العشور عشرة اعوام من تاريخ استثمارها

منح ورثة المرحوم جواد باشا المتحف السلطاني مكتبة والدهم وفيها ٧٧٠٠ مجلد . فعين لها دائرة مخصوصة سميت مكتبة جواد باشا

عزم ناظم باشا والي الشام على انشاء مدرسة للقوابل فيها واستاذن الباب العالي في ذلك فاذن لهُ

عزمت الحكومة العثمانية على انشاء خمسة معامل لاستخراج طعم الجدري في الشام والبصرة وارضروم ومناستر وبتليس على نسق معمل الاستانة وقدَّرت نفقات كل معمل بثلاثة آلاف جنيه

فتح في مكتب كلخانة الطبي مجال جديد لدرس اللغة الالمانية وقد دخل في صفوف الدارسين ٢٠ طبيباً عسكريًا من الحائزين على رتبة ملازم

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس والعشرين

١ مايو (آيار) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٢ محرم سنة ١٣١٨

تقرير اللورد كرومر

عن احوال مصر سنة ١٩٠٠

من فيكونت كرومر الى مركيز لنسدون

اني أعتذر عمَّا تجدونهُ من التطويل في تقريري هذا الذي ارفعهُ الى فخامتكم عن احوال الحكومة المصرية سنة ١٩٠٠ . ولو كتبتهُ لابناء وطني وحدهم لامكنني اختصارهُ ولكن لا يخفى ان التقارير التي رفعتها الى اسلافكم في نظارة الخارجيَّة كانت تترجم الى العربيَّة وتنشر في القطر المصري . وهي تكاد تكون السبيل الوحيد لايقاف المصريين على بعض المسائل التي يهمُّهم الوقوف على حقيقتها بالتدقيق والتفصيل سنة بعد سنة . ولما كان القطر المصري آخذاً في الارتقاء فالمسائل التي يهتم بها سكانهُ او فريق منهم آخذة في الازدياد ايضاً ولذلك رأيت ان اسهب في امور كثيرة تكاد اهميتها تكون خاصَّةً بالقطر المصري . اما احوال السودان فلها تقرير خاص بها

حسابات سنة ١٩٠٠

قدّر ايراد الحكومة لسنة ١٩٠٠ ١٠١٦٤٠٠٠ جنيهاً مصريًّا ووافق اعضاء صندوق الدين على منح الحكومة ٢١٦٠٠٠ ج . م [1] مقابل ما كان ينتظر من رفع الضرائب عن بعض الاطيان بسبب انخفاض النيل فصار تقدير الايراد كلهِ ١٠٣٨٠٠٠٠ ج . م وقُدِّرت

(١) يراد بالحرفين ج . م في ما يلي الجنيه المصري و بالحرف ج الجنيه الانكليزي

مصروفات الحكومة ١٠٣٨٠٠٠٠ ج . م اي مثل ايراداتها

ولما خُتمت السنة بلغ الايراد	١١٤٤٧٠٠٠
ومنحة صندوق الدين	٠٠٢١٦٠٠٠
والجملة	١١٦٦٣٠٠٠ ج ٠ م
وبلغت المصروفات	١١١٠٤٠٠٠ ج ٠ م
فالزيادة في المصروفات	٠٠٥٥٩٠٠٠ ج ٠ م

وهذه النتيجة حسنة جدًّا لان ايراد الحكومة قدّر مثل نفقاتها وقتما رُبطت الميزانية فزاد على المصروفات ٥٥٩٠٠٠ ج ٠ م . وكان الايراد العادي ١١٤٤٧٠٠٠ ج ٠ م وقد كان في العام السابق ١١٢٠٠٠٠٠ ج ٠ م فزاد ايراد العام الماضي عن ايراد العام الذي سبقهُ ٢٤٧٠٠٠ ج ٠ م رغماً عن انخفاض النيل انخفاضاً غير عادي . ثم ان ايراد سنة ١٨٩٩ كان اكثر من ايراد كل سنة سبقتها

المال الاحتياطي العمومي

بلغ المال الاحتياطي العمومي ٣٥٢٣٠٠٠ ج ٠ م في ختام سنة ١٨٩٩ . واضيف اليهِ مبلغ ١١٠٤٠٠٠ ج ٠ م . في خلال سنة ١٩٠٠ وأُنفق منهُ على اعمال عمومية مختلفة مبلغ ١٠٩٨٠٠٠ ج ٠ م . فكان الباقي منهُ ٣٥٢٩٠٠٠ ج ٠م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ ومن هذا المبلغ مبلغ ٢٣٤٢٠٠٠ وعد صندوق الدين بانفاقهِ على بعض الاعمال ومبلغ ١١٨٧٠٠٠ لم يعد بانفاقهِ على شيءٍ

المال الاحتياطي الخصوصي

المال الاحتياطي الخصوصي تحت تصرُّف الحكومة المصرية كلهُ . وقد بلغ هذا المال نحو ٢٤٣٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩ عدا مبلغ ٥٧٠٠٠ ج . م وعدت الحكومة بانفاقهِ ولم يكن قد أُنفق . وبلغ ٨٠٩٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ ومن ذلك مبلغ ٥٠٠٠٠ ج . م وعدت بانفاقهِ ولم ينفق بعدُ

توفيرات التحويل

بلغت التوفيرات من تحويل الدين ٣٥٦٥٠٠٠ ج . م حتى ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩ اشترى بها صندوق الدين اوراقًا مالية[1] الاَّ مبلغًا صغيرًا منها بقي نقودًا . وقد بلغت هذه

(١) هذه قيمة الاوراق لما اشتريت لا القيمة التي بلغتها بعدئذٍ

التوفيرات ٠٠٠ ٤٠٠٢ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ فزادت ٤٣٧٠٠٠ ج . م في خلال سنة ١٩٠٠

الدين المصري

بلغ الدين المصري ٠٠٠ ١٠٣٠٤٩ جنيهاً انكليزياً في ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩ وفي صندوق الدين منهُ مبلغ ٠٠٠ ٧٤٩٤ ج[٢] فيكون في يد الجمهور منهُ ٠٠٠ ٩٥٥٥٥ ج

واستهلك من الدين المضمون ودين الدومين ودين الدائرة ٠٠٠ ٣٣٥ ج في خلال سنة ١٩٠٠

وفي ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ كانت القيمة الاصلية للدين كلهِ ٠٠٠ ١٠٢٧١٤ ج وكان منها في صندوق الدين ٠٠٠ ٧٢٧٣ فالباقي في يد الجمهور ٠٠٠ ٩٥٤٤١ ج

مربوط الميزانية لسنة ١٩٠١

مضى زمن طويل والذين تناط بهم ادارة المالية المصرية بوجه من الوجوه يشكون مرَّ الشكوى من انهم يرون ما تمسُّ الحاجة الى اصلاحهِ من كل جهة وهم مضطرون ان يرفضوا انفاق الاموال التي لا بدَّ منها لاصلاحهِ. وحسبي ان اقول لاهل الغيرة والحمية من الموظفين في مصالح الحكومة المختلفة الذين لهم يد في اصلاح مصر والذين كانت تضعف عزائمهم حينما يرون انفسهم عاجزين عن اصلاح ما لا بدَّ من اصلاحهِ ان لجنة التحقيق التي كنتُ عضواً فيها منذ اثنتين وعشرين سنة لا غير وضعت اساساً لما اشارت بهِ مفاده' ان نظام الحكومة المصرية يحتاج ان يوضع كلهُ جديداً وقالت " انهُ ليس في الحكومة الآن شيء مما يجب ان يكون". ولم تُبذَل الهمَّة في الاصلاح الاَّ بعد عدة سنوات من كتابة هذا القول وبقينا مدَّة قبل ان امنَّا كل خوف من افلاس الحكومة . ثم كان لا بدَّ من اصلاح مالية الحكومة قبل اصلاح غيرها . ولم يكن محل لزيادة مصروفات دوائرها في غير الضروري قبل تخفيف عبء الضرائب . والذين طال اختبارهم للاحوال المصرية مثلي لا يعجبون مما ظهر من البطء في تدبير الاموال اللازمة لما تمَّ من الاصلاح بل يعجبون مما ظهر من السرعة في تدبير هذه الاموال

ولا يخفى ان المصريين كثيراً ما لا يرون لزوم تغيير شيء الاَّ بعد ان يروا فائدة تغييرهِ وان كانوا يسرُّون بالاصلاح بعد حدوثهِ و يعترفون حينئذٍ بفائدتهِ . وكلهم يفضل تخفيف الضرائب على اي اصلاح كان مهما كان مرغوباً فيهِ. وهذا الحكم يكاد يكون عامًّا ولا

(٢) الجنيه المذكور هنا انكليزي

بدَّ للحكومة في بلاد مثل مصر ان تبقى سابقة للرأي العام والاَّ لم يتمَّ شيءٌ من الارتقاء . ولكن ليس من الحكمة ولا من الصواب ان تبقى الحكومة سابقة كثيرًا للرأي العام فتجري على اساليب لا يستحسنها الشعب الاَّ بعد زمن طويل . وكذلك يجب ان لا يبرح من الذهن ان امورًا كثيرة في النظام المصري القديم التي يراها الاوربيون خطأً فاضحًا لا تظهر للمصريين الاَّ عيوبًا طفيفة

وكلما كانت الميزانية الجديدة تربط في السنوات الاخيرة كان الذين تناط بهم ادارة مالية البلاد يحكمون بما يلزم من الاصلاحات المالية وبما يحتاج اليهِ كل فرع من فروع الحكومة من زيادة المصروفات لمصالح لا بدَّ منها . ولكن لما رُبطت الميزانية لسنة ١٩٠٠ لم يقدروا ان يحكموا بشيء لا من حيث الاصلاحات المالية ولا من حيث زيادة النفقات وظهر كأَنَّ انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ الى حد لم يعهد لهُ مثيل سيوقف الاصلاح ولو الى حين . ولكن يسرُّني ان اقول ان ميزانية سنة ١٩٠١ رُبطت والاحوال اصلح كثيرًا اذ قد اتضح ان التقدُّم في الاصلاح المالي وفي توفير المال اللازم للمصالح المختلفة تحسينًا للنظام الاداري صار من الممكنات

فصارت الملاحة في النيل حرةً مطلقة ووضعت ادارة السجون على اساس يرضي كل احد وسأتكلَّم على هذين الموضوعين بالتفصيل في ما يلي

ودُبّر المال لاصلاحات اخرى صغيرة غير هذين الاصلاحين اللذين لهما اهمية خاصَّة . فاعطيت نظارة المعارف ٧٠٠ ج.م راتبًا لاستاذ يدرّس التشريح في مدرسة الطب وزيد المال الممنوح للكتاتيب ٥٠٠ ج.م وزيدت مصروفات الحكومة ٢٩٠٠ ج.م في السنة بسبب ارجاع مديرية اصوان الى القطر المصري من حيث ادارتها . وزيدت ميزانية مصلحة الصحة ٥٨٠٠ ج.م وأُعدَّت المعدات اللازمة لتعيين مفتشي صحة اوربيين في القاهرة وبورت سعيد والسويس وزيد اقل راتب للاطباء الوطنيين والمفتشين في مصلحة الصحة من ٧٢ ج.م الى ٩٦ ج.م في السنة . واضيف الى مصلحة منع تجارة الرقيق ١٢٠٠ ج.م لكي تستطيع مقاومة النخاسة في السودان . وزيدت ميزانية نظارة الحقانية ١١٥٠٠ ج.م لازدياد اعمالها . وزيدت ميزانية نظارة الاشغال العمومية ٣٠٠٠ ج.م لاجل الكنس في شوارع العاصمة و ٥٠٠٠ ج.م للاسراع في اعمال فك الزمام و ٤٢٠٠ ج.م لانشاء اربع مجالس بلدية في اربع مدن من مدن المديريات بعد ان طلب اهاليها ذلك ولجَّ مجلس شورى القوانين في قبول طلبهم . واعطيت مصلحة البوستة ٥٤٠٠ ج.م لكي تستطيع ان تقوم بما زاد من اعمالها المتزايدة دوامًا و ١٤٠٠ ج.م لانشاء بنوك الاقتصاد في مصلحة البوسطة . وزيدت ميزانية الموانى والفنارات

٢٢٠٠ ج . م . واعدّت ٦٠٠٠٠ ج.م لدفع فائدة الدين الممتاز الجديد الذي يراد به اصلاح سكك الحديد وتمديدها

وقد ذكر المستر غورست في مذكرتهِ المطبوعة حديثًا عن ميزانية هذه السنة تفصيلات اخرى عن زيادة المصروفات

وجعلت الميزانية بعد كل هذه الزيادات المختلفة هكذا

الايرادات	١٠٧٠٠٠٠٠ ج . م
المصروفات	١٠٦٣٦٠٠٠ " "
زيادة الايرادات	٠٠٠٦٤٠٠٠ " "

ويدخل في المصروفات

اولاً	٦٣٠٠٠ ج . م لاستهلاك الدين
ثانيًا	٢٦٥٠٠٠ " المبلغ الذي يضاف الى وفر تحويل الدين
ثالثًا	٢٦٩٠٠٠ " حصة صندوق الدين من الزيادة السنوية

وقد وضعت الميزانية بما جرت بهِ العادة من الاعتناء ولا شبهة في ان الزيادة تكون اكثر مما قدّرت بهِ

ويدخل في تقدير الايرادات ٢١٦٠٠٠ ج . م اعطيت من الاحتياطي العمومي فاذا طرح هذا المبلغ من ميزانية الايرادات بقي ١٠٤٨٤٠٠٠ ج . م

السودان

للسودان تقرير خاص بهِ كما تقدَّم فاقتصر هنا على ذكر ما تحمَّلتهُ الخزينة المصرية بسبب احتلال السودان . فقد زادت النفقات التي تحملتها الخزينة المصرية لادارة السودان الملكية من ١٣٤٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ الى ١٩٤٠٠٠ سنة ١٩٠١ وقلّت النفقات الحربية ٦٠٠٠٠ ج . م فبقيت المصروفات المطلوبة من الخزينة المصرية ٤١٧٠٠٠ ج . م كما كانت في العام الماضي

ولا شبهة في ان هذا الحمل ثقيل . وعندي ان اغرب ما في استرجاع السودان سهولة حمل المالية المصرية لهذا العبء الثقيل من غير ان ترزح تحتهُ وذلك دليل من اعظم الادلة على ان الطبيعة خصَّت القطر المصري بمزية لاسترجاع قوتهِ بسرعة فائقة

ولا يظهر الآن انهُ يوجد سبيل قريب لتخفيف هذا الحمل عن عاتق المالية المصرية تخفيفًا

محسوساً. اما الفوائد التي تجنيها مصر عوضاً عن هذه الاموال الطائلة فلا يمكن تقديرها كلها بالارقام وهي مع ذلك فوائد حقيقية

فقد نجا القطر المصري مما كان يخشاهُ من غزو الدراويش لهُ. وزال كل خوف من عبثهم بماء النيل وهو حياة مصر. ومُهد السبيل للبحث عن انشاء اعمال تعود باكبر نفع على سكان وادي النيل في البلاد التي كانت في يد الدراويش وفُتح الباب للتجارة ولا بدَّ من انها تنفع القطر المصري اجمالاً وتزيد اتساعاً مع الزمان. ولم تبقَ حاجة الى استخدام عدد كبير من الجيش المصري. فخفف حمل الجندية من الآن. واخيراً زال العار من ترك بلاد كبيرة تعود الى البربرية بعد ما كانت في يد الحكومة المصرية وهذا امرٌ يعترف بهِ المصريون على ما ارجو واعتقد كما يعترف بهِ اهل بلادي الذين ساعدوهم في استرجاع السودان —

ولقد رأيت في الملاحظات التي ابداها مجلس شورى القوانين على تقدير الميزانية للسنة الحاضرة ان المجلس يصادق على مصروفات السودان لانهُ يحسبهُ جزءا من البلاد المصرية وهذا الرأي صحيح في جوهرهِ ولكن حكومة السودان جارية على مقتضى الاتفاق الذي عقد بين بريطانيا العظمى ومصر وأُمضي في ١٩ ينابر سنة ١٨٩٩. ولعل بعض اعضاء مجلس شورى القوانين لا يعلم مؤداهُ فاغتنم هذه الفرصة لاظهر انهُ لم يُقصد من هذا الاتفاق هضم حقوق مصر الشرعية بل غرض واضعيهِ الجوهري هو اولاً انشاء حكومة صالحة في بلاد السودان وثانياً تخليص السودان من مشاكل الامتيازات الدولية التي نراها في مصر. واظن انهُ لا يخفى على اعضاء المجلس مقدار المتاعب التي يمكن ان تؤدي تلك المشاكل اليها

ورأيت ايضاً ان اعضاء مجلس شورى القوانين طلبوا ان يطلعوا على تفاصيل ايرادات السودان ومصروفاتهِ في المستقبل. فليس هناك ما يمنع اطلاعهم على هذه التفاصيل ولذلك أُرسلت اليهم ميزانية السنة الحالية

الملاحة في النيل

كان في نظام المالية المصرية امور كثيرة على غاية الخطإِ ولكن لم يكن بينها ما لا ارى لهُ مسوغاً قط مثل رسوم الكباري اي الرسوم التي تدفعها المراكب التي تسير في النيل حينما تمر من تحت كبري قائم عليهِ. فان ضرر ذلك لم يقتصر على تكليف التجار دفع اجرة المسير في سبيل مهدتهُ لهم الطبيعة عفواً بل ان الكباري التي تنفع الذين يعبرون عليها تعيق السفن التي تمر تحتها لانها تضطرها كلها ما عدا القوارب الصغيرة ان تنتظر فتح الكبري في ساعات معلومة كل

يوم حتى تسير في طريقها . اما النظام المصري فيعفي الذين يعبرون على الكباري من كل رسم ويضطر الذين يمرون من تحتها الى دفع الرسوم الثقيلة مع انها تعيقهم عن المرور

ولهذا الامر الغريب سببان الاول ان تقاضي الرسوم الفاحشة من عدد قليل من المراكب التي تمر تحت الكباري اسهل من تقاضي رسوم طفيفة من كل من يمر عليها . والثاني ان سكك الحديد موازية للنيل في اماكن كثيرة بسبب شكل البلاد فخيف ان يقل ايراد سكك الحديد اذا اطلق سبيل الملاحة في النيل . والثاني اهم السببين . فأبقيت رسوم الكباري حرصاً على ايرادهاومنعاً للنقص في ايراد سكك الحديد

فكل الذين اطّلعوا على نظام المالية المصرية عرفوا مضار ذلك وقد اشار اليهِ اللورد نورثبروك منذ سنة ١٨٨٥ واشار ايضاً بالغاء رسوم الكباري ولكن احوال الخزينة المصرية لم تسمح بذلك الأ منذ عهد قريب. فقد أُمعن النظر في هذا النظام منذ سنتين او ثلاث فرأت مصلحة السكة الحديد انها غير قادرة على القيام بكل ما يطلب منها لنقل تجارة البلاد الدائمة الازدياد . واشارت غرف التجارة في الاسكندرية بازالة كل عائق في سبيل الملاحة في النيل واصابت في ما اشارت بهِ

فلما رُبطت الميزانية لسنة ١٨٩٩ أُلغي رسم كبري قصر النيل في القاهرة ويقدر ايرادهُ السنوي بمبلغ ١٨٠٠٠ ج . م . وكان المنتظر ان تلغى رسوم سائر الكباري سنة ١٩٠٠ ولكن انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ اجَّل هذا الاصلاح اضطراراً مع شدَّة الرغبة فيهِ

ويسرُّني ان اقول انهُ لما اريد وضع الميزانية لسنة ١٩٠١ وُجد ان الغاء الرسوم صار ممكناً عن كل الكباري والاهوسة ويقدَّر ما تخسرهُ الخزينة من ذلك بمبلغ ٤٦٠٠٠ ج . م وما ينقصهُ ايراد مصلحة السكة الحديد بسبب اطلاق السبيل للملاحة في النيل بمبلغ ٨٤٠٠٠ ج. م فدُبر المال لسد هذا النقص. اما تأثير الملاحة في ايراد مصلحة سكك الحديد فالمرجح انهُ لا يظهر كلهُ الأ بعد مضي مدة من الزمن وعندي انهُ ان نقص ايرادها فنقصهُ لا يكون كثيراً

فقد اصبحت الملاحة في النيل حرَّة الآن . وكل ما يطلب من اصحاب السفن رسم صغير على تسجيل سفنهم لان حفظ الامن العام يقتضي ذلك . فاستفادت الزراعة والتجارة فائدة عظيمة بذلك وزال عيب بيّن من ادارة البلاد المالية

خلاصة احوال المالية

تلخص احوال المالية المصرية على ما كانت عليهِ في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ بما يأتي

ان الايرادات العادية بلغت ١١٤٤٧٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ رغماً عن انخفاض النيل

سنة ١٨٩٩ اي انها زادت ٢٤٧٠٠٠ ج . م عما كانت عليهِ في السنة السابقة والايرادات زادت على المصروفات ٥٥٩٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠

ورصيد المال الاحتياطي العمومي بلغ ٣٥٢٩٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ من ذلك ٢٣٤٢٠٠٠ ج . م يراد صرفها على اعمال مختلفة . ورصيد المال الاحتياطي الخصوصي بلغ ٧٥٩٠٠٠ج.م بعد طرح ٥٠٠٠٠ج . م قرَّ القرار على صرفها ولم تصرف بعدُ

والوفر الناتج من تحويل الدين الممتاز بلغ ٤٠٠٢٠٠٠ ج . م الى آخر سنة ١٨٩٩

والدين المصري بلغ ١٠٢٧١٤٠٠٠ جنيهاً انكليزيًّا منها في صندوق الدين اسهم قيمتها الاصلية ٧٢٧٣٠٠٠ ج فيبقى في يد الجمهور ما قيمتهُ الاصلية ٩٥٤٤١٠٠٠ جنيهاً انكليزيًّا

وايرادات سنة ١٩٠١ تقدَّر بمبلغ ١٠٧٠٠٠٠٠ ج.م والمصروفات بمبلغ ١٠٦٣٦٠٠٠ ج.م فتزيد الايرادات ٦٤٠٠٠ ج . م والمرجح ان الزيادة تكون اكثر من ذلك

ويقال بالاجمال عن المالية المصرية منذ ابتداء الاحتلال سنة ١٨٨٢ انهُ في السنوات الاربع الاولى اي من غرة ١٨٨٣ الى ختام ١٨٨٦ زادت المصروفات على الايرادات ٢٦٠٦٠٠٠ ج . م وفي السنوات الاربع عشرة التالية اي من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٩٠٠ زادت الايرادات على المصروفات ٩٩٨٦٠٠٠ ج . م عدا ما تجاوزت الحكومة عنهُ لتخفيف الضرائب وما صرفتهُ على الاعمال العمومية وعلى السودان

ديون الفلاَّحين

اشرتُ في كثير من تقاريري السابقة الى الوسائل التي اتُّخذت اخيرًا ليتمكَّن الفلاَّحون بها من استدانة النقود بربًا معتدل . والظاهر ان البعض اهتموا بهذا الامر خارج القطر المصري ايضاً فبحثت فيهِ الجرائد الاوربية وسئلتُ عن نتيجة الاسلوب الذي جرينا عليهِ من جهات شتَّى بعُد بعضها عن بعض كزيلندا الجديدة وبلاد البوسنه

فيحسن بي ان اوضح الاسلوب المتَّبع في مصر من هذا القبيل ولو اعدت كثيرًا مَّما ذكرتهُ في تقاريري السابقة

لحل هذا المشكل اسلوبان يكادان لا يتغيران في كل البلدان التي يكون فلاحوها متأخرين ولكن لا مناص من معاملتهم على حسب الاصول المتبعة بين الدائن والمديون في كل البلدان المتمدنة

الاسلوب الاول هو سن القوانين التي تقي الفلاَّح عاقبة تبذيرهِ وجهلهِ واسرافهِ . وهذه

القوانين تمنعهُ من الاستدانة بالربا على اوجه شتى

والاسلوب الثاني هو عدم سن القوانين الواقية للفلاح والاستعاضة عنها بتسهيل الاستدانة عليهِ بربًا معتدل بحيث يتيسر للذين استدانوا من المرابين بربًا فاحش ان يستبدلوا دينهم بدين معتدل الربا وللذين لم يقعوا في ضيقة مالية ان لا يقعوا فيها بل يبقوا في سعة . وليس غرضي ان ابحث عن منافع هذين الاسلوبين ومضارهما وانما اقول ان الاسلوب الثاني اختير في مصر دون الاسلوب الاول

وهذا الاسلوب الثاني غير جديد بل ان البنوك العقارية انشئت لهُ في بلدان كثيرة منذ زمان طويل . وفي القاهرة بنك من هذا القبيل اسمهُ البنك العقاري المصري انشئَ منذ سنين . وقد ابنت في تقاريري السالفة ان هذا البنك لم يحلَّ القضية التي نحن بصددها ولو كان قد افاد كثيرًا من وجوه شتى . لان اقل مبلغ يدينهُ هو مئة جنيه وذلك يزيد غالبًا عما يستدينهُ الفلاح المصري

اما مزية الاسلوب المصري فهي في كيفية العمل بهِ على ما يظهر لي من امرهِ . ومعلوم ان الاهمية الكبرى في هذه الامور هي في كيفية العمل

ثم ان ادانة المال للفلاحين اما ان تكون من الحكومة او من بنك من البنوك

اما الدين من الحكومة فموانعهُ في مصر كثيرة لان الحكومة لا تستطيع ان تعطي المال المطلوب بسهولة من جهة ولانهُ لا وقت عند رجالها للجولان في قرى الفلاحين والبحث عن الذين يحتاجون الى الدين من جهة اخرى . بل لو كان عندهم وقت لذلك فليس من الصواب ان يفعلوهُ وزد على ذلك انهم لا يرجون منهُ شيئًا يرغبهم في الاعتناء بهِ فيحسبون انهم فعلوا كل ما يجب عليهم فعلهُ متى اعلنوا انهم مستعدون لاقراض الاموال التي تطلب منهم في اماكن معينة واوقات مخصوصة على شروط معلومة . فمثل هذا الاسلوب لا يفيد في القطر المصري ولا يمنع الفلاحين من ان يستدينوا المال بالربا الفاحش الذي قد يبلغ الاربعين في المئة على ما جرت بهِ عادتهم ولو قرأوا اعلانًا في قريتهم بانهم يجدون على اميال قليلة منهم من يدينهم المال بعشرة في المئة لا غير على شروط كثيرًا ما يجهلونها . فلا غنى اذ ذاك عن تدبير عملاء امناء يقصدون الذين يريدون ان يستدينوا ويشرحوا لهم فوائد الاسلوب الجديد . وقد بدأت الحكومة المصرية بذلك من نفسها ففي سنة ١٨٩٦ اقرضت بعض الفلاحين عشرة آلاف جنيه فاوفوها ما استدانوهُ (انظر تقريري عن مصر سنة ١٨٩٧) ولكن ثبت حينئذٍ انهُ اذا اريد التوسُّع في اقراض الفلاحين فلا بدَّ من الالتجاء الى البنوك

على ان الاستدانة من البنوك ليست بالامر السهل بل الصعوبة الكبرى في مصر انهُ ليس فيها بنك ذو وكلاء يحصلون الديون الكثيرة القليلة القيمة مع رباها في مواعيدها من مستدينين كثيري العدد ولا يمكن تعيين هؤُلاء الوكلاء لما نحن بصدده لان نفقاتهم كثيرة فيضطر البنك ان يزيد الربا لكي يسد تلك النفقات ويبقى لهُ ربح معتدل بعدها وهذا وحدهُ كاف لاحباط المسعي

فلهذا أُشيرَ باسلوب تحصل بهِ الفائدة المطلوبة ويمنع الضرر وذلك بان يتولَّى البنك المسألة المالية فيقدم الاموال المطلوبة ويكون كل ربحها لهُ وكل خسارتها عليهِ ولا يكون للحكومة دخل في ذلك بل البنك هو الذي يدين المال على يد وكلائهِ فيعين وكيلاً في كل مركز يطالب الناس ان يستدنوا المال فيهِ فيأخذ واحداً في المئة عمولة في السنة على كل مبلغ يُستدان منهُ ويقام على هؤُلاء الوكلاء مفتش عام انكليزي (وهو المستر سكوت دلغليش[1].) واريد تنبيه الاذهان بنوع خاص الى هذا الامر الاخير لانهُ جوهري في هذا الاسلوب. فالنجاح الذي ظهر حتى الآن سببهُ الاكبر ان المستر سكوت دَلْغليش يتردد على القرى التي جرت فيها هذه الاعمال وهو يحسن العربية ويعرف عادات الفلاحين ولذلك يستطيع ان يدير الوكلاء بما يعود بالنفع على البنك وعلى المستدينين منهُ وان يشرح للمستدينين كل ما يتعلق بالدين

ولا مدخل للحكومة الاَّ حينما يحين وقت استيفاء الدين فان الصرَّافين يجمعون الاموال المستحقة للبنك وهم يجمعون الاموال الاميرية فتتوفَّر على البنك نفقات استيفاء الديون .

ويدان المال بفائدة ١٠ في المئة في السنة يعطى واحد منها عمولة للوكيل والتسعة الباقية ثلاثة منها لنفقات البنك وستة ربح صافٍ لهُ ولكن لا بدَّ من ان يطرح منهُ بعض الديون التي يتعذَّر تقاضيها

هذا هو الاسلوب . اما نتائجهُ فكانت حتى الآن كما يأتي

في سنة ١٨٩٩ جرى العمل بهِ في مركز واحد فقط وهو مركز بلبيس فاستدان ٢٤٥٠ نفساً ٣١٥٠٠ ج . م

وسنة ١٩٠٠ جرى العمل بهِ في عشرة مراكز ثم اتسع نطاقهُ حديثاً حتى عمَّ الوجه البحري ففي سنة ١٩٠٠ استدان ٩٥٠٠ نفس ١٣٧٧٨١ ج . م وقد استدان ٦٢١٣ نفساً منهم ٣٦٢١٦ ج . م على شرط ان يوفوها في مدة سنة والباقون وهم ٣٢٨٧ نفساً استدانوا ١٠١٥٦٥ ج . م لكي يوفوها في خمس سنوات وهؤُلاء كانوا مديونين قبلاً يدفعون رباً فاحشاً فاوفوا ديونهم

---

(١) زادت الاعمال فعين مفتش انكليزي آخر حديثاً

بما استدانوهُ من البنك. والدين الذي كان مستحقًّا سنة ١٩٠٠ ومقدارهُ ٢٨١٢٢ من ٥٠٣٥٠ نفسًا أُوفي كلهُ وهذا مما يسرني ذكرهُ كثيرًا

والبنك مستعد الآن ان يدين الى حد ٢٥٠٠٠٠ ج.م ولا يستطيع ان يدين اكثر من ذلك ما لم يزد رأس مالهِ وانا واثق ان حال الاسواق المالية لا بد من ان تحسن تحسنًا يسمح بزيادة رأس مالهِ

وللسر الون بالمر رغبة شديدة في نجاح هذا المشروع وقد كتب اليَّ يقول

" لا شبهة في اننا نجحنا في هذا الامتحان فأفدنا الوفًا من الفلاحين وفرجنا كربهم فان اعطاءنا المبالغ القليلة من المال بربًا معتدل جعل المرابين يخفضون قيمة الربا في المراكز التي قرضنا فيها الفلاحين فافدناهم من هذه الجهة ايضًا. وكان في احد المراكز مراب كبير فلما شرعنا في معاملة الفلاحين ترك المركز ومضى .وحاولنا تدبير وكيل في مركز آخر فلم نستطع لان كل المنظورين فيهِ تقريبًا من المرابين فاضطررنا ان نأتي بوكيل من مكان آخر فلقي مشقة عظيمة في اول الامر لكن اخذ الاهالي الآن يرون فائدة التعامل مع البنك "

وقد قلتُ في العام الماضي ان هذا المشروع لا يزال في معرض الامتحان وهذا رأيي حتى الآن وسيمضي وقت طويل قبلما يحق لنا ان نقول انهُ جاز طور الامتحان . والخطر الاكبر من ان الفلاحين يرون انفسهم قد نجوا من ثقل الربا الفاحش فينفقون ما يبقى معهم من دخلهم على امور تورطهم في ديون أُخرى . والمرجح ان البعض منهم يفعلون ذلك ولكن يبعد عن الظن ان هذا يكون شأن الاكثرين . وكل ما يقال في ذلك الآن انما هو من قبيل الظن . ولا يعلم الاَّ بعد الاختبار الطويل ما اذا كان فلاحو مصر يقلعون عن عادة الاسراف التي اعتادوها ويعتصمون بحبل الاقتصاد بعد ان علموا ما لهم وما عليهم وصارت الضرائب تتقاضى منهم بالقسط وصاروا يتصرفون باملاكهم تصرُّف المالك بملكهِ . ورأيي المبني على اختباري الطويل في هذه البلاد انهُ اذا توفَّرت اسباب الاقتصاد للفلاح المصري ظهر اكثر اقتصادًا من الفلاح الانكليزي على الراجح واقل اقتصادًا من الفلاح الفرنسوي الذي من طبقتهِ . ويؤيد رأيي هذا ما كتب بهِ اليَّ السر الون بالمر وهو " لا دليل على ان الفلاحين الذين اوفوا ديون المرابين الفاحشة الربا يميلون الى ان يستدينوا اموالًا اخرى غير ما استدانوهُ من البنك بدليل ايفائهم ما يطلب منهم للبنك في حينهِ "

فالامر واضح مما تقدم ان هذا العمل المهم يستحق ان يُمتحن ايضًا مدة اطول

وقبل ان اختم الكلام على هذا الموضوع اذكر امورًا تتضح منها اساليب المرابين وفوائد

الاسلوب الذي جرى عليهِ البنك . ولقد سمعت مراراً ان عشرة في المئة ربًا فاحش يكتفي بهِ المرابون احياناً كثيرة . لكني قلت في ما تقدم ان هذا الاسلوب لا يسهل العمل بهِ ما لم يُستخدم لهُ وكلاء امناء والوكيل الامين لا يرضى بالشيء القليل . ولا اظن ان ستة في المئة ربًا كثير ولا سيما اذا اضفنا اليها الديون الهوالك . وفوق ذلك فاني ارتاب في ان الفلاحين يستطيعون ان يستدينوا مالاً من غير البنك بعشرة في المئة بل ان المرابي الذي يدَّعي انهُ جعل الربا عشرة في المئة يحسبهُ على اسلوب يصيّرهُ اكثر من ذلك كثيراً لانهُ يقدّر الربا على المبلغ الاصلي كلهِ ولو اوفيت اقساط منهُ سنة بعد سنة كما يظهر من المثال التالي وقد فرض فيهِ الاسلوب الذي يجري عليهِ البنك والاسلوب الذي يجري عليهِ المرابون غالبًا . لنفرض ان البنك سلَّف ١٠٠ ج . م على خمس سنوات بربًا ١٠ في المئة فتكون الاقساط السنوية هكذا

	راس المال	الربا	المجموع
السنة الاولى	٢٠ ج . م	١٠ ج . م	٣٠ ج . م
" الثانية	٢٠ "	٨ "	٢٨ "
" الثالثة	٢٠ "	٦ "	٢٦ "
" الرابعة	٢٠ "	٤ "	٢٤ "
" الخامسة	٢٠ "	٢ "	٢٢ "
المجموع	١٠٠	٣٠	١٣٠

فكأنَّ المديون دفع ثلاثين جنيهًا في خلال خمس سنوات لاجل استعمالهِ الدراهم التي استدانها من البنك

اما المرابي فيقسم المبلغ وفائدتهُ خمسة اقساط متساوية كل قسط منها ٣٠ ج . م ومجموعها ١٥٠ جنيهًا فكأن المديون دفع لهُ ٥٠ جنيهًا ربًا . وعليهِ فدفع الفلاحين ٣٠ جنيهًا فقط للبنك بمثابة دفعهم ٦ في المئة ربًا للمرابي . ولا اظن ان احدًا يدينهم بهذا الربا القليل

وكثيرًا ما تُكتَب الصكوك (الكمبيالات) بين الدائن والمديون على اسلوب يجعل ايفاءها قبل ميعادها ضربًا من المحال فلا يستطيع المديون ان يوفيها بمال يستدينهُ من البنك كأن يكون المال المدان ١٠٠ جنيه والمدة عشر سنوات فيقسَّط المبلغ عشرة اقساط كل قسط منها ٢٠ جنيهًا فاذا اوفى المديون قسطين في سنتين اي ٤٠ جنيهًا نصفها ربى ونصفها من اصل الدين فقد يُظنّ انهُ لم يبقَ عليهِ من الاصل سوى ٨٠ جنيهًا فاذا اوفاها خلص من الدين

لكن ليس الامر كذلك بل يضطر ان يدفع كل الفرق بين ٢٠٠ جنيه والاربعين جنيهاً التي اوفاها اي ١٦٠ جنيهاً وانما يطرح من ذلك رباً بمعدل ٧ في المئة لا غير . فمن استدان على هذا الاسلوب لايستفيد من ايفاء دينه بمال يأخذه من البنك

بنوك التوفير في مصلحة البوسطة

حان الوقت لان يمتحن انشاء هذه البنوك في مصلحة البوسطة المصرية لان المال قد توفر في يد الاهالي وستنشأ هذه البنوك اولاً في المدن والبنادر الكبيرة واذا نجحت وسّع نطاقها في البلاد كلها . واكبر مبلغ يودعه فيها الشخص الواحد ٢٠٠ ج . م ويكون الربا ٢ ١/٢ في المئة سنوياً. فتشترى بالنقود المودعة اوراق من اوراق الدين المصري وما زاد من فائدة هذه الاوراق على الفائدة التي تدفعها البنوك ينفق على ادارتها ومن المحتمل ان هذه الزيادة لا تكفي لادارة البنوك

وقد امتُحنت بنوك الاقتصاد في بلاد الهند فوفت بالمراد فكانت قبل سنة ١٨٨٢ في عواصم الولايات الثلاث (بنغالا ومدراس وبمباي) وفي خزائن الحكومة وبلغ المال المودع فيها حينئذٍ ثلاثين مليون ربيّة . ثم نقلت الى مصلحة البوسطة فتغير حالها سريعاً " ففي اول الامر هبط المال المودع فيها الى ٢٧٩٦٩٣٠ ربية ولكن الجمهور رأى حالاً سهولة التعامل مع مصلحة البوسطة فبلغ المال المودع فيها ٩٤٢٨٠٠٤٠ ربية سنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ "[1] ففاقت النتيجة ما كان ينتظر حسبما اتذكر وسيظهر المستقبل ما اذا كانت بنوك الاقتصاد تنجح في مصر نجاحها في بلاد الهند . واذا لم تنجح فخسارة الحكومة طفيفة جداً في جنب الفوائد الناتجة عنها للبلاد كلها لو نجحت ولذلك لم يكن ما يوجب التردُّد في امتحانها فعين لادارتها ١٤٠٠ ج . م في الميزانية وسيفتح اول بنك منها في غرة مارس

الدومين

لم تتم حسابات الدومين لسنة ١٩٠٠ حتى الآن ويؤكد ان الايراد زاد فيها على النفقات ٤٤٠٠٠ ج . م

وقد باع الدومين في غضون السنة ١٨٣٢٦ فداناً بمبلغ ٢٦٧٠٠٠ ج . م فزاد ثمنها ٢١ في المئة عن الثمن الاساسي . وتبلغ مساحة الاطيان الباقية ١٧٨٦٤٦ فداناً يقدر ثمنها ٣٤٤٩٠٠٠ ج . م (تعادل ٣٥٣٥٠٠٠ جنيه انكليزي)

---

(١) احصاء بلاد الهند الانكليزية مالياً وتجارياً سنة ١٨٩٩

وكان مقدار دين الدومين اولاً ٨٥٠٠٠٠٠ ج فلم يبقَ منهُ سوى ٢٨٩٨٠٠٠ ج وهذا المبلغ يتضمن ٤١٧٠٠٠ ج ثمن اطيان بيعت وقُسط ثمنها اقساطاً فلم يبقَ من الدين اذاً سوى ٢٤٨١٠٠٠ ج

ومن المرجح انهُ حينما يُوفَى الدين كلهُ يبقى عند الحكومة اطيان قيمتها مليون جنيه

وقد جرَّبت ادارة الدومين زرع القمح الهندي في السنة الماضية ايضاً فزرعت بهِ ١٥٥٠ فدانًا من ٦٨٠٠ فدان زرعتها قمحاً فبلغت غلة الفدان من القمح الهندي ٣٦ بشلاً وغلة الفدان من القمح البلدي ٢٨ بشلاً وكان سعر القمح الهندي اغلى قليلاً من سعر القمح البلدي

الدائرة السنية

قُدّرت ميزانية الايراد والمصروفات للعام الماضي هكذا

الايراد	١٤٨٧٠٠٠ ج . م نذا
المصروفات	١٠٩٨٠٠٠
زيادة الايراد	٠٣٨٩٠٠٠

ويبلغ ربا الدين على معدل ٤ في المئة ٢٤٠٠٠٠ ج . م والوفر من تحويل الدين ٤٢٠٠٠ وهو يدفع الى صندوق الدين فيبقى من زيادة الايراد ١٠٧٠٠٠ ج . م

واستُخرج في العام الماضي ٦٥٣٢٢ طنًّا من السكر بيعت بمبلغ ٦٨٩٠٠٠ ج . م

واوفي من الدين ٤٦٠٠٠ ج في خلال السنة الماضية وتبلغ قيمة الدين الاصلية الآن ٦١١٧٠٠٠ ج

وقبضت الدائرة في خلال السنة الماضية ٤٣٠٠٠ ج . م من ثمن اطيان باعتها وستقبض من ديوان الاوقاف ٧٧٠٠٠ ج . م ايضاً فيصير المقبوض من ثمن الاطيان المباعة ١٢٠٠٠٠ ج . م وهذا المال لا يمكن انفاقهُ الاَّ في استهلاك الدين

وقد كتب كروكشنك باشا يقول

"ينتظر ان يكون الايراد حسناً سنة ١٩٠١ رغماً عن هبوط ثمن السكر في الاسواق الاميركية والاوربية فان اصلاح آلات معامل السكر والآلات الرافعة الذي ابتدأ في العام الماضي تمَّ قبل الشروع في موسم العصر (ابتدأ هذا الموسم في ٢٦ دسمبر سنة ١٩٠٠) والنتيجة حسنة جدًّا حتى الآن فان مقدار السكر في المئة هو اكثر مما كان في مثل هذا الوقت في السنين الماضية وقد اقتصد في عدد الموظفين فالرواتب التي كانت ١١٩١٠٠ ج . م سنة

١٨٩٩ لا تزيد على ٤٥٦ ٧٤ ج . م سنة ١٩٠١ . والمنتظر ان صافي الايراد من سنة ١٩٠١ لا يقل عن صافي الايراد من سنة ١٩٠٠ "

سكك الحديد

بلغ صافي الايراد من سكك الحديد في العام الماضي نحو ٠٠٠ ٢٤٣ ١ ج . م يقابلهُ ٠٠٠ ١٩٥ ١ سنة ١٨٩٩ اي زاد ٠٠٠ ٤٨ ج . م

ولقد كثر الانتقاد حديثاً على مصلحة سكك الحديد المصرية . ولا غرابة في ذلك فقد ابنتُ انا وغيري مراراً كثيرة ان نظام هذه المصلحة مختلٌ من اصلهِ

وبعث اليَّ الماجور جونستن رئيس مجلس سكة الحديد بتقرير مسهب عن اعمال المصلحة في العام الماضي فرأيت ان انتقي بعض فصولهِ واثبتها هنا لاهميتها قال

" لقد كان في الامكان ان تكون نفقات هذه السكك ٤٥ في المئة فقط من ايرادها كلهِ منذ عشر سنوات او خمس عشرة سنة . وقد مضت عدة سنوات الآن والنفقات لا تزيد على ذلك حسب الظاهر لان بعضها كان يحال على الحسابات المعلقة والاعتمادات الخصوصية ولان المصلحة كانت تمتنع عن انفاق نفقات اخرى لا بدَّ منها لبقاء السكة ولوازمها في حال الانتظام وبالغت في ذلك حتى ان من لا يعرف احوال المصلحة حق المعرفة لا يمكنهُ ان يدرك حرج المركز الذي صارت فيهِ . وقد نضطرُّ في بحر السنتين التاليتين ان نمنع نقل البضائع على بعض الخطوط لكي نجددها لان قضبانها وكباريها وقاطراتها ومركباتها وعرباتها تتلف الآن بالسرعة التي ترمم فيها او تبدل بغيرها ان لم يكن باسرع من ذلك

"واذا التفتنا الى ما اجريناهُ من الاصلاح في غضون السنة نجد ان التأثير الاكبر كان لجلب مئتي عربة اميركية محمول كل منها ٣٠ طناً طلبها سلفي فكانت الفائدة منها فوق ما قدّرتُ فزالت الشكوى من قلة العربات او كادت . وبعض السبب في ذلك ان الحاجة نفسها الى النقل لم تكن شديدة هذا العام كما كانت قبلاً وبعضهُ اصلاح فروع اخرى من فروع المصلحة ولكن اكثرهُ من وجود هذه المركبات فانها واسعة وخفيفة فتعي كثيراً من البضائع لاتساعها وتجرُّ القاطرات منها اكثر مما تجرُّ من غيرها عشرين في المئة لخفتها . وقد انتقد البعض هذه العربات شديداً ولا بدَّ لي من القول ان فيها كثيراً من العيوب الصغيرة ولكن يردُّ على كل انتقاد انها تصنع على اسلوب خاص وذلك في معملين فقط واحد في انكلترا وواحد في اميركا والمعمل الانكليزي يقتصر على صنع العربات الكبيرة التي يفضلها مهندسو

الانكليز واثمانها غالية وهذا المعمل مشغول جدًّا لا يستطيع ان يلبي طلبنا بسرعة . والمعمل الاميركي يصنع العربات الخفيفة الرخيصة وهي تفي بالمراد وهو يسرع في عملها . ولسوء حظنا كان هذا المعمل آخذًا في تغيير ادارتهِ لمَّا قُدّم اليهِ طلبنا فتأَخر عن الشروع في عملها ثم اسرع فيهِ جدًّا وقد غرَّمناهُ غرامة طائلة لاجل تأخرهِ لكن ذلك لم يمنع وقوع عيوب كثيرة في العربات بسبب السرعة في عملها. وقد تعبنا كثيرًا في مداواة هذه العيوب ورأَينا ان بعض المزايا ضُحّيت في سبيل تخفيف العربات وقد تكون اهمية هذه المزايا قليلة في اميركا ولكنها كثيرة في هذا القطر غير ان هذه العيوب كلها لا توازي الفائدة الكبيرة التي حصلنا عليها من جلب عربات واسعة رخيصة الثمن في وقتٍ قريب . ويظهر من ذلك ان هذه العربات وفت بغرضنا وقد تعلمنا منها ان نتلافى خللها في العربات التي طلبناها بعدها

"وقد زاد التدقيق في قيام القطرات البطيئة ووصولها بقليل من التغيير في مواعيدها . اما القطرات السريعة فلا تزال على غير ما يرام لان قواطرنا لا تفي بالمراد . وقد وصلت ٣٢ قاطرة جديدة وهي تستعمل الآن باسرع ما يمكن وستصل ٢٢ قاطرة اخرى قريبًا . لكنَّ كثيرًا من القواطر التي عندنا مما صُنع في معامل بلجكا يكاد يتكسر من كثرة الاستعمال وقلة الترميم ولو أُتقن صنع هذه القواطر من اول الامر لامكن ان نتحمل اكثر كثيرًا مما تحملت . ولابدَّ لنا من ان نجلب قواطر اخرى كثيرة حالاً . وهذا مما يسوءُنا جدًّا اذ الافضل لنا ان نمتحن القواطر التي جلبناها قبلما نجلب غيرها

"وطلبنا ايضًا كثيرًا من المركبات والعربات لان الحاجة ماسَّة اليها . وسنحتاج الى مركبات اخرى ولكن ما طلبناهُ منها الآن يسدُّ الحاجة الوقتية . اما العربات فحينما يصل ما طلبناهُ منها نصير في غنىً عن طلب غيرها الى ان تزيد صادرات القطر بعد انشاء الخزان واتساع نطاق الزراعة . وقد طلبنا المركبات والعربات من معمل نمسوي لان سعرهُ كان ارخص من غيرهِ في العربات اما المركبات فكان سعر معمل اشبري الانكليزي ارخص من غيرهِ فطلبناها منهُ اولاً لكنهُ حذف طلب الضمانة المالية من الشروط فبعثت اليهِ تلغرافًا اطلب منهُ ان يبدل الضمان المالي بشيءٍ آخر فابى فاضطررت ان اطلب المركبات من غيرهِ . ولا بدَّ لنا من طلب ضمان ما لانهُ من العبث مطالبة متعهد في مصر وهو لا يملك شيئًا في ما تصل اليهِ سلطة المحاكم المصرية . ولا اظن اننا نستطيع ان نداعي المتعهدين في المحاكم الانكليزية ونحن في مصلحة اجنبية . ثم ان طلب هذا الضمان منهم لا غبن فيهِ عليهم لانهم يستطيعون ان يحاكمونا في المحاكم المختلطة اذا ابقيناهُ عندنا لغير سبب . واظن مع هذا ان شرط الضمان

والغرامة ثقيل جدًّا في شروطنا ولذلك اخذت في تعديلهِ . ونحن مستعدون لقبول ما يقوم مقام الضمان المالي مما يشير بهِ المتعهدون. واذا اخذنا غرامة فانما نقدرها على حسب الخسارة التي تحملناها او الخلل الذي وقع بسبب تأخر المتعهد ولا نأخذ كل الغرامة المذكورة في شروط التعهد لان المذكور في الشروط هو اقصى غرامة نتقاضاها . وكل تأخُّر نرى لهُ سببًا قانونيًّا نتغاضى عنهُ . وقد غرَّمت كثيرين في السنة الماضية حيثما كنت اتحقق ان المتعهد لم يقدّم ما تعهد بهِ في الاجل المعين إما ليقتصد في اجرة النقل او ليبدئ غيرنا علينا او لتصل اليهِ المواد رخيصةً . وقد عاملتُ متعهدًا انكليزيًّا بشيءٍ من الصرامة لانهُ ابى ان يقدم ما تعهد بتقديمهِ زاعمًا انهُ لم يمعن نظرهُ في مثالنا قبل تقديم الطلب(مع ان المثال كان في لندن حيث يستطيع ان يراهُ) ولذلك لا يستطيع ان يقدّم المطلوب بالثمن الذي حدَّدهُ

"وقد اوصينا في السنة الماضية على ثلاثين قاطرة ومن المرجح اننا سنوصي على ثلاثين قاطرة سنويًّا على مدة سنوات لتقوم مقام القواطر التي تلفت من كثرة الاستعمال ولتفي بما يستدعيهِ اتساع التجارة . وكانت الطلبات الاميركية اصلح من غيرها من كل وجه ولكن الاميركيين لا يصنعون القواطر على حسب رسومنا فاوصينا محل نيلسن ودريد بغلاسكو على عشر قواطر لان سعرهُ كان ارخص من كل سعر اوربي غيرهِ حسب رسم رسمهُ مهندس القواطر عندنا ونحن نحسبهُ صالحًا جدًّا لقطرات الركاب الثقيلة وقد يكون صالحًا ايضًا لقطرات البضائع السريعة الخفيفة وهو مثل القواطر التي استعملت في سكة الحديد الشرقية ببلاد الانكليز منذ ١٥ سنة ووجد انها غير صالحة للاكسبرس السريع ولكنها صالحة لقطرات البضائع السريعة . وميعاد تسليم هذه القواطر بعيد جدًّا حتى لقد نضطر ان نوصي على قواطر غيرها من اميركا قبلما تصل لكن بلغني ان المعمل باذل جهدهُ ليسلمنا اياها قبل الميعاد المحدَّد في التعهد

"واوصي معمل بلجي سنة ١٨٩٩ على عشرين قاطرة فتمت ونحن آخذون في استعمالها وهي مصنوعة حسب رسم المستر ترِڤِثك وراقب رجل ثقة عملها حينما كانت تصنع في المعمل . وهي من النوع الذي وُجد صالحًا جدًّا في سكة الحديد الشرقية ببلاد الانكليز للخطوط الجانبية والفروع في قطرات الركاب والبضائع وقد فُرجت بها ضيقتنا"

السكة بين قنا واصوان

ان القسم الضيق من هذه السكة بين لقصر واصوان كان في بداءة سنة ١٩٠٠ في حالة يرثى لها بسبب التقتير على حفظهِ وقلة المراقبة عليهِ ولا سيما على قواطرهِ . فاقيم لهُ مفتش انكليزي واُطلقت يدهُ في اصلاحهِ فزاد التدقيق فيهِ واُصلحت مركباتهُ واضيف اليهِ كثير من العربات

الاميركية التي محمول كل منها ٢٠ طنًّا . وينتظر ان يزيد نقل البضائع على اثر ذلك . والآن ينفق كل دخل هذا الخط على تشغيلهِ وحفظهِ . وما يدفع الى الشركة التي انشأتهُ يؤْتى بهِ من مصادر اخرى . وقد طُلب من اعضاء صندوق الدين ٩٠٠٠٠ ج م لاصلاحهِ فاذا أُصلح صارت نفقاتهُ نحو ستين في المئة من ايرادهِ ولا ينتظر منهُ اكثر من ذلك نظرًا لفقر البلاد التي تعتمد عليهِ (لان فيها قفارًا شاسعة) ولمناظرة الملاحة في النيل لهُ

السكك الحديدية الزراعية

لما اعطت الحكومة امتياز السكك الحديدية الزراعية ضمنت ان يكون صافي ايرادها من كل كيلو ٣٦ ج . م وقضت بان لا تزيد نفقات التشغيل كلها على ٦٠ في المئة من الايراد كلهِ . وحُسب حينئذٍ ان ما ضمنتهُ الحكومة يساوي ٣ في المئة من الاكلاف الاصلية المقدَّرة بالف ومئتي جنيه مصري لكل كيلومتر . فاذا بلغ ايراد السكة ٩٠ جنيهاً عن كل كيلو متر بطل ضمان الحكومة لانهُ اذا طرح منهُ ٥٤ جنيهاً (وهي نفقات التشغيل على معدل ٦٠ في المئة) يبقى ٣٦ جنيهاً . واذا زاد ايراد الكيلومتر عن ٢٢٥ جنيهاً قسمت الزيادة بين الحكومة والشركات صاحبة الخطوط مناصفة

وها نذا اذكر بعض التفاصيل عن احوال هذه السكك الحاضرة

مدَّ حتى الآن ٩٢٤ كيلو مترًا (٥٧٤,٥ ميلاً) من السكك الضيقة وهي تستعمل الآن

وكانت الامتيازات اولاً لسبع مئة وواحد وستين كيلو مترًا (٤٧٣ ميلاً) ثم وجدت الشركات ان لا بدَّ لها من ان تطيل خطوطها اكثر مما قدّر لها اولاً

ولما ابتدأت سنة ١٩٠٠ كان في القطر اربع شركات مستقلة شركة سكة حديد الدلتا الضيقة وشركة سكة المنصورة والمطرية وشركة سكة الحديد الشرقية الضيقة وشركة الفيوم . وفي شهر دسمبر الماضي امتزجت شركة الدلتا وشركة الشرقية

ومُدَّ مع هذه الخطوط ٣٨٦ ميلاً من اسلاك التلغراف والتلفون

وحيث تتقاطع خطوط هذه الشركات مع سكة الحكومة فالشركات تحفر لها طريقًا تحت سكة الحكومة او تقيم لها طريقًا فوقها وقد كاد ذلك يكون عامًّا ونفقاتهُ كثيرة ولكن فوائدهُ للسكك الضيقة كثيرة ايضاً فيسهل بهِ تشغيلها ويزول خطر الاصطدام

وكانت نفقات انشاء هذه السكك هكذا

الخط بين المنصورة والمطرية ٢٢٨٥ ج . م للكيلومتر

سكة الحديد الشرقية ١٥٥٠ " " "

" حديد الدلتا ١٠٩٢ " " "

اما نفقات الكيلومتر في سكة الفيوم فلا يمكن الحصول عليها حتى الآن

واقل اجرة يدفعها الركاب على هذه الخطوط

سكة المنصورة والمطرية ٤ اعشار البني في الميل[1]

" الحديد الشرقية ٦ " " " "

" حديد الدلتا ٤٥ في المئة من البني " "

" " الفيوم ٥٥ " " " " " "

وعدد الركاب الذين يستعملون هذه السكك يفوق ما قدّر له ومتوسطهُ في السكك الثلاث الاولى ٤٢٠٠ راكب لكل كيلومتر في السنة

اما البضائع فلا ينقل منها حتى الآن قدر ما كان ينتظر لان مجال هذه الخطوط قصير جدًّا والنقل على الجمال والحمير والقوارب يناظرها مناظرة شديدة ولكن نقل البضائع بها على ازدياد سنة بعد سنة. وقد جعلت لنقل السباخ اجرة رخيصة جدا ثمانية اعشار البنسي للطن عن كل كيلومتر ونقلت شركة الدلتا ٤٠٠٠٠ طن من السباخ سنة ١٩٠٠ واجرة النقل في ما سوى ذلك مثل اجرة النقل العادية في سكة الحكومة

ومن المرجح ان هذه السكك ستصير تربح ربحًا معتدلاً في سنوات قليلة من ٤ الى ٤ ١/٢ في المئة بالنسبة الى رأس مالها وغاية ما تحتاج اليه العناية وحسن الادارة ليعتاد الفلاحون استعمالها . وقد علمت في هذه الاثناء ان شركة الفيوم مرتبكة ماليًّا وهذا ساءني بنوع خاص لان ادارتها وطنية محضة

ولا شبهة في ان هذه السكك كبيرة الفائدة للبلاد الزراعية فلم تبق جهة في الوجه البحري الاّ وقد صار الوصول اليها ممكنًا بسكة الحديد وقلّت نفقات نقل القطن وغيره من الحاصلات كثيرًا وزاد ثمن الارض المجاورة لهذه السكك بعد انشائها زيادة كبيرة

السكك الزراعية

أُنفق ٤٨٠٠٠ ج . م في السنة الماضية على انشاء سكك زراعية جديدة فانشئ منها ما طوله ٢٠٥ كيلومترات فصار طول السكك الزراعية كلها في القطر المصري ٢٥٠٠ كيلومتر

(١) (اي نحو غرش صاغ عن كل سنة اميال . المقطم)

التلغراف

بلغ ايراد مصلحة التلغراف ٦٥٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ يقابل ذلك ٥٩٠٠٠ ج . م سنة ١٨٩٩ . وبقيت المصروفات كما كانت سنة ١٨٩٩ اي ٤٤٠٠٠ ج . م أُنفق منها ٤٠٠٠ جنيه علي تلغرافات سكك الحديد فيكون ما انفق على التلغرافات العمومية التي بلغت اجرتها ٦٥٠٠٠ ج . م ٤٠٠٠٠ ج . م فقط وهذا دليل على ان ادارة هذه المصلحة تراعي جانب الاقتصاد الواجب . وقد بلغ عدد التلغرافات التي دُفعت اجرتها في السنتين الماضيتين ما في هذا الجدول

التلغرافات العربية	٦٠١٩٨٠	٦٧٨٤٩٦
" الافرنجية	٥٢٠٢٧٤	٦١١٧٨٤
والجملة	١١٢٢٢٥٤	١٢٩٠٢٨٠

فبلغت الزيادة في عدد التلغرافات ١٦٨٠٠٠ . وبلغت شكاوى الاهالي سنة ١٩٠٠ واحداً وتسعة اعشار في كل ١٠٠٠٠ رسالة تلغرافية وكانت سنة ١٨٩٩ اثنين في كل ١٠٠٠٠ رسالة

والظاهر ان الجمهور راغب في التلغرافات المستعجلة التي قيمتها ثلاثة اضعاف القيمة العادية فقد أُرسل منها ٩٣٠٠٠ تلغراف في السنة الماضية

وبلغني ان الاشجار التي زرعت لتؤخذ منها اعمدة التلغراف كما ذكرت في تقريري الماضي نامية نمواً حسناً

واعطى صندوق الدين ١٢٠٠٠ ج . م لانشاء خط تلفون بين القاهرة والاسكندرية وسيشرع في مده حالما تهيأ المعدات اللازمة له

مينا الاسكندرية

لا شبهة في ان مينا الاسكندرية لا يفي بما يرى من الازدياد في تجارة البلاد ما لم تعمل فيه اعمال اخرى كثيرة . والامر على غاية من الاهمية فلا احاول البحث فيه بالتفصيل في هذا التقرير ولكني اقتبس الفقرة التالية من تقرير قدمهُ اليّ الماجور جونستن قال

"من المرجح اننا نضطر الى انفاق نفقات طائلة هذه السنة فان التجار يقولون ان لا بدَّ من توسيع الرصيف كثيراً . ومن المحتمل انهُ يمكن الاستغناء عن كثير من هذا التوسيع باستعمال الآلات المتقنة . وقد تمَّ شيء من هذا الغرض بوضع نواقل الفحم التي اوصى عليها الماجور جروارد سنة

١٨٩٩ [١] وستكون مستعدة للعمل في مايو او يونيو على ما انتظر . وقد قال لي واحد من اخبر صانعي آلات الرفع انهُ ما من معمل انكليزي يستطيع ان يصنع آلات لنقل الفحم تقارب هذه الآلات في سرعة حركتها ومقدار ما تنقلهُ . وانا ابحث الآن عن جلب الروافع الكهربائية وعن توسيع الرصيف . وقد تمّ التوسيع الذي قرّ القرار عليهِ قبلاً ولكن الجزء الذي وُسّع لم يستعمل حتى الآن كما يجب ان يستعمل اذ لا بدَّ من تركهِ مدةً حتى يستريح بناؤهُ

وقد وصلتنا رافعة كبيرة مما يطفو على وجه الماء قوية جدًّا ترفع اربعين طنًّا ونحن آخذون في تركيب آلاتها وهي من محل فلمنغ وفرغوسن بغلاسكو "

الحوض التجاري

الحاجة ماسّة منذ زمن طويل الى انشاء حوض تجاري في الاسكندرية . وقد شرعتْ شركة الوابورات الخديوية في انشاء حوض طولهُ ٥٢٠ قدمًا وعرضهُ ٥٨ قدمًا وعمقهُ ٢٣ قدمًا وسيتم في اربع سنوات ابتداء من ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٠ حسب الاتفاق بين الحكومة المصرية والشركة

الفنارات (المنائر)

بلغ الايراد من رسوم الفنارات في العام الماضي ٨٥٠٠٠ ج . م يقابلهُ ٨٨٧٠٠ ج . م سنة ١٨٩٩ فكان فيهِ نقص اكثر من ٣٠٠٠ ج . م ومن اسباب هذا النقص ان سفنًا كثيرة عبرت الكنال من قبل حكومات مختلفة لاجل حرب الصين وهي معفاة من الرسوم حسب الاتفاق الحاضر

ودخل الاسكندرية ٥٣٧ سفينة من المدخل الجديد بين شروق الشمس وغروبها . ولم يحدث لها الاّ حادث واحد سببهُ الاهمال على ما بلغني . وانقذت السفينة التي حدث لها هذا الحادث حالاً من غير ضرر فلم تسدّ المدخل

ومما يذكر في هذا الصدد انهُ ثارت عاصفة علت بها امواج البحر الاحمر جدًّا ولطمت فنار ديدالوس الذي فيهِ فجرفت مستودع البترولیوم وانبوبهُ وقلقلت اساس الفنار لكن حفظتهُ واسماؤُهم وليم بروك وصموئيل سبير وجون كورتس خاطروا بانفسهم وخلصوا من البترولیوم ما كفى الفنار ثمانية ايام الى ان اتاهم المدد

(١) اتي بها من اميركا

تعديل الضرائب

جرى العمل في تعديل الضرائب سنة ١٩٠٠ على النسق الذي وُضع لهُ. وتم في مديريتي الشرقية والبحيرة وكان قد ابتدأ فيهما اولاً . وتقدَّم كثيرًا في الغربية وشرعت اللجان في الجيزة وينتظر اتمام هاتين المديريتين في سنة ١٩٠١

ولما انتهت سنة ١٨٩٩ كانت اللجان قد عدَّلت ضرائب ٣٧٩ بلدًا من بلدان الشرقية والبحيرة . وكانت اللجان الابتدائية منها قد اتمت عملها في ١٠٠ بلد اخرى ولكن لم تكن مدة الاعتراض وهي ثلاثون يومًا قد انقضت. وتمَّ في سنة ١٩٠٠ تعديل الضرائب في البلدان الباقية وهي ١٩٧ بلدًا بلغت مساحة اطيانها ٢٦٢٥٠٠ فدان . وشرعت اللجان في الغربية في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولما انتهت السنة كانت قد اتمت ٣١٠ بلدان فيها ١٦٣ ٣٧٢ فدانًا . وانقضت مدة الاعتراض في ٤٣ بلدًا من هذه البلدان . وبلغت مساحة كل الاطيان التي عدلت ضرائبها سنة ١٩٠٠ في المديريات الثلاث ٦٣٤٦٦٣ فدانًا اي كان المتوسط اكثر من ٥٢٠٠ فدان في الشهر

وها نتيجة التعديل في المديريتين اللتين تمَّ العمل فيهما

	الاطيان التي عدلت ضرائبها	الضريبة الحالية	الضريبة الجديدة	الزيادة
في الشرقية	٤٢٧٢٠٠ فدان	٣٩٩٥٨٨ ج م	٤٣٣٦٨٩ ج .م	٣٤١٠١ ج .م
" البحيرة	٣٨٤١٠٣ "	٣٤٦٤٢٨ " "	٣٩٤٥٨٩ " "	٤٨١٦١ " "

والزيادة في المديريتين ٨٢٢٦٢ ج .م

ويعمل بهذا التعديل من ابتداء سنة ١٩٠٥ حسب نص المادة السادسة من الدكرتو الصادر في ٥ مايو سنة ١٨٩٩

ومما يسرُّ ان عدد المعترضين على هذا التعديل لا يزال قليلاً فمن ٣٦٣ بلدًا في الشرقية وردت الاعتراضات من ١٧٢ بلدًا . ومن ٣١٣ بلدًا في البحيرة وردت الاعتراضات من ١٢٥ بلدًا وجملة الاعتراضات ٨١٢ اعتراضًا رفضت اللجنة الاستئنافية التي تقدَّم لها ٥٠٣ اعتراضات منها. ومضت مدة الاعتراض على ٢٦٧ بلدًا من بلدان الغربية التي عدلت ضرائبها فلم يعترض منها سوى ١٠٢

وقد نشرت اعمال اللجان حتى تبلغ كل احد فكانت التقديرات الاخيرة عن كل حوض في البحيرة والشرقية تنشر في ملحق بالجريدة الرسمية وفي البلدان نفسها ولم يكد احد يعترض عليها .

ولذلك استمرَّ التعديل والاعتراض عليهِ قليل وجمهور اصحاب الاطيان راضٍ عنهُ على ما يظهر

نقود الورق

بلغت قيمة نقود الورق التي تتداولها ايدي الناس ١٠٠٠٠٠ ج.م في ختام سنة ١٩٠٠ وكانت ٦٠٠٠٠ ج.م في ختام سنة ١٨٩٩ ولكن كان متوسط نقود الورق المتداولة واحداً في السنتين ولا بدَّ من زمن طويل قبلما يكثر الجمهور من التعامل بهذه النقود

الملح

ابنت في تقريري الماضي انهُ سيناط بيع الملح بشركة مخصوصة وان المستر هوكر الذي كان مديرًا عامًّا لمصلحة الملح عين مديرًا عامًّا لهذه الشركة. و يظهر من مقابلة الايراد بالنفقات بين سنتي ١٨٩٨(١) و١٩٠٠ ان الايراد زاد من ١٩٤٠٠٠ الى ٢٠٧٠٠٠ج.م فبلغت الزيادة ١٣٠٠٠ ج.م. وزاد الملح المباع ٢٠٧١ طنًّا فانهُ كان ٤٦٦٢٠ فبلغ ٤٨٦٩١ طنًّا

وتمتد اعمال هذه الشركة من الاسكندرية الى وادي حلفا مسافة ١٠٠٠ ميل ومما يستحق الالتفات ان ثمن كل الملح الذي يباع في هذه البلاد الواسعة يقبضهُ اناس وطنيون تحت ادارة اربعة مفتشين فقط من الانكليز

مصايد الاسماك

شرحتُ في تقاريري الماضية ان كل السمك الذي كان يصاد من بحيرة المنزلة قبل سنة ١٨٩٧ كان ملكاً للحكومة ويباع بالمزاد ويأخذ الصيادون اربعين في المئة من الثمن والباقي وهو ستون في المئة يدفع الى خزينة الحكومة. وكان هذا النظام فاسدًا في مبدإِهِ كانت نفقاتهُ كثيرة ومساوئهُ عديدة فأُلغي وأُبدل بنظام آخر وهو ان تعطى رخص لقوارب صيد السمك وابطلت الادارة الكثيرة النفقات التي كانت تدير النظام السابق. ومن ثم ابتدأت صناعة الصيد تنمو وتنجح وكان عدد القوارب التي رُخص لها ٩٣٧ قاربًا سنة ١٨٩٧ فبلغت ١٠٣٢ سنة ١٨٩٩ و ١١٣٧ سنة ١٩٠٠ وقدّر اولاً ان ايراد الحكومة سيقل كثيرًا بهذا الاصلاح ولكن كاد ايراد العام الماضي يبلغ صافي ما كان يبلغهُ الايراد قبلما غير النظام السابق. وخفض الرسم على نوع من القوارب في العام الماضي ومع ذلك زاد الايراد ١٨٠٠ ج.م عما كان سنة ١٨٩٩

---

(١) اما سنة ١٨٩٩ فهي السنة التي انتقلت فيها هذه المصلحة. والارقام المذكورة هنا لا تنطبق على ما في الميزانية لانهُ حين اريد مقابلة الايرادات ترك ايراد بعض الاشياء التي لم تدخل ضمن التنازل الشركة وهو نحو ٥٠٠٠ ج.م في السنة

وقد المعت الى هذا الموضوع لانهُ دلَّ على ان ابدال نظام مالي فاسد بنظام اصلح منهُ تكون نتيجتهُ النفع غالبًا ولو ادَّى الى شيءٍ من التعب الوقتي

التجارة والجمارك

في الجدول التالي قيمة تجارة القطر المصري سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٠

	١٨٩٩	١٩٠٠	الزيادة سنة ١٩٠٠
الواردات	١١ ٤٤٢ ٠٠٠	١٤ ١١٢ ٠٠٠	٢ ٦٧٠ ٠٠٠
الصادرات	١٥ ٣٥١ ٠٠٠	١٦ ٧٦٦ ٠٠٠	١ ٤١٥ ٠٠٠
المجموع	٢٦ ٧٩٣ ٠٠٠	٣٠ ٨٧٨ ٠٠٠	٤ ٠٨٥ ٠٠٠

وهذا اعظم ما بلغتهُ هذه الارقام في سنة من السنين الماضية

والزيادة في قيمة الواردات ناتج اكثرها من اتساع التجارة ولكن بعضها ناتج من زيادة توريد الحبوب بسبب انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ الذي ظهر اكثر تأثيرهِ سنة ١٩٠٠ وبعضها من زيادة رسوم الشحن وبعضها من اصلاح اسلوب التثمين في الجمارك

والبضاعة الوحيدة التي قلَّ الوارد منها من البضائع المهمة هي الصابون فقد قلَّ الوارد منهُ في السنة الماضية ٢١ في المئة عما كان عليهِ متوسط السنوات الخمس السابقة وسبب ذلك انشاء المصابن في القطر

ويظهر من الجدول التالي المواد التي كانت الزيادة الكبرى فيها وما ورد منها سنة ١٩٠٠ ومتوسط ما ورد منها في السنوات الخمس السابقة

	متوسط سنوات من ١٨٩٥ — ١٨٩٩	الوارد سنة ١٩٠٠	الزيادة في المئة
السمنتو	١٤٥٥٠ برميل	٤٢٥٤٠٠	١٩٢
السكر	٤٤٥٥٠ قنطارًا	١١٦٦٤٠	١٦٢
الزبدة	٣٨٦٠٠٠ كيلو	١٥٨٧٠٠	٩٢
الزيت	٨٧٠٠٠ "	١٦٤٧٠٠٠	٨٩
السمسم	٣٧٦٠ طنًا	٦٣٦٢	٧٣
المنسوجات القطنية	٦٧٢٤٠٠٠ مترًا	١١٧٤٧٠٠	٧٤
"	١٧٣٢١٠٠ " كيلو	١٩١٠٣٠٠٠	١٠

الشاي	١٠٢٥٠٠	كيلو	١٦٧٣٠٠	٦٣
الارز	٢٠٧١١	طنًا	٣٠٤٨	٤٧
الشعير	٩٨١٩	"	١٥٢٦٠	٥٥
اللحم المملح	٨٠٠٥٠	كيلو	١١٦٢٠٠٠	٤٥

وقد زاد الوارد من السمنتو بسبب خزان اصوان وغيره من المباني العمومية التي تنشأ الآن

والسكر يرد الى القطر من روسيا والنمسا لان الوارد منهما رخيص جدًّا

والسمسم يستعمل اكثره لعمل الحلويات وقد زادت مقطوعيتها كثيرًا في السنوات الاخيرة

اما المنسوجات القطنية فلا شبهة في ان اعادة تجارة السودان هي السبب لبعض زيادتها

ومما يستحق الالتفات ان الطلب كثير في السودان للشمع والسكر والشاي وقد بلغت قيمة الشمع الوارد الى القطر المصري ٣٧٦٠٠ ج.م سنة ١٩٠٠ وكانت ٢٦٩٠٠ ج.م سنة ١٨٩٩

وزيادة الشعير والارز ناتجة عن زيادة المقطوعية وعن قلة المحصول بسبب هبوط النيل

وزاد ايضًا الوارد من البترول وانشئت له الحياض في السويس والاسكندرية لكي يجلب بمقادير كبيرة فجُلب منهُ كذلك ٩٨٩٢ طنًّا سنة ١٩٠٠

وزادت قيمة الآلات الواردة ٤٠ في المئة عن متوسط السنوات الخمس السابقة وقيمة الحديد والصلب (الفولاذ) المصنوعين ٧١ في المئة عن متوسط السنوات الخمس السابقة وسبب ذلك زيادة الاسعار وزيادة الوارد . وبلغت قيمة الخشب الوارد في العام الماضي ٦٧٨٢٠٠ ج.م اي زادت ٢/١ ٥ في المئة عن قيمة الخشب الذي ورد سنة ١٨٩٩ و ٢٦ في المئة عن متوسط قيمة الخشب الذي ورد في السنوات الخمس السابقة

ويظهر من الجدول التالي كم في المئة من الواردات يرد من البلدان المختلفة المذكورة فيهِ

من بريطانيا واملاكها	٤٥,٣	في المئة
" تركيا	١٣,٢	" "
" فرنسا	٠٩,٥	" "
" النمسا	٠٦,٣	" "
" ايطاليا	٠٤,٩	" "
" روسيا	٠٤,٥	" "
" بلجيكا	٠٣,٦	" "
" المانيا	٠٣,٦	" "

من سائر البلدان ١٫٩٠ " "

وبلغت قيمة النقود التي وردت سنة ١٩٠٠ اربعة ملايين و ١١٤٦٠٠ ج . م فهي تزيد ١٣ في المئة على المتوسط السنوي من سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ وبلغت قيمة النقود الصادرة ٢٦٠٢٨٠٠ وهي تزيد ٣١ في المئة عن متوسط السنوات الخمس السابقة

وبلغ التبغ الوارد في العام الماضي ٥٧٨٧١٠٠ كيلو يقابلها ٥٢٩٤٥٠٠ كيلو وردت سنة ١٨٩٩ والتنباك الوارد في العام الماضي ٣٢٨٤٠٠ كيلو يقابلها ٣٢٦٠٠٠ سنة ١٨٩٩ والتبغ الصادر سكاير بلغ ٤٤٦٩٠٠ كيلو سنة ١٩٠٠ يقابلها ٣٨٥٠٠٠ كيلو سنة ١٨٩٩ وكان في مخازن الحكومة بالاسكندرية ٨٣٠٠٣ بالات من التبغ في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ و ٧٧٢٨٨ بالة في ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩

واذا طرحنا التبغ الخارج من القطر سكاير من التبغ الوارد بقي من الوارد ما يعادل رطلاً ونصفاً (ليبرة و ٦ اواقي) لكل نفس من السكان ويقال ان هذا المقدار قليل جدًّا بالنسبة الى ما يدخنهُ الناس عادة . ولا شبهة في ان الخمس مئة الف كيلو من التبغ البلدي الباقية في القطر مما كان يزرع فيهِ تؤثر في واردات التبغ لانها تمزج بالتبغ الاجنبي في استحضار الانواع الرخيصة الثمن . وينتظر ان ينفد هذا التبغ القديم كلهُ في قليل من السنوات

وبلغ الصادر من القطن في العام الماضي ٥٤١٨٢٢٠ قنطاراً بلغ ثمنها ١٣٠٣٩٠٠٠ ج. م اي نقص مقدارهُ ١٩ في المئة وزاد ثمنهُ ١٢٫٤ في المئة عمّا كان سنة ١٨٩٩

وقد نقص المقدار بسبب نقص الموسم سنة ١٩٠٠ وزاد الثمن بسبب زيادة الاسعار التي غلبت منذ بداءة موسم القطن لسنة ١٩٠٠

وزاد الصادر من بزرة القطن ١٢٨٦٠٠ اردب في مقدارهِ و ٣٢٣١٠٠ ج . م في ثمنهِ وسبب زيادة المقدار ان ٥٢ في المئة من موسم سنة ١٨٩٩ الجيد صدرت سنة ١٩٠٠ وسبب زيادة الثمن تحسُّن الاسعار

وبلغت قيمة الصادر من البصل ١٥٢٨٠٠ ج . م اي انها قلَّت ٣٣ في المئة عمَّا كانت عليهِ سنة ١٨٩٩ بسبب انخفاض النيل لان كثيرًا من السواحل التي تزرع بصلاً لم يغمرها ماؤُهُ

وبسبب انخفاض النيل قلَّت قيمة السكر الصادر ٥٧٥٥٠٠ ج . م او ١٣ في المئة وقيمة الفول الصادر ٢٠٥٠٠٠ ج. م عما كانتا عليهِ سنة ١٨٩٩. لكن زادت كمية البيض الصادر من ٣٩٧٦١٠٠٠ سنة ١٨٩٩ الى ٧٧٦٥٠٠٠٠ سنة ١٩٠٠

وصدر من الصمغ العربي سنة ١٩٠٠ ما قيمتهُ ٩٣٨٠٠ ج . م وسنة ١٨٩٩ ما قيمتهُ ٣٠٦٠٠ ج . م وقد نتجت هذه الزيادة من احياء تجارة السودان

ويظهر من الجدول التالي كم في المئة تأخذ البلدان المختلفة من البضائع الصادرة من القطر المصري

بريطانيا العظمى واملاكها	٥٥,٧	في المئة
فرنسا	٨,٥	" "
روسيا	٧,٢	" "
اميركا	٦,٢	" "
المانيا	٥,٣	" "
النمسا	٣,٨	" "
ايطاليا	٣,٦	" "
تركيا	١,٧	" "
بلجكا	٠,٧	" "
سائر البلدان	٧,٣	" "
والجملة	١٠٠,٠	

وفي الجدول التالي مقدار عوائد الجمارك في العام الماضي والذي قبلهُ

	١٨٩٩	١٩٠٠	الزيادة في سنة ١٩٠٠
عوائد الواردات	٨٦٥٩٥٥ ج . م	١٠٨١٠٩٧ ج . م	٢١٥١٤٢ ج . م
" الصادرات	١٤٩٤٤٤ " "	١٦٤١١٤ " "	١٤٦٧٠ " "
" تبغ وتنباك وسيكار	١٠٦٨٢٨٢ [1] " "	١١٥٩٨٨١ [1] " "	٩١٥٩٩ " "
ايرادات مختلفة	٩٠٩٨	١٢٨٨٣	٣٧٨٥
المجموع	٢٠٩٢٧٧٩	٢٤١٨٩٧٥	٣٢٥١٩٦

ويظهر من ذلك ان ايراد العام الماضي فاق كثيرًا ايراد العام الذي قبلهُ

(١) صافي الايراد بعد طرح ٢٧٦١٣ ج . م مرتجعة عن السكاير الصادرة في سنة ١٨٩٩ و٤٢٦٦٥ ج . م سنة ١٩٠٠

مصلحة البوسطة

يظهر ايراد مصلحة البوسطة ونفقاتها في العامين الماضيين من الجدول التالي

	١٨٩٩	١٩٠٠
الايراد	١٢٩٨٧٤ ج٠م	١٣٥٠٠٠ ج٠م
المصروفات	١٠٨٠٩٦ " "	١٠٨٢٩٣ " "
صافي الايراد	٢١٧٧٨	٠٢٦٧٠٧ " "

ويظهر من ذلك ان الايراد زاد ٥٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ عما كان عليهِ سنة ١٨٩٩ واما المصروفات فبقيت على حالها

وتمَّ في مصلحة البوسطة في العام الماضي اصلاحات صغيرة نافعة من ذلك ان اجرة الطرود التي لا يزيد ثقلها على ٣ كيلوغرامات أُنقصت من خمسة غروش الى اربعة وانقص الرسم على المراسلات والطرود المؤمن عليها خمسين في المئة . وتبودل ارسال الطرود مع الولايات المتحدة الاميركية

وقد مضى الآن عشر سنوات منذ خفضت رسوم البوسطة المصرية تخفيضاً عظيماً وهذا الزمن كافٍ لبناء الحكم في نتائج هذا التخفيض . والنتائج مدهشة تستحق الالتفات فقد زاد عدد المراسلات من ٧٨٣٠٠٠ ٧ سنة ١٨٨٩ الى ٥٧٩٠٠٠ ١٥ سنة ١٨٩٩ . وزاد عدد مكاتب البوسطة من ٣٩٣ الى ٨٨٧ وقيمة التحاويل التي نقلتها البوسطة من ٢١٢٠٠٠ ١ ج.م الى ٣٣٤٠٠٠ ٢ . وكان متوسط صافي ايراد البوسطة السنوي من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٨٩ خمسة وعشرين الف جنيه وقد تقدَّم سابقاً ان صافي ايراد سنة ١٩٠٠ كان ٧٠٠ ٢٦ ج.م فلم ينقص صافي الايراد بتنقيص الاجرة بل زاد لزيادة المراسلات

ادارة الاوقاف

كانت نتيجة حسابات الاوقاف في العام الماضي كما يلي تقريباً

الايراد	٢٣٠٠٠٠ ج٠م
المصروفات	١٩٠٠٠٠
الزيادة	٤٠٠٠٠

وبلغ المال الاحتياطي الخاص بديوان الاوقاف ١٤٠٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠

وأُنفق في السنوات الاربع الماضية ٤٧٠٠٠ ج . م على بناء الجوامع وترميمها و ٦٠٠٠ ج . م على التدابير الصحية فيها وجدد بناء تكية طرة المقامة للعجزة والمنقطعين فانفق على تجديدها ٦٥٠٠ ج . م

والاموال التي تنفق على حفظ الجوامع وعلى المدارس والفقراء وهي الاغراض التي قصدها الواقفون زادت في السنوات الاربع الماضية نحو ٢٢٠٠٠ ج . م

ومن اضر مساوىء النظام القديم ان المستحقين في الوقف كانوا يلقون اشد المصاعب في الحصول على ما يحق لهم . وقد عولج هذا الخلل الآن علاجًا يزيله

كتب اليَّ هراري باشا مدير الحسابات العام في الحكومة المصرية الذي له اليد الطولى في ما تمَّ من الاصلاح حديثًا في ديوان الاوقاف يقول

"تمتاز سنة ١٩٠٠ باننا تقدمنا خطوة اخرى في سبيل النجاح . وارجو انهُ يأتي اليوم الذي تنتج فيهِ النتائج المنتظرة من اساليب الاصلاح المدخلة بالتدريج في ادارة الاوقاف ولا يقتضي ذلك الاَّ المواظبة والزمن الكافي لان ما تأصَّل من المساوىء بطول الزمن لا يمكن محوهُ دفعة واحدة ولاسيما في ادارة كادارة الاوقاف مقيدة بقيود خاصة بها "

الري

رأيت المذكرة التي بعث بها اليَّ السر وليم غارستن عن الري مما تفيد مطالعتهُ جدًّا فادمجتها في تقريري هذا واقول قبل ذلك تمهيدًا لها ان النجاح النسبي الذي نجحهُ القطر المصري نبالغ جدًّا اذا نسبناه كلهُ الى حال من الاحوال او الى سعي احد من الذين انيطت بهم ادارة البلاد في السنين الاخيرة . ولكن من البيّن ان المال اساس الاصلاح في كل امر تقريبًا . واقول ولا اخشى لومة لائم انهُ لولا مهندسو الري الفضلاء الذين خدموا الحكومة المصرية في السنين السبع عشرة الاخيرة ما استطاع احد مهما كان ماهرًا في التدابير المالية ان يصلح حال الخزينة المصرية ويجعلها قادرة على ايفاء ما يطلب منها من الربا والانفاق على مطالب الاصلاح التي تمسُّ الحاجة اليها . وما نراه الآن من النجاح المادي في هذا القطر زُرع بزرهُ منذ ١٨٨٤ ففي تلك السنة سُمح لمصلحة الري بمليون جنيه رغمًا عمَّا كانت فيهِ الحكومة من الضيق المالي . ولم تقف اعمال الاصلاح من ذلك الحين ولكن فوائد الاعمال التي عملها رجال الري لم تظهر نتائجها باعظم ممَّا ظهرت بهِ في العام الماضي حين انخفض النيل انخفاضًا لا مثيل لهُ في تاريخهِ ومع ذلك نجا القطن وبلغت غلتهُ ما كان يستحيل ان تبلغهُ منذ بضع سنوات ولو كان الفيضان على احسنهِ وما ذلك الاَّ لشدَّة العناية بتوزيع المياه . ويسرُّني ان الذين يهمهم امر القطن

المصري اعترفوا بفضل السر ولم غارستن ورجالهِ وهذا ما يعترف بهِ ايضاً المالكون والمزارعون في القطر المصري من كل الدرجات والطبقات . واجهل فلاّح في هذا القطر يعرف فائدة المياه و يشكر الذين يجرونها الى اطيانهِ بغزارة . ولما اشتدّت المضاربات في القطن مدة الربيع الماضي وكانت الاخبار تنتشر عن محلّ الموسم في طول البلاد وعرضها كان صغار المزارعين في البلاد كلها يعربون عن ثقتهم التامة بان مهندسي الانكليز ينقذونهم من هذه الورطة و ينجونهم من الفاقة بل من الموت جوعاً وهذا مما يسرُّ ذكرهُ و يطيب نشرهُ

وعندي امر آخر جدير بالذكر وهو اني على قلة ما اعرفهُ من اعمال المضاربات في مصر والاسكندرية بلغني من امرها في الربيع الماضي ما اراني ان الناس افرطوا فيها على غير هدًى فخربت بيوت كثيرين وامسى غيرهم على شفا الافلاس . ولم يبرح من بالي انهُ في السنوات الاولى التي اقمتها في مصر ساءت احوال السكان في هاتين المدينتين بالمضاربة بل بالمقامرة في السندات المصرية . وظهر في العام الماضي كأنهُ اصابهم ما اصابهم حينئذٍ من المضاربات بالقطن . وامتدت العدوى الى كل طبقات الناس فقد بلغني ان كثيرين من المستخدمين في الحكومة المصرية اشتركوا في المضاربات ومنهم مَن الخسارة القليلة لا تبقي لهُ شيئاً وهذا أمرٌ هامٌ من حيث المصلحة العامَّة لان خسارتهم قد تحملهم على ان يطرقوا للكسب طرقاً غير محلَّلة . وذاع عن النيل اخبار من اغرب ما يكون وتخرَّص كثيرون في ما يكون عليهِ النيل وموسم القطن. واكثر ما انبأُوا بهِ كان من قبيل اللغو الذي لا قيمة لهُ . وكلما حدث اقل تغير في حال النيل مما لا شأن لهُ في عين مهندس الري الخبير كان البعض يشيعون اخبارهُ ويبالغون في نتائجهِ ليؤَثروا في سعر القطن ولو وقتيًّا

ولا يخطر ببالي انني استطيع ان امنع تكرار هذه الاشياء باقوال اقولها لان من اعتاد المقامرة لا يصرفهُ النُّصح عنها مهما كثر لكني عشت بين المصريين سنين كثيرة وانا ارثي لهم من صميم الفؤَاد فلا اقدر الاَّ ان ابذل جهدي في صرفهم عن عمل اعتقد انهُ يضرُّ بالكثيرين منهم ضررًا شديدًا . واظنني افهم طباع المصريين بعض الشيء فان لم اكن مخطئاً في حكمي فجمهورهم اذا تباروا مع الحاذقين من الاوربيين الذين اعتادوا اشغال البورصة فخسارتهم ارجح من ربحهم . واذا كان تحذيري لهم بكلمة اقولها يصرف ولو البعض منهم عمّا يجرُّ عليهم وعلى بيوتهم الخراب والدمار ما داموا يتعاطون اعمالاً لا خبرة لهم بها واكثرهم تعوزهم الصفات اللازمة للنجاح فيها فذلك حسبي

و بناءٌ على ما تقدَّم اقول علانية انهُ لا يوجد الآن على الارجح ستة اشخاص يعلمون

الامور التي يبنى عليها حكم له شيء من القيمة في ما يكون عليه حال النيل في سنة من السنين وقد حصلوا على المعارف الفنية الدقيقة جداً اللازمة لمثل ذلك قبلما يستنتجون نتائج صحيحة من الامور المشار اليها حينما يعلمونها . وزد على ذلك ان هؤلاء الاشخاص القلال العدد الذين اجتمع فيهم ما يندر اجتماعه جداً من المعرفة والمهارة هم اول من يعترف انهم مع كل ما امتازوا به من المعرفة والمهارة لا يستطيعون ان ينبئوا بالمستقبل ابناء خالياً من الخطإ. وتراهم يظهرون من الريب في حكمهم ما يناقض الثقة التي يبديها كثيرون من الذين هم اقل منهم اهلية لابداء رأي له شيء من القيمة

ويرجى اتمام خزاني اصوان واسيوط قبل فيضان سنة ١٩٠٢ . وحينئذٍ نكون على ثقة من كفاءة الماء الصيفي لكل الوجه البحري والجانب من الوجه القبلي فتزول نقطة شك من تقادير المضاربين .اما سنة ١٩٠١ فالظاهر ان النيل سيجري فيها مجراه في سنة ١٨٧٧ التي كان الفيضان فيها واطئاً . والمناسيب الآن (٢٢ يناير) اعلى مما كانت عليه سنة ١٩٠٠ في مثل هذا الوقت . وقد انقذ رجال الري موسم القطن سنة ١٩٠٠ فلا ارى سبباً للشك في انهم ينجحون في انقاذه سنة ١٩٠١ رغماً عما يرى من احوال النيل التي هي غير موافقة على نوع ما

وازيد على ذلك انهُ يصعب الحكم في اي الامور بل اي الانباء عن المستقبل يجب ان يُنشر رسمياً او يمنع نشره رسمياً من هذا القبيل . فاذا قيل شيء كان الخطر من ان يؤوَّل بعض ما قيل تأويلاً لم يقصده القائل قط لغرض في نفس المؤول . واذا لم يقل شيء فالمرجح ان تخفى بذلك امور مهمة او تذاع اشاعات فيها قليل من الصواب و كثير من الخطاء فيصدقها الجمهور. ولعلَّ هذا الامر الاخير اشد البليتين ولذلك عزمت ان ادمج في تقريري هذا الملاحظات التي كتبها السر وليم غارستن عن الهبوط المتوالي في منسوب بحيرة فكتوريا نيانزا لا لانني ارى في ما ابانهُ السر وليم غارستن من الحقائق سبباً للقلق الشديد بل لانهُ يرجح ان تنشر اشاعات غير صحيحة متعلقة بمنسوب تلك البحيرة فيحسن ان يقف الجمهور على حقيقة الحال. واحذِّر من استنتاج اية نتيجة كانت من كلام السر وليم غارستن غير ما صرَّح به في كلامهِ. واذ قد تمهَّد ذلك آتي بالخلاصة التالية من مذكرة السر وليم غارستن

ايراد النيل

" لقد ثبت ان خوف الناس من حال النيل في آخر سنة ١٨٩٩ الخوف الذي اشترك فيهِ اهالي القطر كلهم كان في محلهِ لان الايراد الصيفي سنة ١٩٠٠ كان اوطأ ما ذكر في تاريخ النيل ولا غرابة في ذلك لان الفيضان الواطئ كثيراً تعقبهُ قلة الايراد في الصيف التالي .

فقد كان الفيضان واطئاً سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٨٨ . وكان الايراد الصيفي قليلاً جداً سنة ١٨٧٨ و ١٨٨٩ ولما كان فيضان سنة ١٨٩٩ اوطأ من فيضان سنة ١٨٧٧ او سنة ١٨٨٨ فالماء الصيفي في سنة ١٩٠٠ كان اقل من الماء الصيفي سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨٩

" وهذه مناسيب الماء في اصوان في السنوات الثلاث المشار اليها

السنة	اوطأ منسوب اصوان ذراع	قيراط	الارتفاع فوق سطح البحر المتوسط امتاراً
١٨٧٨	٠ +	٦	٨٤,٣٩
١٨٨٩	٠ +	١١	٨٤,٤٠
١٩٠٠	٠ —	٤	٨٤,٠٧

" ويظهر من هذا الجدول ان الماء هبط ٤ قراريط تحت الصفر بمقياس اصوان سنة ١٩٠٠ وكان منسوبهُ اوطأ ٣٣ سنتمتراً من اوطإِ منسوب سنة ١٨٨٩ و ٢٢ سنتمتراً من اوطإِ منسوب سنة ١٨٧٨ . وبلغ المنسوب ٨٤,٠٧ في الخامس عشر والسادس عشر والسادس والعشرين من شهر مايو فكان اوطأ من متوسط اوطإِ المناسيب في عشرين سنة بنحو متر

" وعلا الفيضان سريعاً في اول الامر فاملنا ان يكون جيداً لكنهُ هبط في سبتمبر تحت المتوسط كثيراً وبقي كذلك حتى آخر السنة

" فكان لا بد من ان يقوم رجال الري ويبذلوا كل ما في وسعهم لتلافي الضرر ولاسيما في الوجه البحري ويستعملوا وسائط غير عادية لانقاذ موسم القطن فاقيم سدان وقتيان من التراب في فرعي رشيد ودمياط منعاً لماء البحر من الصعود فيهما

" ووضعت جداول خصوصية للمناوبات وكانت فترات البطالة تطول بانخفاض النيل وازدياد الحاجة الى الماء . وحُذِّر اصحاب الاطيان من زرع الارز وأُخبروا ان الماء يخصص كلهُ لري القطن لكي ينجو اكثر ما يمكن ان ينجو منهُ . واعتُني بموازنة افواه الرياحات الآخذة من فوق القناطر الخيرية لكي تقسم المياه فيها بالقسط حتى يمكن ارواء الاطيان كلها على السواء

" ونُشر امر خديوي خصوصي ينهى عن زرع الذرة الى ان ترى نظارة الاشغال ان زرعها صار ممكناً من غير ان يلحق الضرر بزراعة القطن

" واديرت طلمبات العطف على فرع رشيد من ١٥ مايو الى ١٦ اغسطس واقيمت طلمبات وقتية عند قبريط على الضفة الشرقية من فرع رشيد اديرت من ١٩ يونيو الى ٢٩ يوليو

" واخيراً عينا فريقاً كبيراً من المستخدمين لمراقبة سير المناوبات وايقاف الآلات الرافعة

في المواعيد التي يجب ان نقف فيها

" فنجحت هذه الوسائط ونجا موسم القطن ونقدّره شركة المحاصيل في الاسكندرية بخمسة ملايين قنطار وربع مليون وكان يمكن ان يكون اكثر من ذلك كثيرًا لو لم يبرد الهواء بردًا غير عاديّ في سبتمبر مصحوبًا بالضباب فقلَّ المحصول بسبب ذلك . وجاء موسم الذرة جيدًا رغمًا عن التأخر في زرعهِ . اما موسم الارز فتلف ولم يكن مناص من ذلك لان الماء لم يكن ليكفي القطن والارز . وموسم القطن اثمن كثيرًا من موسم الارز فضُحي الثاني لحفظ الاول ولكن اصحاب الاراضي التي تزرع ارزًّا اكثروا من زرع القطن فاستعاضوا بهِ عن خسارتهم

" وقد كان محصول القطن في السنين الثلاث التي كان فيضانها واطئًا جدًّا كما يُرى في هذا الجدول

سنة ١٨٧٨	١ ٦٨٤ ٠٠٠ قنطار
" ١٨٨٩	٣ ٢٠٠ ٠٠٠ "
" ١٩٠٠	٥ ٢٥٠ ٠٠٠ "

" والموسم الاخير يقدَّر كذلك تقديرًا كما تقدَّم اما مقداره الحقيقي فلا يعلم حتى الآن . وقد تقدم ان النيل كان سنة ١٩٠٠ اوطأ كثيرًا ممَّا كان سنة ١٨٨٩ واوطأ ايضًا مما كان سنة ١٨٧٨

" وتعب رجال الري تعبًا شديدًا وشاركهم في هذا التعب كل مستخدمي الري في المراكز واحترم الناس قوانين مصلحة الري اكثر مما كانوا يحترمونها قبلاً وجُعل عمدة كل بلد مسئولاً عما يزرع في بلدهِ من الذرة حيث لا يباح زرعها

" وقد اعربت شركة المحاصيل العمومية في الاسكندرية وغرفة التجارة الانكليزية في القطر المصري عن اعترافهما بنجاح الوسائل التي اتخذتها مصلحة الري وكتبتا تشكرانها على ذلك . وزاد ما كسبهُ ارباب الاطيان بغلاء الاسعار في الشهور الاخيرة من سنة ١٩٠٠ عمَّا خسروهُ بقلة المحصول

المناوبات على الترع

" وُضعت جداول المناوبات حتى تطول ايام البطالة كلما قل ايراد الماء . وجعلت ايَّام عمالة الآلات ستة في كل قسم وبقي ذلك كل مدة المناوبات اما ايام البطالة بينها فاختلفت حسب حالة النيل فكانت في الاول ١٢ يومًا ثم زادت حتى بلغت ٢٢ يومًا اي ان القطن كان يروى

مرةً كل ١٨ يوماً في اول الامر واخيراً صار يروي مرةً كل ٢٨ يوماً . ولا شبهة في ان المناوبة الاخيرة صارمة جدًّا وما كنا نلجأُ اليها لولا الاضطرار . ولولاها ما نجا الموسم . وعرف الناس ذلك فلم يحاولوا مخالفة هذا القانون الاَّ نادراً

مقاسات بحيرة فكتوريا نينزا

" نصل المقاسات الآن بالاضطراد من اوغندا الى مصر عن وقوع الامطار يومياً وعن مناسيب البحيرة وجرت المقاسات الاولى من غرة يونيو سنة ١٨٩٦ الى آخر يوليو سنة ١٨٩٧ وذلك قبل الثورة التي ثارت هناك ثم بدئ بالمقاسات ثانية من غرة سبتمبر سنة ١٨٩٨ وامتدَّت الى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٠ . ولا يمكننا لسوءِ الحظ ان نقابل بين المقاسات في هاتين المدتين لان المقاييس التي وضعت بعد الثورة ليست نفس المقاييس التي كانت قبلها . فعندنا مقاسات ٢٦ شهرًا لنبني عليها ما يمكن بناؤُهُ من الآراء . وهذا لا يكفي ولاسيما لاننا لا نزال نجهل اموراً كثيرة مهمة تؤَثر في علاقة الامطار الاستوائية ومناسيب البحيرات التي في الاقاليم الاستوائية بالماء الوارد في النيل . وليس عندنا شيءٌ من المعلومات عن اهم هذه البحيرات وهي بحيرة البرت نينزا

"وهذا مما يؤْسف عليهِ جدًّا لان هذه البحيرة التي تنصبُّ فيها مياهُ بلاد فسيحة جدًّا وتمرُّ في طرفها الشمالي المياهُ الآتية من بحيرة فكتوريا هي اهم الخزانات التي تمدُّ البحر الابيض . و يرجى ان تبذل الوسائل قريباً لوضع المقاييس في بحيرة البرت ومراقبتها بالاضطراد فيكون من ذلك فائدة لمصر لا تقدَّر

"و يستفاد مما لدينا من المعلومات الامور التالية ولعلَّها لا تخلو من فائدة عمومية

" يوجد الآن مرقبان على جانبي بحيرة فكتوريا واحد في بورت اليس او انتبي وواحد في بورت فكتوريا او اوغوي لكن قياس المطر في انتبي لم يُشرَع فيهِ الاَّ في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولذلك لا يمكن مقابلة المقاسات في المرقبين في السنة كلها

"و يستدل من مقياس اوغوي انهُ وقع في السنة كلها ٤٦٫٢٨ عقدة (بوصة) من المطر في اثني عشر شهرًا تنتهي في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٠ وكانت الايام الماطرة ١٣١ يوماً وكانت العواصف تعصف اما بعد الظهر او في الليل . وشهر فبراير اكثر الشهور مطرًا وشهر يوليو اكثرها جفافًا فقد وقع ٤٥٫٦ عقدة في شهر فبراير و ٥٦٫١ في شهر يوليو. والمدة التي يكثر فيها وقوع المطر من نوفمبر الى مايو فقد وقع في هذه الاشهر الستة ٧٣٫ ٣٠ عقدة وفي الاشهر الستة الباقية ١٥٫٥٥ عقدة

"وكان المطر في انتبي على الجانب الآخر من البحيرة اغزر مما هو في اوغوي فبلغ ما وقع منهُ بين ابريل ونوفمبر ٣٩,٣٠ عقدة مع انهُ كان في اوغوي ٥٩,٢٠ عقدة

"ويمكن الاستدلال على مناسيب سطح البحيرة من المقاسات التي جاءتنا من المرقبين وينتج منها ما يأتي وهو

" ان منسوب سطح البحيرة تغير قدماً و ٧ عقد من غرة يناير سنة ١٨٩٦ الى ٣١ يوليو سنة ١٨٩٧ . وكان اوطأ منسوب في اكتوبر سنة ١٨٩٦ واعلى منسوب في يناير سنة ١٨٩٦

ثم اعيدت المراقبة بعد خمود الثورة سنة ١٨٩٨ فتغير المنسوب قدمين وعقدة في انتبي وقدمين و ٧ عقد في اوغوي وذلك من غرة سبتمبر سنة ١٨٩٨ الى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٠ فكان اعلى منسوب في دسمبر سنة ١٨٩٨ واوطأ منسوب في اكتوبر سنة ١٩٠٠

" ويستدل من ذلك ان منسوب البحيرة يكون على اوطإهِ في اكتوبر اي في آخر فصل القيظ وعلى اعلاهُ في دسمبر او يناير . ويستدل منهُ ايضاً ان منسوب البحيرة كان آخذاً في الهبوط المتوالي في السنوات الثلاث الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

	بورت اليس او انتبي		بورت فكتوريا او اوغوي	
	قدم	عقدة	قدم	عقدة
منسوب البحيرة في ١ اكتوبر سنة ١٨٩٨	٣	٢	٣	٢ ١/٢
" " " " ١٨٩٩	٢	٦ ١/٢	٢	٢
" " " " ١٩٠	١	٧	١	١

"ومن المحتمل ان هبوط المناسيب ناتج بعضهُ عن هبوط قاع النهر حيث يخرج من البحيرة ولكن الارجح انهُ ناتج من قلة وقوع المطر على بلاد واسعة فان الاخبار كلها متفقة والسيَّاح الذين ضربوا في تلك البلاد متفقون على ان القيظ الشديد استولى على جانب كبير من اواسط افريقية في السنتين الماضيتين وقد امتدَّ هذا القيظ شمالاً حتى بلغ السودان المصري

" وقد يظهر ان فيضان سنة ١٩٠١ سيكون ضعيفاً اذا كانت هذه الارقام صحيحة ولكن استنتاج هذه النتيجة ليس من الحكمة في شيء لأن قياس هبوط المطر لم يُشرَع فيهِ الاَّ منذ عهد قريب جداً ولذلك لا يمكن ان يضاهى بالسنين السابقة . ولا نزال قاصرين جداً في معرفة الفواعل الكثيرة التي تتحد معاً وتسبب فيضان البحر الابيض

" واخيراً ان لبحيرة البرت نيانزا شأناً كبيراً جداً في مقدار الماء الجاري في النيل ولم يحاول احد حتى الآن جمع المعلومات عنها . فيحسن والحالة هذه ان يبتدأ باسرع ما يمكن

في تقييد مناسيبها ومقاسات المطر الذي يقع فيها

مقاييس السودان

" وضعت المقاييس للنيل في الرُّصيرص وسنار والبحر الازرق . ويوجد مقياس في الناصر على نهر السُّبَت . وترسل مقاسات مقاييس البحر الازرق والخرطوم وبربر الى القاهرة بالتلغراف في زمن الفيضان فقط فتساعد مصلحة الري كثيرًا في معرفة ما يصل اليهِ ارتفاع النيل في مصر

السد في بحر الجبل

"ازيل القسم الاكبر من السدّ سنة ١٩٠٠ وصارت السفن تسير من الخرطوم الى الرجاف في اعالي النيل

" وقام رجال الماجور بيك من الخرطوم في السادس عشر من دسمبر سنة ١٨٩٩ وتمكنوا من فتح بحر الجبل في ٢٧ مارس بعد ان ازالوا ١٤ قطعة من السد ومن هذه القطع ما طوله ميل وسمكهُ من ١٥ قدمًا الى ٢٠ . وكان مجرى النهر مسدودًا بها تمامًا من اعلاهُ والماءُ يجري من تحتها بسرعة فائقة . وقد ثبت من مشاهدة السد عيانًا انهُ ليس كما كان يُظنّ فقد كان يظن انهُ اعشاب مشتبكة معًا طافية على وجه الماء تغور فيهِ بضع اقدام فثبت انهُ في الاكثر نباتات بالية من جذور البردي والتراب مثل البيت في قوامهِ وهو مندمج من ضغط مجرى الماء لهُ حتى يستطيع الناس ان يمشوا عليهِ في كل مكان بل تستطيع الافيال ان تعبر عليهِ في بعض الاماكن . ووُجد ان افضل اسلوب لازالتهِ ان يقطع قطعًا مربعة طول القطعة منها عشر اقدام وعرضها عشر اقدام وتجرُّ قطعةً قطعةً بسلاسل وحبال من السلك مربوطة الى المدفعيات

" ومما يقضي بالعجب مقدار العمل الذي عملهُ الماجور بيك ورجالهُ ولا سيما في بلاد فاسدة الهواء بعيدة عن السكان يعسر ايصال الزاد اليها . ولم يزل السد في قسمين من بحر الجبل الواحد يبتدئُ على ١٤٠ ميلًا من بحيرة نو وطولهُ نحو ٢٥ ميلًا والثاني على ٥٢ ميلًا منهُ وطولهُ نحو ٣ اميال . وقد تحوَّل النيل في هذين المكانين عن مجراهُ الاصلي وجرى في مجريين آخرين اولهما سلسلة البحيرات القريبة القاع . ولما ظهر ان فصل المطر قد ابتدأ حينما بلغ رجال الماجور بيك هاتين النقطتين وصار مسير السفن ممكنًا رأينا ان نترك هاتين القطعتين فلا ننزع السدود منهما سنة ١٩٠٠ بل نتركهما الى فرصة أُخرى . ولم نرَ انهما صدَّا الملاحة في غضون السنه الماضية صدًّا يعتدُّ بهِ . لكن عاد السد الى النهر في بعض الجهات الشمالية حيث ازيل

قبلاً . والقطعة المعروفة بالعدد ١٠ على ٧٠ ميلاً جنوبي بحيرة نو انسدَّت غير مرة وهي اشد ما في بحر الجبل خطراً . وقد كنا راجعين من هناك في ١٠ ابريل فوجدنا النهر مسدوداً تماماً وطول السد فيهِ اكثر من ١٥٠٠ قدم وسمكهُ عند طرف المجرى ١٥ قدماً واقتضى نزعهُ عمل ثلاثة ايام متوالية قبلما استطاعت البواخر التي كانت فوقهُ ان تمر . ولولا مدفعية تحتهُ اهتمت بنزعهِ لبقيت تلك البواخر اكثر من ذلك كثيراً لانهُ قد يستحيل نزع السد من طرفهِ الاعلى . ثم انسدَّ هذا الجزء من النهر في ١٠ مايو واقتضى نزع السد منهُ ٣٢ يوماً . وانسدَّ ايضاً في ٢٢ اغسطس وبقي مسدوداً اربعة ايام

" ولا بدَّ من ان يراقَب هذا المجرى مراقبة دائمة ولا سيما في اول فصل المطر وفي آخرهِ حينما تكثر العواصف

" اما الدواء الفعَّال الذي يمنع انسداد النهر في المستقبل فلا يُعرَف الاَّ بعد درس احوالهِ درساً مدققاً والوقوف على امور من حيث مجرى النهر وتصريف ماء الفيضان اكثر كثيراً مما امكن الوقوف عليهِ حتى الآن

"ولم يحن الوقت ليُشار بشيء فعَّال ومن رأي البعض ان يجرَّب دق الاوتاد على جانبي المجرى في السنة التالية حيث هو اشدُّ تعرُّضاً للانسداد

"وبلغ المال الذي دفعتهُ نظارة الاشغال العمومية لحكومة السودان وأُنفق على نزع السد ١٢٠٠١ ج . م اكثرها ثمن زاد ومكافآت واجرة عمال ومهمَّات

" اما ما استفادتهُ مصر من نزع السد في العام الماضي فمما يصعب الحكم فيهِ . ومن المحقق انهُ كلما كان ينزع جزء من السد كان منسوب المستنقعات التي على جانبيهِ يهبط دلالة على ان مياهها كانت تعود الى النهر وتجري فيهِ الى البحر الابيض . وثبت ذلك بالمقياس الذي اقيم في محلة الماجور بيك الاولى فانهُ كان يدل على ارتفاع في سطح الماء كلما فُتح سدٌّ من السدود. وكان هذا الارتفاع وقتياً في الاسابيع الاولى فيعود سطح النهر الى حالهِ حينما تفرغ المستنقعات التي تصب فيهِ واخيراً صار الارتفاع مستمرّاً . ولكن يستحيل علينا الآن ان نعلم كم منهُ كان ناتجاً عن نزع السدود وكم منهُ نتج عن الامطار الجنوبية التي تقع في ذلك الحين لان معارفنا لا تزال قليلة جدّاً من هذا القبيل وكذلك يصعب علينا ان نعلم كم من هذه المياه وصل الخرطوم وكم منها ضاع بالتبخُّر في مجاري البحر الابيض الواسعة

" ونُزع القسم الاول من السد في ٤ يناير وتمَّ نزع الاقسام كلها وهي اربعة عشر في ٢٧ مارس ودام التقلُّب في منسوب الماء بين ارتفاع وانخفاض حتى السابع عشر من الشهر ومن

ثم صار الارتفاع مستمرًّا ولكن مقياس الخرطوم استمرَّ على الهبوط الى الثلاثين من شهر مارس
"وفي شهر ابريل جعل منسوب الماء في الخرطوم يعلو و يهبط دواليك وكان في آخر الشهر اعلى منهُ في اولهِ ٦ سنتمترات لا غير ومن اول مايو جعل الماء يرتفع بمقياس الخرطوم ارتفاعاً مستمرًّا ولم يؤثر فيهِ انسداد بحر الجبل مدة ٣٣ يوماً ابتداءً من ١٠ مايو . و يظهر من ذلك ان انصباب ماء المستنقعات في النهر قبل ١٧ مارس لم يؤثر في منسوب الماء في الخرطوم وبقي ارتفاع الماء في الخرطوم طفيفاً جدًّا حتى آخر ابريل ومعلوم ان منسوب الماء في الخرطوم متوقف على البحر الازرق كما هو متوقف على البحر الابيض .

" ومن رأيي المبني على ما شاهدتهُ بنفسي من امر السد ان نزعهُ منع هبوط منسوب النيل بما اضيف اليهِ من المياهِ الجانبية ولولا ذلك لهبط المنسوب حتماً

" واني ارتاب في كونهِ فعل اكثر من ذلك لان الماء القليل الذي جرى الى النهر بنزع السد ضاع فيهِ لاتساعهِ اذ لا بدَّ من ان يمتلئ مسيلهُ قبلما يظهر ارتفاع محسوس في مقدار التصرُّف عند الخرطوم . ولكن هذا اي منع هبوط النيل افاد القطر المصري فائدة لا ريب فيها وهو يستحق ما أُنفق عليهِ من النفقات ولو لم يكن منهُ نفع آخر . ثم اذا اضفنا الى ذلك ما يستفيدهُ السودان من فتح طريق الملاحة في النيل كلهِ وجدنا ان النتائج تفوق النفقات كثيرًا "

الشراقي

المعت في تقريري السابق الى اسلوب جديد في اخذ الضرائب عن الاطيان المسماة هنا بالشراقي اي التي تزرع حينما يكون النيل عاديًّا ولكنها تبقى بغير ري اذا كان النيل منخفضاً انخفاضاً غير عادي فلا تزرع حينئذٍ . ولا اعتذر عن الاسهاب القليل في هذا الموضوع لان حكومات المشرق تعتمد في ايرادها على ضرائب الاطيان فكل تغيير يؤثر في الاصول المرعية لجمع هذه الضرائب يكون لهُ من الاهمية ما لا يقتصر على البلاد الذي حدث فيها

ويقال بنوع اجمالي عام ان المبدأ المتبع في بلدان المغرب لوضع الضرائب على الاطيان هو ان توضع عليها ضريبة معتدلة يدفعها الفلاح من غير زيادة ولا نقصان سواء جادت الارض او محلت . واذا لم تأتِ بغلَّة قط فلا يكون ذلك سبباً لاعفائهِ من الضرائب الأ في احوال نادرة جدًّا

واما المبدأ الشرقي فيختلف عنهُ . والمتبع في بلدان المشرق ان جابي الخراج يأخذ من المال قدر ما يستطيع حتى لا يبقى للفلاح في سنة الخصب الاَّ ما يسدُّ رمقهُ . لكن حكومات المشرق

تعفي الفلاح من الضرائب كلها او بعضها اذا محلت ارضهُ رغمًا عنهُ وكان هذا شأن الحكومة الرومانية ايضًا كما اعتقد . وما هو جارٍ الآن من نزع الملك من مالكهِ اذا عجز عن ايفاء مالهِ امر محدَث على ما ارى . وكانت الضرائب ثقيلة في الغالب ولكنها كانت تتغير حسب احوال الزمان

والاسلوب الغربي عادلــ ثابت قانوني والشرقي جائر متغير غير قانوني ولكنهُ يمتاز بانهُ يمكن تحويلهُ حسب احوال الزمان والمكان . ولا يُعلَم حقيقةً ماذا يفضّلهُ الفلاح الشرقي — وهو صاحب الشأن الاول في هذا الامر — أعدْلَ الاسلوب الواحد وثبوتهُ ام جور الاسلوب الثاني وتغيرهُ . ولطالما تعب رجال الادارة والمالية من الاوربيين في ايجاد اسلوب جامع لحسنات هذين الاسلوبين خالٍ من سيآتهما ليجروا عليهِ في البلدان الشرقية التي انيطت بهم اداراتها

وقد جرت العادة في القطر المصري ان تعفى الاطيان الشراقي من الضرائب . وهي عادة قديمة وكان اتباعها من الحكمة . ولكن اذا زرعت الاطيان لم تكن تعفى من الضرائب مهما كانت حالها ومهما تكلف صاحبها لزرعها وريها . وبقي ذلك جاريًا حتى العام الماضي وغاية ما كانت الحكومة تتنازل عنهُ حينئذٍ نصف ضرائب الاطيان التي يرويها ماء الفيضان عادة اذا قصَّر عن اروائها في سنة من السنين ورويت بآلات رافعة . وكانت النتيجة ان الفلاح لا يحاول ارواء اطيانهِ اذا لم يصل اليها ماء الفيضان لان الضريبة كلها او نصفها تستغرق ما يكتسبهُ من اطيانهِ حينئذٍ فيفضل ان يتركها بغير زرع ويعمل عملاً آخر

وسنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠ جرت الحكومة على اسلوب جديد فاعلنت الجمهور ان الاطيان التي يقصر ماء الفيضان عن اروائها تعفى من الضرائب تلك السنة ولو زرعت ورويت من الآبار

فنجح هذا الاسلوب وأُعفيت ٤٤١٩٢ فدانًا من الضرائب مع انها كانت مزروعةً . واكثر هذه الاطيان لصغار المزارعين الفقراء فكانت الفائدة من هذا الاعفاء كبيرةً لهم . ولو اخذت الحكومة ضريبةً على هذه الاطيان لبلغ ما اخذتهُ ١٥٠٠٠ ج . م لكنها لم تخسر هذا المال اذ المرجح ان هؤلاء المزارعين ما كانوا ليزرعوا اكثر هذه الاطيان لو لم تعفها الحكومة من الضرائب . ومزية هذا الاسلوب المالي الجديد انهُ يفيد كثيرين من صغار المزارعين ولا تخسر بهِ خزينة الحكومة فسُرَّ بهِ الجمهور وسيُعمَل بهِ دائمًا في المستقبل

ويحسن بي قبل ترك هذا الموضوع ان اذكر مقدار الشراقي التي تخلَّفت في السنين الاخيرة حينما كان الفيضان يأتي واطئًا جدًا وهي

السنة	شراقي كاملة	نصف شراقي	الضرائب المرفوعة عنها
١٨٧٨	٨٠٠٠٠٠ فدان	٠٠	٨٠٢٠٠٠ ج ٠ م
١٨٨٨	٢٧٩٦٠٠ "	١٠٩٨٠٠ فدان	٣٤٢٥٣٧ " "
١٨٩١	٠٠٧٨٣٠ "	٠٠٠٢٠٣ "	٠٠٦٥٣٢ " "
١٨٩٣	٠٠٧٠٥٩ "	٠٠٢٠٤١ "	٠٠٦٣٦٩ " "
١٨٩٧	٠١٣٧٠٤ "	٠٠٣٤٤٩ "	٠١١٥٦٤ " "
١٨٩٩	٤٢٠١١٩[1] "	٠٨١٣٩٤ "	٢٠٣٠٩٨ " "

وكانت سنة ١٨٩٩ من حيث الفيضان اردأ من سنة ١٨٧٨ ولكن لم يبقَ بغير ري سنة ١٨٩٩ سوى ١١٩ ٢٤٠ فدانًا ورويت ٨١٩٤ فدانًا ريًّا غير تام يقابل ذلك ٨٠٠٠٠٠ فدان بقيت بغير ري سنة ١٨٧٨ . وتنازلت الحكومة سنة ١٨٩٩ عن ٢٠٣٠٠٠ ج . م واما سنة ١٨٧٨ فاضطرت ان تتنازل عن ٨٠٢٠٠٠ ج . م وهذا مما يستحقُّ الالتفات . واذا بحثنا عما زادت بهِ خيرات الارض لم يسهل علينا ان نقول بالتدقيق كم منها ينسب الى اصلاح الري وكم منها ينسب الى غيرهِ من الاسباب ولكن ليس الامر كذلك في المسألة التي نحن في صددها فان قلة الاطيان التي تتخلف شراقي في السنين التي يقصر فيها الفيضان ناتجة كلها عن مهارة رجال الري في نظارة الاشغال العمومية لا عن سبب آخر

خزَّانات النيل

كتب السر وليم غارستن ما يأتي

"ان كان انخفاض النيل قد اضرَّ بزراعة القطر المصري فقد افاد في انشاء خزَّان اصوان وخزان اسيوط . فقد تقدَّمت الاعمال في هذين الخزانين حتى اننا نثق بانهما يكونان تامين في فيضان سنة ١٩٠٢ اي قبل الميعاد بسنة . هذا اذا لم يحدث حادث غير منتظر يؤَخر الاعمال فيهما . واهم ما تمَّ في خزَّان اصوان في العام الماضي انشاء اساسات السد في الفروع الثلاثة المعروفة بالباب الكبير والباب الصغير وباب الهرون فاقيمت سدود وقتية من الحجر حول هذه الفروع الثلاثة ونزع الماء منها بالطلمبات ولكن وجدت الصخور السفلى فيها دون الصخور السطحية صلابةً فدعت الحال الى تعميق الحفر كثيرًا ٤٩ قدمًا و٥ عقد في الباب الكبير

(١) عدا ١٦١٧٨ من الاطيان الاميرية رفع منها او نقص

و٣٦ قدماً و٣ عقد في الباب الصغير تحت سطح الشلال اي زيد العمق عما قدّر لهُ ٤٠ قدماً في الاول و ٣٠ قدماً في الثاني

" وطول سد الخزان ٢٠٠٠ متر ووُضع اساس ١٧٠٠ متر منها في سنة ١٩٠٠ و بلغ ارتفاع البناء الذي تمّ فوقهُ ٤ امتار فوق اوطإ منسوب الماء

" وجرى العمل في ١٣٠ عيناً من العيون وهي ١٨٠ وبُطّنت ٢٠ عيناً منها بالحديد الظهر ولم يبقَ من اساس السد الاَّ اساس الفرع الغربي . وتمَّ في سنة ١٩٠٠ اساس الاهوسة وجدران اثنين منها ودعت الحال الى تعميق اساس الهويس الاول لرداءة صخرهِ

" وتم في السنة الماضية ١٥٠٠٠٠ متر مكعب من البناء و ٥٠٠٠٠ متر مكعب في الحفر في الصخر

" وبلغت نفقات ما تم من السد ١٠٠٠٠٠٠ ج . م ومن ذلك ٦٥٠٠٠٠ ج . م انفقت سنة ١٩٠٠ وأُعطي المقاولون ٤٤٠٠٠٠ ج . م لاجل اعمال ابتدائية ومواد وما اشبه

" وبلغ متوسط عدد العمال ١١١٤ من الاوربيين و٧٠٢٦ من الوطنيين والجملة ٨١٤٠

" وتقدم العمل في خزان اسيوط سنة ١٩٠٠ وسيكون طول قناطرهِ ٨٣٣ متراً فوضع الاساس لمئتين واربعين متراً منها وتم اساس الهويس سنة ١٨٩٩ وكذلك تم سنة ١٩٠٠ من الفرش ما طولهُ ٤٥٢ متراً وأُعليتْ بغلات احدى وستين عيناً من العيون الى ما فوق منسوب الماء الصيفي . وأُريد اتمام العمل على عرض النهر كلهِ ما دام الماء منخفضاً جداً ولكن المياه تغلبت على سدّ التراب الذي حول البناء وغمرتهُ فدعت الحال الى توقيف العمل . وبقي من الفرش ٢٠ متراً لم تُمسّ و ٢١ متراً تحت العيون لم تتم تماماً . وبلغ مقدار ما تمّ من البناء والخرسانة حتى الآن ١٠٨٦٨٢ متراً مكعباً تمَّ منها ٧١٤٤١ متراً مكعباً سنة ١٩٠٠ . وبلغ ما أُنفق حتى الآن ٥٥٨٤٥٨ ج . م وذلك يشمل الاعمال التمهيدية والادوات وثمن الاراضي . وبلغ الحفر والردم ١١١٠٦٣٠ متراً مكعباً واستُعمل ١٧٥١٣٣٢ كيساً من الرمل وغرز في الارض ١٩٣٤ متراً طولاً من اوتاد الحديد الظهر . واستخدم في العمل ٣٨١ عاملاً من الاوربيين وبلغ عدد العمال الوطنيين حينما كانت تمسُّ الحاجة ١٢٥٠٠ .

" وقد خسرت الاشغال العمومية واعمال الخزانات بنوع خاص خسارة عظيمة بموت المستر ولسُن مدير الخزانات العام فانهُ كان مهندساً من الطبقة الاولى وكان محبوباً مكرّماً من كل الذين يعرفونهُ [1]

" واشتغل فريق خاص السنة كلها في اعداد الرسوم اللازمة للاعمال التي يقتضيها تحويل

(١) وانا اشاركهُ في ما قالهُ عنهُ

اطيان كثيرة في الوجه القبلي من ري الحياض الى الري الصيفي ولا بدَّ من ان تتم هذه الاعمال وقت اتمام خزان اصوان حتى يُستفاد من زيادة المياه بهِ الفائدة المطلوبة . وقد اعطى صندوق الدين اعتمادًا لهذه الاعمال مقدارهُ ٠٠٠ ٣٧٥ ج . م يصرف سنة ١٩٠١ "

وقدّر اولاً ان نفقات خزاني اصوان واسيوط تبلغ مليوني جنيه . وكنتُ اميل حينئذٍ الى الظن بان النفقات تكون اكثر من ذلك نظرًا الى كبر العمل فجاء الامر على حسب ما ظننت . والحق يقال ان تقدير النفقات كان صعبًا جدًّا ولم يكن في الامكان ان يعلم مقدار ما يجب ان يعمّق الاساس في اصوان قبل الوصول الى صخر صلد . و يظهر مما قالهُ السر وليم غارستن في ما تقدَّم إن عمق الاساس زاد ثلاثين او اربعين قدمًا عمَّا قدّر لهُ

ولا استطيع ان اقول الآن كم تزيد النفقات عمَّا قُدِّر لها اولاً ولكن لا شبهة في ان هذا العمل يستحق النفقات التي تنفق عليهِ مهما بلغت لان فوائدهُ للبلاد لا يُبالَغ مهما قيل فيها . وكل من يرى هذه الاعمال يعجب بها ولو لم يكن على شيءٍ من الخبرة في علم الهندسة والبناء

ومهما زادت النفقات فلا ترتبك بها الخزينة المصرية . فان انشاء الخزان كان من المشاكل المالية كما هو من المشاكل الهندسية ولكن السهولة التي وُجدت بها الاموال الزائدة المطلوبة هذه السنة تشهد بالمهارة للمستر غورست في ادارة المالية المصرية

مساحة اماكن الشلالات

تقدَّم العمل في انشاء الخزانين تقدمًا يأْذن بالبحث عن احوال النيل حتى اذا بقيت حاجة الى زيادة الماء يكون عند نظارة الاشغال العمومية ما يلزم من المعلومات لاعداد مشروع او اكثر من المشروعات التي تفي بالمراد . ومن اول ما يلزم لذلك البحث المدقق في وادي النيل جنوبي وادي حلفا حيث توجد الشلالات . وقد يقرُّ القرار على ان انشاء خزان آخر ليس بافضل ما يزيد بهِ ايراد الماء الصيفي بل الاولى ان يزاد بتعديل مخارج الماء من البحيرات الاستوائية و بحيرات بلاد الحبش او بفتح بحر الجبل او بعمل آخر كبير من هذا القبيل ولكن ليس من الحكمة ان يُقرَّ على قرار قبلما تُعرَف احوال النيل كلهِ تمامًا . والعمل الحاضر تمهيديٌّ من هذه الجهة وفوائدهُ كثيرة من حيث معرفة احوال النيل والتحكم فيهِ ولو اتضح منهُ ان لا سبيل لانشاء خزان آخر

و يراد الآن مسح الجهات التي فيها الشلالات ومعرفة مناسيب وادي النيل وسيمضي مع المساحين مهندس جيولوجي . وعيِّن لنفقات السنة الاولى ٢٠٠ ٤ ج . م . و يقدَّر ان هذا

العمل يقتضي ثلاث سنوات حتى يبلغ راس الشلال الثالث

القناطر الخيرية

انشئ الجبسان تحت القناطر الخيرية فتم اساساها ولم يبقَ منهما الا إعلاء رأسيهما الى الحد الاخير الذي يراد اعلاؤُها اليهِ . وطول حبس فرع رشيد ٥٠٠ متر وقد شُرع فيهِ وأُتمَّ سنة ١٩٠٠ وذلك مما يحق للماجور برون ورفيقهِ المستر بروك ان يفتخرا بهِ . وقد كان الشروع فيهِ في دسمبر سنة ١٨٩٩ فتمّ قبل فيضان سنة ١٩٠٠ اي في اواسط يوليو . وبلغ ما أُنفق على هذين الجبسين حتى الآن ٤٢١٠٠٠ ج . م أُنفق من ذلك ١٧٩٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ ولهذين الحبسين اليد الطولى في انقاذ موسم القطن سنة ١٩٠٠ فبواسطتهما امكن رفع منسوب الماء فوق القناطر الخيرية والاستفادة من الفيضان الى حدّ ما كانت القناطر الخيرية لتقوى عليهِ لولاها لانهما خففا ضغط الماء عنها

قناطر زفتة

اذا تمَّت هذه القناطر كانت تتمة لخزاني اصوان واسيوط ويراد بها التحكُّم في توزيع المياه شمالي القناطر الخيرية لان الرياحات الآخذة من فوقها طويلة جداً لا تكفي لايصال الماء الى اطراف الوجه البحري الشمالية وقت قلتهِ

وستكون هذه القناطر من نوع الحبس مثل سد اسيوط يرتفع بها منسوب النيل ٣ امتار وقد قدرت نفقات عملها ٤٥٠٠٠٠ ج . م . منح صندوق الدين ٨٦٠٠٠ ج . م منها لاجل اعداد المواد اللازمة سنة ١٩٠١ وينتظر ان يتم هذا العمل حينما يتم الخزان

العونة

خرج ١٨١٦٦ رجلاً سنة ١٩٠٠ لحراسة جسور النيل مدة ١٠٠ يوم . وهذا العدد يزيد ١٠٧٧٨ عن عدد مَن خرج للعونة سنة ١٨٩٩ لان فيضان سنة ١٨٩٩ كان اوطأ ما ذُكر في تاريخ النيل . وخرج في الوجه البحري حينئذٍ اقل من ١٠٠٠ نفس

وخيف مرةً من ان فيضان سنة ١٩٠٠ يكون عالياً جداً ولما ثبت انهُ لا يكون كذلك كان انفار العونة قد خرجوا واقاموا على الجسور . فان النيل علا باكراً واسرع في فيضانهِ وظهر في اغسطس انهُ سيجري على القاعدة العامة وهي ان الفيضان الواطئ جداً يعقبهُ فيضان عالٍ

جدًّا ولذلك دُعي رجال العونة ابكر مما كانوا يدعون عادةً فكثر عددهم ولا يحتمل ان يقع هذا الخطأُ مرةً أُخرى لان مقاسات الخرطوم عن سنة ١٩٠٠ معروفة كلها الآن فيعلم منها في المستقبل كيف يكون الفيضان ولم يكن ذلك ممكنًا في العام الماضي

وقد ابنت مرارًا ان خروج الناس لحفظ الجسور الآن لا يقاس بما كان يحدث قبل بضع سنوات حين كانت الترع تطهَّر بالسخرة . وحفظ جسور النيل الآن لا يكلف الناس مشقة عظيمة ولكن تسخيرهم لا يسلم من الاعتراض مهما كان سببهُ . واذ قد تمَّ الآن ما هو اهم منهُ من المسائل الخطيرة لاق ان ينظر فيهِ لعلهُ حان الزمن لالغاء آخر اثر من آثار نظام فاسد

وفي الغاء العونة تمامًا مصاعب مالية وادارية والبحث جارٍ فيهِ بالدقة ولا يمكنني ان اقول حتى الآن هل يمكن الغاؤُها تمامًا او لا يمكن ولكن يحتمل ان يُحَلَّ هذا المشكل باقامة عصابات من العمال في اماكن مختلفة على جسور النيل والوصل بينهم بالتلفون فانهُ يحتمل ان يكون من وراء ذلك اقتصاد كثير في العمل

المصارف

أُنفق نحو ٢١٤٠٠٠ ج . م على اعمال المصارف في السنة الماضية حفر بها ١٩٣ كيلو مترًا من المصارف الجديدة واصلح ١١٦ كيلو مترًا من المصارف القديمة

وقد بلغ ما حفر من المصارف الجديدة في السنوات الاربع الماضية ٩٣٨ كيلو مترًا وما اصلح ٩١٨ كيلو مترًا والفضل في ذلك لصندوق الدين الذي جاد بالاموال اللازمة . وقد بلغ ما انفق على هذه المصارف في السنوات الاربع الاخيرة ٩٢٨٠٠٠ ج . م

وما يرى الآن من السهولة في جمع الاموال الاميرية سببهُ الاكبر الانفاق على المصارف وقد ارتفع ثمن الاطيان التي انتفعت بها كثيرًا

مصارف الاسكندرية

نيط عمل المصارف في الاسكندرية بمحل ايطالي من المقاولين المشهورين فاقتصر عملهُ في سنة ١٩٠٠ على اعداد المعدات اللازمة وينتظر ان يشرع في عمل جدار الرصيف الجديد سنة ١٩٠١ فيشمل مساحة كبيرة ممَّا يغمرهُ ماءُ البحر الآن وتصب البواليع وراءها . وهذه الاعمال تحت ادارة مجلس الاسكندرية البلدي

ماءُ الاسكندرية

اشرت عند الكلام على ماء الاسكندرية في تقريري السابق الى الاهتمام بثقب الارض

شمالي مديرية البحيرة . حتى اذا وُجد الماء الغزير هناك حفرت فيهِ آبار واقيمت فوقها طلمبات تخرج الماء منها وترسلهُ الى الاسكندرية في انابيب من الحديد فيكتفى بهِ عن انشاء مرشحات كبيرة كثيرة النفقة مما يقتضيهِ كل مشروع من شأنهِ جرُّ الماء الى المدينة من ترعة المحمودية

فثقبت الارض ولكن وجد ماؤُها مشوبًا بالملح فلم يبقَ سبيل الاَّ الرجوع الى ماء الترعة . ويُرى الآن ان يُرفع الماء منها بالآلات الرافعة الى حياض كبيرة ثم يجري في انابيب من الحديد الظهر الى المرشحات . ولم يتم تفصيل هذا المشروع حتى الآن والمرجح ان نفقاتهِ تبلغ ١٠٠٠٠٠ ج . م

ماء طنطا

تمَّ توزيع الماء في طنطا ولكن لا تزال الصعوبة شديدة في جعل الاهالي يقلعون عن اوهامهم و يشربون الماء النقي بدل الماء القذر الذي يستقونهُ من الترعة . والسبب الاكبر لذلك ان السقائين الذين ينقلون الماء الى البيوت في كل مدن مصر يفضلون غالبًا اخذ الماء من الترعة حيث يستقونهُ مجانًا على اخذهِ من الشركة اذ يضطرون ان يدفعوا لها ثمنًا قليلاً عن كل قربة فيشيعون عن مائها اشاعات غير موافقة يصدقها البسطاء من السكان . ولا بدَّ من ان تزول هذه الاوهام مع الزمان . وقد كانت الشركة تخسر اولاً اما في العام الماضي فعادل دخلها نفقاتها

وقد وزَّعت ٢٦٧٥٠٨ مترًا مكعبًا من الماء سنة ١٩٠٠ اخذت الحكومة منها ٤٨٨٠ مترًا وما بقي وهو ٢٠٨٣٠٥ اخذهُ السكان واضيف ٣٠٠٠ متر من الانابيب الى ما مُدَّ منها في الشوارع و ٨٠٠٠ متر الى ما مدَّ منها في البيوت وانشئَ ١٢ مستقًى لبيع الماء و ٤ مستقيات يوزع منها الماء مجانًا و ١٩٧ حنفية لاطفاء النار اطفئَ بها ٣٠ نارًا شبَّت في طنطا سنة ١٩٠٠

وللخواجات سوارس وشركائهم منشئي هذا العمل فضل كبير لاجل الهمَّة التي بذلوها لاتمامهِ والصبر الذي تدرَّعوا بهِ في التغلُّب على ما لقوهُ من المصاعب والمقاومات . وعسى ان يكلل سعيهم بما يستحقُّ من الربح المالي

شوارع القاهرة

اتجهت الانظار حديثًا الى حالة شوارع العاصمة . ولا استطيع ان ابحث بالاسهاب في تقرير مثل هذا عن موضوع اهميتهُ محلية ولكنني اشير الى الامور الجوهرية التي يجب ان ينظر فيها وابين بالاختصار المصاعب التي تقف في طريق الاصلاح . ولا شبهة في انهُ تمَّ تحسُّن

كثير في غضون السنة الماضية او السنتين الماضيتين بهمة المستر ارنلد بري . ولا شبهة ايضاً في انهُ يجب ان يعمل شيء كثير ايضاً قبلما يقال ان شوارع القاهرة من حيث الكنس والتبليط والتنوير صارت في حالة راضية

وتبلغ مساحة الشوارع في القاهرة ٢٧٨١٧٤٢ متراً مربعاً المرصوف منها بالحصى ٣٦١٠٢٤ متراً مربعاً وما بقي شوارع غير مستوية وجدت منذ مئات من السنين

ونفقات رصف الشوارع اقل مما هي في كل مكان فانها ١٧ جنيهاً وربع جنيه لكل الف متر مربع وفي المدن الاوربية من ٣٢ جنيهاً الى ٣٤ جنيهاً. والمانع من رصف الشوارع كلها في القاهرة قلة وجود النقود اللازمة فان رصف الشوارع غير المرصوفة يقتضي على ما بلغني ٢٠٠٠٠٠٠ ج . م ثم يقتضي ترميمها ٥٠٠٠٠ ج . م كل سنة

والتجارب جارية الآن في الاسفلت المضغط فان نظارة الاشغال تنظر في مشروع مآلهُ رصف الشوارع المهمة بهِ لانهُ ابقى على الاستعمال من الحصى ولو كانت نفقات الرصف بهِ اكثر من نفقات الرصف بالحصى . ومن المحتمل ان يُوصل بهِ الى حل هذه المشكلة وهي زيادة الشوارع المرصوفة من غير زيادة في النفقات السنوية

ومسألة كنس الشوارع مالية من جهة وادارية من اخرى فان السكان يطرحون فضلات بيوتهم في الشوارع يومياً فلا يسهل تنظيف الشوارع ما لم يمنعوا من ذلك ومصلحة الكنس والرش لا تستطيع منعهم

و ١٧٠٨٥٤٥ متراً مربعاً من شوارع مساحتها ٢٧٨١٧٤٢ تكنس وترش مرتين كل يوم فهي ٦١ في المئة من الشوارع كلها ولا يتم ذلك الاَّ بالاقتصاد الكثير الدقيق . واضيف الى ميزانية مصلحة الكنس والرش ٣٠٠٠ ج . م في خريف ١٩٠٠ لكي يسهل عليها رفع الفضلات من احياء الوطنيين مرةً كل اربعة ايام وهذا الاصلاح يخفف الضرر ولو لم يزلهُ فان الوطنيين يطرحون فضلات بيوتهم يومياً في الشوارع ويستعملون كثيراً من هذه الشوارع كالمراحيض ومصلحة الكنس والرش عاجزة عن منعهم . وهم في الاحوال الحاضرة إما ان يفعلوا ذلك او يتركوا الاقذار والفضلات في بيوتهم

و يطرح من البيوت يومياً ما يزن ٩٠٠ طن ترفع منها مصلحة الكنس والرش ٣٥٦ طناً كل يوم وخدمة الحمامات ٢٢٦ طناً وما بقي يترك في الشوارع

ولا بدَّ من ان يبقى جانب كبير من المدينة قرارةً للاقذار الى ان ينشأ فيها كلها مراحيض عمومية ويدبَّر المال اللازم لتنظيف الشوارع كلها مرةً في اليوم على الاقل

امطرت السماء يوماً في فبراير سنة ١٩٠٠ فاضطر عمّال مصلحة الكنس والرش ان يبذلوا جهدهم اربعة ايام بلياليها حتى نظفوا الشوارع وقد رفعوا منها ١٢٥٢٨ طنًّا من الماء والطين. ولدى الحكومة مشروع عن نزح شوارع القاهرة نزحاً سطحيًّا وهي تنظر فيهِ الآن[1]

وفي الشوارع ٣١٧١ مصباحاً من مصابيح الغاز وهي نصف ما تحتاج اليهِ وتبلغ نفقاتها ٢١٤٤٠ ج. م سنويًّا

وقد شاع استعمال النور الكهربائي كثيرًا في غضون السنة الماضية ففي ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٩٩ كانت المصابيح الكهربائية كلها مساوية لثلاثة وثلاثين الفاً وخمس مئة مصباح كلٌّ منها مثل ثماني شمعات وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٠ بلغ عدد المصابيح ٤٨٠٠٠ اي انها زادت ٤٢ في المئة. وقد اخذ اهل الثروة من المصريين في اضاءة منازلهم بالنور الكهربائي. ووضعت الاسلاك الكبرى والثانوية تحت الارض

واقول اخيرًا ان عدد الذين ينتقلون بمركبات الترامواي الكهربائي يبلغ الآن ٤٠٠٠٠ يوميًّا وقد كان ٢٧٠٠٠ سنة ١٨٩٩ اي ان سبعة في المئة من السكان ينتقلون بالترامواي فلا شبهة في انهُ وفى بحاجة من حاجات الجمهور الكبرى. وطول الخطوط التي تجري عليها المركبات الآن ٣٥٦٠٠ مترًا ولا يزال ١٥٠٠٠ مترًا منها خطًّا مفردًا. وقد فتح خط الخليج وهو يصل بين اهم شوارع الوطنيين واكثرها ازدحاماً وفتح كذلك الخط الذي يصل بين كبري قصر النيل والاهرام

مراقبة الآلات البخارية

صادقت المحاكم المختلطة على قانون اعطاء الرخص بالآلات البخارية من كل الانواع بعد ان حوَّرتهُ نظارة الاشغال العمومية. فان القانون الاول كان مشحونًا بالمتناقضات وكانت مخالفتهُ سهلة لان موادهُ مبهمة يعسر تفسيرها غالبًا فزادت سلطة قسم الهندسة بالمصادقة عليهِ وصار من الممكن منع اصحاب الآلات البخارية من تشغيلها اذا كانت في حالة يخشى منها على الجمهور. وقد نجحت مراقبة الآلات سنة ١٩٠٠ بنوعٍ عام. وطُلب ١٥٣ رخصة فاعطيت ٨٩ رخصة. وذهب المفتشون ٢٠٩ مرات لتفتيش الآلات البخارية فوجدوا مئة آلة وآلةً منها في حالة غير راضية

وقد صلحت حال الآلات عموماً واخذ اصحابها يرون ما يجب عليهم من الاقتصار على احماء القزانات الى حد لا يخشى معهُ الضرر. ولم ينفجر الاَّ قزان واحد سنة ١٩٠٠

---

(١) وقع مطر غزير بعد كتابة ما تقدَّم فدلَّ على شدَّة الحاجة الى هذه المصارف

مساحة الاطيان

تقدمت اعمال المساحة كثيرًا في العام الماضي وستتم مساحة مديرية الجيزة والغربية في آخر سنة ١٩٠١ . وشُرع في مسح الفيوم وهي المديرية الاولى التي سبق فيها قياس المثلثات المساحة العادية . وقياس المثلثات جارٍ الآن في الدقهلية والقليوبية ويعاد الى استخراج المساحات بالتفصيل في سنة ١٩٠٢

اما المساحة العادية فتتم الآن باسرع مما كانت تتمّ بهِ قبلاً لزيادة خبرة المساحين

وبيع من الخرائط سنة ١٩٠٠ مضاعف ما بيع سنة ١٨٩٩ واكثر الشارين من اصحاب الاطيان القليلة الذين يودون ان يكون عندهم رسم املاكهم

الارصاد الجوية

أُصلح مرصد العباسية اصلاحًا عامًّا في السنة الماضية والآلاتُ المتيورولوجية ترصد بها الاحداث الجوية الآن رصدًا مطَّردًا

ونقع كرة الوقت في بورت سعيد الظهر كل يوم بمجرىً كهربائي يرسل من مرصد العباسية والمنتظر ان كرة القاهرة وكرة الاسكندرية تصيران كذلك في اوائل سنة ١٩٠١

وجُعل الوقت المدني للقطر المصري كلهِ الدرجة ٣٠ شرقي غرينوتش بدلاً من استعمال اوقات مختلفة في اماكن مختلفة

وتؤخذ الارصاد الجوية الآن في ثمانية مراكز بين الاسكندرية وام درمان . وترسل اخبارها بالتلغراف الى القاهرة الساعة ٨ صباحًا فتطبع وتنشر . وتم الاتفاق حديثًا على تبادل هذه الانباء البرقية الساعة الثامنة صباحًا كل يوم بين الاسكندرية ومالطة وبرندزي وتريستة واثينا وتنشر هذه التلغرافات في مينا الاسكندرية ومينا بورت سعيد لفائدة الجمهور

وتطبع الارصاد الجوية كل شهر وتنشر . وستنشر قريبًا نتائج اعمال مرصد العباسية اما الارصاد التي كتبت سنة ١٨٩٩ ومتوسط ارصاد الثلاثين سنة الماضية فقد طُبعت وستنشر قريبًا

ونقيد الايام الماطرة ومقدار المطر بالتقريب في الرصيرص وفشودا وود مدني وكسلا لان ليس فيها مقاييس مدققة للمطر حتى الآن واما ام درمان ففيها كل الادوات اللازمة للارصاد الجوية ولا يمضي وقت طويل قبلما تقام مراصد للاحداث الجوية في اماكن مختلفة على البحر الازرق والابيض

وقد دُبّر المال اللازم لنقل مرصد العباسية الى حلوان على ١٥ ميلاً من القاهرة وسيشرع في البناء في اوائل سنة ١٩٠١

وارسلت مقاييس الحرارة الى مشرع الرق في مديرية بحر الغزال لكي تراقب هناك يومياً

المساحة الجيولوجية

اشتغل المسّاحون الجيولوجيون في جمع نتائج السنوات الثلاث الماضية . وستنشر قريباً التقارير عن الخارجة والداخلة والفرافرة من الواحات وقد أُعدّت خمسة تقارير أُخرى للطبع

والعمل جارٍ في رسم الخرائط وسينشر بعضها قريباً

ويبنى الآن متحف جيولوجي والمرجح انهُ يتمّ قبل آخر السنة وقد بلغ ما أُنفق عليهِ حتى آخر السنة الماضية ٢٧٠٠ ج٠م

الجيش والبوليس

غُيرت شروط الانتظام في الجيش والبوليس تغييراً مهمّاً في ختام السنة الماضية فان الخدمة العسكرية تُطلَب من كل مصري حينما يبلغ التاسعة عشرة من عُمرهِ ولا يستثنى من ذلك الاّ من استثناهُ القانون لاسباب خصوصية لكن لا يستنتج من ذلك ان المصريين كلهم ينتظمون في الجيش لان الذين يبلغون سن القرعة كل سنة هم اكثر كثيراً من الذين تدعو الحال الى تجنيدهم

وكانت الخدمة العسكرية خمس عشرة سنة مقسومة هكذا

ست سنوات في الجيش العامل (النظام)

خمس سنوات في البوليس او فرع آخر من فروع الحكومة

خمس سنوات في الاحتياطي (الرديف)

فلما استتبّ الامن في السودان صار في الامكان تقليل الجيش المصري ٥٥٠٠ من الضباط وصف الضباط والانفار ولذلك أُنقصت مدة الخدمة وجعلت عشر سنوات خمساً منها في الجيش العامل وخمساً في البوليس او الرديف وقد سُرّ المصريون عموماً بتقليل مدة الخدمة العسكرية

الجنايات

زادت الجنايات زيادة قليلة سنة ١٩٠٠ عما كانت عليهِ سنة ١٨٩٩ وذلك مما يوجب البحث الدقيق فقد كان عدد الجنايات في السنوات الاربع الماضية كما يرى في هذا الجدول

السنة	القتل	السرقات بظروف	جنايات اخرى	المجموع
١٨٩٧	٤٣٠	٣٧٨	٦١٦	١٤٢٤
١٨٩٨	٤١٤	٣٤٤	٥٨٤	١٣٤٢
١٨٩٩	٣٧١	٢٦٠	٦٢٠	١٢٥١
١٩٠٠	٤١٩	٢٩٢	٧٨٥	١٣٨٩

ويظهر من ذلك ان الجنايات الكبيرة قلَّت رويدًا رويدًا من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٨٩٩ ثم زاد مجموع الجنايات سنة ١٩٠٠ عما كان سنة ١٨٩٩ مع انهُ بقي اقل مما كان سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٩٨ واكثر الزيادة في حوادث القتل والسرقة بظروف . وفي ما سوى ذلك فالجنايات اقل مما كانت في السنين السابقة

والظاهر ان عدد الجنايات قلَّ كثيرًا على غير المعتاد سنة ١٨٩٩ لاسباب يعسر ايضاحها . ولم يرجح في بداءة سنة ١٩٠٠ ان تستمرَّ هذه القلة ولو كانت الاحوال كلها على ما يرام

ولا يُعلَم سبب عام لكثرة حوادث القتل . ومما يذكر بالاسف ان هذه الحودث كثيرة في مصر اكثر منها في شمالي اوربا ولكن بلغني انها اقل في مصر منها في ايطاليا فانها هنا ٤ لكل مئة الف من السكان واما في ايطاليا فستة لكل مئة الف

واسباب القتل في القطر المصري هي في الغالب الاخذ بالثار والعداوة والدفاع عن العرض . فان البدو وسكان الوجه القبلي يرتأون غالبًا انهُ يجوز لهم بل يجب عليهم ان يقتصُّوا بيدهم من كل من يثلم عرض ابنة من بناتهم او امرأة من نسائهم . ولذلك فالزيادة التي ظهرت في العام الماضي في حوادث القتل ما هي الآ امرٌ عرضيٌّ حدث لاسباب عرضية

اما كثرة حوادث السرقة بظروف فادعى الى إعمال الفكرة اذ يحتمل انها تدلُّ على وجود سبب عامّ يدعو الى ازدياد الجنايات . ولكن حوادث السرقة باكراه التي كانت عصابات اللصوص ترتكبها وكانت شائعة في القطر المصري قلَّت في العام الماضي على حسب ما قلَّت قبلاً كما يُرَى في هذا الجدول

١٨٩٨	٢١	حادثة
١٨٩٩	١٧	"
١٩٠٠	١٣	"

وقد بلغت هذه الحوادث ٥١ سنة ١٨٩٦ فقلتها في العام الماضي مما يسرُّ ذكرهُ

اما الجنح فكان عددها في السنوات الاربع الماضية على ما يُرى في هذا الجدول

السنة	سرقة	اعتداء	باقي الانواع	المجموع
١٨٩٧	١١ ٨٠٣	١٣ ٨٣٢	١١ ٢٧٤	٣٦ ٩٠٩
١٨٩٨	١٢ ٦٧١	١٤ ١٦٠	١٠ ٩٢٩	٣٧ ٧٦٠
١٨٩٩	١٢ ٤٩٦	١٥ ٤٦٤	١١ ٧٥٣	٣٩ ٧١٣
١٩٠٠	١٣ ٧٧٨	١٨ ٣٣٨	١٢٥٧٥	٤٤ ٦٩١

ولا اظن انهُ يعلَّق شأن كبير على ازدياد عدد السرقات وبقية انواع الجنح فان هذا الازدياد ناتج على الارجح من ان المصريين صاروا يلجأون الآن الى المحاكم اكثر مما كانوا يلجأون اليها قبلاً . ثم ان البوليس زاد انتباهاً فلم يعد يغفل ما يراهُ من الحوادث

اما حوادث السرقات البسيطة فاختلفت كثيرًا في هذه السنوات الاربع فزادت ٨٦٨ في سنة ١٨٩٨ عمَّا كانت عليهِ سنة ١٨٩٧ ونقصت ١٧٥ سنة ١٨٩٩ عما كانت عليهِ سنة ١٨٩٨ ثم زادت ١١٠٧ سنة ١٩٠٠ عمَّا كانت عليهِ سنة ١٨٩٨

فاذا اعتبرنا ذلك واعتبرنا ايضًا ما تقدَّم من ازدياد عدد السرقات بظروف على ما ذُكر قبلاً ترجَّح وجود سبب عام دعا الى زيادة هذه الجريمة سنة ١٩٠٠ واظنهُ قلة المحصول بسبب انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ . فانهُ بقي ٢٥٠٠٠٠ فدان من غير زرع رغمًا عما بذلهُ رجال الري من الهمة والعناية وبقاؤُها كذلك لا بدَّ من ان يلحق الفاقة بكثيرين ولو رُفعت الضرائب عنها ووجد سبيل لتشغيل كثيرين من الفقراء في اسيوط واصوان . والفقر والحاجة يسهلان ارتكاب الجرائم ولا سيما السرقة

وقد قال المستر كوربت النائب العمومي في الحكومة المصرية بعد ان راجع هذه الحوادث ما يأتي " وبنوع عام لا اظن ان الزيادة في عدد الجنايات والجنح في هذه السنة يدعو الى انشغال البال " وارى انهُ مصيب في ما استنتجهُ . فان كنت مصيبًا في نسبتي هذه الزيادة حديثًا الى سبب وقتيّ فيُرجى ان يكون ما حدث وقتيًّا ايضًا وان عدد الجنايات يقلُّ هذه السنة

ومما يذكر في هذا الصدد ان دس السم للمواشي (وهو جريمة شائعة في بلدان المشرق) شائع في القطر المصري ايضًا . وقد بلغني ان نظارة الداخلية تنظر الآن في زيادة المراقبة على بيع السموم سواءٌ باعها الوطنيون او الاوربيون

السجون

وُجد السبيل لخطوة مهمة في اصلاح السجون وهذا مما يسرُّني ذكرهُ . فقد كان العيب

الاكبر في السجون المصرية ضيقها فان ازدحام المسجونين في السجون الضيقة يدعو الى تفشي الامراض بينهم كما لا يخفى على من يلتفت الى هذا الموضوع . وكان معدَّل الوفيات في السجون المصرية في السنوات العشر قبل سنة ١٩٠٠ اكثر مما يجب ان يكون وكان السلُّ يفتك بكثيرين وهو مسبب عن الازدحام وفساد الهواء على ما بلغني . وقد وسّعت السجون رويدًا رويدًا في السنوات الاخيرة ولكنها لم توسع بالسرعة المطلوبة لقلة المال ولكن أُنفق على توسيعها ٣٥٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ فبلغ ما أُنفق في السنوات الثلاث الاخيرة ٨٨٠٠٠ ج . م . وابيح لمصلحة السجون ان تنفق ٣٠٠٠٠ ج . م في السنة الحاضرة وهي تبني الآن سبعة سجون جديدة وقد وضعت المسجونين في ستٍّ منها منذ السنة الماضية . وظهرت نتيجة ذلك حالاً فقلَّ معدَّل الوفيات من ٣١ في الالف سنة ١٨٩٩ الى ٢٣ في الالف . ولا يكاد احد يرتاب في ان معدَّل الوفيات يقلُّ ايضًا اذا أُنقذ المسجونون من نتائج النظام القديم . كتب كولس باشا يقول " لقد وُسّعت السجون حتى لم يبقَ شيءٌ من الازدحام في السجون المركزية الكبيرة ولا يعلم مقدار الاصلاح الذي نتج عن بناء هذه السجون الجديدة الاَّ الذين عرفوا السجون المصرية القديمة . وسينسى كل احد بعد زمن قصير ان السجون القديمة كانت موجودة "

ومن العيوب الكبيرة ايضًا ان كثيرين من المسجونين كانوا يأكلون طعامًا يأتيهم بهِ ذووهم. ولا يخفى ما يُعترَض بهِ على هذا الاسلوب ومن ذلك انهُ يجعل انقياد المسجونين صعبًا ان لم يكن محالاً . ومن الواضح ان الحكومة مضطرة الى اطعام المسجونين كلهم ولكن قلَّة المال اضطرتها ان ترجئَ ذلك الى فرصة اخرى

وفي سجون القطر المصري المركزية ٦٣٠٠ مسجون تبلغ نفقات طعامهم اكثر من ٢٥٠٠٠ ج . م في السنة . ولمَّا وُضعت الميزانية لهذه السنة عُيِّن فيها ١٨٠٠٠ ج . م لطعامهم وينتظر ان يكتسبوا بعملهم ٧٠٠٠ ج . م فيفي ذلك بنفقات طعامهم وهذه اول مرةٍ أُطعم فيها المسجونون كلهم على نفقة الحكومة

ونقّح قانون عقوبات المسجونين فان القانون القديم الذي سنَّ سنة ١٨٨٤ كان ناقصًا جدًّا وقد عدّل من وقت الى آخر باوامر مختصرة او بقرارات وزارية لكن هذه التعديلات ولا سيما الاخيرة منها اوقعت بعض الاشكال . واعترض رجال الحقانية على نظارة الداخلية لوضعها اوامر لا مسوّغ لها في القانون

اما القانون الجديد فنظرت فيهِ لجنة مختلطة عدة اشهر وقد بقي فيهِ كثير من القانون الاهلي الفرنسوي وادخلت فيهِ تغييرات كثيرة مبنية على قانون السجون الانكليزي والهندي

فكانت النتيجة انهُ صار اسهل استعمالاً من القانون الاول وحددت فيهِ المسأولية تحديدًا جليًا

واتبع القانون الهندي في تقسيم المجرمين الى محبوسين ومسجونين فالذين يحكم عليهم بالحبس لا يشغلون الاَّ الاشغال التي تقتضيها خدمة السجن

وفي تقرير المستر مكاريث عن احوال القضاء في العام الماضي تفصيل اوسع عن التغييرات التي أُدخلت في هذا القانون

واذا قلنا ان اصلاح السجون قد تمَّ تمامًا نكون قد بالغنا في ذلك ولكن من المؤكد ان ادارة السجون صارت اصلح كثيرًا مما كانت حتى الآن وقد تدعو الحال الى اصلاحات اخرى صغيرة ولكن كل المساوىء الفاضحة التي كانت في النظام القديم قد زالت الآن

سجن الاحداث

سجن الاحداث في القاهرة على ما يرام من كل وجه وادارتهُ تعود بالمدح على كولس باشا والمستر بوب المدير الذي يقيم فيهِ ويقضي وقتهُ كلهُ في تهذيب احداثهِ . وهو اشبه بمدرسة منهُ بسجن يتعلم فيهِ الاولاد القراءة والكتابة والحساب ويمرَّنون على الحركات العسكرية وعلى النظافة التامة . وقد اضيف اليهِ اماكن يعلم الاحداث فيها بعض الصنائع البسيطة وأُنشئت منهم فرقة موسيقية . واذا مضى على الاحداث بضعة اشهر لاختبارهم ابيح لهم الخروج من السجن في فسحات يقيمون فيها خارجًا نصف يوم فلم يسيئوا استعمال هذه الفسحات الاَّ مرة واحدة . وابيح لاربعة وخمسين ولدًا منهم في العام الماضي الى يمضوا الى بيوتهم وهذه اول مرة ابيح لهم ذلك والذين بيوتهم بعيدة دفعوا اجرة سكة الحديد ولما انتهت مدة المسامحة عادوا كلهم من تلقاء انفسهم

ويعطى كل ولد مليماً كل يوم واذا احسن سلوكهُ زيد راتبهُ حتى يبلغ اربعة مليمات في اليوم ويسمح لهُ بان يصرف ما يكتسبهُ واما النصف الآخر فيحفظ لهُ ويعطاهُ حينما يخرج من السجن

واحداث المصريين نبهاء والمرجح انهم انبهُ من اكثر الاحداث الاوربيين الذين من سنهم وقيادهم سهل وكذلك جريهم على مقتضى الحال ولذلك لا يستغرب انهم استفادوا كثيرًا مما لقوهُ من التهذيب والتدريب في سجن الاحداث . ولكن لا يمكن بت الحكم في نجاح هذا العمل الاَّ بعد ان يُعلَم مصير الذين اتموا مدة اقامتهم في هذا السجن وخرجوا منهُ . وقد خرج منهُ حتى الآن ٣٩ ولدًا ويقال ان ٢٨ منهم سائرون سيرًا حسنًا وخمسة عادوا الى السجن

ثلاثة منهم لاجل الخصام واثنان لاجل السرقة . ولا يعلم حال الستة الباقين

ولا يدخل سجن الاحداث الآن الاَّ الذين حُكِم عليهم لكن كولس باشا يرجو ان يوسع سلطة القانون حتى يشمل الاولاد المتشردين الذين يجولون الآن في شوارع المدن الكبيرة

الحشيش

تمَّ اصلاح كبير في العام الماضي في مصلحة خفر السواحل لمنع ادخال الحشيش على قدر الامكان

ويلغ مقدار الحشيش الذي ضُبط في العام الماضي غربي الاسكندرية ٨٠١٣ كيلوغراماً (٨ اطنان) ضبط ٤٣٥٤ كيلوغراماً منها وهي منقولة في الصحراء الى النيل وقبضت جوَّالات خفر السواحل على باخرة وسكونة فيهما ٣٦٥٩ كيلوغراماً

وينتظر انشاء محطة لخفر السواحل هذا العام في السلوم على ٢٤٠ ميلاً غربي الاسكندرية عند الحد بين القطر المصري وطرابلس الغرب وحينئذٍ ينشأ حرس من الهجانة فتتم سلسلة الخفر بين الاسكندرية وآخر حدود القطر المصري غرباً

وقد عينت نظارة الداخلية ومصلحة خفر السواحل لجنة مختلطة للبحث في مسأَلة قبائل البدو النازلين في صحراء ليبية وعليهم الاعتماد الاكبر في تهريب الحشيش وحملهم على مساعدة الحكومة في منع التهريب فجُعل عشرة من اشهر رجالهم مشايخ وأُعطوا بعض السلطة ويرجى ان تشتد الروابط بذلك بين البدو ومصلحة خفر السواحل لمنع التهريب

ومما يستحق الذكر ان الذين دلُّوا على آخر كميتين من الحشيش صودرتا في الصحراء هم من هؤلاء البدو

ويلغ كل الحشيش الذي ضبطتهُ مصلحة خفر السواحل في العام الماضي في القطر المصري كلهِ ١٣٥٥٥ كيلوغراماً والذي ضبطهُ البوليس ١٥٦٦ كيلوغراماً والذي ضبط في الجمارك ٥٠٤ كيلوغرامات والمجموع ١٥٦٢٥ كيلوغراماً فهو يزيد كثيراً عمَّا ضبط سنة ١٨٩٩ ومقدارهُ ٦٤٧٧ كيلوغراماً ويزيد ٥ اطنان عما ضبط في اي سنة من السنين السابقة

ويظهر من احصاء الدكتور ورنوك ان الذين دخلوا مستشفى المجاذيب في العباسية والحشيش سبب جنونهم عددهم آخذ في التناقص ولو قليلاً . ففي سنة ١٨٩٨ كانوا ٢٨,٣ في المئة من كل الذين دخلوا المستشفى فصاروا ٢٧,٥ في المئة سنة ١٨٩٩ و٢٥,٣ في المئة سنة ١٩٠٠

وقال الدكتور ورنوك ان النقص في عددهم اكثر مما يظهر من هذه الارقام لان بعض الذين داؤهم مزمن من فعل الحشيش قد أُخرجوا من المستشفى لكي يسع غيرهم من الذين في حالة ذات خطر ثم أُعيد بعض الذين أُخرجوا لانهُ تعذر حفظهم في بيوتهم

فمن ٥٠٦ من الذكور الذين دخلوا المستشفى سنة ١٩٠٠ كان ٤١ جنونهم مزمن ناتج من فعل الحشيش يقابل ذلك ٢١ من ٤٥٤ دخلوا المستشفى سنة ١٨٩٩

وسهل عمل البوليس بقانون جديد صادقت عليهِ المحاكم المختلطة فانهُ لم يكن يستطيع اقفال قهوة من قهاوي الحشيش ما لم يحكم على صاحبها ثلاثاً في ستة اشهر اما الآن فيمكن ان يحكم على صاحبها بحبس سبعة ايام و يغرَّم الى حد جنيه ويمكن اقفال كل محل عمومي سمح صاحبهُ باستعمال الحشيش فيهِ اقفالاً وقتياً واذا أُقفل كذلك ثلاث مرات او ثبت ان صاحبهُ باع الحشيش او قدمهُ لغيرهِ امكن اقفالهُ اقفالاً دائماً . وهذا قوى عزائم البوليس على القيام بما يطلب منهُ فحكم بالغرامة على ١١٤٩ شخصاً سنة ١٩٠٠ ولم يحكم الا على ٩٠٢ سنة ١٨٩٩ واقفل ٩٧٥ محلاً سنة ١٩٠٠ ولم يقفل سوى ٣١٠ سنة ١٨٩٩ . ولا يكاد يرجي ان يمنع استعمال الحشيش في القطر المصري منعاً تاماً لاسباب ذكرتها في تقاريري السالفة ولكن الوسائل التي استخدمت لتقليل استعمالهِ صارت الآن افعل كثيراً مما كانت قبلاً . ونتائجها تعود بالمدح على البوليس

الحج

يهتمُّ سكان القطر المصري المسلمون اهتماماً شديداً بكل ما يتعلق بالحج لاسباب لا تخفى على احد . ويهتم غيرهم بهِ ايضاً في هذا القطر وفي غيرهِ من الاقطار لانهم يودون ان يعود الحجاج من الحجاز وليس معهم شيءٌ من عدوى الامراض المعدية ولذلك يحسن بي ان اسهب الكلام في هذا الموضوع ولو قليلاً

لم تتعرَّض الحكومة المصرية لامور الحجاج الا حديثاً فكانوا يمضون الى مكة ويعودون منها كما يشاؤُون خاضعين لقوانين مجلس الصحة والكورنتينات . ولا شبهة في انهم كانوا يلاقون اشد المشاق احياناً كثيرة . وكانت الحكومة تضطر كل سنة في ختام زمن الحج ان ترسل بعض بواخرها الى جدة لترجع كثيرين من الحجاج الوطنيين الذين لا يستطيعون ان يدفعوا اجرة رجوعهم . فلما باعت بواخرها في اوائل سنة ١٨٩٨ رأت ان لا بدَّ لها من النظر في امر الحجاج فاقرَّت اولاً على انهُ لا يباح لاحد ان يذهب الى الحج ما لم يكن معهُ جواز من الحكومة ولا يعطى هذا الجواز الا اذا دفع ١٥٦ غرشاً صاغاً مئة غرش منها لطعامهِ وشرابهِ مدة اقامتهِ

في محجر الطور وخمسين غرشاً رسوم الكورنتينا والباقي وهو ستة غروش نفقات انزاله . واقرَّت ثانياً على انهُ لا يجوز لاحد ان يسافر بحراً قاصداً الحج ما لم يكن معهُ تذكرة ذهاب واياب . الاَّ ان البعض اعطوا تذاكر ذهاب واياب من غير ان يكونوا قادرين عن ارجاع الحجاج الذين سافروا بهم ولذلك خطت الحكومة خطوة اخرى سنة ١٨٩٩ واشترطت على طالبي الحج ان لا يسافروا الاَّ في الوابورات التي يقدر اصحابها ان يضمنوا للحكومة انهم يرجعون الحجاج الذين ذهبوا بهم

ونتج من ذلك كلهِ ان عدد الحجاج الذين اضطرت الحكومة الى ارجاعهم على نفقاتها صاروا اثنين في المئة فقط من عدد الحجاج كلهم بعد ان كانوا ثلاثين في المئة . وصارت الحكومة تنفق عليهم من دراهمهم التي دفعوها وقت اخذهم جواز السفر فنجا جمهور المموّلين من ضريبة ثقيلة واستفاد الحجاج انفسهم من هذا التغيير

ومن جهة أُخرى لم تكن الحكومة تهتمُّ بامر الحجاج بعد وصولهم الى السويس ونزولهم الى البر لكنها رأَت ان حفظ الصحة العمومية يدعو الى تغيير ذلك ففي سنة ١٨٩٩ طلبت اسماء كل الحجاج الراجعين وعنواناتهم وبعثت بها الى رجال الصحة في البلاد التي هم منها . وكان عدد الحجاج الذين عادوا حينئذٍ بطريق السويس ٦٢٣٧ فعرفت منازلهم كلهم ما عدا ٢٨٩ حاجًّا والمرجح ان اكثر هؤلاء الذين لم تعرف منازلهم مضوا الى الاسكندرية حالاً وسافروا منها الى خارج القطر المصري . ويحتمل ان بعض العنوانات لم يكن صحيحاً . قال الدكتور كرسول الضابط الصحي في بورت سعيد " ان هذا الاسلوب وفى بالمراد جيداً مع انهُ كان في دور الامتحان وكانت الشكوى منهُ قليلة جدًّا "

واقول اخيراً ان التدابير المتخذة لايواء الحجاج واطعامهم في الطور قد أُصلحت كثيراً اصلاحاً لا داعي لتفصيلهِ هنا . والهمة مبذولة لاصلاح ما بقي من التدابير . والآن التفت الى مسأَلة تسفير الحجاج بحراً

شركة البواخر الخديوية

لم توفَّق شركة البواخر الخديوية من حين انشائها سنة ١٨٩٨ فقد فقدت ثلاثاً من بواخرها . ولا حاجة بي الى الكلام على الاسباب المتعلقة بذلك اذ قد عُيِّن مجلس بحري للبحث عن غرق كل سفينة منها . ولكن غرق هذه السفن وجَّه الانظار الى ما يجب ان يكون من المراقبة على سفن الشركات التي من هذا القبيل

وشركة البواخر الخديوية انكليزية وبواخرها ترفع العلَم البريطاني ولكنها لا تدخل الموانئ البريطانية فلا يسري عليها قانون سفن التجار . ومن المصلحة العامة ان تكون بواخر هذه الشركة تحت شيء من المراقبة القانونية اذا كان في شرائع البلاد ما ينطبق على ذلك . والشركة لا تأبى هذه المراقبة لانها تستفيد من ازدياد ثقة الجمهور بها اذا علموا انها خاضعة لقوانين تكفل حسن ادارتها . ولما كان قانون سفن التجار غير معمول بهِ هنا فلا بدَّ للحكومة المصرية من ان تسن قانوناً يقوم مقامهُ لكن في تنفيذ هذا القانون على كل الشركات الاجنبية من المصاعب ما لا يمكن التغلُّب عليهِ . وقد قلتُ مراراً قبل الآن ان الحكومة المصرية لا تستطيع ان تسن قانوناً يعمل بهِ في مثل هذه الحال

وبناءً على ذلك دعت الضرورة الى اسلوب لا يندر استخدامهُ في القطر المصري لحل هذه المشاكل وهو بلوغ الغرض او ما يقاربهُ بوسائط لا تدعو الى سن قوانين ليس في طاقة الحكومة تنفيذها على الاجانب . وهذا الاسلوب قلَّما ينيل الحكومة اكثر من جزء مما تتوخاهُ لكن احوال المسألة التي نحن في صددها سهَّلت على الحكومة تدبير امر مكفول النجاح تقريباً

اكثر عمل الشركة الخديوية نقل الحجاج فلما جنحت باخرتها " الشرقية " على شعب في خليج السويس اتضح ان نقل الحجاج بحراً يقتضي ان يكون لهُ قانون ما . وبان ان الفائدة تشمل الحجاج والشركة ايضاً اذا وضعت الحكومة قانوناً لنقل الحجاج في المستقبل من مقتضاهُ مراقبة السفن ومعرفة صلاحيتها لسفر البحر ووجود المكان الكافي فيها لمن تنقلهم من الحجاج . وليس في طاقة الحكومة ان تجبر الشركة الخديوية او غيرها من شركات البواخر على العمل بقوانينها ولكن في طاقتها ان تمنع الحجاج من السفر في غير البواخر التي يقبل اصحابها بشروط الحكومة من تلقاء انفسهم

فتذاكرت الحكومة مع مديري شركة البواخر الخديوية وتم الاتفاق على ما يأتي ملخصاً وهو

لا يُسمَح للحجاج المصريين في المستقبل ان يسافروا الاَّ في سفن الشركة التي تقنع الحكومة بانها تستطيع ان تستخدم اربع سفن على الاقل كل شهر

يقاس ما تسعهُ كل سفينة تحت نظر وكالة سفن لويد وتعطى كل سفينة شهادة يكتب فيها ما هو اكبر عدد يسمح لها بحملهِ من الحجاج

ويذكر في الشهادة ان السفينة في حالة صالحة جدًّا للسفر وان فيها كل ما يلزم من القوارب واجهزة النجاة من الغرق وما اشبه

ووضعت قوانين مدققة من جهة اعطاء الماء مجاناً للحجاج واخذ مقدار كافٍ من

البقسماط . ولم يغفل امر الخدمة الطبية بل أُعطي حقهُ من الانتباه

ويكتب على جوانب السفينة عدد الحجاج الذين يُسمَح لها بحملهم بحروف كبيرة . وتفتش كل سفينة تفتيشاً تاماً قبل قيامها يفتشها معتمدون من قبل الحكومة حتى يثبت لهم ان كل شيءٍ فيها على تمام المراد وان الحجاج الذين فيها ليسوا اكثر من العدد المسموح لها بهِ

واتُّخذت التدابير لحمل ما يكفي الحجاج من الماء اذا اقاموا اياماً في ينبع منتظرين سفينة تنقلهم الى الطور . ولا بدَّ من ان يكون في كل سفينة موظف على الاقل يتكلم العربية

وجُعل أعلى ثمن لتذكرة الذهاب والاياب ٥ جنيهات مصرية ووضعت الشركة ٢٠٠٠ ج . م تأميناً على انها تنقل الحجاج المصريين على موجب الشروط المتقدمة واذا خالفت شرطاً من شروط هذا الاتفاق نُزعت منها رخصة السفينة التي خالفت الشرط او نُزعت منها رخص السفن كلها

وقد اعترض مجلس شورى القوانين على هذه الشروط لانها تُقيّد حرية الحجاج واشار ان تُطلق الحرية لهم حتى يذهبوا ويعودوا كما يشاءون ولكن الحكومة ذاكرت في ذلك لجنة من اعضاء المجلس فاقتنعت اللجنة بصحة راي الحكومة وهو ان القانون الجديد يعود بالنفع على الحجاج

ولم يقبل بهذا القانون حتى الآن الاَّ شركة البواخر الخديوية وسيبقى تسفير الحجاج مقصوراً عليها الى ان تناظرها شركة اخرى . ولكن نظام المراقبة الذي يقتضيهِ القانون الجديد يجب ان يسهل للحجاج اتمام سفرهم بما لم ينالوهُ قبلاً من الراحة والامن ولو لم توجد شركة اخرى لمناظرة الشركة الحاضرة

واتمام هذا الترتيب الجديد يعود بالمدح على المستر متشل مستشار نظارة الداخلية الذي جرت المذاكرة معهُ فيهِ . ثم ان مديري شركة البواخر الخديوية اظهروا استعدادهم التام للعمل حسب رغائب الحكومة

الرقيق

كتب اليَّ الكبتن مكردو الذي يدير مصلحة منع تجارة الرقيق يقول . "يمكن ان يقال عن ثقة ان النخاسة بطلت فعلاً . فمنذ حدثت حادثة الشرقية التي نُظرت في محكمة القاهرة سنة ١٨٩٩ لم تجرِ الاَّ محاكمة اخرى في حادثة خطف حدثت في الاقصر . ولا شبهة في ان اشتهار حادثة الشرقية كان لهُ وقع عظيم وتأثير مفيد في كل الوجه البحري ويظهر انهُ اتضح

الآن للناس ان الاتفاق الجديد والقوانين الموضوعة في هذا الشأن لا يستطيع احد ان يخالفها من غير ان يعاقب "

ويسرني ان اقرر ان مصلحة منع تجارة الرقيق نجحت حديثًا في سواكن نجاحًا يستحق الالتفات فان هناك قبيلة صغيرة من الرشايدة تسكن محافظة سواكن وهي مشهورة من قديم الزمان بالنخاسة . وقد حوكم شيخ من اكبر مشايخها واسمهُ مرشود لاجل ابتياع الرقيق وبيعهِ وحُكم عليهِ بالسجن سبع سنوات فكانت النتيجة ان الجانب الاكبر من الرشايدة الذين كانوا يسكنون شمالي سواكن هاجروا الى الاملاك الايطالية وقد بلغني انهُ لم يبقَ سوى اربعين من هذه القبيلة ضمن الحدود السودانية

وقد أُعدَّت المعدات اللازمة لتمكين هذه المصلحة من توسيع نطاقَ اعمالها الى السودان. فيقيم مفتش انكليزي في الخرطوم و يطوف فريق من خفر الهجانة بين بربر وكسلا ويقيم فريق آخر في سواكن يطوف في البلاد التي بينها وبين كسلا اي يتصل نطاق الخفر في كل السودان الشرقي. وارجو ان هذه الوسيلة تميت النخاسة في تلك الجهات

وقد بلغ عدد الذين أُعتقوا في القطر المصري في العام الماضي ٣٣٠ وهم

	ذكور	اناث	المجموع
سودانيون	٩٠	٢١٢	٣٠٢
احباش	٢	١٧	١٩
شراكسة	٠٠	٩	٩
والجملة	٩٢	٢٣٨	٣٣٠

اي انهم ينقصون ٦٦ عمَّن عتقوا سنة ١٨٩٩ . ولا شبهة في ان عدد الارقاء الباقين في مصر قليل جدًّا . وكثيرًا ما اسمع الشكوى من صعوبة وجود الخدَم للبيوت وقد اشار البعض مرارًا بانشاء مدرسة في القاهرة لتعليم تدبير المنزل . وهذا الامر يستحق امعان النظر ولكني لم ادرسهُ حتى الآن درسًا يكفي لابداء رأيي فيهِ

المجالس البلدية

أُنشئت المجالس البلدية الآن في اكثر البنادر . وهي لم تزل في دور الامتحان لانهُ لا ينتظر ان المبدأ الذي من مقتضاهُ ان يحكم الناس انفسهم بانفسهم يُغرس في القطر المصري ويثمر اثمارًا صالحة دفعةً واحدة

وقد اتت النتائج احياناً على غير المراد في الإنفاق على الاعمال التي تقتضي مراقبة فنية وبُذرت الاموال تبذيراً بعض الاحيان . والآن تبحث نظارة الداخلية ونظارة الاشغال العمومية عن الاساليب التي يمكن ان تزاد بها المراقبة الوافية بالغرض

ولكن المستر بتشنغ مدير مصلحة الصحة العام كتب يقول

"من جال في الوجه القبلي والوجه البحري لا يسعهُ الاَّ الاعجاب بما يرى من الاصلاح الكثير في المدن التي فيها مجالس بلدية من حيث النظافة والرُّواء . والفضل في ذلك للمديرين واعضاء المجالس البلدية الذين يهتمُّون باصلاح مدنهم وقد وصلوا الى هذه النتيجة بالقليل من المال الذي انفقوهُ عليها . واشير بنوع خاص الى مدينة الفيوم التي كانت من حيث الصحة من اقبح المدن المصرية فان بلاليع جوامعها وبيوتها كانت تصبُّ في بحر يوسف وهو المصدر الوحيد الذي يستقي منهُ الاهالي . فسدَّت هذه المجاري كلها واقيمت الجدران والدرابزونات على طول النهر منعاً للناس من القاء الاقذار فيهِ

"وفُتحت الشوارع الواسعة في وسط الاحياء المزدحمة ورُصف كثير منها ونتج من ذلك ان جادت الصحة كثيراً . وكانت وافدات الحمى الراجعة تحدث دواماً في مدينة الفيوم وحولها اما الآن فصار حدوثها نادراً"

ووُضع النور الكهربائي في مدينة المنصورة والعمل جارٍ الآن في انشاء المصارف لشوارعها

وقد شرعت تسعة من البنادر في رصف شوارعها وفي خمسة غيرها بضعة كيلومترات من الشوارع المرصوفة والمبلطة ويُنظَر الآن في مشروع لانارة بعض هذه البنادر بالنور الكهربائي

ولا ارى مانعاً يمنع الاستمرار على انشاء هذه المجالس البلدية وقد يحسن ان تزاد سلطتها بعض الشيء . واما من يظن انهُ يمكن الجري في الاحوال الحاضرة على حسب الاصول المتبعة في المجالس البلدية التي تُناط بها امور البلد من غير ضرر يلحق جمهور السكان — من يظن ذلك فهو مغترٌّ ولكن ما دامت هذه المجالس على حالها فالخطأ الطفيف الذي يقع منها تكفّر عنهُ الفوائد الحاصلة من ترغيب الاهالي في ادارة شؤُونهم بانفسهم

المصلحة الطبية

عولج في العام الماضي ٢٣٢٧٦ نفساً في المستشفيات العمومية و٣٦١ نفساً في مستشفى الامراض المعدية بالعباسية يقابل ذلك ٢٢٨٩٥ عولجوا في العام الذي قبلهُ في المستشفيات العمومية و٤٩٤ في مستشفى الامراض المعدية . وبلغ عدد الذين عولجوا في مستشفى قصر العيني وحدهُ ٢٤٦١٦ في العيادة الطبية

وفي سنة ١٨٩١ كان عدد الذين عولجوا في مستشفيات الحكومة ١٥٣٧١ فقط . ومما يحسن ذكره ان نفور الناس من مستشفيات الحكومة قد زال كله الآن تقريباً وصار الاهالي يعترفون بفوائد المستشفيات

وفتحت اجزاخانة في ادفو واخرى في كورسكو وأرسل الى بعض المدن صناديق فيها من الآلات الجراحية والعقاقير الطبية ما تمس الحاجة اليهِ اذا حدث حادث فجائي . ويرجى ان يعطى صندوق من هذه الصناديق لكل طبيب من اطباء الصحة حينما يوجد المال الكافي لذلك

وقد تمَّ مستشفى اسيوط في بداءة السنة وفتح ثانيةً وبُدِئ في مستشفى المنيا في بداءة سنة ١٩٠٠ ويكاد يتم الآن

ويبنى الآن قسم للنساء متصل بمستشفى الاسكندرية لكي يكنَّ فيهِ وحدهنَّ

والمال الذي سمح بهِ صندوق الدين للزيادة والتغيير في مستشفى بورت سعيد لم ينفق كلهُ سنة ١٩٠٠ لانهُ لم يستحسن الشروع في البناء وقتما كان الوباء فاشياً فيها ولكن سيشرع في العمل الآن حالاً

ويبنى الآن في القصر العيني ملجأ للقطاء جُمع المال لهُ بالاكتتاب العمومي وقد قارب التمام وسيفتح في شهر مايو المقبل او حواليهِ

وانشئ مستشفيان صغيران للامراض المعدية في بنها ودمنهور

واقيم مكان جديد للتطهير المزيل للعدوى في القاهرة واماكن اصغر منهُ في بنها ودمنهور واسيوط والمنيا وشبين الكوم فصار في اكثر بنادر القطر ادوات للتطهير واناس مدربون على استعمالها

ويؤتى بالماء النقي الى مستشفى الزقازيق والى مستشفى المنصورة بطلمبتين من بئرين عميقتين

الطاعون

الحقت بهذا التقرير مذكرة من المستر بنتشنغ اوضح فيها الوسائل التي جرى العمل بها في السنة الماضية لمنع انتشار الوباء . وما ابداهُ المستر بنتشنغ ورجالهُ من المهارة وحسن التدبير في مقاومة الوباء الخفيف الذي ظهر في الاسكندرية في الصيف الماضي يعود عليهم بالثناء الوافر

التطعيم

طُعم ٣٩٣٠٠٠ في السنة الماضية يقابل ذلك ٢٥٧٠٠٠ طُعموا سنة ١٨٩٩ وكثر الطلب كثرة غير عادية على معمل التطعيم الذي يديرهُ النشيط المستر برنتش

وفشا الجدري في القاهرة في العام الماضي ولكنهُ أُوقف حالاً باعادة تطعيم كثيرين من السكان . قال المستر بنتشنغ في صدد ذلك " اني لا ابالغ مهما مدحت الاطباء الوطنيين على الهمَّة التي بذلوها لتطعيم الناس "

وبلغت حوادث الجدري التي أُعلمت بها مصلحة الصحة ٢٩٨ كان منها ٢٤٢ بين الوطنيين و٥٦ بين الاجانب . وسكان القاهرة نحو ٦٧٧٠٠٠ نفس والاجانب منهم ٣٥٠٠٠ نفس فقط ويظهر من ذلك ان الذين اصيبوا بالجدري من الوطنيين اقل من الذين اصيبوا من الاجانب بالنسبة الى عددهم وفي ذلك يقول المستر بنتشنغ " ان ما بدا من قلة انتشار الجدري بين الوطنيين يمكن ان ينسب الى ان التطعيم صار الآن اعمَّ بين الوطنيين منهُ بين الاجانب وهو اجباري على الوطنيين والاجانب معًا ولكنَّ كثيرين من الاجانب لا يتطعمون ويتعذَّر على رجال الصحة ان يجبروهم على ذلك لان مواليدهم تسجل في قنصلياتهم وقلما ترسل اسماؤهم الى مصلحة الصحة واذا أُرسلت استحال غالبًا ان يعلم اين مقرهم . فما دام الاجانب يتعدون قانون التطعيم الاجباري تبقى مصر معرَّضة لانتشار الجدري فيها

التدابير الصحية في القرى

أُقفل في السنة الماضية ٢٠٨ جبَّانات كانت في اواسط المدن والقرى واختيرت اماكن غيرها خارج المدن لتكون جبَّانات

وابدلت ميضآت ١٧٤٤ جامعًا من جوامع القرى بحنفيَّات حتى يستطيع كل احد ان يتوضأ بماء نقي . وتم ذلك في الوجه القبلي على غاية السرعة حتى لم يبقَ من الميضآت القديمة الاَّ ما ندر

وكتب المستر بنتشنغ عن حالة البرك التي في جوار كل قرية من قرى الفلاحين ما يأتي " لو وجدت الحكومة سبيلاً لردم البرك الآسنة الماء التي قلَّما تخلو قرية منها لجادت الصحة كثيرًا . وهي الحفر التي يُصنع منها الطوب لبناء البيوت فيرشح اليها الماء وتختمر فيها المواد الآلية في فصل الصيف وتفسد الهواء بما ينتشر فيهِ من ابخرتها السامة . واولاد القرى يلعبون حول هذه البرك والنساء يغسلن الثياب فيها والمواشي تشرب منها فتصاب بمرض في حلقها يميتها غالبًا . والمرجح ان السكان يصابون من شرب مائها بالدود الصغير المسمَّى Anchylostoma doudenalis اي الاعوج الفم الاثني عشري الذي يسبب الانيميا المتقدمة وهي مرض منتشر جدًّا بين فلاحي مصر يموت بهِ كثيرون والمصابون بهِ كثار جدًّا "

مستشفى المجاذيب

أُنفق على مستشفى المجاذيب في العباسية في العام الماضي ٢٥٠٠ ج . م . وزيدت ارض المستشفى حتى بلغت ١٧ . ١ فداناً ونصف فدان فيصيب كل واحد من الذين فيهِ جزءًا من ثلاثة عشر جزءًا من الفدان وبلغني انهُ يصيب الواحد في بيمارستانات انكلترا عشر فدان وفي بيمارستانات المانيا ربع فدان . وقد بني قسم جديد يسع ثلاثين مجنونًا من المجانين المتعبين لخفّ الازدحام في القسم القديم الذي يوضع فيهِ هؤُلاء المجانين . وبُني مكان واسع للنوم وثماني غرف منفصلة للمعتوهين .

ويسرُّني ان اقول انهُ تمَّ الاتفاق على ان المجرمين المختلي الشعور يسلَّمون لادارة السجون ويوضعون في طرة . وهذا يقلّل الازدحام نوعًا في مستشفى المجاذيب ولا يبقى سبيل لامتزاج المجرمين بغير المجرمين لما في ذلك من المضار

ولا شبهة في ان الوسائل الحاضرة لا تفي بالمراد مع ما تمَّ فيها من الاصلاح . والحاجة ماسّة الى مستشفًى آخر للمجانين وارجو ان توجد الاموال اللازمة لاقامتهِ قريبًا

طاعون المواشي

كتب المستر بنتشنغ في هذا الموضوع الهام ما يأتي . "لم تحدث حادثة في القطر المصري من هذا الوباء سنة ١٩٠٠ مع انهُ ظهر في كثير من مديريات السودان الى الشمال والجنوب من الخرطوم . وظهورهُ في السودان هامٌّ جدًّا لما بينهُ وبين القطر المصري من الاتصال وقد ظهر في مواشي مركزي واد بشاري وشبلوكة وفي مديرية بربر ولم يفتك بمواشي السودان كما فتك في جنوبي افريقية وسبب ذلك انهُ كان منتشرًا في السودان منذ عدة سنين فصار في المواشي التي في السودان الآن — وهي من نسل المواشي التي مرضت بهِ وشفيت — شيءٌ من المناعة المكتسبة . ثم ان شدَّة الحرارة وشدَّة الجفاف في هواء السودان تضعفان فعل الوباء

"وأُتي بكمية اخرى من المصل المضاد لطاعون المواشي من حكومة الراس في السنة الماضية أُرسل بعضها الى السودان وترك الباقي في القاهرة ليستعمل حين الحاجة اليهِ . وأُتي بالمصل ايضًا من دار الهيجين بالاستانة وهو شديد الفعل ولكن قوة المناعة فيهِ اقل منها في المصل الوارد من حكومة الراس وقد قرَّر الماجور غرفث الطبيب البيطري الاول في الجيش المصري

ان المعالجة بالمصل نافعة جداً حتى ان الاهالي انفسهم ادركوا نفعها فصاروا يأتون بمواشيهم من تلقاء انفسهم ويطلبون ان تعالج بهِ

" واذا نفد ما عندنا من هذا المصل استحال علينا ان نأتي بغيرهِ الآن من الراس ولذلك رأينا من الحكمة ان يكون عندنا المعمل والادوات اللازمة لاستحضار المصل خوفاً من ان تمسَّ الحاجة اليهِ بغتةً فبني المعمل في الحلفاية. واقيم ما يلزم لايواء المواشي . والادوات اللازمة لاستحضار المصل صارت في مخازن القاهرة وسيشرع في استحضارهِ حالاً اذا دعت الحاجة اليهِ

" وقد وقفنا في اوغسطس الماضي على رأي الاستاذ كول في طاعون المواشي المنتشر في السودان والوسائل التي يحسبها اصلح من غيرها لمقاومتهِ هناك ولمنعهِ من الامتداد شمالاً الى مصر . ولهذا الاستاذ خبرة واسعة في طاعون المواشي الذي عمَّ جنوبي افريقية سنة ١٨٩٦ و١٨٩٧ و١٨٩٨ . وقد وضع هو والاستاذ تُرنر طريقة نجحت مدة انتشارهِ هناك وهي حقن المواشي بدم المواشي المطعونة وبالمصل المضاد لطاعون المواشي في وقت واحد . فنجا بذلك ٦٦ في المئة من المواشي حيث استعمل هذا العلاج

" وأُعلنت حكومة السودان في السنة الماضية عن ٤٦٨ حادثة من طاعون المواشي يقابل ذلك ٨٥ حادثة أُعلنت بها سنة ١٨٩٩ . ومن المحتمل ان مواشي اخرى اصيبت بهِ ولم تعلن بها الحكومة

" واستُعملت الوسائل الواقية مدى السنة وبذلت حكومة السودان جهدها لمنع ارسال المواشي الى الجهات الشمالية لئلاَّ تنتقل العدوى بها الى مصر "

جلب البقر والغنم

بلغ عدد البقر التي جُلبت في العام الماضي ١٦٠٠٠ يقابل ذلك ١٨٠٠ جُلبت سنة ١٨٩٩

وبلغ عدد الغنم المجلوبة ٨٥٠٠٠ يقابل ذلك ٦٥٠٠٠ جُلبت سنة ١٨٩٩

وسبب زيادة البقر المجلوبة سنة ١٩٠٠ انهُ تمَّت حظائر الكورنتينا في الاسكندرية وأُعيد جلب البقر من سورية ولكنها تذبح في الميناء الذي تدخل منهُ

والمواشي والقطعان التي تأتي عن طريق الاسكندرية تؤكل كلها تقريباً فيها لان الحر لا يسمح بنقل لحمها الى القاهرة او غيرها من مدن الوجه البحري الاَّ في فصل الشتاء

والقانون الذي يمنع ادخال المواشي من سورية حيَّةً لا يزال مرعياً . ولا شبهة في ان هذا المنع الذي دعت الضرورة اليهِ وقاية لمواشي القطر المصري من المرض رفع ثمن المواشي وثمن

اللحم في مصر . وقد وصل الدكتور مكنزي ناظر مدرسة الزراعة الى النتائج التالية بعد البحث المدقق وهي

(١) ارتفع ثمن مواشي الشغل في السنين الاخيرة (خمسين في المئة على الاقل)
(٢) ارتفع ثمن لحم البقر ايضاً
(٣) زاد عدد الحيوانات التي تذبح
(٤) زاد عدد ما يجلب منها

الكَلَب

هذا جدول ما حدث من حوادث الكَلَب في السنوات الخمس الاخيرة

السنة	حوادث في الحيوانات	حوادث في الناس
١٨٩٦	٦	٤
١٨٩٧	٣٠	٥
١٨٩٨	١١	٢
١٨٩٩	١٠	٩
١٩٠٠	١٩	١٠

ويظهر من ذلك ان هذا الداء آخذ في الازدياد ولو قليلاً . وقد عالج الدكتور طونين مئة واربعين شخصاً في مستشفى الكلب الايطالي سنة ١٩٠٠ بقابل ذلك ثمانية وثمانون شخصاً عالجهم سنة ١٨٩٩

وكتب المستر بنتشنغ ان هذا المستشفى " افاد القطر فائدة عظيمة في السنتين الاخيرتين "

القضاء

نشر المستر مكلريث المستشار القضائي في الحكومة المصرية تقريراً وافياً عن اعمال القضاء وفروعه المختلفة في العام الماضي . ولذلك اقتصر على الاشارة الى بعض الامور المهمة فقط

ظهر نقص مستمر مدة السنوات الماضية في القضايا المدنية التي تنظر في المحاكم الاهلية فبعد ان كان عددها ٣٤٦٧ سنة ١٨٩١ هبط الى نحو ١١٠٠ سنة ١٨٩٦ و١٨٩٧ ولذلك سببان الاول رسوم القضايا في المحاكم الاهلية والثاني تحويل القضايا احتيالاً الى المحاكم المختلطة وقد عُدّلت رسوم القضايا الآن وجاء قانون الاختصاص الذي اشرت اليه في تقريري السابق مانعاً للتحيُّل في نقل القضايا من المحاكم الاهلية الى المحاكم المختلطة ولذلك اخذت القضايا

المدنية التي ترفع الى المحاكم الاهلية تزيد عددًا فصار عددها ١٥٤٣ سنة ١٨٩٩ و١٦١٠ سنة ١٩٠٠

وقالت لجنة المراقبة "ان اكثر القضايا التي فحصت هذه السنة ظهر فيها ان احكام المحاكم الجزئية اصح واكثر انطباقًا على احكام القانون مما كانت قبلاً كما يظهر من كثرة القضايا التي ايدها الاستئناف . ويقال مثل ذلك عن احكام المحاكم الابتدائية حيث عدد ما ايدتهُ محكمة الاستئناف منها بلغ ٦٨ في المئة سنة ١٩٠٠ وكان ٦٣ في المئة سنة ١٨٩٩" وهذا مما يسرُّني ذكرهُ بنوع خاص لان قضاة المحاكم الابتدائية والمحاكم الجزئية كلهم تقريبًا من المصريين

ولا يزال العمل جاريًا في تنقيح قانون العقوبات وقد نجح كثيرًا في يدي المستر برنيات وهو كفوءٌ لذلك . والغرض من هذا التنقيح يكاد يكون محصورًا في ازالة المصاعب التي تنشأ من تطبيق المبادئ العامة بسبب النقص في وضع هذا القانون . ومن المرجح ان يُحوَّر تحويرات جوهرية مثل ان يوضع فيهِ قصاص الجلد للمجرمين من الاحداث كما اشرت في السنة الماضية

المحاكم المختلطة

اما من جهة المحاكم المختلطة فاكتفي بالاشارة الى اصلاح اداري حدث فيها . فقد كانت الاموال المحجوزة فيها والتي وُدعت فيها بسبب المرافعات وما اشبه تبقى من غير ريع وهذا خللٌ من باب إداري وعرضةٌ للانتقاد . وقد تمَّ الاتفاق الآن بينها وبين البنك الاهلي على ان هذه الاموال تودع في البنك وهو يدفع عنها ربًا ٣ في المئة سنويًا ما دام المبلغ لا يزيد على ١٥٠٠٠٠ ج . م وما زاد على ذلك يدفع عنهُ ٢ في المئة . وحالما تمَّ هذا الاتفاق اودعت المحاكم المختلطة في البنك ٢٢٨٨١٥ ج . م ثم اودعت فيهِ مبالغ اخرى فوقها . وقد ارتبط البنك بان يدفع ما تطلبهُ منهُ المحاكم المختلطة حالما تطلبهُ الى حد ٥٠٠٠ ج .م وان زاد على ذلك اضطرت ان تعطيهُ فرصة خمسة ايام . اما الربا الذي يدفعهُ البنك فيذهب اثنان منهُ لصاحب المال يضاف الى رأس المال وما بقي يقوم بالنفقات اللازمة لذلك

القضاء في البلاد والقرى

ذكرت في تقريري الاخير ان بعض العمد خُوّلوا سلطة قضائية للحكم في القضايا المدنية الشخصية التي لا تزيد قيمة المبالغ فيها على مئة غرش لكي يخف الضغط عن المحاكم الجزئية وانتدبت نظارة الحقانية جنسن باشا ليتعهد فعل النظام الجديد في القطر كلهِ فقرَّر عنهُ تقريرًا حسنًا سنة ١٨٩٩ وتقريرًا احسن منهُ سنة ١٩٠٠ وأستنتج من تقرير المستر مكاريث وتقرير

جنسن باشا ان تحويل العمد سلطة قضائية قد يخلو من الضرر قال جنسن باشا
" رأيت ان ابيّن الامر التالي نقضاً لما اراه من الشك في سلطة العمد وفائدتهم . فان الفرق كبير بين عمدة بلد فيهِ نحو خمسة آلاف نفس وبين جمهور الفلاحين كما هو كبير بين رجل من اعيان الانكليز وجمهور العمال الذين يعملون في ارضهِ وما حولها . واذا كان للمجد الموروث شيء من الشان والسلطة فلكبار المزارعين في هذا القطر مقام رفيع مثل غيرهم من كبار المزارعين في سائر البلدان . وهذا يكفي للدفاع عن هذا الاسلوب لا سيما وكلامنا في مصر وفي مصلحة المصريين "

وكان في اول الامر اسباب كافية للشك في نجاح هذا الامر اي اعطاء السلطة القضائية للعمد تمنع من التوسع فيهِ . لكن اسباب الشك قد زالت على ما ارى فانهُ زيادةً عما شهد بهِ جنسن باشا ولشهادتهِ شأن كبير لم ترفع اليَّ عرائض يشكو اصحابها من ان العمد اساءوا استعمال سلطتهم القضائية . وقال المستر مكاريث " انهُ لم يرد على نظارة الحقانية اقل شكوى من حكم حكمهُ عمدة من العمد على ما اعلم " وهذا لا يدل دلالةً قاطعةً على صحة هذا الاسلوب وعلى ان اعمال العمد تراقب المراقبة الكافية ولكنهُ يستحق النظر حتماً . وقد اثبت لي الاختبار الطويل في هذا القطر انهُ اذا وجد ضرر من فرع من فروع الادارة فالغالب ان الذين وقع بهم هذا الضرر يرفعون عرائض الشكوى الى الوكالة البريطانية

وهذا الاصلاح صحيح مبدئيًا وهو يجعل فريقًا مهمًّا من المصريين يهتمون بادارة شؤونهم بانفسهم و يسهل السبيل لتوزيع السلطة القضائية وهذا التوزيع نافع جدًّا لذاتهِ ولذلك يجب الاستمرار على هذا الاصلاح . وقد يحسن التوسُّع في اعطاء هذه السلطة ولكن بالحذر ايضاً

قومسيونات الاشقياء

ابنتُ مرارًا كثيرة قبل الآن انهُ لا بدَّ من التأني في ادخال الاصلاح الى ما كان من البلدان مثل مصر والسودان . والآن اذكر امرًا يدل اوضح دلالة على قلة الجدوى من نزع الاساليب القديمة الضارَّة وابدالها بالاساليب الحديثة النافعة قبلما تتغير الاحوال تغيرًا يضمن شيئًا من النجاح للاساليب الحديثة

اول شيء عُمل بعد الاحتلال سنة ١٨٨٢ الغاء الكرباج وتلاه انشاء المحاكم على النسق الاوربي . والامران لذاتهما من افضل ما يكون ولكنهما كانا متقدمين على ما تقتضيهِ حال البلاد حينئذٍ فانها كانت محكومة بالكرباج منذ قرون وانشاء المحاكم المفيدة لا يكون الأ بعد

ان تستعد البلاد له على مرور الزمن ولذلك لا يُستغرَب من ان الانتقال من الفوضى الى القانون كان صعباً بل كان كثير الخطر حيث زال الحكم الاستبدادي قبل ان رسخت سلطة القانون في النفوس فكثرت الجنايات في البلاد حتى فاقت الحد . ولذلك انشأ نوبار باشا قومسيونات الاشقياء سنة ١٨٨٤ وكأنهُ وضع البلاد تحت الحكم العرفي . وكان لذلك نتيجتان الواحدة اعادة الكرباج ولو قليلاً والثانية توقيف عمل المحاكم الاهلية فان كل القضايا الجنائية كانت ترفع الى قومسيونات الاشقياء . ومضت مدة قبلما درى ولاة الامر في القاهرة بالاساليب التي كانت تعتمد عليها هذه القومسيونات . ثم لما تعين المسيو لوجرل نائباً عمومياً ظهر ان اقبح المساوىء كانت تفعل باسم القضاء . وأُلغيت هذه القومسيونات سنة ١٨٨٩ وبعد قليل عُين السر جون سكوت مستشاراً قضائياً ومن ثمَّ ابتدأ العدل يوضع موضعهُ في الاحكام .

ومن ذلك الحين كنت اشعر دائماً ان بقاء الناس الذين حكمت عليهم القومسيونات الملغاة في السجن وصمة على القضاء في مصر لكن مسألتهم كانت كثيرة التعقيد فلم يكن يخامرني ريب في ان كثيرين منهم حكم عليهم بالعقاب من غير دليل كاف ولكن البعض منهم ايضاً كانوا من كبار المجرمين الذين يستحقون ما حكم بهِ عليهم . ويعصب اعادة النظر في قضية كل واحد منهم على حدتهِ . واخيراً اخذ المستر موريس على نفسهِ البحث الذي اجراه بمهارة وروية . والخلاصة التالية من تقريرهِ تكفي للدلالة على اعمال تلك القومسيونات قال

"ان الدكرتو الخديوي الذي أُنشئت بموجبهِ هذه القومسيونات اوجب عليها الاسراع في عملها من غير انقطاع واباح لها الجري على غير ما يفرضهُ قانون تحقيق الجنايات ولكن لم يقصد بهِ ان يحرم المتهم من حق تبرئة نفسهِ . غير انهُ يظهر من القرائن ان ولاة الامر كانوا يرتأون حينئذٍ انهُ اذا وقعت الجناية فلا بدَّ من القبض على احد ومعاقبتهِ . والاسلوب الذي كان يقبض بهِ على الناس ليعاقبوا لم يكن على ما يرام . ولم ابحث الاَّ في بعض القضايا ولكني وجدت في كثير منها استعمال الوسائل غير المشروعة للحصول على اقرار المتهمين

"ولم اجد في ١٢٦ قضية بحثتُ فيها ما يشير الى شهادة شهود النفي كأن لا شأن لشهادتهم . ومن قُبض عليهِ وأُتي بهِ الى امام قومسيون من تلك القومسيونات قلَّ الامل باطلاق سبيلهِ على ما يظهر . وقد استغربتُ جدًّا انهُ لم يُذكر في مصلحة المتهم الاَّ انكارهُ التهمة ولم يُذكر شيءٌ عن انهُ استشهد بشهود نفي . فسألت الذين اقتنعت بعد درس اوراق قضاياهم درساً مدققاً انهُ حُكم عليهم ظلماً — سألتهم عن ذلك فاجابني كل واحد منهم انهم قالوا وقت المحاكمة ان عندهم شهوداً على براءتهم ولكن لم يسمع احد قولهم بل قيل لهم ان كلام اللص

الواحد ليس افضل من كلام اللص الآخر وان من يشهد ببراءتهم فهو شريك لهم الخ . بل كان اذا ثبتت الجناية علي احد — اما لان المجني عليهِ عرفهُ بنفسهِ او لان المسلوب مثلاً وُجد عنده ُ واتهم غيره ُ معهُ يعاقب هذا ايضاً عقاباً صارماً . واخبرني بعض المحكوم عليهم اموراً تفتت الاكباد عمَّا قاسوه ُ من العذاب لما اتُّهموا وسجنوا لكي يقروا بما اتُّهموا بهِ . وغنيٌّ عن البيان انهم كانوا يقرون تخلُّصاً عن التعذيب . وكل مَن فحص التحقيقات الابتدائية يرى ذلك واضحاً. وكنت دائماً اسأل هؤُلاء عمَّا ذا كان عندهم شهود يثبتون براءتهم . فكانوا يذكرون لي اسماء شهودهم مع انهُ مضى على اكثرهم في السجن اثنا عشر سنة الى اربع عشرة سنة وكنت اذا رأيت موجباً للبحث عن صحَّة قولهم ابحث فاجده ُ صحيحاً "

وازيد على ذلك انهُ اتضح من بحث المستر موريس ان نظارة الداخلية اغضت عن استعمال التعذيب لحمل المتهمين على الاقرار مدة هذه القومسيونات[1] وشجعتهُ ايضاً

ولما شرع المستر موريس في هذا البحث كان في السجن ١٠٩ ممَّن حكمت عليهم قومسيونات الاشقياء . وقد قال عن ٥٢ منهم انهُ لا يرى وجهاً للاعتراض علي ما حُكم بهِ عليهم ومات خمسة في السجن والباقون أُطلق سبيلهم . واختم هذا الفصل باني آسف اسفاً شديداً لان هذا البحث لم يُشرَع فيهِ قبل الآن

اصلاح المحاكم الشرعية

ان اللجنة التي عينت للنظر في اصلاح المحاكم الشرعية واشرت اليها في تقريري السابق توقفت بسبب مرض القاضي الاكبر مرضاً يسوءُني ان اقول انهُ انتهى بوفاتهِ وانا اكتب هذا التقرير

والنجاح مستمر في تنظيم هذه المحاكم ففي محكمة مصر الكبرى تمَّ تسجيل ٨٦٥٤ قضية وبُوّبت وجعل لها فهرس ليسهل الوصول اليها وكذلك تمَّ تسجيل ٤٦٦١ قضية في محكمة الاسكندرية وتسجيل كثير من القضايا في البنادر الكبيرة . قال المستر مكرريث " ولم نزل بعيدين عن اتمام هذا العمل الشاق وهو ايجاد النظام حيث ساد التشويش في دفترخانات سبع عشرة محكمة من محاكم مصر المركزية ولكن العمل جارٍ بهمة وانتظام . ونحن واثقون باتمامهِ اخيراً "

---

(١) حدث ذلك على اثر استعفاء نوبار باشا سنة ١٨٨٨

التعليم

اشار مجلس شورى القوانين حديثًا (وليس ذلك بالمرة الاولى) الى حاجة البلاد من حيث التعليم . ولا حاجة بي الى اقول باني سررت جدًّا بما ابداهُ اعضاؤُ مجلس الشورى من الاهتمام بهذا الامر الهام وباني اوافق قلبيًّا على كل ما يبذلونهُ هم وغيرهم لاصلاح التعليم وتوسيع نطاقهِ في البلاد

وقد يفيد ان ابدي رأيي في ما هي الوجهات التي يحسن ان تتجه فيها همم الناس من هذا القبيل على ما يظهر لي

ينظر كثيرون من الناشئة المصرية المتعلمة الى الاستخدام في وظائف الحكومة كغاية لهم . وقد ذكرت انواع الوظائف الملكية في تقريري عن سنة ١٨٩٨ وقلت انهُ كان فيها حينئذٍ ١٠٦٠٠ من المصريين[1]

ولا شبهة في انهُ لو اقتصر الامر على مراعاة ما تحتاج اليهِ الادارة وما تدعو اليهِ مصلحة المموّلين لكان الاصلح الاقلال من عدد المستخدمين الصغار والزيادة في رواتب كثيرين من الباقين منهم ولكن ذلك ليس في النية لانهُ يعود بالمتاعب على كثيرين من الذين لا يستحقون ذلك وعلى عيالهم . وقد تزيد الشكوى منهُ على الفوائد المترتبة عليهِ ويُحسب مروقًا من العادات المقرَّرة لا موجب لهُ ويستدعي الاعتداء على حقوق يمكن عدها مكتسبة ولو لم تكن شرعية

فليس في النية منع ما في عدد المستخدمين المصريين من الزيادة ولا ذلك لازم ولا مرغوب فيهِ ولكن لا شبهة في ان الميل الارجح في ما يرى في البلاد من سرعة التقدُّم والعمران هو الى تقليل الحاجة الى المستخدمين من بعض الطبقات لا الى تكثيرها . ويظهر صدق هذا القول باقل نظر

والذين امعنوا نظرهم في احوال البلاد السابقة رأَوا جليًّا ان الحكومة اضطرَّت لاستخدام عدد كبير من الموظفين بسبب ما كان فيها من الخلل . وينتج من ذلك حتمًا انهُ اذا أُزيل هذا الخلل وصلحت الادارة رويدًا رويدًا لم تبقَ حاجة الى كثرة المستخدمين . واني اذكر الامثلة التالية لايضاح مرادي

ان املاك الدومين والدائرة السنية امرها معلوم لدى سكان هذا القطر . ولا يمضي وقت طويل حتى تزول الادارتان اللتان تتولاهما الآن . ولا يخفى ان بيع هذه الاملاك التي كانت

(١) كان عدد الاوربيين حينئذٍ في الوظائف الملكية ١٢٧٠ والانكليز منهم ٤٥٥

لاسمعيل باشا هو خيرٌ محض لسكان هذا القطر عموماً ولكن بيعها يقتضي رفت كثيرين من المستخدمين الذين كانوا في خدمةٍ لولا عيوب الحكومة السابقة ما وُجدت . وكذلك الغاء رسوم الكباري التي كانت تدفعها المراكب الجارية في النيل وما ترتب على تغيير نظام مصايد الاسماك ومصلحة الملح حسبما ذكرت في هذا التقرير وتقاريري السابقة كل ذلك عاد بالنفع على السكان كلهم ولكنهُ دعا الى رفت كثيرين من المستخدمين الذين كان لا بدَّ منهم في الاحوال السابقة المبنية على خلل في النظام المالي . ويمكن ذكر امثلة اخرى من هذا القبيل . وعليهِ فجري الحكومة على خطة جديدة اي وقوفها موقف المؤتمن على مال الاهالي واجتنابها الاكثار من المستخدمين لكي لا يثقل الحمل على المموّلين لا بدَّ من ان ينتج منهما تعب لبعض الناس

الأ ان هذه الحالة لا تخلو من النفع للشبان المصريين ولآبائهم الذين يهمهم مستقبل ابنائهم . فان اقوالي السابقة تنطبق بنوع خاص على الذين معارفهم عامَّة لاخاصَّة وهم يطلبون خدمة ايًّا كانت في وظائف الحكومة المختلفة التي من مقتضاها ان يعمل المستخدم جالسًا في مكانهِ . ولكن المرجح ان البلاد ستحتاج كثيرًا الى المحامين والمهندسين والاطباء والخبيرين بفن الزراعة والمهندسين الكهربائيين ونحوهم من الذين معارفهم خاصة وكل هذه الحرف يعيش الانسان بها من غير ان يكون موظفًا في الحكومة . وما سأشير اليهِ ممَّا يتعلق بالمدرسة الزراعية وبمدرسة المهندسخانة يقوّي الآمال و يشدّد العزائم و يظهر منهُ ان عدد الذين معارفهم خاصة اقلُّ ممَّا تحتاج اليهِ البلاد الآن وان التلامذة الذين درسوا في هاتين المدرستين وجدوا وظائف لهم من غير مشقة

وهذه الامور جعلتني استنتج ان لا بدَّ من ازدياد الاهتمام بامر التعليم الصناعي . وكان كلامي حتى الآن موجهًا الى علم الحقوق والطب وما اشبه من الصناعات العليا ولكن لا يسعني الأ ان ارى مجالاً واسعًا لغيرها من الصناعات التي هي دونها فان جانبًا كبيرًا من الصنَّاع العاملين في مصر الآن من الاجانب . والمقاولون الذين يبنون خزانات النيل اضطروا ان يأتوا بكثيرين من الايطاليين الماهرين في قطع الحجارة ونحتها لانهُ ليس في مصر من يقوم مقامهم . ثم ان فتح السودان فتح بابًا واسعًا للصنَّاع المصريين ولما زرت الخرطوم اخيرًا عجبتُ من انهُ لا يوجد الآن هناك رجل واحد من السكان السودانيين قادر على نشر لوح من الخشب او بناء حائط من الطوب

ومن رأيي ان البلاد في حاجة الى تكثير المدارس الصناعية . وقد ذاكرتُ حديثًا اناسًا مختلفين من الثقات في هذا الموضوع فوجدتهم يستحسنون الاهتمام بالتعليم الصناعي في البلاد .

وارجو ان لا يترك الاهتمام بذلك والشروع فيهِ للحكومة وحدها بل يشاركها فيهِ وجهاء البلاد اذا وُضع لهُ مشروع يمكن العمل بهِ . والمدارس التي اشير اليها وارغب في ان اراها هي التي يُعلَّم فيها القراءة والكتابة والحساب باللغة العربية مع الالتفات الى الرياضة البدنية ويكون الغرض الاهم منها تعليم الصنائع على حسب الاساليب الجديدة بشرط ان تكون بسيطة لا تقتضي آلات كثيرة

ومهما كان نوع التعليم ومهما كانت المدارس التي تنشأ لهُ فلا بدَّ من بذل الجهد لجعل التلامذة يقومون بجانب من نفقات تعليمهم . ولا اظن انهُ يمكن ان يقوموا بكل هذه النفقات . وقيامهم بالنفقات كلها او بعضها لا يطلب من وجه مالي فقط بل من وجوه اخرى لا تقلُّ اهمية عن الوجه المالي

ولا اريد ان اقول كلمة يظهر منها اني اودُّ اضعاف التعليم مهما كان نوعهُ ولكن لا بدَّ لي من القول ان التعليم المجاني يخرج من المدارس شباناً لو بقوا في الدرجات التي ولدوا فيها وتعلموا حرفةً شريفة عملوا بها لرأوا انفسهم اسعد حالاً وانفع لبلادهم من ان يتعلموا ولا يروا امامهم سبيلاً للمعيشة والارتقاء الاَّ بالانتظام في خدمة الحكومة

ويسرُّني ان اقول ان نظارة المعارف العمومية رأت مضار التعليم المجاني وقد حاولت تلافيها منذ سنوات ففي سنة ١٨٧٩ كان الذين يتعلمون مجاناً لا اقل من ٩٥ في المئة من التلامذة الذين يتعلمون في مدارس الحكومة . وفي السنة الماضية كان التلامذة الذين يدفعون اجرة التعليم ٢/١ ٩٨ في المئة في المدارس الابتدائية العليا و ٨٦ في المئة في المدارس الثانوية وارجو ان يستمرَّ هذا الامر حتى يبطل التعليم المجاني تماماً او لا يبقى منهُ الاَّ شيءٌ قليل جدًّا

وتعليم البنات اهم في غايتهِ من التعليم الصناعي وهنا ايضًا اطلب المساعدة من كل مصري غيور على مصلحة وطنهِ . ولا استطيع ان المَّ هنا بكل اطراف هذا الموضوع المهم ولكني اقول قولاً مبنيًّا على اختبار ثلاثين سنة عاملتُ فيها الشرقيين وصادقتهم ان بلاد المشرق لا تتقدم ما لم تتغير منزلة المرأة فيها تغيرًا تدريجيًّا والتعليم جزءٌ من هذه المسألة ولو كان الجزء المهم منها . وسأبين ان تعليم البنات المصريات ابتدأ بداءة حسنة ولكن لا بدَّ من ان يمرَّ زمن طويل قبلما تنتج منهُ نتائج كبيرة عامة

واخيرًا اعرب لاعضاء مجلس شورى القوانين عن اني اوافقهم قلبيًّا على وجوب بذل الجهد لترقية التعليم في المدارس الاهلية . وسافصّل ما تمَّ من هذا القبيل واشير قبلاً الى مسألة مهمة مبدئيًّا وهي

من الشواذ الكثيرة في هذا القطر بل من اغربها ان الشبان المصريين يهتمون الآن بتعلم اللغة الانكليزية اكثر مما يهتمُّ الانكليز بتعليمهم اياها . وسبب ذلك واضح وهو ان المصريين عمومًا يحسبون ان حصولهم على وظائف الحكومة يكون اسهل عليهم وهم يعرفون الانكليزية منهُ وهم يجهلونها . والمرجح انهم مصيبون في ذلك الى حد محدود . اما الانكليز الذين يعرفون احوال المصريين وما يحتاجون اليهِ فينظرون الى هذه المسألة من وجه تعليمي ولا رغبة لهم في جعل البلاد انكليزية بل يودون الاقتصار من تعليم الانكليزية والفرنسوية على ما تمسُّ اليهِ الحاجة ويفيد المصريين انفسهم . ولا يضلهم الراي السطحي وهو ان درس الفرنسوية او الانكليزية يتضمن ايجاد الاميال السياسية لان هذا الرأي خطأ في الغالب على ما ارى . ولا يسرُّهم ما يرون من ازدياد فريق يفشل كثيرون منهُ اذا لم يجدوا لهم وظائف في الحكومة فتعلو شكواهم وهم لو عملوا اعمالاً اخرى في الوقت الذي يقضونهُ في درس اللغات لكان ذلك ادعى لنجاحهم على الارجح

ويظهر من آخر احصاء ان الذين يتعلمون لغات اجنبية في المدارس التي تحت ادارة نظارة المعارف العمومية ٥٨٣٥ ذكورًا واناثًا ومن هؤلاء ٤٩٨٤ اي ٨٥ في المئة يتعلمون اللغة الانكليزية

ولا بدَّ من تعليم هؤلاء بلغة اجنبية ومن اسباب ذلك انهُ ليس في العربية كتب للتعليم في بعض العلوم التي يتعلمها التلامذة . ولكن التوسُّع فيهِ وراء هذا الحد غير محمود العاقبة ولذلك احذّر بكل جهدي من جعل اللغات الاجنبية مما يعلَّم في الكتاتيب . ويجب ان يبقى التعليم فيها كما هو الآن باللغة العربية وحدها

وخلاصة القول في هذا الموضوع ان اجتهاد الذين يهمُّهم امر التعليم في هذا القطر يجب ان يكون مصروفًا بنوع خاص الى اصلاح التعليم الصناعي وتوسيع نطاقهِ والى تعليم البنات وترقية التعليم الابتدائي بواسطة الكتاتيب حتى يرتفع مقياس المعرفة في البلاد كلها . ولا يخفى ان الاحصاء الاخير دلَّ على ان ٨٩٫٥ في المئة من ذكور المصريين و ٩٩٫٧ في المئة من اناثهم لا يعرفون القراءة والكتابة

تعليم البنات

حدث تغيير عظيم في الرأي المصري العام في السنوات الاخيرة من حيث تعليم البنات . ولقد كان من رأيي دائمًا ان مقدار اهتمام الناس بهذا الموضوع من اصدق الادلة على ان

التقدم الادبي الموقوف اكثره على سعي اهل البلاد لانفسهم يمكن ان يجاري التقدم المادي الذي هو اشد منهُ انتفاعاً بالوسائط الخارجية . ولا نبالغ اذا قلنا ان المصريين عموماً لم يكونوا يبالون بتعليم البنات منذ سنوات قليلة بل كثيرًا ما كانوا يقاومونهُ . وحاولت مرارًا ان اجعل بعض اولي الامر يهتمون بهِ فلم افلح الاَّ قليلاً ولكنني كنت ارجو دائماً انهُ اذا بُدئ في تعليمهن ظهرت الرغبة فيهِ بنوع عام لنجاء الامر على اكثر ما كنت اتوقع كما يُرَى من عدد تلميذات المدارس التابعة لنظارة المعارف او الموضوعة تحت مراقبتها وهو

في كتاتيب المعارف	٦٤٣	بنتاً
" " خصوصية تحت مراقبة النظارة	٩٩٧	"
" مدارس الحكومة الابتدائية العالية	٢٢٠	"
" المدارس الخصوصية الابتدائية العالية تحت مراقبة نظارة المعارف	١٦٧	"
" قسم المعلمات في المدرسة السنية	٠٠٤	"
" مدرسة الممرضات والقوابل	٠١٩	"
والجملة	٢٠٥٠	

وهذا العدد اقل من القليل بالنسبة الى عدد البنات في القطر المصري ولكن يمكن ان تنسب قلتهُ الى قلة المدارس كما يمكن ان تنسب الى عدم الرغبة في ارسال البنات اليها حيث توجد . ولكنهُ مع ذلك يستحق الالتفات لانهُ دليل على ان التعصب ضد تعليم البنات قد زعزعت اركانهُ الآن بنوع عام

وفي العام الماضي تقدَّم سبع عشرة بنتاً للامتحان الابتدائي وهو للصبيان والبنات على حدٍّ سوى فنال خمس منهنَّ الشهادة . وقد بلغني ان واحدة منهنَّ كانت السابعة عشرة بين ٧١٢ نالوا هذه الشهادة

ولم تتعلم امرأة مصرية حتى الآن صناعة التعليم مع ان تعليم البنات في مصر يستدعي ان يكون اكثرهُ على يد معلمات . لكن نجاح بعض البنات في العام الماضي في اخذ الشهادة الابتدائية سوَّغ لنظارة المعارف ان تجتهد في انشاء فرقة تتعلم علم التعليم فانشأتها في المدرسة السنية ودخلها اربع من البنات اللواتي احرزن الشهادة الابتدائية

الكتاتيب

ان اعطاء الكتاتيب اعانة مالية على شرط ان تتعهدها نظارة المعارف وتراقب التعليم فيها

قد نجح نجاحاً تاماً كما يظهر من ازدياد عدد الكتاتيب التي قبلت بشروط نظارة المعارف . فان عدد الكتاتيب في القطر المصري حسب الاحصاء الاخير ٩٤٠٤ وقد طلب ٤٨٣ كتاباً منها في السنة الماضية هذه الاعانة مع مراقبة نظارة المعارف فاجيب طلب ٢٤٦ كتاباً منها وهذا العدد يزيد عما كان في الاعوام السابقة

ومعلوم ان ٤٨٣ كتاباً عدد قليل بالنسبة الى ٩٤٠٤ ولكن العدد وحده ليس مقياساً لتأثير الاعانة في الكتاتيب الاهلية . ومما يذكر في هذا الصدد وهو اهم من زيادة عدد الكتاتيب الطالبة مراقبة الحكومة ان الآباء يفضلون تعليم اولادهم في المدارس التي تحت مراقبة الحكومة ويستدل على ذلك اولاً بزيادة عدد طالبي الدخول في مدارس الحكومة والطالبون في كثير من الاحوال يزيدون عما تسعهُ المدارس وثانياً باقفال المدارس التي لم تعترف بها نظارة المعارف

وبلغت الاعانة في السنة الماضية كل المال المعين لذلك وهو ١٠٠٠ ج . م وكان هذا المال ٧١٦ ج . م سنة ١٨٩٩ و ٤٩١ ج . م سنة ١٨٩٨ . وقد زيد ٥٠٠ ج . م اخرى في ميزانية سنة ١٩٠١ لكي يتسع نطاق هذا المشروع فصارت الاعانة السنوية ١٥٠٠ ج . م

ثم ان ٨٦ مدرسة اخرى فيها ١٤٥ معلماً و ٣٩٦٦ متعلماً (٣٣٢٣ تلميذاً و ٦٤٣ تلميذة) كانت تحت مراقبة نظارة المعارف في العام الماضي عدا الاربع مئة والثلاثة والثمانين كتاباً . وكل الكتاتيب التي تحت ادارة نظارة المعارف او تحت مراقبتها بلغت في العام الماضي ٥٦٩ فيها ١٦٢٨١ تلميذاً . ويتوقف نجاح هذه الكتاتيب وتقدمها على المال فكلما صلحت حال المالية المصرية زيد المال المعين لمساعدتها

مدارس المعلمين

ان حاجة القطر المصري الى المعلمين ولا سيما المعلمين الوطنيين الذين يعلمون اللغة الانكليزية تزيد كثيراً على عدد من يخرج من مدارس المعلمين . ثم ان ادخال التعليم الى السودان سيزيد الحاجة الى المعلمين ايضاً . ولم يدخل في العام الماضي في قسم المعلمين الوطنيين الذين يتعلمون الانكليزية في المدرسة التوفيقية سوى ثلاثة فصار عدد كل التلامذة فيهِ عشرة . والمدرسة الاخرى التي فيها قسم لتعليم المعلمين هي مدرسة التصربة والمتعلمون فيهِ يتخرجون في تعليم اللغة العربية وما يعلَّم بها في المدارس الابتدائية والثانوية وكان عدد من فيهِ ٦٠ طالباً . والتلامذة في هذين القسمين يتعلمون مجاناً ويُعطَوْن شيئاً من المساعدة المالية . ولا سبيل غير هذا لترغيب

الشاب المصري الذي بيدهِ شهادة الدروس الثانوية في التعليم لان الذين بيدهم هذه الشهادة عددهم قليل جدًّا والمرغبات لهم في الوظائف الاخرى اقوى كثيرًا

مدرسة الحقوق

اقتبس هنا الكلام الاتي من تقرير المستر مكاريث عن هذه المدرسة قال "رأست لجنة الامتحان السنوي في شهر يونيو الماضي حسب العادة فسرَّتني نتيجتهُ بوجهٍ عام " وكانت درجة الكفاءة لاكثر تلامذة السنة الرابعة كما كانت قبلاً تقريباً وهم قلما يمتازون في ما حصلوهُ نوعًا ودرجةً . ولا يلام اساتذة المدرسة على ما يرى في التلامذة من قلة ما يميزهم بعضهم عن بعض لان ليس في اسلوب التعليم الفرنسوي وما جرى مجراهُ ما يدعو الى هذا الامتياز كما اشار الى ذلك المستر باركلي منذ مدة في مقالة نشرت في جزء ابريل من مجلة جمعية مقارنة القوانين موضوعها "تعليم الحقوق في فرنسا" اثبت فيها افضلية الاسلوب الانكليزي (او عدم الاسلوب) من هذا القبيل لانهُ يجعل التلميذ يعتمد على نفسهِ ويحاول الامتياز عن غيرهِ . ويزيد الاسلوب الفرنسوي تأثيرًا اذا دخل المدارس الشرقية واتصل بما اعتادهُ الشرقيون من الاساليب الفكرية. وقد اشرت الى ذلك في تقريري عن امتحان مدرسة الحقوق سنة ١٨٩٨ ولكني عالم ان ما اشرتُ بهِ حينئذٍ من مزج التعليم النظري بكثيرٍ من التعليم العملي لا يخلو من المصاعب الخاصة بهذا القطر ومع ذلك فقد يحسن ان يزاد التعليم العملي ايضاً"

وانا لست اهلاً للكلام على موضوع كهذا مثل المستر مكاريث ولكني اختبرتُ من طباع المصريين واطوارهم ما يسوّغ لي ان ابدي ما اعتقدهُ وهو ان المستر مكاريث اصاب كبد الحقيقة واشار الى امر يستحق اشد الانتباه في تعليم الحقوق وغير الحقوق في هذه البلاد فانهُ يجب ان يُرحب بكل ما يمنع الشاب المصري من ان يكون آلة صماء او بكل ما يجعلهُ يتوخَّى الامتياز كما قال المستر مكاريث

والظاهر ان القسم الانكليزي الذي اضيف الى مدرسة الحقوق حديثًا جارٍ على ما يرام وفيهِ الآن ثلاثة مدرسين من الانكليز وقد يضاف اليهم واحد او اثنان قريباً

والبناء الذي فيهِ مدرسة الحقوق غير صالح لها وسيبدأ بانشاء بناء جديد لها قريباً

مدرسة الصناعة

في مصر مدرسة واحدة مهمة للفنون الصناعية وهي في بولاق . ومنذ سنوات قليلة كان

كل تلامذتها يتعلمون مجانًا ولم يكونوا يعرفون مبادئ العلوم ثم طلب فريق من التلامذة المتعلمين الدخول اليها ولكن لا يزال التلامذة المجانيون ثلثي التلامذة كلهم

ومنذ سنة ١٨٩٦ اشترط على التلامذة الطالبين الدخول الى هذه المدرسة ان يكونوا قد درسوا الدروس التي تؤهلهم لدخول المدارس الثانوية وعُمل بهذا الشرط رويدًا رويدًا وكان في المدرسة ٣٣١ طالبًا في العام الماضي والذين نالوا منهم الشهادة الابتدائية قبل الدخول اليها ٢٠٦ . ولا يقبل في فرقة التلغراف الا التلامذة الذين في يدهم الشهادة الابتدائية وكل الذين عُينوا في مصلحة التلغرافات المصرية منذ سنة ١٨٩٦ وعددهم ١٤٥ درسوا في هذه المدرسة . وقد جعلت مصلحة التلغرافات الحصول على الشهادة الابتدائية قبل الحصول على الشهادة الفنية شرطًا لازمًا بناء على المبدإ المقرر وهو ان التعليم العالي الخاص يجب ان يؤسس على التعليم الابتدائي العام . وزيد عدد الطلبة في فرقة التلغراف في العام الماضي من ٥٠ تلميذًا الى ٦٠ تلميذًا وذلك بطلب مصلحة التلغرافات وزيد ايضًا فرع لتعليم الهندسة الكهربائية بطلب مصلحة سكة الحديد حتى يتعلم الشبان المصريون ما يؤهلهم لهذا العمل في تلك المصلحة

وطلب اصحاب المعامل والورش المختلفة في القطر كلهِ في العام الماضي من ناظر هذه المدرسة تلامذةً اتموا دروسهم فيها اكثر مما طلبوا منهُ في اي سنة اخرى من السنين السابقة فلم يقدر ان يلبي طلبهم كلهم . والتلامذة الذين اتموا دروسهم في العام الماضي وعددهم ٨٣ استخدموا كلهم برواتب مختلفة من ٣٦ جنيهًا في السنة الى ١٢٠ جنيهًا . والذين يأخذون الرواتب العليا استخدموا في غير مصالح الحكومة . وبلغ عدد الذين اتموا دروسهم منذ سنة ١٨٨٩ سبعمائة واثنين وتسعين تلميذًا وقد استخدموا كلهم من غير استثناء في وظائف مختلفة كما ترى

في مصلحة سكة الحديد والتلغراف	٤٠٧
في نظارة الاشغال العمومية	٠٨٢
في غيرها من المصالح الاميرية	١٢٦
في غير المصالح الاميرية	١٧٧
والجملة	٧٩٢

وقد اتسع نطاق هذه المدرسة حتى لم يعد البناء الذي هي فيهِ كافيًا لها ومصلحة سكة الحديد تحتاج اليهِ لتوسيع عنابرها المتصلة بهِ ولذلك اختارت لها نظارة المعارف مكانًا في العباسية ويرجى ان يبنى لها بناء فيهِ قريبًا

مدرسة الزراعة

الرغبة شديدة في مدرسة الزراعة وفائدتها كبيرة للبلاد وعدد التلامذة ابناء اصحاب الاطيان الذين يطلبون الدخول اليها على ازدياد مستمر

وفيها الآن ٥٤ تلميذاً ٣٤ منهم مصريون و٢٠ اوربيون وقد نال شهادتها في العام الماضي تسعة (٧ مصريون و ٢ من اليونان) وذهب احد اليونانيين الى مدرسة ادنبرج ليتم دروسهُ فيها والثمانية الباقون وجدوا وظائف توظفوا فيها

ومما يسرُّ في امر هذه المدرسة ان الذين يتخرجون فيها لا يعتمدون على الحكومة في تحصيل معيشتهم فان كثيرين من التلامذة الذين اشرت اليهم دخلوا في خدمة اناس من كبار المزارعين . ويطلب من المدرسة الآن من هؤلاء الشبان اكثر مما تستطيع ان تخرّج

مدرسة المهندسخانة

يسرُّني ان اقول ان ادواء هذه المدرسة التي اشرتُ اليها قبلاً قد عولجت ووضعت لائحة جديدة لدروسها وضعتها لجنة رأَسها المرحوم المستر ولسون الذي كان مديراً عاماً للخزانات

قال المستر دانلوب " ان التلامذة الذين كانوا يدخلون هذه المدرسة كانت تدفع اليهم الرواتب إغراءً لهم بالدرس فيها لكن هذا الاسلوب أُلغي في العام الماضي ودخلها التلامذة من غير ان يدفع اليهم شيء وهذا من علامات الارتقاء" . ولقد احسنت نظارة المعارف بابطالها اسلوب التعليم المجاني الذي كان عاماً تقريباً ومع ذلك لم تقلَّ رغبة الناس في هذه المدرسة بل زادت وزاد عدد الطلبة رويداً رويداً كما يظهر من الارقام التالية

سنة	١٨٩٧	١٦	طالباً
"	١٨٩٨	٢٧	"
"	١٧٩٩	٤٣	"
"	١٩٠٠	٥٠	"

مدرسة الطب

اشرت في تقريري الماضي الى ان الحاجة ماسَّة الى استاذ كفءٍ لتعليم التشريح في مدرسة الطب . وقد اختير هذا الاستاذ الآن . ويظهر من الامتحانات الاخيرة ان تلامذتها يحصلون بنوع عام على ما يرضي من المعرفة وقد اعطيت الدبلوما الطبية في العام الماضي لثمانية من

التلامذة الذين جازوا الامتحان المطلوب . ودخل المدرسة ١٥ تلميذاً جديداً . وقد أُلغي حديثاً ما كان يعطاهُ التلامذة من الرواتب كما أُلغي في المهندسخانة

ثم ان القطر المصري وبلاد السودان في حاجة شديدة الى مدرسة لعلم الطب البيطري

الجمعية الزراعية

يهتمّ المصريون كلهم بالزراعة من اعلاهم الى ادناهم اكثر مما يهتمون باي موضوع آخر على الارجح ولذلك لا عجب اذا نجحت الجمعية الزراعية التي أُنشئت منذ سنتين برئاسة البرنس حسين باشا كامل نجاحاً تاماً . وقد انضمّ اليها ٢٦٩ عضواً في غضون السنة الماضية فصار عدد اعضائها ٧٠٨

وانا واثق ان مجلة هذه الجمعية تقرأُ و يستفاد منها وهي توزعها على الاعضاء مجاناً ووزعت ايضاً من وقت الى آخر كراريس تبحث عن دود القطن وسوس الحبوب ونحو ذلك من المواضيع

وقد نجح المعرض الزراعي الذي فُتح في الاسبوع الاخير من شهر يناير الماضي نجاحاً تاماً رغماً عن شدَّة العواصف والامطار . واعجبني اهتمام الذين عرضوا الآلات الزراعية من الانكليز فانهم اكثر من غيرهم من الامم الاخرى على ما يظهر والآلات التي بيعت كثيرة جداً . ومن المحتمل ان اهل الزراعة من المصريين ميالون الى استعمال الاساليب الجديدة اذا رأوا انها موافقة حقيقةً لمطالب بلادهم وهذا يخالف ما يقال عنهم غالباً من انهم غير ميالين الى ذلك . واشير على صانعي الآلات من البريطانيين ان يدرسوا مطالب هذه البلاد جيداً . و يسرُّني انهم يفعلون ذلك الآن على ما يظهر من حيث الآلات التي الكلام عليها

وقد اخذت الجمعية على نفسها انتقاء تقاوي القطن وتوزيعهُ على فقراء الفلاحين فوزعت نحو ثمانية آلاف اردب جمع ثمنها مع الضرائب . وهي تعطي التقاوي لكبار المزارعين بالثمن نقداً

وزاد الترغيب في استعمال السماد منذ أُنشئت هذه الجمعية . وقد طلبت من الحكومة ان يعفى السماد الوارد الى القطر المصري من رسوم الجمارك فاجابتها الحكومة الى طلبها وعفتهُ مدة خمس سنوات . وكانت النتيجة ان اتسعت تجارة نيترات الصودا ونحوها من المواد

ومما اذكرهُ في هذا الصدد ان ٤٠٠٠ فدان زُرعت بنجراً في العام الماضي وقد بلغني ان مقدار السكر في البنجر المزروع في القطر المصري اكثر من مقداره في البنجر المزروع في غيره من البلدان لكن مقدار غلة الفدان ليس على ما يرام . ومن المحتمل ان ما عُلم بالاختبار حتى الآن يدعو الى اختيار اساليب اخرى لزراعته فاذا نجحت التجارب اخيراً ترجّح ان يزيد مقدار السكر الصادر من هذا القطر

جمعية الرفق بالحيوان

يسوءني ان اقول ان مجموع الاشتراكات والهبات لهذه الجمعية قلَّ ١٢٠ جنيهاً سنة ١٩٠٠ عمّا كان سنة ١٨٩٩ وقد أُحييت ليلة سنة ١٨٩٩ اعطي دخلها للجمعية فبلغ ٢٠٠ ج . م ولكن لم تحيَ ليلة مثلها سنة ١٩٠٠ . ومع ذلك ظهر من حساب السنة الماضية ان الدخل زاد على النفقات ١٥ ج . م وهذا يعود بالمدح على المستر هبلر سكرتير الشرف في الجمعية وامين صندوقها

واعمال الجمعية جارية في اكبر مدن القطر ومدارُها الشفقة والفائدة . ويُرْجَى ان تجد من تعضيد الجمهور ما يدعو الى استمرارها على العمل او ما يوسع نطاقها ايضاً ان امكن . واخشى من ان الرفق بالحيوانات قليل جدًّا في غير المدن الكبيرة . قال المستر هُبلر في تقريرهِ عن السنة الماضية

"يُطلَب منا دواماً ان نلتفت الى حال الحيوانات في المديريات وقلة الرفق بها ويصعب تنفيذ لائحة الحيوانات في غير القاهرة ولكن الهمة مبذولة لتوسيع نطاق الجمعية على قدر الامكان"

ولا تزال جمعية الاسكندرية جارية في عملها جرياً حسناً مع قلة وسائطها .

حديقة الحيوانات

بُذِلَ الاهتمام في العام الماضي بحيوانات وادي النيل كما بذل في العام الذي قبلهُ وعُرِض منها في السادس من اكتوبر الماضي ٦٧٠ حيواناً من ١٦٩ نوعاً يقابلها ٤٧٣ حيواناً من ١٣٢ نوعاً عُرِضت في ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٨ . واهم ما أُتي بهِ الى الحديقة حديثاً زرافة اهداها اللورد كتشنر واوركس ابيض من الخرطوم اهداهُ السر رجينلد ونجت

وكان اكثر عمل المستخدمين في العام الماضي في اصلاح الاقفاص او اعادة بنائها وبُني بيت للفيل ورُسم رسم جديد لبناء مكان للاسد

وقد زاد اقبال الناس على الحديقة فدخلها ٤٤٢٩٦ نفساً سنة ١٩٠٠ يقابل ذلك ٤٣٥٦٧ دخلوها سنة ١٨٩٩

البحث عن اسماك النيل

امتدَّ نطاق البحث عن اسماك النيل في اوائل السنة حتى بلغ ابا حمد . ويبحث المستر لوت الآن عن اسماك البحر الابيض وهو ثقة في هذا الفن وقد اختارهُ علماءِ المتحف البريطاني لهذا

البحث . وطبعت صور كثيرة وجمعت المواد لرسم رسوم اخرى . وكانت الخسارة عظيمة بموت الدكتور جون اندرسن الذي كان لمشورتهِ الفائدة الكبرى لما اشتهر بهِ من سعة المعارف وهو الذي اشار بهذا البحث

الآثار المصرية

كان النجاح عظيماً في كل فروع مصلحة الآثار المصرية بادارة المسيو مسبرو البالغة تمام الكفاءة. ومن ذلك تعيين مفتشين انكليزيين فان تعينهما افاد كثيراً في حفظ الآثار من زيادة التلف والتخريب في الوجه البحري والقبلي

وتمَّ الاتفاق مع نظارة الداخلية على ان يعطى العمد وضباط البوليس بعض السلطة على اماكن الآثار التي في بلدانهم وقد بانت الحاجة الى ذلك منذ زمن طويل . ومما يسرُّ ذكرهُ ما قرَّرهُ المسيو مسبرو وهو انهُ ظهر لهذا الامر نتائج حسنة فحوكم اناس كثيرون وحُكم عليهم لانهم حفروا عن الآثار من غير رخصة او سرقوا او اتلفوا بعض الآثار

والعمل جارٍ في الكرنك فان احد عشر عموداً من اعمدة البهو الكبير سقطت مدَّة الفيضان سنة ١٨٩٩ كما لا يخفى. واوشكت ستة اخرى على السقوط فنزعت حجارة هذه الاعمدة ودُعِم غيرها مما يخشى سقوطهُ او رُمم وذلك بادارة المسيو لغرين والمسيو اهرلخ اللذين اتما هذا العمل بمهارة عظيمة ونزعت الانقاض ووضعت عليها علامات تدل على نسبة بعضها الى بعض حتى يسهل اعادتها الى اماكنها اذا اريد ان تبنى هذه الاعمدة ثانية

وقد بلغني عن ثقة ان ما بقي من هذا الاثر الجليل لا بدَّ وان يتعرَّض للتلف كلما هبط الماء الذي تحت وجه الارض . ولا شبهة في ان هذا الخطر يقل اذا أُنفقت الاموال الطائلة على تلافيهِ ولكن يُرتاب في ان الانفاق مهما بلغ يمكن ان يمنع ذلك منعاً تاماً لان قواعد الاعمدة ضعيفة والارض غير ثابتة وعلى كل عمود ثقل عظيم من السقف الذي فوقهُ وحجارة الاعمدة مبنية من غير طين ولا رابط آخر يربطها بعضها ببعض

ووضعت الاغلاق لابواب المدافن المهمة في طيبة . وأُصلح مدفن امنوفس الثاني وتركت جثتهُ في مكانها حتى يراها الزوّار فيهِ. وينظر المسيو مسبرو الآن في طريقة لانارة هذه المدافن بالكهربائية حتى لا تشعل فيها الشموع بعد الآن فتتلف ما على جدرانها من النقوش

ونظمت مدافن سقارة التي اخرج المسيو لورت حديثاً ما كان فيها من الردم حتى تسهل رؤيتها . وجرى هذا العمل في هرم اوناس لاظهار مدافن فراعنة منف فكشفت خرائب المعبد

الذي كان في المدفن وقبور العائلة الملكية ووجد في واحد منها حلي وقطع من الذهب والمينا وهي الآن في متحف الجيزة

واستمرَّ العمل في بناء المتحف الجديد في السنة الماضية وتمَّ سقفهُ وواجهتهُ ماعدا صفائح الرخام والنقوش البارزة . وتمَّ ايضاً تشييدهُ بالجبس من الخارج وتشييد جانب كبير منهُ من الداخل وأُتي بعمال مخصوصين من البندقية لرصف ارضهِ بالفسيفساء .

ومُدَّت سكة حديدية وقتية تصل المتحف الجديد بمتحف الجيزة لكي يسهل نقل القطع الكبيرة الثقيلة من الثاني الى الاول

و ينتظر اتمام البناء الجديد واعدادهُ لنقل العاديَّات اليهِ في آخر السنة الحاضرة وارجو ان يحقق ذلك . ومتى وضعت هذه التحف الفائقة الثمن في دار لا تفعل بها النار اطمأنَّ بال كل مَن هو مسؤُول عن حكومة مصر بوجه من الوجوه

وقد بلغت الاموال التي أُنفقت على بناء المتحف الجديد ١٦٩٠٠٠ ج . م حتى آخر سنة ١٩٠٠ أُنفق منها في العام الماضي ٣٧٠٠٠ ج . م وستكون النفقات كلها اكثر كثيرًا مما قُدّر لها ولكنها ليست زائدة اذا نظرنا الى حجم البناء واهميتهِ اقول ذلك وانا لا ادَّعي شيئًا من المعرفة الفنية في هذا الموضوع

وحُوّر الاسلوب الذي وُضع اولاً لانشاء فهرس ما في المتحف من الآثار قصد الاسراع في اتمامهِ وطُبع منهُ ثلاثة مجلدات وتنقح الآن ثلاثة أُخرى لكي تطبع . وتعدُّ سبعة مجلدات اخرى وسترسل الى المطبعة في هذه السنة . و يظهر من ذلك ان العمل الذي شرع فيهِ رجال المتحف عظيم وقد تمَّ منهُ جانب كبير ولا بدَّ من ان تمرَّ مدة قبلما يتم كلهُ . ونفقات هذا الفهرس اكثر مما قُدّرت وقد سمح اعضاء صندوق الدين بمبلغ آخر من المال لاتمامهِ

حفظ الآثار العربية والقبطية

استمرَّ العمل في السنة الماضية لحفظ الآثار العربية القديمة في القاهرة ولترميم بعضها وقد شمل خمسة عشر جامعًا ومدفنًا واهم الترميمات في جامع المرداني وفي قصر الشمع

وابتيعت الاكواخ التي كانت مبنية حول بعض المباني القديمة وهُدِمت

وبلغت النفقات ٧٢٠٠ ج . م دفع ديوان الاوقاف ٣٢٠٠ ج . م منها . وقد وهب صندوق الدين هذه المصلحة ٢٠٠٠٠ ج . م منذ بضع سنوات فلم يبقَ منها الآن سوى ٥٢٠٠ ج . م . وعينت لجنة حفظ الآثار ٢٠٠٠ ج . م للكنائس القبطية ولكثير منها فائدة

كبيرة جداً من حيث التاريخ وعلم الآثار . واشترطت في انفاق هذا المال ان الاقباط ينفقون مبلغاً آخر معهُ و يسرُّني ان اقول ان بطريرك الاقباط رضي الآن بان ينفق ٢٥٠ ج . م كل سنة على حفظ الآثار القبطية

وتم بناء المتحف العربي الى اعلى الطبقة الاولى . ويحتمل ان يتم هذا البناء ويعدّ لوضع الآثار فيهِ في آخر السنة . وقد بقي كثير من النقش الخارجي واتمام ما كان كذلك بطيء . وبلغ ما أُنفق عليهِ حتى آخر السنة الماضية ٣٤٠٠٠ ج . م انفق منها في السنة الماضية ١٤٠٠٠ ج . م

واعطت الحكومة لجنة حفظ الآثار ٥٣٥ فداناً من الاراضي الاميرية يبلغ ريعها السنوي ٢٠٥٠ ج . م لاجل نفقات هذا المتحف السنوية

الخاتمة

لا استطيع ان اختم هذا التقرير من غير ان اعرب عن املي وثقتي ان زيارة سمو الخديوي لانكلترا وما ابداهُ كل طوائف السكان في هذا القطر من عواطف الحب والاسى عند وفاة الملكة يمكنان عرى الصداقة والوداد التي تربط الآن ابناء وطني بابناء مصر باشد مما كانت تربطهم قبلاً . ومن المحقق انهُ كلما مرَّت سنة على الاحتلال زاد الموظفون في الحكومة المصرية من الانكليز معرفةً بلغة الاهالي واخلاقهم وعاداتهم وخبرةً بما تحتاج اليهِ ادارة البلاد . وأثق من الجهة الاخرى اني غير مخطيء في قولي اذا قلت ان المصريين انفسهم يزدادون اقتناعاً سنة بعد سنة ان كل انكليزي موظف في مصر لم يوظف فيها الاَّ اعتماداً على ان خدمتهُ نافعة لهم . ومصالح الانكليز ومصالح المصريين متفقة لا تناقض بينها بوجه من الوجوه . والحكومة الانكليزية والامة الانكليزية تهتمان بامر لهُ الشأن الاكبر عند المصريين وهو صلاح حكومة مصر ونجاح اهلها (الامضاء) كرومر

استدراك

لتقرير اللورد كرومر السنوي شأن كبير عند سكان هذا القطر لانهُ تاريخ تذكر فيهِ زبدة ما جرى في البلاد وحكومتها وما عُقدت النية على اجرائهِ . وقد طلب الينا كثيرون من فضلاء هذا القطر ان ننشرهُ لهم في المقتطف لكي يسهل عليهم الرجوع اليهِ كلما مسَّت الحاجة ويُحفَظ بهِ تاريخ بلادهم عاماً بعد عام . فاجبنا الطلب . واضطررنا ان نراعي مصطلحات الحكومة

المصرية في تعريبهِ ولو كان في ذلك من التسامح ما فيهِ لكي لا تفوت الفائدة احدًا من القرّاء

اما قراء المقتطف في الشام والعراق وتونس والجزائر والهند وسائر البلدان التي استوطنها ابناء اللغة العربية فلا نظنهم الاَّ راضين عن نشر هذا التقرير في المقتطف لانهم يرقبون القطر المصري بعين الاخاء ويودون ان يعرفوا ما يأول اليهِ حال ابنائهِ في زمن الاحتلال

وقد أُلحق اللورد كرومر بتقريرهِ مذكرةً في الطاعون لمدير مصلحة الصحة وتقريرًا مسهبًا عن السودان لحاكم السودان العام وسردار الجيش المصري وسنترجمهما وننشرهما في الجزء التالي

باب التقريظ والانتقاد

تقويم المؤيد

هذا كتاب كثير الفوائد الفهُ حضرة الكاتب المجيد محمد افندي مسعود. وقولنا "كثير الفوائد" لا يفي بوصفهِ اذ اعتدنا ان نصف بهِ كتبًا لا تذكر فوائدها ازاء فوائدهِ . ومن هذه الفوائد عروض كثير من المدن الشرقية واطوالها بالنسبة الى باريس . وياحبذا لو ذُكر الطول بالنسبة الى غرينوتش فان الاكثرين عليهِ الآن . ويليهِ فصل في حظ الانسان بمواقيت ميلادهِ لا محل لهُ في هذا التقويم المفيد لانهُ من خرافات العجائز . وبعدهُ فصل مسهب من تاريخ مصر القديم ذُكرت فيهِ زبدتهُ في اربع عشرة صفحة . ثم اسماء الباباوات وتواريخ توليهم ويليهِ خلاصة جغرافية واخبار جغرافية وكلام على الممالك والملوك وفيهِ صورهم مصغَّرة . وفوائد شتى عن سكة الحديد والبريد والمقاييس والموازين والمكتشفات الحديثة وغذاء الانسان وتركيب جسمهِ وآداب المعاشرة وتدبير المنزل واخبار الحرب وحوادث مصر سنة ١٨٩٩ وكلمات كثيرة بالعربية والايطالية والانكليزية والفرنسوية وفوائد زراعية ثم التقويم نفسهُ وهو صفحات قليلة ذكر فيها التاريخ القمري والغربي والقبطي والشرقي والعبراني واوقات العشاء والفجر والشروق والظهر والعصر وفي ذيل كل صفحة بيت حكمي حري بالحفظ فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

التقويم الازهري

هذا تقويم خاصٌ بما وضع لهُ من ذكر ايام السنة الهجرية وما يقابلها من التواريخ الغربية والقبطية واوقات شروق القمر والعشاء والفجر وشروق الشمس والظهر والعصر وضعهُ حضرة محمد محمد افندي الاسطنهاوي . والتوقيت يختلف فيهِ قليلاً عمَّا في التقويم الاول كما ترى في الاوقات التالية وهي لليوم الاول من محرم بالساعات والدقائق

	الفجر	الشروق	الظهر	العصر
تقويم المؤيد	٩ ٢٧	١٠ ٥٩	٥ ٢٩	٩ ٥
تقويم الازهر	٩ ٢٩	١١	٥ ٣٠	٩ ٦

وقال صاحب تقويم الازهر انهُ قسم بلدان القطر المصري الى خمسة اقسام حسب عروضها وذكر الاوقات الشرعية لكل قسم منها على حدتهِ فجعل من القسم الاول مصر والقليوبية وبنها وشبين الكوم ومنوف والفيوم وزفتي وعيون موسى وغيرها من البلدان مما ساوى عرضهُ ٢٩ درجة و٤٠ دقيقة الى ٣٠ْ و٤٠َ من شمال خط الاستواء ويدخل في هذا القسم مدينة طرابلس الغرب ومدينة الجوف بنجد ومدينة شيراز بالعجم والغويط بالشام ومدينة لاسا بالصين.. وفي القسم الثاني الاسكندرية ورشيد وكفر الدوار ودمنهور ودسوق الخ وفي الثالث ببا والفشن ومغاغه وبني مزار ومطاي وهلمَّ جرًّا

ويلحق بهذه النتيجة تكهُّن عن حوادث السنة الحاضرة مكتوب بعبارة مبهمة كعبارات المنجمين كقولهِ " بشرى لاهل العصر بذهابِ الاعادي من مصر بعدسه من الشهر فهناك يظهر الطاووس همتهُ العلية وينبذ الخداعات الوهمية والمشتري ناظر اليهِ والزهرة بين يديهِ وزحل حسامهُ الغدار على الاعادي الشوار " ثم استدرك على ذلك بقولهِ " هذا ولا زلت معتقدًا ان هذا التنجيم تارة يخطىء وتارة يصيب والغالب الاول "

التحفة المصرية
لطلاَّب اللغة الانكليزية

الَّف هذا الكتاب حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس وكيل مكتبة الاميركان بمصر لتعليم اللغة الانكليزية بالعربية وبداهُ بتمارين بسيطة ومفردات كثيرة تليها تصاريف الافعال وجمل بسيطة فمركبة ومصطلحات انكليزية . وفسَّر بعضها بما يقابلهُ من اقوال العامَّة

فقال مثلاً " سكران طينه " " وما يملاش العين " " وعايش سلفقة " " وداير في الخبص " " وعيِّط لما انفلق " ونحو ذلك مما لم يحاول الكتّاب حتى الآن ادخالهُ في اللغة المعربة ويلي ذلك امثال انكليزية وما يقابلها من الامثال العربية وفي هذه ايضاً جمع العامي مع الفصيح فقال " في العجلة الندامة " "وللضرورة احكام " وقال " لا تقل فول حتى يصير في المكيول " "والميت كلب والجنازة حافلة " "وافتكرنا القط جانا نقط ". ثم امثلة من المكاتيب والسفاتج ونحوها وحبذا لو الحق الكلمات العامية والامثال العامّة بما يقابلها في العربية الفصحى

زفرات القلوب

وهي مجموع ما رُثي بهِ فقيد العلم والفضل المرحوم الاستاذ ميخائيل مرهج للعلم الاول الذي يربي الاطفال الشان الاكبر في ارتقاء الامم . ولقد اخطأ أكثر المشارقة في احتقارهم صناعة التعليم ومعلمي الاولاد وفي انتدابهم اليها العميان ومن لا عمل له بدلاً من ان يكلوها الى اكبر حكمائهم وفلاسفتهم ويجعلوا اجرة المعلم مثل اجرة الوزير . وطالما رأينا بلداً يمتاز عن غيرهِ بكثرة النابغين من ابنائهِ ثم اذا بحثنا عن اسباب ذلك رأينا اكبرها وجود معلم فاضل في ذلك البلد علّم ابناءهُ هذّب اخلاقهم وثقّف عقولهم وبث في نفوسهم الرغبة في طلب المعالي والابتعاد عن الدنايا . ومن هؤلاء المعلمين الذين لهم الفضل الاول على كثيرين من الشبان السوريين المرحوم المعلم ميخائيل مرهج عرفناهُ منذ سنة ١٨٦٤ وهو يدرّس الحساب في مدرسة الروم الكبرى بسوق الغرب ثم انتقل الى مدرسة عبيه واقام فيها مدة وجيزة يدرّس بعض العلوم وذهب الى الجديدة مدينة مرج عيون واقام فيها ٣٢ سنة يعلم الصغار ويرشد الكبار ويحل المشاكل . وقد رأينا من تلامذتهِ اطباء ومحامين وتجاراً ومعلمين وكلهم معترف بفضلهِ . ولقد احسن تلامذتهُ واصدقاؤهُ بما ابنوهُ بهِ وبجمع اقوالهم واقوال الجرائد في كراسة تبقى ذكراً لهُ ومحرضاً على اقتفاء خطواتهِ

الروايات المصرية

لقد احسن حضرة الاديب يعقوب افندي الجمال في طبع هذه الروايات ونشرها كما احسن حضرة الكاتب المجيد والمنشيء المتفنن خليل افندي الجاويش في تعريبها وحبذا لو اقتصر على تعريب المعاني الافرنجية التي وضعها المؤلف ولم يزدها من المبالغات العربية والمترادفات اللغوية وعسى ان يختار غير الروايات الغرامية وغير الروايات التي فيها وصف الجرائم فاننا في غنىً عن هذه وتلك ويكتفي بالروايات التي تصف احوال الناس العادية وتفيد في تهذيب الاخلاق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) دليل الشام

القاهرة . صادق افندي جرجس . حنين

هل لكم ان تتفضلوا بارشادنا الى احسن دليل عربي او انكليزي للمسافر في جبل لبنان وبلاد الشام واحسن خريطة جغرافية لتلك الجهات

ج لم نرَ دليلاً عربياً لجبل لبنان وبلاد الشام حتى الآن . وفي الانكليزية كتب كثيرة تفي بالمراد منها كتاب الدكتور طمسن وهو مجلدان وكتاب الدكتور روبنصن وهو ثلاثة مجلدات لكنهما كبيران واكثر ما فيهما عن فلسطين ومنها دليل لبدكر مثل سائر ادلتهِ دقيق الحرف كثير المادَّة . وقد طبع المرسلون الاميركيون خريطة كبيرة لسورية وهي اوسع ما رأيناهُ في العربية

(٢) كاجليوسترو

ومنهُ . هل لكم ان تتكرموا بنشر ترجمة كاجليوستر لاننا قرأنا كلاماً كثيراً عن عجائبهِ وقواهُ في التنويم المغنطيسي وتأثيرهِ المهم في الماسونية والادوار التي لعبها في الثورة الفرنسوية الكبرى قرأنا ذلك كلهُ في روايات دوماس التي اختلط فيها التاريخ بالخيال فلم يتيسر لنا تمييز الحد الذي تنتهي اليهِ الحقيقة ويبتدئ عندهُ وضع الرواية

ج لا نرى محلاً الآن لنشر ترجمة هذا الخدَّاع بالتفصيل وانما نقتصر على القول انهُ ولد في بالرمو بايطاليا سنة ١٧٤٣ وهرب من المدرسة وعمرهُ ١٣ سنة ودخل ديراً للرهبان وجُعل مساعداً اصيدلاني فتعلَّم شيئاً من الكيمياء وتركيب الادوية بنى عليهِ كثيراً من اخاديعهِ . وكان يقرأ للرهبان وهم يأكلون ويقص عليهم القصص المجونية فطُرد من الدير وتبرأ منهُ ذووهُ فجعل يزوّر اوراق المشاهد وسرق واحداً من اقاربهِ وقتل آخر فسُجن وحوكم ولكنهُ نجا من العقاب لخلل في شهادة الشهود . واستعان بصائغ على كشف كنز واخذ منهُ ستين اوقيةً من الذهب ومضى بهِ الى المغارة التي ادَّعى ان الكنز فيها فلما

وصلاها هجم على الصائغ ستة في زي الابالسة كان كاجليوسترو قد اعدَّهم لذلك واوسعوا الصائغ ضربًا وتركوهُ بين حيٍّ وميت وهرب كاجليوسترو من ايطاليا مخافة ان ينتقم الصائغ منهُ وطاف في بلاد اليونان ومصر وبلاد العرب وفارس وعاد الى رودس وتعلَّم فيها الكيمياء من رجل يوناني اسمهُ التوتاس ثم مضى الى مالطة ونابلي ورومية والبندقية وتزوج في رومية بفتاة بديعة الجمال شاركتهُ في خداعهِ ونصبت حبائل جمالها شراكًا فكانت تسبي عقول الناس وزوجها يختلس اموالهم . وادَّعى زوجها انهُ طبيب ومنجم وكيماوي وفيلسوف ومستخدم للشياطين . وطاف في المانيا مدَّعيًا انهُ اكتشف الاكسير الذي يطيل الحياة ويمنع الشيخوخة وادَّعت زوجتهُ انها شيخة في الستين من عمرها ولها ابن كهل وهو امير بحر في الاسطول الهولندي ولكنها بقيت في ريعان الصبا باكسير زوجها وادَّعى هو انهُ ناهز المئة والخمسين من عمرهِ

ووصل الى بطرس برج ودخل بلاط الملكة كاترينا لكن اخاديعهُ لم تخفَ عليها وعلى طبيبها وهو اسكتلندي الاصل فاضطرَّ كاجليوسترو ان يعود من روسيا بخفي حنين

وعاد الى باريس واشترك في مسألة عقد الماس المشهورة وسُجن في الباستيل ثم أُطلق سبيلهُ ومضى الى انكلترا وكانت شمس خداعهِ قد مالت الى المغيب فلم يفلح فيها بل أُودع السجن مدةً ورجع الى فرنسا وضرب في اوربا الى ان بلغ رومية فقُبض عليهِ فيها وحكم عليهِ بالسجن المؤَبد ومات في السجن سنة ١٧٩٥

(٣) اكتشاف القطب الشمالي

القناطر الخيرية محمد افندي فهمي . منذ اتجهت اذهان الغربيين الى اكتشاف القطب الشمالي حتى الآن فقدوا ٤٠٠ من علمائهم و ٢٠٠ من سفنهم و ٢٥ مليونًا من الاصفر الرنان وكل ذلك لم يثنِ عزائمهم ولم يقفل خزائنهم فمتى يجدون تلك الضالَّة المنشودة

ج يظهر مما بلغتهُ البعثات الاخيرة ان اكتشاف القطب الشمالي صار قريبًا جدًّا ولا يبعد ان يصل قاصدوهُ اليهِ بعد عام او عامين . ولا يلام الاوربيون والاميركيون على هذه الهمم ولو وضعت في غير موضعها لان الحياة جهاد كلها والفخر بالطلب لا بالجلب

(٤) المواسم والاعياد

ومنهُ . للمواسم والاعياد منافع ومضار فايُّها اعظم المنافع او المضار .

ج ان الحكم في هذه المسألة ليس بالامر السهل وقد يتعذَّر وضع حكم عام يتمشى على كل المواسم والاعياد . ولكن يقال بنوع عام ان امور الناس خاضعة لنواميس طبيعية تقتضي ان لا يوجد شيء الاَّ وتدعو الحال الى وجودهِ ولا يستمرُّ في الوجود الاَّ ومنهُ نفع ما ولا يزول من الوجود الاَّ ويصير زوالهُ

انفع من بقائهِ . فما دامت المواسم والاعياد موجودةً مرعية فوجودها دليل على ان منافعها اكثر من مضارها ومتى صارت مضارها اكثر من منافعها يشرع الناس في الشكوى منها والغائها الى ان تبطل كلها وقد يتأخر ابطالها زماناً طويلاً لقلة الشعور بالمضار ولو كانت كثيرة . ثم ان منافعها قد تختص بفئة من الناس وتكون منها معيشتهم فيحتفظون بها ويدافعون عنها جهدهم الى ان تقوى الشكوى من مضارها ومنهم ويتغلَّب رأي الجمهور على رأيهم او تفضل مصلحتهُ على مصلحتهم

(٥) دواء الفقر

واود . ا ج . ق هل من دواءٍ للفقر غير الاجتهاد والاقتصاد والقناعة فان اجتهاد الفقير ضياع في الغالب وكيف يقتصد ودخلهُ لا يقوم بنفقاتهِ . والقناعة معنىً فلسفي لا يزيد دراهم الفقير درهماً وكيف يقنع من لا يملك شيئاً

الجواب ان حكمكم الاول غير صحيح لان اجتهاد الفقير غير ضائع اللهمَّ اذا بذلهُ في وجههِ فانك اذا اردت الذهاب من القاهرة الى الاسكندرية وسرت جنوباً لا تصل الى الاسكندرية بل الى اسيوط ولكن اذا سرت شمالاً في طريق الاسكندرية وصلت اليها وكذا اجتهاد الناس لا يجدي الاَّ اذا كان في طريقهِ . ومن الامور المتعارفة ان اصحاب الاعمال يفتشون عن العمَّال المجتهدين فلا يجدونهم والكسالى يفتشون عن الاعمال فلا يجدونها . ومتى اجتهد الفقير استطاع ان يكتسب ما يزيد على كفافهِ فيستتب لهُ الاقتصاد في هذا الزائد وبذلك يعالج داء الفقر . والقناعة خلق يحلي مرارة الفقر والاَّ فغصصهُ مرة لا تطاق

(٦) اظافر البغال

ومنهُ ما السبب في تأثير اظافر البغال في الحمل واحداثها للعقم

الجواب هذا من الخرافات التي لا تستحق البحث واذا اثبت القائلون بهِ صحتهُ بالتجارب الكثيرة الموثوق بصدقها كما يجرب العلماء ما يقولون بهِ في الناس والحيوانات ساغ البحث عن سببهِ . اما الروايات الكثيرة التي تروى من هذا القبيل فلا يصدقها عاقل ولا يؤخذ بها في محكمة قضائية فاذا ادَّعت امرأة ان جارتها دسَّت لها ظفر بغل في طعامها فاسقطت حملها او صيرتها عاقراً لم يأخذ القضاة بقولها ولاحسبوهُ مستحقاً للتحقيق

(٧) الاجل المحدود

ومنهُ اجبتم في العدد السابق في باب المسائل صفحة ٣٨٠ ان الاجل غير محدود ولو لم يكن كذلك لما وجد علم الطب والعلاج . وهذا القول منافٍ لما جاءت بهِ الكتب المنزلة فكيف توفقون بين قولكم وبين ما جاءت بهِ

الجواب اننا بنينا القول الذي تشيرون

اليهِ على علم البشر واختبارهم. والحقائق العلمية التي من هذا القبيل اذا خالفت ما في الكتب المنزلة فتأويل الكتب المنزلة اولى من انكار الحقائق العلمية على ما قالهُ الامام الغزالي في تهافت الفلاسفة

(٨) مدائح الشعراء

ومنهُ . ما قولكم في ما جاء بهِ حضرة النبيه الذي اصاب كبد الحقيقة فارس افندي الخوري في ما اتى بهِ في العدد السابق عن الذود عما عُزي الى المؤرخين في امر الشعراء أفلم يقل الحق ولماذا لم تصدقوا عليهِ كعادتكم حينما يظهر الحق في المراسلة والمناظرة

ج ان كان المتناظران قد وقفا عند هذا الحد فيكونان قد تركا الحكم للجمهور. اما نحن فلم نقم انفسنا للحكم بين متناظرين قط. ولم نكن لنبدي رأينا في مسألة الاَّ اذا سئلنا عنها او كانت المناظرة معنا

(٩) رجل أكول

ومنهُ . ما تقولون في رجل يستطيع ان يأكل عجل جاموس صغير وعشرين اقة من الارز المطبوخ دفعةً واحدة وهو مستعد ان يراهن كل من يراهنهُ على ذلك

ج لا نقول شيئاً ولكننا نطلب من الله ان يبعدهُ عنا . وحبذا لو سمحتم لنا بذكر اسمكم حتى يكاتبكم في ذلك الذين لا يصدقونهُ او الذين يرغبون في المراهنة

(١٠) تحديد العمر

امبابه . سمعان افندي عوض . يظهر لي ان التوراة حدَّدت عمر الانسان ١٢٠ سنة ولكن احدى الجرائد ذكرت ان رجلاً روسيًّا عاش ١٥٠ سنة وان رجلاً آخر مات في تفليس وعمرهُ ١٢٨ سنة فكيف نقض هؤلاء سنة الله

ج . اذا ثبت لنا امرٌ ثبوتاً لا ريب فيهِ حق لنا ان نرفض ما يناقضهُ او ان نؤوّلهُ حتى تزول المناقضة . ولا نعلم ما هي الادلة على ان احد هذين الرجلين عاش ١٥٠ سنة والآخر عاش ١٢٨ لان كثيرين ادَّعوا هذه الدعوى ثم لم تثبت دعواهم لدى البحث وهب انها ثبتت فتأويل ما في التوراة سهل وقد اوّلهُ المفسرون بان المراد بايام الانسان هناك المدة الباقية الى الطوفان وهي التي بنى فيها نوح الفلك. وعليكم بمراجعة كتب التفاسير في هذه المسألة وامثالها لان المقتطف لم يوضع لها

(١١) الف ليلة وليلة

امبابه . اسكندر افندي نبيه . من وضع كتاب الف ليلة وليلة والى اية لغة تُرجم اولاً ومن نقلهُ الى الافرنسية وكذا الى الانكليزية والالمانية والروسية

ج وضعهُ الهنود وتُرجم اولاً الى الفارسية كما هو مذكور في مقدمتهِ والباب

الذي يليها . ولا ندري ما تستفيدون انتم او غيركم من معرفة اسماء المترجمين وهل تفي الفائدة بالتعب في البحث والتنقيب عن اسمائهم

(١٢) بلاد الواق واق

ومنهُ . اين جزر واق واق ومن هم سكانها

ج قال ابن خلدون انها شرقي بلاد سفالة في الجزء السابع من الاقليم الاول . ورسمها الشريف الادريسي قبالة بلاد الصين جنوباً في طرف الارض الشرقي كما ترى في خريطتهِ التي رسمناها في الصفحة ٥٨١ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف . ولا نعلم هل اراد كتَّاب العرب بهذا الاسم مسمَّى بعينهِ او جاروا القصاصين في ما وضعوهُ . واكثر ما ذكروهُ عن تلك البلدان القاصية مبهم قلَّما يستفاد منهُ شيء فلا نستطيع ان نذكر شيئاً عن سكانها لاسيما واننا لا نعلم ما هو المراد بها

(١٣) كبريتت الحديد

حمص . محمد افندي سعيد بن خالد الحكيم . اننا مرسلون الى حضرتكم نوعاً من انواع المعدن نرجو ان تتكرموا بفحصهِ وتخبرونا عن حقيقتهِ

ج المعدن الذي وصلنا مركب من الحديد والكبريت وليس منهُ اقل فائدة الاَّ حيث تبنى المعامل لعمل الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) فانهُ يمكن استخراج الحامض الكبريتيك منهُ حينئذٍ

باب الاخبار العلمية

آثار بعلبك

قلعة بعلبك اعظم الآثار القديمة الباقية في بلاد الشام وهي هيكلان قديمان وحصن عربي متصل بهما ومبانٍ أُخرى قريبة منها وصفناها في المجلد الثالث من المقتطف وربما عدنا الى وصفها بالاسهاب بعد زمن قصير . والظاهر ان علماء العاديات من الالمان اشفقوا ان يبقى كثير من تلك الآثار محجوباً عن الانظار فاستأذنوا الحكومة العثمانية في النقب عنها فاذنت لهم . ويظهر من رسالة كتبت من بعلبك في ٢٠ من شهر ابريل الماضي الى جريدة الاحوال في بيروت ان هؤلاء العلماء نزعوا الردم من الهيكل الكبير فظهر في جوانب بهوهِ المسدَّس مخادع الكهنة ومواقف الاصنام تتقدمها اعمدة من الحجر السماقي وظهر في وسط البهو حوض عظيم مسدَّس حفافيهِ ثلاث درجات يظن ان اعمدة سماقية كانت قائمة عليها . وظهرت محاريب البهو الكبير ومواقف الاصنام التي فيهِ كما كانت في القديم . ووجد

فيهِ كثير من الكتابات اللاتينية . وظهرت كنيسة الامبراطور قسطنطين التي بناها في وسط البهو وبان انها تحوَّلت حماماً في القرون الوسطى . ووجد الناقبون في ارضها قطعاً من الفسيفساء البديعة الصنعة فنزعوها منها لئلاَّ يتلفها الغوغاء . ومما هو حريٌّ بالذكر انهم اكتشفوا حوضاً عظيماً يبلغ عرضهُ عشرين متراً ولا يعلم طولهُ حتى الآن ولا ان كان مفرداً او في البهو حوض آخر يقابلهُ . وارتفاع جدرانهِ نحو متر وهي انصاف دوائر وزوايا عليها تماثيل بارزة في صور ملائكة مجنحة باياديها اغصان فيها الازهار والاثمار بينها رؤُوس الهة ومنها صورة اناء فيهِ اعشاب والى جانبهِ تنينان مجنحان رأْساها في الاناء ثم رؤُوس اسود وغيرها من الضواري وكل ذلك محفوظ احسن حفظ

وشرع المهندسان الالمانيان منذ شهرين ينقبان عن هيكل الزهرة خارج القلعة فوجدا انهُ كان مبنيًّا على دكة مركبة من انصاف دوائر على احدها كتابة يونانية مسبوكة في قالب شعري . انتهى ملخصاً

سبب المطر الدموي

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان من هطول المطر الدموي في اوربا وما يظن من ان سببهُ غبار احمر حملتهُ العواصف من افريقية ومزجت بماء المطر فاحمرَّ . الاَّ ان الدكتور مل محرر مجلة الاحداث الجوية الانكليزية يقول انهُ رأَى في حوض كبير نباتاً مائيًّا نما فيهِ بعد وقوع المطر الدموي وهو قريب من نوع النبات الذي يحمرُّ بهِ الثلج ولا يُعهد وقوعهُ مع ماء المطر الاَّ نادراً واذا عصفت عاصفة فوق بركة كبيرة فيها من هذا النبات فقد تحملهُ مع مائها كما تحمل السمك والضفادع فيحمرُّ ماؤُها بهِ ويقع المطر منها احمر دمويًّا . لكن المرجح ان لا علاقة بين هذا النبات والمطر الدموي الاخير

جسم الانسان والميكروب

يولد الطفل وجسمهُ خالٍ من الميكروبات ولكنهُ لا يكاد يتنفس الهواء ويلامس جسمهُ الماء حتى تهجم عليهِ هذه الاعداء وتتخذ بدنهُ مسكناً لها ظاهرهُ وباطنهُ . قال الدكتور متشنيكوف في خطبة تلاها حديثاً انهُ لا يمضي على الطفل اربع ساعات من حين يولد حتى تكثر الميكروبات في بدنهِ وتصل الى امعائهِ فانها تقع على جسمهِ من الهواء وتصل اليهِ من الماء وتنمو وتتكاثر في مسام جلدهِ وعلى اغشيتهِ المخاطية في فيهِ وانفهِ وعينيهِ ولولا الدموع التي تغسل العينين منها دواماً لكثرت فيهما كثيراً

وقد عدَّ الدكتور ملّر الالماني اكثر من ثلاثين نوعاً مختلفاً من انواع الميكروبات التي تسكن فم الانسان بعضها لا يوجد في غيرهِ وبعضها ينتقل من الفم الى المعدة والامعاء .

ووُجد في المعدة حتى الآن ثلاثون نوعاً مختلفاً من الميكروبات واكثرها خاص بالمعدة لا يوجد في غيرها من اعضاء الهضم . والميكروبات كثيرة في الامعاء الدقاق واكثر منها في الامعاء الغلاظ وقد عدُّوا من انواعها في الامعاء الغلاظ اربعة واربعين نوعاً . وتوجد في الامعاء الغلاظ منذ اليوم الاول بعد الولادة ثم تكثر كثيراً بعد الفطام . فجسم الانسان وطن للميكروبات وانواعها قليلة فيهِ ستون او سبعون نوعاً مختلفاً ولكن آحادها كثيرة جدًّا تعدُّ بالملايين . ولو درى ذلك الاقدمون لقالوا الانسان عالم كبير في عالم اكبر منهُ حقيقة

فائدة الميكروبات

من الميكروبات ما هو ضارٌّ حتماً كميكروب الكوليرا والسل والطاعون ومنها ما هو غير ضار او ما هو نافع ومن ذلك الميكروبات الكثيرة التي توجد في فم الانسان عادةً فلا يخفى ان جروح الفم تشفى سريعاً من نفسها وسبب ذلك في ما ذكرهُ الدكتور متشنيكوف ان هذه الميكروبات تهيج الخلايا التي حول الجرح فتكثر كريات الدم البيضاء الواردة اليها وهي تنظف الجرح من الانسجة الميتة وتسرع برءهُ . والمظنون ان ميكروبات الامعاء تقاوم الميكروبات المرضية ولولا ذلك لاصيب اكثر الناس بالكوليرا وقت انتشارها

لكن الميكروبات ليست جزءا من الجسم ولا مصلحتها مرتبطة بمصلحتهِ فهي تجاملهُ وتداريهِ ما دام سليماً قويًّا واما اذا ضعف بمرض اصابهُ كالبول السكري ونحوهِ لم تعُد ترعى لهُ حرمةً فتكثر فيهِ الدمامل والخراريج من الميكروبات التي فيهِ لا من غيرها ولا تعود تدافع عنهُ كما كانت تدافع وهو في قوتهِ بل قد تتعدى طورها وتخرق امعاءهُ وتتصل الى غيرها من الاعضاء فتتلفها . ولعلها سبب ما يحدث احياناً كثيرة من الصداع والاعياء والآلام العصبية بل من الامراض العقلية

ضرر مضادات الفساد

يراد بمضادات الفساد ما يستعملهُ الجراحون لمنع العفونة مثل الحامض الكربوليك ومحلول السليماني . وقد قال الدكتور متشنيكوف ان الاطباء صاروا يميلون الآن الى الاقلال من استعمالها لانها تضعف دقائق الجسم الحي حينما تضعف الميكروبات وصاروا يمنعون الميكروبات بالوسائط الميكانيكية كالربط والغسل وقد يكتفون بغسل الجرح وترطيبهِ

اناس بلا معدة

وصفنا في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف امرأة نزعت معدتها لسرطان اصابها فيها وبقيت حية ترزق . والظاهر ان الاطباء اقدموا على هذه العملية بعد ذلك فصار عدد الناس الذين نزعت معدهم ولا يزالون في قيد الحياة اربعة . وقد ذكر الدكتور كَكولا انهُ

نزع ثلثي الامعاء الدقاق من غير ضرر . ونزع غيره اكثر المعى الغليظ وجانباً من الامعاء الدقاق . ويستفاد من ذلك ان القليل من معدة الانسان وامعائهِ يكفيهِ في احوال الحياة الحاضرة حيث يأكل الاطعمة الكثيرة الغذاء السهلة الهضم . فالمعدة والامعاء من الاعضاء القديمة التي كانت الحاجة ماسة اليها في عهد البداوة وستضعف رويداً رويداً كما ضعفت الاسنان

الماشي الدوارة

في النية فتح سرب طويل في مدينة باريس على الجانب الايمن من السين يمرُّ تحت شارع الاوبراوشارع سباستوبول والريفولي ويكون طولهُ ستة اميال توضع فيهِ اربع مماشٍ مثل الماشي التي كانت في المعرض احدها ثابت والثاني يسير بسرعة متر ونصف في الثانية والثالث بسرعة ثلاثة امتار والرابع بسرعة خمسة امتار فيمشي عليها الناس ويقطعون مسافة طويلة في مدة قصيرة ولا سيما الممشى الاخير منها فان الماشي عليهِ يقطع الكيلو متر في ثلاث دقائق من الزمان . وتدار هذه الماشي بالكهربائية

القوارب الغوَّاصة

اقتنع رجال الحكومة الانكليزية بفائدة القوارب الغوَّاصة اي التي تغوص في الماء وتجري تحت سطحهِ على ما وصفناها وصورناها في الاجزاء الماضية وهم يبنون الآن خمسة قوارب طول كل منها نحو عشرين متراً وتفريغهُ ١٢٠ طناً . واذا سار تحت الماء فالقوة التي تسيّرهُ الكهربائية من بطريات خزنت فيها فيسير بها سبعة اميال بحرية في الساعة ويبقى سائراً اربع ساعات حتى اذا وصل الى بارجة العدو اطلق الطربيد تحتها وعاد ادراجهُ .

فتك البعوض

يموت في ايطاليا خمسة عشر الف نفس كل سنة بالحمى الملارية ومات في بلاد الهند خمسة ملايين نفس في سنة واحدة بهذه الحمى . ولعلَّ موتاها في المسكونة كلها لا يقلون عن خمسة عشر مليوناً في السنة عدا الذين يمرضون و يشفون وتضيع الشهور من عمرهم سدًى . هذا كلهُ من فعل البعوض فاين منهُ ما قيل ان البعوضة تدمي مقلة الاسد

المذنب الجديد

ورد تلغراف من سدني باستراليا انهُ رُئي فيها مذنب جديد صباح الثالث والعشرين من شهر ابريل قرب الدبران وجاء من بيرو باميركا انهُ رئي فيها في ٢ مايو الساعة ٦ والدقيقة ٤٨ مساءً وكان صعودهُ المستقيم ثلاث ساعات و٣٠ دقيقة وميلهُ درجة جنوباً . ومن مدينة الراس ان شوهد فيها في ٤ مايو

الساعة ٦ والدقيقة ٢٩ وكان صعوده المستقيم ثلاث ساعات و٥٤ دقيقة و٢٩ ثانية وميله ١٨ دقيقة و٢٧ ثانية جنوبًا وهو يسير الى الجهة الشمالية الغربية وحركتهُ اليومية ١٤ دقيقة غربًا في الصعود المستقيم و١٣ دقيقة في الميل

الغاز المنير

استخرج المسيو كوري غازًا منيرًا من عنصر الراديوم اذا وضع في اناء انار في الظلام اشهرًا متوالية

اشعة رنتجن بلا كهربائية

اكتشف المسيو تودون انهُ اذا وضعت صفائح المعدن في الطرف البنفسجي من الطيف صدرت منها اشعة مثل اشعة رنتجن

حفظ الفراء بالبرد

شاعت الآن طريقة جديدة لحفظ الفراء ونحوها زمن الصيف وهي ان توضع في اماكن مبرَّدة الى درجة الثلج فتحفظ من العث ولا تدعو الحال الى وضع العقاقير القوية الرائحة معها ولا الى مسحها ونفضها مرة بعد أُخرى واتلاف صوفها

سم البيرا

اتضح الآن ان ما يحدث من اعراض السم للذين يشربون البيرا يزيد عما يكون فيها من الزرنيخ فسببهُ لا يقتصر على فعل الزرنيخ بل لهُ سبب آخر وهو السلينيوم الذي قلما يخلو منهُ الحامض الكبريتيك المستعمل لتحويل السكر في عمل البيرا . والسم موجود في البيرا على الحالين مهما كان سببهُ

هيدروجين الهواء

ذكرنا في الجزء الماضي انهُ اكتشف في الهواء مقدار كبير من الهيدروجين وهو في الهواء القريب من سطح الارض نحو جزء من عشرة آلاف جزء ويقال الآن ان مقدارهُ يكثر كثيرًا بالارتفاع عن سطح الارض حتى يصير ٩٥ في المئة من الهواء على ارتفاع ٦٠ ميلاً . ولعلَّ بردهُ الشديد يمنع اشتعالهُ هناك والاَّ لاشعلتهُ النيازك التي تشتعل فيهِ

النور والحرير

بحث المسيو فلامريون عن فعل النور بدود الحرير فوجد ان النور الابيض يزيد مقدار الحرير فيكون على اكثرهِ وان النور الازرق يزيد عدد الذكور والنور الاحمر والبرتقالي يزيدان عدد البيض

اكبر حجارة الغرانيت

قطع الاميركيون حجرًا من الغرانيت المندمج طولهُ ٦٨ قدمًا وعرضهُ ٢٠ قدمًا وعمقهُ ١٤ قدمًا فهو اكبر من حجر الحبلى في بعلبك لان مساحتهُ المكعبة ١٩٠٤٠ قدمًا

ومساحة حجر الحبلى ١٢٩٢٢ قدماً وثقل الحجر الاميركي ١٤٠٠ طن اما حجر الحبلى فلا يزيد نقله على ٥٠٠ طن . الاَّ ان الحجر الاميركي لم يترك على حالهِ بل قطع قطعاً صغيرة وزن القطعة منها خمسة اطنان لتبنى بهِ منارة

الفحم الصناعي

في بعض الاجام مواد نباتية بالية تجتمع بعضها مع بعض وتصير طبقات سميكة ويقال ان جانباً كبيراً من سد النيل منها . وقد استتبَّ لاحد الالمانيين الآن ان طحن هذه المواد واضاف اليها بعض المواد الكيماوية وصنع منها اقراصاً تشتعل كما يشتعل الفحم الحجري وحرارتها اشد من حرارتهِ ورمادها اقل من رمادهِ

مدرعات يابان

عزمت بلاد يابان ان تبني مدرعاتها في بلادها وتصنع لها دروع الصلب فيها ايضاً وهي تبني الآن دار صنعة كبيرة لذلك لتصنع فيها اكبر البوارج المدرعة

كنوز مصر

ذكرنا في الجزء الماضي دروج البردي التي اهديت الى المدارس الجامعة في اميركا مما وجد في خرائب البهنسة وقد قرأنا الآن ان جمعية النقب في مصر اهدت دروجاً أُخرى وُجدت في اماكن أُخرى غير البهنسة من ذلك رُجَع يستدل منها على كيفية جمع الضرائب سنة ١٩٦ للميلاد . وشهادة ولادة لطفل ولد لرجل اسمهُ اسخيراس وزوجتهِ تسار يون وتاريخها يقابل سنة ١٥٠ للميلاد ووصل من مسجل الاملاك واسمهُ سمبوس لرجلين اسماها ديوس وهيرودس عن عوائد بيتهما وتاريخهُ يقابل سنة ١٣١ للميلاد . وعريضة من امرأة اسمها بطلارس تقول فيها ان اطيانها لم تروَ فلا تستطيع دفع الضرائب عنها وتاريخها يقابل سنة ١٤٣

الاوتوموبيل في الجزائر

ركب اثنان من الفرنسويين اوتوموبيلاً وطافا بهِ في بلاد الجزائر فسارا مسافة ٨٥٠ ميلاً وكثيراً ما كانا يسيران بهِ في طرق لا يسير فيها الناس الاَّ مشاةً . ويظهر من ذلك ومما نراهُ من امر الاوتوموبيل وما نقرأهُ عنهُ انهُ سيقوم مقام مركبات الخيل حتماً بعد زمن غير بعيد للركوب وللنقل ايضاً

اكبر الحجارة النيزكية

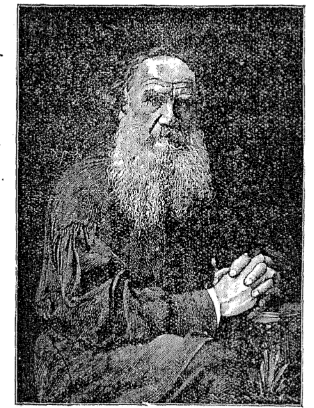
قيس الحجر النيزكي الذي وقع في بلاد برازيل منذ مدة فوجد طول قاعدتهِ ٥٦ قدماً وعلوهُ ٨٥ قدماً ولم يذكر عرض قاعدتهِ ولا شكلهُ ولكن اذا فرضناهُ مخروطاً مربع القاعدة فثقلهُ اكثر من ثلاثين الف طن

المقتطف

الجزء السادس من المجلد السادس والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٤ صفر سنة ١٣١٩

الكونت تولستوي الروسي



هذا عنوان مقالة نشرناها عن الكونت تولستوي في الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر من المقتطف الصادر في غرة يناير سنة ١٨٨٨ لخصنا فيها خبر زيارة زارهُ اياها كاتب اميركي شهير اسمهُ جورج كنان . ولم يكن اسم تولستوي مشهورًا في هذه الديار فاوجزنا المقال على قدر الامكان لقلة مَن كان يعنى بهِ حينئذٍ . اما وقد كثر ذكرهُ الآن في التلغرافات

السياسية والصحف اليومية ولا سيما بعد ان حرمتهُ الكنيسة الروسية وخيف من استفحال الثورة في بلاد الروس بسببهِ فرأينا ان نعود الى حديث المستر كنان فنثبتهُ برمتهِ ونضيف اليهِ ما نتم بهِ الفائدة من اقوال كبار الكتاب حتى يرى القارئ من هو الكونت تولستوي وكيف يعيش وكيف يفتكر لا سيما وان لهُ سلطة لا مثيل لها على عقول الملايين من شعوب الروس ولأنهُ يعد في الطبقة الاولى بين كتّاب هذا العصر. قال المستر كنان :

زرت الكاتب الروسي الكونت ليو تولستوي في اواخر شهر يونيو سنة ١٨٨٦ عزمت على زيارتهِ قبل ذلك بنحو سنة من الزمان وانا في مناجم سيبيريا واعدًا بذلك جمهورًا من مريديهِ الذين حُكم عليهم بالاشغال الشاقة مدى العمر في تلك المناجم . وكنت قد سُئلت ان احمل نسخةً من روايتهِ المعروفة "بالاعتراف" الى سيدة حُكم عليها بالاشغال الشاقة اثنتي عشرة سنة لذنب سياسي. والرواية ممنوعة من بلاد الروس والنسخة المشار اليها مخطوطة خطًا ولا ادري كيف سلمت من عيون الرقباء ووصلت الى شرقي سيبيريا حيث أُتمنتُ عليها. والمراقبة شديدة في بلاد الروس على الكتب الممنوعة فيفتش رجال الحكومة كل صندوق وسفط ومتاع فوصول هذه النسخة الى شرقي البلاد دليل قاطع على ان المراقبة لا تجدي نفعًا ولا تصدُّ الافكار الحرَّة عن الانتشار ما دامت النفوس متشوقة اليها وان الحكومة تعجز عن منع ما تأبى انتشارهُ حتى بين الذين في سجونها لان النسخة المشار اليها سارت في بلاد الروس خمسة آلاف ميل رغمًا عن انفها

اخذت هذه النسخة وفي اقل من ثلاثة اشهر تعرفت بالسيدة التي أُرسلت اليها وبغيرها من المنفيين الى سيبيريا وهم اما من معارف الكونت تولستوي واصدقائهِ او من الذين كانوا يكاتبونهُ . وقد رغبوا اليَّ كلهم ان ازورهُ بعد عودتي الى اوربا واصف لهُ احوالهم وما يعانيهِ المنفيون الى تلك الاصقاع الشاسعة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة فيها لجرائم سياسية أُخذوا بها . وظهر لي انهم كانوا يحسبونهُ من المهتمين بامرهم القائلين بقولهم بناء على ما رأوهُ من منع الحكومة لكتبهِ وحسبوا انهُ اذا وُصفت لهُ حالهم زاد جرأة على التنديد بالحكومة والضرب على يدها واثار افكار الجمهور عليها وانقلب من النصح والانذار الى التعيير والتهديد بل الى المقاومة الفعلية . لكنهم كانوا في خطاء مبين من هذا القبيل لانهم لو رأَوا كتبهُ الحديثة وطالعوها لعلموا انها انما حُرمت ومنعت لما فيها مما ينكرهُ عليهِ رجال الدين لا ما ينكرهُ عليهِ رجال السياسة. وان اساس معتقدهِ وفلسفتهِ ان لا يُقاوَم الشر بالشر. ولما طلبوا اليَّ ان اصف لهُ ما رأيتهُ من سوء الادارة في سيبيريا وكيف يمتهن المنفيون فيها قصُّوا عليَّ قصة الصوم الذي يلجأُ اليهِ المنفيون احيانًا فيمتنعون عن الطعام الى ان يموتوا او يخفّف رجال الحكومة عذابهم

واعطوني رسالة يوصف فيها ما حلَّ باربع نساء من المنفيات الى سجن اركوتسك احداهنَّ اخت العالم ڤورنتسوف وكلهنَّ من المتعلمات المتهذبات وطلبوا مني ان احمل هذه الرسالة الى الكونت تولستوي ومن ثمَّ عزمت على زيارتهِ كما تقدَّم

ومرَّت الشهور قبلما تيسرت لي العودة الى موسكو فلما وصلتها بلغني ان الكونت غادرها ومضى الى املاكهِ قرب مدينة تولاحيث يصطاف فمضيت اليها ولما نزلت في محطة سكة الحديد ناديت سائق مركبة وقلتُ لهُ اتعرف الكونت تولستوي فتبسم وابرقت اسرتهُ وقال كيف لا اعرفهُ ومن لا يعرفهُ في هذا المكان وهو في يسنايا بوليانا الآن ولا يبعد بيتهُ عنا سوى خمسة عشر فرستاً (١)

فقلت لهُ وهل في يسنايا بوليانا فندق انزل فيهِ . فقال كلاَّ ولكن مالك وللفندق لماذا لا تنزل عند الكونت فانهُ رجل مضياف انيس المحضر يشتغل في ارضهِ مثل عامة الناس ويسرُّ بنزولك عليهِ ضيفاً

فحرت في امري لانني لم استسهل الذهاب اليهِ طالباً النزول في بيتهِ ولكنني لم اجد سبيلاً آخر فقلت هي الضرورة حكمت بذلك وللضرورات احكام

وركبت المركبة وكانت الساعة العاشرة وسار بي السائق وقد هبَّ نسيم الصباح فعطَّر الارجاء حتى اذا بلغنا قنَّة رابية وراء المدينة اطللت على ما حولي من الاكام الخضراء والجراج المحدقة بها وما يليها من الاودية والقرى المنتشرة فيها ولم ارَ في الارض سوراً ولا سياجاً يفصل بين الحقول وكانت الازهار منتشرة على جانبي الطريق من الاقحوان والشقيق والخردل البري وازهار النفل تعطر الهواء باريجها والفراش يتطاير بينها كانهُ سكر من رائحة اريجها قبل ان يهتدي اليها . وهنا وهنالك رجال من الفلاَّحين جالسين على الارض يكسرون الحصى لرصف الطريق ونساء مشمرات الذيول راجعات من المدينة بما ابتعنهُ منها وقد وضعنهُ في اكياس على اكتافهنَّ .

ولما صرنا على نحو عشرة فرستات من تولا اذا نحن بمنظر تمتاز بهِ بلاد الروس على غيرها سِرب من النساء جالسات الى جانب الطريق تحت شجرات باسقات يأكلنَ خبزهنَّ الاسمر وقد اضرمنَ النار وصنعنَ الشاي اداماً وشراباً منعشاً لقواهنَّ فلما وصلنا اليهنَّ نهضنَ وتناولنَ عصيهنَّ وربطنَ اباريق الشاي وفناجينهُ بمناطقهنَّ ووضعنَ اكياسهنَّ على اكتافهنَّ ومشينَ امامنا وفي اقدامهنَّ خفاف مصنوعة من العيدان وقد علا الغبار ثيابهنَّ وهنَّ قاصدات الزيارة الى دير تروانسكاي على ٤٥ ميلاً من موسكو وقد قصدنهُ من بلاد شاسعة ولهنَّ اسابيع يسرنَ ماشيات لا يخلعن ثيابهنَّ ولا ينمنَ في فراش ولا يأكلنَ غير الطعام السخيف بيلاهنَّ

(١) الفرست الميل الروسي وهو ٣٥٠٠ قدم او نحو ثلثي الميل الانكليزي

المطر و يشوبهنَّ الهجير الى ان يصلنَ الى الدير و يعفّرن وجوههنَّ بارضهِ و يشربنَ من ماء بئرهِ . وترى فرق الزوار في شهري يونيو ويوليو في كل بلاد الروس قاصدةً ديرًا من الاديرة او مزارًا من المزارات اوضاربة الى ما هو ابعد من ذلك الى بيت المقدس في بلاد الشام

واشتدَّ الحرُّ وكانت الطريق بيضاء فانعكس الوهج عنها وكاد يبهر عينيَّ وبينما انا افكر ان اسأل السائق عما اذا كنَّا لا نزال بعيدين عن دار الكونت دار بالمركبة في طريق جانبي يمرُّ في الحراج وقال " نا كونتس ديخلي " اي عدنا وصلنا . فالتفت الى ما حولي وانا اتوقع ان ارى قصرًا فخيمًا يليق باشهر كتَّاب الروس وبامير غني من امرائهم فلم ارَ الاَّ اكواخًا حقيرة على نحو ميل من الطريق فقلت لهُ اين دار الكونت فقال هناك في وسط الغاب ولا تستطيع ان تراها الاَّ حينما تصل اليها وهوذا باب الروض . فالتفتُّ واذا عمودان قديمان من الاجر وهما قائمتا الباب وعلى مقربة منهما اثار بركة قديمة ولا شيء آخر يدل على اننا بلغنا روضًا يخص رجلاً من الاغنياء . وكانت الاعشاب نامية تحت الاشجار دليل الاهمال . ولم نكد نسير مئتي متر حتى دارت بنا الطريق الى اليمين ووقفت المركبة بغتةً امام بيت ساذج البناء ابيض الجدران فيهِ طبقتان تحيط بهِ الاشجار لا تراهُ اذا ابعدتَ عنهُ اكثر من ثلاثين او اربعين مترًا . و يصعب على المرء ان يتصوَّر بيتًا ابسط منهُ لا شرفات لهُ ولا اروقة ولا افاريز ولا شيءَ من زخارف البناء . بابهُ بسيط جدًّا لم احسبهُ مدخل البيت بل بابًا سريًّا لصغرهِ فلم اجسر على قرعهِ لئلاَّ يكون باب المطبخ وامامهُ ساحة ممهَّدة للعب والى جانبها مقعد عليهِ سيدة جالسة تقرأ وعلى رأسها برنيطة كبيرة كالمظلة تقيها من الشمس فمضيت اليها وبدأت بالاعتذار لانني اقلقتها ثم سألتها عما اذا كان الكونت في البيت فقالت اظنهُ في البيت وطلبت مني ان اتبعها فدخلت من هذا الباب الى غرفة صغيرة واوعزت اليَّ ان اجلس فيها ودارت الى باب آخر ونادت الكونت باللغة الانكليزية قائلة أأنتَ هنا فاجابها نعم . فقالت هنا خواجه (جنتلمان) يريد ان يراك . قالت ذلك وخرجت وعادت الى الساحة وجلست حيث كانت جالسة . وللحال سمعت صوت كرسي يحرَّك وتقدَّم الكونت ووقف في الباب بين غرفتهِ والغرفة التي كنت فيها . وقد سمعت كثيرًا عن انهُ يلبس على غاية السذاجة ورأيت صورًا فوتوغرافية من صورهِ وهو بثياب الفلاحين ولذلك لم اكن انتظر ان ارى رجلاً بثياب فاخرة الاَّ اني لم انتظر ان اراهُ في الحالة التي رأيتها فيها حينئذٍ

كان الحرُّ شديدًا في ذلك اليوم والظاهر انهُ عاد حينئذٍ من الحقول والعمل فيها بثيابهِ التي قابلني بها وهي سراويل واسع مما يلبسهُ فلاَّحو الروس وقميص ابيض لا طوق لهُ وهذا كل ما كان على بدنهِ . وهو طويل القامة غليظ العضل لوَّحت الشمس وجههُ وطال شعرهُ ففرقهُ

من بين عينيهِ كالنساء ، تدلُّ هيئتهُ على القوة والاستقلال والاعتماد على النفس ولا يلوح على وجههِ انهُ من رجال العلم والفلسفة بل انهُ من رجال الاعمال اهل العزيمة والحزم الذين يقتحمون المخاطر و يخوضون الاهوال غير محسبين للعواقب . عيناهُ صغيرتان براقتان تحت حاجبين كثين وانفهُ كبير واسع المنخرين وشفتاهُ غليظتان منطبقتان . وما يظهر من وجههِ وذقنهِ تحت لحيتهِ الطويلة يدل على القوَّة والرجولية

قال تولستوي في احد كتبهِ ان امهُ اضطرت وهو في السادسة من عمرهِ ان تعترف بانهُ قبيح المنظر ثم قال " نخطر ببالي حينئذٍ ان الشخص الذي انفهُ واسع مثل انفي وشفتاهُ غليظتان مثل شفتيَّ وعيناهُ صغيرتان مثل عينيَّ لا لذَّة لهُ في الحياة وطلبتُ من الله ان يصنع اعجوبةً ويجعلني جميل المنظر فأُعطي كل ما املكهُ وما يمكن ان املكهُ بدل وجه جميل " . ولكن في وجههِ كما بان لي حينئذٍ شيئًا افضل واسمى من الحسن الظاهر وهو القوة الادبية والعقلية والطبيعية فان هذه القوى الثلاث تلوح عليهِ مرتسمةً فيهِ

وقف في الباب امامي كانهُ لم ينتظر ان يرى رجلاً غريبًا ولكن لم يطل وقوفهُ بل تقدَّم اليَّ حالاً ويداهُ مبسوطتان ولم اكد اخبرهُ من انا حتى رحَّب بي وبشَّ في وجهي وهشَّ وقال انهُ مسرور جدًّا بزيارتي لهُ ولاسيما لانني اميركي. فقلت لهُ اني زرتهُ انجازًا لوعد وعدتُ بهِ بعض اصدقائهِ ومريديهِ في سيبيريا ورغبة في مشاهدة الرجل الذي طالعتُ كتبهُ فسررت بها جدًّا

فقال واي الكتب طالعت من كتبي . فقلت كل رواياتك كالحرب والسلم وحنة كرانينا والقوزاق. فقال أَرأَيت شيئًا من كتبي الحديثة. فقلت كلاَّ لانها نشرت بعد ذهابي الى سيبيريا. فقال اذًا لا تعرفني ولكن لا باس سأُعرفك بنفسي

وحينئذٍ دخل سائق المركبة الذي جاء بي دخل بثيابهِ الرثة فلما وقعت عين الكونت عليهِ نهض وصافحهُ كما صافحني كانهُ من اعز اصدقائهِ وسأَلهُ مسائل شتى عن اهلهِ وعن مدينة تولا وما فيها من الاخبار . ولم اكن عارفًا حينئذٍ بآرائهِ الاجتماعية فاستغربت جدًّا ان ارى اميرًا روسيًّا غنيًّا وكاتبًا من اشهر كتَّاب الارض يرحب بسائق مسكين ويحادثهُ كانهُ احد اصدقائهِ لكن هذا الحادث كان بداءة حوادث كثيرة ادهشتني وجعلت زيارتي لهُ مما لا يبرح تذكارهُ من ذهني . وسأَلهُ السائق ايضًا عن سلامة الكونتس زوجتهِ وسلامة اولادهِ وانصرف فالتفت اليَّ بعد انصرافهِ وطلب ان اعذرهُ لحظة ثم دخل الغرفة التي خرج منها

والغرفة التي كنت فيها صغيرة حائطان من حيطانها الاربعة ابيضان مشيدان بالجبس وفي الحائط الثالث فرن يغطيهِ الاجر المدهون والرابع حاجز من الخشب الابيض يفصل بينها

وبين غرفة الكونت وفيهِ الباب الذي خرج منهُ وليس فيها سوى ثلاثة كراسي ومعقد قديم مغطى بالجلد ومائدة صغيرة لا غطاء عليها وفي الحائط ثلاثة قرون من قرون الايائل على احدها برنيطة وقميص ابيض وفي زاوية وراء المعقد تمثال نصفيّ من المرمر وفي الغرفة ايضاً صورتان لدكنس وشكسبير من الصور المطبوعة طبعاً فليس فيها شيءٌ من دلائل الثروة

وعاد الكونت قبلما وسعني الوقت لامعن نظري في ما حولي وهو يتمنطق بمنطقة سوداء فوق رداء رمادي ارتدى بهِ حينئذٍ وجلس اليَّ وجعل يسألني عن سياحتي في سيبيريا فاخذت اصف لهُ حال الولاة في تلك البلاد وما يقاسيهِ المنفيون اليها من الشدائد فاصغى اليَّ ولكنهُ لم يبدِ الاستغراب مما كنت اقصُّهُ عليهِ كانهُ اعتاد سماع امثالهِ بل حدثني هو ايضاً بمثل الاحاديث التي قصصتها عليهِ مما يدل على انهُ كان عارفاً بما يجري في سيبيريا من افعال الظلم والجور والقسوة البربرية وقد ارتأى فيها رأياً لا يحول عنهُ فسألتهُ عما اذا كان لا يستحل مقاومة مثل هذه المظالم

فقال ان ذلك يتوقف على ما تعني بالمقاومة فاذا عنيت بها المقاومة الادبية بمثل الحث على الرفق بالرعايا واظهار عاقبة الجور فهذه المقاومة محللة عندي واذا عنيتَ بالمقاومة اخذ الامور بالشدَّة والعنف اي مقاومة الشر بالشر فهذا ليس من رأيي في حال من الاحوال

ثم ابان ما يرتئيهِ من واجبات الانسان كعضو من اعضاء المجتمع الانساني على ما ذكرها في كتابهِ المعنون "دياتي" وفي غيرهِ من الكتب والرسائل التي الفها ونشرها حديثاً. واسهب في الكلام على ان الشر لا يقاوَم بالشر وكان كلامهُ فصيحاً بليغاً وحججهُ واضحة دامغة وقال اننا اذا استعملنا العنف لمقاومة الظلم لم نستفد شيئاً بل زدنا المظالم لان العنف نفسهُ نوع من الظلم وهؤُلاء المنفيون الذين ذكرتهم لي قد قاوموا الشر بالشر فكانت نتيجة مقاومتهم الفشل واراقة الدماء واتساع نطاق الشر والبغض والشقاء فلم تزل الشرور التي قصدوا ازالتها بل اضيفت اليها شرور اخرى لم تكن موجودة وما هذا بالسبيل لانتشار ملكوت الله في الارض

ولا اتذكر الآن كل الادلة والحجج التي ذكرها وعزَّز بها رأْيهُ ولكنني اتذكر جيداً انهُ كان يكلمني ببلاغة نادرة المثال واقوال تدل على اقتناع قائلها بها فاثَّر ذلك في نفسي تأثيراً عميقاً . ولم تكن هذه الآراء جديدة عندي بل قد اعتدت سماعها واستماع ادلَّة اصحابها في بطرس برج وموسكو وتفر وقازان ولكنها لم تؤَثر في نفسي كما اثَّرت حينئذٍ حينما فاه بها وايدها بكل دلائل الاقناع وكان وجههُ وعيناهُ اكبر مؤيد لها

واصغيت الى كلامهِ مدةً من غير اعتراض واخيراً اردت ان اتخلص من سلطة منطقهِ فاخذت اسألهُ مسائل تضطرهُ الى التخصيص بعد هذا التعميم فانهُ يسهل على المرءِ ان يقول

بنوع عام لا تقاوموا الشر بالشر ولكن اذا قلتَ لهُ ما قولكَ لو رأيت رجلاً هجم على امك والسكين في يدهِ ويكاد يذبحها بها أكنت تتركهُ لكي لا تقاوم الشر بالشر لغيَّر رأيهُ او نوَّعهُ اما الكونت فلم يغير رأيهُ بل بقي يقول قولاً واحداً . وقصصتُ عليهِ قصصاً كثيرة مما بلغني عن افعال الجور والقسوة والتوحُّش في سيبيريا وكنت اقول لهُ في آخر كل قصة لو شاهدتَ هذا الامر بنفسك ايها الكونت اما كنت تقاومهُ بالعنف فكان يجيب كلاَّ . فقلتُ لهُ لو رأيتَ لصًّا عامدًا الى قتل رجل بريء ولم ترَ سبيلاً لخلاص الرجل الاَّ بقتل اللص أفما كنت تقتلهُ . فقال لو رأيت دباً هاجماً على رجل لافتراسهِ لما تأخرت لحظة عن قتل الدب واما الانسان فلا يحلُّ لي قتلهُ . وحينئذٍ حضرتني القصة الآتية وهي ليست افظع من غيرها من القصص التي سردتها لهُ ولكن فيها ما يثير الشهامة والنخوة فقلت لهُ

منذ اربع سنوات اتُّهمتْ فتاة روسيَّة بانها اشتركت في ثورة على الدولة وكانت من المتعلمات المتهذبات العائشات بالراحة والترفُّه . فأُلقي القبض عليها وطُرحت في السجن سنة من الزمان ثم حُكم عليها بالنفي فقيدت مع كثيرين من المحكوم عليهم بالنفي رجالاً ونساءً الى شرقي سيبيريا . وانت تعلم مقدار ما قاستهُ مدة سفرها في مركبة مشحونة بالهوام والاقذار ومعها نفر من الجند وهي مضطرة ان تقضي حاجات الطبيعة على مرأًى منهم يوماً بعد يوم وشهراً بعد آخر . ولما بلغوا بها مدينة كراسنويارسك طلب منها والي المدينة ان تخلع ثيابها وتلبس ثياب المجرمين فابت بناءً على ان المنفيين لاسباب سياسية لا يُجبرون على لبس ثياب المجرمين والاَّ لكانت أُجبرت على لبس هذه الثياب من بداءة سفرها من موسكو . فابى الوالي الاَّ ان تخلع ثيابها وتلبس ثياب المجرمين واصرَّت هي على الرفض لاسباب لا اعلمها ولكن هب ان ليس لها سبب آخر الاَّ قذارة تلك الثياب وما فيها من القمل لكفى بها سبباً لرفضها فامر الوالي الجنود ان يجردوها من ثيابها غصباً . فجعل الجنود يجردونها وهي تمانعهم وتنادي وتستغيث ولا مجيب ولا مغيث حتى تجرَّح بدنها وتضرَّجت بالدماء وفي الآخر تغلبوا عليها وجردوها من ثيابها كلها والبسوها ثوب المجرمين . فهب ايها الكونت انك كنت في ذلك المحضر وهذه الفتاة العفيفة الطاهرة تبكي وتستغيث بك وتطرح نفسها على قدميك والجنود القساة يجردونها من ثيابها بالقوة والعنف حتى وقفت بينهم عارية لا يغطي بدنها غير دمها ودموعها بل هبْ انها ابنتك وقد عوملت هذه المعاملة الفظيعة أفما كنت تغيثها ولو اضطررت الى استعمال السلاح

فسكت والدموع ملء عينيهِ كانهُ يرى تلك الفتاة تبكي وتستغيث بهِ ولا قدرة لهُ على اغاثتها . ثم قال أتعلم يقيناً ان هذه الحادثة حدثت كما رويتها لي . فقلت انني لم اشاهدها

بعيني ولكنني سمعت وصفها من شاهدين عدلين من الذين شاهدوها . فصمت برهةً ثم قال وفي هذه الحال ايضاً لا ارى وجهاً لاستعمال القوة . هب ان الوالي الذي امر بتجريد هذه الفتاة شرس الطباع فاسد الاخلاق أفلا ترجح انهُ كان يظن انهُ عاملٌ بامر الحكومة المكلف بطاعتها فاذا عارضتهُ في عملهِ فانك تقيم نفسك حكماً عليهِ واذا قاومتهُ بالقوة فانك تزيد الشرَّ شرًّا . ثم انك لا تفلح في مقاومتك ما لم تقاوم الجنود وهؤُلاء مأمورون غير آمرين وليس في وسعهم مخالفة ما أُمروا بهِ ولا تفلح في مقاومتهم ما لم تقتل اثنين او ثلاثة منهم او تجرحهم جراحاً تمنعهم من اجراء ما أُمروا بهِ . أَفمن العدل ان تقتل او تجرح هؤُلاء الجنود وهم وحدهم الابرياء بين كل المشتركين في هذا المنكر . ثم هب انك قتلت اثنين او ثلاثة من الجنود فانك لا تنجي الفتاة اذ لا بدَّ من ان يتكاثر الجنود ويجردوها من ثيابها ولكنك تكون قد وسَّعت نطاق العداوة والشقاء فان لكل واحد من الجنود الذين تقتلهم عائلةً تتوقف معيشتها عليهِ فيصيبها من الضر والبلاء بقتلك لهُ ما لا يقدَّر وصفهُ فيكثر الضر بفعلك ويعم اشخاصاً كثيرين بعد ان كان محصوراً في شخص واحد فليس هذا بالسبيل لانتشار السلام والوئام في الدنيا

وحينئذٍ اتضح لي كيف يعزز رأْيهُ فلم اعد اجادلهُ فيهِ ولو كنت اعلم فسادهُ من وجه اجتماعي . ودُعينا الى الطعام فصعدنا الى المائدة وهي في غرفة واسعة في الدور الثاني وهذا الدور ساذج ايضاً في بنائهِ واثاثهِ كالدور الاسفل ارضهُ عارية لا شيء عليها واثاثهُ قديم ساذج وعلى كواهُ ستائر بيضاء وعلى جدرانهِ قليل من الصور الزيتية لعلها صور اسلافهِ الذين عاشوا في القرن الماضي

ولقيت على المائدة عائلة الكونت زوجتهُ وهي امرأَة مهيبة الطلعة سوداء العينين والشعر تدلُّ هيئتها على انها كانت في صباها من الجميلات وابنهُ البكر وقدانمَّ دروسهُ حديثاً في احدى مدارس روسيا الجامعة وابنتهُ الكبرى وهي في نحو العشرين من عمرها وابنتين اخريين من اولاد اخيهِ واربعة اولاد آخرين . وكان هناك شاب بثياب مزخرفة من ثياب الفلاحين كأنهُ اراد ان يتمثل بالكونت في لبس ثيابهم وسيدتان متوسطتا السن لعلهما من صديقات الكونت المتشيعات لفلسفتهِ . فجلسنا نأكل ونتفكه بالحديث الطيب وكان الكونت اكثرنا جذلاً ولما قمنا عن المائدة امسك منشفةً مطرَّزة وقال انها اتتهُ هديةً من احدى نساء الفلاحين وانهُ يريد ان يبيعها بالمزاد ويعطيها ثمنها لانها فقيرة جدًّا فاخذنا نتزايد في ثمنها ونحن نضحك واخيراً قصَّر الجميع في المزايدة الاَّ ابنهُ وانا فابلغتها ريالين فقال الكونت هذا غاية ما تساويهِ ولذلك بعتكها فاعترض ابنهُ عليهِ وطلب ان يستمرَّ المزاد عسى الثمن يرتفع كثيراً فابى قائلاً ان المنشفة لهُ ولهُ ان يبيعها بالثمن الذي يرضاهُ فاظهر ابنهُ انهُ قبل ولو على غير رضاهُ وانفضَّ الجمع فرحين ضاحكين . ستأتي البقية

مستقبل الصين

ديانة الصينيين

يدين الصينيون بمذاهب مختلفة وعقائد متفرقة ولكنها في الواقع ترجع عندهم الى ثلاث ديانات الديانة الطاوية والديانة البوذية ومذهب كنفوشيوس حكيم الصين الاكبر. وتنفرد اديانهم عن غيرها بان كل دين في الارض ينفي سواهُ ولا يقبل المشاركة واذا دخل قلب امرئ طرد كل اعتقاد خارج عنهُ فلا يلتقي في قلب مؤمن ساكنان وان اديان اهل الصين لا يطرد بعضها بعضاً ولا ينقض اخيرٌ اوَّل بل تراها تمتزج وتتحد وتتساكن في قلوب مؤمنيها فيمكن ان يكون الانسان طاوياً وبوذياً وتابعاً لكنفوشيوس في آنٍ واحد . وكأنها في هذا تحتمل شبهاً من امر الطرق وللطرق المثل الاعلى فقد يعهد ان يكون الرجل شاذلياً ثم يأخذ طريقةً قادريةً او رفاعية او نقشبندية او غير ذلك ولا ينفي ذلك بعضهُ بعضاً لان جميعها ضمن دائرة الشريعة تؤدي الى مرامٍ واحد ومرمى واحد وهو الاخلاص في ذات الله

على ان الغالب على عقول اهل الصين الاعتقاد بمظاهر الكون ومجالي الطبيعة وهو اساس دينهم فهم يرون في جميع الحركات الطبيعية من عواصف وزلازل وامطار ورياح ونوافح برد ولوافح قيظ اختلاجات ارواح كامنة في الطبيعة كمون الماء في العود او النار في الجلمود . وعندهم ان كل ما يقع عليهِ نظرك من شجرٍ وحجر وسهل وجبل وبحر ونهر وغير ذلك انما هو تجاويف واحناء استجنَّت بها ارواح واستكنَّت فيها جِنَّان تتحرك ضمنها . فكل مادة تحركت فانما اختلج في داخلها الجن الكامن فيها . زعموا وان فوق هذا العالم الادنى عالماً علوياً من الجان والروح يملأ الفضاء ذاهباً جائياً وان الانسان نفسهُ فيهِ جزءٌ من الأُلهانية ولكن بدرجة منحطة ونصيب يسير منها فاحتاج لضعفهِ ان يتقي غضب الارواح الالهية بما يقدمهُ من القرابين والضحايا وان يدرئ من دون نقمتها بدخان البخور وريح القتار لأَن هذه الارواح على قسمين منها ما هو صالح ومنها ما هو شرّير وكل من الفريقين يعمل على شاكلتهِ

وقد امعن الصينيون في القول بالارواح المستكنَّة والجِنَّان المستجنَّة حتى رتَّبوها عوالم وفصلوها افخاذاً وقبائل وجعلوها طبقات متفاوتة فقيل ان تيان اي السماء هو المحيط بالارض والمنبث روحهُ في جميع اجزاء الطبيعة ينيرها باشعتهِ ويمدّ عليها جناح حرارتهِ . وهو الاله الاكبر وشيخ الجماعة ويسمّى شانغتي وقد بحث كثير من علماء الافرنجة في اصل هذه الكلمة

فعلموا ان اصل معناها " النهار " واجتهد بعضهم في اظهار نسبة بينها وبين لفظ الجلالة عندنا توصُّلاً الى اثبات الوحدة في الاصل . وذهب بعض مرسلي الدين المسيحيّ في الصين الى ان شانغتي هذا هو الاله المعبود عند الساميين . وقيل ان بعض الباحثين عثر في كتب الصين على جميع العقائد النصرانية وزعم هابيل ريموزا انهُ وجد اسم " يهوه " في كتاب " السلوك والفضيلة " من كتب الصين وردَّ غيرهم هذه المزاعم قائلاً انها اشبه بالخرافات وانها بعيدة التأويل صعبة المسلك وان هؤُلاء لا يتبعون الاَّ الظن وان ديانة الصينيين مستقلة بذاتها نبتت ونمت في عقول الصينيين ومخيَّلاتهم

ومن مزاعم علماء الصين ان للوجود علتين يدبران حركاتهِ اولاهما يانغ وهي العلة المذكورة وتمثلها الشمس وايام ولايتها فصول القيظ من السنة وهي علة الخير والمير وبها حياة الزرع والضرع والانسان والنبات وكل نامٍ . والثانية يين وهي العلة المؤَنثة ويمثلها القمر وايام ادارتها للارض فصول البرد . فالعلتان تتعاقبان على تخت الولاية وهذه الثانية هي علة الشرّ واثرها بريد الشؤْم ورائد الهلاك . فالحرارة عندهم هي الحياة والبرودة هي الموت . وما اقرب ذلك للطب بل وللغة العربية فانهم قالوا بَرَدَ الرجل يبرد برداً مات قال صاحب اللسان وهو صحيح في الاشتقاق لانهُ عدم حرارة الروح . وفي حديث عمر فهَبَرهُ بالسيف حتى برد اي مات . قال الصينيون وبامتزاج هذين العنصرين الشمس والقمر يلد كل شيء وينمو كل شيء

ومن ظنونهم ان ارواح الموتى هائمة في الفضاء تطوف ببيوت الاحياء ولا تزال تؤَثر في احوالهم المعاشية وتعمل في مصاير امورهم . ويقولون بثلاث انفس في الانسان الواحد الروح العقلية ومركزها الدماغ والروح الحسية ومقرها الصدر والروح المادية ومحلها البطن . فاذا مات الانسان او على رأْيهم بَرَد سكنت الروح الاولى مواطن التذكار وسكنت الثانية القبر وافلتت الثالثة بلا قيد فكانت ذات خطر جسيم وشرّ مستوبَل . وربما حاولت المجاز الى اجسام أُخر وربما تهافتت على استار الاجساد تهددها بالاختراق . واذا قصر اهل هذه الروح في العبادة كانت عليهم وبالاً واشد الارواح خطراً ارواح الاطفال لأَنها كانت ناقصة عند الانفصال والغالب عليها الطيش كما لا يخفى فجدير ان لا تؤْمن غوائلها ولا يُسترسل الى نواحيها . ولهذا جرت العادة بايقاد العود عند مداخل البيوت حجاباً على الابواب من دون هذه الارواح

ومما يهمُّ الصينيَّ كثيراً اختيار مدفنهِ والتحري في امر المقابر فان روح الميت بزعمهم ان كانت متأَثرة من شيءٍ انتقمت من اهلها ولو كانوا ابراراً فجرت لهم النكبات والمصائب لم يشفع لهم برّهم ولا نفعتهم تقواهم . ألا وان الارواح ترفرف مثل الغمام المتولي وتذهب مثل الضباب

المولي فلاجل تسهيل طروق اخيارها وسد الطرق والثنيات على اشرارها لزم التأنق في بناء القبور والبيوت واتقان فتح السكك وحفر الترع ونحت المعادن وإمهاء الآبار . واذا حصلت بعد هذا كله عظائم وامور أُنحي باللوائم على معلمي الديانة ومرشدي سبلها الذين لم يعلموا جيداً اسباب التدارك ووسائل الاتقاء وهم معذورون في هذا العجز لأن التعنُّت ظاهر من حركاتها . وكثيراً ما تضطر الحكومة الى ردم آبار وحفر لان الاهالي شكت من اضرارها بالمزروعات لكونها اصبحت مأوى للارواح الخبيثة وافسدت بذلك الزرع والضرع . بل ربما قامت الدعاوى وتكوّنت الخصومات بين الجيران بسبب تغيير وقعَ في هيئة الارض فحدث منهُ مسرب للارواح لم يكن من قبل اذ قلما تظهر حفرة في ارض الا جاءت روح واندست فيها فصارت رصداً على ما حواليها . وعليهِ يلزم ان يكون هناك ربان سماويٌّ ماهر يدير سكان تلك السفينة الجوّية حسبما تقتضيهِ المصلحة ويتقي عواصف اهوائها بصنوف الحِيل ويسيرها ما امكن نحو الخير ولذلك قد يبنون الابراج و يغرسون الاشجار وقاية من الارواح الخبيثة فكم جنَّة هي جُنة وكم بستان و صوان

وريح الشمال هي الهابة بالارواح الشريرة حال كون الريح الجنوبية هي ريح الصالحين واليمين افضل من الشمال في كل الدنيا . ثم ان لطيف المنحنيات والالواء والمنعطفات المتعرّجة تدريجاً والاودية والانهار كلها منازل الارواح الصالحة بخلاف المنعرجات البتراء والاشكال المنقطعة والخطوط المستقيمة الذاهبة صدًا فانها ملجأ لأرواح ليس عندها شيء من الاستقامة . واليُمن كل اليمن في الحركات الملتوية ليًّا خفيفاً كحركة الريح او الماء . ويقال لهذا المذهب فنغ شوي اي الماء والهواء واصحابهُ يُعنَون باستعطاف الارواح المائية والهوائية . وفي الحق انهُ مذهب هوائيّ وان عليهِ رقة الماء غير انهُ ينطبق على قوانين الصحة فاهلهُ يحمدون رأسي الاطباء من الانكليز في الولوع بغرس الاشجار تنقيةً للهواء واستدراراً لاخلاف السحاب وفي مقابلة ذلك يكرهون المهندسين عملة الخطوط وحفَرة الحفائر . وكان من جملة اسباب منع السكك الحديدية في الصين تخوُّف الاهالي من خطوطها وهذه الخرافات حالة كونها ليست بديانة الصين الرسمية فإن لها عند عامة الصين شأناً عظيماً يفوق الرسميّ والشبيه بالرسميّ . وهذا غير عجيب لانهُ لا يوجد بقعة على وجه الارض الا وعامة اهلها متمسكون من الدين بالخرافات ومهملون اللباب . فإن العامة لاعقل لهم ودين المرء على قدر عقلهِ . ومن المرويّ عنهُ صلى الله عليهِ وسلم " الدين العقل فمن لا عقل لهُ لا دين لهُ " . ولقد تمسك الصينيون بهذه الاباطيل وهذه المضحكات ونبذوا اقوال لاوتز مؤسس ديانتهم على ما فيها من التوجه

الى الحقيقة وانكار هذه الارواح الهائمة في الفضاء الحائمة فوق رؤُوس الاحياء . وعندهُ ان الكون المنظور ليس سوى مظهر العلة السامية التي تدرك ولاتدرّك واسمها طاو اي طريق النجاة

ثم افسد الكهنة هذه الديانة كما افسد غيرهم غيرها وخلطوها بالسحر والطلسمات ونزلوا بها الى حضيض الفتيشية وقالوا بالموائد الدائرة والارواح المتجسة والتنجيم والعرافة والكهانة وما اشبه ذلك من سفاسف الاقوال . وعضوا على هذه الامور بالنواجذ . فالحكومة لا تزال تحترم هذا المذهب محافظة على رضى العامة العمياء . وهي تجري على رئيسهِ الذي يزعم انهُ من سلالة لاوتز رزقاً سنويّاً وهو يوزع في الآفاق الصينية نوعاً من التمائم والتعاويذ في قراطيس خضر وحمر لاجل ان يتقي بها الناس الشرور والآفات

وحيث كما قدمنا غلب على ظن الصينيين انهم محفوفون من كل الجهات بالارواح والجنّان كانوا يسعون ابدًا في اتقاء غضبهم وصرف صواعق نقمهم بقضبان القرابين وبالصلوات والنذور وجرت العادة ان يقوم بذلك عندهم رئيس العشيرة او العترة او شيخ البلد او مقدَّم القوم فهو ينوب في هذا الامر عن الباقين . ولا يفيد هذا وجود واسطة عندهم بين العابد والمعبود وان هناك فئة من الكهنة لهم وحدهم حق التقديس كلاَّ وانما اعتقدوا كون الالهة انفسها طبقات بعضها فوق بعض ولاجل مراعاة النظير جعلوا الامة طبقات ايضاً وناطوا بكل طبقة من الامة معاملة طبقة من الالهة فالكبير عامل للكبير والاوسط للاوسط والاصغر للاصغر وللسلطان الامتياز بتقديم القربان للاله "السماء" وللارض والجبال التسعة والانهار الصينيه العظمى ولا حق لامراء الصين التطالُ الى مخاطبة هذه الطبقة فقد اختصت بها المخاطبات السلطانية وانما يقرّبون لطبقة ادنى من تلك وللجانّ الساكن في المحل كما ان العامة يعكفون على الحجر والشجر والحشائش وسائر الخسائس . ولما كانت الديانة عندهم من جملة دوائر الحكومة فالحكومة هي التي ترتّب هذه المراتب وتسنّ قوانين للتديُّن وسائر الشعائر

ولقد عهِدَت في الصين الضحايا البشرية من جملة القربات لكن غالب هذا الاصطلاح كان عند امة المغول وكان كثير من اتباع الملوك يدفنون انفسهم مع الملك المتوفى ولما مات هوانغتي قبل المسيح بنحو قرنين نزل معهُ الى القبر كثير من نسائهِ وحرسهِ ودفن عشرة آلاف رجل من الاحياء حول ضريحهِ وكان لم يزل اثر لهذه العادة الباطلة في بعض الاصقاع النائية من الصين وكثير من النساء يلقين باطفالهنَّ في الانهر قربةً وزلفى للالهة فبلغ احد الولاة عن بعض الآباء والامهات انهم يفعلون هذا الفعل الفظيع فامر بالقائهم جميعاً في نهر الكيانغ فكان جزاؤهُ من جنس عملهم . وقد عزي الفضل لكنفوشيوس ومريديهِ في ابطال هذه

المنازع الذميمة في العبادة ولكن لاشك انها كانت قد ضعفت من قبل كنفوشيوس وانما هو نسخها تماماً على ان الحكيم شديد الاستمساك بالعوائد الدينية القديمة ما عدا هذه العادة بل الدين كلهُ عندهُ عبارة عن حفظ القديم . ولم يكن لخوارق الطبيعة والمعجزات والوحي شأن عند كنفوشيوس بل هو بعيد عنها كلها ومن جملة اقوالهِ "كيف يمكننا ان نعلم ما يجري في السماء ونحن نجهل حقيقة ما هو واقع على الارض" ويروى انهُ قال لاحد تلاميذهِ وقد سألهُ عن الآخرة " انت لم تعلم الى الآن كيف تعيش في هذه الدنيا فكيف تسأل عما تصير اليهِ بعد موتك " . وما كانت مقالة كنفوشيوس الا عبارة عن واجبات الانسان نحو آبائهِ وابنائهِ وبني جلدتهِ ودولتهِ وان الديانة يجب ان تهمهُ من جهة كونها من جملة اوضاع الدولة . وكان من اهل الاعتدال في افكارهِ والقصد في مشيهِ والحشمة في سلوكهِ والسذاجة في احوالهِ الخاصة حتى استحق من محابّ قومهِ وحرماتهم ما صيرهُ اول انسانٍ عندهم . ولو سألت عن دين كنفوشيوس لم تجدهُ سوى محبة اتباعهِ لهُ فكأن اتباعهُ ينظرون الى قول الامام عليّ رضي الله عنهُ " محبة العلماء دينٌ يُدان بهِ "

ومع شدة شغف القوم بكنفوشيوس واجلالهم لقدرهِ وتواتر القرون بعد القرون على ذكر مقدس واحدوثة فائقة وحب زائد وجلالة مؤثلة لم يرفعوهُ الى صف الآلهة ولا نسبوا اليهِ معجزة ولا خارقاً لطبيعة . وكان مضى على وفاتهِ اربعمائة سنة عند ما اطلقوا عليهِ لقب كونغ بمثابة دوق عند الافرنج ثم مضت اربعة قرون اخرى حتى لُقب بالمقدس الاول ولم يُعلن عندهم انهُ اقدس واحكم وافضل شارع على وجه الارض الا في دولة مينغ المتأخرة

وترى في جميع بلاد الصين مشاهد لكنفوشيوس ينتابها الذين لا تتهيأ لهم زيارة قبرهِ الحقيقيّ فيقال ان لهُ الفاً وستّ مئة هيكل . ولما امر الامبراطور هوانغتي بحرق كتب الاولين حسداً وبغياً وكان من جملتها كتاب الشوكينغ الذي جمعهُ كنفوشيوس بلغ عدد الذين احرقوا انفسهم وراء هذا الكتاب اربعمائة وستين رجلاً . فليتأمل البشر في عقول البشر

ومن الاديان السائدة في الصين الديانة البوذية ولم تبعد هذه عن اصلها بمقدار الديانة الطاوية ولكنها بالنظر لكونها بدأت في الصين غريبةً لم تخلُ من كونها اختلطت بكثير من عقائد الصينيين مثل قضايا الارواح والجنان والاصداء والهام فقد لقيت البوذية لدن اول دخولها من كهنة الطاوية واتباع الحكيم مقاومة شديدة فتسامح لهم دعاتها من الهنود بكثير من عقائدهم ورضخوا لهم على ادخال ذلك في البوذية فكثرت اتباع هذه الديانة وعرفها سلطان الصين بعد دخولها الى تلك البلاد بثلاثة قرون . وكيفية ما تساهل بهِ البوذيون مع الصينيين

انهم جعلوا لهم ارواح الرياح والمياه واعاظم الرجال وغير ذلك من جملة مقامات بوذا فاوجدوا في مذهبهم ما يفي باغراض الجميع . فاهل العلم والعرفان يعجبهم من مذهب بوذا مناهجهُ العقلية والعامة يميلون اليهِ لما فيهِ من الاحتفالات والزيارات والطواف وما يمنّيهم اياه من انتهاء شقائهم في الدار الآخرة . والكتب المتداولة من مذهب بوذا في الصين ليست هي الكتب الشائعة عند المغول وعند اهل التبّت بل الكتب الملائمة لذوق الصينيين المنطبقة على مشاربهم . وسبحان الله فكأَن الدين يتلوّن بلون البلاد التي يدخلها تلوّن الشراب بلون الاناء . واحب كتب بوذا الى الصينيين كتاب "النيلوفر الابيض" وهو مجموع مواعظ وتعازي وجمل رقيقة. واحب فرق البوذية عندهم فرقة (كوانين) وهي امرأة كانت من تلاميذ بوذا لم يكن فيهم امرأة غيرها وقد آل امرها في الآخر الى ان صارت الهة الرحمة وهي ملجأُ الامهات العُقم وموئل النواتية الذين تثور عليهم العواصف . وهم يصورونها والطفل بين ذراعيها

وكان معظم استفحال مذهب بوذا بين القرن السادس والقرن الحادي عشر للمسيح وفي هذه البرهة بلغ التحمُّس بهذه الديانة مبلغهُ وترجم من السنسكريت الى الصينيّ لا اقل من ١٥٠٠ كتاب وبنيت لبوذا الهياكل والابراج في كل ديار الصين . وهياكلهم طبقات خمس او سبع او تسع او احدى عشرة او ثلاث عشرة لأَن اديان الشرق كاديان الغرب تؤثر العدد بالمفرد على الزوج ولهذه الهياكل الاجراس والنواقيس كما للكنائس . وفي الغالب يوجهون ابوابها الى الجنوب الاّ اذا كان ثمة جبل او نهر فتوجه نحو الجبل او النهر. والشعائر الدينية هي القرابين والاناشيد والركوع والسجود والطواف واذا طافوا انشدوا على التوالي أُومي توفو أُي بوذا

على ان هذا التحمُّس بمذهب بوذا قد خمدت جذوتهُ في ديار الصين وتداعى اكثر تلك الهياكل الى الخراب فهي خاوية على عروشها وقد زهدت الحكومة الصينية فيهِ وصرفت انظار الناس عنهُ بقدر ما استطاعت ولكنهُ لا يزال ذا تبع كثير تحت تلك السماء وقد يجمعونهُ كما قلنا الى مذهب طاو والى طريقة كنفوشيوس لأَن كثيرين من اهل الصين يقولون "الاديان الثلاثة دين واحد" . وطالما اشترك كهنة المذاهب الثلاثة في اقامة الشعائر الدينية كانهم خدمة دين واحد وهم يقولون ان مذهب كنفوشيوس يتكفل لهم بعلم آدابهم ومذهب طاو بحفظ كيانهم ومذهب بوذا باعلاء درجة افكارهم

وانما كان مركز الديانة البوذية ومضرب عسلتها بلاد التبت فان "لاسا" قاعدة هذه البلاد هي "رومة" البوذية وقبلة جميع اتباع بوذا من جميع آفاق الصين واليها يحجّ وفودهم واليها تهوى افئدتهم ويسمونها "كرسيّ الله" والمغول يقولون "الحرم المؤبّد" وفيها المحل

المسمى بجبل بوذا وفيها عشرون الف راهب ومعظم شغل سكانها العبادة فمتى مالت الشمس للمغيب ترك الناس جميع ما هم فيهِ وتجمَّعوا على السطوح وفي الساحات والجواد جماهير يصلّون و يسبحون فارتفعت لذلك الاصوات من جميع انحاء المدينة

ومن جملة الاديان المعروفة في الصين الديانة اليهودية واتباعها قليلون وكثير من الصينيين يظنونهم فرقة من اهل الاسلام ويسمونهم المسلمين الزُرق لان احبارهم يلبسون قلانس زرقاء ويحتذون نعالاً زرقاء ويقال لهم ايضاً "مقطعو العروق" بسبب عادتهم ذبح الشياه لاجل طعامهم . وكانوا في الماضي اوفر عدداً من اليوم فكان منهم في باكين ونانكين ونينغبو فلم يبقَ منهم الا شرذمة في كيفون قاعدة هونان والسبب في ذلك ان الجم الغفير منهم دخلوا في الاسلام ومنهم من صبا الى ديانات الصينيين والباقون منهم على الموسوية لا يتكلمون الاَّ بالصيني واحبارهم اصبحوا لا يعرفون من العبرى" الاَّ قليلاً وهم يزعمون انهم طرقوا الصين من قبل المسيح بقرنين الى ما بعده بقرنين اما سيَّاح الاوربيين فيظنون جلاءهم الى هناك على اثر خراب البيت المقدس وانقراض ملكهم فيهِ . ولما دخل اليهود الاوربيون بينهم بقصد تعليمهم وجدوهم جاهلين بالمرة اصلهم ولغتهم بل وجدوهم كما قال احد سياح الانكليز في تقرير للجمعية اليهودية الانكليزية سنة ١٨٧٩ "قد ولّوا وجوههم شطري مكة والمدينة"

ومن الاديان التي عرفها اهل الصين من عهد بعيد الديانة النصرانية فقد كان في بلاد الصين من النساطرة امم لا تكاد تحصى كثرة تشهد بذلك التواريخ وتنطق الآثار وسنة ١٦٢٨ عثر على حجر بقرب سنغان فو عليهِ كتابة تفيد ان داعياً سوريًّا اسمهُ اولبون دخل بلاد الصين سنة ٦٣٥ ومعهُ التصاوير والكتب المقدسة ولثلاث سنوات من وصولهِ حصل على الاذن ببناء كنيسة في سنغان ثم انتشرت هذه الديانة وصار لها اتباع في جميع الولايات منكب اهلها خصوصاً في القرن السابع ولم يمنع ذلك ازديادهم ولما دخل ماركو بولو السائح الايطالي" وجد منهم طوائف وافرة خصوصاً في الجهات الشمالية . وقال ابن بطوطة عند ذكر مدينة الخنساء العظمى وكونها ست مدن كبار "ان المدينة الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك" ومن هنا تعلم وجود النصارى هناك في ذلك العهد

ولا يخفى ان النصرانية دخلت في دولة جنكيز خان امير الايغور والخطا والمغول . وجنكيز نفسهُ وإن لم يتنصر فقد كان محباً للنصارى مكرماً لهم وقال ابو الفرج الملطي" في مختصر الدول: وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان امير كبير اسمهُ قداق وكان معمَّداً مؤمناً بالمسيح وشاركهُ في ذلك امير آخر اسمهُ جنيقاي فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسنا يقين كيوك خان ووالدتهِ

واهل بيتهِ بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن والتزم الخاص والعام من المغول ان يقولوا في السلام (برخمر) وهو لفظ سرياني معناهُ بارك مالكي

ثم تلاشت النسطورية من الصين ودخل جميع اتباعها من اويغور وتتر وطوائف اخرى في الاسلام . ومؤرخو الاوربيين يظنون وقوع ذلك لعهد تمرلنك قال اليزه ركلوس ونظن ان ذرية هؤلاء النساطرة هم الدونغان المسلمون الذين كادوا يسقطون عرش مملكة الصين في ثورتهم الاخيرة . على انهُ ما غاب مذهب نسطور من هناك حتى تجدد للنصارى على يد الكثلكة شأن في الصين ففي القرن الثالث عشر صار مونتكورڤينو مطرانًا على باكين وشاد هناك الكنائس . وسنة ١٥٨١ دخل راهب يسوعي اسمهُ روغجيرو وتبعهُ دعاة أُخر واستمالوا بجهدهم وحسن مدخلهم كثيرين من رجال الدولة والكبراء الى الديانة المسيحية قال بعضهم ان هؤلاء بحسن سياستهم تنكبوا طريق الطعن في اديان الصين القديمة خشية تنفير الناس منهم فجاء الرهبان الدومينيكيون في القرن السابع عشر وخطأُوا الاولين في سياستهم فنشأَت عن ذلك مناظرة في الدعوة وجاءت براءة من البابا اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧١٥ مؤيدة لطريقة الدومينيكيين . هذا ما رواهُ بعضهم والعهدة فيهِ على راويهِ . ولما جرى منع النصارى الجدُد من ممارسة شعائر الصين القديمة ضعف شأن التنصير بالنسبة الى الاول وسنة ١٨٧٦ كان دعاة الكاثوليكية نحو ثلاثمائة ومعهم جم من نصارى الصينيين انفسهم وقُدّر اتباعهم لذلك العهد بخمسمائة الف نسمة وان عدد المتنصرة يزداد كل عام نحو الفين واكثر ما يقع التنصير في المجاعات فان الدعاة يأْخذون مئات من الاطفال ويربونهم في حجر الدين المسيحي فينشأُون نصارى

واما الدعوة البروتستانية فجاءت متأخرة اذ لم تكن معروفة قبل سنة ١٨٤٢ وانحصرت اعمالها في الموانئ الخمسة التي فتحتها للتجارة معاهدة نانكين . ومن سنة ١٨٦٠ فصاعدًا وصلت الدعوة الى سائر الجهات ما عدا التبت والتركستان الشرقي وقد وطئ دعاة المذهب البروتستاني بلاد المغول ومنشوريا وبنوا عشرين بيمارستانًا وثلاثمائة وخمسين مدرسة فيها سبعة آلاف وخمسمائة طالب . وكان عدد بروتستان الصين منذ نحو عشرين سنة خمسين الف نسمة وقد ازدادوا الآن زيادة مهمة ولكن يقول بعض السياح ان حرب الافيون اضرت بنجاح الدعوة لأَن اكثر مرسلي هذه الفرقة هم من الانكليز وحرب الافيون كرَّهت الانكليز الى الصينيين

وبالاجمال تجد تجار الاوربيين يضرون بفوز ديانة الاوربيين ولذلك يحترز الدعاة من

مخالطة ابناء جلدتهم لمتنصرة الصينيين حرصاً على اخلاقهم وللتباين الواقع بين قواعد الدين المسيحي" وافعال الجالية الى هناك من اهله واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى الامر الامبراطوري" الصادر مرة في جريدة باكين الرسمية بشأن الاوربيين وهو " ان فئتين من الاجانب تدَّعيان اصلاح امور الصين احداهما تأمرنا بمحبة القريب كانفسنا والثانية تعلّمنا كيفية قتله من مسافة بعيدة بدون حرج علينا وتبيعنا بنادقها المتقنة لكيفية القتل "

هذا وقد زعم بعضهم ان منشأ فتنة البوكسر الاخيرة التي آلت الى الحرب الحاضرة هو من امعان المرسلين في بث دعوتهم وقد شوهد ان الذين اهتضموا ونُكبوا في هذه الفتنة اكثر من الجميع هم الصينيون المتنصرون والصحيح ان هذا هو من جملة اسباب الثورة وليس كلها . هذا ما عنَّ لنا ذكرهُ بشأن الاديان المختلفة في الصين على وجه الاختصار وقد ابقينا الكلام على الاسلام الى المرة الآتية شكيب ارسلان

عمران دمشق

في خلافة بني العباس

انتقل الملك الى بني العباس سنة ١٣٢ هـ فلم يميزوا بغداد عن دمشق في شيءٍ الاَّ ان طبيعة الملك وقرب دار السلام من خراسان منبعث دولتهم ومنبثق دعوتهم دعياهم الى اختيارها على علاّتها عاصمة لسلطانهم على انهم كانوا يعدُّون البلاد كلها لهم لا فرق بين دار ملكهم واصغر قرية منهُ . ولذا عرفت دمشق في ايامهم طعم العدل وذاقت حلاوة العمران حتى كان المسافر بينها وبين بغداد يقطع المساوف تحت ظلال الاشجار آمناً في سِرْبهِ

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يختلفون الى دمشق طلباً للصحة وحب المنظر منهم المأمون فانهُ اقام بها واجرى اليها قناة من نهر مَنين في سفح جبلها الى معسكرهِ بدير مرَّان وبنى القبَّة التي في اعلا الجبل وصيَّرها مرقباً يُوقد في اعلاها النار لكي ينظر الى ما في عسكرهِ فاذا جنَّ عليهِ الليل كان ضوءها الى ثنيَّة العُقاب[1] والى جبل الثلج

(١) قال ياقوت وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطأها القاصد من دمشق الى حمص قال احمد بن يحيى بن جابر وغيره من اهل السير سار خالد بن الوليد من العراق حتى اتى مرج راهط فاغار على غسان في يوم فصحهم ثم سار الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المطلة على غوطة دمشق فوقف عليها ساعة ناشراً رايتهُ وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليهِ وسلم فكانت تسمى العقاب علماً لها ويقال انها سميت ثنية العقاب لعقاب من الطير كان ساقطاً عليها بعشهِ وفراخهِ

اما هذه المناور فقد كانت تستعمل في بلادنا قديمًا اعلامًا بحركات الاعداء . جاء في كتاب التعريف انها تستعمل للاعلام بحركات التتار اذا قصدوا البلاد للدخول لحرب او لاغارة . ولما يرفع من هذه النيران او يدخن من هذا الدخان ادلة تعرف فيها اختلاف حالات رؤية العدو والمخبر بهِ باختلاف حالاتها تارةً في العدو وتارةً في غير ذلك . وقد أُرصد في كل منوّر الديادب (جمع ديدبان وهو الرقيب) والنظارة لرؤية ما وراءهم وايراء ما امامهم ولهم على ذلك رواتب مقرّرة لا تزال دارّة فمنذ اصلح الله بين الفئتين قلّ بذلك الاحتفال . والمناور المذكورة تكون تارةً على رؤوس الجبال وتارة تكون في ابنية عالية ومواضعها تعرف بها اكثر السفّارة وهي من اقصى ثغور الاسلام كالبيرة الى حضرة السلطان بقلعة الجبل حتى ان المتجدد بها عشاءً كان يُعلم بها بُكرةً

ثم عدَّد مناور الطرق فقال ويرفع النار في القريتين فيرى بالعُطنة ويرفع فيها فيرى في ثنية العقاب ويرفع فيها فيرى بمأذنة العروس ويرفع فيها لما حولها انذارًا للرعاية وضمًّا للاطراف ويرفع حول دمشق بالجبل المطلّ على برزة فيرى بالمانع ويرفع بهِ فيرى بتل قرية الكتيبة . وختم بقولهِ اعلم ان من جميع ما ذكرناهُ مناور تتشعب الى ما خرج عن جادّة الطريق الى البلاد الآخذة على جنب جنوبًا وشمالاً وشرقًا وغربًا اما هذه المناور الآن فرسوم قد عفت وجسوم اكل شعل النار ارواحها فانطفت

وبهذا ترى ان القبة القائمة انقاضها اليوم في قمة جبل قاسيون المشار اليها في كلام صاحب التعريف والمعروفة اليوم بقبة النصران لم تكن من بناء العباسيين فقبتهم كانت مكانها ثم خربت وتجدَّد غيرها وما يقال عن قبة النصر واستخدامها منارة فيما مضى يصحّ ان يقال عن قبة السيار المسامتة لها من الشق الآخر من الجبل

اما القناة التي جرّ بها ماء قرية منين لمعسكر المأمون بدير مرّان وهو اليوم حدائق صبّار وآس فهي من اهم الامثلة في العمران على عهد هذه الدولة لان المسافة بين منين ودير مرّان لا تقلّ عن ثلاث ساعات يتخللها كثير من الوهاد والنجاد والشعاب والعقاب . وما من اثر يدلّ على القناة الاَّ ما كان من بقايا مجرى نهر في سفح الجبل بادٍ للعيان على ان طوارئ الحدثان عفّت القريب عهدهُ من الآثار فما بالك بما مضى عليهِ زهاء الف سنة والناس قد نسوا تاريخ اجدادهم وتخطيط بلادهم حتى لو قلنا لهم ان المأمون بنى مرصدًا فلكيًّا في جبل قاسيون لرصد الاجرام السماوية والاحداث الفلكية وان ألوغ بك التتري بنى مرصدًا بدمشق ايضًا منذ ستة قرون لاستغربوا ذلك منا ولو جئناهم عليهِ بالشواهد التاريخية

قلت ان بني العباس وخصوصاً الخلفاء الأُول منهم كانوا يُجلُّون قدر دمشق و يعرفون لها مركزها بين البلاد حتى ان الخليفة المتوكل عزم على المقام بها ونقل دواوين الملك اليها ولو لم يستوبئها و يستثقل ماءها على ما قيل لما رحل عنها . وكان خروج المتوكل من دمشق الى سُرَّ مَن رأى سنة ثلاث واربعين ومائتين . ويُظن ان السرَّ في عدوله عما قصد لهُ هو ما كان مستحكماً بين العراقيين والشاميين من الاحقاد القديمة التي من آثارها نسبة المعاير والمعايب للبلاد التي يسكنها كل من الفريقين ولا يبعد ان خروجهُ كان تسكيناً لثائرة الفتن الداخلية بينهُ وبين رعيتهِ وحاشيتهِ اذ لم يكن المتوكل ممن تمدح سيرتهُ وسريرتهُ . وفي خروجهِ من بغداد يقول المهلبي من ابيات

اظنُّ الشام يشمت بالعراقِ اذا عزم الامام على انطلاقِ
فان تدع العراق وساكنيها فقد تُبلى المليحة بالطلاقِ

ويؤخذ مما قالهُ المسعوديُّ ان المتوكل لما نزل بدمشق ابى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في اعالي الارض وهذا الموضع بدمشق يُشرف على المدينة واكثر الغوطة وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ويقول السيوطيُّ ان القصر بني للمتوكل وكيفما كان فان القصر اخنت عليهِ حادثات العصر واضحِنا ولا خَبر عنهُ ولا خُبر . وللبحتري من قصيدة يمدح المتوكل في دخولهِ الفيحاء و يصفها

امَّا دمشق فقد ابدتْ محاسنها وقد وَفى لك مُطريها بما وَعدا
اذا اردتَ ملأتَ العين من بلدٍ مستحسن وزمانٍ يشبهُ البلدا
يُمسي السحاب على اجبالها فِرَقاً ويُصبح النَّبت في صحرائها بَدَدا
فلست تُبصر الاَّ واكفاً خَضِلاً وياناً خضرًا او طائرًا غردا
كأَنَّما القيظ ولَّى بعد جيئتهِ او الربيع دنا من بعدما بَعُدا

ولما ضعفت الدولة العباسية اصاب الفيحاء ما اصاب غيرها من الانحطاط لاسيما في اواسط حياتها ابان انتشر ملوك الطوائف واستبدوا بالاطراف واخذ الخلفاء لضعف عصبيتهم يستظهرون بالموالي والمصطنعين من الترك والفرس والديلم ففي خلافة الراضي سنة ٣٢٤ بطلت الدواوين والوزارة ولم يكن الوزير ينظر في شيءٍ من الامور كما روى ابن الاثير انما كان ابن رائق وكاتبهُ ينظران فيها جميعاً وكذلك كلٌّ من تولى امرة الامراء بعدهُ وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرَّفون فيها كما يريدون و يطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الاموال

وتغلب اصحاب الاطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبقَ للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم

واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق وخوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ويدوشمكير اخي مرداويج يتنازعان عليها والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج والمغرب وافريقية في يد ابي القاسم القائم بامر الله بن المهدي العلوي وهو الثاني منهم و يلقب باميرالمؤمنين والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي

وفي خلال هذه المدة قويت شوكة القرامطة فاستولوا على الشام مراراً واعملوا السيف في اهلها وملأُوا ايديهم من الغنائم والنهب فقد ذكر المؤَرخون ان القرامطة اخذوا دمشق فصالحهم اهلها على مال دفعوهُ اليهم ولكن بعد ان نهبوا وسفكوا وكذلك سنة سبع وخمسين وثلثمائة وفي رواية ايضاً سنة ٣٦٠ . وكذلك حدثت بها فتن الاسماعيلية وغيرهم من الخوارج

وبعد ان تسلط بنو طولون حكام مصر للدولة العباسية على دمشق ٧٢ سنة استولى عليها الفاطميون سنة ٣٥٨ والحقوها بمصر وبقيت سورية تابعة لهم ١٧٣ سنة حتى جاءت الدولة السلجوقية التركمانية وبسطت يدها على البلاد . وكانت الدولة الفاطمية دولة تلوّن في المشرب وتلاعب بالامة وكثرت الفتن في ايامها وخرجت الشام عن حكمها ثم عادت اليها ومع هذا فقد اجتهد الفاطميون في ترقية التجارة والصنائع والزراعة وبنوا كما قال سيديليو المساجد الفاخرة ومرصداً لابن يونس مثل ما كان للفلكيين في المملكة العباسية وحسنوا ادارة الخراج وكيفية تحصيلهِ حتى ساوى دخل المملكة السنوي دخل المملكة العباسية زمن الرشيد وفاقت مدارس القاهرة رونقاً على المدارس البغدادية بعد ذهاب ملك بني بويه الذين عُرفوا بخدمتهم للعلم وكان الحاكم بامر الله على فساد اخلاقهِ وسوءِ ادارتهِ يحترم العلماء ويشوقهم باحسانهِ الى احياء العلوم (فما كان ينفيهم ولا يطردهم)

ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧٢ لما استولى بكجور على دمشق باسم الفاطميين ان هذا البلد كان قد خرَّبهُ العرب واهل العيث والفساد وانتقل اهلهُ الى اعمال حمص فعمرت وكثر اهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بكجور الاقوات من حمص اليها وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها لكنهُ ظالم وقتل وصلب واخذ المال .

وسنة ٣٦٣ وما بعدها جرت فتنٌ في دمشق وقت رجوعها الى المعز فخربت المنازل وانقطعت

المواد وانسدت المسالك و بطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد

وظلّ السلجوقيون بدمشق حتى سنة ٦٦١ ايام قرضهم التتار وكان ابتداء دولتهم سنة ٤٣٢ وانقراضها سنة ٦٨٧ . ولم اقف على تاريخ ينطق بحال الفيحاء على عهد تلك الدولة التركية التي قامت الدولة العثمانية على انقاضها والعهد ان ملوكها كانوا على جانب من التدين والميل لراحة البلاد والسعي لسعادتها حتى صار يُضرب المثل بملوكهم الاول وقد حكموا آسيا الصغرى وارمينية وبلاد الكرج واتخذوا مدينة قونية عاصمة ملكهم

وجاء التتار دمشق مرارًا وعاملوها بما عاملوا بهِ سائر البلاد على ما رُكِزَ في غرائزهم من القتل والنهب والسبي ففي سنة ٦٥٨ استولوا عليها وسائر الشام الى غزة عقيب استيلاء هولاكو سلطانهم على بغداد وقتل المستعصم سنة ٦٥٦ واستقرت شحائنهم بها بالامان ونهبوا جميع ما فيها وخربوا اسوارها حتى اخرجهم منها الملك الظاهر بيبرس البندقداري

ويؤخذ من كلام الذهبي وابن خلدون وغيرهما ان غازان من احفاد هولاكو التتري دخل دمشق سنة ٦٩٩ ثم ارتجع عنها بعد ان بذل لهُ اهلها مالاً عظيماً وكذلك سنة ٧٠٢ جاء التتار بجموعهم الى بلاد المسلمين صحبة نائب غازان فانحاز الجند الشاميّ الى دمشق وتوجهَ الجند المصريّ نحو الشام واجتمعوا بمرج الصفر وتجاوز التتار دمشق ونزلوا "شقحب" وتراءى الجمعان ووقع القتال فانكسر التتار فولوا على ادبارهم يتبعهم المسلمون وافنوهم قتلاً واسرًا وغرق في الفرات غالب من هرب من التتار

وسنة ٧٧٨ جاء جموع التتار فنزلوا بالمدرسة العادلية اكبر مدارس الشافعية بدمشق فأُحرقت ونُصب المنجنيق على القلعة بسطح جامع بني امية فاحرقوهُ فاعيد عملهُ وكان المغول يحرسونهُ . قال ابن خلدون وانتهكوا حرمة المسجد بكل محرّم من غير استثناء وهدم ما كان حول القلعة من المساكن والمدارس والابنية ودار السعادة وأُهين القضاة والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة وفحش القتل والسبي وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس ثم انجلوا عنها

واتفق ثقات المؤرخين ان دمشق شهدت اسعد ايامها على عهد الفاتحين العظيمين الملكين العادلين نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين يوسف بن ايوب لانهما من رجال الافعال لا الاقوال شعارهما العدل بين البرية ودثارهما الحنان على الرعية وقد امتدَّ العمران على عهدهما امتداد الشؤبوب وكثر العلماء والادباء في دولتيهما كثرة يتعذَّر ان تحصل عليها امة في قرنين مع ان حكمهما لم يطل اكثر من ٣٩ سنة وكل مدة بني ايوب ورأسهم صلاح الدين لم تكن

سوى ثمانين سنة تعاقب فيها عشرة اشخاص منهم امرأة واحدة وآخرهم الملك الاشرف موسى

هذا والرجلان مشتغلان بدفع الصليبيين عن سورية التي كانت سواحلها كلها بايديهم في غضون ذلك ولا تسل عن مواطنها في الجلاد وايامها المشهورة في الاعداء فقد استهوت العالمين حتى اشترك في تردادها وتعدادها الكافة. ولئن جرت الفتوحات العظيمة على يد الملك الناصر صلاح الدين فان لنور الدين الفضل اذ هو المؤسس والفارس وصلاح الدين بنى وجني مع ان نور الدين تركيٌ الاصل والجنس وصلاح الدين كرديٌ ولكن هي التربية والتعليم اذا حسنا يستوي في الغناء الاصفر والاحمر والابيض والاسود إلاَّ قليلاً . وما حصر الفضل قط في عربيّ ولا تركيّ ولا جركسيّ ولا كرديّ ولا فارسيّ بل ولا ارمنيّ ولا روميّ ولا انكليزيّ ولا المانيّ ولا افرنسيّ

وكان الصليبيون موقنين بانهم اذا فتحوا دمشق رسخت اقدامهم في سورية ولذلك اغاروا عليها المرّة بعد المرّة فرجعوا عنها مخذولين حتى اذا كان عام ٥٤٣ ه حاصروها زمناً بقيادة الملك كونراد الالماني ولويس السابع الفرنساوي وبودوين الثالث ملك اورشليم فلم يقدروا عليها لحصانة سورها واستماتة المدافعين وتحمسهم . فنشب القتال بين الفرنجة والمسلمين في سهل المزة وتتابعت الامداد على هؤلاء فكسروا الفرنجة ولحق فلّهم بالساحل بعد ان قطعوا اشجار البساتين للتحصن بها وافسدوها رشقاً بالنشاب وحذفاً بالاحجار واحرقوا الربوة والقبة المهدوية . ولابي الحكم الاندلسي قصيدة وصف بها جيش الفرنجة في مخيّمهِ ومعتركهِ ومجتلدهِ ومنهزمهِ وصفاً يقرب من طريقة الافرنج اليوم قال في مطلعها

بشطّيْ نهر داريا ... امور ما تؤاتينا
واقوام رأوا سفك الـ ... ـدما في جلّقٍ دينا
اتانا مائتا الف ... عديداً او يزيدونا
فبعضهمو من اندلس ... وبعض من فلسطينا
ومن عكا ومن صور ... ومن صيدا وتبنينا
اذا ابصرتهم ابصر ... تَ اقواماً مجانينا
ولكن حرّقوا في عا ... جل الحال البساتينا
وجازوا المرج والتعـ ... ـديل ايضاً والميادينا
تخالهمُ وقد ركبوا ... قطائرها حراذينا
وبين خيامهم ضموا الـ ... ـخنازيرَ والقرابينا

وما اطمع الفرنجة في افتتاح دمشق الاَّ رخاوة صاحبها مجير الدين محمد بن بوري بن طغتكين فتابعوا الغارة على اعمالهِ واكثروا الفتك برجالهِ حتى جعلوا على اهل دمشق قطيعة كلّ سنة فكان رسولهم يجيء الى المدينة فيجبيها . وفي الروضتين ان نور الدين زنكي لم يسمُ الى اخذ دمشق الا لمعاضدة اهلها للفرنجة واستنصارهم بهم ولما استولى عليها سنة ٥٤٩ ضبط امورها كسائر بلادهِ وحصّن سورها وقلعتها وبنى بها المدارس والمساجد واصلح طرقها ووسع اسواقها ومنع فيها المغارم والمظالم وعاقب على شرب الخمر ووقف وقوفاً على المرضى ومعلمي الخط والقرآن ومنع من بيع الخمر في جميع بلادهِ ووقف الكتب الكثيرة واطلق المكوس والضرائب الى ما شاكل ذلك من الاسباب التي كانت مبدأ سعد الفيحاء وتربعها في ذرى العلياء فغدا الدماشقة على عهدهِ وعهد خلفهِ الملك الناصر من حسن التربية والحمية الحقيقية بمكان . والناس تبع لامامهم في الخير والشرّ

نعم زَخَرَ عمرانها اذ كان نور الدين وصلاح الدين لا يأخذان المال الاَّ من وجههِ ولا يصرفانهِ الاَّ في سبلهِ كأنهما درسا فن الاقتصاد كاحسن ملك اوربي . قال ابن الاثير طالعتُ سير الملوك المتقدمين فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرة نور الدين ولا اكثر تحرياً منهُ للعدل فانهُ كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف الاَّ في الذي يخصهُ من ملك كان لهُ قد اشتراهُ من سهمهِ من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليهِ زوجتهُ من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت لهُ يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً فلما استقلتها قال ليس لي الاَّ هذا وجميع ما بيدي انا فيهِ خازن للمسلمين لا اخونهم فيهِ ولا اخوض نار جهنم لاجلك . هذه كل املاك نور الدين وارداتها وهذا كلامهُ لاقرب الناس اليهِ فقسهُ مع غيره

اما صلاح الدين فقد اتفق مؤرخو الخافقين على انهُ اكمل الناس رأياً وعقلاً وحسن سياسة وضنّ الزمان بمثلهِ ملكاً يميل لخير الامة ويرغب عن الزخارف والرخاء التي تقوض اركان الممالك وتدك معالم الامم حتى انهُ لما مات لم يكن في خزانتهِ سوى دريهمات لا تسمن ولا تغني من جوع

ولئن نجم بين اسرة صلاح الدين ومن خَلَفهم في منصة الملك نواجم الشقاق من جرَّاء الاستئثار بالحكم واستبد كل منهم بطرف من المملكة او ببلد منها اخذهُ على سبيل الاقطاع وسمى نفسهُ ملكاً فانهم مشوا على قدم نور الدين وصلاح الدين في خدمة البلاد وتخليص السواحل من ايدي الفرنجة . ولم يبرح معنى الوحدة بحالهِ الى ما بعد القرن السابع لأنَّ الحاكم

والمحكوم بقيت فيهما بقية من معرفة واجبهما كما هو الحال عند الغربيين اليوم فكان الحاكم اذا اراد ان يشتطَّ في الطلب على الرعايا يوقفونهُ عند حدّ ويخطون لهُ دائرةً لا يتعدَّاها ومثل ذلك قل عن المحكوم فقد كان اذا طمح الى ما ليس من شأنهِ يعاملهُ حاكمهُ بالحسنى ويربأ بهِ عن أتيانِ الباطل بمعنى ان الحاكم لم يكن مستبدًّا بامرهِ يصرّفهُ كما يشاءُ عليهِ ان يقول وعلى المحكوم ان يفعل منقادًا كالابلهِ ويدعو بملءِ فيهِ لآمرهِ وناهيهِ مهما بلغ منهُ الشقاء

من اجل ذلك احتفظت دمشق بمركزها وان تكن نزلت بعض درجات عن المكانة التي انتهت اليها في الدولتين النورية والصلاحية . ومما يشعر باستبحار العمران ما ورد من ان الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات والوقائع مع التتار والافرنج المتوفى سنة ٦٧٦ ملّك من المسلمين دمشق و بعلبك وعجلون و بصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وزليبا وتل باشر وصهيون و بلاطيش ونرزية وحصون الاسماعيلية والشوبك والكرك وشيزر والبيرة وكانت كلها من الحواضر العامرة واليوم اصبح معظمها ضياعًا جراداء مرداء لا كلأً فيها ولا ماء بل مأوى اللصوص يحيفها الخراب

وغير خاف ان العمران في كل الامم والبلاد يكون بحسب الادوار المتقلبة عليها وميل الحكام . تفتر حركتهُ وتسكن نأمتهُ حينًا ثم تتجدد غضاضتهُ وتعود اليهِ حياتهُ . ذكر المؤرخون ان الملك الاشرف بن قلاوون الصالحي الجالس على تخت الملك سنة تسع وثمانين وستمائة مع ما اشتهر عنهُ من الفتوحات وقلة المظالم والمغارم وميلهِ للشام واهلهِ كان مغرىً بالهدم فهدم اماكن بلا داعٍ وفيهِ يقول علاء الدين الوداعي معتذرًا عنهُ لما امر بهدم الاماكن المجاورة للميدان بدمشق ووزع عمارتهُ على الامراء

إنْ أمرَ السلطان في جِلّقٍ بهدم ما جاور ميدانهُ
فانهُ قد غار لمَّا رأى غير بيوت الله جيرانهُ

ولعلَّ غيرهُ من الملوك حذوا حذوهُ في الهدم فلاهم يريدون ان يروا آثار غيرهم في الوجود ولا هم يستطيعون تقليدها فتأخذهم الغيرة والنُّعرة ويخربون بيوتهم بايديهم

وما وقف شقاءُ هذه الحاضرة عند جائحة الصليبيين وغزات التتار الاولى وغيرهم من الخوارج واهل الدعارة بل جاءها تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ بخيلهِ ورجلهِ وارسل رسلاً من قبلهِ لصاحبها فقتلهم خلافًا للسنة المتبعة من ان الرسل لا تقتل عادة ولو كان بين المتحاربين حرب البسوس . قال ابن الشحنة حضر قاصد تيمورلنك فقتلهُ نائب دمشق قبل ان يسمع كلامهُ وبئسما فعل فلما أهين تيمور بقتل رسلهِ ضيق الخناق على المدينة وهمَّ ان لا ينجلي عنها حتى يفتحها ويجعل

عاليها سافلها واعزّة اهلها اذلة واذ اسلمته طوعاً او كرهاً دخلها جيشهُ وانحى عليها ضرباً وقتلاً وتعذيباً وسلباً وسبياً وحرقاً وتخريباً . وقد بالغ مؤرخو دمشق وحلب في وصف فعاله واشبعوا الكلام على ذلك في رسائل خاصة . ولاشتهار حوادثهِ بمبلغ المعرفة اكتفيت بالالماع اليها مع التنبيه الى ان اخبار هذه الوقعة لا تؤخذ الاَّ عن مؤرخ غير متحزب لفئة كابن خلدون واضرابهِ ممن شهدوها او كانوا احياء فنقلت اليهم وكتبوها بتثبت وتفحص . وليقلع من الاذهان ما يتبجح بهِ بعضهم من ان كل خراب في هذه البلاد منشأوهُ تيمورلنك وان كان حدث بعدهُ باعوام عدة .

هذا وقد حكم دمشق في هذه المدة دولتان احداهما الدولة التركية بمصر والشام وعدد ملوكها اربعة وعشرون ومدة حكمهم مائة واربع وستون سنة واولهم الملك المعز عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح حاجي بن اشرف شعبان . واما الدولة الجركسية بمصر والشام فكان ابتداؤُها سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقراضها سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة على يد العثمانيين وعددهم ثلاثة وعشرون نفراً اولهم الملك الظاهر سيف الدين برقوق وآخرهم قانصوه الغوري

وهاتان الدولتان التركية والجركسية وان كانتا دون من تقدمهما في الادارة الاَّ انهما تفضلان كثيراً من الدول بحسنات ملوكهما وضبطهما البلاد ضبطاً حسناً . ومن حسناتهما ان اهل الحل والعقد منهما كانوا ينصاعون لنصائح حملة العلم رغبة او رهبة . وكم ذكر التاريخ اخباراً من تحكّم العلماء النصحاء على الامراء الاقوياء تحكماً لا يقبلهُ آحاد الناس من اعاظمهم فضلاً عن ملك من احد المتعلقين بخدمتهِ . وهذا ما دعا لان تكون مصر والشام حافلة بصنوف العلم وحفدتهِ وجرى آل عثمان وخصوصاً محمد الفاتح على مثال مجاوريهِ في تكثير سواد العلماء في بلادهِ

على انهُ حدث في أُخريات الدولة الجركسية ما يحدث للمالك عند انقراضها فيكون سبباً لاعضال داءٍ في احناء صدرها لا يبرأُ الاَّ بقيام دولة فتية الشباب تخلفها مكانها محمد كرد علي

العمي يبصرون

اذا ذُكرت جريدة اللانست الطبية الانكليزية وأُسند اليها قول قالتهُ او كلام نشرتهُ وعزتهُ الى احد الاطباء المشهورين واستفتحت بهِ جزءا من اجزائها اصغى اليها القراء عالمين انهم يسمعون كلام ثقة في موضوع هو اعلم بهِ من غيرهِ ولولا ذلك ما تجاسرنا على وضع هذا العنوان لهذه المقالة لئلا يتهمنا القراء بالغلو ان لم يتهمونا بتصديق الخرافات

وموضوع المقالة خطبة للدكتور تشارلس بل تيلر جرَّاح مستشفى طب العيون بمدينة نتنهام في بلاد الانكليز تلاها امام الجمعية الطبية الجراحية في تلك المدينة وصدَّرت بها جريدة اللانست عددها الصادر في ٢٧ ابريل الماضي . وقد انصف الخطيب نفسهُ والعلم الصحيح حيث جعل عنوان خطبتهِ ما ترجمتهُ "المعالجة التي تنجح احيانًا في شفاء العمى الذي يظهر انهُ لا يقبل الشفاء" (The sometimes successful treetment of cases of apparently incurable blindness).

وليس من قصدنا ان نترجم خطبة الخطيب كلها على ما فيها من الفوائد الجمة ولا ان نثبت كل ما ذكرهُ من التعاليل الطبية بل ان نقتصر على ذكر اساليب العلاج التي عالج بها بعض العميان فردَّ اليهم البصر . وقد قسم اساليب العلاج التي استعملها الى اربعة اقسام الاول الكهربائية على اختلاف انواعها . والثاني الادوية الزيبقية بجرعات كبيرة وحدها او مع غيرها من الادوية . والثالث المحوّلات كالفصد والحجامة والعلق (الدود) والحراريق . والرابع معالجة كل مصاب بما يناسب حالهُ من العمليات الجراحية والوسائل العلاجية . وقد ابقينا الكلام بصيغة المتكلم ولو اختصرناهُ كثيرًا وتصرفنا فيهِ بتقديم وتأخير قال

من الذين عالجتهم بالاسلوب الاول رجل عمرهُ ٣٥ سنة أُرسل الى نتنهام ليتعلَّم صناعةً في ملجإِ العميان فانهُ عمي على اثر التهاب في العصب البصري ولما رأيتهُ كان سواد عينيهِ ابيض ولم يكن يميز بين نور النهار وظلمة الليل وقد عولج بكل وسائط العلاج العادية فلم تنجع فيهِ لكني اقنعت ذويهِ ان يأتوني بهِ مرةً او مرتين كل يوم وعالجتهُ بمجرًى من الكهربائية قوي جدًّا قدر ما يحتمل فلم يظهر فيهِ فرق في بادئ الامر فاستنتجت ان شفاءهُ ضرب من المحال لكنني عزمت ان استمرَّ على معالجتهِ مدة أُخرى فظهر فيهِ شيء من دلائل النجاح رأى النور اولاً ميزهُ عن الظلمة ثم زاد جلاء بصرهِ رويدًا رويدًا يومًا بعد يوم الى ان صار يمشي وحدهُ من غير دليل واخيرًا انجلى بصرهُ تمامًا وعاد الى عملهِ الذي كان يعمل بهِ قبلما عمي وهو يقرأُ الآن صحف الاخبار ويرى عن قرب وعن بعد تمام الرؤْية وقد مضى عليهِ كذلك اثنتا عشرة سنة

والكهربائية تعيد الى الاعصاب والاعضاء عمومًا قوتها اذا كانت قد ضعفت ولا شيء يقوم مقامها في ذلك ولا سيما اذا كان الضعف ناتجًا عن الانفلونزا او الدفثيريا او البول السكري او التيفوس او التيفويد او الحميات الروماتزمية . فانها قوية محللة وهي آخر واسطة يُلجأُ اليها اذا ضُمر العصب البصري او ضعف البصر إِما من الشيخوخة او من الامراض المنهكة او من شرب المسكرات وتدخين التبغ

وقد استفاد كثيرون من الذين عالجتهم بها وحدها او مع غيرها من الوسائل ومنهم اناس كانوا مصابين بالهستيريا او العمى المسبب عن شلل الشبكية او ضعف البصر الناتج عن فقر الدم او ضمور العصب البصري الناتج عن التيفويد اوغيرها من الامراض المنهكة. ولا يسعني الوقت الآن لزيادة الاسهاب في هذا الباب فانتقل الى الاسلوب الثاني

وهو العلاج بجرعات كبيرة من الزيبق (بيّن اولاً ان الزيبق نفسهُ لا يضرُّ ولو كانت جرعاتهُ كبيرة الاَّ بعض الذين خصُّوا بمزاج يؤثر فيهِ الزيبق كثيرًا الى ان قال)

وههناصورة فتاة عمرها ١٥ سنة تأخذ الزيبق منذ اربع سنوات . لما رأيتها اولاً كانت عمياء لا تبصر شيئًا من التهاب القزحية والقرنية ولم تكن حدقتاها ظاهرتين وقد عالجها كثيرون من مشاهير الاطباء وحكموا انها لا تشفى لكنها شفيت تمامًا بالزيبق وجادت صحتها ايضاً

ومن الذين شفيتهم بهِ ايضاً رجل من الاعيان كان اولاً قصير البصر ثم اصيب بالالتهاب المشيي القزحي تبعهُ انسكاب في الرطوبة الزجاجية فاظلمت عيناهُ حتى تعذَّر ادخال النور اليهما وانارة باطنهما بهِ وعولج بجرعات صغيرة من الزيبق وحكم اشهر الاطباء انهُ لا يشفى . فعالجتهُ بالكهربائية وبجرعات كبيرة من الزيبق والدلك والبيلوكربين والمحوِّلات فلم يمضِ عليهِ شهر من الزمان حتى شفي تمامًا وبقي صحيح البصر الى حين وفاتهِ بعد عدة سنوات .

وقد عالجت ثلاثة آخرين مرضهم مثل مرضهِ فشفوا مثلهُ احدهم من محرري الجرائد المشهورين والثاني تاجر معروف والثالث ممثلة من الممثلات الشهيرات وحينما رأيتها كان قد مضى عليها سنتان وهي عمياء وظهر لي بعد معالجتها ان في عصبها البصري ضمورًا كثيرًا فلم تشفَ تمامًا لكن شفاءها كفى لعودها الى التمثيل

ويستعمل الزئبق حبوبًا (الحبوب الزرقاء) ومرهمًا وبخارًا وحقنًا تحت الجلد . ويلزم غالبًا اضافة المورفيا الى الحبوب ويعطى معها البيلوكربين وجرعتهُ نصف قمحة من الداخل او يحقن تحت الجلد بعشر قمحة الى ربع قمحة

اما المحولات فافضلها الفصد (واسهب هنا في فوائد الفصد ولام الاطباء لاقلالهم منهُ وقال انهُ لا علاج غيرهُ ينجي من الموت في بعض الاحوال المرضية . وربما عدنا الى ذكر كلامهِ في هذا الموضوع في فرصة أُخرى ثم قال) اذا كانت العين رمداء تعذَّر علينا الآن اقناع احد باستخراج الدم ولكنني شفيت واحدًا حالاً بوضع سبعين علقة (دودة) على صدغهِ .

ومن المحولات ما يفيد مثل استخراج الدم وذلك بتحويل الفعل العصبي من جهة الى اخرى مثل الخردليات والحراريق والكي بالحمصة واكياس الثلج واكياس الماء السخن والتنطيل ونحو

ذلك . واني اوضح ما اريد ببعض الامثلة : اذا اصابت انسانًا صدمة من ادخال القثاطير توقف بولهُ وسُمَّ دمهُ من جرَّاء ذلك الاَّ اذا حوَّلتَ انتباههُ من كليتيهِ الى جلدهِ . واذا خافت ابنة نحيفة الجسم خوفًا شديدًا فقد يصيبها خفقان القلب وجحوظ العينين ان لم يُحوَّل انتباهها حالاً الى شيءٍ آخر. واذا كان انسان مصابًا بالربو وجاءتهُ النوبة وهو على ظهر فرس وجمح الفرس بهِ حينئذٍ زالت عنهُ نوبة الربو لان انتباههُ يتحوَّل كلهُ الى جموح الفرس . واذا كانت امرأة مصابةً بشلل النصف السفلي من جسمها وسمعتْ واحدًا يقول النار النار نهضت على قدميها حالاً وخرجت مسرعة ولو مضى عليها اشهر بل سنين كسيحة لا تستطيع المشي . والمصابون بالصرع (داء النقطة) لا تصيبهم نوباتهُ وهم راكبون على الخيل . وكلنا يعلم ان الاضطراب الشديد ينشف الريق والحمس الديني يزيل الم النار ورؤْية طبيب الاسنان تزيل الم الضرس

لما انتشرت الدودة التي تأْكل بنجر السكر في المانيا وخيف من انها تفسد زراعتهُ كلها انقذهُ الاستاذ كوهن منها بزرعهِ لها نباتًا آخر بجانبهِ تحوَّلت اليهِ فنجا منها البنجر. فاذا خيف على عضوٍ من اعضاء الجسد ان يتلف من الالتهاب استطعنا ان ننقذهُ بتحويل الالتهاب الى عضوٍ آخر لا يضرُّ التهابهُ فيتحول الفعل العصبي اليهِ ولا تستطيع الطبيعة ان تقوم بالتهابين في وقت واحد فاذا اشتدَّ الواحد ضعف الآخر . واذا خيف على البصر من التهاب اعضاء العين فاي سبيل لنجاتها اسهل واسلم من ان تحدث تهيجًا او مصرفًا في النقرة (قفا العنق) او الصدغ او الساعد او مكان آخر. ولا يخفى عليكم ان المستر بوت كان يشفي الفالج بالخلال والكي ونحوهما على جانبي العمود الفقري (سلسلة الظهر) وان المصابين بالحمى الصديدية ينقذون منها بتكوين خراجات صناعية فيهم في النسيج الخلوي في الالية او الظهر او الساق . واثبتُ ما في صناعة الطب ان حدوث الالتهاب او الصديد في مكان يبطل حدوثهُ في مكان آخر ويجففهُ لان الطبيعة لا تستطيع ان تقوم بالاثنين معًا فاذا قوَّينا الواحد ضعف الآخر . وهذا المبدأ كان اسلافنا يعرفونهُ ويعملون بهِ اكثر مما نعرفهُ نحن او نعمل بهِ

الاسلوب الرابع وهو اذا عالجتَ المصاب بتحويل انتباه اعصابهِ بالحمامات والمحوّلات والمهيجات فاقطع السبب المرضي كالسكّر والحامض الاوريك بالغذاء والفصد واقطع السبب الخاص بالمرض كالنقرس والروماتزم والسفلس بالعلاجات الخاصة ثم الجأ الى العمليات الجراحية التي تقتضيها حال كل مصاب على حدتهِ كعمل حدقة صناعية واستخراج المتحصلات الالتهابية واستخراج البلورية نفسها اذا لزم الامر وقطع الاربطة فانهُ بمثل ذلك قد يعاد البصر حيث قُطع الامل من عودهِ . وهنا مثال على ذلك امرأة من سكان لندن عمرها ٢٧ سنة اصيبت منذ عشر

سنوات بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها وتردَّد عليها هذا الالتهاب مرةً بعد أُخرى ومنذ اربع سنوات سدَّت اللفا حدقتيها . وعالجها اشهر اطباء العيون وعملوا لها اربع عمليات عمليتين في كل عين فلم تستفد شيئًا على ما يظهر ولم تعد ترى شيئًا وكان الم عينيها شديدًا فقر القرار على نزع عينها اليسرى وسلَّمت هي باستخراج عينها اولاً ثم رفضتهُ بتاتًا قبل استخراجها واتت اليَّ وكان الالتهاب شديدًا في عينيها فعالجتها بالحمصة (بالكي) وجرعات كبيرة من الزيبق فدرَّ لعابها شديدًا حتى اتعبها ولكنهُ اراح عينيها ولما زال تعب الالتهاب كلهُ وحسبتُ انني ازلت القسم الجوهري من دائها ازلت جانبًا من اللفا والقزحية التي فسدت من عينها اليمنى فوجدت البلورية مظلمة كما تكون غالبًا في هذه الحال فعملت لها عملية القدح (اي عملية الكتركتا) حسبما تقتضيهِ الصناعة وتركت فيها حدقة رجوت انها تكفيها للرؤية لكن اللفا سدَّتها حالاً فصنعت لها حدقة ثانية فانسدَّت ايضًا ثم صنعت حدقة ثالثة فنجحت . وقد صار بصر هذه السيدة على ما يرام بعد ان بقيت عمياء اربع سنوات . وهنا كتاب منها وصفت لي بهِ سرورها بما شاهدتهُ من الزينات يوم رجوع المتطوعين الى مدينة لندن

وقد تسألونني ماذا جرى لعينها اليسرى التي حكم اطباء العيون بنزعها فاجيب انني اجريت فيها العمليات التي اجريتها في اختها اليمنى فشفيت مثلها وقد كتبت اليَّ تقول ما نصهُ "صرت ارى جيدًا بعيني اليسرى"

وهنا حادثة اخرى تظهر فيها فائدة الإقدام . هذا الشاب اصيب في العشرين من عمرهِ بالالتهاب المشيمي القزحي وعالجهُ اشهر اطباء العيون في اكبر مستشفيات العيون ثلاث سنوات واخيرًا اصيبت عيناهُ بالكتركتا ولما رأيتهُ كانت حدقتاها بيضاوين كاللبن وقلما كان يفرق بين النور والظلمة فعالجتهُ بالكهربائية والزيبقيات والمعرّقات والمحوّلات ولما صلحت حالهُ وصار عمل العملية ممكنًا استخرجت البلوريتان من عينيهِ . وعيناهُ الآن على غاية الصحة كما ترون وقد عاد الى معاطاة اعمالهِ

ومن ذلك امرأة عميت وعمرها ٢٢ سنة وعولجت اربع سنوات من غير جدوى عالجها كثيرون من اطباء العيون واخيرًا اشاروا عليها ان تقيم في ملجإِ العميان وحكموا بانها لا تشفي ولما رأيتها اول مرَّة كانت حدقتاها منقبضتين لاصقتين بمحفظتي العدسيتين تسدها مادة كلسية وكانتا لينتين جدًّا تحت الضغط فعالجتها بالعلاج الذي تستدعيهِ بنيتها وبالكهربائية حتى اذا صلحت حالها استخرجت المادة الكلسية من عينيها فعاد بصرها سليمًا وهنا مكاتيب منها كتبتها لي لا استطيع ان اخط احسن منها

فلو تُرِك هؤُلاء الناس من غير علاج لقضوا في عمى البصر سنين كثيرة او لماتوا عمياً . وهنا ما يؤيد ذلك امرأة جاءت تستشيرني في نتنهام وعمرها ستون سنة مضى عليها كفيفة ثلاثون سنة ولدت في اثنائها ثلاثة اولاد لم ترَ احداً منهم . اصيبت وهي في الثلاثين من عمرها بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها كلتيهما وشفيت من هذا الالتهاب بالمعالجة لكن بقي منهُ اثرٌ في عينيها . ثم عاودها فزاد ضعف عينيها الى ان كفَّ بصرها تماماً وهي على ثروة طائلة فمضت الى بلدان اوربا تستشير اشهر اطباء العيون فيها وبقيت على ذلك الى ان اتت اليَّ وكانت حدقتا عينيها قد صارتا نقطتين صغيرتين تسدها اللفا سدًّا تامًّا فاستخرجت البلوريتين وصنعت لها حدقة صناعية في عينها اليسرى وهي الآن تقرأُ وتكتب بسهولة

وهنا رجل آخر لما رأيتهُ كان قد مضى عليهِ اربعون سنة وهو اعمى فوجدت حدقتي عينيهِ مسدودتين بمادَّة كلسيَّة فازلتها منهما وصنعت لهُ حدقة صناعية في عينهِ اليسرى وهو يرى بها الآن جيدًا ويقرأُ ويكتب ويجول مثل غيرهِ من المبصرين

هذه خلاصة الخطبة وكأَنَّ الخطيب احيا بها صناعة العرب في طب العيون كما سنبينهُ في فرصة اخرى واثبت ما كان يعوّل عليهِ الاطباء والدجالون في هذا القطر والقطر السوري كما يتذكرهُ الكهول

الطاعون

مذكرة المستر بتشنغ مدير مصلحة الصحة ملحقة بتقرير اللورد كرومر

اول اشارة عن حدوث الطاعون في بورت سعيد بلغت ادارة الصحة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠ وفي اليوم التالي قام المستر غراهم الى بورت سعيد ومعهُ الدكتور بتر بكتيريولوجي المصلحة للبحث عن الحادثة المشتبه بها واتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الوباء اذا ثبت ان الحادثة منهُ . وزال كل شك بفحص الرمَّة وبالبحث بكتيريولوجيًّا في حادثة أُخرى كانت في المستشفى الاميري فثبت ان المرض هو الطاعون الدبلي بعينهِ ثم ثبت انهُ حدثت حوادث اخرى قبل هاتين الحادثتين كما سيجيءُ

والاثنان المشار اليهما كانا يسكنان غرفاً في البناء الكبير الذي فيهِ الالدرادو وراء شارع التجارة على مقربة من الرصيف احدهما يوناني والآخر سوري . ووجد لدى البحث ان امرأَة توفيت في ذلك البناء في ٢٩ ابريل باعراض اتضح الآن انها اعراض الطاعون وقيل ايضاً

ان ايطاليًا مات بمثل هذه الاعراض في ٢٧ ابريل في بيت قريب من ذلك البناء ويونانيًا توفي في ٢٣ ابريل وكان ساكنًا في حي العرب ويونانيًّا آخر توفي في ٢٠ ابريل وكان ساكنًا قرب الالدرادو . وقد شخَّص الاطباء الاوربيون الذين عالجوهم انهم ماتوا بالانفلونزا المصحوبة بالفلغمون او الانفلونزا المصحوبة بالتهاب سحايا الدماغ ولكن ثبت بالبحث حينئذٍ ان مرضهم كان الطاعون وانهم ماتوا بهِ ولذلك فالطاعون ظهر في بورت سعيد من قبل ذلك الحين ثم ثبت ان يونانيًّا مات في الطاعون في حي الافرنج في ٥ ابريل وعلمت حوادث اخرى قبلها حتى شهر مارس يظهر من وصفها ما يدعو الى الترجيح بانها كانت من الطاعون . ثم ان سرعة انتشار الوباء في الاسبوع الاول من شهر مايو وظهوره في كل اقسام حي الوطنيين يدلان على انهُ كان في المدينة قبل ان بلغ خبره ادارة الصحة بزمن طويل

كتب المستر غراهم ما يأتي

" لما وصلتُ الى بورت سعيد كان قد دخل المستشفى اثنان من حي العرب وفي اليوم التالي (وهو ٢ مايو) أُخبرنا عن اثنين آخرين في جهتين مختلفتين من احياء الوطنيين . وفي ٣ مايو توفي شخص بالطاعون في حي العرب وحدثت حادثة اخرى في اليوم الخامس . وفي اليوم السادس دخل المستشفى وطنيان واوربي وفي اليوم السابع اصيب وطني من حي الوطنيين

" فثبت حالاً ان العدوى منتشرة في المدينة كلها وان امامنا وافدةً لها هاتان الصفتان

" الاولى انها الطاعون الدبلي نفسهُ

" والثانية انها منتشرة انتشارًا كليًّا في كل القسم الوطني من المدينة وانتشارًا جزئيًّا في القسم الاوربي

" ولذلك رأينا ان لا بد لنا من اطباء واناس خبيرين بعملية التطهير وجمهور من العمال يقسم فرقًا ويوزَّع في احياء المدينة لاجراء التدابير اللازمة لمقاومة الوباء التي اجريناها في الاسكندرية وهؤلاء لم نجدهم في بورت سعيد فاتينا من الاسكندرية باناس خبيرين بالتطهير وباناس يديرون العمل واستخدمنا عمَّالاً من بورت سعيد

" وفصلنا جانبًا كبيرًا من المستشفى الاميري وخصصناهُ بالمصابين من الوطنيين . اما الاوربيون المصابون فعولجوا كلهم ما عدا اربعة في المستشفى الاميري في قسم الامراض المعدية الى ان أُعدت مستشفياتهم الخصوصية . وقد اصبنا في ما عملنا لاننا وجدناهُ اسهل من إعداد بناء خاص بعيد عن المدينة

" ورأينا في اول الامر ان الاهالي يكرهون ان يؤخذ مرضاهم الى المستشفى وقد قاوموا

عمّال الحكومة اكثر من مرة واتلفوا امتعة الحكومة واضروا احياناً برجالها . وقد أُزيلت هذه الكراهة بان طُلب من وجوه المدينة فعينوا فرقاً من العوّاد حسب درجات الاهالي وكانت كل فرقة تزور المستشفى وترى المصابين الذين قاربوا الشفاء فيخبروها بما لقوا من حسن المعاملة والخدمة حتى ترجع وتخبر اقاربهم بذلك . وكانت النتيجة ان كثيرين جاءُوا بعد ذلك من انفسهم ودخلوا المستشفى وان البعض اخبروا الحكومة عن مصابين اصيبوا من عيالهم

" والذين خالطوا المصابين كانوا يعزلون في ابنية كبيرة كل فريق منهم على حدتهِ لا يختلط الرجال بالنساء ولا عائلة منهم باخرى ويبقون تحت المراقبة ستة ايام يقدَّم لهم فيها الطعام الجيد والذين كانوا منهم من العمال المكتسبين دُفعت اليهم اجور بدل منعهم من العمل . ولم يظهر الوباء الاَّ في اثنين منهم وكان ظهورهُ قبل آخر اليوم الثاني من عزلهم ولذلك غيرنا طريقة العزل حينما قلَّ قلق الناس وقل الخوف من انتشار الوباء بهربهم من مكان الى آخر فصرنا نسمح للعائلة التي خالطت المصاب بان تتطهَّر هي وامتعتها كلها و يبقى نساؤُها واولادها في البيت ويعرض رجالها المتسببون انفسهم مرتين في اليوم على طبيب القسم الذي هم فيهِ

" وظلت الحوادث تحدث في كل شهر مايو ولكننا بقينا مالكين ناصية الوباء . وزادت حوادثهُ في اوائل شهر يونيو لانهُ ظهرت حوادث جديدة في حي العرب وفي اكواخ مجتمعة قرب معمل الغاز . واستمرَّ الوباء في هذه الاكواخ استمراراً الجأَ مصلحة الصحة الى هدمها وبناء غيرها في مكان صحي فهدمت وكانت من الخشب ونُقل خشبها الى مكان غربي حي العرب وبنيت فيهِ . وخيف اولاً من ان جراثيم العدوى تكون لاصقةً بهذه المواد فيظهر الوباء في الاكواخ التي تبنى منها ولذلك جمع العمال كل ما وقع منها من الحطام وقت هدمها وحرقوهُ . وبقوا تحت المراقبة وغسلت ايديهم واقدامهم بالمطهرات . ولم يظهر الوباء في هذه الاكواخ بعد ذلك ولا ظهر في العمال الذين هدموها

" اما اصل العدوى وطريق وصولها الى بورت سعيد فلا يعلمان تماماً لانهُ لم تقم ادلَّة قاطعة على ذلك . ولكن هذه المدينة معرَّضة تمام التعرُّض للوباء حتى يُعجب من عدم دخولهِ اليها قبل ذلك الحين فانها واقعة بين المشرق والمغرب والسفن الآتية من البلدان الموبوءة تصل اليها كل يوم واهاليها من وطنيين واوربيين يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع هذه السفن بالبيع والشراء فمن الغريب انها بقيت سليمة من الوباء مدة طويلة

" وايضاحاً لذلك نقول ان سكانها الوطنيين اكثرهم من الفحامين الذين يحملون الفحم الى السفن المارَّة بمدينتهم فهم في اتصال دائم مع السفن الآتية من الموانئ الموبوءة . وتأخذ

السفن منها كثيرين من الوقّادين وتمضي شرقًا ثم تعود بهم وقد تقف في طريقها في موانئ موبوءة او يدخلها اناس مصابون بالوباء . ونوتية قوارب المؤونة وعددهم كثير جدًّا يتجرون مع كل السفن الواردة على بورت سعيد من غير تمييز . ولا يخفى ان العدوى قد تكمن في مكان مهما شدّدت المراقبة الصحية فيمكن نقلها من السفن الى البر بالفحامين او الوقادين او نوتية قوارب المؤونة وعليهِ لا يجد الوباء اقل صعوبة في دخولهِ هذه المدينة

" ثم ان بورت سعيد كانت في أوائل العام متصلة بسورية واسيا الصغرى والبحر الاسود وجزائر اليونان وأُعلن رسميًّا وجود الوباء في السواحل السورية بعد ذلك . فمن المحتمل ان العدوى بلغت بورت سعيد من مكان اقرب اليها من الهند

"ولكن ان كانت هذه الظنون لا تغني فتيلاً اذا لم توجد الادلة القاطعة فالبحث عن الطرق التي يمكن ان تدخل بها العدوى لا يخلو من النفع . وتعيين طبيب في بورت سعيد وتسجيل اسماء الداخلين قد يفيدان في تقليل الخطر بازدياد المراقبة . واذا عُمل بمآل المذكرة المرفوعة في ٢٨ اغسطس وهو مراقبة الوقادين امكن منع دخول العدوى بهم

" وتبقى مسألة الفحّامين وهي مسألة كثيرة المصاعب ولكن يرجى ان يوجد اسلوب يقلل الضرر الذي يمكن ان ينتج منهم على قدر الامكان

" اما مسألة فعل الجرذان في نقل العدوى فلم تجد ثبتًا جديدًا في ما شوهد في بورت سعيد. فقد وُجدت الجرذان الميتة من الطاعون في جانب من المدينة ولم يظهر الوباء فيهِ . ووجدت جرذان مطعونة في اماكن أُخرى من المدينة وظهر فيها الطاعون بعدئذ

"ويظهر انهُ قد بولغ كثيرًا في ما تفعلهُ الجرذان والأولى ان تعدَّ في جملة الحيوانات التي يفتك الطاعون بها كما يفتك بالناس لا ان يحسب لها شأن كبير في تولُّد الوباء ونقلهِ ونشرهِ

"ومما يدلُّ على كيفية حصول العدوى وفائدة النظافة حادثة شيخ الحراقين فان وظيفتهُ مراقبة الذين يحرقون الحطام والمواد الفاسدة وكان عندهُ دائمًا برميل من مزيلات العدوى ليغسل بهِ يديهِ وقدميهِ وايادي رفاقهِ واقدامهم وأُعطي حذاءً لكي يحتذي بهِ ففضَّل المشي حافيًا قائلاً انهُ اسهل عليهِ . وفي السابع عشر من مايو ترك عملهُ الظهر ووُجد في المساء فاقدًا الشعور فنُقل الى المستشفى وبهِ طعنة كبيرة ثم مات من الطاعون الدبلي دلالة على ان العدوى وصلتهُ من بعض المواد الملطخة التي اتي بها لتحرَق

" واصيب في بورت سعيد ٩٢ بالطاعون أُتي بخمسة وسبعين منهم الى المستشفى ووجد ١٧ موتى خارج المستشفى ومات من الذين دخلوا المستشفى ٢١ اي مات ٢٨ في المئة من الذين عولجوا واذا

اضفنا اليهم الذين وجدوا موتى خارج المستشفى اي لم يعالجوا بلغ عدد الوفيات ١٤ في المئة

" واذا اخرجنا من عدد هؤلاء كل الذين ماتوا من قصور القلب عن قضاء وظيفته قلَّ عدد الوفيات من الطاعون نفسهِ كثيرًا جدًّا فان كثيرين ماتوا وهم في دور النقه لانهم جلسوا او مشوا او عملوا عملاً آخر طفيفًا شعروا انهم قادرون على عملهِ

" اما من حيث المنازل التي يقيم فيها المطعونون فوُجد ان اكواخ القصب والحصر مثل الاكواخ التي يقيم فيها المصطافون في رأس البر تقام بسرعة وبقليل من النفقة وهي وافية بالغرض يوضع فيها المطعونون ويعالجون في ايام القيظ واذا اشتدَّ الحرُّ سهل وضع سقف آخر لها فوق سقفها تخفيفًا للحر . واذا وقع المطر واشتدَّ البرد امكن تبطينها بالطين والقش

"والاكواخ التي اقمناها في بورت سعيد استعملناها للاوربيين الذين ضاق عنهم المستشفى الاميري الى ان تمَّ مستشفى اليونان ومستشفى الطليان

" وقد جرَّبنا جانبًا من المصل الواقي الذي صُنع في القاهرة حسب اسلوب هفكن وطعمنا بهِ بعض المصابين في المستشفى وبعض المطهّرين ولكن لم نستطع ان نصل الى نتيجة قطعية لاسباب معلومة ولم يطلب احد ان يطعَّم بهِ من تلقاء نفسهِ "

وابيح للاهالي ان يتركوا المدينة ويذهبوا الى حيث يشاؤُون ولم يوضع حولها نطاق صحي ولكن روقب الذين ساروا منها في القوارب بطريق بحيرة المنزلة الى دمياط والمطرية وغيرها من المدن التي على شاطئ البحيرة اعتقاد ان الناس الذين يهاجرون المدينة وبهم الوباء يفضلون هذا الطريق على سكة الحديد مخافة ان يكشف امرهم

وكل الذين وصلوا الى دمياط والمطرية من بورت سعيد كانوا يراقبون طبيًّا يُغسلون وتطهَّر ثيابهم ويبقون في بيوتهم تحت المراقبة سبعة ايام فكشفت عدة حوادث مشتبه فيها في دمياط ولكن لم يوجد ميكروب الطاعون الاَّ في واحدة منها ويحتمل ان غيرها كان من الطاعون ايضًا ولكن الطعنات كانت قد تقيَّحت فيستحيل اكتشاف الميكروب فيها . ولم يسمح لاحد ان يسافر في بحيرة المنزلة من بورت سعيد الاَّ الى دمياط والمطرية

ثم اقيمت نقطة طبية في كبوتي على بحيرة المنزلة قرب بورت سعيد لمنع من فيهم اعراض مشتبه فيها من السفر

وراقب اطباء الصحة الناس مراقبة دقيقة في كل مديريات الوجه البحري . وقد بلغ مصلحة الصحة خبر اناس كثيرين مشتبه فيهم من اماكن مختلفة ولكن الفحص البكتيريولوجي لم يثبت وجود الطاعون في احد منهم

وعانى رجال الصحة المشاق في بورت سعيد وقام عليهم الغوغاء مرة او مرتين ولكن لم يحدث من ذلك ضرر كثير . وكان اشد المقاومة من الاوربيين لا من الوطنيين . واهالي بورت سعيد يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع السفن المارَّة بهم فقلَّت اعمالهم مدَّة الوباء لانهُ لم يسمح لاحد من الركاب ان ينزل في مدينتهم حينئذٍ . فحسبوا ان خسارتهم مسبَّبة عن رجال الصحة لا عن الحجر الصحي الذي وضعتهُ البلدان الاخرى على السفن الواقفة في بورت سعيد . وزاد جهلهم لحقيقة الحال بالمقالات التي كانت تنشر في الجرائد المحلية ويهان بها رجال الصحة و يهزأ بهم

الاسكندرية — لم يحدث في الاسكندرية حادثة مشتبه فيها حتى ٧ مايو اذ ماتت امرأة في حي القرموص وثبت من رمتها انها ماتت بالطاعون . وكانت هذه المرأة من جامعي الخرق وفي الحي الذي وجدت فيهِ ميتة مخازن كثيرة للخرق . ثم حدثت حوادث اخرى في ذلك الحي بينها فترات قصيرة وحدثت حوادث اخرى في احياء اخرى والفترات بينها قصيرة حتى لم يكد يبقى حي من احياء المدينة لم تحدث فيهِ حادثة او حادثتان . الاَّ ان الوسائط الفعالة كانت تستأصل شأفة الوباء حالاً . وقد بقي الوباء في المدينة زمنًا طويلاً ولكنهُ لم يبلغ مبلغًا عظيمًا وسبب ذلك ان كل حادثة كانت تُتبع جيدًا و يعزل كل مَن اتصل بها و يُجرى التطهير على اتم ما يكون

وبلغت الحوادث كلها من ٨ مايو الى ١٣ نوفمبر وقت آخر حادثة أُعلمت بها مصلحة الصحة ٣٨ حادثة انتهى ٢٠ منها بالموت

وحالما عُلمت الحادثة الاولى أُجريت التدابير الصحية التي وفت بالمراد في العام السابق ولا يزال كثير منها جاريًا وسيبقى جاريًا السنة كلها سواء ظهر الطاعون او لم يظهر مثل مراقبة الركَّاب الآتين من مواني البحر المتوسط ومراقبة كل الفنادق الحقيرة والقهوات

و يصعب علينا ان نتحقق ما اذا كان الطاعون قد ظهر في الاسكندرية سنة ١٩٠٠ من عدوى بلغتها جديدًا او من عدوى كانت كامنة فيها

ولا يخفى ان بين الاسكندرية وازمير وبيروت ونحوها من المواني تجارة واسعة . وأُعلن وجود الطاعون في ازمير بعدما أُعلن وجودهُ في بورت سعيد بزمن قصير بين اليونانيين . والاخبار الواردة من ازمير في هذا الشأن قليلة موجزة ومع ذلك عُلم منها انهُ حدثت عدة حوادث اخيرًا في جوارها من مرض معدٍ لهُ اعراض رئوية قتَّالة وقد شخص اطباء الصحة هناك انهُ الانفلونزا الخبيثة . الاَّ ان وصف هذه الحوادث يدل على انها مثل الطاعون الرئوي لاسيما وان تشخيصها لم يؤيَّد بالفحص البكتيريولوجي . وقد ذُكر قبلاً ان الاطباء في بورت سعيد

شخصوا الحوادث الاولى التي شاهدوها من حوادث الطاعون بالانفلونزا الدماغية والانفلونزا المصحوبة بالفاغمون

وكل الوسائل التي رآها رجال الصحة لازمة استُعملت في الاسكندرية من غير تعب ولكن ما دام الوباء موجودًا في موانئ كثيرة شرقي القطر المصري وغربيهُ فلا يبعد ان يظهر فيهِ من وقت الى آخر ولو ثبت نجاح الوسائل التي استخدمت في الاسكندرية و بورت سعيد سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ولذلك احسنت الحكومة الخديوية بمنحها مبلغًا من المال هذه السنة لينفق على الوسائل الواقية من الوباء لانهُ اذا عُرفت الحادثة الاولى التي تحدث في مدينة من مدن القطر المصري البحرية واتخذت الوسائل اللازمة حالاً فلا اظن ان الوباء ينتشر بعد ذلك انتشارًا كثيرًا

واستلفتُ انظار فخامتكم في ختام هذا التقرير الى الاعمال العظيمة التي قام المستر غراهم والماجور غارنر والدكتور بتر والدكتور غوتشلك لاستئصال الوباء في بورت سعيد والاسكندرية خدمة للحكومة الخديوية (الامضا) ه . ه بنتشنغ

رواية امينة

الفصل السادس

جاء شهر رمضان . الصوم نهارًا والولائم ليلاً . تزاور الاصدقاء والخلان ومخرت السفن في البوغاز تقلُّ الشبان وهم يغنون و يطربون والهوانم يرقبنهم من وراء الشبابيك ويرشقنهم بالازهار والرياحين . واوقدت المصابيح الكثيرة في حوانيت بيرا . وتوالت الليالي الراقصة في شكلي بعد ان كان منذ سنوات قليلة من اقل الاحياء عمارةً . هذه المراقص قذًى في عيون الهوانم لانهنَّ محرومات من الذهاب اليها ولان كثيرين من الشبان عكفوا عليها وتركوا عادتهم القديمة الذهاب في القوارب ونشد اناشيد الحب والغرام

ظهرت مجالي الزينة في كل القصور ما عدا قصر نصرالله باشا لان نافذ بك لم يكن قد تعافى . شفي من مرضهِ وذهب الى السرعسكرية مرتين ولكنهُ كان لا يزال ضعيفًا جدًّا لا يستطيع الخروج ليلاً

كانت الليلة الثالثة من رمضان وكان الحرُّ شديدًا فلم نكد ننهض عن الطعام حتى خرجنا الى الحديقة ووضعت المصابيح في الرواق فاتانا من نورها ما يكفي ليرى بعضنا بعضاً .

وخرج نصر الله باشا وادهم بك لزيارة اصدقائهم ومضى علي بك الى بيرا وكان سلوك نافذ بك قد تغير في الاسبوعين الاخيرين فجعل يكلمني كلام الصديق الى الصديق وكان تصرُّفهُ هذا وسطاً بين الحالتين السابقتين حالة التودُّد الشديد والنفور الشديد . والظاهر ان شيطانهُ تغلّب عليهِ تلك الليلة فجعل يتصدَّى لي وللحث وحيدة هانم منهُ ذلك فزجرتهُ وقالت اليك عن هذه المسكينة واسمع قصة عادلة نار . وكانت هذه المرأة تحكي لنا حكاية طويلة ووقفت عن الكلام حينئذٍ . فقال لها ما لكِ وقفتِ عن الكلام يا اماهُ انسيتِ عمَّن كنتِ تتكلمين عن الرجل الذي هجم على خمس مئة وحدهُ وعسى ان يغلبهم . فقالت نعم باذن الله فانهُ مؤمن وهم كفار ما قولك في ذلك . فقال لا شيء ولكن يظهر انهُ لم يبقَ بيننا احد من المؤمنين لاننا لا نرى احداً يهجم على خمس مئة وحدهُ ويتغلب عليهم . ولا شبهة في ان الرجل من اسلافنا كان يساوي عشرة منا

ولما قال ذلك ادارت شيستا وجهها كانها استاءت من كلامهِ ووضعت بهية ابنة وحيدة هانم ذراعيها حول عنقهِ وقالت لهُ اني لا احب هذه الحكايات لان مس آمي تقول انها مضرَّة

وكانت مس آمي هذه معلمة تأتي ثلاث مرات في الاسبوع وتعلم الاولاد الانكليزية والفرنسوية

فقال لها كيف عرفتْ هل سمعتْ هذه الحكايات منها . فاجابتهُ كلاَّ ولكن جودت حكاها لها فقالت لا يليق بالاولاد ان يسمعوا هذه الحكايات وحكينا لها حكايات امينة فاستحسنتها وقالت هذه حسنة جدًّا

فالتفت اليَّ وقال لي اسمعتِ يا امينة ما قالتهُ مس آمي فهي لا تحسب غيرك اهلاً لقص قصص يقبلها ذوقها فاسمعينا هذه القصص

فقلت لهُ ان قصصي لا تحكى الاَّ للصغار . فقال اذًا عدّيني منهم لاني مثل بهية لا احب حكايات عادلة نار . ثم التفت اليها وقال لها دعينا من هذه الخرافات يا اماه وتعالي ابصري لنا بختنا ان كانت الاصداف معك

فقال الجواري احسنتَ يا نافذ بك تعالي ابصري لنا بختنا وابتدئي بهانم افندي

فضحكت هانم افندي وقالت ما لكم وبختي فاني عجوز ولكن اعطوني صدفة لارى بها بخت شخص آخر . فقال نافذ بك عرفتُ من تقصدين فلا يهمني ما يكون بختي تعالوا يا اولاد قد حرمتكم من الحكاية ولا بدَّ لي من ان اعوّضكم شيئًا آخر تعالوا نذهب لنصطاد البومة التي اقلقت امي البارحة فاننا اذا تركناها تبني عشها في الكشك حسبت امي ذلك دليل الشؤم . وهي الآن في اعلى البرج فوق التلة

فنهض الاولاد كلهم وقالوا لهُ هيَّا بنا ياعمَّاهُ . فصرخت ولية هانم اتمضون في الظلام لا تأخذهم في هذه الظلمة لئلاَّ تلسعهم حية او عقرب . فقال لها سكني روعك فاني لم أرَ والدة اشد منكِ قلقاً على اولادها . انظري الى وحيدة فانها لم تقل شيئاً ولم تخَف على ولديها . فقالت وحيدة لا خوف على الصبيان ولكن بهية تخاف جدًّا فلا تأخذها معك . فقالت بهية لا اخاف اذا ذهبت امينة معي قولي لها يا امي لتذهب معي . فقالت امها كلاَّ لا تستطيع ان تذهب معكِ اذ لا بدَّ لكم من المرور في السلاملك وامينة لا تستطيع ان تمر بين الرجال . فقال جودت ألا تستطيع ان تغطي رأسها . وقال محسن بن علي بك الاكبر لماذا لا تأتون كلكم ألا يمكنهم ان يأتوا يا عماهُ . فقالت ولية هانم ياحبذا ولكن ذلك ضرب من المحال . فقال نافذ بك لا ارى ما يمنع ذهابنا كلنا اذهبْ يا جودت وقل للرجال ان يبعدوا من هناك . فقالت لهُ امهُ لعلَّ اباك يعترض على ذلك . فقال لها ان اعترض فانا اتحمل اللوم كلهُ . ونحن الآن في رمضان وكل احد يخرج من بيتهِ ليلاً ولسنا قاصدين الاَّ ان نمشي في ارضنا تعالي يا امي ولا تمنعي الاولاد من سرور ليلة . وامسك بيدها وانهضها ووضع شالاً على كتفيها وقال لها غطي بهِ رأسكِ ان خفتِ ان يراكِ احد . فقالت أأنا ايضاً ألا يمكنكم ان تذهبوا بدوني . فقال كلاَّ أتظنين اننا نذهب ونتركك وحدكِ هو ذا ابي ما نقول افندم فان مرادي ان اذهب مع الاولاد والبنات الى اعلى التلَّة وامي تظن انك لا تستحسن ذلك (وكان نصر الله باشا قد دخل حينئذٍ) فقال لماذا لا استحسنهُ ولكن لماذا لم تختاروا ليلة انور من هذه الليلة فان الظلمة حالكة تحت الاشجار . فقالت ولية هانم وهذا هو المقصود حتى نضحك على مَن يخاف . فقال اذهبوا اذًا وسأتبعكم حالما اظن انهُ ينقطع ورود الزوار وضعوا المصابيح في الكشك وخذوا القانون معكم وساقول للخدم ليأخذوا لنا العشاء الى هناك فنبقى الى المدفع الاخير . لا تضعوا اليشامك ولكن اخبروا الرجال ليبعدوا من الطريق

كان مصيف نصرالله باشا مثل سائر القصور على البوسفور وراءهُ تلَّة عالية في اعلاها كشك فيهِ غرفة كبيرة للاستقبال وغرفة للمائدة واخرى للمنامة . وكان ادهم بك ينزلهُ احيانًا حينما تأتي عائلة نصرالله باشا لقضاء فصل الصيف هنا وقد وضع فيهِ اثاثًا فاخرًا لم يجرِ فيهِ على الاسلوب التركي الحديث المعروف بالاسلوب الافرنكي وهو صمد المقاعد والكراسي الى جدران الغرف ووضع مائدة مذهبة في الوسط بل عاد الى الاسلوب التركي القديم ونوَّعهُ قليلاً حتى يوافق الذوق الاوربي المهذَّب فوضع فيهِ الارائك الوثيرة والستائر اللطيفة الالوان والكراسي المختلفة الاشكال وزرع حولهُ الازهار والرياحين والاشجار الغبياء

فصعدنا في التلّة وامامنا عبدان معهما المصابيح الى ان بلغنا اعلاها وهناك خيمة كبيرة فدخلتها هانم افندي وجلست فيها واخذ جودت مصباحاً بيدهِ وصعد الى اعلى البرج ليطير البومة . فلما طارت اطلق نافذ بك بندقيتهُ عليها فاخطأها ولم يطلق عليها طلقاً اخر بل قال دعوها تذهب اذ ليس الغرض قتلها بل منعها من ان تعشش هنا ولن تعود الى هذا المكان ثانية . والآن ماذا تريدون ان نفعل يا اولاد فقال لهُ محسن خذنا الى البستان فقال لهُ احسنت ولكن لا احد يتجاسر ان يذهب معك في هذا الظلام فقالت ولية هانم انا اذهب وتذهب معنا امينة ايضاً ألا تذهبين يا حبيبة فالتفت نافذ بك اليّ وقال ألا تخافين من العفاريت والغيلان والافاعي فان كنت لا تخافين فتعالي معنا

فسرتُ معهم وكان البستان على الجانب التالي من التلة وهو مملوءٌ باشجار الفاكهة والظاهر انهُ كان قبل ذلك حديقة غناء لان في وسطهِ صخراً كبيراً مجوَّفاً كمغارة وفيهِ ينبوع صغير يجري الماء منهُ الى بركة وراءهُ . وبقينا سائرين الى ان بلغنا باب البستان ففتحهُ نافذ بك ودخلنا وسرنا فيهِ ونحن في ظلام دامس لان الاشجار كانت قريبة بعضها من بعض . وسار ولدا ولية هانم بجانبها يجرانها جراً وهي تصرخ كلما داست رجلها على عود او غصن . ومشيتُ انا وراءها ونافذ بك الى جانبي ويدهُ قريبة من يدي ليساعدني اذا عثرت او زلت قدمي او ليبعد اغصان الشجر المعترضة في طريقي

واخيراً وصلنا الى الصخر واراد جودت ومحسن ان يصعدا عليهِ فمنعهما نافذ بك وقال لهما ان صعدتما وزلّت بكما اقدامكما وقعتما ودققتما عنقيكما اوغرقتما في البركة على الجانب الآخر ولكن تعاليا الى داخل الصخر فان فيهِ مكاناً تعشش فيهِ الطيور . فقال محسن نعم نعم ومسك المصباح بيدهِ ودخل وجرّ امهُ وراءهُ وتبعهُ بقية الاولاد وبقي نافذ بك خارجاً ونظر اليّ وقال اتريدين ان تتبعي الاولاد او تبقي هنا . ونظرتُ فرأيت الظلام دامساً في جوف الصخر فخفت قليلاً وقلت بل افضّل الذهاب الى البركة على الجانب الآخر . فسرنا كلانا حتى بلغناها وكانت الارض حولها بساطاً من الاعشاب والازهار تظللها شجرة كبيرة ممتدّة الاغصان وكان السكوت تاماً لا يسمع الاَّ صوت ولية هانم وهي تصرخ مع الاولاد

فضحك نافذ بك لما سمع صراخها وقال ما اجن اباها حتى زوجها برجل اكبر منها كثيراً

فقلت لهُ ولماذا فعل ذلك وكيف تزوّج بها ادهم بك وهو كهل وهي في الرابعة عشرة من عمرها

فقال ان اباها جُعل والياً على ولاية بعيدة في بر الاناطول حيث يمكن ان يبقى عشرين

سنة وبتعذَّر عليهِ ان يزوجها هناك فلما خطبها ادهم اليهِ لم يرَ وجهاً لردهِ بل سُرَّ بذلك كثيرًا.
اما ادهم فلم يخطبها لانهُ عرفها فاعجبتهُ بل لان امهُ اختارتها لهُ

فقلتُ ولمْ يندم على ذلك لان كلاًّ منهما يحب الآخر حبًّا شديدًا

فقال نعم ولكن ادهم لا ينظر اليها كزوجتهِ بل كابنتهِ ويدللها مثل ابنة مدللة وهي تنظر اليهِ بالخوف والرهبة كانهُ شخص يُخشى ولا يُفهَم كما كنت انظر الى كتبي العربية وانا فتى

فقلتُ ولكنك صرتَ تفهم تلك الكتب لما كبرت

فقال أَتريدين انها تصير تفهمهُ مع الزمان امَّا انا فلا احب ان اتزوَّج بامرأة اعيش معها احدى عشرة سنة قبلما يزول خوفها مني

فقلت " ولكنك لست مثل ادهم بك " . وآخذتُ نفسي على ما قلت فصمتُّ حالاً

فقال كلاَّ لستُ مثلهُ اتظنين ان زوجتي لا تخاف مني فان كنتِ تعتقدين فيَّ هذا الاعتقاد فلماذا صرتِ تنفرين مني حديثًا قولي لي يا امينة قولي لي الحق هل تحبين داود

فلم اجبهُ . فقام ودنا مني وقال اسمعي يا امينة انتِ تعلمين حبي لكِ واني اريد ان اتزوَّج بك . فان كنتِ تقولين انك تفضلين رجلاً آخر عليَّ فلا حق لي عليكِ بل اتركك وشأنكِ ولكن لا بدَّ لي من ان اسمع ذلك من فيكِ

فقلت لهُ هذا ضرب من المحال وانتَ تعلم انهُ لا يمكن ان يكتب كتابي عليك

فقال لماذا ذلك أَلانك تحبين آخر . ستأتي وحيدة يوم الخميس والآن الاثنين ولا يمكن ان ادعكِ تمضين معها ما لم اعلم انكِ تفعلين ذلك بارادتكِ ومن تلقاء نفسكِ . لا تظني اني اريد ان اخدعكِ او اني لا اعرف رزانة عقلكِ حتى احسب ان مقامي يغريك بما لا ترغبين فيهِ . حسبتُ مرةً انكِ صرتِ تميلين اليَّ فلما رأيتكِ تتكلمين مع داود توهمتُ انك تضحكين عليَّ واخذ مني الغيظ كل مأخذ ولكن زال مني هذا الوهم بعد ذلك . والآن لا اصدق انك تخدعينني. وقد اكون خادعًا نفسي وحاسبًا انك تحبينني ولستِ كذلك فان كنت تحبين ذلك الشاب فقولي لي وانا اتخلَّى عنكِ مهما نالني من ذلك ولكن ان كنتِ لا تحبينهُ كما ارجو الآن فلا شيء يمكن ان يحول دون اقتراني بك

فلم اجبهُ بل بقيتُ ساكتة ودنت اصوات الاولاد منا ورأيناهم آتين والمصباح معهم فقال لي اجيبيني يا امينة قولي لي هل تحبين داود

فقلت لهُ كلاَّ ومع ذلك لا يمكنني ان اقترن بك انظن انني اقبل باقتران تقاومهُ عائلتك كلها فلم يجبني بلسانهِ بل امسكني بيديهِ وضمني الى صدرهِ . فاخذت اتوسَّل اليهِ ليتركني

قائلة انك تعلم يقيناً ان اقتراننا ضرب من المحال . فقال كلاَّ . ولكنهُ تركني لان ولية هانم كانت قد اقتربت منا وقال ساكلم امي بذلك الليلة

ووصلت ولية هانم الينا وقالت ما اكسلكما لماذا لم تدخلا معنا الى الغار قد انبسطنا غاية الانبساط

فقال لها نافذ بك هذا الذي يسرنا اما انا فقد كبرت عن تخريب العشاش هلمَّ نرجع اذ لا بدَّ من ان تكون امي قد استطالت غيابنا الآن

فرجعنا ووجدنا الجواري يلعبن تحت الشجر وهانم افندي في الخيمة ومعها عادلة تنار تقص عليها بعض الاخبار ووقف نافذ بك بجانب الباب وذهب الاولاد ليلعبوا مع الجواري واتت وحيدة هانم وجلست معنا وقالت لعادلة عمَّن تتكلمين . فقالت عن ابنة محمود باشا فانها احبت واحداً من الحرّاس الشراكسة وكان ابوها يريد تزويجها بابن عمها واشتدَّ الخصام بسبب ذلك . وقد تكاتبت هي والشركسي ووُجدت مكاتيبهُ عندها فطار عقل ابيها وامها ولو كان ابن باشا لكان الامر محتملاً ولكنهُ شركسي دونها بمراحل

فضحك نافذ بك حتى استلقى على ظهره وصرخت وحيدة هانم قائلة وما ضرَّهُ ان كان شركسياً فان اناساً كثيرين اشرف من محمود باشا زوجوا بناتهم للشراكسة . ان تزوجنا رجلاً اوطأ منا رتبةً لا ننحط الى مرتبتهِ بل نرفعهُ الى مرتبتنا

فادركت المرأة خطأها واستدركتهُ قائلة اصبتِ يا عيني ولكن ألاَ ترين انها كانت مخطوبة لابن عمها

فقالت هانم افندي نعم وهذا فرق كبير . اما وحيدة هانم فبقيت مغتاظة وقالت ان كانت البنت لا تريدهُ وجب ان يزوجوها بالرجل الذي تريدهُ . اما انا فاظن ان الحرّاس الشراكسة افضل من اولاد الباشوات بما لا يقدَّر وقد احسنت هذه الفتاة بحبها واحداً منهم

فقال نافذ بك احسنتِ يا وحيدة ولو كان علي بك هنا لطار بكِ فرحاً

فقالت عادلة ان علي بك من افضل الرجال ولم أرَ رجلاً اجمل منهُ طلعةً الله يبقيكِ لهُ ويبقيهِ لكِ

فقال لها نافذ بك خففي عنك يا اماه فقد سامحتْك وحيدة لا سيما وان علي بك ليس فيهِ شيءٌ من طباع الشراكسة ولا اظن ان احداً يقول انهُ شركسي لانهُ من افضل الناس واطيبهم قلباً

فالتفتت ولية هانم اليَّ وقالت لي اسمعي كيف يطرىءُ زوجها لا بدَّ من انهُ قاصد ان

يطلب منها خدمة مهمًا والاَّ ما تملقها هذا التملق

فتضاحكتُ لاني كنت اعلم مرادهُ وعزمت ان احاول صرفهُ عن عزمهِ فنهضت وخرجت واشرت اليهِ وانا خارجة فادرك مرادي وتبعني وسرنا الى الكشك ووقفنا امام الشباك فقال لي ماذا تريدين . ولكن ايَّاكِ وان تحاولي صرفي عن عزمي اذ لا بدَّ لي من ان اقترن بكِ ولو قام عليَّ الثقلان

فحرت في امري لكنني قلتُ لهُ انك تعلم كما اعلم انا ان الباشا وهانم افندي وادهم بك وكل اهلك يعارضونك في ذلك وانا نفسي لا استحق ان اكون زوجةً لك لانني ابنة مسكينة فما دمتَ تفتكر بي تكون عرضة للازدراء و يظن كل احد انك فقدتَ عقلك

فتبسم وقال نعم هذا هو الصواب وقد فقدتُ عقلي . مَن كان يتغنَّى بمثل ذلك امس اليس انتِ . ولما رأى اني اريد ان اتكلم قال لي اليكِ عن الكلام فاني احبكِ ولا بدَّ من ان اقترن بكِ ومتى اقترنت بكِ يصمت كل لسان ولا يعود احد يقول شيئًا

قال ذلك وادنى رأسي من كتفهِ ووضعهُ عليهِ فتركتهُ لحظة ثم تصوَّر لي حرج هذا الموقف فانهضتهُ وقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال دعنا من المزاح يا نافذ بك افتكر بنفسك وبامّك هل تجسر ان تغيظها . ولما قلت ذلك عبس فغيَّرتُ لهجتي وقلتُ لهُ انك تحب اباك فهل يمكن ان تفعل شيئًا يخجل منهُ

فنظر اليَّ عابسًا وقال لا تقولي هذه الكلمة مرة أُخرى لماذا يخجل ابي اذا اقترنتُ بكِ الستِ ابنة عفيفة طاهرة

فقلتُ ولكني ابنة حداد فانا دونك بمراحل . فقال كلاَّ لستِ دوني فاني انا وابي لا نعرف ماذا كان اصل جدنا وربما كان كنَّاسًا وهل يمكن ان نخجل من اقتراني بكِ اكثر مما يخجل من اقتراني ببوار وقد كان ابوها لصًّا ان لم يكن قاطع طريق وسفَّاك دماء

فقلت ولكنها شركسية . فقال انعمْ واكرمْ شركسية محتالة أَبهذه تشبهين فتاة لا ادب لها ولا حشمة ولا عقل لا يهمها من الدنيا الاَّ ان تقترن برجل فتخلص من العبودية واذا بعناها غدًا تحتال على اول رجل تراهُ ليشتريها ويتزوج بها . صدقيني يا امينة اني افضّل الموت على الاقتران بشركسية ولو لم اركِ

فجعلتُ اتوسل اليهِ ليتركني ثم التفتُّ الى باب الغرفة واذا بوار واقفة فيهِ وعيناها تقدحان شررًا . ولمَّا وقعت عيني على عينها ادارت وجهها وخرجت مسرعةً ورأيت حينئذٍ انها اكبر عدو لي وان الانتقام في عينيها . والظاهر ان وجهي امتقع حينئذٍ ورأى نافذ بك ذلك وادار

وجههُ الى الباب وقال لي ماذا جرى ولماذا انتِ مضطربة

فقلتُ لهُ بالله عليك دعني اذهب دعني اذهب فقد عرف كل احد الآن بما دار بيننا بالله عليك قل انك كنت تمزح معي كنتَ تضحك عليَّ

فقال ولماذا اقول ذلك لماذا اقول قولاً يعود باللوم عليكِ ولو مثقال ذرة . كلاً بل اقول الحق . الليلة أُخبر امي بما صمَّمتُ عليهِ . أَتظنين انني رجل ضعيف العزم لا شهامة لي ولا مروءَة حتى اخاف من اقل مقاومة واتركك وحدكِ

فقلت ان نصرالله باشا يستاءُ من ذلك حتماً . ولقد احزنتهُ كثيرًا هذه السنة فكيف تستطيع ان تغيظهُ ايضاً . انتَ تعلم انهُ لا يسلّم بذلك وانك لا تستطيع ان تفعل شيئًا على غير مرضاتهِ . ولهُ السلطة المطلقة عليك وهو من احسن الآباء وافضلهم واشرفهم فكيف تستطيع ان تعصاهُ فان امركَ بان تعدل عن عزمك أَفلا تضطر ان تطيعهُ

فقال كلاً . نعم يجب عليَّ ان اطيعهُ واكرمهُ ولا احد يقول انني خالفت لهُ امرًا حتى الآن ولكنهُ اذا ابى ان يسلم باقتراني بكِ لم يجب علي ان اطيعهُ لان سلطتهُ عليَّ لا تصل الى هذا الحد ولا تمنع القاضي من كتابة عقد الزيجة

فقلتُ لهُ ولكن أَلا تتأَلَّم حينما تشعر انك أَلَّمتهُ الى هذا الحد

فاطرق الى الارض وقال نعم ولا اظن ان ذلك يكون سهلاً عليَّ لان للعادة حكماً شديدًا وقد اعتدت ان اطيعهُ من غير سؤَال فلا يسهل عليَّ ان اخالف لهُ امرًا ولكن لا بدَّ من ذلك يا عزيزتي ولا شيء يفصلنا بعد الآن لا اب ولا ام ولا اخ ولا اخت

فقلت ولكن ان كنتُ انا ارفض ذلك فهل تجرُّني الى امام القاضي غصبًا عني

فعبس ونظر اليَّ نظر الاستفسار ثم تبسم وقال نعم ان لم تذكري لي سببًا مقنعًا غير هذا السبب . قولي انكِ تحبين آخر فاتركك ولكنكِ لا تحبين احدًا كفى كفى . نعم اذا رفضتِ فانا اجركِ الى امام القاضي غصبًا عنكِ

وقد سمعتُ كلماتهِ الاخيرة ولولم اكن مصغيةً اليهِ لانني كنت اسمع وقع الخطى في الرواق وقبل ان استطيع تخليص يديَّ من يديهِ وقفت هانم افندي في الباب وقفت كالصنم لا حراك بها قامة طويلة وعينان برَّاقتان ووجه ممتقع فرأَيت ان قد حانت الساعة التي كنت اخشاها ووقفتُ وقفة العاصية امام المرأَة التي اقسمتُ ان لا اعصي لها امرًا

وتقدَّم نافذ بك مسرعًا ووقف امامي كأَنهُ يريد ان يحجبني من نظرامهِ ومن نار الغضب المتقدة في عينيها . وقال لها احسنتِ يا اماهُ بمجيئك الآن لان لي كلامًا اريد ان اقولهُ لكِ .

لكنها لم تصغ الى كلامهِ بل دخلت من الباب ودخلت وراءها وحيدة هانم وتبعها الجواري كلهنَّ . ورأيت دلائل الانفة والكبر على وجه وحيدة هانم والخوف والشفقة على وجه ولية هانم وتوقُّع المكروه على وجوه الجواري وكان قلبي يخفق ومفاصلي ترتجف خوفاً ومن يلومني على ذلك . من لم يعش في الحريم لا يعلم ما لربّة المنزل من السلطة المطلقة كل الذين فيهِ يخافونها ويتقون غضبها لان في يدها الحياة والموت . وكنت قد تعلمت ان انظر الى هانم افندي كصاحبة السلطة المطلقة التي لا تنازع في امرها فلما رأيتها تقترب مني والشر في وجهها ارتخت مفاصلي وخارت قواي

ووقف نافذ بك بيني وبينها وقال لها اليكِ عنها يا اماهُ ووجّهي كلامكِ اليَّ

فصرخت ابعدْ من وجهي ولا تقل شيئاً لانّي لا اصغي الى احد حتى اقاصها كما تستحق . ثم التفتت اليَّ وقالت "من انتِ حتى تتجاسري ان ترقي ابني وتسحريهِ فقد اخبرتني بوار بكل ما جرى". وارادت ان تقبض عليَّ بيدها فمنعها نافذبك وقال لها ان مسستِ هذه البنت بيدك فوحق رأس ابي لا تعودي تري وجهي

فشمخت بانفها وقالت أَإِلى هذا الحد أصرتَ تأمر وتنهى ولكنك احمق ولا تعلم انها سحرتك وطمرت العوذة التي اتت بها من الساحر تحت باب غرفتك . واراك تضحك كأنك لا تصدق ذلك وانا نفسي لم اصدقهُ حتى رأيت العوذة بعيني واذا راجعت حسابك رأيت انك مرضت بعد ما وضعتْ لك العوذة بيوم واحد فخذ من طريقي ولا بدَّ من ان انتقم منها

فقال لها كلاَّ لا يمكنك ان تفعلي ذلك لانني مصمم على الاقتران بها

فهزأت بهِ وقالت اتقترن بها اجننتَ . ثم نظرت اليَّ وقالت هذه هي بغيتك ولكن لا بدَّ من قتلكِ أتظنين انّي اسلم بان يقترن اسم ابني باسم ابنة حداد

فقال لها نافذ بك اليكِ عن هذا الكلام يا امّاهُ فاني ساقترن بها كيفما كان الحال

فوقفتْ صامتة واتكأَت على كرسي كان هناك

وناديتُ نافذ بك لاكلمهُ وحالما لفظت اسمهُ صرخت بي قائلةً ايَّاكِ ان تقولي له شيئاً امامي ولا يخطر ببالكِ انكِ تنجين من يدي وستعلمين قريباً انهُ كان خيراً لكِ ان تموتي قبل ان تقيسي نفسكِ بي

فقال لها نافذ بك هذا تفعلينهُ مع جواريكِ لانهنَّ لكِ واما هذه الفتاة فان مسستِ شعرةً من رأسها فوحق تربة اجدادي

وقبل ان يتم كلامهُ رأيت ان الخرق كاد يتسع على الواقع فاسرعت الى هانم افندي

وانطرحت على قدميها وقلت لها لا تسمعي لهُ يا مولاتي لانهُ لا يدري ما يقول وسيرى غداً ان ما يقصدهُ ضرب من المحال

فاصغت اليَّ اولاً ثم انحنت وامسكت شعري ولفت ضفائرهُ على يدها ولا ادري ماذا كانت عازمة ان تفعل بي ولكن نافذ بك اسرع اليها حالاً وامسك يدها بيديهِ القويتين وحلَّ شعري عنها وابعدني وقال لي اجننتِ ألا ترين انها تقتلكِ اذا دنوتِ منها

وتقدَّمت وحيدة هانم حينئذٍ وقالت لهُ ألا تخجل يا نافذ ان تمد يدك الى امك اجننت حتى تفعل ذلك اتظن ان ابي يسمح لك ان تتزوَّج هذه البنت فتلحق العار بنا كاننا

فقال لها العار كل العار ان لا اتزوَّج بها بعد ان جرى ما جرى

ولما كان يتكلم التفتُّ الى الباب فرأيت نصر الله باشا وادهم بك وتقدَّم نصر الله باشا وهو عابس الوجه والتفتت اليهِ هانم افندي وقالت لهُ انظر فان امينة سحرت ابنك وهو يريد الآن ان يتزوَّج بها وقد اعتدى عليَّ بسببها وكاد يكسر يدي لانني اردت قصاصها فهل تقبل بذلك

فالتفتُّ الى نافذ بك فرأيت وجههُ اصفر كوجوه الاموات وقد اطبق فاهُ وضغط على اسنانهِ كانهُ علم ان قد وقعت الواقعة ولا بدَّ من النضال

فقال نصر الله باشا لا يصلح هذا الوقت للبحث في هذه المسألة ثم التفت الى نافذ بك وقال لهُ ان كنت لم تجن تماماً فاطلب السماح من امك واتبعني ولا بدَّ من النظر في هذه المسألة الليلة

فتقدَّم نافذ بك واخذ يد امهِ وقبلها وقال لها ان كنتُ قد اسأتُ الادب فسامحيني ولكن هذا لا يغير نسبتي الى امينة فلا بدَّ من اقتراني بها ودار ليخرج من الباب وقبلما خرج التفت الى ادهم بك واشار اليَّ ففهم ادهم بك مرادهُ واشار اليَّ وقال بصوت جهوري تعالي يا امينة اتبعيني لآخذكِ الى غرفتك

والتفتت اليهِ هانم افندي ولكنها لم تجسر على الكلام معهُ لانها كانت تعلم انهُ اقوى منها

ومدَّ ادهم بك يدهُ وامسك بيدي فسرت معهُ وسار نصر الله باشا ونافذ بك امامنا وكنت اقول في نفسي ترى هل هو مغتاظ مني كما اغتاظت امهُ واختهُ وهل صدَّق ما قالتهُ بوار ولعلهُ لم يمنع امهُ عن قتلي الاَّ لانهُ شفق عليَّ وكره ان يرى القوي يفتك بالضعيف . وتصوَّرتُ هيئة امهِ وهي قابضة على شعري فارتجفت مفاصلي كلها وكنا قد بلغنا السلاملك واخذنا نرتقي السلم الموصل الى باب الحريم

فقال اراكِ لا تستطيعين الصعود ولا غرابة في ذلك بعد ان جرى ما جرى قال ذلك ورفعني بين يديهِ كانني طفلة . فاستغربت هذه الشفقة وهذا الحنو منهُ ونظرت الى وجههِ في

نور المصابيح المعلقة في الرواق فرأيتهُ شاحباً كوجوه الاموات . وكانت الدموع تجول في عينيَّ تحاول الهطول والغيظ يمنعها فلما رأيت حنوَّهُ هطلت سخية فلم يكلمني بل فتح باب غرفتي وقال لي جزبي لتستريحي فانك محتاجة الى الراحة ولا تخافي من شيء الليلة ولكن ان احتجتِ اليَّ فناديني فابادر اليكِ حالاً

واردتُ ان اشكرهُ ولكنهُ اغلق الباب قبل ان اقول كلمة ومضى . ولما سمعت وقع خطاه على السلم وضعت المفتاح في القفل من الداخل واقفلتهُ مرتين واستلقيت على سريري وانا افكر في ما آل اليهِ امري (ستأتي البقية)

آلات الطيران

قلَّ من لم يرَ البالون من قراء المقتطف يُملأُ غازًا خفيفًا وتُعلق بهِ سلَّة كبيرة يجلس فيها رجل او رجلان او اكثر فيصعد في الهواء ويجري فيهِ حسبما تسوقهُ الرياح الى ان يتعب راكبوهُ فيخرجوا بعض الغاز منهُ او الى ان يخرج منهُ الغاز من نفسهِ فيثقل ويهبط رويدًا رويدًا حتى يبلغ الارض اينما اتفق اراد راكبوهُ ذلك او لم يريدوا على سهل او جبل او نهر او بحيرة او شجرة او يقع في البحر الخضم

وقد تنوَّعت اشكال البالون كثيرًا من حين استنباطهِ الى الآن فكان كرويًّا ثم كمثريًّا ثم مغزليًّا ثم مستطيلاً مستدقًّا من احد رأسيهِ او من الرأسين معًا

واحدث هذه البالونات واكبرها وانجحها بالون الكونت فون زبلن وقد وصفناهُ في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وهو كبير جدًّا طولهُ ٤١٦ قدمًا وقطرهُ ٣٨ قدمًا يعلق بهِ قارب كبير يركبهُ الناس فهو سفينة هوائية تجري في الهواء كما تجري السفن في الماء . وقد بلغت سرعتهُ في الهواء الساكن ٤٨٠ مترًا في الدقيقة او نحو ٣٠ كيلو مترًا في الساعة لكن هذا الحجم الكبير وما يقتضيهِ من النفقات الكثيرة على قلة الجدوى منهُ او على قلة الربح التجاري يمنعان شيوعهُ شيوعًا تجاريًّا لاسيما وان الرياح تغير سرعتهُ وقد توقف حركتهُ فلا يمكن الاعتماد عليهِ دائمًا ولا يغني عن غيرهِ من وسائل النقل

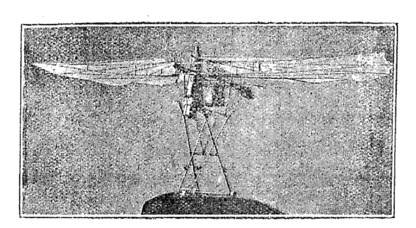
ومن البالونات التي جرّبت مرارًا وثبت انها تدار في الهواء حسبما يشاء من يصعد فيها بالون دنيلوسكي الروسي فان لهُ جناحين كبيرين يدار بهما كيفما شاء المدير

ومن هذا القبيل بالون المسيو ديمون طولهُ ٦٥ قدمًا وقطرهُ ٢٥ قدمًا وهو مستدق من

طرفيهِ ولهُ دفة وسطح مائل يداران بآلة بخارية صغيرة فيديران البالون كيفما شاء المدير وقد طار بهِ صانعهُ ودار حول برج ايفل

وصنع فردرك هريت بالونًا مستطيلاً كالسيكار الافرنجي لهُ على جانبيهِ اذرع كاذرع مطحنة الهواء تدار بآلة بخارية فيسير بها الى الامام او الى الوراء

ولما كان الكونت زبلن يصنع بالونهُ صنع المستر ميرس بالونًا صغيرًا اوصل بهِ لولبًا كلولب السفن البخارية ودفةً واجنحة واطلق عليهِ اسم الطيارة الغازية وطار بهِ اكثر من مئة مرَّة في ولايات اميركا . وعندهُ ان الناس يستطيعون ان يطيروا بهذه الطيارة ويقطعوا الابعاد الشاسعة من غير ان يتعرَّضوا لشيءٍ من المخاطر . وهذا اقصى ما وصل اليهِ البالون حتى الآن



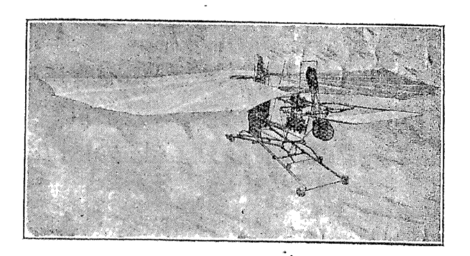
شكل (١)

الاَّ ان الذين يحاولون ركوب الهواء والسير فيهِ كما يسيرون في الماء لم يقتصروا على عمل البالون اي على عمل جسم اخف من الهواء يعوم بهم فيهِ بخفتهِ بل حاولوا الجري في الهواء بقوة دفعهِ ورد الفعل الحادث من ذلك اي انهم حاولوا التمثل بالطيور في ركوب الهواء كما حاول اصحاب البالون التمثل بالسمك وهو يعوم في الماء

ومحاولة الطيران بالآلات ذوات الاجنحة اقدم من محاولتهِ بالبالون وآخر من نجح فيهِ وكان نجاحهُ قاضيًا عليهِ للينثل الالماني وقد وصفنا آلتهُ وصورناها وصورناهُ طائرًا بها في الجزء الاخير من المجلد الثامن عشر من المقتطف . وفي التاسع من اغسطس سنة ١٨٩٦ مضى الى القرية التي كان يمارس الطيران فوق كثبانها وكانت الريح تهبُّ بسرعة ستة امتار في الثانية فلبس الاجنحة ذات الطبقتين وطار مسافة قصيرة ونزل سالمًا ثم طار ثانيةً ونزل حتى كاد يبلغ اسفل التل الذي طار عنهُ واذا بريح عصفت شديدًا ورفعتهُ ثلاثين مترًا وذلك امرٌ عاديٌّ

حدث لهُ مرارًا ولكنهُ وقف هذه المرَّة عادم الحركة فسقط على امّ رأْسهِ فاقد الشعور وفاضت روحهُ تلك الليلة وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ

لكن طالبي الشهرة باقتحام الاخطار لم يثبط عزائمهم ما حلَّ بالينثل ولا اقتصروا على حل مسأَلة الطيران من وجه فكاهي اجابةً لرغبة في النفس بل اهتمَّ بعضهم بحلها من باب علمي مثل الاستاذ لنغلي الاميركي الذي حاول صنع آلة تتحرك حركات الطائر وتطير مثلهُ ولو لم تشبههُ شكلاً واستتبَّ لهُ ذلك . وآخر من صنع آلة من هذا القبيل رجل اسمهُ هفمان تمتاز آلتهُ على كل ما تقدمها بان لها اربع ارجل ذات بكر تنتصب عليها كالحيوان وتجري على عجلها جريًا كما ترى في الشكل الاول المرسوم في الصفحة السابقة حتى اذا حانت الفرصة المناسبة للطيران رفع من في الآلة هذه الارجل فوقف معلقًا بين الارض والسماء كما ترى في الشكل الثاني ويحاول



شكل (٢)

حينئذٍ الهبوط بآلتهِ الى الارض لكن الهواء يقاوم نزول الآلة فيهِ لاتساع جناحيها . وتكفي مقاومة الهواء لحمل الآلة ودفعها الى الاعلى وهي تتحرَّك لتسير الى الامام فتسير كما يسير الطائر والطيَّارة . وفيها دفة ولولب لتعديل حركاتها واتجاهها

والمرجح ان هذه الآلة اصلح للطيران من آلة لينثل وسنرى ما يكون من امرها ولكن هب انها وفت بالغرض تمامًا وصار كل احد يستطيع ان يركب آلة مثلها ويطير في الهواء يبقى استعمالها خاصًا ببعض المخاطرين بانفسهم او الذين لا يتوخون من ركوبها الاَّ الفكاهة والنزهة . ولا تتم الفائدة الاَّ اذا وُجدت آلة تجمع بين البالون والاجنحة حتى تحمل الحمل الثقيل وتسير بهِ اينما شاء راكبها وقد تبقى مع ذلك معرضة للمخاطر من عصف الرياح

القلب الكسير

لواشنتون ارفن الكاتب الاميركي

من الناس من اذا جاز سنَّ الصبوة سنّ الاحلام والآمال والغمس في ملذّات الحياة وافراحها ولهوها بردت عواطفهُ وشابت فيهزأ باحاديث الحب واخبار المحبين ويعدُّها من روايات المؤلفين وغلوّ الشعراء وتخرصات الكتاب لكنني رجل قضيت العمر في درس اخلاق البشر فما ازددت الاَّ اعتقادًا بخطإ من يرى هذا الرأي فقد تنبئك الظواهر بخمود العواطف وتطمر هموم الحياة نار الصدور في رماد المشقات ويتبرقع الوجه بحجاب من التصنع في الكلام والاشارات والابتسام بحسبما تفرضهُ رسوم التمدن الحاضر لكنَّ النار لا تزال مخبوءَة في الفؤاد حتى اذا ما اتقدت جذوتها تأججت فاندلع لهيبها وحرق ما حولها . فانا مؤمن باله الحب الاعمى مسلم بتعاليمهِ اعترف بوجود القلوب الكسيرة واعتقد بالموت الناتج عن الحب العقيم

واقول ان مرض الحبّ في الرجال يندر ان يكون وخيم العاقبة على انهُ كثير الشيوع في النساء كبير المضارّ وكم من فتاة حسناء اودى بها فاودعها البلى في نضارة العمر وزهرة الصبا

خلق الرجل نزوعًا الى العلا وحب الرفعة طماعًا في المجد والغنى والشهرة فهو مدفوع ابدَ الدهر باخلاقهِ وطبيعتهِ الى التمرُّس بالآفات ومصارعة الدهر وعراك الايام فما الحبُّ لهُ سوى زينة يتخذها لشبابهِ او صوت يتغنى بهِ بين فصول رواية الحياة التي يمثلها لان الشهرة مطلبهُ والغنى لذتهُ ولان غايتهُ رفعة المقام والتسلُّط على بني جنسهِ بما يحرزهُ من القوة والثروة

اما المرأَة فحياتها سلسلة من الحبّ وعالمها قلبها فاذا طلبت الرفعة والسيادة ففيهِ واذا تولتها المطامع فالى كنوزهِ فالحبّ تجر نفسها وفي بحرهِ يمخر قلبها فاذا انكسرت السفينة ذبلت آمالها وامحت حياتها وانكسر فؤَادها وما ادراك ما انكسار القلوب

وقد رأيت اله الحب يجور على الرجل فيذيقهُ صنوف العذاب والشقاء ويجرحهُ جروحًا بليغة قد يطول زمان الاستشفاء منها وتعدمهُ الهناء ردحًا من الزمان لكنهُ خلق قوي شديد فيتغلب على هواجسهِ وقلقهِ بما ينخرط فيهِ من اعمال الحياة او بجهادهِ في تيارها او بما يكرعهُ من ضروب الملذات والمسرَّات حتى اذا ما استحال عليهِ البقاء في ارض اصابتهُ فيها السهام ارتحل عنها راكبًا جناحَي النعامة الى حيث يلقى لنفسهِ الراحة والعزاء

اما حظ المرأة من ذلك فغير حظهِ ونصيبها غير نصيبهِ فحياتها حياة وحدة وعزلة وتأمل سميرها افكارها وانيسها عواطفها فاذا صارت هذه العواطف وتلك الافكار رسل الحزن

والغصة اليهـا فاين المهرب من الشقاء والى اين المفرّ الى العزاء . فقد خلقت لتكون موضوع الحبّ والاعتناء فاذا شقيت في الحبّ كان قلبها كالحصن هاجمهُ الاعداء فاحتلوهُ وخرَّبوهُ ونهبوهُ وتركوهُ قاعًا صفصفًا

وكم من عينين براقتين اظلمتا حزنًا وغمًّا وخدين ذبلت ورودهما كدرًا وجزعًا وكم من قامةٍ تزري بالغصن الاملد وراها الثرى لسرّ مدفون في قلب كسير. فالمرأة تكنّ ما في فؤادها من كلوم الحب كما تفعل الحمامة اصاب سهم الرامي منها مقتلاً فضمت جناحيها الى جانبيها وغطت بهما جرحها فهي مطبوعة على الحياء ميالة الى السكينة والهدوّ فاذا لقيت سعادة في الحبّ فلا تجسر على التفوّه بها لنفسها واذا اصابت شقاءٌ فيهِ اضمرت ما بها ودفنتهُ في اعماق صدرها بين اطلال رغد العيش وبقايا هنائهِ وذعتهِ وعادت فاذا الكون قد اسودّت سماؤُهُ واظلم نهارهُ فلا هي ترى في الحياة حبورًا ولا في العيش نعيمًا فتبتعد عن جميع ما يشرح الصدر و يخفق لهُ القلب من الالعاب والرياضات والاحاديث والاجتماعات والافراح والمسرات وتكحل عيناها بالسهاد وتهجرها الراحة وتلازمها الاحلام المزعجة ويمتصّ الحزن دمها فتبيت خيالاً تروّحهُ الرياح وتعبث بهِ الامراض حتى اذا ما انقضى برهة من الدهر اذا بالاهل والاصدقاء ملتئمون حول ضريحها يعجبون لذلك الغصن كيف ذوى قبل الاوان وانلك الطلعة البهية كيف يواريها التراب وتأكلها الديدان ويحدثونك عن زكام اصابها فقضى عليها او توعّك المّ بها فاودى بحياتها لكنهم جهلوا الآفة التي انحلتها وامتصت الحياة من عروقها فغادرتها عرضةً للادواء وفريسة للاسقام

انظر اليها كانها دوحة قد زانت الغاب بجمالها واعتدالها وزهوتها اينعت غصونها واخضرَّت اوراقها وانبسط ظلّها وانما لا يغرّنك ما ترى من جمال وحسن منظر فان في اصلها دودة تنخرها فلا تلبث ان تذوي وانت تخالها باسقة فتطرق اغصانها اطراق الضعيف وتنتثر اوراقها حتى اذا ما اشتدّ بها الضعف سقطت في سكينة الغاب بين جاراتها فاذا تأملها متأمل او نظر اليها ناظر لم يفطن الى الصاعقة التي انقضّت عليها فاتلفتها

وقد شاهدت بنفسي كثيرات من الفتيات علق بهنّ النحول وغلب عليهنّ الذهول ففارقنَ الحياة كانفاس تصعدها الى السماء وكنت ازعم فيمن زعم ان موتهنّ نجم عن ثقل وطأة الامراض الفتاكة كالسلّ وامراض الصدر والضعف فلا البث حتى اجد السبب الاوّل وارى خلال تلك الادواء اعراض الشقاء في الحبّ

واليك خبر واقعة حدثت في ارلاندا واشتهر امرها بين سكان تلك البلاد

لما اتقدت نيران الثورة في ارلاندا كان في من قبضت عليهم الحكومة فتى من خيرة شبانها فحاكمتهُ متهماً بخيانة وطنهِ وصدر حكم المحكمة عليهِ بالاعدام فأعم بين اسف القوم وحزنهم وكان لاعدامهِ وقع شديد في نفوس مواطنيهِ ورنة في جميع اطراف البلاد لأنهُ كان في عنفوان الشباب وزهوة العمر كريم الاخلاق ذكي الفؤاد باسلاً استجمع ما يستحب في الفتيان من الصفات الكريمة والمناقب المحمودة وابدى اثناء محاكمتهِ شمماً وعزة نفس يندر ان يرى مثلها حتى اذا ما اتهموهُ بخيانة بلادهِ اتقدت فيهِ الحمية وانفجرت ينابيع الشهامة وعزة النفس فدافع دفاعاً حشوهُ البلاغة وعنوانهُ الشرف والترفع عن الدنايا لكن ذلك لم يدفع المقدور ولما دنت الساعة ولم يبقَ في القوس منزع حرَّك قلوب القوم واثار نخوتهم بخطبة عزم فيها على الخلَف من بني بلادهِ ان يعيدوا النظر في قضيتهِ بعد موتهِ لتبرئتهِ مما عُزي اليهِ من التهم وهو منها براءٌ وبلغ من اسف الناس لمصابهِ ورثائهم لبلواهُ ان اعداءهُ الالداء انتقدوا خطة السياسة التي افضت الى اعدامهِ

وانما كان بين القلوب الخافقة والنفوس الولهانة فؤاد خيَّم الحزن عليهِ قلب فتاة بارعة في الجمال جامعة لطيب الخلال احبها الفتى واحبتهُ قبل ان تعصف بهِ انواء السياسة فصادف منها فؤاداً طاهراً خلياً فتحت لهُ مخادعهُ واشتدت بينهما ربط الحب والولاء حتى اذا ما جاهر المجاهرون بعداء حبيبها وكثر اعداؤهُ وحسادهُ واصبح الخطر والموت يتهددانهِ زادت ثباتاً في حبهِ وولاءً لعهدهِ كأن مصائبهُ ضاعفت قوة عواطفها ولا غروَ فان ما ألمَّ بهِ حرَّك شفقة الاعداء فأخلقْ بمن وهبتهُ قلبها ان تزداد لهُ ولاءً وفي عهود حبها امانةً وثباتاً وأخلقْ بمن انطبعت صورتهُ في فؤادها وشاركت نفسهُ نفسها ان يسحقها الحزن عليهِ والخوف على حياتهِ بما احدق بها من المخاطر حتى انتهى امرها بالموت مفرق الاحباب

سل الذين رأوا ابواب القبر تفتح ثم تقفل على اعزَّ من احبوهُ وسل الذين وقفوا امام الضريح منفردين عن الخلق كأنهم في عالم مظلم موحش فارقوا فيهِ احبَّ الناس اليهم واجملهم في عيونهم — سلْ هؤلاء ينبئوك بانكسار القلوب واما انباك مثل خبير

وكانت مصيبة الفتاة مزدوجة فانها خسرت حبيبها وقضى محكوماً عليهِ بما يلبس اسمهُ ثوب العار فلم يكن لها من الذكرى ما يبرّد لوعتها ويخفف الم فراقهِ عليها وجفت عيناها فلا ترسلان الدموع تلك الدموع المباركة المرسلة كالندى من السماء لانعاش القلوب ايام الكرب وساعات الفراق فراق الاحباب

وزاد شقاءها سخط ابيها عليها لحديث حبها فطردها من بيتهِ مهانة عقاباً لها واعلاناً لفرط

احتقاره لحبيبها لكنها لم تعدم الاصدقاء والمحبين الذين انتصبوا لحمايتها والاخذ بناصرها فانها لم تكد تخرج من بيت ابيها حتى فتح لها كبراء القوم واعيانهم بيوتهم وقبلوها على الرحب والسعة والارلنديون مشهورون بمكارم الاخلاق وسرعة التأثر وحب الضيافة. ولو كان الحنوّ واللطف والمحبة وطيب المعاملة تزيل غصص الفؤاد لزال ما بها بما افرغوا عليها من الرعاية والاكرام وباجتهادهم في تخفيف كربها وتبريد لوعتها فكانوا يذهبون بها الى محافل اللهو ومجامع الانس لعلّها تجد في اللهو والاحاديث والمعاشرة ما ينسيها حزنها او ما يفطمها عن تذكر واقعة حبها ومصاب من تهواهُ لكنّ مساعيهم حبطت وخابت آمالهم فانَّ من المصائب ما يحلُّ بالمرءِ فيحرق النفس حرقًا ويشويها شيًّا ويدخل الى روض السعادة والهناء فيزيل ما فيهِ فلا يعود يطرح زهرًا ولا يحمل ثمرًا

وكانت الفتاة لا تستنكف من مرافقة اصدقائها الى حيث يريدون ولا تعترضهم فيما يدبرون لها لكنها كانت في المجامع والمحافل كمن هو في اعماق الوحشة والوحدة فكانت تسير فيها ذاهلة عمّا حولها تلوح عليها امارات الشقاء كانها تسخر بما يطيف بها من الملذات واسباب اللهو والفرح وكأَن فواعل السرور كانت تندفع اليها فاذا بلغتها وقفت لا تجسر على التقدم احترامًا لما بها من الحزن المفرط والاسى الشديد

ورآها محدثي في سهرة راقصة تنكَّر فيها الراقصون فكان الطباق كاشدّ ما يمكن ان يكون عليهِ اذ كانت تسير بين اسباب الفرح والحبور وقد سكر القوم بخمرة الجذل والنشاط كأَنها خيال حزين تردّى ثياب البهجة ليخدع القلب الكليم وينسيهُ ولو ساعةً مصائبهُ واحزانهُ . وبعد ان تمشت زمنًا يسيرًا في مقاصير القصر الفاخرة بين جماهير الراقصين والراقصات كأَنها مستهواة جلست على سلَّم الاوركسترا وحدّقت بباصرتيها في الفضاء كمن لا يشعر بما حولهُ ثم اندفعت تغني بما انفجر في قلبها من الحزن اغنية شجية بصوت رخيم وتلحين بديع بسيط ترجم عما كانت فيهِ من الشقاء فتألب القوم حولها مدهوشين ولم تبقَ عين الاَّ دمعت او قلبٌ الاَّ انصدع رثاءً لبلواها وحزنًا لمصابها

وكان ممن عرفها ضابط باسل فهذا احبها شديدًا واعلن لها شغفهُ بها وقال في نفسهِ ان فتاةً تخلص الولاء للموتى الى هذا الحدّ لجوهرة لمن يتزوجها فعرض عليها ان تقترن بهِ فرفضت طلبهُ لان نفسها كانت ممزوجة بذكرى حبيبها فالحّ عليها وزاد في اكرامها وكان من خيرة الفتيان خلقًا وخلقًا ورأت هي ما كانت عليهِ من الفاقة وانها طريدة من بيت ابيها عيال على اصدقائها فقبلتهُ زوجًا بعد ان افهمتهُ انهُ انما يملك قياد يدها واما قلبها فلآخر فقبل منها هذا الشرط واقترنا

وحملها الى صقلية آملاً ان تبديل الهواء والمكان ينسيانها ذكرى، ما صادفتهُ من العناء والشقاء فيغيض ينبوع حزنها على حبيبها الاول فالفى منها زوجة فاضلة وامرأة كريمة ولكن كان السوس قد نخر اصل الشجرة فلم تستطع رد السعادة التي غادرتها . وقصر الدواء عن بلوغ غاية الداء ونفذت في المرض حيل الاطباء فنخر الحزن قلبها وهدّت ذكرى حبيبها ركنها وذابت كما تذوب الشمعة حتى انطفأت فواروها الثرى قتيلة القلب الكسير

ونظم فيها الشاعر مور الارلندي ابياتاً في هذا المعنى

نزلــــ الموت بها مبعدةً عن حبيبٍ بات في ارض الشقاء
حولها الاصحاب يبكون التي لم تذق في عيشها طعم الهناء
فادارت وجهها عنهم وقد هاجها تذكارها عهد الولاء
وبكت والعين قرحي حبَّ من قلبها في قبرهِ يبغي الثواء

رنَّمت اغنيةً يا طالما رددتها عند روضٍ او غديرْ
وحبيب القلب يصغي طرباً قبل ان حلَّ بهِ الخطب الكبيرْ
اطرب السامع ما غنتهُ إذْ خالها قد جازت الامر العسيرْ
اترى السامع يدري انهُ نغمٌ ردَّدهُ القلبُ الكسيرْ

عاش كي يسعد من يهوى وما تَ بحبِّ الوطن الغالي الثمينْ
لم يكنْ يبغي سوى هذين في ال عمر حتى صار في الترب دفينْ
فستجزيهِ بلادٌ مات في حبها الدمعَ على مرِّ السنينْ
والتي تهواهُ ان تلحقْ بهِ فعلى عهد الولا يبقى الامين

قبرها فابنوهُ في الروض النضيرْ حيث نور الشمس يكسوهُ البهاءْ
تطلع الشمس عليهِ فتنيرْ ارضهُ ايام يعتلُّ الهواء
كسلامٍ جاء كالمسك الذفيرْ من بلاد الغرب من ارض الشقاء
وادفنوا في قبرها القلب الكسيرْ علَّهُ يلقى بهِ بعض العزاء

خليل ثابت

سجون المغرب الاقصى

يزور القطر المصري كل شتاء كثيرون من اشراف الانكليز وفي جملتهم ارل ميث وزوجتهُ كونتس ميث . والاثنان من كرام الانام الذين يتذرَّعون بمقامهم وثروتهم لنفع الناس . والظاهر انهما يزوران بلاد مراكش او المغرب الاقصى كما يزوران هذا القطر فقد كتبت كونتس ميث مقالةً في الجزء الاخير من مجلّة القرن التاسع عشر الانكليزية وصفت فيها فظائع السجون في تلك البلاد وصفًا تقشعرُّ منهُ الابدان لا بقصد الوقيعة ولا لمجرَّد العلم باحوال الناس في تلك البلاد بل انهاضًا لهمم الكرام في سائر البلدان حتى يؤَلفوا لجنة من كل الامم الاوربية تسعى لدى سلطان مراكش ليصلح سجون بلادهِ ويمنع الجور عن اهلها . وقد تنجح في تأليف هذه اللجنة وقد لا تنجح وقد تفلح اللجنة في ما تسعى اليهِ وقد لا تفلح ولكن في القطر المصري وبين قرَّاء المقتطف اناسًا كثيرين يحسبون كل بلاد اسلامية وطنًا لهم ويدعون الغيرة الوطنية عليها . وعندنا انهم اذا الّفوا لجنة تسعى لدى سلطان مراكش في رفع الحيف عن اخوانهم كان سعيها مشكورًا وفعلها مأجورًا وتدفع عن تلك البلاد غائلة "التداخل" الاجنبي الذي اذا القى عصاهُ فيها قبل ان تنهض من سباتها ذهب باستقلال اهاليها من سلطانهم الى آخر سوقتهم . واذ قد تمهَّد ذلك نترجم جانبًا مما اوردتهُ كونتس ميث في مقالتها قالت :

ان كلمة "المسجون" في بلاد مراكش لا يراد بها المجرم لان المسجون قد يكون بريئًا من كل جرم مسالمًا للناس اجمع والمجرم قد يكون القاضي الذي حكم عليهِ بالسجن . وليس في مراكش قانون للجنايات فيحكم القضاة حسب اهوائهم يحكمون على الواحد مثلاً بالسجن لان لهُ مالاً يراد ابتزازهُ منهُ واذا ارتكب جناية واراد ان يخلص من عواقبها فما عليهِ الاَّ ان يتخلى عن بعض ما يمتلكهُ فتقلُّ جريمتهُ او يبرَّأ ويؤْخذ بها غيرهُ حتى اذا قيد الى السجن بقي فيهِ الى ما شاء الدينار او حُسب من المنسيين فيترك فيهِ الى ان ينجيهُ الموت منهُ

وقد يذنب رجل فيسجن واحد من اقاربهِ بدلاً منهُ ابوهُ او امهُ او اخوهُ او عمهُ وقد يُنقَل السجين في هذا البلد الى سجن آخر وبلد بعيد يقوم فيهِ مقام سجين آخر اشترى براءتهُ من القاضي بالمال

اخبرني احد الثقات وقد تفقد كثيرًا من السجون انهُ شاهد مرةً عشرين سجينًا في حالة يرثى لها من المرض وسأل عن جرائمهم واسباب سجنهم فلم يجد مَن ينبئهُ عن ذلك وقال لهُ والي البلد ان واليًا آخر ارسلهم اليهِ ليسجنوا ولم يشر الى جرائمهم

ولو سُجن الابرياء والمجرمون او لو أُخذ الابرياء بجريرة المجرمين وعومل الكل بالرأفة او نجوا من العذاب لهان الحال ولكن الامر على ضد ذلك ولولا الامل ان كشف المساوئ يدعو الى ازالتها لسبلتُ ستراً على ما رأيتُ وتركت هذه الفظائع محجوبة الى ما شاء الله فان لها اسوةً بغيرها مما يحتمله نوع الانسان من العذاب الهون في تلك البلاد من الجلد بالسياط حتى الموت وسمل العيون بالحديد المحمى وسلخ الجلد من الايدي ورش الملح عليها وربطها بسيور من جلد البقر الطريء وتركها حتى تتقلص وتقطع اللحم فيفسد وتنقطع الايدي

وكم يموت جوعاً ومرضاً من الذين يقضى عليهم بالسجن . سجن الحكومة الكبير في رباط مكشوف لا سقف له يقي السجناء من شمس الصيف ومطر الشتاء . وسجون داخلية البلاد اسوأ منهُ حالاً لانها كهوف تحت الارض وكثيرون من السجناء يودون لو كانت لهم قبوراً . والاقامة في مراكش الآن تجعل المرء يحسب الموت ملاكاً سموياً يُبعث لانقاذ الناس من الشقاء والعذاب

وتتوقف شدّة الجور والعسف على الولاة فالوالي الظالم الغاشم لا تأخذهُ شفقة ولا يردعهُ عن الحيف جنان . ذهب قائد غازياً وامر برجل ان يجلد ثم لما عاد عن غزوتهِ وجد الرجل في قيد الحياة فاغتاظ وامر بجلدهِ ثانية ومضى الى الجامع يصلي فمات الرجل تحت الجلد . ورأى رجلاً آخر ذنبهُ الوحيد مصادقتهُ للاجانب فامر بهِ ان يوضع في بئر قائماً ويقيَّد هكذا الى ان يموت . وكان ابو هذا القائد حاكماً ظالماً مثلهُ فاضطرَّ شعبهُ ان يصبوا عليهِ زيتاً ويحرقوهُ حياً لكي ينجو من ظلمهِ

اذا عصت قبيلة وابت ان تؤدي الجزية سارت الجنود لاخضاعها وقبضت على من يقع في يدها من رجالها وعادت بهم اسرى مثقلين بالاغلال وقد يموت ثلثهم او نصفهم في اثناء الطريق لشدة ما يقاسون من العذاب الهون . واذا كان القائد قد اخبر بعدد اسراهُ حزَّ رؤوس الموتى منهم وملَّحها وعاد بها حتى لا يقال ان افلت احد منهم واذا اضاع رأساً منها فقد يحزُّ رأس واحد من الجند بدلاً منهُ

ثم ذكرت ان وكلاء الدول في طنجة رفعوا مذكرة الى سلطان مراكش وصفوا لهُ فيها حالة السجون ووجوب اصلاحها فنظر الى طلبهم وامر فاصلح بعضها حيث يسهل ان يرى الاجانب ما فعل . وان كثيرين من فضلاء الانكليز رجالاً ونساء اهتموا بمسألة السجون في مراكش اهتماماً شديداً وهم يبعثون النشرات الى الولاة يطلبون منهم الرفق بالعباد . ولا شبهة عندنا في ان اغراضهم حميدة لا يشوبها شيء من المصالح الذاتية ولكنها قد تصير اساساً " للتداخل "

الاجنبي وما يترتب عليهِ . هب ان كونتس ميث او سواها من النساء الشريفات ذوات المقام في البلاد الانكليزية أُهينت او اعتدى عليها سجَّان او جنديٌّ او والٍ جهلاً منهُ او كرهاً وهب ان ذلك تكرَّر مراراً فما ينجي مراكش من الاساطيل الانكليزية وعلى مَ لا يصلح الناس فسادهم اذا اتخذهُ غيرهم سبيلاً عليهم

وزارت كونتس ميث سجن طنجة وقالت انهُ اصلح من غيرهِ من السجون لانهُ بمرأَى من الاجانب ورأَت هناك رجلاً جُلد الف جلدة لانهُ سبَّ الوالي. ثم رأَت امرأَة انثها تبكي وعلمت من امرها ان ابنها ورجلاً آخر اختصما فوُضعا في السجن وطلبت منها صدقة ترشي السجان بها ليطلق سبيل ابنها فأُعطيت ريالاً ففتح الريال اقفال الحديد واطلق الابن ورفيقهُ . قالت الكونتس ولو اقتصر اطلاق الناس على مثل ذلك ولو كانت السجون خالية من الفظائع لهان الامر وسهل الخطب

ثم اشارت بانشاء اللجنة التي اشرنا اليها سابقاً حاسبة ان حكومة مراكش تصغي الى طلبها لانها تحسبها معضودة من دولها وارتأَت ان تختار هذه اللجنة رجالاً مشهوداً لهم بالهمَّة والمروءة والعفة والدربة يطوفون في بلاد مراكش ويزورون سجونها ويوجهون انظار الولاة الى ما فيها من المساوىء الفاحشة ويتوسطون في الافراج عن الابرياء . ثم وعدت بان تدفع هي راتب واحد من هؤُلاء الرجال . وهذا هو النصح الحميد النصح بالقلم والمال . فهل في هذا القطر مَن يفعل فعل هذه الاميرة الجليلة او مَن يلبي نداءها فيسعى في تخليص مراكش من عيب فاضح ومن بلية قد تقود الى بلايا

وسلطان مراكش الآن مولاي عبد العزيز بن السلطان حسن ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٧٨ وخلف اباهُ في ٧ يونيو سنة ١٨٩٤ وحكمهُ مطلق ولهُ ستة وزراء يستشيرهم في شؤُون بلادهِ اذا اراد والاَّ فلا شأْن لهم الاَّ تنفيذ اوامرهِ

وقد اختلف المقدرون في عدد السكان فقال بعضهم انهم لا يزيدون على مليوني نفس وابلغهم البعض الآخر الى تسعة ملايين واربعمئة الف نفس . في ولاية فاس منهم ثلاثة ملايين ومئتا الف وفي ولاية مراكش ثلاثة ملايين وتسع مئة الف والباقون في بقية الولايات واكثر السكان من البربر . عاصمة البلاد مدينة فاس سكانها مئة واربعون الف نفس

والبلاد جبليَّة طيبة الهواء يصدر منها الصوف واللوز والفول والصمغ والشمع وجلود الماعز ويقال انها من اجود البلدان تربة واصلحها لزرع الحنطة ولو حسنت ادارتها ونشرت فيها وسائل العمران لكانت من اغنى ممالك الارض وامنعها

باب الهدايا والتقاريظ

قاموس الجغرافية القديمة

انتقاد

كل دولة سادت في الاعصر السالفة وشادت معالم الحضارة والعمران تركت من الآثار ما يدل على ما بلغتهُ من السطوة وعلو الشأن مثل المباني على اختلاف انواعها والاغراض التي أُعدّت لها والآثار العلمية والصناعية وغيرها . ومن اهم تلك الآثار اللغة فما من امةٍ رفعت اعلام سلطتها على قطر من الاقطار الاَّ وسارت فيهِ لغتها تبعاً لسنة الارتقاء وتغلُّب الاقوى . يدلنا على ذلك ما نراهُ في تاريخ الممالك القديمة من الاسماء التي تغيَّرت بتغير الدول . هذه مصر لمَّا استولى عليها اليونان قسموها الى اقسام جديدة وابدلوا اسماء المدن الشهيرة باسماء يونانية . ولا يزال اغلب الاسماء القديمة مستعملاً لهذا العهد ولكن لتداولها وانتقالها من أُمةٍ الى اخرى تطرق اليها من شوائب التحريف والزيادة والنقصان ما غيَّر صيغها الاصلية بعض التغيير مثل ابو صير[1] فان اسمها المصري (بو اوسير) ومعناهُ دار اوزيريس وسماها اليونان بوسيرس . واطفيح اصلها (تپاح) فجعلها الاقباط طبيح ثم أُبدلت الباء فاء فصارت طفيح او اطفيح حسب الرسم ثم سماها اليونان افروديتوبوليس اي مدينة افروديت لانها كانت مخصصة لعبادة هاتور (الشعرى اليمانية) وهي ربة الجمال عند المصريين وتسمى افروديت عند اليونان . واسيوط اسمها المصري (ساووت) وسماها اليونان ليكوبوليس ومعناها مدينة الذئاب لانهُ كان يُعبد فيها انوبيس وكانوا يصورونهُ برأس ذئب وغير ذلك مما لا نطيل الكلام فيهِ

وهكذا كان الامر في سورية واسيا الصغرى وبلاد الفرس وارمينية وغيرها من اقطار اسيا واكثر اقسام اوروبا فان كل دولة استولت عليها وضعت للبلاد اسماء جديدة او منحوتة من الاسماء القديمة او استعملت الاسماء القديمة نفسها ولكنها تحرفت بالتداول واختلاف اللغات كما ان العرب لما استولوا على الاندلس وغيرها من بلاد اوروبا ابدلوا بعض الاسماء القديمة باسماء عربية وبعضها حرفوهُ فاصبح بالاصطلاح من قبيل الاعلام العربية

ولا يخفى ما في معرفة هذه الاعلام والوقوف على مآخذها واشتقاقها ومعانيها وما وضعت لهُ من البقاع من الفوائد العلمية والاهمية التاريخية فهي التي اهتدى بها علماء اللغات والآثار

(١) علم على عدة قرى بمصر والمقصودة هنا ابو صير الجيزة التي كانت قسماً من مدينة منفيس

في حل الكثير من مشكلات العلم وتحقيق ما ورد في اخبار الاولين وفي الكتب الدينية من الحوادث التاريخية وتعيين مواقعها الجغرافية

ولولا دلالة الاسماء القديمة على مواقع البلاد التي دُرست معالمها لما تيسر معرفة ما كان فيها من الآثار في سالف الايام وما حوتهُ من الدفائن النفيسة والكنوز الثمينة وما اختصت بهِ من المعابد التي كانت تقام فيها الشعائر الدينية اجلالاً لبعض المعبودات فما تلك الاعلام الاَّ خزائن اودع فيها من اسرار العلوم وكنوزها ما لا ينكشف الاَّ بحل رموزها

هذا فضلاً عما تدل عليهِ بعض الاسماء من الصفات الطبيعية التي تمتاز بها البقاع التي سميت بها ومن هذا القبيل اكثر اسماء بلاد العرب مثل نجد [١] والاحقاف [٢] والحجاز [٣] والعروض [٤] واليمن [٥] كما ان كثيرًا من الجبال سميت باسماء تدل معانيها على البياض لكثرة ما يعلوها من الثلج مثل جبال الالب [٦] ومون بلان [٧] ولبنان [٨] واق طاغ [٩] وهويت مونتز [١٠] ولهذا عُني الاوربيون بوضع القواميس والموسوعات الجغرافية والتاريخية لمعرفة الاسماء القديمة ومآخذها وما تدل عليهِ من البقاع وما يقابلها من الاسماء الحديثة مثل قاموس سميث الجغرافي في اللغة الانكليزية وقاموس بوليه الجغرافي التاريخي في اللغة الفرنساوية وغيرها

وكانت اللغة العربية الى الآن في حاجة الى قاموس من هذا القبيل يُرجع اليهِ عند الحاجة الى معرفة الاعلام القديمة وما يرادفها من الاسماء ويهتدي بهِ المترجمون في ضبط الاعلام العربية التي حرَّفها الافرنج فانهم كثيرًا ما يخبطون في نقلها خبط عشواء فيكتبونها تارةً كما يكتبها الافرنج بلغاتهم محرفة ممسوخة وتارة بصورة لم ترد في كتب العرب ولا في كتب الافرنج. ولا تقتصر فائدة القاموس على الذين يعرفون اللغة العربية دون غيرها من اللغات بل يحتاج اليهِ كل من كان عالمًا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية لان جميع القواميس الافرنجية التي من هذا القبيل غير وافية بالمراد في بيان حقيقة الاعلام العربية التي لا يتيسر الوقوف عليها الاَّ باستيعاب ما كتبهُ العرب في وصف الاقاليم والبلدان واخبار الامم

وخلاصة القول ان هذا القاموس لا يستغني عنهُ عالم او اديب بل هو من الضروريات في اللغة العربية وقد قام بتحقيق هذه الامنية حضرة الفاضل احمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار فوضع قاموسهُ الجغرافي الذي طبع منذ عهد قريب وقد قال في مقدمتهِ "واذا نال هذا الكتاب

(١) لانها مرتفعة (٢) معناها الرمال العظيمة المستطيلة (٣) لانها حاجز بين نجد وتهامة (٤) لاعتراضها بين اليمن ونجد (٥) لانها واقعة على يمين الكعبة (٦) معناها ابيض باللغة اللاتينية (٧) اي الجبل الابيض باللغة الفرنساوية (٨) لفظة عبرانية تدل على البياض (٩) اي الجبل الابيض باللغة التركية وهو اسم جبل في ولاية ارضروم (١٠) اي الجبال البيضاء باللغة الانكليزية وهو علم على جبال في اميركا الشمالية

الصغير من الاقبال ما هو خليق بهِ تشدَّدت عزيمتي لابراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعتهُ في هذا الموضوع المفيد" فلهُ من ابناء اللغة العربية مزيد الشكر والثناء على هذا العمل الخطير

ولما كنتُ ميالاً للبحث في الاعلام القديمة اقبلت على تصفح هذا المعجم الصغير اقبال الصادي على المورد العذب فعنَّ لي وانا التقط من فرائدهِ بعضُ ملاحظات جديرة بالامعان رأيتُ من الواجب اتماماً للفائدة ان استميح حضرة المؤلف الفاضل في ابدائها لعلها تقع عندهُ موقع الاصابة والاستحسان فيتفضل باستدراكها في القاموس الكبير الذي اشار اليهِ في المقدمة

(١) جعل عنوان كتابهِ " قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي" فهذه التسمية وان كانت تنطبق على بعض ما ورد فيهِ من الاعلام القديمة المكتوبة بحسب اصطلاح اللغة الفرنساوية مثل Mésopotamie, Olympe, Babylone الاَّ انهُ لا يحسن اطلاقها بوجه التعميم لان جميع ما حواهُ هذا القاموس انما هو اعلام قديمة اصلها مصري او فينيقي او يوناني مكتوبة فقط بالحروف اللاتينية التي هي حروف كل اللغات الاوربية كما انهُ حوى كثيرًا من الاعلام الفارسية والتركية فكان الاولى على ما ارى الاكتفاء بتسميتهِ "قاموس الجغرافية القديمة"

(٢) في الكلام على جزيرة انس الوجود (صحيفة ١٦) ذكر اسمها المصري القديم والاسم اليوناني المنقول عنهُ واسمها الوارد في بعض كتب العرب ولم يذكر الاسمين اللذين اشتهرت بهما وهما جزيرة البربا وجزيرة هيف

(٣) عند ذكر اهناس المدينة[١] (صحيفة ١٧) وهي بلد بصعيد مصر قال ان اسمها عند اليونان هيراكليوبوليس[٢] على ان صحة هذا الاسم هيراكليوبوليس مانيا (الكبرى)[٣] تمييزًا لها عن هيراكليوبوليس بارفا (الصغرى)[٤] وهي مدينة أُخرى على بُعد ٢٥ كيلو مترًا من صان (تانيس القديمة) وتسمى الآن تل الشيرج

وكثيرًا ما يسمي اليونان مدينتين باسم واحد متى كان معبودهما واحدًا ولكنهم يميزون احداهما عن الاخرى بكلمتي مانيا اي الكبرى وبارفا اي الصغرى مثل ابولونو بوليس مانيا (وهي ادفو الآن بمديرية اصوان) وابولونو بوليس بارفا (وهي قوص بمديرية قنا) وهرمو بوليس

---

(١) اهناس تحريف (هاخننسو) وهو اسمها المصري القديم ووردت في التوراة باسم حانيس (اشعيا ٣٠ : ٤)

(٢) ماسبرو وقاموس بوليه وغيرها ومعنى هيراكليو بوليس مدينة هرقل وهو اله القوة عند اليونان واسمهُ ملكارث عند الفينيقيين

(٣) خطط مصر للمرحوم علي مبارك باشا جزء ١٧ وجه ٣٦

(٤) معنى ابولونو بوليس مدينة ابولون وهو اله الشمس والفنون والآداب عند اليونان ويسمى (حور) اي العلي عند المصريين

مانيا[١] (وتسمى الاشمونين الآن بمديرية اسيوط) وهرموبوليس بارفا (وهي دمنهور الآن بمديرية البحيرة)

(٤) عند ذكر البقاع او بقاع العزيز (صحيفة ٢٤) وهو الوادي الفاصل بين لبنان الشرقي ولبنان الغربي لم يذكر اسمهُ المشهور وهو سهل البقاع

(٥) من اسماء بلاد بين الهندين الجزيرة الفُراتية ولم يذكر هذا الاسم في الكلام على هذه الجزيرة (صحيفة ٣٤)

(٦) عند الكلام على العاصي (صحيفة ٥٧) وهو النهر المشهور في بر الشام لم يذكر اسمهُ اليوناني وهو اكسيرس[٢]

(٧) قال في تعريف قبط او قفط (صحيفة ٦٣) " مدينة بصعيد مصر اسمها البربائي كوبش واليوناني كپتوس Coptos وعنها اسم الطائفة القبطية ومنها اشتق الافرنج لفظة Egypte الدالة . على القطر المصري " على ان كلمة قبط الدالة على الامة القبطية ليست مأخوذة عن اسم مدينة قفط كما ذهب اليهِ حضرة المؤلف بل اصلها ايجيپتوس (بحذف المقطع الاول للتخفيف) وهو الاسم الذي اطلقهُ اليونان للدلالة على القطر المصري وهو منحوت من هاكو بتاح Ha-Ku-Ptah ومعناهُ دار عبادة بتاح وهو الاسم المقدس الذي كانت تسمى بهِ قديمًا مدينة منفيس[٣] هذا ما اجمع عليهِ علماء الآثار المصرية مثل بروكش وماسبرو في تاريخهِ الكبير عن قدماء امم المشرق المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ صحيفة ٢٤ وصحيفة ٥٥ وحققهُ اخيرًا البروفسور سايس وهو من اشهر علماء الآثار الانكليز بعد قراءة الالواح الاثرية التي وُجدت في تل العمارنة . امَّا ما ذهب اليهِ البعض من قبل في اشتقاق هاتين الكلمتين من المذاهب والآراء فلا يعوَّل عليهِ الآن

(٨) عند الكلام على بلاد الكلدان (صحيفة ٦٩) لم يذكر اسمها المشهور في كتب الجغرافية وهو العراق العربي وهو الاسم الذي يدل على هذه البلاد بما فيها المملكة البابلية

(٩) عند ذكر مدينة منبج اومنبج (صحيفة ٧٦) قال انها مدينة في تركية اوروبا والحقيقة انها في تركية اسيا واسمها القديم Bambyce وعنهُ الاسم العربي وتسمى ايضًا هيرابوليس[٤]

---

(١) معنى هرموبوليس مدينة هرمس وهو اله الحكمة والعلوم عند اليونان و يسمى (تحوت) عند المصريين

(٢) ذهب فولنى الى ان هذا الاسم ماخوذ عن الاسم العربي

(٣) تسمى ايضاً باللغة المصرية (من نوفر) ومعناهُ المكان العظيم وعنهُ اخذ اليونان اسم منفيس (العقد الثمين لاحمد بك كمال)

(٤) اي المدينة المقدسة

(١٠) لما اورد اسم هليوبوليس في حرف الهاء صحيفة ر ٨٢) قال " انظر المطرية وعين شمس " على ان هليوبوليس علَم على مدينة أُخرى في بر الشام وهي بعلبك الشهيرة بآثارها العجيبة واعظم تلك الآثار هيكل الشمس ولذلك سماها اليونان بهذا الاسم ومعناهُ مدينة الشمس فمن الضروري اذن التنبيه الى ذلك لئلا يتوهم القارئ ان هليوبوليس علَم على المدينة المصرية دون غيرها

هذا ما رأيتهُ بعد مراجعة ما لديَّ من الكتب الافرنجية والعربية التي يُعوَّل عليها في هذا الموضوع وارجو من حضرة المؤلف الفاضل المعذرة لاقدامي على مجاراتهِ في هذه الابحاث المهمة فما دعاني الى ذلك غير الرغبة في الوصول الى الحقيقة التي هي الضالة المنشودة والغاية المقصودة

حبيب غزاله

القاهرة بمصلحة الصحة العمومية

التساهل الديني

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين :

بينما انا اطالع المقتطف الاغر عثرت في باب المراسلات منهُ على كتاب من حضرة الفاضل الارشمندريت خريسطفورس جباره يرفع بهِ عليكم احتجاجاً خفيًّا لاستحسانكم آرائي في التساهل الديني ويحاول معارضتي في المبدإ الذي ما زال مصباحاً منيرًا لارباب العلم والفلسفة يستضيئون بهِ في التفتيش الغير منقطع على ضالتهم المنشودة اي الحقيقة فهو يريد ان يقول وكلامهُ السلبي في هذا المعنى واضح بان التساهل الديني بعيد التناول سيئ العاقبة فيهِ من الكفر والضرر ما لا يرضي الله والناس وان التوفيق بين الاديان يأتي بعكس هذه النتائج اي انهُ سهل التناول حسن العاقبة الخ . ولا يخفى على من اعار المسألة قليلاً من التأمل ان دعوة الارشمندريت المحترم لا تتم قبل ان يشمل روح التساهل اصحاب الاديان المختلفة . فالتوفيق بين الاديان التوحيدية لا يكون الاَّ نتيجة التساهل الديني الذي ندعو اليهِ الآن . والمسألة واضحة لا تقتضي كثير جدال . فلنأخذ قضية الوهية المسيح مثلاً وان كانت لاهوتية اكثر مما هي عقلية فكيف يمكن لنا ان نوفق بين ائمة الاسلام واكليروس النصارى فيما يختص بها من الخلاف اذا ما تساهلنا في التفسير وتسامحنا في بعض الشروحات واغمضنا الطرف عن بعض الاقاويل التي تعرقل مساعي طالبي التوفيق وتحول دون بغيتهم . فالائمة يقرون لنا بنبوة السيد وهم علينا من هذا القبيل حق الشكر على الاقل اما نحن فلا نشكر ولا نسكت بل نطلب

منهم اكثر من ذلك . نحن نريد منهم ان يعترفوا لنا بالوهيتهِ وان يقروا بكونهِ ابن الله وهم لا يفعلون ذلك فما العمل اذن ؟ أيستطيعون ان يوفقوا دون ان يتساهلوا أليس من الواجب على كل منهم ان يتنازل عن بعض حقوقهِ ويلاقي خصمهُ الى منتصف الطريق ؟ ايتم بينهم اتفاق اذا ظلوا متمسكين بعقائدهم كلها ؟ ان التساهل يعقد بينهم معاهدة الصلح اذ لا يستتب السلام قبل ان يتنازل كلا الطرفين عن بعض حقوقهم . وانا لا اطلب ذلك اذ اراهُ ضرباً من المحال غير اننا ننادي بالتساهل لانهُ يؤدي بنا الى شيءٍ من هذا التوفيق .

اما الاب المحترم فيظن التوفيق بين الاديان امرًا سهلاً ويبني ظنهُ على علمهِ الراسخ بالكتب المنزلة وعلى تفسيرهِ الخصوصي لبعض الآيات الالهية مستنجداً تصوراتهِ الشخصية لتحقيق ظنهِ ولا نجد بين خدمة الدين مسلمين كانوا او يهوداً او نصارى الاَّ القليل من الذين يدققون النظر في الكتب المنزلة ويحكّمون البصر والعقل في تفسير آياتها فكيف يمكن والحالة هذه ان ينتشر مبدأهُ ويقبل الناس على دعوتهِ التي يظنها قريبة التناول سهلة المأخذ ؟

اما الدعوة الى التساهل الديني الذي بينت فوائدهُ اكثر من مرة فهي ليست مبنية على تصورات او آراء شخصية يشتم منها روح بدعة بينها وبين الحقيقة العملية عداوة كبيرة بل على شواهد تاريخية وادلة عقلية وبراهين فلسفية . والتساهل الديني منتشر الآن في كل البلدان المتمدنة وليس العمل بهِ ضرباً من المحال فكما عم انتشارهُ بين الاوربيين وظهرت لهم نتائجهُ الحسنة لا ارى تعميمهُ بين الامم الشرقية امرًا مستحيلاً وليس فيهِ من الضرر ما يتوهمهُ الناس فهو الجاذب الوحيد الذي يجمع بين العناصر المتفرقة ويؤلفها

وبعد هذا وذاك ألا يجب على محبي السلام ان يوفقوا بين الشيع المسيحية المتعددة قبل ان يحاولوا التوفيق بين الاديان التوحيدية الثلاثة ؟ اقول هذا لنفسي ولحضرة الاب المحترم ولاصحاب المقتطف الافاضل فقط اذ انني اعجب واحزن لا بل اخجل اذ ارى المسيحيين وهم منشقون بعضهم على بعض يبشرون بالمحبة ويدعون الناس الى السلام والاتفاق . فلنتحد الفروع اولاً ثم فلنطلب اعادتها الى الاصل الواحد المشتقة منهُ

وحبذا لو ان الاب المحترم اغفل الاشارة الى الكفر الذي يريد ان يرمي بهِ اصحاب التساهل اذ انهُ بعد فحص ضميرهِ يجد باننا واياهُ في حالةواحدة فالكنيسة لا تفرق البتة بين طالب التوفيق ومحب التساهل فهما في عرفها شخص واحد او بالحري فرعا شجرة واحدة . واذا لمَّح مرة اخرى الى الكفر والضلال فليتذكر بانهُ زعيم مبدإٍ لا تقرلهُ بصحتهِ كنيستهُ وليذكر ايضاً بان الكفر لفظة نسبية فما يُعَدُّ كفرًا في دائرة الفاتيكان مثلاً لا يُعد كفرًا في بلاط وستمنستر في لندرا

وغاية ما اريد اظهارهُ في هذه الرسالة هو ان التساهل يمهد السبيل الى الاتفاق فيجب على محبي السلام وطالبي التوفيق ان يساعدوا اولاً في بث روح التساهل بين الناس فيأتيهم بعدئذٍ التوفيق عفوًا دون جهاد وبغير عناء . والذي يطلب التوفيق من غير باب التساهل يصح بهِ المثل الانكليزي القائل "قد كدن الجواد الى مؤخر المركبة" او بعبارة اوضح هو كمن يريد ان يهضم قبل ان يأكل امين فارس ريحاني

من نيويورك في ٢٠ ايار سنة ١٩٠١

حاضر المصريين او سرّ تأخرهم

انشرف باخباركم انني وفقت الى تأليف كتاب اجتماعي يبحث عن حاضر المصريين . وهو في ثلاثة اقسام قسم يبحث عن الاغنياء وآخر عن الوسط وثالث عن الفقراء

فالقسم الاول يتضمن كلامًا مسهبًا عن . الاغنياء والعصبية . زواج الاغنياء . المحبة بين الزوجين الغنيين . العشرة بينهما . تربية اطفال الاغنياء . تعليم اولاد الاغنياء . تعليم بنات الاغنياء . اولاد الاغنياء واللغة العربية . ذين اولاد الاغنياء . المحبة الاخوية . عوائد اولاد الاغنياء المستحدثة . اوهامهم . كرم الاغنياء الماضي وبخلهم الحاضر . الاباء الاغنياء في نظر الابناء . الاغنياء والموت . سلوك الابناء بعد موت الاباء . مقاضاة اولاد الاغنياء . بيوت الاغنياء الخربة أخيرًا وعددها . المجالس الحسبية واولاد الاغنياء . (من هذا الفصل يعلم عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم في المحافظات والمديريات)

والثاني وهو في حالة الوسط من الامة . يبحث عن . وسط الامة . الجامع الازهر الازهريون . (وفي هذا الباب تاريخ الجامع الازهر منذ انشائهِ الى الآن وعدد الطلبة والمدرسين الذين فيهِ وميزانيتهُ اخذناها من مولانا العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية) . العلماء . الوعظ والوعاظ . القرآن والفقهاء . المحاكم الشرعية وحاضرها . المدارس الابتدائية . المدارس التجهيزية . المدارس العالية . مدارس تعليم البنات (ويدخل في هذا احصاء لعدد بنات المسلمين اللواتي في المدارس حالاً . وعدد بنات الاقباط ومنهُ يظهر الفرق جليًّا بين الطائفتين) . الجمعيات . الاستخدام والمستخدمين . التجارة . الزراعة . الصناعة . المطابع والطباعة . (وفي هذا الفصل احصاء لعدد الكتب والرسائل التي طبعت في مدة الخمس سنوات الماضية) . الكتب والمؤلفين . كتاب "سر تقدم الانكليز السكسونيين" كتابي "تحرير المرأة والمرأة الجديدة" . السياسة . الجرائد السياسية . الاسلامية . (وفي هذا

تاريخ لانشاء الجرائد في مصر وحقيقة حالتها الحاضرة ودرجة تأثيرها واحصاء للجرائد السياسية التي ماتت في الخمس سنوات الماضية) . المجلات العلمية (وفي هذا الفصل ايضاً احصاء للمجلات التي ظهرت ثم احتجبت ولم تظهر ثانية واسباب ذلك) الجرائد الدينية . خلاصة القول عن الجرائد . (وعدد ما عند كل طائفة من الطوائف المؤلفة منها الامة المصرية) . الوطن والوطنية . الوطنية في عرف الشرقيين وعلة شقائهم . فساد الاعتقاد بارتباط الدين بالوطنية . الحاصل الآن في مصر . حقيقة مصلحة المصريين . الاسراف او ميزانية الهدم في الامة (ويعلم من هذا عدد القهاوي ومحلات اللهو والخلاعة في مصر) . الغناء والحماسة . شباننا وحاجاتهم

والثالث وهو في حالة الفقراء . يعلم منهُ من هم الفقراء على اختلاف طبقاتهم وعوائدهم في اعراسهم ومآتمهم واحاديثهم واوهامهم وخرافاتهم وآدابهم ودينهم وتعصبهم وصنائعهم وحرفهم وجبنهم واحتياجاتهم واحصاءات عنهم لا توجد في كتاب آخر ولم يفتكر فيها احدٌ . ثم فصل ختامي عن الاوقاف الاسلامية المصرية وحقيقة حاضرها وقلة نفعها ولو كانت محبوسة للنفع والفائدة

والخلاصة ان مَن يطالع هذا الكتاب يقف على كل عوامل الانحطاط التي في الامة المصرية وتبين لهُ حقائق كثيرة حميدة ومرذولة ولاسيما في المسلمين منهم . وحجم الكتاب يزيد عن خمس مئة صفحة بقطع مجلة المقتطف هذا ما نحيط بهِ علمكم الشريف محمد عمر

[المقتطف] اطَّلعنا على فصول من هذا الكتاب فوجدنا المؤلف لم يدَّخر وسعاً في البحث والتنقيب حتى جمع فيهِ من الحقائق والفوائد والنوادر والاحصاءات ما يتعذَّر على غيرهِ جمعهُ او الوقوف عليهِ فهو خزانة اخبار وفوائد تلذُّ مطالعتها وتفيد . وقد عرضهُ للاشتراك وجعل قيمة الاشتراك فيهِ ١٥ غرشاً صاغاً وبعد طبعهِ ٢٠ غرشاً وترسل قيمة الاشتراك اليهِ في مخزن البوسطة بمصر حوالات او طوابع بوسطة مصرية



باب الزراعة

زراعة القطن في مصر

اطلعنا على مقالة مفيدة في مجلة الجمعية الزراعية للمسيو بنا كي وصف فيها تنوعات القطن التي تزرع الآن في القطر المصري والتي كانت تزرع فيهِ قبلاً ونسبة بعضها الى بعض من حيث

جودتها واسعارها فقال ان التنوعات التي تزرع الآن في القطر المصري اربعة وهي الميت عفيف والعباسي واليونوفتش والاشموني . الثلاثة الاولى منها تزرع في الوجه البحري والرابع يزرع في الوجه القبلي

والعفيفي (او الميت عفيف) اقدم التنوعات الثلاثة التي تزرع الآن في الوجه البحري ويفضلهُ الغزالون على غيرهِ للونهِ وخواص شعرهِ وهو ينضج باكرًا ويصفي اكثر من غيرهِ عند الحلج وجمعهُ سهل وسوقهُ رائجة واسعارهُ منتظمة . والعباسي يتلو العفيفي ومحصولهُ مثل محصول العفيفي او اكثر منهُ ولكن سوقهُ محدودة واسعارهُ غير منتظمة كاسعار العفيفي . وقد ارتفع سعرهُ هذا العام كثيرًا لقلة زراعتهِ ولاسباب اخرى تجارية وقتية لكن سعرهُ لا يهبط عن سعر ما يساويهِ نوعًا من العفيفي وهذا يطلق على الجمعة الاولى منهُ اما الجمعة الثانية والثالثة فدون الاولى كثيرًا ولاسيما اذا مزج بغيرهِ لان شعرة جمعتيهِ الثانية والثالثة غير متينة وهذا يحط قيمتهُ في عيون الغزّالين . واليونوفتش حديث وجد منذ ثلاث سنوات او اربع وشعرتهُ دقيقة متينة حريرية ويصفي اقل من التنوعين الآخرين ثمانية في المئة الى عشرة وهو والنوع الجيد من العباسي يضارعان اجود تنوعات القطن الاميركي المعروفة بفَيْن فلوريدا وسي ايلند العادي . والغالب ان محصولهُ اقل من محصول العفيفي والعباسي وقد يكون مثل محصولهما . والجمعة الثانية والثالثة منهُ احسن من الجمعة الثانية والثالثة من العفيفي والعباسي

اما الاشموني فيزرع الآن في الوجه القبلي . وقد اشار المسيو بناكي بان يشرع في ابدالهِ بالعفيفي تدريجًا حتى اذا اتسعت زراعة القطن في الوجه القبلي بعد اتمام الخزان يكون القطن العفيفي قد تأصَّل فيهِ فانهُ اذا مضى عليهِ سنتان في الوجه القبلي وأُحسنت خدمتهُ زاد ما يصفيهِ في السنة الثانية خمسة الى سبعة في المئة فزاد ثمن القنطار عشرين الى ثلاثين غرشًا. وهناك تنوعات اخرى كالباميا والحمولي والابيض والقليني والحريري ولكنها كلها زالت من الوجه البحري لان ليس فيها من المزايا ما يفضلها على غيرها ومحصولها غير كثير

والمزية التي يمتاز بها القطن المصري ويتوقف عليها غلاء ثمنهِ هي ان شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فاذا اريد انتقاء التقاوي وجب ان ينظر الى هذه المزايا في القطن الذي تختار التقاوي منهُ

واشار المسيو بناكي بعد ذلك الى فائدة السماد وقال ان السباخ البلدي وحدهُ لا يفيد القطن اي انهُ لا يصلح نوعهُ ولكنهُ اذا مزج بسماد كيماوي او اذا مزج بالبودرت المصنوع في القاهرة كانت الفائدة كبيرة . وقد اشار بذلك الى التجارب الزراعية التي نشرها المستر فودن في الجزء الاول من المجلة الزراعية الصادر في فبراير الماضي وذكرنا خلاصتها في جزء مارس من

المقتطف . واهم ما فيها ان السباخ البلدي الممزوج بالبودرت افاد اكثر من غيرهِ وان استعمال البودرت تكبيشاً خير من استعمالهِ على صورة اخرى

ولكن من يمعن نظرهُ في التجارب التي ذكرها المستر فودن يجد اولاً انها قليلة جدًّا لا يمكن ان يبنى عليها حكم وثانياً ان نتيجتها غير مضطردة وثالثاً ان بعض الاسمدة لا يفيد شيئاً بل من استعمالهِ خسارة كبيرة و بعضها فائدتهُ قليلة جدًّا كما ترى من الجدول التالي والقسم الاول منهُ عن ارض جيدة زرعت قطناً عباسيًّا والثاني عن ارض منهوكة زرعت من القطن العفيفي

		رطل	قنطار	ثمن السماد	ثمن القطن	الربح	الخسارة
الاول	غلة الفدان بغير سماد	٢١١	٥	٠	١٤١٨		·
	غلتهُ بسماد نيترات الصودا	٢١	٣	٩٤	٠٨٦٦		٨٦٠
	" " اعلى فصفات	١٣٠	٦	١١٥	١٦٠٠	٦٧	
	" " الكاينيت	٠٧٠	٦	٧٠	١٥٥٠	٦٢	
الثاني	غلة بغير سماد	١٧٦	٥	٠	١٣٩٠		
	" السماد الغوانو	٢٨٣	٦	٣٥٠	١٧٢٥	٠	١٥
	" نيترات الصودا	١٩٣	٦	٩٤	١٦٥٢	١٦٦	
	" اعلى فصفات	٢ ٦	٥	١١٥	١٤١٠		٩٥
	" الكاينيت	١٩٦	٥	٧	١٤٠٢		٥٨
	" البودرت	٠ ٣	٧	٢٧٦	١٧٥٠	٨٦	

وقد فرضنا ثمن القنطار فيها ٢٥٠ غرشاً لا ثلثمئة غرش كما فرضهُ المستر فودن لان الثمن الذي فرضناهُ اقرب الى متوسط ثمن القطن . واذا كان الثمن اقل من ذلك قلَّ الربح من استعمال البودرت ونحوهِ من الاسمدة المفيدة . ولذلك ولان هذه التجارب قليلة جدًّا حتى الآن لا يصحُّ الاعتماد عليها

اما اختلاف النتيجة فقد يمكن تعليلهُ باختلاف الارض لان التجارب الاولى أُجريت في ارض جيدة والثانية في ارض منهوكة ولكنَّ الاختلاف كبير جدًّا ولا سيما في نيترات الصودا فانهُ كان من استعمالهِ في التجربة الاولى خسارة كبيرة ٨٦٠ غرشاً للفدان الواحد وفي التجربة الثانية ربح يساوي ١٦٦ غرشاً . والظاهر ان البودرت لم يستعمل في التجربة الاولى وسواء استُعمل او لم يستعمل فالربح قليل منهُ لا يساوي ما يقتضيهِ استعمالهُ من العناية وما يحتمل

حدوثهُ من الغش او من الضعف في نوعهِ ولو عن غير قصد الغش

ولذلك كلهِ لا نظن ان احدًا من ارباب الزراعة يبتاع سمادًا كيماويًا غاليًا يسمد بهِ قطنهُ الاَّ على سبيل التجربة في بقعة صغيرة جدًّا من الارض

واذا ثبتت فائدة السماد بالامتحان يبقى على الحكومة ان تمتحن انواع السماد وتعطي اصحابها شهادة بما فيها من العناصر اللازمة لجودة القطن . وخير من ذلك ان يتفق اصحاب السماد والمزارعون على ان يكون ثمن السماد جانبًا مما يزيد في المحصول كأَن يسمد المزارع مئة فدان من اطيانهِ بالسماد المعطى لهُ ويترك عشرة افدنة من غير سماد فما يزيد في متوسط غلة المئة فدان يكون جانب منهُ لصاحب السماد . مثال ذلك سمدزيد مئة فدان بالبودرت وترك عشرة افدنة من نوع الاطيان الاولى من غير سماد فبلغ متوسط غلة الفدان من هذه خمسة قناطير ومتوسط الفدان من الاولى سبعة قناطير فالقنطاران زادا بفعل السماد . ويتفق الاثنان اولاً على اقتسامهما كأَن يأخذ صاحب السماد قنطارًا منهما بدل سمادهِ والمزارع القنطار الآخر بدل تعبهِ ومخاطرتهِ . وهذا الاسلوب متبع عند الذين يقدمون بزر القز لمربي الدود في بعض البلدان فانهم يأخذون جانبًا من المحصول بدل ثمن البزر

بنجر السكّر

ابنّا في مكان آخر في هذا الباب ان السكّر الذي يُستخرج من القصب يقل عن ثلاثة ملايين طن في السنة والسكر الذي يستخرج من البنجر يزيد على خمسة ملايين ونصف مليون طن او ان سكر البنجر صار مضاعف سكّر القصب على قدم استخراج السكر من القصب وحداثة استخراجهِ من البنجر فانهُ استخرج من القصب منذ اكثر من الف سنة ولم يستخرج من البنجر الاَّ منذ نحو مئة سنة وكان المستخرج منهُ في اوربا كلها منذ خمسين سنة ١٦٠ الف طن لا غير

وقد اشرنا غير مرة الى ان البعض جلبوا بنجر السكر الى هذا القطر وامتحنوا زراعتهُ فيهِ وهم يرجون انها تكون زراعة رابحة

والظاهر انهُ يمكن زرع البنجر في القطر المصري في كل فصل من فصول السنة ولكن اذا اريد تشغيل المعامل في اوقات محدودة فلا بدَّ من ان يكون الزرع ايضًا في اوقات محدودة ومن رأي المستر فودن ان الزراعة الصيفية تبتدئ في الوجه القبلي من فبراير وتنتهي في آخر ابريل اما في الوجه البحري فلا يمكن التبكير كذلك لان الارض التي يمكن خدمتها باكرًا تزرع الآن قطنًا ولا يسهل اقناع الناس بزرع البنجر في ارض تزرع قطنًا ولكن الفول يزال

من الارض في ابريل فيمكن زرعها بنجرًا بعده‌ُ . ثم ان الحنطة والشعير يحصدان في مايو فيمكن زرع البنجر بدلاً منهما واذا بقي البنجر في الارض ستة اشهر الى سبعة يبقى الوقت كافيًا بعده‌ُ لزرع الارض وارض البنجر تصلح لزرع القطن لانها لا تستدعي الاَّ قليلاً من الخدمة

والموسم الشتوي يزرع من اغسطس الى اوائل اكتوبر ثم يجنى من يناير الى آخر ابريل حسب وقت زرعهِ

وقد ابانت التجارب التي جرِّبت في العام الماضي ان السكر يكون كثيرًا في البنجر حسب المنتظر او اكثر من المنتظر . ولكن غلة الفدان من البنجر كانت اقل من المنتظر فمعظم ما بلغتهُ احد عشر طنًّا و ٧٢ في المئة في ارض الجمعية الزراعية في الجيزة واقل ما بلغتهُ نحو سبعة اطنان في اراضي القصر العالي في كفر الحمام والمتوسط نحو تسعة اطنان مع ان المتوسط في فرنسا اكثر من احد عشر طنًا وفي المانيا اكثر من اثني عشر طنا

الاَّ ان ما نقص في محصول الارض يستعاض اكثره‌ُ من مقدار السكر فان السكر في فرنسا نحو ١٠ ونصف في المئة من وزن البنجر وفي المانيا ١٢ في المئة واما في القطر المصري فظهر انهُ من ١٥ الى ١٦ في المئة من وزن البنجر فيكون السكر الحاصل من الفدان الواحد في القطر المصري مثل السكر الحاصل من الفدان الواحد في المانيا ولكن يبقى فرق مهم وهو ان ضريبة الفدان في القطر المصري تزيد كثيرًا على ضريبة الفدان في كل البلدان فلا بدَّ من الاهتمام بزيادة محصول الفدان لكي تكون هذه الزراعة رابحة ويقول المستر فودن ان زراعة البنجر لا تكون رابحة الاَّ اذا بلغت غلة الفدان ٤٠٠ قنطار الى ٤٥٠ قنطارًا حتى تفي بنفقات خدمتهِ الكثيرة ويبقى منها ربح كاف

واصلح الاراضي لزرع بنجر السكر الارض الطينية الرملية اي الارض الخفيفة التي يسهل حرثها وعزقها وامتداد الجذور فيها واما الارض الثقيلة الطينية الصلبة فلا تصلح لانهُ يصعب على جذور البنجر النمو فيها . ولا بدَّ من حرث الارض مرارًا وتنعيم ترابها جيدًا ويجب ان يكون الحرث عميقًا ثم تمهد وتسهل حتى تعتدل وتعمها مياهُ الري ولا يركد الماءُ في بعضها . ثم تخطط خطوطًا البعد بين الخط الواحد والآخر ٧٥ الى ٨٠ سنتيمترًا من رأس المصطبة الواحدة الى رأس المصطبة الأخرى ويزرع بزر البنجر في ثقوب متوالية على جانبي المصطبة والبعد بين الثقب والآخر ١٨ سنتيمترًا في الارض الضعيفة الى ٢٢ سنتيمترًا في الارض الجيدة ويكفي ان يكون عمق الثقب ثلاثة سنتيمترات . وتروى الارض بعد زرع التقاوي فيها كما تروى وقت زرع القطن . او تروى قبل الزرع ثم تزرع حالما تجف قليلاً .

ويمكن زرع البزر في اسفل الخط و يغطى حينئذٍ بقليل من التراب باليد و يكون البعد بين نبات وآخر اربعين سنتيمترًا

و يبتدئ النبات يظهر بعد زرعهِ بخمسة ايام الى ستة ولا يتم ظهوره كلهِ قبل عشرة ايام الى ١٥ يومًا و يعزق بالفاس ويخفف حينما يصير في كل نبات اربع ورقات حتى لا يبقى الاَّ نبات واحد في كل نقطة واذا كان الزرع في المصاطب فكثير من النبات لا يظهر ابدًا ولا بدَّ من ترقيعهِ حينئذٍ بنقل نبات آخر الى مكانهِ اما من النبات الذي قلع بالخف او من مكان يزرع فيهِ النبات لاجل الترقيع خاصة وهذا هو الافضل

واذا كان الزرع في قلب الخطوط بين الاتلام فقلما يبقى مكان فارغًا من النبات . ويخفف النبات حينئذٍ بسهولة وقت عزقهِ

ولا يبقى من الخدمة بعد ذلك الاَّ العزق الكثير والري القليل من وقت الى آخر. والغالب ان البنجر يحتاج الى اربع ريات او خمس فقط لان جذره طويل يغور في الارض كثيرًا ويجد فيها الرطوبة اللازمة له والماء الكثير يضرُّ بهِ . واذا ذبل الورق في منتصف النهار فلا يدل ذلك على عطشهِ لانهُ يعود فينتعش من نفسهِ في الليل

وقد عرضت شركة تكرير السكر جوائز كبيرة لمن يزرع البنجر ويكون حاصل الفدان عندهُ اكثر من حاصلهِ عند غيرهِ وجعلت الجوائز لمن يزرع خمسين فدانًا فاكثر تسعًا الاولى ٦٠ جنيهًا والثانية ٥٠ والثالثة ٤٠ والرابعة ٣٥ والخامسة ٣٠ وهلمَّ جرًّا ولمن يزرع ١٥ فدانًا فاكثر الى ٤٩ تسعًا ايضًا الاولى ٤٥ جنيهًا والثانية ٤٠ والثالثة ٣٠ والرابعة ٢٥ وهلمَّ جرًّا . والجوائز لمن يزرع من ٤ افدنة الى ١٥ فدانًا تسعًا ايضًا الاولى ٣٠ جنيهًا والثانية ٢٥ والثالثة ٢٠ وهلمَّ جرًّا وتعهدت بانها تبتاع القنطار منهُ بثلاثة غروش ونصف غرش واصلاً الى المعمل فاذا بلغت غلة الفدان عشرة اطنان اي ٢٢٠ قنطارًا بلغ ثمنها واصلاً الى المعمل ٧٧٠ غرشًا وهي تقدم البذار مجانًا والظاهر انهُ لا بدَّ للمتبارين من استعمال نوع من الاسمدة فاذا بلغ ثمن السماد للفدان الواحد مئة غرش واجرة نقل البنجر من الاطيان الى المعمل مئتي غرش اي عشرين غرشًا عن كل طن بقي من ثمن البنجر ٤٧٠ غرشًا وذلك لا يكفي ايجارًا لارض تبلغ غلتها عشرة اطنان فلا ندري كيف يكون من زرع البنجر ربح وثمن القنطار منهُ ثلاثة غروش ونصف غرش فقط واصلاً الى المعمل الاَّ اذا بلغت الغلة ٤٠٠ قنطار او ٤٥٠ قنطارًا اي مضاعف ما بلغتهُ حتى الآن في اراضي الجناب الخديوي وفي اراضي الجمعية الزراعية او اذا ثبت ان زراعة البنجر نصف زراعة والارض التي تزرع بنجرًا تزرع موسمًا آخر في

السنة نفسها لا تقل غلتهُ عن غلة البنجر وهذا هو الواقع على ما يظهر وعليهِ الاعتماد

موسم الحرير في الدنيا

سنة ١٨٩٩

موسم الصين (الصادر منهُ)	٢٤ ٦٠٧ ٠٠٠	ليبرة
" ايطاليا	٠٧ ٣٩٨ ٧٠٠	"
" توكيا	٠٢ ٥٨٧ ٢٠٠	"
" فرنسا	٠١ ٢٣٢ ٠٠٠	"
" بلاد الهند	٠٠ ٧٧٠ ٠٠٠	"
" بلاد القوقاس	٠٠ ٦٨٢ ٠٠٠	"
" النمسا والمجر	٠٠ ٦٠٧ ٢٠٠	"
" ايران وتركستان (الصادر)	٠٠ ٥٢٨ ٠٠٠	"
" اسبانيا	٠٠ ١٧١ ٦٠٠	"
" اليونان	٠٠ ٠٧٤ ٨٠٠	"
والجملة	٣٨ ٦٥٨ ٤٠٠	"

موسم بزر الكتان

	١٨٩٨		١٨٩٩
اميركا	٢٤ ٦٥١ ٠٠٠	بشل	٢٩ ٦٠١ ٠٠٠
اوربا	٣١ ١٥٩ ٥٠٠	"	٢٠ ١٢٥ ٠٠٠
الهند الانكليزية	١٧ ١١٥ ٠٠٠	"	١١ ٨٢٧ ٠٠٠
الجزائر	٠٠ ٠١٣ ٥٠٠	"	٠٧ ٠٠٠ ٠٠٠
والجملة	٧٢ ٩٣٩ ٠٠٠	"	٦٨ ٥٥٣ ٠٠٠

احصاء القطن

الاحصاء التالي بالبالات الاميركية في البالة منها ٥٠٠ ليبرة اي نحو خمسة قناطير مصرية

وقد ذكر فيهِ الموسم الذي انتهى سنة ١٨٩٩ والموسم الذي انتهى سنة ١٩٠ من القطن الشعر

	١٨٩٩	١٩٠٠
موسم الولايات المتحدة الاميركية	١١ ٠٧٨ ٠٠٠	٩ ١٣٧ ٠٠٠
" الهند الانكليزية	٠٢ ٢٤٥ ٨٢٩	١ ٥٩٢ ٠٠٠
" مصر	٠١ ٠٩٨ ٥٩٦	١ ٢٢٨ ٠٠٠
" برازيل وغيرها	٠٠ ١٧٦ ١٩٦	٠ ٢٥٠ ٠٠٠
والجملة	١٤ ٧٩٨ ٦٢١	١٢ ١٧٧ ٠٠٠

هذا من حيث نتاج الارض اما استعمالهُ غزلاً ونسجاً فاكثرهُ في البلدان التالية

	١٨٩٧—١٨٩٨	١٨٩٨—١٨٩٩
بريطانيا العظمى	٣ ٤٣٢ ٠٠٠	٣ ٥١٩ ٠٠٠
بقية اوربا	٤ ٦٢٨ ٠٠٠	٤ ٨٣٦ ٠٠٠
الولايات المتحدة الاميركية	٢ ٩٦٢ ٠٠٠	٣ ٥٥٣ ٠٠٠
الهند	١١٤١ ٠٠٠	١٢٩٧ ٠٠٠
بقية البلدان	٠٧١٣ ٠٠٠	٠٧١٧ ٠٠٠
والجملة	١٢٨٧٦ ٠٠٠	١٣٩٣٢ ٠٠٠

الاهتمام بحراج السودان

من انفع اعمال حكومة السودان الاهتمام بما فيها من الحراج لكي لا تقل اشجارها بكثرة ما يقطع منها وقلة ما يزرع بدلاً منهُ . ولكي تعلم فائدة اشجارها من حيث ما يصلح منها للبناء وما يستخرج منهُ الصمغ ومواد الدباغة والصباغة وينتفع باثمارهِ والياقهِ وما اشبه. وقد استخدمت رجلاً من العارفين بزرع الغابات وحفظها فطاف في انحاء السودان وبحث عما فيها من الاشجار المختلفة وفائدة كل نوع منها وكيفية انمائهِ ووقايتهِ ووضع تقريراً مسهباً في ذلك سنلخص بعض ما فيهِ بعد نشرهِ ولا بدَّ من ان يكون من جملة المرغبات للناس في الذهاب الى السودان واستيطانهِ لانهُ واسع الارجاء كثير الخيرات على قلة سكانهِ فيسع اضعاف اضعافهم . ويبعد عن الظن انهُ يصلح لسكن الاوربيين لشدة ما فيهِ من الحرّ فيبقى المجال واسعاً فيهِ للمصريين وغيرهم من الشرقيين

احصاء السكَّر

ورد في كتاب الاحصاء السنوي الذي يصدر في الولايات المتحدة الاميركية انهُ أُستخرج من السكر سنة ١٩٠٠ نحو ثمانية ملايين طن وهي تستخرج من البلدان المختلفة على ما في هذا الجدول والمقادير المذكورة فيهِ بالطن وهو يساوي ٢٢ قنطارًا مصريًّا

سكر القصب

البلد	الطن
جاوى (الصادر منهُ)	٧٢٢ ٠٠٠
كوبا	٣٩٥ ٠٠٠
هواي	٢٧٥ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٠١٨٣ ٠٠٠
برازيل	١٧٥ ٠٠٠
موريتوس	١٥٥ ٠٠٠
الهند الغربية البريطانية	١٣٤ ٠٠٠
كوينس لند	١٢٣ ٠٠٠
بيرو (الصادر منها)	١٠٠ ٠٠٠
مصر	٠٩٤ ٠٠٠
ارجنتين	٠٩٠ ٠٠٠
غينيا البريطانية (ص)	٠٨٠ ٠٠٠
الهند الغربية الفرنسوية	٠٦٥ ٠٠٠
هيتي وسنت دومنغو	٠٥٥ ٠٠٠
فيلبين	٠٤٠ ٠٠٠
ريونيون	٠٣٥ ٠٠٠
فيجي	٠٣٠ ٠٠٠
اميركا المتوسطة	٠٢٢ ٠٠٠
نيوسوث وايلس	٠١٥ ٠٠٠
الهند الغربية الدنماركية	٠١٢ ٠٠٠
بقية البلدان	٠٣٤ ٠٠٠
والجملة	٢٨٣٩ ٠٠٠

سكر البنجر

البلد	الطن
المانيا	١٧٩٠ ٠٠٠
النمسا	١١٢٠ ٠٠٠
فرنسا	٠٩٧٠ ٠٠٠
روسيا	٠٩٠٠ ٠٠٠
بلجيكا	٣٠٠ ٠٠٠
هولندا	٠١٨٠ ٠٠٠
بقية اوربا	٠٢٧٥ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٠٠٧٢ ٠٠٠
وجملة سكر البنجر	٥٦٠٧ ٠٠٠
وجملة سكر القصب	٢٨٣٩ ٠٠٠
وجملة السكر كلهِ	٨٤٤٦ ٠٠٠



معامل القطن

لما امرت الحكومة المصرية بربط المال على ما يُغزَل ويُنسج في المعامل المصرية الكبيرة حتى لا يقل المال الذي تأخذهُ جمركاً على المغزولات والمنسوجات الواردة من اوربا راعت في ذلك مصلحتها الوقتية لا مصلحة بلادها الدائمة ولذلك لا يبعد ان تلغي امرها هذا قريباً وتأمر بما يقوي عزائم الناس على انشاء المعامل كأن تسمح لهم بجلب ادواتها من غير ان يدفعوا عليها رسوم الجمرك كما تفعل الحكومة العثمانية. وقد تخسر بذلك بعض الخسارة ولكن اذا ربحت البلاد من وراء هذه المعامل فلا بدَّ من ان يعود جانب من الربح على الحكومة ان لم يكن من هذا الباب فمن ابواب اخرى. وكلما زادت ثروة الامة زادت ثروة حكومتها كما لا يخفى . واذا امكن ان تنشأ في مصر معامل تغزل كل قطنها وتنسجهُ وترسل منسوجاتها الى الاقطار الشاسعة ربحت حكومة مصر من ذلك اضعاف اضعاف ما تربحهُ الآن من اصدار القطن المصري وجمرك المنسوجات التي ترد الى هذا القطر

وقد اطَّلعنا الآن على مقالة مسهبة في جريدة السينتفك اميركان تبين منها نفقات انشاء المعمل وما يمكن ان ينتج منهُ من الربح اذا تولَّى ادارتهُ اناس امناء . ومما قالتهُ في هذا الصدد ان معامل القطن زادت في الولايات الجنوبية على نسبة لا مثيل لها في بلاد اخرى فكان فيها منذ سبعين سنة عشرة آلاف مغزل فقط وقد صار فيها الآن خمسة ملايين مغزل . وكان عدد المعامل ٣٢٥ معملاً سنة ١٨٩٥ وعدد المغازل فيها ٢٤٠٠٠٠٠ فصار عدد المعامل الآن ٤٨٥ معملاً وعدد مغازلها ٥٠٠٠٠٠٠ كما تقدَّم

ويمكن انشاء معمل فيهِ اربعة آلاف مغزل بخمسة عشر الف جنيه لا غير وانشاء معمل فيهِ ١٣ الف مغزل بخمسة وثلاثين الف جنيه . وذلك يشمل اقامة البناء من الحجر والطوب الاحمر وانارتهُ بالنور الكهربائي واحماءهُ بالبخار وانشاء المخازن اللازمة لخزن القطن ووضع كل الآلات والادوات اللازمة للغزل والنسج

والمعمل الذي نفقاتهُ ١٥ الف جنيه يغزل في الاسبوع من خمسين بالة الى ستين ولا بدَّ لهُ من اربعين عاملاً لاجل مغازلهِ وحدها وتبلغ نفقات العمال ١٥ في المئة وثمن المواد

والاستهلاك وهرش العدد ٦٥ في المئة فيكون الربح الصافي ٢٠ في المئة

واذا كان في معمل ١٠٠٠٠ مغزل و ٣٢٠ نولاً لزم لهُ ناظر وهو يكون امين الصندوق ايضاً ولزم لهُ ايضاً كاتب ومدير . وهؤلاء الثلاثة يتولون ادارتهُ وراتب الناظر ٥٠٠ جنيه في السنة وراتب المدير من ٣٠٠ جنيه الى ٤٠٠ جنيه وراتب الكاتب من ٢٤٠ جنيهاً الى ٣٠٠ جنيه . وتزاد هذه الرواتب باتساع المعامل وزيادة التعب والمسئولية والربح فناظر معمل فيهِ مئة الف مغزل يأخذ الى حد ثلاثة آلاف جنيه في السنة والكاتب الى حد خمس مئة جنيه والمدير الى حد الف جنيه وقد يكون لهُ مساعد ايضاً . وتبلغ نفقات الحصان البخاري في السنة من جنيهين ونصف الى ثلاثة جنيهات ونصف . والآلة التي قوتها اربع مئة حصان يكفيها ستة اطنان من الفحم الحجري الى ثمانية في اليوم اذا دارت احدى عشرة ساعة

والمباني التي تقام فيها هذه المعامل رخيصة جدًّا ارخص مما هي في القطر المصري ولكن اجرة العمال هناك اغلى مما هي هنا . وهذه المعامل توزّع ربحًا على المساهمين فيها من ١٠ الى ١٥ في المئة سنويًّا بعد ان تخصم ١٠ في المئة لهرش العدد . وبعضها يربح الى حد ٣٠ في المئة سنويًّا انتهى

عدد مغازل القطن في الدنيا

في بريطانيا العظمى	٤٦٠٠٠٠٠٠	مغزل
في بقية اوربا	٣٣٠٠٠٠٠	"
" الولايات المتحدة الاميركية	١٨٥٩٠٠٠٠	"
" الهند الشرقية	٠٤٤٠٠٠٠٠	"
" اليابان	٠١٥٠٠٠٠٠	"
" الصين	٦٠٠٠٠٠	"
" كندا	٠٠٦٤٠٠٠٠	"
" المكسيك	٠٠٤٦٠٠٠٠	"

زيت اوراق الصنوبر

صناعة جديدة

لا يخفى على الذين زاروا جبال لبنان ومروا تحت حراج الصنوبر التي فيها ان هواء تلك الحراج يكون معطَّرًا برائحة راتينجية طيبة جدًّا . ويقول البعض ان هواء الصنوبر يشفي من

الامراض الصدرية . والظاهر ان لهذا القول ثبتاً علمياً فان في اوراق الصنوبر زيتاً عطرياً يفيد في الامراض الصدرية ويزيل الارق . والاوراق نفسها تُجفَّف الآن في اميركا حتى تجف ولا تيبس ثم تحشى بها الفرش والوسائد فتبقى رائحتها فيها حتى اذا نام عليها المصابون بالارق زال الارق منهم. و يعطر الصابون بالزيت الذي يستخرج منها فيصير من اطيب ما يكون

واذا نزع الورق الاخضر من شجر الصنوبر لم يلحق بهِ ضرر من نزعهِ منهُ بل يقال انهُ يستفيد من ذلك

ويجمع الورق بعد نزعهِ ويوضع في انابيق كبيرة ويستخرج الزيت منهُ بالاستقطار كما يستخرج العرق وماء الزهر ويخرج من كل الفي رطل من الورق عشرة ارطال من الزيت لا غير . فعسى ان يجرب احد اللبنانيين استقطار الزيت من ورق الصنوبر لاننا نظنهُ عملاً رابحاً ولو كان الصنوبر السوري اصغر ورقاً من الصنوبر الاميركي

الصنائع وتعضيدها

الحاجة ام الاختراع فاذا بدت الحاجة الى شيء وشعر كثيرون بها فذلك دليل على ان الهمم ستنضى الى ايجاد ذلك الشيء . وهذا شأن الصنائع في القطر المصري ولا سيما الصنائع الصغيرة فان الحاجة ماسة اليها وقد شعر كثيرون بهذه الحاجة فلا بدَّ من ادراك الصنائع المطلوبة

ومعلوم انهُ اذا اشترك اثنان في مصلحة واحدة وادرك احدهما وجوب الجري على خطة ما قبلما ادركها الآخر ترتب على الذي ادركها اولاً ان يجري عليها اولاً وهذا شأن القطر المصري فان الحكومة والرعية مشتركتان في مصلحة واحدة وقد ادركت الحكومة قبل الامة وجوب انشاء المدارس الصناعية والمعامل الصناعية فيحسن بها ان تشرع في ذلك لتكون مثالاً للامة و يسرُّنا انها شرعت منذ مدة وهي تعلم الصنائع البسيطة الآن في مدارسها الصناعية في بولاق والمنصورة وفي سجونها ايضاً ولا سيما سجن الاحداث . ولم تقصر الامة عن مجاراة الحكومة فان في البلاد الآن ورشاً كبيرة للنجارة والحدادة والطباعة والنسج وهي تزيد عدداً واتقاناً يوماً فيوماً

والربح هو الباعث الاول على انشاء المعامل الصناعية والمساعد الاكبر على اتقانها فاذا لم يربح الصانع من صناعتهِ ولا صاحب المعمل من معملهِ فلا امل انهما يوسعان تلك الصناعة او يتقنان ذلك العمل واذا وقفت لهما الحكومة بالمرصاد تثبط عزائمهما بالضرائب وتناظرهما بخس الاسعار اماتت صناعتهما حتماً . اما الضرائب فنريد بها ما اقرَّت الحكومة المصرية عليهِ حديثاً من فرض ضريبة على مغزولات القطر المصري ومنسوجاتهِ التي تصنع في المعامل الكبيرة تساوي

عوائد الجمارك المصرية حتى لا يرغب الناس في مصنوعات بلادهم عما يرد اليها من الخارج . وحجة الحكومة في ذلك انها تخشى من ان يقلّ ايراد جماركها . وقياساً عليهِ يحق لها ان تمنع اهل البلاد من زرع الحبوب على انواعها فانها اذا فعلت ذلك اضطرّ الناس ان يجلبوا من الخارج نحو عشرين مليون اردب كل سنة من القمح والذرة ونحوهما من الحبوب والاَّ ماتوا جوعاً واذا فرضنا ان ثمنها ١٥ مليوناً من الجنيهات بلغت العوائد عليها مليوناً ومئتي الف جنيه فهل يجوز لها ان تمنع الناس من زرع الحبوب لكي تربح مليوناً ومئتي الف جنيه في السنة أَو لا يكون في ذلك خراب بلادها . وهذا شأن معامل القطن فانهُ اذا كان منها ربح للبلاد وجب تعضيدها بكل واسطة ممكنة واذا لم يكن منها ربح أُهملت من نفسها

هذا من حيث اضعاف العزائم بالضرائب . اما المناظرة فظاهرة من انها تستطيع ان ترخص مصنوعاتها اكثر مما يستطيع غيرها على ترخيص مصنوعاتهِ لان رؤَساء معاملها والعمال فيها يأخذون اجورهم من خزينة الحكومة اي من الاهالي فلا يتعذر عليهم ان يبيعوا المصنوعات بابخس الاثمان ولا خسارة عليهم . خذ مثالاً لذلك المطبعة الاميرية فان الامة المصرية بنت ما فيها من المباني الفخيمة واشترت ما فيها من الآلات والادوات وهي تدفع اجور ناظرها وعمالها . ونقدّر مبانيها وآلاتها بالوف من الجنيهات ولو اضافت هذه المطبعةُ الى اجرة ما تطبعهُ ربا راس المال كلهِ ولا نظن ان رأس المال اقل من خمسين الف جنيه واضافت اليها ايضاً ما يلزم للترميم والتجديد والاموال التي تدفعها لها الحكومة لعجزت عن مناظرة كل مطبعة اخرى في رخص الاثمان اما وهي لا تحسب رباً لراس المال ولا تبخل عليها الحكومة بالنفقات اللازمة فتستطيع ان تناظر كل المطابع وتقلل ارباحها وتمنع اتقانها فكأنَّ الحكومة تأخذ اموال الامة لتمنع بها ارتقاء الامة

وهي تفعل كذلك لو باعت مصنوعات مدارسها الصناعية بارخص مما تباع مصنوعات غيرها فانها تكون آفةً على احياء الصناعة وارتقائها في هذا القطر . فعسى ان تنتبه لذلك لئلا يكون احياؤُها للصناعة اماتةً لها

المعرض الصناعي

رأينا في المعرض الزراعي الماضي ان صناع الافرنج تسابقوا في عرض مصنوعاتهم فيهِ حتى صار معرضاً صناعيًّا اجنبيًّا او سوق تجارة اكثر مما هو معرض زراعي فكأَنَّ الحكومة المصرية وصندوق الدين اتفقا على فتح سوق للآلات والادوات الاوربية والاميركية حتى تروج

سوقها في هذه البلاد على نفقة دافعي الضرائب من المصريين . لكنَّ تسابق التجار الى عرض المصنوعات في المعرض الزراعي واقبال الناس عليها حتى ان بعضها بيع مراراً كثيرة يحدوان بالحكومة الى انشاء معرض آخر خاص بالصناعة تجعل القسم الاكبر منهُ للمصنوعات الوطنية مهما كان نوعها وتعطي الجوائز فيهِ للصناع الوطنيين ويمكنها ان تجعل دخلهُ من تأجير الاماكن للتجار الذين يعرضون فيهِ المصنوعات الاوربية فيستفيد الجميع في وقت واحد ويتشجع الصناع الوطنيون على اتقان صنائعهم . هذه امنية نعرضها على ذوي الشأن ونرجو ان تحقق في المستقبل القريب

باب التقريظ والانتقاد

السياسة الشرعيَّة

للمرحوم السيد عبد الله جمال الدين قاضي قضاة مصر مقام رفيع بين رجال العلم والفضل فاذا قال قولاً اتُّخذ قولهُ حجَّةً وسنداً ولذلك احسن حضرة ناشر هذا الكتاب بطبعهِ ونشرهِ وهو ينطوي على مقدمة وفصول كثيرة وقد قال في المقدمة انهُ "لم يُحافظ على سراط العدل كما ينبغي بعد الخلفاء الراشدين ولم يسلم الناس من سفك الدماء بلا طائل وهتك الاعراض واغتصاب الاموال قضاء لاوطار شخصية حتى بات السلاطين والحكام والامراء بعد ذلك وهم لا يجتنبون ارتكاب المظالم واقامة البدع باسم السياسة . واول دولة من الدول الاسلامية المتعاقبة بادرت الى رفع معاملات الظلم والاعتساف فقيدت وظائف الولاة والحكام بالقوانين ومنعت التصرُّف في امور الرعية بحسب الاهواء هي الدولة العثمانية" . ولم يذكر المؤلف رحمهُ الله متى تمَّ ذلك للدولة العلية ولكن لا شبهة في انهُ لم يتم الاَّ حديثاً في النصف الاخير من القرن الماضي واما النصف الاول منهُ فيكفي للدلالة على احوالهِ ما كنا نقرأهُ الآن في تاريخ الجبرتي قبل ان اخذنا القلم لتقريظ هذا الكتاب عن حوادث سنة ١٢٢٢ للهجرة فقد جاء فيهِ ان الانكليز اتوا الاسكندرية في ذلك العام بطلب الالفي واشترطوا على انفسهم ان لا يسكنوا البيوت رغماً عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضي ولا يمتهنوا المساجد ولا يبطلوا منها الشعائر الاسلامية وتبقى المحكمة الاسلامية مفتوحة تحكم بشرائعها وامَّنوا الاهالي والحكام والجنود ولم يؤذوا احداً فقام الحكام والجنود لطردهم من القطر . وانظر ماذا فعلوا في هذا

السبيل نقلاً عن الجبرتي " اكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء . . . . واخذوا الغلمان وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مكة وهكذا يفعل المجاهدون واشدة قهر الخلائق منهم وقبح افعالهم تمنوا مجيء الافرنج من اي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة". هذا كان شان الافرنج في ذلك الحين وشان الحكام والجنود وشان الامة . الافرنج يدخلون البلاد فلا يسيئون الى احد والحكام والجنود يقومون للجهاد فينهبون اموال الامة ويوقعون بها شر انواع العذاب والامتهان والامة تستغيث ولا مغيث كل ذلك والشريعة بين ايدي الناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر والسنَّة تقول " من وُلّي من امر المسلمين شيئًا فولّى رجلاً وهو يجد من هو اصلح للمسلمين منهُ فقد خان الله ورسولهُ والمسلمين "

وفصول الكتاب كثيرة كما تقدَّم اولها في مشروعية السياسة . ولو قرأ المؤلف كتب سبنسر لقال ان السياسة نتيجة لازمة عن العمران لكن بحثهُ حسن جدًّا وادلتهُ من الشريعة والسنة واقوال الجماعة مقنعة دينًا وفلسفةً . ومن الاحاديث التي استشهد بها ما هو في غاية الارهاب كقوله ". القضاة ثلاثة قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار" وقال " ان القاضي يطلق على السلطان والحكام والنوَّاب جميعًا فهؤلاء كلهم داخلون تحت الحكم المستفاد من الحديث الشريف حتى اهل الخبرة الذين يميزون بين الخطين فقد جاء في بعض الآثار ان صبيين حكَّما الامام الحسن رضي الله عنهُ ليحكم في اي خط من خطين كتباهما اجود من الآخر فلما رأى الامام علي رضي الله عنهُ ذلك قال للامام الحسن" يا بُنيَّ انظر كيف تحكم لان هذا حكم يسألك الله عنهُ يوم القيامة "

ويلي ذلك فصول مختلفة في المشورة والعدل والظلم والولايات وفوائد حسن السياسة وما اشبه والكتاب مطبوع طبعًا حسنًا في مطبعة الترقي

الدليل العصري للقطر المصري

لصاحبهِ ومحررهِ صالح جودت

يسرُّنا ان نرى بين الكتب التي ترد الينا شهرًا فشهرًا للتقريظ والانتقاد كتبًا يطلب اصحابها منا ان ننتقدها ولا نقتصر على تقريظها فقد كتب الينا حضرة مؤلف هذا الدليل يقول "ولست بمرسل اليكم هذا المؤلف لمحض النشر عنهُ ترغيبًا للناس فيهِ بل لي غرض اسمى وهو ابداء رأيكم فيهِ وتنبيهي الى ما ترون تنبيهي اليهِ مما يساعد على تحسينهِ في المستقبل" . ونظن انهُ كتب الى غيرنا من اصحاب الصحف بمثل ما كتب الينا ولم يكتفِ بذلك بل ابقى في الكتاب

مكاناً فارغاً ليكتب فيهِ كل مطلع عليهِ ما يعنّ لهُ من الآراء ثم يبعث بها الى المؤلف وهو غرض حميد يشكر عليهِ ولكن كثرة الآراء قد تضرُّ اكثر مما تفيد على حدّ قول العامة "بكثرة الطباخين يشوط الطعام". فاذا كان المؤلف قد استطاع ان يتحفنا في السنة الاولى بدليل جامع لاشتات الفوائد مثل هذا الكتاب فلا شبهة في ان دليلهُ يكون اغزر فائدة في سنيهِ التالية

والظاهر ان الغرض المقصود بالذات من هذا الدليل ذكر اسماء القائمين بمهام الامور والمتولين زمام الاحكام وهذا لم نرهُ في دليل عربي حتى الآن وقد وفاهُ المؤلف حقهُ من الجمع فذكر اسماء كل دوائر الحكومة في العاصمة والمحافظات والمديريات والمراكز واسماء كل الموظفين مثال ذلك مديرية البحيرة ذكر اولاً مساحتها وهي ٦٨٤٠٠٠ فدانًا وعدد سكانها وهو ٦٣١٢٢٥ وقال ان بندرها دمنهور ومراكزها سبعة ثم ذكر اسماء المدير ووكيل المديرية والحكمدار والباشكاتب ورئيس الادارة ورئيس الايرادات ومعاوني الادارة وهم اثنا عشر وموظفي المصالح الاميرية فيها اي مفتش الصحة وحكيم الاسبتالية والحكيم البيطري والباش مهندس ومهندس التنظيم وناظر المدرسة الاميرية ورئيس مجلس القرعة والقاضي الشرعي ومفتش الاوقاف . ثم ذكر المراكز مركزًا مركزًا وذكر مساحة كل مركز وعدد سكانهِ وبعدهُ عن البندر واسماء مأمورهِ ومعاون بوليسهِ ومفتش صحتهِ ومهندس الري فيهِ وقس على ذلك سائر المديريات والمراكز . والمديريات التي فيها محاكم ذكر اسماء قضاتها والتي فيها مستشفيات ذكر اسماء اطبائها والتي فيها مدارس اميرية ذكر اسماء اساتذتها ثم ذكر اسماء وكلاء القناصل واسماء الاعيان والوجهاء والتجار والمحامين . واسهب في الكلام على مصر والاسكندرية على ما يقتضيهِ المقام

هذا من حيث موضوع الدليل وهو يشغل الجزء الثاني من الكتاب . اما الجزء الاول ففيهِ فوائد في تقسيم الزمن واسماء الشهور واوقات الاعياد وتقويم سنة ١٩٠١ في اسفل كل صفحة منهُ توقيعات لا نحل لاكثرها في كتاب عصري يجمل ان يكون خاليًا من الخرافات كقولهِ ان في ١٥ فبراير "تتزوج الطيور وتورق الاشجار" كأن الطيور لا تتزاوج والاشجار لا تورق الاَّ في يوم معلوم من السنة وفي ١٨ منهُ "يزرع شجر البرتقال واول جمرة في الهواء" وفي ٢٨ يكره الجلوس في الشمس" ويلي ذلك دفتر لحساب الايراد والنفقات وما اشبه واماكن لذكر الحوادث المختلفة التي تحدث اثناء السنة وفوائد علمية وتاريخية وزراعية وطبية ومنزلية

والكتاب مطبوع طبعًا حسنًا جدًّا على ورق جيد فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناءً جميلاً

كتاب مظلوم

في المادّة الطبية والاقراباذين

تأليف فيتالس مظلوم الاجزاجي

كتاب المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي

لمؤلفهِ الصيدلي اسبريدون يوسف منسّى

في الاول من هذين الكتابين كلام وجيز على المادة الطبية مرتب على حروف المعجم ذكرت فيهِ اسماء الادوية بالعربية والفرنسوية وكيفية استعمالها ويليهِ قسم ثانٍ في كيفية الاستحضارات الاقراباذينية كالارواح والمراهم والاكاسير والبلاسم والصبغات وما اشبه . وقسم ثالث في فحص البول ورابع في علاج السموم

وفي الكتاب الثاني كلام مسهب على واجبات الصيدلاني من حيث النظافة والمهارة والاعتناء والتدقيق وانواع الموازين والمكاييل والعبارات المستعملة في الصيدليات وهو مطبوع طبعاً منقاً جداً غير ان عبارتهُ مشوشة في بعض الاماكن لا يدرك معناها كما ترى في الصفحة ٥١ منهُ واما الكتاب الاول فطبعهُ سقيم في الغالب وعبارتهُ واضحة ولو كانت غير معربة في بعض الاماكن واحكامهُ جلية لا تردُّد فيها وتعجبنا نصيحتهُ للصيدلاني اذا التبس عليهِ شيءٌ في الوصفة حيث يمكن العمل بهذه النصيحة

حفظ الصحة المتزوج والعازب

تأليف المرحوم الامير الاي الدكتور حسين بك رمزي استاذ علم الحيوان في المدارس السلطانية وتعريب محمد افندي توفيق المرعشلي

يضطرُّ الاطباءِ احياناً كثيرة ان يكشفوا ما سترهُ الانسان و يصرحوا بما يأبى الاشارة اليهِ ولو تلميحاً ومن هذا القبيل كثير مما في هذا الكتاب لكن اكثر ما فيهِ معرفتهُ لازمة للجميع رجالاً ونساءً من حين يبلغون سن المراهقة الى انقضاء الاجل وقد يعرفون بعضهُ من تلقاء انفسهم او مما يسمعونهُ من والديهم ومرشديهم ولكن معرفتهُ بالشرح والاسهاب لا تكون الاَّ بدرسهِ في كتاب مثل هذا الكتاب فعسى ان يكون مفيداً لمطالعيهِ

وقد تولى طبعهُ حضرة الاديب نخله افندي قلفاط باذن من نجل المؤلف وراجع ترجمتهُ حضرة صديقنا الفاضل الدكتور اسكندر بارودي محرر جريدة الطبيب وهو يطلب من المكتبة الكلية في بيروت

باب تدبير المنزل

الاسنان وعسر الهضم

من اهمال بعض الناس اسنانهم يتعرَّضون لامراض كثيرة منها عسر الهضم الذي يضيق دونهُ الصدر وتذهب معهُ راحة الجسم وقد لاح لي ان اشرح اسبابهُ بالاختصار وابين علاقتهُ بالاسنان فاقول

ان كلمة عسر الهضم تطلق على اعراض تصحب المعدة اثناء عملها وهي تنحصر في ما يأتي بالاختصار تغيُّر الذوق وقلة الشهية وكراهة الاغذية والقيء والضيق في التنفس الصدري والآلام في المعدة وانتفاخ غازي واسهاك او اسهال

واسباب ذلك عديدة تتفاوت بحسب الغذاء من نوع وكمية وما ينشأ عن فساد الاسنان لان فسادها يسبب عسر الهضم على وجهين الواحد ان الاسنان الفاسدة لا تكفي لمضغ الطعام. ولقد كان احد الاطباء يقول لمرضاهُ ان في الفم ٣٢ سنًّا فيجب مضغ اللقمة ٣٢ مرة واذا كان بعض الاسنان ناقصاً فقد تدعو الحال الى مضغها ٦٤ مرة

فليس من الحكمة ان تقلع الاضراس من الفم او تبقى فيهِ وقد نخرها السوس من غير ان يوضع بدل المقلوعة وتحشى المنخورة حتى يسهل استعمالها لمضغ الطعام لان اللثة لا تمضغهُ كما يجب ان يمضغ وكذلك القواطع لا تمضغهُ جيداً لان رؤوسها محدَّدة غير مسطحة كرؤوس الاضراس فتصل الاطعمة الى المعدة غير ممضوغة جيداً حتى اذا دفعتها المعدة الى البواب لم يفتح لها بل ردها من حيث اتت وقد تهيج الغشاء المخاطي المعدي فتنقص العصارة المعدية وتتوالى الاعراض المرضية حتى تسوء الحالة جداً

ثم ان الاسنان المسوسة يكون فيها ميكروبات الفساد وهذه تمتزج بالطعام وتنزل معهُ الى المعدة فتزيد عسر الهضم عسراً الدكتور علي البقلي

غذاء الطفل

يُترَك الطفل بعد ولادتهِ اربع ساعات او خمساً من غير رضاعة لانهُ يكون في جسمهِ من الغذاء ما يغنيهِ عن الطعام وخير لهُ ان يُترَك حينئذٍ لينام الى ان تستريح امهُ وتصير قادرة على ارضاعهِ . ولا يسقى شيئاً مما اعتاد البعض سقيهُ اياهُ لا زبدة ولا زيت خروع ولا شيئاً

آخر لاطلاق بطنهِ لان في لبن امهِ الذي يرضعهُ اولاً خاصَّة اطلاق البطن

ولا يدرُّ لبن الام غالبًا قبل اليوم الثالث ولكن يخرج منهُ في اليوم الاول والثاني ما يكفي طفلها الى ان يدر جيدًا واذا كان لبنها قليلاً جدًّا او تأخر درّهُ لسبب من الاسباب فلا بدّ من سقي الطفل شيئًا من لبن البقر ممزوجًا بضعفَيهِ ماءً ومحلَّى بقليل من السكَّر يسقى منهُ قليلاً كل اربع ساعات ولا بدَّ من ابطال ذلك حالما يدرُّ لبن امهِ . واللبن الذي يسقاهُ الطفل يجب ان يكون سخنًا قليلاً حرارتهُ كحرارة الدم لا اكثر ولا اقل

وارضاع الطفل من اهم واجبات امهِ الاَّ اذا كانت مريضة بالخنازيري او السل او الجذام او نحو ذلك من الامراض او كان في عقلها خلل ما فلا يجوز حينئذٍ ان ترضع طفلها لئلا تنقل اليهِ جراثيم المرض الذي فيها ولكنها اذا كانت سليمة من الامراض فخير لها ولطفلها ان ترضعهُ لاسيما وان الرضاعة تؤَخر الحمل سنة من الزمان او اكثر . فالمرأَة التي لا ترضع طفلها قد تلد مرةً كل سنة فيضعف جسمها حالاً وتنتهك قواها واما التي ترضع اطفالها فلا تلد الاَّ مرةً كل سنتين او اكثر فلا تضعفها الولادة كثيرًا . وعدم الارضاع يسبب في الغالب حمَّى اللبن وتشقق الثدي ونحو ذلك من الآفات التي لا تحدث لو كانت الام ترضع اطفالها . اما اذا كانت الام مريضة او ضعيفة جدًّا او كان لبنها قليلاً جدًّا او قليل التغذية فلا بدَّ حينئذٍ من مرضع آخر او من ارضاع الطفل بالرضَّاعة

واذا كانت المرأَة فقيرة فقد تهمل ارضاع طفلها وترضع بلبنها طفل امرأَة غنية اي انها تعيش بلبنها وهذا خطأٌ كبير نتيجتهُ في الغالب موت طفلها ولقد احسن العرب حيث قالوا "تموت الحرَّة ولا تعيش بثديها"

وقد تخطئُ المرأَة فترضع طفلها اكثر مما يحتاج الى الرضاعة حتى لا يكاد ثديها يقع من فيهِ نهارًا وليلا . وكلما بكى القمتهُ ثديها حاسبة ان بكاءهُ دليل جوعهِ مع انهُ قد يكون دليل كثرة ما رضعهُ او دليل البرد او دليل الحر او يكون ناتجًا عن دبوس غرز في لحمهِ او نحو ذلك من الاسباب الكثيرة التي يبكي الطفل منها . والام التي ترضع طفلها كلما بكى تضرهُ وتضرُّ نفسها

وفي الاشهر الثلاثة الاولى يكفي ارضاع الطفل مرةً كل ساعتين او ثلاث ساعات مدة النهار اما في الليل فلا يرضع مطلقًا الاَّ مدة الاسبوعين الاولين و بعد ذلك تصير الام ترضع طفلها الساعة العاشرة مساءً حينما تذهب لتنام وتتركهُ الى الساعة الثالثة او الرابعة صباحًا فترضعهُ حينئذٍ . والطفل يعتاد حالاً على طلب الرضاع في الاوقات التي تعوّدهُ عليها امهُ حتى اذا صار عمرهُ ثلاثة اشهر فاكثر يرضع مرةً كل ثلاث ساعات او اربع مدة النهار لا غير ويبقى على ذلك الى ان يفطم

ولا يُطعَم الطفل شيئاً غير لبن امهِ الى ان يفطم . اما اطعام الاطفال من اطعمة والديهم وهم في الشهر الرابع او الخامس فخطأٌ كبير منهُ ضرر كثير قد يذهب بحياة الطفل

صبغات الشعر

صبغ الشعر الشائب عادة قديمة جدًّا جرى عليها اليونان والرومان وتابعهم فيها العرب ولكنها لم تبلغ في عصر من العصور ما بلغتهُ في هذا العصر من الشيوع والاتقان

وصبغات الشعر على نوعين كبيرين النوع الاول اساسهُ المواد النباتية كالعفص والجوز المقيء وقشر الرمان وهو غير ضار ولكن فعلهُ غير ثابت . والثاني اساسهُ المواد المعدنية كالجير (الكلس) والفضة والرصاص والحديد والكبريت وفعلهُ ثابت ولكنهُ ضار قليلاً او كثيراً حسب نوعهِ وكيفية استعمالهِ واقلهُ ضررًا الحديد والكبريت

وكان اليونانيون يصبغون الشعر الاشقر حتى يسود بالهباب ممزوجًا بالدهن ثم صاروا يستعملون العفص والحديد . وكان الرومانيون يغلون العلق (الدود) في الخل ويصبغون بهِ شعرهم

ومسلمو الهند يصبغون شعرهم بكبريتت الرصاص والانتيمون او الاسرب او باكسيد الحديد . وكثيرًا ما يصبغونهُ بالنيل يصنعون طلاءً منهُ يدهنون بهِ الشعر ويبقونهُ عليهِ ثلاث ساعات او اربعًا ثم يغسلونهُ عنهُ ويدهنونهُ بالزيت فيسود اسودادًا فاحمًا وهو خير صبغة للشعر لا ضرر منها

والتخضيب بالحناء معروف في كل البلدان الشرقية وهو كثير الاستعمال فيها على قدم عهدهِ . ولون الشعر المخضب بالحناء احمر برتقالي. وعند الفرس مادَّة تسمى الرنك يدهن بها الشعر بعد تخضيبهِ بالحناء فيصير لونهُ اسود فاحمًا . ويغسل الجلد بين الشعر بالماء والصابون ويفرك جيدًا فيزول لون الخضاب عنهُ

ومن اقدم صبغات الشعر واشهرها الصبغة التي وصفها باولوس الاجيني الطبيب اليوناني الذي نشأ في القرن السابع للميلاد وهي عصير قشر الجوز الاخضر يضاف اليهِ نقط قليلة من زيت كبش القرنفل واوقية من الالكحول لكل رطل من العصير لكي لا يفسد . يدهن الشعر بهِ باسفنجة مرارًا حتى يسود . والظاهر انهُ يقوي الشعر ويرد لونهُ اليهِ لا انهُ يضيف اليهِ لونًا جديدًا

ومن الصبغات التي لا ضرر منها الصبغة التالية وهي تركَّب هكذا

زاج (كبريتات الحديد)		درهم
الكحول	٨	دراهم
زيت حصى اللبنى	١٢	نقطة
ماء نقي	٤٨	درهم

تمزج هذه المواد معاً ويدهن بها الشعر الشائب مراراً . وهذه الصبغة تفيد لازالة القشرة ايضاً ومنها الصبغة التالية وهي سائلان السائل الاول

شترات البزموث	٨ دراهم
ماء الورد	١٦ درهماً
ماء مقطر	١٦ "
الكحول	٥ دراهم
امونيا كمية كافية	

يدهن بهِ الشعر جيداً في الصباح . والسائل الثاني

هيبوكبريتيت الصودا	١٢ درهماً
ماء مقطر	٢٤ درهماً

يدهن بهِ الشعر جيداً في المساء . او يدهن الشعر بالسائل الاول وبعد ساعة يدهن بالسائل الثاني ولكن الدهن بالسائل الاول في الصباح والثاني في المساء على ما تقدَّم خير من الدهن بالواحد ثم بالآخر بعد ساعة فقط . ويحدث اللون الاسود من الفعل الكيماوي بين شترات البزموث وملح الصودا فيتكون كبريتات البزموث

صبغة نيترات الفضة

نيترات الفضة او حجر جهنم من اكثر المواد استعمالاً في صبغات الشعر والغالب ان يكون في الصبغة من خمس قمحات من حجر جهنم الى عشر لكل ثمانية دراهم من الماء ويدهن بها الشعر جيداً ويترك حتى يجف في الشمس او في غرفة جافة الهواء معرَّضاً لنور الشمس

واذا اريد ان يسرع فعل هذه الصبغة يذاب درهم من كبريتت البوتاسا في ١٦ درهماً من الماء ويدهن بهِ الشعر بعد دهنهِ بصبغة الفضة بدقائق قليلة

وتعاب صبغة الفضة لانها تصبغ الاصابع والجلد كما تصبغ الشعر ويمنع ذلك بدهن الشعر بفرشاة والاحتراس من وصول الصبغة الى الجلد على قدر الامكان . وسيأتي الكلام على بقية صبغات الشعر في الجزء التالي

دواء النمل

اجعل لخزانة الاطعمة اربع قوائم وضع تحت كل قائمة منها صحفة فيها رماد فلا يستطيع النمل ان يصل الى الخزانة وما فيها من الاطعمة ولابدَّ من ان تكون الخزانة غير لاصقة بحائط



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العظام في الزراعة

البترون . نخله افندي زعني . عندي قدر عظيم من العظام جمعتهُ لتسميد الارض فماذا ينبغي ان افعل بهِ ليكون صالحاً لتسميد الارض باقل ما يكون من النفقة

ج كسروها او دقوها دقًّا ناعماً وضعوا الرماد في شكل دائرة تسع العظام وضعوا دقيقها في هذه الدائرة وصبوا عليها خمس وزنها من الماء السخن وثلث وزنها من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج الذي ثقلهُ النوعي ١،٧) وقلبوا دقيق العظام برفش الى ان يأخذ الفوران فيهِ فاتركوهُ بضعة ايام حتى يجف وان لم يجف ذروا عليهِ رماداً او دقيق الفحم او نشارة الخشب حتى يجف ثم سمدوا بهِ الارض . وقد قلَّ استعمال العظام كذلك الآن فلا تستعمل الاَّ نادراً لانهُ يمكن الانتفاع بها على اسلوب آخر قبل استعمالها سماداً اما بنزع الغراء منها او بتكليسها ونزع الزيت منها واستعمال مكلسها في قصر السكر واخيراً تستعمل سماداً . وقد وُجد في الارض مادة طبيعية رخيصة تقوم مقام العظام تماماً اذا عولجت بالحامض الكبريتيك

(٢) الالقاب العلمية

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . نرى بعض الكليات في اوربا يمنح القاب الدكتورية في علوم لاشخاص من ذوي المكانة العالية ممن لم يسبق لهم درس تلك العلوم فما قصد تلك الكليات من هذا العمل

ج لا نعلم انها تمنح القاب الدكتورية في شيء من العلوم الخصوصية الاَّ للذين درسوا تلك العلوم فلا تمنح مثلاً لقب دكتور في الطب الاَّ لمن درس علم الطب ولا لقب دكتور في الموسيقى الاَّ لمن درس علم الموسيقى او برع فيهِ ولا لقب دكتور في العلوم الاَّ لمن درس العلوم الطبيعية واشتغل بها زماناً ولا لقب دكتور في الفلسفة الاَّ لمن درس العلوم بنوع عام واشتغل بها ولكنها تمنح رتبة دكتور في الشرائع او في الشرائع المدنية للمشهورين مهما كانت شهرتهم ولو كانوا قواد حروب وهو اصطلاح لا نزاع فيهِ والغرض منهُ الاعتراف

بامتياز الذين تمنحهم هذه الرتبة

(٣) شيوع الجرائم

ومنهُ . ماذا ترون في شيوع الجرائم عندنا وتفنُّن المجرمين في كيفية ارتكابها فهل ينسب ذلك الى جهل العامة او الى اسباب أُخرى

ج ان الجرائم غير شائعة شيوعاً غير عادي في هذا القطر ولا اصحابها يتفننون تفنناً غير عادي في ارتكابها على ما نعلم . والظاهر ان القسوة خُلُق قديم في الانسان لم يزُل منهُ تماماً حتى الآن فيظهر في بعض افرادهِ شديداً ويحملهم على ارتكاب الموبقات ويقال انهُ يكون فيهم خلقاً فطريًّا لا يمكن نزعهُ منهم ولا ردعهم عنهُ الاَّ بالسجن المؤبد او بالاعدام

(٤) تغير اقليم مصر

ومنهُ . تدلُّ الدلائل الحاضرة على ان مناخ مصر تغير فتحوَّل الى البرودة في الصيف فهل تستنتجون من ذلك انهُ سيأتي وقت ينقلب فيهِ هواء مصر فيشبه هواء اوربا

ج ما هي الدلائل عندكم التي تدل على ان مناخ مصر تغير. فاننا لم نرَ شيئًا منها ولم نسمع عن دليل منها بل ان الارصاد الجوية من ايام الفرنسوية الى الآن تدلُّ على ان حرارة مصر لا تزال على حالها تماماً ومتوسط ما يقع فيها من المطر لا يزال على حالهِ . ولا ندري كيف يثب الناس الى النتائج وثباً من غير استقراء ولا تروٍّ فاذا جاء يوم شديد الحر في فصل الشتاء قالوا قد انقلبت الفصول وصار الشتاء صيفًا . واذا جاءهم يوم معتدل الحر في فصل الصيف قالوا قد تغير هواء البلاد ولم يعدْ حارًّا كما كان . ولا يستحيل ان يتغير اقليم بلاد فيصير معتدلاً بعد ان كان حارًّا او يصير بارداً بعد ان كان معتدلاً ولكن ذلك لا يتمُّ الاَّ في مدة الوف من السنين. ولا يوجد اقل دليل على ان اقليم القطر المصري تغير من ايام البطالسة الى الآن

(٥) المؤلفات المفيدة

ومنهُ . الى اي شيء تعزون قلَّة ما يظهر من المؤلفات المفيدة الحاوية آراء رجال العلم من المصريين . ومتى يقلع بعض المتصدين للتأليف والترجمة عن تعريب ما لا ينفع من كتب الغربيين ورسائلهم

ج نقول جوابًا عن القسم الاول من سؤالكم ان قلة المؤلفات المفيدة ناتج عن قلة العلم وقلة انتشارهِ في البلاد فلو كان سبعون او ثمانون في المئة من اهالي القطر المصري يعرفون القراءة والكتابة وجانب كبير منهم تعلم في المدارس العالية لدعت الحال الى تأليف كثير من الكتب المفيدة لان الكتب بضاعة والبضاعة تصنع وتروج متى كثر الطلب عليها فهي تابعة لناموس التجارة العام القاضي بان تجهيز المواد يكون على حسب الطلب . ونقول جوابًا عن القسم الثاني ان ما يترجم وينشر يختلف نوعهُ باختلاف ما تطلبهُ الامة

فاذا كانت تطلب كتب الروايات والمجون وتبارى فيلسوف وماجن في التاليف فكتب الفيلسوف تكسد ويأكلها العث والفار وكتب الماجن تروج و تنفق فيخسر الاول ويبطل التأليف ويكسب الثاني ويُكثر منهُ فتكثر كتب المجون طبعاً وهذا الداء منتشر عند الاوربيين كما هو منتشر عندنا ففي مجلة العلم الاميركية سبع مئة مشترك لاغير وكتّاب مقالاتها اكبر علماء اميركا ومن اكبر علماء الارض طرًّا. وفي بعض المجلات الفكاهية اكثر من خمس مئة الف مشترك مع ان كتّابها من الطبقة الثانية او الثالثة . ويُطبع الف نسخة من كتاب في العلم او الفلسفة فلا تباع في عشر سنوات ويُطبع خمسون الف نسخة من رواية فكاهية فتباع في اقل من شهر . الاَّ ان البلدان الاوربية والاميركية تداوي هذا الداء بطبعها الكتب العلمية الكبيرة على نفقة الحكومة وتوزيعها على المكاتب العمومية مجانًا حتى لا تكون النفقات مانعاً يمنع طبعها ونشرها . وتدفع للعلماء اجورًا طائلة لكي يجولوا في المدن ويخطبوا الخطب العلمية على جماهير الناس

(٦) تولستوي والثورة الروسية

ومنهُ . هل تظنون ان الثورة التي توشك ان تتّقد في روسيا تكون مثل الثورة الفرنسوية وما رأيكم في تولستوي موقد جذوتها ومذكي لهيبها وفي مبادئهِ السياسية والادبية

ج اما الثورة فلا نظن انها تنتشر في روسيا لان حكومة الروس محوّطة لها والروس اقل تهوُّرًا من غيرهم وهم يكرمون القيصر الى حد العبادة الاَّ طائفة النيهلست منهم . واما تولستوي وآراؤهُ فقد كتبنا عنهُ وعنها مقالة في صدر هذا الجزء سنردفها بمقالات اخرى نشبع الكلام فيها على هذا الموضوع

(٧) خطر سكك الحديد

ومنهُ . قدَّر بعضهم ان الاخطار الناشئة عن السفر في سكك الحديد اقل من الاخطار الناجمة عن الجلوس في المآدب او الوقوف على المنابر فهل ترون هذا القول صوابًا

ج كلاَّ لان الذين يموتون في المآدب وعلى المنابر موتهم طبيعي واما الذين يقضى عليهم في سكك الحديد فان كان موتهم طبيعيًا فلا حساب لهم وهم مثل سائر الناس الذين يدركهم الموت اينما يكونون وان كان غير طبيعي اي حادثًا من اصطدام او نحوهِ فعددهم مهما كان قليلاً هو زيادة في عدد الوفيات الطبيعية

(٨) قبر موسى

مصر . احد المشتركين . اين يوجد قبر النبي موسى وفي اي بلاد مات

ج جاء في الاصحاح الاخير من اسفار موسى الخمسة ان موسى " مات في ارض موآب ودفنهُ الله في الجواء في ارض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبرهُ الى

هذا اليوم " اما ارض موآب فشرقي الاردن وبحيرة لوط

(٩) شكل الصينيين

ومنهُ . لماذا يختلف الصينيون عن الشرقيين والغربيين شكلاً ولونًا وعادات

ج لانهم انفصلوا عن سائر اصناف الناس منذ ادهار طويلة ولم يعودوا يمتزجون بغيرهم . فاذا طال انفصال صنف من اصناف الحيوان عن بقية اصناف نوعهِ ومرَّت عليهِ السنون الطوال لم يبعد ان تتولَّد فيهِ اختلافات جديدة ترسخ فيهِ مع الزمان وتبعدهُ عن بقية اصناف نوعهِ وهذا يصدق على الشكل واللون والعادات

(١٠) القهوة

ومنهُ . من استعمل القهوة اولاً

ج من المؤَكد ان القهوة لم تكن معروفة عند اليونانيين والرومانيين وان الاحباش عرفوها من عهد قديم جدًّا لا يعلم تاريخهُ وان العرب عرفوها قبل القرن الخامس عشر وهذا كل ما يعلم عن قدم تاريخها

(١١) اطعمة الصين

ومنهُ . قرأْت في جريدة الصباح كلامًا لاحد السياح قال فيهِ ان اهل الصين دعوهُ الى عشاءٍ كان طعامهم فيهِ من عقارب البحر وكلب مشوي وفار مقلي فعلى مَ لا يموتون من هذه المآكل

ج لان اكلها لا يميت فان لحم عقرب البحر طيب لذيذ ولحم الكلب ولحم الفار مكروهان عندنا ولكن لا دليل ان فيهما شيئًا من السم المميت بل ان الذين يحصَرون في المدن ويعوزهم الطعام يأْكلون لحم الكلاب والفيران كما لا يخفى . وقد كان العرب يأْكلون السنانير والعقارب والجرذان واليرابيع والضباب والزنابير والبراذين والافاعي والديدان . انظر مقالة موضوعها " ما تأْكل العرب من اللحوم" نشرت في الجزء الثالث من المجلد ٢٢ من المقتطف

(١٢) اتصال القمر بالارض

سان باو بالبرازيل . الخواجه نسيم خوري . قرأْت قولاً لبعض العلماء مفادهُ ان القمر والارض كانا متصلين ثم انفصل القمر عن الارض لاسباب طبيعية واخذ في الابتعاد عنها رويدًا رويدًا فهل هذا القول صحيح وما هي الادلة على صحتهِ

ج يقول بعض العلماء انهُ صحيح وقد اوردنا بعض ادلتهم عليهِ في مقالة للاستاذ جورج دارون بن دارون الشهير نشرناها في الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين فعليكم بمطالعتها

(١٣) الغل والفظ والبنغوين

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي . ما هو الغل والفظ والبنغوين المذكورة في سياق الحديث عن الرحلة الى القطب الجنوبي في عدد شهر ابريل هذه السنة

ج الغل Gull اسم انواع مختلفة من طيور البحر يطلق عليها باللاتينية اسم لاروس ونظن ان كلمة رخ العربية مأخوذة منها ولم نترجمها بها لئلاً يسبق الوهم الى ما وُصف بهِ الرخ في كتب العرب من ان طول جناحهِ الواحد عشرة آلاف باع . والفظ الحيوان البحري المسمَّى Seal وقد تابعنا في ترجمتهِ كذلك استاذنا الدكتور ڤان ديك واسمهُ باللاتينية فوسيدي . والبنغوين اسم طائر آخر من طيور البحر لا يطير لقصر جناحيهِ

(١٤) نزع ثلثي الامعاء

ومنهُ . كيف يعيش الانسان بعد نزع ثلثي امعائهِ حالة كون الخالق لو لم يعرف اهمية لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ

ج اما قولكم كيف يعيش الانسان لو نزع ثلثا امعائهِ فجوابهُ انهُ يعيش بان الثلث الباقي يقوم بما يحتاج اليهِ الجسم من الهضم والامتصاص كما اذا قطعت يد انسان لا يموت بل يقضي حاجاتهِ بيدهِ الاخرى وقد تقطع يداهُ ورجلاهُ ولا يموت اذ يستغني عنها بوسائط اخرى . واما قولكم ان الخالق لو لم يعرف اهمية لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ فجوابنا عنهُ اننا ننظر فيهِ اذا ثبت لنا ان الخالق اخبر احداً بما يقصدهُ من خلقهِ . ولا نفهم كيف يكذب المرء نظرهُ ولمسهُ وينفي صحة ما يراهُ بعينيهِ ويلمسهُ بيديهِ فيقول مثلاً ان الرجل لا يستطيع ان يحلق لحيتهُ ويبقى حيًّا لانهُ لو لم تكن اللحية لازمة لحياتهِ ما خلقها الله . ولا يستطيع ان يقلم اظافرهُ ويبقى حيًّا لانهُ لو لم تكن الاظافر الطويلة لازمة لحياتهِ ما خلقها الله وهو يرى الناس يحلقون لحاهم ويقلمون اظافيرهم كل يوم

والذي عرفهُ الناس بالاختبار حتى الآن ان من الاعضاء ما هو رئيسي لا بدَّ منهُ لحياة الجسم كالقلب والرئتين والكليتين فاذا نزع زالت الحياة ومنها ما يمكن الاستغناء عنهُ كاليدين والرجلين فيمكن قطعهُ ولا تزول الحياة . وكان المظنون ان المعدة من الاعضاء الرئيسة التي لا يمكن الاستغناء عنها فنزعت الآن من بعض الناس وبقوا احياء فثبت انهُ يمكن الاستغناء عنها . ومن الاعضاء الرئيسة ما يمكن الاستغناء عن بعضهِ فيمكن مثلاً الاستغناء عن بعض الرئتين وعن كلية من الكليتين وعن جانب كبير من الامعاء وهلمَّ جرًّا

الخزان والفيضان

مصر . حنا افندي بحري . هل يبقى ارتفاع ماء الفيضان فوق القناطر الخيرية بعد اتمام الخزان على ما هو عليهِ الآن . الجواب نعم لان الخزان لا يُسَدُّ وقت الفيضان بل بعد ان يبلغ حدهُ ويهبط لان ماء الفيضان يكون كثير الطمي فاذا خزن ملأ طميهُ ما فوق الخزان



اقوى المطهرات

ابنا غير مرة ان الاكسجين الممزوج بماء الانهر يطهرها من جراثيم الفساد التي تصل اليها. ويكون فعل الاكسجين على اشده حينما ينفصل عن مادة كان متحدًا بها . وقد وردت الانباء عند كتابة هذه السطور بان الاستاذ نوفي والاستاذ فرير من مدرسة مشيغان الجامعة باميركا اكتشفا انهُ اذا وضع قليل جدًّا من اعلى اكسيد البنزولكتيل Benzolactyl hyperoxide في الماء يَنحل الاكسجين منهُ حالاً وامات الميكروبات التي في ذلك الماء وامات ايضًا جراثيمها وهذه المادة لا تضرُّ بالحيوان ولو كانت جرعتها كبيرة

الحرُّ ولون الفراش

بحث المسيو ستندفُس من علماء زورك في طبائع الفراش فوجد ان الوانهُ تتغير حسب تغير الحر والبرد فاذا اشتدَّ عليهِ البرد حينما يولد صار لونهُ مثل لون الفراش المتولد في لابلندا او غيرها من الاصقاع الشمالية واذا اشتد الحرُّ ولد مثل الفراش المتولد في سورية وكورسكا

مخازن الكهربائية

لا يخفى ان الكهربائية تخزن احيانًا في بطريات الى حين استعمالها . وقد شاع في هذه الاثناء ان اديصن الكهربائي الاميركي المشهور استنبط مخازن جديدة للكهربائية تزيد قوتها ضعفين او ثلاثة على قوة المخازن المستعملة حتى الآن فان المخزن العادي يخزن فيهِ من القوة الكهربائية ما يرفعهُ عن الارض ميلين الى ثلاثة اميال ولكن المخزن الذي استنبطهُ اديصن يخزن فيهِ من القوة الكهربائية ما يرفعهُ عن الارض سبعة اميال . وتطول مدة تفريغ الكهربائية منهُ الى ثلاث ساعات ونصف ساعة ويمكن تفريغها في ساعة واحدة فتكون شديدة الفعل جدًّا وكذلك يمكن املاؤهُ في ثلاث ساعات ونصف او في ساعة واحدة

ولم يكد اديصن يكشف سر استنباطهِ في الشهر الماضي حتى استنبط رجل اميركي آخر اسمهُ ولتر ستروجر مخزنًا آخر يملأ كهربائية في نصف ساعة فقط ويمكن ان يخزن فيهِ من الكهربائية اكثر كثيرًا مما يخزن في مخزن اديصن حتى لو خُزنت كهربائيتهُ في مخزن اديصن لاذابتهُ . وقد طُلب منهُ ان يصنع مخزنًا كبيرًا يكفي لجر قطار الاكسبرس من مدينة روتشستر الى نيويورك مسافة ٣٠٠ ميل . فاذا ثبت ذلك استفادت مصر منهُ

فائدة لا تقدَّر لانها تصير تجمع الكهربائية من خزان اصوان وتسيِّر بها قطراتها شمالاً وجنوباً

كسوف الشمس

كسفت الشمس في ١٨ مايو الماضي كسوفاً كلياً وراقبها الرصد الذين ذهبوا لمراقبتها من اوربا واميركا وكانت السماء غائمة في بعض الاماكن ولكن ظهر الكسوف جلياً في غيرها وبان الاكليل جيداً وطالت مدة الاختفاء اكثر من ست دقائق وسيأتي تفصيل ذلك

التلغراف الاثيري

كان التلغراف الاثيري يُمتحن على سواحل مالطة فوصلت الى آلتهِ رسالة ايطالية ظهر انها مرسلة من سيراقوسة في صقلية على مسافة ١٣٤ ميلاً ولا بدَّ من مرورها فوق جانب من البرقيل وصولها الى مالطة فثبت من ذلك ان الانباء البرية تنقل اكثر من مئة ميل من غير سلك معدني

اتومبيل الشاه

صنع معمل في بلجكا اوتومبيلاً لشاه ايران بلغ ثمنهُ ٤٤٠٠ جنيه وهو من نوع اللاندو يسع خمسة اشخاص مبطن بالحرير الرمادي ومدهون دهاناً ازرق معلماً بالذهب وعجلاتهُ حمراء اللون وعلى فانوسيهِ شعار ايران الاسد والشمس وعلى المركبة اسم جلالة الشاه يحيط بهِ غصنان من الغار والسنديان

نول السجاجيد

السجاجيد العجمية تُصنع باليد كما لا يخفى والصانع الماهر لا يصنع في يومهِ اكثر من مترين مربعين منها مهما اجتهد لكن احد الاوربيين استنبط نولاً تحاك بهِ السجاجيد العجمية والرجل الواحد يصنع بهِ ٣٥ متراً في اليوم من السجاد الجميل الذي لا يفرق عن اجود انواع السجاد العجمي. ويقال ان سنديكاتاً انكليزياً اشترى امتياز هذا الاختراع من صاحبهِ لكي يستعملهُ

دفع الخطر من اسلاك الترامواي

لما عزمت شركة الترامواي على مد اسلاكها في شوارع القاهرة اعترض البعض عليها ان اسلاك التلفون قد تنقطع وتقع على اسلاك الترامواي حتى اذا وصل طرف السلك المقطوع الى انسان او حيوان قتلهُ كما حدث بالامس في فرس وقع عليهِ سلك التلفون فقتلهُ لانهُ نقل اليهِ كهربائية الترامواي. وقد قرأنا الآن في الجرائد الانكليزية ان المستر كوين Quin) المهندس الكهربائي في بلاكبول Blackpool ببلاد الانكليز استنبط مفتاحاً يتصل بالاسلاك الكهربائية حتى اذا انقطع سلك منها منع سير الكهربائية عليهِ من نفسهِ فيزول كل خطر من الاسلاك الكهربائية التي تستعملهُ سواء كانت للترامواي او للتلفون. فعسى ان تهتم الحكومة المصرية بهذا

الامر وتطلب من شركة الترامواي استعمالهُ

السفن الغوَّاصة

سار رئيس الجمهورية الفرنسوية واثنان من وزرائهِ في سفينة غوَّاصة وبقيا فيها ساعة ونصفًا قضيا اكثرها تحت الماء

الافعى بدل الهر

يربي اهل مانلاَّ الافاعي في بيوتهم بدل القطط لتأكل الفيران والجرذان . قالت احدى السيدات الاميركيات سمعتُ اول ليلة نمت فيها في مانلاَّ (عاصمة جزائر فيلبين) صوت جرذ ثم سمعت فحيح افعى فصات الجرذ وجلدت الافعى الارض لما امسكتهُ والتفت عليهِ ثم جعلت تبتلعهُ فصرختُ مذعورة وفي اقل من دقيقة امتلأت غرفتي بالخدم فاطمأن بالي وعلمتُ حينئذٍ ان الافعى في هذه البلاد كالهر عندنا . والحشرات والهوام كثيرة في مانلا لا يخلو منها بيت ولا سيما النمل فانهُ يكاد يملأُ البيوت فلا عجب اذا استشفي اهاليها من داءٍ بداءٍ ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

نمو الممالك بالتجنُّس

تنمو الممالك بالولادة وبالتجنس واحوجها الى التجنس الممالك الجديدة والبلدان الحديثة العمران كالولايات المتحدة الاميركية فانها لولا تسهيل التجنس على المهاجرين اليها ما بلغ عدد سكانها الآن عشر ما بلغ ولا بلغت ثروتهم عشر عشر ما بلغت . وقد بحث الاميركيون بالامس عن اصل ٤٠٩٩ ضابطًا من ضباط بوارجهم فوجدوا ٥٧ في المئة منهم من المولودين في اميركا و ٣٤ في المئة من الذين تجنسوا بالجنسية الاميركية وهم غير مولودين في اميركا وستة في المئة من الذين اظهروا رغبتهم في التجنس بالجنسية الاميركية والباقون اما غرباء قاطنون في الولايات المتحدة او غير قاطنين فيها . وطلب النمو ومنع التجنس لا يجتمعان

قدور الالومنيوم

ثبت بالامتحان ان قدور (حلل) الالومنيوم اربح في الاستعمال من قدور النحاس فانهُ يتوفر بها ٤٥ في المئة من الوقود على ما في جريدة السينتفك اميركان

العلم عبد الحاجة

انشئت خطوط الترامواي الكهربائي في مدينة لندن منذ بضعة اشهر ولكن رؤساء المرصد الفلكي في كو اعترضوا عليها ومنعوا استعمالها قائلين ان كهربائيتها تؤثر في آلات الرصد فيبطل تدقيقها . ورُفعت المسألة الى لجنة من المحكمين فبحثت ووجدت ان اعتراض رؤساء المرصد في محلهِ ولكن اهالي المدينة يحتاجون الى الترامواي الكهربائي ولا بدَّ لهم منهُ لتسهيل الانتقال فتم الاتفاق اخيرًا على نقل المرصد الى مكان آخر لا يصل اليهِ فعل

الكهربائية وان شركة الترامواي تدفع نصف ما يلزم لنقلهِ من النفقات

عربات الاتوموبيل

يظهر لنا انهُ لا يمضي وقت طويل حتى تقوم عربات الأُتوموبيل مقام عربات الخيل والبغال في كل مكان في المدن والقرى حتى في البلدان القاصية سواءٌ كانت العربات للركوب او للنقل . فان الدوائر الحربية في اوربا واميركا تمتحن الآن استعمال الاتوموبيل لنقل الزاد والمدافع والمرضى ولكل ما كان يُنقَل بعربات الخيل والبغال . وقد أُلفت الشركات في المدن الكبيرة لاستعمال مركبات الاتوموبيل بدل اومنيبوس الخيل وسكك الحديد في المدن وضواحيها وهم يحسبون انها تجري عشرين ميلاً في الساعة وتقف حالاً لاخذ الركاب في اي مكان كان . وقد شاهدنا هذه المركبات تصعد في سكك الجبال في بلاد سويسرا وصعودها فيها اسهل من صعود مركبات الخيل . ولا يبعد ان تؤَلف شركات في هذا القطر والقطر السوري لاستعمال عربات الاتوموبيل للركوب والنقل بدل عربات الامنيبوس و بدل قوافل الجمال والبغال

سعوط الكوكايين

شاع استعمال الكوكايين سعوطاً في اميركا الجنوبية فيتسعط بهِ زنوجها فيفعل بهم فعل الافيون . وكأَن يقظة الحياة عبءٌ ثقيل على بعض الناس فيطلبون السكرة منها كيفما كان

تنشيط الصنائع

في جزيرة زيلندا الجديدة التي كان اهاليها يأكلون بعضهم بعضاً منذ سنين قليلة مناجم غنية بالحديد وقد ارادت حكومتها الآن ان تغري الشركات الصناعية باستخراج الحديد منها فوعدت باعطاء عشرين الف جنيه للشركة التي تستخرج منها عشرين الف طن من الحديد مشترطة ان لا يكون رأس مال هذه الشركة اقل من مئتي الف جنيه ولكنها اشترطت على نفسها ايضاً ان تبتاع من الشركة خمسين الف طن من الحديد الذي تستخرجه بثمن يزيد على ثمنهِ في السوق والغرض من ذلك ان يصير الحديد المستخرج في تلك المستعمرة كافياً لحاجة سكانها حتى لا يجلبوا الحديد من مكان آخر . هكذا هكذا تنشط الصنائع لا كما فعلت حكومة مصر حديثاً لمنع انشاء المعامل في بلادها

الصنائع في اليابان

يظهر ان ارباب الصنائع في اوربا واميركا يخافون مناظرة اليابان لهم اكثر مما يخافون اية مناظرة اخرى لرخص اجرة العمال في اليابان فان الساعة تصنع الآن فيها باربعين غرشاً والبيسكل بمئتين واربعين غرشاً والبيانو

المتقن بالني غرش ومعامل الغزل والنسج فيها تدور ٢٢ ساعة كل يوم لكثرة الطلب عليها. ذلك كلهُ والمعامل الاوربية تخرج العمال لقلة الاعمال حتى يقال ان معمل كروب المشهور في المانيا اخرج من عمّالهِ اربعة آلاف عامل منذ شهر اكتوبر الماضي

الكماتوغراف

استنبط رجل من سكان لندن اسمهُ ليوكام اسلوبًا جديدًا لتصوير الصور المتوالية التي تظهر الاعمال والحركات في السيناماتوغراف وذلك انهُ يضع في آلة التصوير لوحًا زجاجيًا مستديرًا يدور فيها دورانًا حلزونيًا امام العدسية التي يدخل النور منها فترتسم عليهِ صور متوالية في شكل حلزوني الواحدة بعد الاخرى حتى يمتلئ منها ثم تظهر الصور عليهِ كما تظهر عادةً ويوضع امام الستار الذي تلقى عليهِ الصور مكبرة ويدار بالسرعة التي أُدير بها وقتما اخذت الصور عليهِ فتظهر الصور على الستار متحركة كما كانت تتحرك وقتما صوّرت. ويؤخذ على اللوح الواحد ستمئة صورة في دقيقة من الزمان اي ١٢ صورة في الثانية الواحدة

العدوى من دكان الحلّاق

لم تبقَ شبهة في ان دكان الحلّاق (المزين) مسؤول عن كثير من الآفات الجلدية كالحزاز والبهق وداء الثعلب والصلع وما اشبه. وقد رأى بعض الحلّاقين في باريس ان لا يبقوا سبيلاً للشكوى منهم فصنعوا الامشاط من المعدن ووضعوا مصباح غاز امام كل كرسي فيشعلون الغاز ويجيزون فيهِ المشط والموسى والمقراض قبلما يستعملونها ويصنعون سائلاً من الثيمول يميت الميكروبات يجيزون فيهِ البرش قبلما يستعملونهُ فلا يبقى سبيل للخوف من العدوى

التلسكوب الاكبر

التلسكوب الاكبر حتى الآن تلسكوب معرض باريس الذي وصفناهُ وصورناهُ غير مرة في المقتطف لكن الاميركيين يأبون الا ان يكونوا فوق غيرهم في كل مأثرة ومفخرة. ومتى وُجد المال والعقل وجد كل شيء فقد قرأنا الآن ان احد اغنيائهم عرض على قداسة البابا ان يهدي اليهِ تلسكوبًا يكون اكبر من تلسكوب معرض باريس يوضع في مرصد رومية فقبل البابا هذه الهدية ولم يبقَ الا ان يصنع التلسكوب ويقام في المرصد الغريغوري اقدم مراصد اوربا

الجرذان والطاعون

قال المستر غرام في التقرير الذي نشرناهُ في هذا الجزء عن الطاعون "والاولى ان تعدَّ الجرذان في جملة الحيوانات التي يفتك الطاعون بها كما يفتك بالناس لا ان يحسب

لها شأن كبير في تولد الوباء ونقلهِ ونشرهِ " . لكن الثقات الباحثين في هذا الموضوع يقولون الآن قولاً واحداً وهو ان للجرذان شأناً كبيراً في انتشار الطاعون فان الجرذ السليم يتفلى من البراغيث فلا تكثر في بدنهِ ولكنهُ اذا مرض بالطاعون كثرت فيهِ البراغيث حتى اذا مات و برد جسمهُ هجرتهُ وطارت الى جرذ آخر او الى الانسان ونقلت اليهِ العدوى وطعمتهُ بها تطعيماً

آلة الكتابة العربية

نبشر ابناء العربية ومتعلميها انهُ قد صُنعت آلة للكتابة تكتب الحروف العربية متصلة كأنها حروف طبع عادية . والسرُّ فيها ان " ربط " الحروف جُعل كلهُ بعدها لا قبلها ومستنبط ذلك المصور الماهر الخواجه سليم حداد فقد جاءنا منذ سنة من الزمان واطلعنا على سرّ اكتشافهِ فرأينا حالاً انهُ حل عقدة كبيرة واكتشف اكتشافاً نافعاً جداً في علم سبك الحروف العربية لانهُ يقلل صورها ويجعل آلة الكتابة العربية من الممكنات فسجل الاكتشاف باسمهِ ومضى الى اميركا حيث تصنع آلات الكتابة واتفق مع معمل منها على عمل الآلات التي يطلبها . وبعد عناء كثير ونفقات طائلة قام بها سعادة السري ادريس بك راغب عاد بآلة منها مثالاً ودعا بالامس جمهوراً من ارباب الصحف العربية ووجهاء العاصمة الى منزلهِ واراهم اياها واستعملها امامهم وطاب منهم ان يستعملوها هم فكتبنا بها حالما رأيناها ولم نكن قد كتبنا بآلة قبلها لا عربية ولا افرنجية . وحروفها جميلة مثل الحرف الاسلامبولية نقطها فيها ومعها الارقام الهندية والاهلّة وعلامات الاقتباس والوقف ومفاتيحها مع ذلك قليلة العدد اقل منها في آلة الكتابة الافرنجية

وقد اجمع الذين رأوها معنا على ان حروفها كبيرة نوعاً لانها تظهر كالحروف التي في عنوان هذه النبذة وان فسحاتها عريضة فلا تدمج الكتابة فيها وارتأوا ان تصغر حروفها قليلاً وتضيّق فسحاتها حتى تقضى بها حاجة الكتّاب والتجّار فاستحسن المخترع رأيهم وعزم على ان يرسل الى المعمل يطلب الآلات صغيرة الحروف ضيقة الفسحات حتى تكون حروفها مثل حرف المقتطف او اكبر قليلاً

ولا بدَّ من ان تلقى هذه الآلة شيئاً من المقاومة في اول الامر كما لقيت آلات الكتابة الافرنجية فقد بلغنا ان الدوائر السياسية الاوربية كانت ترفض كل كتابة تقدَّم اليها مكتوبة بآلة الكتابة اما الآن فانقلب الامر الى ضدّهِ وصارت تأمر بان كل ما يقدَّم اليها يقدَّم مكتوباً بآلة الكتابة والاَّ أُهمل

فهرس الجزء السادس من المجلد السادس والعشرين



